

وَقَفَّ لِلَّهِ تَعَالَى

# موارد الظَّهْمَانِ لدروس الزمان

خُطْبٌ وَحُكْمٌ وَأَحْكَامٌ وَقَوَاعِدٌ وَمَوَاعِظٌ وَأَدَابٌ وَأَخْلَاقٌ حَسَانٌ

تَأْلِيفُ الْفَقِيرِ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ

عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدِ السَّلْمَانِ

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجزء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقَفَ قَوْمٌ عَلَى عَالِمٍ فَقَالُوا : إِنَّا سَأَلُوكَ أَفْمَجِينَنَا أَنْتَ ؟ قَالَ : سَأَلُوا وَلَا تُكْثِرُوا ، فَإِنَّ النَّهَارَ لَنْ يَرْجِعَ وَالْعُمُرُ لَنْ يَعُودَ ، وَالطَّلَبُ حَيْثُ فِي طَلْبِهِ . قَالُوا : فَأَوْصِنَا . قَالَ : تَزَوَّدُوا عَلَى قَدْرِ سَفَرِكُمْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا أَبْلَغَ الْبُعِيَّةَ . ثُمَّ قَالَ : الْأَيَّامُ صَحَائِفُ الْأَعْمَارِ فَخَلِّدُوهَا أَحْسَنَ الْأَعْمَالِ ، فَإِنَّ الْفُرْصَ تَمُرٌ مَرَّ السَّحَابِ ، وَالتَّوَانِي مِنْ أَخْلَاقِ الْكُسَالَى وَالْحَوَالِفِ ، وَمَنْ اسْتَوَظَنَ مَرْكَبَ الْعَجْزِ عَثَرَ بِهِ . وَتَزَوَّجِ التَّوَانِي بِالْكَسَلِ فَوَلَدَ بَيْنَهُمَا الْحُسْرَانَ . أ. هـ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

تَزَوَّجَتِ الْبَطَالَةَ بِالتَّوَانِي	فَأَوْلَدَهَا غُلَامًا مَعَ غُلَامِهِ
فَأَمَّا الْإِبْنُ سَمُوهُ بِفَقْرٍ	وَأَمَّا الْبِنْتُ سَمُوها نَدَامَةً
آخِر : يَا سَاكِنَ الدُّنْيَا تَأْهَبْ	وَأَنْتَظِرْ يَوْمَ الْفِرَاقِ
وَأَعَدَّ زَادًا لِلرَّحِيلِ	فَسَوْفَ يُخْدَى بِالرِّفَاقِ
وَأَبْكَ الدُّنُوبَ بِأَدْمَعٍ	تَنْهَلُ مِنْ سَحَابِ الْمَقِ
يَا مَنْ أَضَاعَ زَمَانَهُ	أَرْضَيْتَ مَا يَنْفَى بَبَاقِ
آخِر : أَقْلَبُ كَتَبًا طَالَمَا قَدْ جَمَعْتَهَا	وَأَفْنَيْتُ فِيهَا الْعَيْنَ وَالْعَيْنَ وَالْيَدَا
وَأَضْبَحْتُ ذَا ظَنِّ بِهَا وَتَسَمَّكَ	لِعِلْمِي بِمَا قَدْ صُغْتُ فِيهَا مُنْضَدًا
وَاحْذَرْ جَهْدِي أَنْ تَنَالَ بِنَائِلِ	مَهِينٍ وَأَنْ يُغْتَالَهَا غَائِلُ الرَّدَى
وَاعْلَمْ حَقًّا أَنِّي لَسْتُ بِأَقِيَا	فِيَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ يَقْلِبُهَا غَدَاً

المُراقِبَةُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءٍ : مُراقِبَةُ اللَّهِ فِي طَاعَتِهِ بِالْعَمَلِ الَّذِي يُرْضِيهِ ، وَمُراقِبَةُ اللَّهِ عِنْدَ وُجُودِ الْمَعْصِيَةِ بِتَرْكِهَا ، وَمُراقِبَةُ اللَّهِ فِي الْهَمِّ وَالْحَوَاطِرِ وَالسَّرِّ وَالْإِعْلَانِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » .

(١)

الليل والنهارَ يَعْمَلانِ فِيكَ فَاعْمِلْ فِيهِمَا أَعْمَالاً صَالِحَةً تَرْبِحُ وَتُحْمَدُ الْعَاقِبَةُ الْحَمِيدَةُ إِنَّ  
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

شِعْرًا : وَلَيْلِكَ شَطْرُ عُمْرِكَ فَاعْتِمِمْهُ      وَلَا تَذْهَبْ بِشَطْرِ الْعُمْرِ نَوْمًا  
آخِر : يُحْيِي اللَّيَالِي إِذَا الَمَّغْرُورُ أَغْفَلَهَا      كَانَ شُهْبَ الدِّيَاجِي أَعْيُنُ نُجَلِّ

(٢)

الْمَلَائِكَةُ يَكْتُبَانِ مَا تَلْفِظُ بِهِ فَاحْرِصْ عَلَى أَنْ لَا تَنْطِقَ إِلَّا بِمَا يَسُرُّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . أَشْرَفُ  
الْأَشْيَاءِ قَلْبُكَ ، وَوَقْتُكَ ، فَإِذَا أَهْمَلْتَ قَلْبَكَ وَضَيَّعْتَ وَقْتَكَ فَمَادَا يَبْقَى مَعَكَ كُلُّ الْفَوَائِدِ  
ذَهَبَتْ ، وَقْتُ الْإِنْسَانِ هُوَ عُمْرُهُ وَمَادَةَ حَيَاتِهِ الْأَبَدِيَّةِ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَمَادَةَ الْمَعِيشَةِ  
الضَّنَنِ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَهُوَ يَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ .

(٣)

اعْلَمْ أَنَّ قِصَرَ الْأَمَلِ عَلَيْهِ مَدَارٌ عَظِيمٌ وَحِصْنُ الْأَمَلِ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَحِصْنُ حِصْنِهِ ذِكْرُ  
فَجَاءَةِ الْمَوْتِ وَأَخَذِ الْإِنْسَانَ عَلَى غِرَّةٍ وَغَفْلَةٍ وَهُوَ فِي غُرُورٍ وَفُتُورٍ عَنِ الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ .  
نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوقِظَ قُلُوبَنَا إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلِّمْ .

شِعْرًا : إِذَا شَامَ الْفَتَى بَرْقَ الْمَعَالِي      فَأَهْوَنَ فَائِتِ طَيْبِ الرُّقَادِ  
آخِر : وَبَادِرِ اللَّيْلِ بِدَرَسِ الْعُلُومِ      فَإِنَّمَا اللَّيْلُ نَهَارُ الْأَرْيَبِ

بسم الله الرحمن الرحيم

شعرًا : قَالَ بَعْضُهُمْ :

بَلَوْتُ الطَّيِّبَاتِ فَلَمْ أَجِدْهَا      تَفِي بِالْعُشْرِ مِنْ طِيبِ الْعُلُومِ  
وَنَادَمْتُ الصِّحَابَ وَنَادَمُونِي      فَمَا بِالْكَتَبِ عِنْدِي مِنْ نَدِيمِ  
وَلَمْ أَرَى فِي كُنُوزِ النَّاسِ ذُخْرًا      كَمَثَلِ مَوَدَّةِ الْحُرِّ الْكَرِيمِ

مُلاحِظَةٌ : لا يُسْمَحُ لِأَيِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَخْتَصِرُهُ أَوْ يَتَعَرَّضَ لَهُ بِمَا يُسْمُونُهُ تَحْقِيقًا لِأَنَّ  
الِاخْتِصَارَ سَبَبٌ لِتَعْطِيلِ الْأَصْلِ . وَالتَّحْقِيقَ أَرَى أَنَّهُ اتِّهَامٌ لِلْمَوْلَفِ ، وَلَا يُطْبَعُ إِلَّا  
وَقَفًّا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَنْتَفِعَ بِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

(( فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ النَّفْعَ لِمَنْ وَقَفَهُ اللَّهُ ))

مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ عَرَفَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَفَهَّمَهُ مَعْنَاهَا ، وَوَقَّفَهُ  
لِلْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا ، وَالِدَّعْوَةَ إِلَيْهَا .

شِعْرًا : الذِّكْرُ أَصْدَقُ قَوْلٍ فَافْهَمِ الْخَبْرَا      لِأَنَّهُ قَوْلٌ مَنْ قَدْ أَنْشَأَ الْبَشْرَا  
فَاعْمَلْ بِهِ إِنْ تُرِدْ فَهَمًّا وَمَعْرِفَةً      يَا ذَا النُّهَى كَيْ تَنَالَ الْعِزَّ وَالْفَخْرَا  
وَتَحْمَدَ اللَّهَ فِي يَوْمِ الْمِعَادِ إِذَا      جَاءَ الْحِسَابُ وَعَمَّ الْخَوْفُ وَانْتَشْرَا  
لِلَّهِ دُرٌّ رَجَالٍ عَامِلِينَ بِهِ      يَدِيقُ وَمَا قَدْ جَلَّ وَاشْتَهْرَا

آخر : جَمِيعُ الْكُتُبِ يُدْرِكُ مَنْ قَرَاهَا      مَلَالٌ أَوْ فُتُورٌ أَوْ سَامَه  
سِوَى الْقُرْآنِ فَافْهَمِ وَاسْتَمِعْ لِي      وَقَوْلِ الْمِصْطَفَى يَا ذَا الشَّهَامَةِ  
آخر : صَافِي الْكَرِيمِ فَخَيْرٌ مِنْ صَافِيَّتِهِ      مَنْ كَانَ ذَا دِينٍ وَكَانَ عَفِيفًا

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### " فَصْلٌ "

وَمَنْ أَرَادَ طِبَاعَتَهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُرِيدُ بِهِ عَرْضًا مِنَ الدُّنْيَا ، فَقَدْ أُذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَجَزَى اللَّهُ خَيْرًا مَنْ طَبَعَهُ وَفَقًا لِلَّهِ ، أَوْ أَعَانَ عَلَى طَبَعِهِ ، أَوْ تَسَبَّبَ لِطَبَعِهِ وَتَوَزَّعَهُ عَلَى إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ ρ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ فِي السَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ : صَانِعُهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ وَالرَّامِي بِهِ ، وَمُنْبِلُهُ » . الْحَدِيثُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَوَرَدَ عَنْهُ ρ أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ » . الْحَدِيثُ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ρ قَالَ : « مَنْ جَهَّزَ غَارِيًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ عَزَا ، وَمَنْ خَلَّفَ غَارِيًّا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ عَزَا » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ : « إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ أَوْ مُصْحَفًا وَرَثَهُ أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ سَبِيلٍ بَنَاهُ أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلَحُّفُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ » . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ خُرَيْمَةَ .

وَرَوَاهُ الْبَرْزَاءُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : « سَبْعٌ تَجْرِي لِلْعَبْدِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ : مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا أَوْ كَرَى نَهْرًا أَوْ حَفَرَ بَيْتًا أَوْ غَرَسَ نَخْلًا أَوْ بَنَى مَسْجِدًا أَوْ وَرَثَ مُصْحَفًا أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَعْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ » .

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا نُورَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، إِنَّكَ تَفَضَّلْتَ عَلَيْنَا وَأَعْطَيْتَنَا الْإِسْلَامَ مِنْ غَيْرِ أَنْ نَسْأَلَكَ فَلَا تَحْرِمْنَا الْجَنَّةَ وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ .

## " فصل " فِي الْوَعْظِ وَالْإِرْشَادِ "

اعْلَمْ وَقَفَقْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُجِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ عَمَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ نُوَابُ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْحَاطِرِ فَهُمْ أَمَنَاءُ اللَّهِ عَلَى شَرْعِهِ وَالْحَافِظُونَ لِدِينِهِ الْقَوِيمِ وَالْقَائِمُونَ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْعَارِفُونَ بِمَا يَجِبُ لِلَّهِ مِنْ كَمَالٍ وَتَنْزِيهِ .

لِذَلِكَ كَانَ أُمَّةَ الْمُسْلِمِينَ الْمُخْلِصُونَ فِي أَعْمَالِهِمُ الصَّادِقُونَ فِي أَقْوَالِهِمُ الْبَعِيدُونَ عَنِ الرِّبَايَةِ وَحَبَّ الشُّهْرَةِ وَالْمَدْحِ يَسِيرُونَ بِالْحَلْقِ نَحْوَ سَعَادَتِهِمْ بِمَا يُعَلِّمُونَهُمْ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ وَمِمَّا يُرْشِدُونَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ التَّحَلِّيِ بِالْفُضِيلَةِ وَالتَّحَلِّيِ عَنِ الرَّذِيلَةِ وَاعْتَقَدَ النَّاسُ فِيهِمْ ذَلِكَ وَأَمَلُوهُمْ لَهُ فَأَحَلُّوهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مَحَلًّا لَمْ يَبْلُغُهُ سِوَاهُمْ مِنَ الْبَشَرِ حَتَّى ائْتَسَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ مَكَانَةً يُعْبَطُونَ عَلَيْهَا وَرَجَّحُوا مَنْزِلَةً تَصْبُوا إِلَيْهَا نُفُوسِ ذَوِي الْهَمَّةِ الْعَالِيَةِ وَالْفَضْلِ .

وَنَاهِيكَ بِقَوْمٍ إِذَا فَعَلُوا لِحَظَّتْهُمْ الْعُيُونُ وَإِذَا قَالُوا : أَصْغَتِ الْأَذَانُ وَوَعَتِ الْقُلُوبُ وَحَكَتِ الْأَلْسُنُ فَهُمْ مَطْمَحُ الْأَنْظَارِ وَمَوْضِعُ الثَّقَةِ وَالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ وَالْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ وَالثُّورِ السَّاطِعِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى " : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

شِعْرًا : مَحَاسِنُ أَصْنَافِ الدُّعَاةِ كَثِيرَةٌ وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِأَحْمَدِ

آخِرُ : لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا مُخْلِصٌ وَرِعٌ كَثِيرٌ ذِكْرٌ لِخَلَاقِ السَّمَاوَاتِ

مُتَابِعٌ لِرُسُولِ اللَّهِ دَيْدَنَهُ تِلَاوَةُ الذِّكْرِ مَعَ حِفْظِ الْأَوْقَاتِ

آخِرُ : وَأَحْسَنُ مُفْرُونِينَ فِي لَفْظِ نَاطِقٍ ثَنَاءٌ عَلَى رَبِّ الْعِبَادِ وَشُكْرُهُ

الْمَعْنَى لَا أَحَدٌ أَحْسَنُ كَلَامًا وَطَرِيقَةً وَحَالَةً مِمَّنْ دَعَا النَّاسَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَذَلِكَ بِتَعْلِيمِ جَاهِلِيَّتِهِمْ وَوَعْظِ غَافِلَتِهِمْ وَنَصْحِ مُعْرِضَتِهِمْ وَجِدَالَةِ مُبْطِلَتِهِمْ بِالْأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا وَالْحَثِّ عَلَيْهَا وَتَحْسِينِهَا وَتَحْبِيبِهَا

مَهْمَا أَمَكَنَ وَالرَّجْرَ عَمَّا نَهَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَنْهُ وَتَقْيِيحِهِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ وَطَرِيقَةٍ تُوجِبُ تَرْكَهُ .

وَكَانَ الْحَسَنُ إِذَا تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ يَقُولُ : هَذَا حَبِيبُ اللَّهِ ، هَذَا وَلِيُّ اللَّهِ ، هَذَا صَفْوَةُ اللَّهِ ، هَذَا خَيْرُهُ اللَّهُ ، هَذَا أَحَبُّ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ ، أَجَابَ اللَّهُ فِي دَعْوَتِهِ ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَا أَجَابَ فِيهِ مِنْ دَعْوَتِهِ ، وَعَمَلَ صَالِحًا فِي إِجَابَتِهِ .

وَقَالَ فِي هِدَايَةِ الْمُرْشِدِينَ : إِنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ عَلَى الدَّاعِي الْعِلْمُ بِالْقُرْآنِ وَالْمُرَادُ بِالنَّظَرِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى كَوْنِهِ هُدًى وَمَوْعِظَةً وَعِبْرَةً .

وَكَذَلِكَ السُّنَّةُ وَمَا صَحَّ مِنْ أَقْوَالِ الرَّسُولِ ﷺ وَسِيرَتِهِ وَسِيرَةِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ وَبِالْقَدْرِ الْكَافِي مِنَ الْأَحْكَامِ وَأَسْرَارِ التَّشْرِيعِ مَعَ الصِّدْقِ فِي نَشْرِهَا فَإِنَّ مَرْتَبَتَهُ التَّبْلِيغُ عَنِ اللَّهِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا لِمَنْ اتَّصَفَ بِالْعِلْمِ مَعَ الصِّدْقِ .

وَالْمُرْشِدُ وَارِثُ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ وَلِيَتِمَّ كَنْ مِنْ تَعْلِيمِ ذَلِكَ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ فَلَا يَرِيعُ فِي عَقِيدَتِهِ وَلَا يَعْجِزُ عَنِ إِقْنَاعِ النُّفُوسِ الْمُتَطَلِّعَةِ إِلَى مَعْرِفَةِ أَسْرَارِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَيَكُونُ الْإِدْعَانُ لَهُ أُمَّمٌ وَالْقُبُولُ مِنْهُ أَكْمَلٌ .

فَأَمَّا الْجَاهِلُ فَضَالٌّ مُضِلٌّ وَضُرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ، وَمَا يُفْسِدُهُ أَكْثَرُ مِمَّا يُصْلِحُهُ إِذْ لَا تَمَيِّزَ لِجَاهِلٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَلَا مَعْرِفَةَ عِنْدَهُ تَرْشُدُ إِلَى إِصْلَاحِ الْقُلُوبِ وَتَهْذِيبِ النُّفُوسِ .

شِعْرًا : رِيَاسَاتِ الرَّجَالِ بَغَيْرِ عِلْمٍ      وَلَا تَقْوَى الْإِلَهِ هِيَ الْخَسَاسَةُ

آخِرُ : وَكُلُّ رِيَاسَةٍ فِي جَنْبِ جَهْلٍ      أَحَطُّ مِنَ الْجُلُوسِ عَلَى الْكِنَاسَةِ  
وَأَشْرَفُ مَنْزِلٍ وَأَعَزُّ عِزٍّ      وَخَيْرُ رِيَاسَةٍ تَرَكَ الرِّيَاسَةَ

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ ، وَفِي الْحِكْمِ : مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا بَغَيْرِ دَلِيلٍ ضَلَّ ، وَمَنْ تَمَسَّكَ بَغَيْرِ أَصْلٍ زَلَّ .

وَأَمَّا الْكَاذِبُ فَلَا خَيْرَ فِيهِ وَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَاذِبِينَ عَلَى اللَّهِ ، هَذَا حَرَّمَ اللَّهُ الْقَوْلَ عَلَيْهِ بِلا عِلْمٍ ، وَجَعَلَهُ مِنْ أَفْحَشِ الْكِبَائِرِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

وَهَذَا يُعْمُ الْقَوْلَ عَلَى اللَّهِ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَذَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَفِي دِينِهِ وَشَرْعِهِ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتُرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾

وَمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَتَّصِفَ بِهِ الدَّاعِي الْعَمَلِ بِعِلْمِهِ فَلَا يُكَذِّبُ فِعْلُهُ قَوْلُهُ ، وَلَا يُخَالِفُ ظَاهِرَهُ بَاطِنُهُ ، فَلَا يَأْمُرُ بِشَيْءٍ إِلَّا وَيَكُونُ أَوَّلَ عَامِلٍ بِهِ ، وَلَا يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكُونُ أَوَّلَ تَارِكٍ لَهُ ، لِيَفِيدَ وَعَظُهُ وَإِرْشَادِهِ . فَأَمَّا إِنْ كَانَ يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَلَا يَفْعَلُهُ وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ وَهُوَ وَاقِعٌ فِيهِ ، فَهُوَ بِحَالِهِ عَقَبَةٌ فِي سَبِيلِ الْإِصْلَاحِ ، وَهَيْهَاتَ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهِ ، فَإِنَّهُ فَاقِدُ الرُّشْدِ فِي نَفْسِهِ فَكَيْفَ يَرُشِّدُ غَيْرَهُ .

شِعْرًا : الْعِلْمُ فِي شَرْطِهِ لِمَنْ حَصَلَهُ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ وَيَعْمَلَ بِهِ

آخِر : يَا أَمْرَ النَّاسِ بِالْمَعْرُوفِ مُجْتَهِدًا إِنْ رَأَى عَامِلًا بِالْمُنْكَرِ انْتَهَرَهُ

أَبْدَأُ بِنَفْسِكَ قَبْلَ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَأَوْصِيهَا وَأَتْلُ مَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ التَّالِينَ لِكِتَابِكَ الْعَامِلِينَ بِهِ الْمُحِلِّينَ حَلَالَهُ الْمُحْرَمِينَ حَرَامَهُ الْمُمْتَنِّينَ لِأَوَامِرِهِ الْمُحْتَبِينَ نَوَاهِيهِ الْمُتَعِظِينَ بِمَوَاعِظِهِ الْمُنْزِحِينَ بِزَوَاجِرِهِ الْمُتَفَكِّرِينَ فِي مَعَانِيهِ الْمُتَدَبِّرِينَ لِأَلْفَاظِهِ الْبَاكِينَ الْمُقَشَّعِينَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ وَسَمَاعِهِ .



وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ  
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " فَصْلٌ "

قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ : إِنَّ الْعَالِمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ الْقُلُوبِ كَمَا يَزُلُّ  
الْقَطْرُ عَنِ الصَّفَا فَإِنَّ مَنْ حَثَّ عَلَى التَّحَلِّيِ بِفَضِيلَةٍ ، وَهُوَ عَاطِلٌ مِنْهَا ، لَا يُقْبَلُ قَوْلُهُ ،  
كَمَنْ يَحُثُّ النَّاسَ عَلَى الْحِلْمِ وَالصَّبْرِ وَالْكَرَمِ وَهُوَ بِضِدِّ ذَلِكَ . قَالَ تَعَالَى : ﴿

وَمِثْلُ ذَلِكَ مَنْ يَنْهَى عَنِ الْأَخْلَاقِ السَّاقِطَةِ وَالْبِدْعِ وَالْمَلَاهِي وَهُوَ مُتَلَوِّثٌ بِهَا كَمَنْ يَنْهَى  
عَنِ الدُّخَانِ أَبِي الْحَبَائِثِ وَالْحَمْرِ أُمَّ الْحَبَائِثِ وَهُوَ يَشْرِيهُمَا ، وَكَمَنْ يَأْمُرُ بِالِابْتِعَادِ عَنِ  
التلفزيون والمذيع والسينما والبكمات ، وَهُوَ يَشْتَرِيهَا أَوْ يَحْظُرُهَا .  
وَكَمَنْ يَنْهَى عَنِ حَلْقِ اللَّحْيَةِ وَالْحَنَافِسِ وَالتَّشْبِهِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُرْدِ وَالْكَفَّارِ وَهُوَ مُتَلَبِّسٌ بِهَا ،  
وَكَمَنْ يَنْهَى عَنِ الْكُورَةِ وَهُوَ يَحْضُرُهَا ، أَوْ يَنْهَى عَنِ بَيْعِ هَذِهِ الْمَلَاهِي وَشِرَائِهَا  
وَتَصْلِيحِهَا وَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ ، فَهَذَا يُقَابِلُ قَوْلَهُ بِالرَّدِّ ، وَلَا يُعَامِلُ إِلَّا بِالْإِعْرَاضِ ، وَالِإِهْمَالِ  
، بَلْ مَحَلُّ سُخْرِيَةٍ ، وَاسْتِهْزَاءٍ فِي نَظَرِ الْعُقَلَاءِ .

شِعْرًا : وَأَخْسَرُ النَّاسِ سَعِيًّا مَنْ قَضَى عُمْرًا فِي غَيْرِ طَاعَةٍ مَنْ أَنْشَأَهُ مِنْ عَدَمٍ

آخر : سَلِ الْإِلَهَ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ  
فَإِنْ مَنَحْتَ فَلَا مَنْ وَلَا كَدْرٌ  
فَهُوَ الَّذِي يُرْتَجَى مِنْ عِنْدِهِ الْأَمَلُ  
وَإِنْ رَدَدْتَ فَلَا ذُلٌّ وَلَا خَجَلُ  
يَا بُعْدَ مَا بَيْنَ ذَاكَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ  
قَوْلٌ جَمِيلٌ وَأَفْعَالٌ مُقْبَحَةٌ

فَإِنَّ مَنْ تَنَاوَلَ شَيْئًا فَأَكَلَهُ وَقَالَ لِلنَّاسِ : لَا تَنَاوِلُوهُ ، فَإِنَّهُ سُمُّ مُهْلِكٌ سَخِرَ

الناس منه ، واستهزؤا به وأنهموه في دينٍ هـ وعلمه وورعه ، وكأنه بزجره ونهيه حرصهم عليه ، فيقولون لولا أنه لذيذ ما كان يستأثر به .

كذلك الداعي إذا خالف فعله قوله ، أمّا الائتمار بما سيأمرهم به أولاً ، والتخلُّق بما يدعوهم إليه فهو واقع في نفوس السامعين ، وأقرب إلى إدعان الراغبين .

فمن لم يكابد قيام الليل وسهره ، فكيف يُسمع منه فضل قيام الليل ، وكمن يحثُّ على الصدقة والمشاركة في الأعمال الخيرية والمشاريع الدينية ، ولا يساهم فيها أبداً ، فهذا لا يقبل قوله ، ويكون ممن يعين على سبه ، وغيبته ، لما عرفت من أن الدعوة إلى صالح الأعمال ومكارم الأخلاق تربية ، والتربية النافعة إنما تكون بالعمل ، لأنها مبنية على القدوة الصالحة والأسوة الحسنة ، لا بمجرد القول .

يدلُّك على ذلك ما في قصة الحديبية عن المسور بن مخرمة ، قال : فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « قوموا فأنحروا ثم اخلقوا » . فوالله ما قام رجلٌ منهم حتى قال ذلك ثلاث مرّات ، فلما لم يبق منهم أحدٌ دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس .

فقلت أم سلمة : يا نبي الله أنجب ذلك ، أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم بكلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحداً منهم ، حتى فعل ذلك ، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يخلق بعضاً ، حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً أي ازدحاماً وعمماً .

وفي حديث أبي سعيد قال : أتى رسول الله ﷺ على نهرٍ من ماء السماء والناس صيامٍ في يوم صائفٍ مشاءً ونبي الله ﷺ على بعلة له فقال : « اشربوا أيها الناس » . قال : فأبوا . قال : « إني لست مثلكم إني أيسرُكم إني راكبٌ » . فأبوا ، فثنى

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَذَهُ فَنَزَلَ فَشَرِبَ وَشَرِبَ النَّاسُ ، وَمَا كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَشْرَبَ ... رَوَاهُ أَحْمَدُ .  
 قَالَ : فَإِذَا لَمْ يَكُنْ الدَّاعِي إِلَّا ذَا قَوْلٍ مُجَرَّدٍ مِنَ الْعَمَلِ لَمْ يَكُنْ نَصِيبُ الْمَدْعُو مِنْهُ إِلَّا  
 الْقَوْلُ ، وَأَيْضًا فَمِثْلُ الْمُرْشِدِ مِنَ الْمُسْتَرْشِدِ مِثْلُ الْعُودِ مِنَ الظِّلِّ ، فَكَمَا أَنَّهُ مُحَالٌ أَنْ  
 يَعُوجَّ الْعُودُ وَيَسْتَقِيمَ الظِّلُّ كَذَلِكَ مُحَالٌ أَنْ يَعُوجَّ الْمُرْشِدُ وَيَسْتَقِيمَ الْمُسْتَرْشِدُ .

قَالَ الْعَزَلِيُّ فِي مَا كَتَبَهُ إِلَى أَبِي حَامِدٍ أَحْمَدَ بْنِ سَلَامَةَ بِالْمُوصَلِ : أَمَّا الْوَعْظُ فَلَسْتُ أَرَى  
 نَفْسِي أَهْلًا لِأَنَّ الْوَاعِظَ زَكَاهُ نِصَابِهِ الْإِتْعَازَ فَمَنْ لَا نِصَابَ لَهُ كَيْفَ يُجْرِجُ الزَّكَاةَ وَفَاقِدُ  
 النُّورِ كَيْفَ يَسْتَنِيرُ بِهِ غَيْرُهُ وَمَتَى يَسْتَقِيمَ الظِّلُّ وَالْعُودُ أَعُوجٌ وَهَذَا قِيلَ :

شِعْرًا : يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ هَلَا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ  
 تَصِيفُ الدَّوَاءِ لِدِي السَّقَامِ مِنَ الضَّنَا كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ  
 مَا زِلْتَ تَلْقَحُ بِالرِّشَادِ عُقُولَنَا عِظْتَ وَأَنْتَ مِنَ الرِّشَادِ عَدِيمٌ  
 أَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غِيَّهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ  
 فَهَنَّاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيُقْتَدَى بِالرَّأْيِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ  
 لَا تَنَّهُ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

آخِرُ : وَكُنْ نَاصِحًا لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعُهُمْ بِإِرْشَادِهِمْ لِلْحَقِّ عِنْدَ خَفَائِهِ  
 وَمُرْهَمٌ بِمَعْرُوفِ الشَّرِيعَةِ وَانْهَاهُمْ عَنِ السُّوءِ وَارْجُرْ ذَا الْخَنَا عَنْ خَنَائِهِ  
 وَعِظْهُمْ بِآيَاتِ الْإِلَهِ بِحِكْمَةٍ لَعَلَّكَ تُبْرِي دَاءَهُمْ بِدَوَائِهِ  
 فَإِنْ يَهْدِ مَوْلَانَا بِوَعْظِكَ وَاحِدًا تَنْلُ مِنْهُ يَوْمَ الْحَشْرِ خَيْرَ عَطَائِهِ  
 وَإِلَّا فَقَدْ أَذَيْتَ مَا كَانَ وَاجِبًا وَعَلَيْكَ ، وَمَا مَلَكَتْ أَمْرَ اهْتِدَائِهِ

قَالَ وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ

الْكِتَابِ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴿ تَعَجَّبُ لِلْعُقُلَاءِ مِنْ هَذَا الْمَسَلِكِ الْمَعِيبِ ، وَلِلتَّعَجُّبِ وَجُوهٌ مِنْهَا أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِرْشَادُ الْعَيْرِ إِلَى الْخَيْرِ وَتَحْذِيرُهُ مِنَ الشَّرِّ وَإِرْشَادُ النَّفْسِ إِلَيْهِ وَتَحْذِيرُهَا مِنْهُ مُقَدِّمٌ بِشَوَاهِدِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ .  
 أَمَّا الْعَقْلُ فَبَدِيهِي ، وَأَمَّا النَّقْلُ فَكَثِيرَةٌ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ نُوحٍ :  
 ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا ﴾ ، وَعَنْ خَلِيلِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ \* رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾ ، فَمَنْ وَعَظَ غَيْرَهُ وَمَنْ يَتَعَبَّظُ فَكَأَنَّهُ أَتَى بِمَا لَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ السَّلِيمُ .

شِعْرًا : تَمَسَّكَ بِتَفْوَى اللَّهِ فَالْمَرْءُ لَا يَبْقَى  
 وَلَا تَظْلَمَنَّ النَّاسَ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ  
 وَلَا تَقْرِبَنَّ فِعْلَ الْحَرَامِ فَإِنَّهُ  
 وَعَاشِرُ إِذَا عَاشِرْتَ ذَا الدِّينِ تَنْتَفِعْ  
 وَدَارَ عَلَى الْإِطْلَاقِ كُلاًّ وَلَا تَكُنْ  
 وَخَالَفَ حُطُوظَ النَّفْسِ فِيمَا تَرَوُمُهُ  
 تَعَوَّدْ فِعَالَ الْخَيْرِ جَمْعًا فَكُلَّمَا  
 وَكُلَّ امْرِئٍ مَا قَدَمَتْ يَدُهُ يَلْقَى  
 وَلَا تَذُكُرَنَّ إِفْكَاً وَلَا تَحْسِدَنَّ خَلْقًا  
 لَدَاذَتَهُ تَفْنَى وَأَنْتَ بِهِ تَشْقَى  
 بَعِشْرَتِهِ وَاحْذَرُ مُعَاشِرَةَ الْحَمَقَى  
 أَخَا عَجَلٍ فِي الْأَمْرِ وَاسْتَعْمَلِ الرَّفْقَا  
 إِذَا رُمْتَ لِلْعَلْيَا أَخَا اللَّبِّ أَنْ تَرْقَى  
 تَعَوَّدَهُ الْإِنْسَانُ صَارَ لَهُ خُلُقًا

اللَّهُمَّ أَهْمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَخَلِّصْنَا مِنْ حُقُوقِ خَلْقِكَ ، وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاكَ دَاعٍ وَأَفْضَلُ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ ، يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ ، وَجُحِيبَ الدَّعَوَاتِ ، هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ ، وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ ، يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي صُدُورِ الصَّامِتِينَ أَدَقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحِلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .  
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## " فَضْلٌ "

وَمِنْهَا أَنَّ الْوَاعِظَ الْفَاعِلَ لِلْمُحَرَّمَاتِ الْمُحَذَّرِ عَنْهَا يَكُونُ سَبَبًا لِلْمَعْصِيَةِ لِأَنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ لَوْلَا أَنَّ هَذَا الْوَاعِظَ مُطَّلِعٌ عَلَى أَنَّهُ لَا أَصْلَ لَهُذِهِ التَّخْوِيفَاتِ لَمَا أَقْدَمَ عَلَى الْمَنَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ فَيَكُونُ دَاعِيًا إِلَى التَّهَاوُنِ بِالذِّينِ وَالْجُرْءَةِ عَلَى الْمَعَاصِي ، وَهَذَا مُنَافٍ لِلْعَرَضِ مِنَ الْوَعِظِ فَلَا يَلِيْقُ بِالْعُقْلَاءِ .

وَمِنْهَا أَنَّ غَرَضَ الدَّاعِي تَرْوِيحُ كَلَامِهِ وَتَنْفِيذُ أَمْرِهِ فَلَوْ خَالَفَ إِلَى مَا نَهَى عَنْهُ صَارَ كَلَامُهُ بِمَعْرَلٍ عَنِ الْقُبُولِ وَهَذَا تَنَافُضٌ لَا يَلِيْقُ بِالْعُقْلَاءِ .

وَفِي مِثْلِ هَذَا يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : عُلَمَاءُ السُّوءِ جَلَسُوا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ يَدْعُونَ إِلَيْهَا النَّاسَ بِأَقْوَالِهِمْ وَيَدْعُونَهُمْ إِلَى النَّارِ بِأَفْعَالِهِمْ ، فَكُلَّمَا قَالَتْ أَقْوَالُهُمْ لِلنَّاسِ هَلُمُّوا قَالَتْ أَفْعَالُهُمْ لَا تَسْمَعُوا مِنْهُمْ فَلَوْ كَانَ مَا دَعَا إِلَيْهِ حَقًّا كَانُوا أَوَّلَ الْمُسْتَجِيبِينَ لَهُ ، فَهُمْ فِي الصُّورِ أَدْلَاءٍ وَفِي الْحَقِيقَةِ قُطَاعُ طَرِيقٍ . قُلْتُ : وَمَا أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ فِي زَمَانِنَا .

وَذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَمْلَحُ فِيهِ عُذُوبَةُ الْقُلُوبِ فَلَا يَنْتَفِعُ بِالْعِلْمِ يَوْمئِذٍ عَالِمُهُ وَلَا مُتَعَلِّمُهُ فَتَكُونُ قُلُوبُ عُلَمَائِهِمْ مِثْلَ السَّبَّاحِ مِنْ ذَوَاتِ الْمِلْحِ يَنْزِلُ عَلَيْهَا قَطْرُ السَّمَاءِ فَلَا يُوْجِدُ لَهَا عُذُوبَةً .

وَذَلِكَ إِذَا مَالَتْ قُلُوبُ الْعُلَمَاءِ إِلَى حُبِّ الدُّنْيَا وَإِيثَارِهَا عَلَى الْآخِرَةِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَسْلُبُهَا اللَّهُ تَعَالَى يَتَابِعِ الْحِكْمَةَ وَيُطْفِئُ مَصَابِيحَ الْهُدَى مِنْ قُلُوبِهِمْ فَيُخْبِرُكَ عَالِمُهُمْ حِينَ تَلْقَاهُ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ بِلِسَانِهِ وَالْفُجُورَ ظَاهِرًا فِي عَمَلِهِ . قُلْتُ : وَمَا أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ فِي زَمَانِنَا فَتَأْمَلْ وَدَقِّقِ النَّظَرَ نُصَدِّقْ . وَمِنَ الْعَجِيبِ مَا حَدَّثَ فِي زَمَانِنَا بَجِدِّ بَعْضُهُمْ يَحْمِلُ شَهَادَةَ الدُّكْتُورَاةِ أَوْ الْمَاجِسْتِيرِ أَوْ هُمَا وَيُعْطَى فِيهَا شَهَادَةً فِي الْفِقْهِ الْإِسْلَامِيِّ .

وَهُوَ مَا يُحْسِنُ إِلَّا مَا كَتَبَ فِيهِ بَحْثًا ، إِمَّا مَوْضُوعَ الرَّبِّيِّ أَوْ السَّرْقَةَ أَوْ الْحَمْرَ مَثَلًا ، وَلَا يُجِيدُ غَيْرَ هَذَا الْمَوْضُوعِ الَّذِي حَصَلَ عَلَى هَذِهِ الشَّهَادَةِ بِسَبَبِهِ .

بَلِ الْفَرَائِضِ الَّتِي نَصَفُ الْعِلْمَ لَا يُجِيدُهَا فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .  
فَمَا أَحْصَبَ الْأَلْسُنَ يَوْمَعُدِّ وَمَا أَجْدَبَ الْقُلُوبَ ، قَالَ : فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا ذَلِكَ إِلَّا وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ : لِأَنَّ الْمُعَلِّمِينَ عَلَّمُوا لِعَبْرِ اللَّهِ وَالْمُتَعَلِّمِينَ تَعَلَّمُوا لِعَبْرِ اللَّهِ .

شِعْرًا : لَعَمْرُكَ مَا الْأَبْصَارَ تَنْفَعُ أَهْلَهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمُبْصِرِينَ مِنْ بَصَائِرِ

وَبِالْحَقِيقَةِ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْأَكْثَرِيَّةِ السَّاحِقَةِ مِمَّنْ حَوْلَكَ مِنْ أَسَاتِدَةٍ وَمُدْرَسِي وَطُلَّابٍ وَجَدْتَ هَيْبَةَ الْإِسْلَامِ وَالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالشَّهَامَةِ وَالرُّجُولَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ قَدْ نُرِعَتْ مِنْهُمْ يَخْلِفُونَ لِحَاهِمُ كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ .

وَيُؤَفِّرُونَ شَوَارِبَهُمْ وَيَجْعَلُونَ تَوَالِيَاتٍ ، وَرُبَّمَا حَنَفَسُوا وَجَدَّهُمْ يُجَالِسُونَ الْفَسَقَةَ وَيَنْدَجِحُونَ مَعَهُمْ وَبَعْضُهُمْ بَجْدَهُ يَشْرَبُ أَبَا الْحَبَائِثِ الدُّخَانَ وَرُبَّمَا فَعَلَهُ أَمَامَ الطُّلَّابِ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ .  
وَلَا تَجِدُهُ فِي الْعَالِبِ يُصَلِّي مَعَ الْجَمَاعَةِ وَيُعَامِلُ الْمُعَامَلَةَ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِمَنْصِبِهِ وَتَجِدُهُ يَجْلِسُ أَمَامَ التَّلْفِزِيُونِ وَعِنْدَ الْمَذْبَاحِ وَأَعَانِيهِ وَعِنْدَ السِّينِمَاءِ وَالْفِيدْيُو وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي قَتَلَتِ الْأَخْلَاقَ .

وَيُحِبُّ الشُّهْرَةَ وَالظُّهُورَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَكَيْفَ يَخْطُرُ بِالْبَالِ أَنْ مِثْلَ هَؤُلَاءِ يَأْمُرُونَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ يَنْهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ ، كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّهُمْ لَا يُزِيلُونَ الْمُنْكَرَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَا عَنْ بُيُوتِهِمُ الَّتِي فِيهَا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ مَا يُدْهِشُ الْأَسْمَاعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْعُقُولَ .

شِعْرًا : إِذَا لَمْ يُعْنِكَ اللَّهُ فِي طَلَبِ الْعُلَا فَسَعَيْكَ فِي جَمْعِ الْفَضَائِلِ ضَاعٌ

آخر : لَيْسَ الْجَمَالَ بِأَثْوَابٍ تُزَيِّنُنَا إِنَّ الْجَمَالَ جَمَالُ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ

فَعِلْمٌ هُوَ لِأَنَّ الْعِلْمَ الَّذِي يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ وَهُوَ الَّذِي اسْتَعَاذَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ

بِقَوْلِهِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ » . ( فَابْعُدْ عَنْهُمْ وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ مِنْهُمْ أَيُّهَا الْمُعَافَى ) .

شِعْرًا : صَارَ الْأَسَافِلُ بَعْدَ الدُّلِّ أَسْنِمَةً

لَمْ تَبْقَ مُأْتَرَةٌ يَعْتَدُهَا رَجُلٌ إِلَّا التُّكَاثُرُ أَوْرَاقًا وَأَذْهَابًا

آخر : وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ كَلَّمَا بَدَا طَمَعٌ صَيَّرْتَهُ لِي سَلَمًا

وَلَمْ أَبْتَدِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي لِأَخْدَمُ مَنْ لَاقَيْتُ لَكِنْ لِأَخْدَمَا

أَشْفَى بِهِ غَرْسًا وَأَجْنِيَهُ ذَلَّةً إِذَا فَاتَّبَعُ الْجَهْلُ قَدْ كَانَ أَحْزَمًا

فَإِنْ قُلْتُ زَنْدَ الْعِلْمِ كَابٍ فَإِنَّهُمَا كَبَا حِينَ لَمْ تُحْمَى حِمَاهُ وَأَظْلَمَا

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لِعَظَّمَا

وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانُوا وَدَنَسُوا مَحْيَاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجْهَمَا

وَنَعُوذُ إِلَى كَلَامِنَا السَّابِقِ حَوْلِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : فَالْآيَةُ كَمَا تَرَى نَاعِيَةً عَلَى كُلِّ مَنْ يَعْظُ

غَيْرَهُ وَلَا يَتَّعِظُ بِسُوءِ صَنِيعِهِ وَعَدَمِ تَأْتُرِهِ ، وَإِنَّ فِعْلَهُ فِعْلُ الْجَاهِلِ بِالشَّرْعِ أَوْ الْأَحْمَقِ الَّذِي

لَا عَقْلَ لَهُ فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْحَيْرِ مَعَ حِرْمَانِ النَّفْسِ مِنْهُ مِمَّا لَا يَتَّفِقُ وَقَضِيَّةَ الْعَقْلِ وَالْمُرَادُ بِهَا

حُجَّتُهُ عَلَى تَرْكِيَةِ النَّفْسِ وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهَا بِالتَّكْمِيلِ لِتَقْوَمَ بِالْحَقِّ فَتُكَمَّلَ غَيْرَهَا .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ \* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ

تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ فَهَذَا وَعَيْدٌ شَدِيدٌ مِنْ اللَّهِ لِمَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ

وَهُوَ فِي نَفْسِهِ مُقَصِّرٌ كَمَنْ يَكْذِبُ فِي قَوْلِهِ أَوْ يَخْلُفُ مَا وَعَدَ .

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « يُؤْتَى بِالرَّحْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابَ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ فِي الرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلَانُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .  
وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي رَجَالًا تُفْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمِقَارِيضَ مِنَ النَّارِ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ ؟ فَقَالَ : الْخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ » . رَوَاهُ ابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ .

وَأَمَّا يُضَاعَفُ عَذَابُ الْعَالِمِ فِي مَعْصِيَتِهِ لِأَنَّهُ عَصَى عَنْ عِلْمٍ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . لِأَنَّهُ قُدُورَةٌ فَيَزِلُّ بِرَبِّتِهِ خَلْقٌ كَثِيرُونَ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ زَلَّةُ الْعَالِمِ زَلَّةُ الْعَالِمِ . وَقِيلَ كَالسَّفِينَةِ إِذَا عَرَقَتْ عَرَقَ مَعَهَا أُمَّمٌ مَا يُخْصِيهِمْ إِلَّا اللَّهُ .  
وَفِي الْحَبْرِ : « وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وَرِزْهَا وَوَزَرَ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَشِفَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا » . وَذَلِكَ أَنَّ أَتْبَاعَهُمْ افْتَدَوْا بِهِمْ فِي السُّوءِ فَيَنَاهُهُمْ مِثْلَ عِقَابِ أَتْبَاعِهِمْ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ .  
قَالَ : وَجُمْلَةُ الْأَمْرِ أَنَّ مَنْ فَتَحَ بَابَ الشَّرِّ لِعَيْرِهِ وَسَهَّلَ لَهُ الدُّخُولَ فِيهِ فَقَدْ عَظَّمَ عَذَابَهُ ، وَكَذَلِكَ مَنْ دَعَا إِلَى خَيْرٍ وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَسَهَّلَ لَهُ طَرِيقَهُ فَقَدْ عَظَّمَ قَدْرَهُ وَحَسَنَ جَزَاؤُهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى . أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ : « مِثْلُ الَّذِي يُعَلِّمُ الْحَيَرَ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ مِثْلُ الْفَتِيلَةِ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَتَحْرِقُ نَفْسَهَا » . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ أَبِي بُرَيْرَةَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ .



وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : وَبِئْسَ لِلْجَاهِلِ مَرَّةٌ وَلِلْعَالِمِ سَبْعٌ مَرَاتٍ . وَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَصَمَ ظَهْرِي رَجُلَانِ عَالِمٌ مُتَهْتِكٌ وَجَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ ، فَالْجَاهِلُ يَغُرُّ النَّاسَ بِنُسُكِهِ وَالْعَالِمُ يَغُرُّهُمْ بِتَهْتِكِهِ . وَقَالَ حَكِيمٌ : أَفْسَدَ النَّاسَ جَاهِلٌ نَاسِكٌ وَعَالِمٌ فَاجِرٌ ؛ هَذَا يَدْعُو النَّاسَ إِلَى جَهْلِهِ بِنُسُكِهِ ، وَهَذَا يُنْفِرُ النَّاسَ عَنْ عِلْمِهِ بِفِسْقِهِ .

وَمِنْهَا التَّوَاضُّعُ وَمُجَانِبَةُ الْعُجْبِ ، فَذَلِكَ بِالذُّعَاةِ وَالْمُرْشِدِينَ أَلِيقَ وَلَهُمْ أَلْزَمٌ لِأَنَّ النَّاسَ بِهِمْ يَفْتَنُونَ ، وَكَثِيرًا مَا يُدَاخِلُهُمُ الْعُجْبُ لِتَوْحُّدِهِمْ بِفَضِيلَةِ الْعِلْمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ نَظَرُوا حَقَّ النَّظَرَ وَعَمِلُوا بِمُوجِبِ الْعِلْمِ لَكَانَ التَّوَاضُّعُ بِهِمْ أَوْلَى ، وَجُجَانِبَةُ الْعُجْبِ بِهِمْ أُخْرَى وَأَنْسَبُ ، لِأَنَّ الْعُجْبَ نَقْصٌ يُنَافِي الْفَضْلَ ، فَلَا يَفِي مَا أَدْرَكُوهُ مِنْ فُضِيلَةِ الْعِلْمِ بِمَا لِحَقَّهُمْ مِنْ نَقْصِ الْعُجْبِ وَالْكَبْرِ .

وَدَادَ مَنِيعِ الْوِدِّ صَغْبٌ مَرَأْفُهُ	شِعْرًا : دَعَا الْكِبَرَ وَاجْتَنَحَ لِلتَّوَاضُّعِ تَشْتَمِلُ
فَطِيبُ كَلَامِ الْمَرْءِ طُبُّ كَلَامِهِ	وَدَاوِيٍّ بِلِينٍ مَا جَرَحَتْ بِغِلْظَةٍ
فَفِي الْعُبُوسِ لِدَى الْحَاجَاتِ تَصْعِيبٌ	آخِرٌ : جِئْتُ بِالسَّمَاكِ إِذَا مَا جِئْتُ فِي غَرَضٍ
فَلَا يَكُنْ لَكَ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ تَقْطِيبٌ	سَمَاخَةُ الْمَرْءِ تُنْبِئُ عَنْ فُضِيلَتِهِ

وَقَدْ رَوَى ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَلِيلُ الْفَقْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الْعِبَادَةِ ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا إِذَا أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ ، وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ مُؤْمِنٌ وَجَاهِلٌ فَلَا تُؤْذِي الْمُؤْمِنَ ، وَلَا تُحَاوِرُ الْجَاهِلَ » . وَقَالَ ﷺ لِأَبِي ثَعْلَبَةَ حِينَ ذَكَرَ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمَا تَوَوَّلَ إِلَيْهِ مِنَ الْحَوَادِثِ : « إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا ، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ نَفْسَكَ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَقَالَ ﷺ : « ثَلَاثُ مَهْلِكَاتٍ : شُحُّ مُطَاعٌ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ » . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ ، وَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَوْضُوعُ التَّوَاضُّعِ ، وَافِيًا بِأَدِلَّتِهِ وَعِلَّةِ إِعْجَابِ الْمُعْجَبِ بِعَمَلِهِ ، وَنَظَرُهُ إِلَى كَثْرَةِ مَنْ دُونِهِ مِنَ الْجُهَّالِ وَأَنْصِرَافُ نَظَرِهِ عَنْ مَنْ فَوْقَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، فَإِنَّهُ مَا حَوَى الْعِلْمَ كُلَّهُ أَحَدٌ مِنْ

الْخَلْقِ ، فَمَا مِنْ عَالِمٍ إِلَّا وَفَوْقُهُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ ، فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ .

وَقَلَّمَا تَجِدُ مُعْجَبًا بِعِلْمِهِ شَاغِحًا بِأَنْفِهِ إِلَّا وَهُوَ قَلِيلُ الْعِلْمِ ضَعِيفُ الْعَقْلِ لِأَنَّهُ يَجْهَلُ قَدْرَهُ وَيَحْسِبُ أَنَّهُ نَالَ مِنْهُ أَكْثَرَهُ ، وَاللَّهُ يَقُولُ : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ، قَالَ : وَمِنْهَا أَنْ لَا يَبْخُلَ بِتَعْلِيمِ مَا يُحْسِنُ وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْ إِفَادَةِ مَا يَعْلَمُ فَإِنَّ الْبُخْلَ بِهِ ظُلْمٌ وَلُؤْمٌ وَالْمَنَعُ مِنْهُ إِثْمٌ .

شِعْرًا : إِذَا مَا مَاتَ ذُو عِلْمٍ وَتَقَوَى	فَقَدْ ثَلَمَتْ مِنَ الْإِسْلَامِ ثُلْمَهُ
وَمَوْتُ الْعَادِلِ الْمَلِكِ الْمُؤَلَّى	لِحُكْمِ الْخَلْقِ مَنْقَصَةٌ وَقِصْمَةٌ
وَمَوْتُ الْعَابِدِ الْمَرْضِيِّ نَقْصٌ	فَفِي مَرَاهِ لِلْأَسْرَارِ نَسْمَةٌ
وَمَوْتُ الْفَارِسِ الضَّرْعَامِ هَدْمٌ	فَكَمْ شَهَدَتْ لَهُ بِالنَّصْرِ عَزْمَةٌ
وَمَوْتُ فَتَى كَثِيرِ الْجُودِ نَقْصٌ	لِأَنَّ بَقَاءَهُ فَضْلٌ وَنِعْمَةٌ
فَحَسْبُكَ خَمْسَةٌ يُبْكِي عَلَيْهِمْ	وَمَوْتُ الْغَيْرِ تَخْفِيفٌ وَرَحْمَةٌ

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ ، وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « لَا تَمْنَعُوا الْعِلْمَ أَهْلَهُ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ فَسَادَ دِينِكُمْ وَالتَّبَاسُ بِصَائِرِكُمْ » . ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ : هَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ لِمَنْ كَتَمَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنَ الدَّلَالَاتِ الْبَيِّنَةِ عَلَى الْمَقَاصِدِ الصَّحِيحَةِ وَالهُدَى النَّافِعِ لِلْقُلُوبِ ، مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ فِي كُتُبِهِ ، الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ ، أ . ه .

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أُجِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِحَامٍ مِنْ نَارٍ » .

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ : لَوْلَا آيَةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ أَحَدًا شَيْئًا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ﴾ الْآيَةَ ، وَمِمَّا يُحْسِنُ بِالدَّاعِي وَالْمُرْشِدِ أَنْ يَتَحَلَّى بِالْوَرَعِ بِاتِّقَاءِ الشُّبُهَاتِ ، وَالْبُعْدِ مِنْ مَوَاضِعِ الرِّيْبَةِ ، وَمَسَالِكِ التُّهْمَةِ .

فَإِنَّ ذَلِكَ أَهْرَأُ لِدِينِهِ وَأَسْلَمُ لِعِرْضِهِ ، وَأَدْعَى إِلَى الْإِنْقِيَادِ لَهُ لِأَنَّ حَالَ الدَّاعِي يُؤَثِّرُ فِي الْقُلُوبِ أَكْثَرَ مِنْ مَقَالِهِ ، فَإِذَا كَانَ وَرَعًا تَقِيًّا مُتَحَنِّنًا مَا فِيهِ شُبُهَةٌ اقْتَدَى بِهِ النَّاسُ ، وَأَحْبَبُوهُ وَقَبِلُوا وَعَظَّمُوهُ وَإِنْشَادَهُ ، وَهَكَذَا كَانَتْ صِفَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ .

وَاحْتَذَرُ يَا أَخِي كُلَّ الْحَدَرِ مِنْ احْتِكَارِ الْكُتُبِ الدِّينِيَّةِ الْمُحْتَوِيَةِ عَلَى قَوْلِ اللَّهِ وَقَوْلِ رَسُولِهِ وَأَخَذَ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا بِاسْمِ تَحْقِيقٍ أَوْ نَشْرٍ كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ بِمَا ابْتُلُوا بِهِ .

شِعْرًا : لَوْلَا الشَّيَاطِينُ لَمْ تَسْمَعْ سِوَى لَهَجٍ بِالذِّكْرِ أَوْ مَا أَتَى عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ

آخِر : لَوْلَا الشَّيَاطِينُ صَارَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَلَى الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَاءِ عِبَادٌ

فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ : مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِتَمْرَةٍ سَاقِطَةٍ فَقَالَ : « لَوْلَا أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لَأَكَلْتُهَا » . وَقَدِيمٌ عَلَى عَمْرٍ مِسْكٌ وَعَنْبَرٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ . فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً حَسَنَةَ الْوُزْنِ تَزُنُّ لِي هَذَا الطَّيِّبَ حَتَّى أَقْسِمَهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ . فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ عَاتِكَةُ : أَنَا جِيْدَةُ الْوُزْنِ فَأَنَا

أَرْنُ لَكَ ، قَالَ : لا . فَقَالَتْ : لِمَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي أَخَشَى أَنْ تَأْخُذِيهِ ، فَتَجْعَلِيهِ هَكَذَا ،  
وَأَدْخَلَ أَصَابِعَهُ فِي صِدْغِيهِ وَتَمَسَّحِي بِهِ فِي عُنُقِكَ فَأُصِيبُ فَضْلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ .  
وَكَانَ يُوزَنُ بَيْنَ يَدَيْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِسْكًَ لِلْمُسْلِمِينَ فَسَدَّ أَنْفَهُ بِيَدِهِ ؛ حَتَّى لَا  
تُصِيبُهُ الرَّائِحَةُ ، وَقَالَ : وَهَلْ يَنْتَفِعُ مِنْهُ إِلَّا بِرِيحِهِ . قَالَ ذَلِكَ لَمَّا اسْتَبَعَدَ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَهَذَا  
مِنْ وَرَعِ الْمُتَّقِينَ .

قُلْتُ : وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَتَّصِفَ بِهِ أَيْضًا قَطْعُ الْعَلَائِقِ حَتَّى لَا يَكْثُرَ خَوْفُهُ ، وَيَقْطَعَ الطَّمَعِ  
عَنِ الْخَلَائِقِ فَلَا يَكُونُ لَهُ عِنْدَهُمْ حَاجَةٌ تُذِلُّهُ لَهُمْ ، وَتَدْعُوهُ إِلَى الْمَدَاهِنَةِ ، وَالْإِعْضَاءِ عَنِ  
أَعْمَاهُمْ الْمُبِيحَةِ ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ  
لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ . ﴿ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

شِعْرًا : وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِي الْمَالِ قِلَّةٌ وَلَنْ يَقْضِيَ الْحَاجَاتِ إِلَّا الْمُهَيِّمِينَ

آخر : إِنْ حَالَ دُونَ لِقَاءِكُمْ بِوَأَبِكُمْ فَاللَّهُ لَيْسَ لِيَابِهِ بِوَأَبٍ

آخر : فَاضْرَعْ إِلَى اللَّهِ لَا تَضْرَعْ إِلَى النَّاسِ وَاقْنَعْ بِعِزِّ فَإِنَّ الْعِزَّ فِي الْيَاسِ  
وَاسْتَعْنِ عَنِ كُلِّ ذِي قُرْبَى وَذِي رَحِمٍ إِنَّ الْغِنَى مَنِ اسْتَعْنَى عَنِ النَّاسِ

وَرُوِيَ عَنِ بَعْضِ الْحُذَاقِ أَنَّهُ كَانَ لَهُ كَلْبٌ وَلَهُ صَدِيقٌ قَصَّابٌ يَأْخُذُ مِنْهُ لِكَلْبِهِ بَعْضَ  
السَّوَاقِطِ ، فَرَأَى عَلَى الْقَصَّابِ مُنْكَرًا يَتَعَاطَاهُ ، وَقَالَ : لَا بُدَّ أَنْ أُبْرِيَ ذِمَّتِي وَأَنْصَحَهُ ،  
وَلَكِنْ أَبَدًا أَوْلًا بِقَطْعِ الطَّمَعِ فَدَخَلَ الْبُسْتَانَ وَأَخْرَجَ الْكَلْبَ وَطَرَدَهُ ثُمَّ جَاءَ وَاحْتَسَبَ عَلَى  
الْقَصَّابِ وَنَصَحَهُ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْقَصَّابُ : سَوْفَ لَا أُعْطِيكَ لِكَلْبِكَ شَيْئًا أَبَدًا .  
فَقَالَ : أَنَا حَاسِبٌ لِهَذَا الْكَلَامِ مَا أَتَيْتُكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ طَرَدْتُ الْكَلْبَ عَنِ بُسْتَانِي .

فَمَنْ لَمْ يَقْطَعْ الطَّمَعِ ، وَيَسُدَّ بَابَهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْحِسْبَةِ . قُلْتُ : وَمِثْلُهُ

عِنْدِي فِي الْعَالِبِ مَنْ يُوَالِي الْعَطَاءَ عَلَى إِنْسَانٍ فَيَبْعُدُ إِذَا رَأَهُ صَدَرَ مِنْهُ مَعْصِيَةٌ أَوْ مَعْاصِي  
أَنَّهُ يَنْصَحُهُ أَوْ يُنْكِرُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ يَرْجُوهُ وَيَخَافُهُ ، يَرْجُو الصَّلَاةَ وَيَخَافُ قَطْعُهَا ، وَلَوْ فَرَضْنَا أَنَّهُ  
أَقْدَمَ عَلَى ذَلِكَ وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ فَيَبْعُدُ أَيْضًا قُبُولِ صَاحِبِ الْفَضْلِ لِلنَّصِيحَةِ مِنْ ذَلِكَ  
الشَّخْصِ الْمُنتَظِرِ لِمَا فِي يَدِهِ ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعِصْمَةَ .

وَكَمْ ضَلَّ عَنِ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِسَبَبِ مُدَاهَنَةِ الْمُدَاهِنِ وَتَغْرِيرِهِ لَهُمْ ،  
هَذِهِ قِيَمَةُ النَّاصِحِ ، وَالْمُدَاهِنِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ الصَّادِقِ الْإِيمَانِ وَلَكِنْ نَرَى النَّاسَ الْيَوْمَ  
عَكَسُوا الْأَمْرَ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ ، لَا مُنْتَهَى لِحُبِّهِمْ مَنْ وَافَقَهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ ، وَلَوْ كَانَ  
ذَنْبًا عَظِيمًا ، وَلَا غَايَةَ لِبُغْضِهِمْ مَنْ أَرَشَدَهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ وَرَبَّمَا هَجَرُوهُ جَزَاءَ نُصْحِهِ  
، وَأَمَّا الْمُدَاهِنُ وَالْمُتَمَلِّقُ الْمُنَافِقُ ذُو الْوَجْهَيْنِ فَبِكَلِمَةٍ مِنْ مُدَاهَنَاتِهِ ، أَوْ وَشَايَاتِهِ أَوْ  
تَمَلُّقَاتِهِ أَوْ كَذِبَاتِهِ يَمْلِكُ قُلُوبَ الْكَثِيرِ مِنْ أَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ وَقَدْ يُرْفَعُ وَيُقَدَّرُ مَنْ اتَّصَفَ  
بِالصِّفَاتِ الدَّمِيمَةِ كَمَا قِيلَ :

آخر : ( مَتَى مَا تُدَانَ أَوْ تُكُنْ ذَا تَمَلِّقٍ ) وَنَمَّ وَبَهْتٍ تَخْتَبِطُكَ الْمَرَاتِبُ ( )  
( وَإِنْ تَجَمَّعَ الْإِخْلَاصَ وَالصِّدْقِ ) وَعِلْمًا وَحِلْمًا تَجْتَبِطُكَ الْمَنَاصِبُ ( )  
آخر : لَا تُنْكِرِي يَا عَزُّ إِنْ ذَلَّ الْفَتَى ذُو الْأَصْلِ وَاسْتَوَلَى لَيْمُ الْمُحْتَدِ  
إِنَّ الْبُزَاةَ رُؤُسُهُنَّ عَوَاطِلُ وَالْتِاجُ مَعْقُودٌ بِرَأْسِ الْهُدْهِدِ  
آخر : حَذَفْتُ وَعَيْرِي مُثَبَّتٌ فِي مَكَانِهِ كَأَنِّي نُونُ الْجَمْعِ حِينَ يُضَافُ  
آخر : مَنْ أَهْمَلَ الدِّينَ لَا تَأْمَنُ عَقَارِبُهُ وَلَوْ تَسَمَّى بِإِخْلَاصِ بِنِيَّاتِ  
لَادِمٍ جَاءَ إِبْلِيسُ وَقَالَ لَهُ إِنَّي لَكُمْ ( نَاصِحٌ فَاسْمَعْ مَقَالَاتِي )  
فَأَقْسَمَ الْخُبْثُ فِي رَبِّي وَنَزَلُهُمْ مِنْ الْجِنَانِ إِلَى دَارِ الْأَذْيَاتِ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسَبِيلِ الطَّاعَةِ ، وَثَبَّتْنَا عَلَى إِتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ عَرَفَ الْحَقَّ  
وَأَضَاعَهُ ، وَأَحْتِمْنَا لَنَا بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا كَرِيمٌ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا

وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" مَوْعِظَةٌ " : عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ أَخْصَّ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِ عَمَلُهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » وَحُبُّهُ لِلنَّاصِحِينَ . وَكُلَّمَا اجْتَهَدَ الْمُسْلِمُ وَبَالَغَ فِي النَّصِيحَةِ لِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ قَوِيَتْ مَحَبَّتُهُ فِي قُلُوبِ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ .

وَأَمَّا الْمُدَاهِنُ وَالْمُتَمَلِّقُ الَّذِي يُحْسِنُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ حَالَهُ ، وَلَوْ كَانَتْ حَالُهُ إِجْرَامٍ وَفَسَادٍ فَهَذَا يُنْفَرُ مِنْهُ الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَا يُجِبُونَهُ وَيَرْوَنَ صِدَاقَتَهُ مُصِيبَةً وَبَلِيَّةً فَلِذَا يَتَّبِعُونَ عَنْهُ كُلَّ الْبُعْدِ . لِأَنَّهُ إِنْ صَحَبَ مُسْتَقِيمًا ادْخَلَ عَلَيْهِ الْعُجْبَ فِي عَمَلِهِ ، وَخَيَّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ صَفْوَةِ عِبَادِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ ، فَيَعْرِضُ بِنَفْسِهِ . وَالْمَرءُ إِذَا اغْتَرَّ هَوَى فِي هَوَاةِ الْأَشْقِيَاءِ . وَإِذَا صَحَبَ الْمُدَاهِنَ الْمُتَمَلِّقَ مُعَوِّجًا زَادَ اعْوِجَاجَهُ حَيْثُ أَنَّهُ يُفْهَمُهُ بِمُدَاهَنَتِهِ أَنَّهُ مِنْ خِيَارِ الْفَضْلَاءِ وَمَنْ الْأَجْلَاءِ النَّبْلَاءِ .

وَمَتَى فَهَمَ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ اسْتَمَرَّ وَتَمَادَى فِي اعْوِجَاجِهِ ، وَقَوِيَتْ وَتَمَكَّنَتْ مِنْهُ الْأَخْلَاقُ الْفَاسِدَةُ ، وَمَاتَ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ الشَّنِيعَةِ ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ النَّاصِحُ الْمُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ فَيَفْهَمُ الْمُهْدَبُ الْمُتَنَوِّرُ أَنَّهُ مَهْمَا كَانَ كَمَالُهُ أَنَّهُ مُقَصَّرٌ فِي شُكْرِ مَوْلَاهُ الَّذِي جَعَلَهُ مِنْ بَنِي آدَمَ وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ ، وَوَفَّقَهُ لِلْإِيمَانِ ، وَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ وَغَيْرِهَا وَوَهَبَهُ الْعَقْلَ ، وَسَائِرِ النَّعْمِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى .

وَمَتَى فَهَمَ أَنَّهُ مُقَصَّرٌ ، حَمِدَ مَوْلَاهُ وَشَكَرَهُ عَلَى مَا أَوْلَاهُ وَجَدَّ وَاجْتَهَدَ فِيمَا بِهِ رُفِيَهُ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ ، وَإِنْ رَأَى مُعَوِّجًا أَفْهَمَهُ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ نَقْصٍ وَوَضَحَ لَهُ عُيُوبَهُ ، وَمَا عِنْدَهُ مِنْ تَقْصِيرٍ فِي دِينِهِ وَحَتَّى عَلَى الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ وَالسَّعْيِ إِلَى مَعَانِي الْأَخْلَاقِ .

وَمَتَى عَرَفَ الْعَاقِلُ نَفْسَهُ ، وَأَنَّ الضَّرَرَ عَائِدٌ إِلَيْهِ ، أَقْلَعَ عَنْهُ ، وَأَصْبَحَ مِنَ الْمُهْتَدِينَ الْمُتَنَوِّرِينَ الصَّاعِدِينَ إِلَى أَوْجِ الْكَمَالِ ، فَكَمْ اهْتَدَى بِإِذْنِ اللَّهِ بِسَبَبِ الْمُؤْمِنِ النَّاصِحِ مِنْ أَنْاسٍ قَدْ تَاهُوا وَتَمَادَوْا فِي الضَّلَالِ .

وَاسْمَعْ إِلَى قَوْلِ الْإِمَامِ ابْنِ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا ذَكَرَ نُفَاةَ الصِّفَاتِ أَهْلَ الْبِدْعِ وَحَيْرَتَهُمْ وَشُبُهَاتِهِمْ وَشُكُوكُهُمْ وَأَنَّهُ جَرَّبَ ذَلِكَ وَأَنَّهُ وَقَعَ فِي بَعْضِ تِلْكَ الشُّبَاكِ وَالْمَصَايِدِ حَتَّى أَتَاكَ لَهُ الْمُؤَلَى بِفَضْلِهِ مَنْ نَشَلَهُ وَأَوْضَحَ لَهُ تِلْكَ الشُّبُهَةَ وَأَزَاخَ عَنْهُ تِلْكَ الشُّكُوكَ وَهُوَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ فِي التَّوْبِيَّةِ :

يَا قَوْمُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ نَصِيحَةٌ	مِنْ مُشْفِقٍ وَأَخٍ لَكُمْ مَعْوَانٍ
جَرَّبْتُ هَذَا كُلَّهُ وَوَقَعْتُ فِي	تِلْكَ الشُّبَاكِ وَكُنْتُ ذَا طَيْرَانٍ
حَتَّى أَتَاكَ لِي الْإِلَهَ بِفَضْلِهِ	مَنْ لَيْسَ تَجْزِيهِ يَدِي وَلِسَانِي
حَبْرًا أَتَى مِنْ أَرْضِ حَرَّانٍ فِيهَا	أَهْلًا بِمَنْ قَدْ جَاءَ مِنْ حَرَّانٍ
فَاللَّهُ يَجْزِيهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ	مِنْ جَنَّةِ الْمَأْوَى مَعَ الرِّضْوَانِ
أَخَذْتُ يَدَاهُ يَدِي وَسَارَ فَلَمْ يَرِمِ	حَتَّى أَرَانِي مَطْلَعِ الْإِيمَانِ
وَرَأَيْتُ أَعْلَامَ الْمَدِينَةِ حَوْلَهَا	نَزَلَ الْهُدَى وَعَسَاكِرُ الْقُرْآنِ
وَرَأَيْتُ آثَارًا عَظِيمًا شَأْنَهَا	مَحْجُوبَةً عَنْ زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ
وَوَرِدَتْ رَأْسَ الْمَاءِ أبيضَ صَافِيًا	حَصْبَاؤُهُ كَالْأَلْيَاءِ التَّيْجَانِ
وَرَأَيْتُ أَكْوَابًا هُنَاكَ كَثِيرَةً	مِثْلَ النَّجُومِ لَوَارِدِ ظَمَّانِ
وَرَأَيْتُ حَوْضَ الْكَوْثَرِ الصَّافِي الَّذِي	لَا زَالَ يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ
مِيزَابُ سُنَّتِهِ وَقَوْلُ إِلَهِهِ	وَهُمَا مَدَى الْأَزْمَانِ لَا يَنِيَانِ
وَالنَّاسُ لَا يَرِدُونَهُ إِلَّا مِنَ الْ-	آلِفِ أَفْرَادًا ذُوؤِ إيمَانِ

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ الْعَمَلِ الَّذِي يُفَرِّقُنَا إِلَى حُبِّكَ ، اللَّهُمَّ أَهْمْنَا ذِكْرَكَ وَوَقَّفْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ وَلَا

تَفَضَّحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلُ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ ، وَمَنْ الْمُؤَيَّدِينَ بِنَصْرِكَ وَتَأْيِيدِكَ وَرِضَاكَ ، اللَّهُمَّ أَهْمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لَامْتِتَالِ أَمْرِكَ وَاجْتِنَابِ نَهْيِكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## "فصل" :

### فِي ذِكْرِ نَمَازِجٍ مِنْ صَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الشَّدَائِدِ وَالْأَذَى فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ

وَمِنْ تَحْمُلِهِ ﷺ لِلشَّدَائِدِ وَالْأَذَى فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ مَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَقَدْ أُودِيْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذِي أَحَدًا ، وَأُحِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يَحَافُ أَحَدًا ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ مَا يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا مَا يُوَارِي إِبْطِ بِلَالٍ » . أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ .

وَعِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ لَهُ ﷺ : يَا ابْنَ أَخِي إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَاءُونِي وَقَالُوا كَذَا وَكَذَا فَأَبِيقْ عَلَيَّ وَعَلَى نَفْسِكَ ، وَلَا تُحْمَلْنِي مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا أَطِيقُ أَنَا وَلَا أَنْتَ ، فَأَكْفُفْ عَنْ قَوْمِكَ مَا يَكْرَهُونَ مِنْ قَوْلِكَ ، فَظَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ قَدْ بَدَأَ لِعَمِّهِ فِيهِ ، وَأَنَّهُ خَاذِلُهُ ، وَمُسَلَّمُهُ ، وَضَعَفَ عَنِ الْقِيَامِ مَعَهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا عَمَّ لَوْ وَضَعْتَ الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي ، مَا تَرَكْتُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلَكَ فِي طَلْبِهِ » . ثُمَّ اسْتَعْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَكَى . فَلَمَّا وَلَّى قَالَ لَهُ حِينَ رَأَى مَا بَلَغَ الْأَمْرُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : يَا ابْنَ أَخِي . فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ . فَقَالَ : امْضِ لِأَمْرِكَ وَافْعَلْ مَا أَحْبَبْتَ فَوَاللَّهِ لَا أَسْلِمَكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا .

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، قَالَ : لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ عَرَضَ



لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ سُفْهَاءِ قُرَيْشٍ فَأَلْقَى عَلَيْهِ تَرَابًا ، فَرَجَعَ عَلَى بَيْتِهِ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ تَمْسُحُ عَنْ وَجْهِهِ التُّرَابَ وَتَبْكِي ، فَجَعَلَ يَقُولُ : « أَيُّ بَيْتَةٍ لَا تَبْكِينَ فَإِنَّ اللَّهَ مَانِعٌ أَبَاكَ » . وَيَقُولُ : « مَا بَيْنَ ذَلِكَ مَا نَأَلَتْ قُرَيْشٌ شَيْئًا أَكْرَهُهُ حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ ثُمَّ شَرَعُوا » .

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحَلِيَّةِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ بَجَّهَمُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : « يَا عَمُّ ! مَا أَسْرَعَ مَا وَجَدْتُ فَقْدَكَ » . وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ الْحَارِثِ بْنِ الْحَارِثِ قُلْتُ : لِأَبِي مَا هَذِهِ الْجَمَاعَةُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ قَوْمٌ اجْتَمَعُوا عَلَى صَابِيٍّ لَهُمْ فَنَزَلْنَا فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْإِيمَانَ بِهِ وَهُمْ يَرُدُّونَ عَلَيْهِ وَيُؤْذُونَهُ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارَ ، وَانْصَدَعَ النَّاسُ عَنْهُ أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ قَدْ بَدَأَ نَحْرُهَا تَحْمُلُ قَدْحًا وَمَنْدِيلًا فَتَنَاوَلَهُ مِنْهَا فَشَرِبَ وَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : « يَا بُنَيَّةَ حَمْرِي عَلَيْكَ نَحْرُكَ وَلَا تَخَافِينَ عَلَى أَبِيكَ » . قُلْنَا : مَنْ هَذِهِ ؟ قَالُوا : هَذِهِ زَيْنَبُ بِنْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا . قَالَ الْهَيْثَمِيُّ : رَجَالُهُ ثِقَاتٌ .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ لَهُ : مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشًا أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا كَانَتْ تُظْهَرُ مِنْ عَدَاوَتِهِ ، قَالَ : حَضَرْتُهُمْ وَقَدْ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ فِي الْحِجْرِ .

فَقَالُوا : مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ . سَقَّهَ أَحْلَامَنَا وَشَتَمَ آبَاءَنَا وَعَابَ دِينَنَا وَفَرَّقَ جَمَاعَاتِنَا ، وَسَبَّ أَهْلَنَا . لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ ، أَوْ كَمَا قَالُوا .

قَالَ : فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى اسْتَقْبَلَ الرُّكْنَ ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ : - أَيُّ أَشَارُوا إِلَيْهِ - بِبَعْضِ مَا يَقُولُ ، قَالَ : فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ .

ثُمَّ مَضَى فَلَمَّا مَرَّ بِهِمُ الثَّانِيَةَ بِمِثْلِهَا فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ مَضَى فَلَمَّا

مَرَّ بِهِمُ الثَّالِثَةُ فَعَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا فَقَالَ : « أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ » . فَأَخَذَتِ الْقَوْمَ كَلِمَتُهُ ، حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا كَانَ عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَقَعَ حَتَّى إِنْ أَشَدَّهُمْ فِيهِ وَضَاءَةٌ قَبْلَ ذَلِكَ لَيَرَفُوهُ بِأَحْسَنِ مَا يَجِدُ مِنَ الْقَوْلِ حَتَّى لَيَقُولُ : انصرفت يا أبا القاسم ، انصرفت راشدًا فوالله ما كنت جهولاً .

فَانصرفت رسول الله ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ الْعَدَدُ اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ وَأَنَا مَعَهُمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ذَكَرْتُمْ مَا بَلَغَ مِنْكُمْ وَمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُ حَتَّى إِذَا بَادَاكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ تَرَكْتُمُوهُ ، فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ إِذَا طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَثَبُوا عَلَيْهِ وَثَبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ فَأَطَافُوا بِهِ يَقُولُونَ : أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُمْ مِنْ عَيْبِ آلِهِمْ وَدِينِهِمْ . قَالَ فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نَعَمْ أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ » . قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ أَخَذَ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دُونَهُ يَقُولُ وَهُوَ يَبْكِي : أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ . ثُمَّ انصرفتوا عنه فَإِنَّ ذَلِكَ لِأَشَدِّ مَا رَأَيْتُ قُرَيْشًا بَلَغَتْ مِنْهُ قَطُّ .

وَأَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَقَدْ ضَرَبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّةً حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَجَعَلَ يُنَادِي : وَيَلِكُمْ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ . فَقَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : أَبُو بَكْرٍ الْمَحْنُونُ .

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ هَلُّوا بِأبي بَكْرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ . قَالَتْ : فَرَجَعْنَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَجَعَلَ لَا يَمَسُ شَيْئًا مِنْ عَدَائِرِهِ - أَيَّ جَدَائِلِهِ إِلَّا جَاءَ مَعَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .

وَأَخْرَجَ الْبَزَّازُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَفِيْلٍ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ

خَطَبَهُمْ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ أَشْجَعُ النَّاسِ ؟ فَقَالُوا : أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ :  
أَمَّا أَنَا مَا بَارَزَنِي أَحَدٌ إِلَّا انْتَصَفْتُ مِنْهُ ، وَلَكِنْ هُوَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ إِنَّا جَعَلْنَا  
لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرِيشًا فَقُلْنَا : مَنْ يَكُونُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِقَالِ يَهُوَى إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ فَوَاللَّهِ مَا دَنَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَاهِرًا بِالسَّيْفِ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ لَا يَهُوَى إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا أَهْوَى إِلَيْهِ فَهَذَا أَشْجَعُ النَّاسِ .

قَالَ : وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَخَذْتُهُ فُرَيْشٍ فَهَذَا يُحَادُّهُ وَهَذَا يُتَلْتَلُهُ وَيَقُولُونَ : أَنْتَ  
جَعَلْتَ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ؟! فَوَاللَّهِ مَا دَنَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ يَضْرِبُ هَذَا وَيُجَاهِدُ هَذَا  
وَيَتَلْتَلُ هَذَا ، وَهُوَ يَقُولُ : وَيَلِكُمْ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا يَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ .

ثُمَّ رَفَعَ عَلَيَّ بُرْدَةً كَانَتْ عَلَيْهِ فَبَكَى حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْشِدُكُمْ اللَّهُ أُمُومِنُ آلِ  
فِرْعَوْنَ خَيْرٌ أَمْ هُوَ ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ . فَقَالَ عَلَيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَوَاللَّهِ لَسَاعَةً مِنْ أَبِي بَكْرٍ  
خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ ، ذَاكَ رَجُلٌ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ، وَهَذَا رَجُلٌ أَعْلَنَ  
إِيمَانَهُ ... الْحَدِيثُ . وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو مَحْجَرٍ التَّفَفِي .

شِعْرًا : وَسُمِّيتَ صِدِّيقًا وَكُنْتَ مُهَاجِرًا      سِوَاكَ يُسَمَّى بِاسْمِهِ غَيْرَ مُنْكَرٍ  
وَبِالْعَارِ إِذَا سُمِّيتَ بِالْعَارِ صَاحِبًا      وَكُنْتَ رَفِيقًا لِلنَّبِيِّ الْمُطَهَّرِ  
سَبَقْتَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ شَاهِدٌ      وَكُنْتَ جَلِيسًا بِالْعَرِيشِ الْمَشْهُرِ

اللَّهُمَّ يَسِّرْ لَنَا سَبِيلَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا وَاعْلِ مَعُونَتِكَ الْعُظْمَى  
لَنَا سَنَدًا وَاحْشُرْنَا إِذَا تَوَفَّيْتَنَا مَعَ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ،  
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" فَصْلٌ " : أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عُرْوَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَأَلْتُ ابْنَ أَبِي

العاص رضي الله عنه فقلت : أخبرني بأشد شيء صنعته المشركون برسول الله ﷺ ، قال : بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذا أقبل عليه عتبة بن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقا شديدا .

فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبيه ، ودفعه عن النبي ﷺ ، وقال : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم .. الآية .

وعند ابن أبي شيبه عن عروة بن العاص رضي الله عنه قال : ما رأيت فريشا أرادوا قتل النبي ﷺ إلا يوما ائتمروا به وهم جلوس في ظل الكعبة ورسول الله ﷺ يصلي عند المقام ، فقام إليه عتبة بن أبي معيط فجعل رداءه في عنقه ثم جذبته حتى وجب لركبته ساقطا ، وتصايح فظنوا أنه مقتول .

فأقبل أبو بكر رضي الله عنه يشتد حتى أخذ بضبعي رسول الله ﷺ من ورائه وهو يقول : « أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله » الحديث .

وأخرج البزار والطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ في المسجد وأبو جهل وشيبة وعتبة أبناء ربيعة وعتبة بن أبي معيط وأميه بن خلف ورجلان آخران كانوا سبعة ، وهم في الحجر ورسول الله ﷺ يصلي فلما سجد أطال السجود .

فقال أبو جهل : أيكم يأتي جزور بني فلان فيأتينا بفريتها فنكفئها على محمد ﷺ ، فانطلق أشقاهم عتبة بن أبي معيط فأتى به فألقاه على كتفه ﷺ وهو ساجد . قال ابن مسعود وأنا قائم لا أستطيع أن أتكلم ، ليس عندي منعة تمنعني ، إذا سمعت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأقبلت حتى ألفت ذلك عن عاتقه .

ثم استقبلت فريشا تسبهم فلم يرجعوا إليها شيئا ، ورفع رسول الله ﷺ رأسه كما كان يرفع عند تمام السجود ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته

قَالَ : « اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ثَلَاثًا ، عَلَيْكَ بِعُتْبَةَ ، وَعُتْبَةَ ، وَأَبِي جَهْلٍ وَشَيْبَةَ » .  
 ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَلَقِيَهُ أَبُو الْبُخْتَرِيِّ بِسَوْطٍ يَتَخَصَّرُ بِهِ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ أَنْكَرَ  
 وَجْهَهُ فَقَالَ مَا لَكَ : فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « خَلَّ عَنِّي » . قَالَ : عَلِمَ اللَّهُ لَا أُخْلِي عَنْكَ أَوْ  
 تُخْبِرُنِي مَا شَأْنُكَ ، فَلَقَدْ أَصَابَكَ شَيْءٌ . فَلَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ عَيَّرَ مُحَلًّا عَنْهُ أَخْبَرَهُ .  
 فَقَالَ : « إِنَّ أَبَا جَهْلٍ أَمَرَ فَطَرَخَ عَلَيَّ الْفَرْتِ . فَقَالَ أَبُو الْبُخْتَرِيُّ : هَلُمَّ إِلَى الْمَسْجِدِ  
 فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَأَبُو الْبُخْتَرِيُّ فَدَخَلَا الْمَسْجِدَ .

ثُمَّ أَقْبَلَ أَبُو الْبُخْتَرِيُّ إِلَى أَبِي جَهْلٍ فَقَالَ : يَا أَبَا الْحَكَمِ ! أَنْتَ الَّذِي أَمَرْتَ بِمُحَمَّدٍ فَطَرَخَ  
 عَلَيْهِ الْفَرْتِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَرَفَعَ السَّوْطَ فَضْرَبَ بِهِ رَأْسَهُ . قَالَ : فَتَارَ الرَّجَالَ بَعْضُهُمْ إِلَى  
 بَعْضٍ . قَالَ : وَصَاحَ أَبُو جَهْلٍ وَيَحْكُمُ هِيَ لَهُ إِنَّمَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ ﷺ أَنْ يُلْقِيَ بَيْنَنَا الْعَدَاوَةَ ،  
 وَيَنْجُو هُوَ وَأَصْحَابُهُ ... الْحَدِيثُ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ يَعْقُوبِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ بْنِ شُرَيْقٍ حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ  
 مُرْسَلًا ، أَنَّ أَبَا جَهْلٍ اعْتَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالصَّفَا فَأَذَاهُ .

وَكَانَ حَمْرُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَاحِبَ قَنْصٍ وَصَيْدٍ ، وَكَانَ يَوْمئِذٍ فِي قَنْصِهِ ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَتْ  
 لَهُ امْرَأَتُهُ وَكَانَتْ قَدْ رَأَتْ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : يَا أَبَا عِمَارَةَ لَوْ رَأَيْتَ مَا صَنَعَ  
 تَعْنِي أَبَا جَهْلٍ بَابِنِ أَحِيكَ . فَغَضِبَ حَمْرُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَضَى كَمَا هُوَ قَبْلُ أَنْ يَدْخُلَ  
 بَيْتَهُ .

هُوَ مُعَلَّقٌ قَوْسَهُ فِي عُنُقِهِ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَوَجَدَ أَبَا جَهْلٍ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قُرَيْشٍ  
 فَلَمْ يُكَلِّمُهُ حَتَّى عَلَا رَأْسَهُ بِقَوْسِهِ ، فَشَجَّهُ فَقَامَ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى حَمْرَةَ يُمَسِّكُونَهُ عَنْهُ ،  
 فَقَالَ حَمْرُهُ : دِينِي دِينُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، فَوَاللَّهِ لَا أَتَّشِي عَنْ ذَلِكَ ، فَاْمَنْعُونِي  
 مِنْ ذَلِكَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ .

فَلَمَّا أَسْلَمَ حَمْرُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَزَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ وَالْمُسْلِمُونَ ، وَتَبَّتْ

لَهُمْ بَعْضُ أَمْرِهِمْ ، وَهَابَتْ قُرَيْشٌ وَعَلِمُوا أَنَّ حَمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَيِّمَنَعُهُ . قَالَ الْهَيْثَمِيُّ :  
وَرَجَالُهُ ثِقَاتٌ .

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : وَمَاتَ أَبُو  
طَالِبٍ وَازْدَادَ مِنَ الْبَلَاءِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِدَّةٍ ، فَعَمَدَ إِلَى ثَقِيفٍ يَرْجُو أَنْ يُؤَزِّرُوهُ  
وَيَنْصُرُوهُ ، فَوَجَدَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنْهُمْ ، سَادَهُ ثَقِيفٌ ، وَهُمْ أُخُوَّةُ عَبْدِ يَالِيلٍ بْنِ عَمْرٍو ،  
وَحَبِيبُ بْنُ عَمْرٍو ، وَمَسْعُودُ بْنُ عَمْرٍو ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ ، وَشَكَكَ إِلَيْهِمُ الْبَلَاءَ ، وَمَا  
انْتَهَكَ قَوْمُهُ مِنْهُ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَنَا أَسْرِقُ ثِيَابَ الْكَعْبَةِ إِنْ كَانَ اللَّهُ بَعَثَكَ بِشَيْءٍ قَطُّ .  
وَقَالَ : أَخْرُ وَاللَّهِ لَا أَكَلِّمَكَ بَعْدَ مَجْلِسِكَ هَذَا كَلِمَةً وَاحِدَةً أَبَدًا لِأَنَّ كُنْتَ رَسُولًا لِأَنْتَ  
أَعْظَمُ شَرَفًا وَحَقًّا مِنْ أَنْ أَكَلِّمَكَ . وَقَالَ الْآخَرُ : أَعْجَزَ اللَّهُ أَنْ يُرْسِلَ عَيْرِكَ .

وَأَفْشُوا ذَلِكَ فِي ثَقِيفِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ : وَاجْتَمَعُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَعَدُوا لَهُ  
صَفَيْنَ عَلَى طَرِيقِهِ ، فَأَخَذُوا بِأَيْدِيهِمُ الْحِجَارَةَ فَجَعَلَ لَا يَرْفَعُ رِجْلَهُ وَلَا يَضَعُهَا إِلَّا رَضَخُوهَا  
بِالْحِجَارَةِ وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَسْتَهْزِئُونَ وَيَسْخَرُونَ .

فَلَمَّا خَلَصَ مِنْ صَفِيهِمْ وَقَدَمَاهُ تَسِيلَانِ بِالْدمَاءِ ، عَمَدَ إِلَى حَائِطٍ مِنْ كُرُومِهِمْ فَأَتَى حَبَلَةً  
مِنَ الْكُرْمِ فَجَلَسَ فِي أَصْلِهَا مَكْرُوبًا مُوجِعًا تَسِيلُ قَدَمَاهُ الدَّمَاءَ فَإِذَا فِي الْكُرْمِ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ  
وَشَيْبَةَ بِنْتُ رَبِيعَةَ فَلَمَّا أَبْصَرَهُمَا كَرِهَ أَنْ يَأْتِيَهُمَا لِمَا عَلِمَ مِنْ عَدَاوَتِهِمَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَبِهِ الَّذِي  
بِهِ فَأَرْسَلَا إِلَيْهِ غُلَامُهُمَا عَدَّاسًا بَعْبٍ وَهُوَ نَصْرَانِيٌّ مِنْ أَهْلِ نِينَوَى ، فَلَمَّا أَتَاهُ وَضَعَ الْعِنَبَ  
بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « بِسْمِ اللَّهِ » . فَعَجَبَ عَدَّاسُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :  
: « مِنْ أَيِّ أَرْضٍ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ ؟ » قَالَ : أَنَا مِنْ أَهْلِ نِينَوَى .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مِنْ أَهْلِ مَدِينَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُؤْتِسُّ بِنِ مَتَّى ؟ » فَقَالَ لَهُ عَدَّاسُ :  
وَمَا يُدْرِيكَ مَنْ يُؤْتِسُّ بِنِ مَتَّى ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ شَأْنِ يُؤْتِسُّ مَا عَرَفَ .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَخْتَمِرُ أَحَدًا يُبَلِّغُهُ رِسَالَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي خَبَرَ يُونُسَ بْنِ مَتَّى ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ شَأْنِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ شَأْنِهِ خَرَّ سَاجِدًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ جَعَلَ يُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ وَهَمَّا تَسِيلَانِ الدَّمَاءَ . فَلَمَّا أَبْصَرَ عُتْبَةَ وَأَخُوهُ شَيْبَةَ مَا فَعَلَ غُلَامُهُمَا سَكَنًا ، فَلَمَّا أَتَاهُمَا قَالَا لَهُ : مَا شَأْنُكَ سَجَدْتَ لِمُحَمَّدٍ وَقَبَلْتَ قَدَمَيْهِ ، وَلَمْ نَرَكَ فَعَلْتَ هَذَا بِأَحَدِنَا .

قَالَ : هَذَا رَجُلٌ صَالِحٌ حَدَّثَنِي عَنْ أَشْيَاءَ عَرَفْتُهَا مِنْ شَأْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْنَا يُدْعَى يُونُسُ بْنُ مَتَّى فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ وَقَالَا : لَا يَفْتِنُكَ عَنْ نَصْرَانِيَّتِكَ أَنَّهُ رَجُلٌ يَخْدَعُ . ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ . . . . . انْتَهَى .

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَأَهْلِمْنَا ذِكْرَكَ ، اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ حَزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ وَأَمِنَّا يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" فَصَلِّ " : أَخْرَجَ ابْنُ مَرْذُوبِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ : لَوْ رَأَيْتُنِي وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذْ صَعَدَ الْعَارَ فَأَمَّا قَدِمَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَتَفَطَّرْنَا ، وَأَمَّا قَدَمَايَ فَعَادَتْ كَأَنَّهُمَا صَفْوَانٌ ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَتَعَوَّذْ خُفْيَةً . وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كُسِرَتْ رِجَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَشَجَّ رَأْسُهُ فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَيَقُولُ : « كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ ، فَنَزَلَ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الْآيَةَ .

وَعِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أُصِيبَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَاسْتَقْبَلَهُ مَالِكُ بْنُ سِنَانٍَ فَمَصَّ جُرْحَهُ ثُمَّ اَزْدَرَدَهُ - أَيْ ابْتَلَعَهُ - قَالَ ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ مِنْ خَالَطَ دَمِّي فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ مَالِكُ بْنُ سِنَانٍَ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا ذَكَرَ يَوْمَ أُحُدٍ قَالَ : ذَاكَ يَوْمٌ كُلُّهُ لِبَلْحَةٍ ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُ قَالَ : كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَاءَ يَوْمَ أُحُدٍ فَرَأَيْتُ رَجُلًا يَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُونَهُ ، وَأَرَاهُ قَالَ : حَمِيَّةٌ . قَالَ : فَمُتُّ : كُنْتُ طَلْحَةَ حَيْثُ فَاتَنِي مَا فَاتَنِي فَمُتُّ يَكُونُ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي أَحَبُّ إِلَيَّ . وَبَيْنِي وَالْمُشْرِكِينَ رَجُلًا لَا أَعْرِفُهُ وَأَنَا أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ وَهُوَ يَخْطِفُ الْمَشِيَّ خَطْفًا لَا أَخْطِفُهُ . فَإِذَا هُوَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدْ كُسِرَتْ رُبَاعِيَّتِهِ ، وَشَجَّ فِي وَجْهِهِ ، وَقَدْ دَخَلَ فِي وَجْنَتِهِ حَلَقَتَا مِنْ حَلَقِ الْمَعْفَرِ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « عَلَيْكُمَا صَاحِبُكُمَا » . يُرِيدُ طَلْحَةَ ، وَقَدْ نَزَفَ فَلَمْ نَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِهِ ، قَالَ : وَذَهَبْتُ لِأَنْزِعَ ذَلِكَ مِنْ وَجْهِهِ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : أَقْسِمُ عَلَيْكَ بِحَقِّي لَمَا تَرَكْتَنِي فَتَرَكْتُهُ . فَكَرِهَ تَنَاوُلَهَا بِيَدِهِ فَيُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَزَمَ عَلَيْهَا بِيَدِهِ أَيْ عَضَّ عَلَيْهَا ، فَاسْتَخْرَجَ إِحْدَى الْحَلَقَتَيْنِ وَوَقَعَتْ نَبِيَّتِهِ مَعَ الْحَلَقَةِ وَذَهَبْتُ لِأَصْنَعَ مَا صَنَعَ . فَقَالَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِحَقِّي لَمَا تَرَكْتَنِي . قَالَ : فَفَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى فَوَقَعَتْ نَبِيَّتِهِ الْأُخْرَى مَعَ الْحَلَقَةِ .

فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ هَتْمًا فَأَصْلَحْنَا مِنْ شَأْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ أَتَيْنَا طَلْحَةَ فِي بَعْضِ الْجَفَارِ ، فَإِذَا بِهِ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ طَعْنَةً وَرَمِيَّةً وَضَرْبَةً وَإِذَا قَدْ قُطِعَتْ أُصْبَعُهُ فَأَصْلَحْنَا مِنْ شَأْنِهِ .

اللَّهُمَّ ثَبَّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا الْقِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَجَنِّبْنَا مَا يُسْخِطُكَ وَأَصْلِحْ نِيَّاتِنَا وَدُرِّيَاتِنَا وَأَعِدْنَا مِنْ شَرِّ نَفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا وَأَعِدْنَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاجْعَلْ هَوَانًا تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ ﷺ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا



وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " مَوْعِظَةٌ "

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَخَصَّهُ بِمَزَايَا لَمْ تَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ وَاخْتَارَ لَهُ أَصْحَابًا خَيْرَ النَّاسِ مِنْ خَلْقِهِ ، وَخَصَّهُمْ بِمَزَايَا لَمْ تَكُنْ لِسِوَاهُمْ مِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، حَاشَا الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَأَتَى عَلَيْهِمْ ، سُبْحَانَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَنْبِيْهَا عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِمْ ، وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِمْ ، وَعِظَمِ فَضْلِهِمْ ، وَشَرَفِهِمْ . قَالَ تَعَالَى :

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى يَصِفُهُمْ بِشِدَّةِ الرَّحْمَةِ وَلِينِ الْجَانِبِ لِبَعْضِهِمْ بَعْضًا وَشِدَّةِهِمْ عَلَى الْكُفَّارِ الْمُعَانِدِينَ ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وجوهم من أثر السجود ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى يَصِفُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ بِأَفْضَلِ مَا يَصِفُ بِهِ إِنْسَانًا ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ \* وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وَقَالَ ﷺ : « خَيْرُ الْقُرُونِ قُرْبِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، وَلَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ أَصْبَرَ النَّاسِ بَعْدَ الرُّسُلِ عَلَى الْأَذَى فِي اللَّهِ فَلَقَدْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَصَبَّ عَلَيْهِمُ الْأَذَى مِنْ كُلِّ صَوْبٍ ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ إِلَّا

ذَلِكَ إِيمَانًا . قَالَ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ \* فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مَنِ اللَّهُ وَفَضْلِ لَمْ يَمَسَّنْهُمْ سُوءٌ ﴾ الآية .

وَإِذَا كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَرْفَعِ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ دَرَجَةً وَأَعْلَاهُمْ مَكَانًا بِشَهَادَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَلَا عَجَبَ أَنْ يُعْلِنَ الْمُصْطَفَى ρ بِفَضْلِهِمْ وَيُحَدِّثُ مِنْ سَبِّهِمْ وَمَقْتِهِمْ ، وَيَقُولُ فِيمَا رَوَى التِّرْمِذِيُّ : « اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فِجَبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِغْضِي أَبْغَضَهُمْ ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهُ يَوْشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ » .

وَيَقُولُ ρ : « لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدَهُمْ وَلَا نَصِيفَهُ ، فَأَصْحَابُ النَّبِيِّ ρ لَا يَشُكُّ عَاقِلٌ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِي حَازُوا قِصَبَاتِ السَّبْقِ ، وَاسْتَوْلُوا عَلَى مَعَالِي الْأُمُورِ مِنَ الْفَضْلِ وَالْمَعْرُوفِ وَالصِّدْقِ وَالْعِفَّةِ ، وَالْكَرَمِ وَالْإِحْسَانِ ، وَالْقِنَاعَةِ ، وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ ، وَالنَّزَاهَةِ ، وَالشَّجَاعَةِ ، وَالتَّقَى وَالتَّوَاضُعِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

فَالسَّعِيدُ مَنْ اتَّبَعَ طَرِيقَهُمْ ، وَاقْتَفَى مَنَهْجَهُمْ الْقَوِيمَ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ عَدَلَ عَن طَرِيقِهِمْ ، وَلَمْ يَتَحَقَّقْ بِتَحْقِيقِهِمْ ، فَأَيُّ حِطَّةٍ رُشِدِهِمْ لَمْ يَسْتَوْلُوا عَلَيْهَا ، وَأَيُّ خُصْلَةٍ خَيْرٍ لَمْ يُسَبِّهُوا إِلَيْهَا ، لَقَدْ وَرَدُوا يَنْبُوعَ الْحَيَاةِ عَذْبًا صَافِيًا زُلَالًا .

وَوَطَّدُوا قَوَاعِدَ الدِّينِ ، وَالْمَعْرُوفِ فَلَمْ يَدْعُوا لِأَحَدٍ بَعْدَهُمْ مَقَالًا .

فَتَحُوا الْقُلُوبَ بِالْقُرْآنِ ، وَالذِّكْرِ وَالْإِيمَانِ ، وَالْقُرَى بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ . وَبَدَّلُوا النُّفُوسَ النَّفِيسَةَ فِي مَرَضَاتِ رَبِّهِمْ ، فَلَا مَعْرُوفَ إِلَّا مَا عُرِفَ عَنْهُمْ ، وَلَا بُرْهَانَ إِلَّا مَا بَعُلُومِهِمْ كُشِفَ ، وَلَا سَبِيلَ بِنَجَاةٍ إِلَّا مَا سَلَكَوهُ وَلَا خَيْرَ سَعَادَةٍ إِلَّا مَا حَقَّقُوهُ وَحَلَّوهُ فَرِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، مَا تَحَلَّتِ الْمَجَالِسُ بِنَشْرِ ذِكْرِهِمْ ، وَمَا تَنَمَّتِ الطُّرُوفُ بِعُرْفِ مَدْحِهِمْ وَشُكْرِهِمْ :

شِعْرًا : وَلَيْسَ فِي الْأُمَّةِ كَالصَّحَابَةِ  
فَإِنَّهُمْ قَدْ شَاهَدُوا الْمُخْتَارَ  
وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَتَّى بَانَا  
وَقَدْ تَلِيَ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ  
وَفِي الْأَحَادِيثِ وَفِي الْأَخْبَارِ  
مَا قَدَّرَ رَبًّا مِنْ أَنْ يُحِيطَ نَظْمِي  
آخِر : قَوْمٌ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّ الْعَرْشِ مَنْرَلَةٌ  
فَارَوْا بِصُحْبَةِ خَيْرِ الْخَلْقِ وَاتَّصَفُوا  
فَفِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ قَدْ وَرَدَتْ  
وَبَعْدَهُ عُمَرُ الْفَارُوقِ صَاحِبُهُ  
وَهَكَذَا الْبَرُّ عُمَانُ الشَّهِيدُ لَهُ  
وَلِلْإِمَامِ عَلِيِّ الْمُرْتَضَى مَنَحٌ لَهُ  
هُمُ الصَّحَابَةُ لِلْمُخْتَارِ قَدْ وَضَّحُوا

بِالْفَضْلِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِصَابَةِ  
وَعَايَنُوا الْأَسْرَارَ وَالْأَنْوَارَا  
دِينُ الْهُدَى وَقَدْ سَمَّا الْأَدْيَانَا  
مِنْ فَضْلِهِمْ مَا يَشْفِي مَنْ غَلِيلِ  
وَفِي كَلَامِ الْقَوْمِ وَالْأَشْعَارِ  
بِعُضِهِ فَاسْمَعْ وَخُذْ مِنْ عِلْمِي  
وَحُرْمَةً وَبُشَارَاتٍ وَإِكْرَامِ  
بِوَصْفِهِ فَهُمْ لِلنَّاسِ أَعْلَامُ  
آثَارُ فَضْلِ لَهَا فِي الذِّكْرِ أَحْكَامُ  
بِهِ تَكْمَلُ بِالْفَارُوقِ إِسْلَامُ  
فِي اللَّيْلِ وَرُدَّ بِالْقُرْآنِ قَوَامُ  
اِحْتِرَامٌ وَإِعْزَازٌ وَإِكْرَامِ  
طُرُقَ الْهُدَى وَعَلَى الطَّاعَاتِ قَدْ

" فصل " : ذِكْرُ نَمَازِجٍ مِنْ صَبْرِ الصَّحَابَةِ عَلَى الْأَذَى وَالشَّدَائِدِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ

فَأَوْلُ ذَلِكَ فِي تَحْمُلِ أَبِي بَكْرٍ

أَخْرَجَ الْحَافِظُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَطْرَابُلْسِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : لَمَّا اجْتَمَعَ  
أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ - وَكَانُوا ثَمَانِيَةً وَثَلَاثِينَ رَجُلًا أَحَبَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الظُّهُورِ  
فَقَالَ : « يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّا قَلِيلٌ » . فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُلِحُّ حَتَّى ظَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ  
الْمُسْلِمُونَ فِي نَوَاحِي الْمَسْجِدِ كُلِّ رَجُلٍ فِي عَشِيرَتِهِ . وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فِي النَّاسِ خَطِيبًا  
وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فَكَانَ أَوَّلَ خَطِيبٍ دَعَا إِلَى اللَّهِ ﷻ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ ، وَتَارَ الْمُشْرِكُونَ  
عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ فَضْرِبُوا فِي نَوَاحِي الْمَسْجِدِ ضَرْبًا شَدِيدًا ، وَوُطِئَ أَبُو بَكْرٍ  
وَضُرِبَ ضَرْبًا

شَدِيدًا وَدَنَا مِنْهُ الْفَاسِقُ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِنَعْلَيْنِ مَحْصُوفَتَيْنِ ، وَجُرَّهُمَا لَوَجْهِهِ وَنَزَا عَلَى بَطْنِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى مَا يُعْرِفُ وَجْهَهُ مِنْ أَنْفِهِ .

وَجَاءَ بَنُو تَمِيمٍ يَتَعَادُونَ فَأَجَلَّتِ الْمُشْرِكِينَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَحَمَلَتْ بَنُو تَمِيمٍ أَبَا بَكْرٍ فِي ثَوْبٍ حَتَّى أَدْخَلُوهُ مَنْزِلَهُ وَلَا يَشْكُونَ فِي مَوْتِهِ ، ثُمَّ رَجَعَتْ بَنُو تَمِيمٍ فَدَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَقَالُوا : وَاللَّهِ لَئِنْ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ لَنَقْتُلَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ فَرَجَعُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَجَعَلَ أَبُو فُحَّافَةَ وَبَنُو تَمِيمٍ يُكَلِّمُونَ أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَجَابَ فَتَكَلَّمَ آخِرَ النَّهَارِ فَقَالَ : مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَسُّوا مِنْهُ بِالسِّنْتِهِمْ وَعَدَلُوهُ ثُمَّ قَامُوا وَقَالُوا لِأُمِّهِ أُمَّ الْخَيْرِ : انْظُرِي أَنْ تُطْعِمِيهِ شَيْئًا أَوْ تُسْقِيهِ إِيَّاهُ .

فَلَمَّا خَلَتْ بِهِ أَحْتٌ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ يَقُولُ : مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالَتْ : مَا لِي عِلْمٌ بِصَاحِبِكَ . فَقَالَ : إِذْهَبِي إِلَى أُمِّ جَمِيلِ بِنْتِ الْخَطَّابِ ، فَاسْأَلِيهَا فَخَرَجَتْ حَتَّى جَاءَتْ أُمَّ جَمِيلٍ فَقَالَتْ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ يَسْأَلُكَ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ .

فَقَالَتْ : مَا أَعْرِفُ أَبَا بَكْرٍ وَلَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتُ تُحِبِّينَ أَنْ أَذْهَبَ مَعَكَ إِلَى ابْنِكَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . فَمَضَتْ مَعَهَا حَتَّى وَجَدَتْ أَبَا بَكْرٍ صَرِيحًا دَنِقًا ، فَدَنَتْ أُمَّ جَمِيلٍ وَأَعْلَنْتَ بِالصِّيَاحِ ، وَقَالَتْ : وَاللَّهِ إِنَّ قَوْمًا نَالُوا هَذَا مِنْكَ لِأَهْلِ فِسْقٍ وَكُفْرٍ ، وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَنْتَقِمَ اللَّهُ لَكَ مِنْهُمْ .

قَالَ : فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَتْ : هَذِهِ أُمُّكَ تَسْمَعُ . قَالَ : فَلَا شَيْءَ عَلَيْكَ مِنْهَا . قَالَتْ : سَأَلْتُ صَالِحًا .

قَالَ : أَيْنَ هُوَ ؟ قَالَتْ : فِي دَارِ ابْنِ الْأَرْقَمِ . قَالَ : فَإِنَّ لِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ لَا أَذُوقَ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا أَوْ آتِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمْهَلْنَا حَتَّى إِذَا هَدَأَتْ الرَّجُلُ وَسَكَنَ النَّاسُ خَرَجْنَا بِهِ يَتَكَيُّ عَلَيْهِمَا حَتَّى ادْخَلْنَاهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : فَأَكَبَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ وَأَكَبَّ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَرَقَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَقَّةً شَدِيدَةً .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَيْسَ بِي بَأْسٌ إِنَّ مَا نَالَ الْفَاسِقُ مِنْ وَجْهِي ، وَهَذِهِ أُمِّي بَارَةٌ بَوْلِدِهَا وَأَنْتَ مُبَارَكٌ فَأَدْعُهَا إِلَى اللَّهِ ، وَادْعُ اللَّهَ لَهَا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَسْتَنْقِذَهَا بِكَ مِنَ النَّارِ . قَالَ : فَدَعَا لَهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَدَعَاها إِلَى اللَّهِ فَأَسْلَمَتْ وَأَقَامُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي الدَّارِ شَهْرًا وَهُمْ تِسْعَةٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا . وَقَدْ كَانَ حَمْرُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسْلَمَ يَوْمَ ضُرِبَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَدَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَوْ لِأَبِي جَهْلٍ بْنِ هُشَامٍ فَأَصْبَحَ عُمَرُ وَكَانَتْ الدَّعْوَةُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ فَأَسْلَمَ عُمَرُ يَوْمَ الْحَمِيسِ . فَكَبَّرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُ الْبَيْتِ تَكْبِيرَهُ سَمِعَتْ بِأَعْلَى مَكَّةَ .

وَخَرَجَ أَبُو الْأَرْقَمِ وَهُوَ أَعْمَى كَافِرٌ وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِبَنِي عبيدِ الْأَرْقَمِ فَإِنَّهُ كَفَرَ . فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلامٌ تُخْفِي دِينَنَا وَنَحْنُ عَلَى الْحَقِّ وَيُظْهِرُوا دِينَهُمْ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ؟ قَالَ : يَا عُمَرُ إِنَّا قَلِيلٌ قَدْ رَأَيْنَا مَا لَقِينَا .

فَقَالَ عُمَرُ : فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا يَبْقَى مَجْلِسٌ جَلَسْتُ فِيهِ بِالْكَفْرِ إِلَّا أَظْهَرْتُ فِيهِ الْإِيمَانَ . ثُمَّ خَرَجَ وَطَافَ بِالْبَيْتِ .

ثُمَّ مَرَّ بِقُرَيْشٍ وَهِيَ تَنْتَظِرُهُ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ : يَزْعُمُ فُلَانٌ أَنَّكَ صَبَوْتَ ؟ فَقَالَ عُمَرُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَوَثَبَ الْمُشْرِكُونَ إِلَيْهِ وَوَثَبَ عَلَى عُتْبَةَ وَبَرَكَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ يَضْرِبُهُ ، فَجَعَلَ عُتْبَةُ يَصِيحُ فَتَنَحَّى النَّاسُ ، فَقَامَ عُمَرُ حَتَّى أَعْجَزَ النَّاسُ وَاتَّبَعَ الْمَجَالِسَ الَّتِي كَانَ يُجَالِسُ فِيهَا فَيُظْهِرُ الْإِيمَانَ .

ثُمَّ انصَرَفَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ ظَاهِرٌ عَلَيْهِمْ ، قَالَ : مَا عَلَيْكَ يَا أُمَّي

وَاللَّهِ مَا بَقِيَ مَجْلِسٌ كُنْتُ أَجْلِسُ فِيهِ بِالْكَفْرِ إِلَّا أَظْهَرْتُ فِيهِ الْإِيمَانَ غَيْرَ هَيَّابٍ وَلَا خَائِفٍ

فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَخَرَجَ عُمَرُ أَمَامَهُ وَحَمْرُهُ بِنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّى طَافَ بِالْبَيْتِ ، وَصَلَّى الظُّهْرَ مُؤَمَّنًا ، ثُمَّ انصَرَفَ إِلَى دَارِ الْأَرْقَمِ وَمَعَهُ عُمَرُ ، ثُمَّ انصَرَفَ عُمَرُ وَحْدَهُ ، ثُمَّ انصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيْ قَطٍ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفِي النَّهَارَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ، فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرَكَ الْعَمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ فَقَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ فَقَالَ : أَبُو بَكْرٍ أَخْرَجَنِي قَوْمِي فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ وَأَعْبُدُ رَبِّي . قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ : فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يُخْرَجُ وَلَا يُخْرَجُ ؛ إِنَّكَ تُكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتُقْرِئُ الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ أَرْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ فِي بَلَدِكَ .

فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يُخْرَجُ مِثْلَهُ وَلَا يُخْرَجُ ، أُنْخَرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَيَصِلُ الرَّحِمَ وَيَحْمِلُ الْكَلَّ وَيُقْرِئُ الضَّيْفَ وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ .

فَلَمْ تَكْذِبْ قُرَيْشٌ بِجَوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ .

وَقَالُوا لابنِ الدَّغِنَةِ : مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَلْيُصَلِّ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ وَلَا يُؤْذِنَا بِذَلِكَ ، وَلَا يَسْتَعْلِنَ بِهِ فَإِنَّا نَحْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا . فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ .

فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ ، ثُمَّ بَدَأَ لِأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَّا مَسْجِدًا بِفَنَاءِ دَارِهِ ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ

الْقُرْآنَ فَيَتَقَدَّفُ عَلَيْهِ نِسَاءَ الْمُشْرِكِينَ - أَيُّ يَزِدُّهُمْ عَلَيْهِ - وَأَبْنَاؤُهُمْ وَهُمْ يَعَجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ .

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَاءَ لَا يَمْلِكُ عَيْنِيهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ ، وَأَفْرَعَ ذَلِكَ أَشْرَافُ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَأُرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا : إِنَّا كُنَّا أَجْرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجَوَارِكِ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ فَأَعْلَنَ بِالصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا ، فَاثْبَتْنَا فِي دَارِهِ فَعَلَّ ، وَإِنْ أَبِي إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ ذَلِكَ فَسَلَّهُ مِنْ أَنْ يَرِدَ إِلَيْكَ ذِمَّتِكَ ، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ ، وَلَسْنَا مُقَرَّرِينَ لِأَبِي بَكْرٍ الْإِسْتِعْلَانَ .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُكَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّمَا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا أَنْ تُرْجَعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي .  
فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جَوَارِكَ وَأَرْضِي بِجَوَارِكِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

هَذَا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ تَحْمُلِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَجَعَلَ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ مَثْوَانًا وَمَثْوَاهُ فَلَهُ مِنَ الْفَضْلِ وَالسَّابِقَةِ مَا لَيْسَ لِعَيْرِهِ ، وَلَقَدْ قَدَّمَهُ الْمُصْطَفَى  $\rho$  عَلَى جَمِيعِ الصَّحَابَةِ قَالَ فِي النُّونِيَّةِ مَا قَالَ الرَّسُولُ  $\rho$  لِأَبِي بَكْرٍ :

عَنِّي أَبُو بَكْرٍ بِلا رَوْعَانِ	شِعْرًا : وَيَقُولُ فِي مَرَضِ الْوَفَاةِ يَوْمُكُمْ
حَتَّى يُرَى فِي صُورَةِ مَيْلَانِ	وَيُظَلُّ يَمْنَعُ مِنْ إِمَامَةٍ غَيْرِهِ
فِي النَّاسِ كَانَ هُوَ الْخَلِيلُ الدَّانِ	وَيَقُولُ لَوْ كُنْتُ الْخَلِيلَ لِوَاحِدٍ
وَلَهُ عَلَيْنَا مِنْهُ الْإِحْسَانِ	لَكِنَّهُ الْأَخُ وَالرَّفِيقُ وَصَاحِبِي
تَحَزَنُ فَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ لَا اثْنَانِ	وَيَقُولُ لِلصَّديقِ يَوْمَ الْغَارِ لَا
مَا حَازَهَا إِلَّا فَتَى عُثْمَانَ	اللَّهُ ثَالِثُنَا وَتِلْكَ فَضِيلَةٌ





يَقُولُ : افْعَلُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ فَأَحْلِفُ بِاللَّهِ أَنْ لَوْ قَدْ كُنَّا ثَلَاثِمِائَةَ رَجُلٍ لَقَدْ تَرَكْنَاهَا لَكُمْ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا لَنَا .

قَالَ : فَبَيْنَمَا عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَقْبَلَ شَيْخٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَبْرَةٌ وَقَمِيصٌ مَوْشَى حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : مَا شَأْنُكُمْ ؟ فَقَالُوا : صَبَأٌ عُمُرُ . قَالَ : فَمَهْ ، رَجُلٌ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ أَمْرًا ، فَمَاذَا تُرِيدُونَ ؟ أَتَرُونَ بَنِي عَدِيٍّ يُسْلِمُونَ لَكُمْ صَاحِبَهُمْ هَكَذَا ، خَلُّوا عَنِ الرَّجُلِ . قَالَ : فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّمَا كَانُوا ثَوْبًا كُشِطَ - أَيُّ كُشِفَ عَنْهُ ، قَالَ : فَقُلْتُ لِأَيِّ بَعْدَ أَنْ هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ : يَا أَبَتِ مَنْ الرَّجُلُ الَّذِي زَجَرَ الْقَوْمَ عَنْكَ بِمَكَّةَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ وَهُمْ يُقَاتِلُونَكَ ؟ قَالَ : وَذَلِكَ أَيُّ بَنِي الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّنَهَمِيِّ . وَهَذَا إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ قَوِيٌّ . أَخْرَجَ ابْنُ سَعِيدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ ، قَالَ : لَمَّا أَسْلَمَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخَذَهُ عَمُّهُ الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ فَأَوْثَقَهُ رِبَاطًا ، قَالَ : أَتَرَعَبُ عَنْ مِلَّةِ آبَائِكَ إِلَى دِينٍ مُخَدَّثٍ ، وَاللَّهِ لَا أَحُلُّكَ أَبَدًا وَلَا أَفَارِقُهُ ، فَلَمَّا رَأَى الْحَكَمُ صَلَابَتَهُ فِي دِينِهِ تَرَكَهُ .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي التَّارِيخِ عَنْ مَسْعُودِ بْنِ حِرَاشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ إِذَا أَنَاسٌ كَثِيرٌ يَتَّبِعُونَ شَابًا مُوثِقًا بِيَدِهِ فِي عُنُقِهِ ، قُلْتُ : مَا شَأْنُهُ ؟ قَالُوا : هَذَا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - صَبَأٌ وَامْرَأَةٌ وَرَاءَهُ تُدْمِدِمُ وَتَسْبُهُ . قُلْتُ : مَنْ هَذِهِ ؟ قَالُوا : الصَّمَّةُ بِنْتُ الْحَضْرَمِيِّ أُمُّهُ .

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ قَالَ : قَالَ لِي طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : : حَضَرْتُ سُوقَ بُصْرَى فَإِذَا رَاهِبٌ فِي صَوْمَعَتِهِ يَقُولُ : سَلُوا أَهْلَ هَذَا الْمَوْسِمِ أَفِيهِمْ وَاحِدٌ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ .

قَالَ طَلْحَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : نَعَمْ أَنَا . فَقَالَ : هَلْ ظَهَرَ أَحْمَدُ بَعْدُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : وَمَنْ

أحمد؟ قَالَ: ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ هَذَا شَهْرُهُ الَّذِي يُخْرِجُ فِيهِ وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ  
 مَخْرَجُهُ مِنَ الْحَرَمِ، وَمُهَاجِرَتُهُ إِلَى نَخْلٍ وَحَرَّةٍ وَسِبَاخٍ، فَإِيَّاكَ أَنْ تُسَبِّقَ إِلَيْهِ .  
 قَالَ طَلْحَةُ: فَوَقَعَ فِي قَلْبِي مَا قَالَ، فَخَرَجْتُ سَرِيعًا حَتَّى قَدِمْتُ مَكَّةَ فَمَلْتُ: هَلْ كَانَ  
 مِنْ حَدِيثٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ρ الْأَمِينُ تَنَبَّأَ، وَقَدْ تَبِعَهُ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ .  
 قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَمَلْتُ: اتَّبَعْتَ هَذَا الرَّجُلَ؟  
 قَالَ: نَعَمْ فَأَنْطَلِقُ فَادْخُلْ عَلَيْهِ فَاتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ فَأَخْبَرَهُ طَلْحَةُ بِمَا قَالَ الرَّاهِبُ .  
 فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ بِطَلْحَةَ فَدَخَلَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ρ فَأَسْلَمَ طَلْحَةَ وَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ ρ  
 بِمَا قَالَ الرَّاهِبُ فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ρ، فَلَمَّا أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ وَطَلْحَةَ أَحَدَهُمَا نَوْفَلُ بْنُ حُوَيْلِدِ  
 بْنِ الْعَدَوِيَّةِ فَشَدَّهُمَا فِي حَبْلِ وَاحِدٍ وَلَمْ يَمْنَعْهُمَا بَنُو تَمِيمٍ . وَكَانَ نَوْفَلُ بْنُ حُوَيْلِدِ يُدْعَى ((  
 أَسَدُ قُرَيْشٍ)) فَلِذَلِكَ سَمَّى أَبُو بَكْرٍ وَطَلْحَةَ الْقَرِينَيْنِ ... . فَذَكَرَ الْحَدِيثَ . وَأَخْرَجَهُ  
 الْبَيْهَقِيُّ وَفِي حَدِيثِهِ، وَقَالَ النَّبِيُّ ρ: اللَّهُمَّ اكْفِنَا شَرَّ ابْنِ الْعَدَوِيَّةِ .  
 وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ قَالَ: أَسْلَمَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ  
 ابْنُ ثَمَانَ سِنِينَ، وَهَاجَرَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ عَشْرَةَ سَنَةً وَكَانَ عَمُّ الزُّبَيْرِ يُعَلِّقُ الزُّبَيْرَ فِي حَصِيرٍ  
 وَيُدَخِّنُ عَلَيْهِ بِالنَّارِ وَهُوَ يَقُولُ: ارْجِعْ إِلَى الْكُفْرِ . فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ: لَا أَكْفُرُ أَبَدًا .  
 وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ أَيْضًا عَنْ حَفْصِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ حَدَّثَنِي شَيْخٌ قَدِيمٌ عَلَيْنَا مِنَ الْمُوصِلِ قَالَ  
 : صَحِبْتُ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَأَصَابَتْهُ جَنَابَةٌ بِأَرْضِ قَفْرِ  
 فَقَالَ: اسْتُرْنِي . فَسَتَرْتُهُ فَحَانَتْ مِنِّي التِّفَاعَةُ فَرَأَيْتُهُ مُجَدِّعًا بِالسَّيْفِ . قُلْتُ: وَاللَّهِ لَقَدْ  
 رَأَيْتُ بِكَ آثَارًا مَا رَأَيْتُهَا بِأَحَدٍ قَطٍ؟ قَالَ: وَقَدْ رَأَيْتَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ . قَالَ: أَمَا  
 وَاللَّهِ مَا مَنَّا جِرَاحَةً إِلَّا مَعَ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَعِنْدَ أَبِي نُعَيْمٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي مَنْ رَأَى الرَّبِيبَ وَإِنَّ فِي صَدْرِهِ لَأَمْثَالَ الْعُيُونِ مِنَ الطَّعْنِ وَالرَّمْيِ .

أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ سَبْعَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعِمَارُ وَأُمُّهُ سَمِيَّةُ وَصُهَيْبٌ وَبِلَالٌ وَالْمَقْدَادُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَالْبَسُوهُمْ أَذْرَعِ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ فَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ أَنَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا إِلَّا بِلَالٌ فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَخَذُوهُ فَأَعْطُوهُ الْوِلْدَانَ فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ : أَحَدٌ أَحَدٌ .

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحَلِيَّةِ عَنْ هُشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ يَمُرُّ بِبِلَالٍ وَهُوَ يُعَذِّبُ وَهُوَ يَقُولُ : أَحَدٌ أَحَدٌ . فَيَقُولُ : أَحَدٌ أَحَدٌ ، اللَّهُ يَا بِلَالُ ثُمَّ يُقْبِلُ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ عَلَى أُمِّيَّةَ بْنِ خَلْفٍ وَهُوَ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِبِلَالٍ فَيَقُولُ : احْلِفْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَنْ نَقْتُلُوهُ عَلَى هَذِهِ لِأَنَّكَ حَنَانًا .

حَتَّى مَرَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يَوْمًا وَهُمْ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ فَقَالَ لِأُمِّيَّةَ : أَلَا تَتَّبِعِي اللَّهَ فِي هَذَا الْمِسْكِينِ حَتَّى مَتَى ؟ قَالَ : أَنْتَ أَفْسَدْتُهُ فَأَنْقِذْهُ مِمَّا تَرَى . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَفْعَلُ عِنْدِي غُلَامٌ أَسْوَدٌ أَجْلُدُ مِنْ هُوَ وَأَقْوَى عَلَى دِينِكَ أُعْطِيكَهُ بِهِ . قَالَ : قَدْ قَبِلْتُ . قَالَ : هُوَ لَكَ فَأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ غُلَامَهُ ذَلِكَ وَأَخَذَ بِلَالًا فَأَعْتَقَهُ .

ثُمَّ اعْتَقَ مَعَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يُهَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ سِتَ رِقَابٍ بِلَالٍ سَابِعُهُمْ . وَذَكَرَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحَلِيَّةِ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقٍ كَانَ أُمِّيَّةُ يُخْرِجُهُ إِذَا حَمَيْتِ الشَّمْسُ فَيَطْرَحُهُ عَلَى ظَهْرِهِ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَيُوضَعُ عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ يَقُولُ : لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّى تَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ وَتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى .

وَهُوَ يَتَوَلَّى فِي ذَلِكَ الْبَلَاءِ : أَحَدٌ أَحَدٌ . قَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَهُوَ يُدَكِّرُ بِلَالاً وَأَصْحَابِهِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَاعْتَقَ أَبا بَكْرٍ إِيَّاهُ وَكَانَ اسْمُ أَبِي بَكْرٍ عَتِيقًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا عَنِ بِلَالٍ وَصَحْبِهِ	عَتِيقًا وَأَخَزَى فَكَيْهًا وَأَبَا جَهْلٍ
عَشِيَّةَ هَمَّا فِي بِلَالٍ بِسَوْءَةٍ	وَلَمْ يَحْذَرَا مَا يَحْذُرُ الْمَرْءُ ذُو عَقْلِ
بِتَوْحِيدِهِ رَبِّ الْأَنْامِ وَقَوْلُهُ	وَلَمْ يَحْذَرَا مَا يَحْذُرُ الْمَرْءُ ذُو عَقْلِ
فِي أَنْ يَقْتُلُونِي يَقْتُلُونِي فَلَمْ أَكُنْ	لَأَشْرِكَ بِالرَّحْمَنِ مِنْ خِيفَةِ الْقَتْلِ
فِيَا رَبِّ إِبْرَاهِيمَ وَالْعَبْدِ يُونُسَ	وَمُوسَى وَعِيسَى نَجِّنِي ثُمَّ لَا تُبْلِ
لِمَنْ ظَلَّ الْعَيَّ مِنْ آلِ غَالِبٍ	عَلَى ضَرِّ بَرَكَانَ مِنْهُ وَلَا عَدْلٍ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاجْعَلْ الْإِيمَانَ لَنَا سِرَاجًا وَلَا تَجْعَلْهُ لَنَا اسْتِدْرَاجًا وَاجْعَلْهُ لَنَا سُلْمًا إِلَى جَنَّتِكَ وَلَا تَجْعَلْهُ لَنَا مَكْرًا مِنْ مَشِيئَتِكَ إِنَّكَ أَنْتَ الْحَلِيمُ الْعَفُورُ ، اللَّهُمَّ اَلْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الْأَبْرَارِ ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" فَصْلٌ " : أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ عَسَاكِرٍ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِعَمَارٍ وَأَهْلِهِ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ . فَقَالَ : « أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ وَآلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ » . قَالَ الْهَيْثَمِيُّ : رَجُلٌ الطَّبْرَانِيُّ رَجُلٌ الصَّحِيحُ غَيْرَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمُتَقَوْمِ وَهُوَ ثِقَةٌ .

وَأَخْرَجَ أَبُو أَحْمَدَ الْحَاكِمُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَاسِرٍ وَعَمَّارٍ وَأُمَّ عَمَّارٍ وَهُمْ يُؤَذُونَ فِي اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ لَهُمْ : « صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ » . رَوَاهُ ابْنُ الْكَلْبِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَحْوَهُ وَزَادَ : وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِرٍ . وَزَادَ : وَطَعَنَ أَبُو جَهْلٍ سُمِّيَةَ فِي قُبُلِهَا فَمَاتَتْ وَمَاتَ يَاسِرٌ فِي الْعَذَابِ وَرُمِيَ عَبْدُ اللَّهِ فَسَقَطَ .

وَعِنْدَ أَحْمَدَ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : أَوَّلُ شَهِيدٍ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ اسْتُشْهِدَ أُمُّ عَمَّارٍ سُمِّيَتْ طَعْنَهَا أَبُو جَهْلٍ بِحَرْبَةٍ فِي قُبُلِهَا . وَعَنْ عَمْرُو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ : أَحْرَقَ الْمُشْرِكُونَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ بِالنَّارِ . قَالَ : فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمُرُّ بِهِ وَيُمِرُّ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَقُولُ : يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى عَمَّارٍ كَمَا كُنْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، تَفْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ » . فَفَتَلَهُ أَحَدُ الْمُقَاتِلِينَ مَعَ مُعَاوِيَةَ .

شِعْرًا : وَلَا غُرُورَ بِالْأَشْرَافِ إِنْ ظَفِرَتْ بِهِمْ كِلَابُ الْأَعَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِيٍّ فَحَرْبُهُ وَخَشِيٌّ سَقَتْ حَمَزَةَ الرَّدَى وَمَوْتُ عَلِيٍّ مِنْ حُسَامِ ابْنِ مُلْجَمٍ

وَعِنْدَ الْحَاكِمِ فِي الْكُفَى وَابْنُ عَسَاكِرٍ عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْبَطْحَاءِ إِذْ بَعَمَّارٍ وَأَبِيهِ وَأُمُّهُ يُعَذِّبُونَ فِي الشَّمْسِ لِيَزْتَدُوا عَنْ الْإِسْلَامِ . فَقَالَ أَبُو عَمَّارٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ الدَّهْرُ هَكَذَا ؟ فَقَالَ : « صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لآلِ يَاسِرٍ وَقَدْ فَعَلْتَ » .

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ ج ( ١ ) ص ( ١٤٠ ) عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ : أَخَذَ الْمُشْرِكُونَ عَمَّارًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَمْ يَنْزِكُوهُ حَتَّى سَبَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَذَكَرَ آهَتَهُمْ بِحَيْرٍ ، فَلَمَّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : شَرٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . مَا تَرَكْتُ حَتَّى نَلْتُ مِنْكَ وَذَكَرْتُ آهَتَهُمْ بِحَيْرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَكَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ ؟ قَالَ : أَجِدُ قَلْبِي مُطْمَئِنًّا بِالْإِيمَانِ . قَالَ : « فَإِنْ عَادُوا فَعُدْ » . وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ نَحْوَهُ .

أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ : دَخَلَ حَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَجْلَسَهُ عَلَى مُتَّكِنِهِ فَقَالَ : مَا عَلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ أَحَقُّ بِهَذَا الْمَجْلِسِ مِنْ هَذَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ . قَالَ لَهُ حَبَّابُ : مَنْ هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : بِلَالٌ . فَقَالَ حَبَّابُ : مَا هُوَ أَحَقُّ مِنِّي إِنْ بِلَالًا كَانَ لَهُ فِي الْمُشْرِكِينَ مَنْ يَمْنَعُهُ اللَّهُ بِهِ ، وَمَنْ يَكُنْ لِي أَحَدٌ يَمْنَعُنِي ، فَلَقَدْ رَأَيْتَنِي يَوْمًا ، أَخَذُونِي فَأَوْقَدُوا لِي نَارًا ، ثُمَّ سَلَفُونِي فِيهَا ثُمَّ وَضَعُوا رَجُلًا رِجْلَهُ عَلَى صَدْرِي

فَمَا اتَّقَيْتُ الْأَرْضَ - أَوْ قَالَ : بَرَدَ الْأَرْضِ - إِلَّا بِظَهْرِي ، ثُمَّ كَشَفَ عَنْ ظَهْرِهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ بَرَصَ ، أَي مِنْ أَثَرِ التَّعْدِيْبِ بِالنَّارِ .

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ خَبَابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ رَجُلًا قَيِّنًا وَكَانَ لِي عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَاثِلٍ دَيْنٌ فَأَتَيْتُهُ أَنْقَاضَاهُ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أَقْضِيَنَّكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ  $\rho$  . فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ لَا أَكْفُرُ بِمُحَمَّدٍ  $\rho$  حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ تُبْعَثَ . قَالَ : فَإِنِّي إِذَا مِتُّ ثُمَّ جِئْتَنِي وَلِي ثُمَّ مَاتَ وَوُلِدْتُ فَأُعْطِيكَ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ . وَعِنْدَ أَبِي نُعَيْمٍ فِي الْحَلِيَّةِ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : سَأَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِإِلَاحًا عَمَّا لَقِيَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . فَقَالَ خَبَابٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! انْظُرْ إِلَى ظَهْرِي . فَقَالَ عُمَرُ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ . قَالَ : أَوْقَدُوا لِي نَارًا فَمَا أَطْفَأَهَا إِلَّا وَدَكَ ظَهْرِي .

شِعْرًا : إِنَّ الشَّدَائِدَ قَدْ تَغَشَى الْكَرِيمَ لِأَنَّ تَبِينَ فَضْلَ سَجِيَاهُ وَتَوْضِيحَهُ  
كَمَبْرَدِ الْقَيْنِ إِذْ يَغْلُو الْحَدِيدَ بِهِ وَلَيْسَ يَأْكُلُهُ إِلَّا لِيُصْلِحَهُ

قَالَ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مُجَالَسَةً ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رُوحَ اللَّهِ . قَالَ : مَنْ تَذَكَّرَكُمْ بِاللَّهِ رُؤْيِيَّتُهُ وَيُرِيدُكُمْ فِي عَمَلِكُمْ مَنْطِقِهِ وَيُشَوِّقُكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ عَمَلُهُ . وَقَالَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْحَوَارِيِّينَ : وَيْلُكُمْ ، يَا عِبِيدَ الدُّنْيَا كَيْفَ تُخَالِفُ فُرُوعَكُمْ أَصُولَكُمْ وَأَهْوَاؤَكُمْ عُقُولَكُمْ ، قَوْلُكُمْ شِقَاءٌ يُبْرُؤُ الدَّاءَ ، وَفِعْلُكُمْ دَاءٌ لَا يَقْبَلُ الدَّوَاءَ لَسْتُمْ كَالكَرْمَةِ الَّتِي حَسُنَ وَرَقُهَا وَطَابَ ثَمْرُهَا وَسَهَّلَ مُرْتَقَاهَا ، وَلَكِنَّكُمْ كَالسُّمْرَةِ الَّتِي قَلَّ وَرَقُهَا وَكَثُرَ شَوْكُهَا وَصَعِبَ مُرْتَقَاهَا .

وَيْلُكُمْ يَا عِبِيدَ الدُّنْيَا جَعَلْتُمْ الْعَمَلَ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ مِنْ شَاءَ أَحَدُهُ وَجَعَلْتُمْ الدُّنْيَا فَوْقَ رُؤْسِكُمْ لَا يُمْكِنُ تَنَاوُلُهَا فَلَا أَنْتُمْ عِبِيدٌ نُصَحًا وَلَا أَحْرَارٌ كِرَامًا . وَيْلُكُمْ يَا أَجْرَاءَ السُّوءِ ، الْأَجْرُ تَأْخُذُونَ وَالْعَمَلُ يُفْسِدُونَ سَوْفَ تَلْفُونَ مَا

تَحَذَرُونَ إِذَا نَظَرَ رَبُّ الْعَمَلِ فِي عَمَلِهِ الَّذِي أَفْسَدْتُمْ وَأَجْرِهِ الَّذِي أَخَذْتُمْ .  
 وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اتَّخِذُوا الْمَسَاجِدَ بِيوتًا ، وَالبيوتَ مَنَازِلَ ، وَكُلُوا بَقُلِّ الْبَرِيَّةِ ، وَاشْرَبُوا  
 الْمَاءَ الْقُرَاحَ ، وَابْجُؤا مِنَ الدُّنْيَا سَالِمِينَ . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْحَوَارِيِّينَ : لَا تَنْظُرُوا فِي  
 أَعْمَالِ النَّاسِ كَأَنَّكُمْ أَرْبَابٌ ، وَانظُرُوا فِي أَعْمَالِكُمْ كَأَنَّكُمْ عبيدٌ ، فَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ مُبْتَلَى  
 وَمُعَافَى فَارْحَمُوا أَهْلَ الْبَلَاءِ ، وَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى الْعَافِيَةِ . وَقَالَ : عَجَبًا لَكُمْ تَعْمَلُونَ لِلدُّنْيَا  
 وَأَنْتُمْ تُرْزَقُونَ فِيهَا بِلا عَمَلٍ ، وَلَا تَعْمَلُونَ لِآخِرَةِ وَأَنْتُمْ لَا تُرْزَقُونَ فِيهَا بِلا عَمَلٍ .

اللَّهُمَّ سَلِّمْنا مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ وَعَافِنَا مِنْ أَسْبَابِ الْمِحَنِ وَالْبَلِيَّاتِ ، وَوَقِّفْنَا لِلْعَمَلِ  
 بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَارْزُقْ لَنَا فِي مَرْضَاتِكَ الدَّرَجَاتِ وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ فِي  
 فَسِيحِ الْجَنَّاتِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا  
 تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيَقْظُنَّا مِنْ نَوْمِ الْعَقْلَةِ ، وَنَبَّهَنَا لِاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهَلَّةِ وَوَقِّفْنَا لِمَصَالِحِنَا  
 وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا ، وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا ، وَأَكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ  
 الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنَّا ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ ،  
 وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .  
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

**فصل :** أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ  
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَخِيهِ : ارْكَبْ عَلَى هَذَا الْوَادِي فَاعْلَمْ عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّه  
 نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ وَاسْمِعْ قَوْلَهُ ثُمَّ اثْنِي ، فَاِنْطَلَقَ الْأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ ،  
 ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ : رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشَّعْرِ . فَقَالَ :  
 شَفَيْتَنِي بِمَا أَرَدْتُ .

فَتَرَوَدَّ حِمْلَ شَنَّةٍ فِيهَا مَاءٌ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَأَتَى الْمَسْجِدَ فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ وَلَا يَعْرِفُهُ وَكَرِهَ أَنْ  
 يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّى أَدْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ اضْطَجَعَ فَرَأَاهُ عَلِيٌّ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ فَلَمَّا رَأَهُ تَبِعَهُ فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ .

ثُمَّ احْتَمَلَ قَرِيبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَا يَرَاهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَمْسَى ، فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ فَقَالَ : أَمَا أَنْ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ ، فَأَقَامَهُ ، فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ ، لَا يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثِ ، فَعَادَ عَلِيٌّ ذَلِكَ فَأَقَامَ مَعَهُ .

ثُمَّ قَالَ : أَلَا تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقَدَمَكَ ؟ قَالَ : إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لِتُرْشِدَنِي فَعَلْتُ . فَفَعَلَ ، فَأَخْبَرَهُ قَالَ : فَإِنَّهُ حَقٌّ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتَّبِعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي فَفَعَلَ ، فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَدَخَلَ مَعَهُ فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « إِرْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي .

قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ ، وَآتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَالَ : وَيْلُكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارَتِكُمْ إِلَى الشَّامِ فَأَنْقَدَهُ مِنْهُمْ .

ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِّ بِمِثْلِهَا فَضَرَبُوهُ وَتَارُوا فَأَكَبَّ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ . وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَقَالُوا : قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ فَقَامُوا فَضَرَبَتْ لَأْمُوتَ . فَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : وَيْلُكُمْ تَقْتُلُونَ رَجُلًا مِنْ غِفَارٍ وَمَتَجَرَّتُمْ وَمَمَرْتُمْ عَلَى غِفَارٍ فَأَقْلَعُوا عَنِّي .



فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الْعَدَّ رَجَعْتُ فَقُلْتُ : مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالْأَمْسِ ، فَقَالُوا : قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِيِّ فَصْنِعْ بِي مِثْلَ مَا صْنِعَ بِالْأَمْسِ فَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ وَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالْأَمْسِ .

شِعْرًا : طَالَعُ تَوَارِيخَ مَنْ فِي الدَّهْرِ قَدْ وُجِدُوا تَجِدُ أَكَابِرَهُمْ قَدْ جَرَّعُوا غُصَصًا  
تَجِدُ خُطُوبًا تُسَلِّي عَنْكَ مَا تَجِدُ مِنْ الرِّزَايَا بِهَا قَدْ فُتِنْتَ كُبْدُ  
عَزْلٌ وَنَهْبٌ وَضَرْبٌ بِالسَّيَاطِ يَلِي حَبْسٌ وَقَتْلٌ وَتَشْرِيدٌ لِمَنْ زَهْدُوا  
وَإِنْ وُقِيتَ بِحَمْدِ اللَّهِ شَرَّتْهُمْ فَلْتَحْمَدِ اللَّهَ فِي الْعُقْبَى كَمَنْ حَمِدُوا

آخر : وَلَا يَلْبِثُ الْجُهَّالُ أَنْ يَتَهَطُّوا أَخَا الدِّينِ مَا لَمْ يَسْتَعِنَ بِسَفِيهِ  
آخر : وَمَنْ يَخْلَمَ وَلَيْسَ لَهُ سَفِيهَةٌ يُلَاقِي الْمُعْضَلَاتِ مِنَ النُّدُولِ  
آخر : مَا إِنَّ نَفَى عَنْكَ قَوْمًا قُرْبُهُمْ ضَرُرٌ كَمِثْلِ قَمْعِكَ جُهَّالًا بِجُهَّالٍ  
آخر : تَعَدُّ الذَّنَابِ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَتَّقِي مَرِيضَ الْمُسْتَأْسِدِ الْحَامِي

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ يَقُولُ أَبُو دَرٍّ : فَرَمَانِي النَّاسُ حَتَّى كَأَنِّي نَصَبُ أَحْمَرٍ فَاخْتَبَأْتُ بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَأَسْتَارِهَا وَلَبِثْتُ فِيهَا خَمْسَ عَشْرَةَ مِنْ يَوْمٍ وَكَلِيلَةٌ مَا لِي طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ إِلَّا مَاءٌ زَمَزَمَ .

قَالَ : وَلَقِينَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَدْ دَخَلَا الْمَسْجِدَ فَوَاللَّهِ أَنِّي لَأَوَّلُ النَّاسِ حَيًّا بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ . فَقُلْتُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَقَالَ : « وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، مَنْ أَنْتَ » . فَقُلْتُ : رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ . فَقَالَ صَاحِبُهُ : ائْذَنْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي ضِيَاةِ اللَّيْلَةِ ، فَأَنْطَلَقَ بِي إِلَى دَارٍ فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فُقْبِضَ لِي قَبْضَاتٌ مِنْ زَيْبٍ . قَالَ : فَقَدِمْتُ عَلَى أَخِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَسَلَمْتُ . قَالَ : فَإِنِّي عَلَى دِينِكَ ، فَأَنْطَلَقْنَا إِلَى أُمَّنَا فَقَالَتْ : إِنِّي عَلَى دِينِكُمْ . قَالَ : وَأَتَيْتُ قَوْمِي فَدَعَوْتُهُمْ فَتَبِعَنِي بَعْضُهُمْ .

وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحَلِيَّةِ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ أَبِي دَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَقَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ فَعَلَّمَنِي

الإسلامَ وَقَرَأْتُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَظْهَرَ دِينِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تُقْتَلَ » . قُلْتُ : لَا بُدَّ مِنْهُ وَإِنْ قُتِلْتُ . قَالَ : فَسَكَتَ عَنِّي فَجِئْتُ وَقُرَيْشٌ حِلْفًا يَتَحَدَّثُونَ فِي الْمَسْجِدِ فَقُلْتُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ .

فَانْتَفَضَتِ الْحِلْفُ فَقَامُوا فَضَرَبُونِي حَتَّى تَرَكُونِي كَأَنِّي نُصِبْتُ أَحْمَرَ ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُونِي ، فَأَقْبَتُ فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَرَأَى مَا بِي مِنَ الْحَالِ . فَقَالَ : « أَلَمْ أَنْهَكَ » ؟ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَتْ حَاجَةٌ فِي نَفْسِي فَقَضَيْتُهَا . فَأَقْبَتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « الْحَقُّ بِقَوْمِكَ فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورِي فَأْتِنِي » .

وَعَنْ أَبِي دَرِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْتُ مَكَّةَ فَمَالَ عَلِيٌّ أَهْلَ الْوَادِي بِكُلِّ مَدْرَةٍ وَعَظْمٍ ، فَخَرَرْتُ مَعْشِيًّا عَلَيَّ ، فَارْتَفَعْتُ حِينَ ارْتَفَعْتُ كَأَنِّي نُصِبْتُ أَحْمَرَ .

آخر : تَسْطُوا الْكِلَابَ عَلَى أَسَدِ الشَّرِّ سَفْهًا وَالْبِازُ الْأَشْهَبُ يَخْشَى صَوْلَةَ الْحَجَلِ شِعْرًا : وَالْقِرْدُ يَضْحَكُ مِنْ نَمْرٍ عَلَى هُزْءٍ وَالْكَلْبُ يُوعِدُ لَيْثَ الْغَيْلِ بِالْغَيْلِ

آخر : وَإِنِّي لِأَسْتَيْقِي إِمْرًا السُّوءَ عَدَّةً لِعَدْوَةِ عَرِيضٍ مِنَ الْقَوْمِ جَانِبِ أَخَافُ كِلَابَ الْأَبْعَدِينَ وَهَرَشَهَا إِذَا لَمْ تُهَارِشَهَا كِلَابُ الْأَقَارِبِ

" موعظة " : عِبَادَ اللَّهِ تَزَوَّدُوا لِلرَّحِيلِ ، فَقَدْ دَنَتْ الْأَجَالُ وَاجْتَهِدُوا وَاسْتَعِدُّوا لِلرَّحِيلِ ، فَقَدْ قُرِبَ الْإِرْتِحَالُ ، وَمَهَّدُوا لِأَنْفُسِكُمْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتَ بِالْفُرَاقِ وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَشْرَفَتْ لِلتَّلَاقِ فَتَزَوَّدُوا مِنْ دَارِ الْإِنْتِقَالِ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ .

وَاسْتَشْعِرُوا التَّفَقُّوْا فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَأَحْذَرُوا التَّفَاخَرَ وَالتَّكَاثُرَ فِي الدُّنْيَا بِجَمْعِ الْخَطَامِ وَكَتْسَابِ الْآثَامِ وَإِيَّاكُمْ وَالْإِغْتِرَارَ بِالْأَمَالِ فَوَرَاءَكُمْ الْمَقَابِرُ ذَاتُ الْوَحْشَةِ وَالْهُمُومِ وَالْعُمُومِ وَالْكُرْبَاتِ وَنَضَائِقِ الْأَنْفَاسِ وَالْأَهْوَالِ الْمُفْضِعَاتِ .



قَالَ : فَمَشَى عُمَرُ ذَامِرًا حَتَّى أَتَاهُمَا وَعِنْدَهُمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ يُقَالُ خَبَّابُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : فَسَمِعَ خَبَّابُ حِسَّ عُمَرَ فَتَوَارَى فَدَخَلَ عَلَيْهِمَا فَقَالَ : مَا هَذَا هِرَاهُ الْهَيْمَنَةُ الَّتِي سَمِعْتُهَا عِنْدَكُمْ . قَالَ : وَكَانُوا يَقْرَأُونَ ﴿ طه ﴾ فَقَالَا : مَا عِنْدَنَا حَدِيثًا تَحَدَّثْنَا بِهِ بَيْنَنَا . قَالَ : فَلَعَلَّكُمْ قَدْ صَبَوْتُمَا .

قَالَ : فَقَالَ لَهُ خَتْنُهُ : أَرَأَيْتَ يَا عُمَرُ إِنْ كَانَ الْحَقُّ فِي عَبْرٍ دِينِكَ ؟ فَوَثَبَ عُمَرُ عَلَى خَتْنِهِ فَوَطَّأَهُ وَطَأً شَدِيدًا فَجَاءَتْ أُخْتُهُ فَدَفَعَتْهُ عَنْ رُوحِهَا فَنَفَحَهَا بِيَدِهِ - أَي لَطَمَهَا - فَدَمَى وَجْهَهَا فَقَالَتْ - وَهِيَ غَضْبَى - : يَا عُمَرُ إِنْ كَانَ الْحَقُّ فِي عَبْرٍ دِينِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ .

فَلَمَّا بَيَّسَ عُمَرُ قَالَ : اعْطُونِي الْكِتَابَ هَذَا الَّذِي عِنْدَكُمْ فَأَقْرَأَهُ . قَالَ : وَكَانَ عُمَرُ : يَقْرَأُ الْكُتُبَ . فَقَالَتْ أُخْتُهُ : إِنَّكَ رَجِسٌ وَلَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ فَاعْتَسَلْ وَتَوَضَّأْ . قَالَ . فَقَامَ وَتَوَضَّأَ ثُمَّ أَخَذَ الْكِتَابَ فَقَرَأَ ﴿ طه ﴾ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ : ذُلُّونِي عَلَى مُحَمَّدٍ فَلَمَّا سَمِعَ خَبَّابٌ قَوْلَ عُمَرَ خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ فَقَالَ : أَبَشِرْ يَا عُمَرُ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونَ دَعْوَةَ رَسُولِ اللَّهِ لَكَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ . اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ هُشَامٍ . قَالَ : وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الدَّارِ الَّتِي فِي أَصْلِ الصَّفَا فَاَنْطَلَقَ عُمَرُ حَتَّى أَتَى الدَّارَ .

قَالَ : وَعَلَى بَابِ الدَّارِ حَمْرَةٌ وَطَلْحَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَأَى حَمْرَةَ وَجَلَّ الْقَوْمُ مِنْ عُمَرَ قَالَ حَمْرَةٌ : نَعَمْ فَهَذَا عُمَرُ فَإِنْ يُرِدُ اللَّهُ بِعُمَرَ خَيْرًا يُسَلِّمُ وَيَتَّبِعُ النَّبِيَّ ﷺ وَإِنْ يُرِدُ اللَّهُ غَيْرَ ذَلِكَ يَكُنْ قَتْلُهُ عَلَيْنَا هَيِّنًا .

قَالَ : وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَاخِلٌ يُوحَى إِلَيْهِ قَالَ : فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى عُمَرَ فَأَخَذَ بِمِخَامِعِ ثَوْبِهِ وَحَمَائِلِ السَّيْفِ وَقَالَ : مَا أَنْتَ بِمُنْتَهٍ يَا عُمَرُ حَتَّى

يُنزِلُ اللهُ بِكَ مِنَ الْحَزِي وَالنَّكَالِ مَا أَنْزَلَ بِالْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، اللَّهُمَّ هَذَا عُمَرُ ابْنِ  
الْحَطَّابِ اللَّهُمَّ أَعِزِّ الدِّينِ بِعُمَرَ بْنِ الْحَطَّابِ . قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ  
. فَأَسْلَمَ وَقَالَ : أَخْرِجْ يَا رَسُولَ اللهِ .

أَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحَلِيَّةِ عَنْ عُمَانَ قَالَ : لَمَّا رَأَى ابْنُ مَطْعُونٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَا فِيهِ  
أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْبَلَاءِ وَهُوَ يَغْدُو وَيَرُوحُ فِي أَمَانٍ مِنَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، قَالَ :  
وَاللَّهِ إِنَّ عَدُوِي وَرَوَّاحِي أَمِنَّا بِجَوَارِي رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشُّرْكِ وَأَصْحَابِي وَأَهْلِ دِينِي يَلْتَمُونَ مِنْ  
الْأَذَى وَالْبَلَاءِ مَا لَا يُصِيبُنِي لِنَقْصِ كَبِيرٍ فِي نَفْسِي .

فَمَشَى إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ فَقَالَ : لَا يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ وَفَتِ ذِمَّتِكَ قَدْ رَدَدْتُ إِلَيْكَ  
جَوَارِكَ . قَالَ : لَمْ يَا ابْنَ أَخِي لَعَلَّهُ آذَاكَ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِي ؟ قَالَ : لَا وَلَكِنِّي أَرْضَى بِجَوَارِي  
اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا أُرِيدُ أَنْ أَسْتَجِيرَ بغيرِهِ . قَالَ : فَانْطَلِقْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَارْزُدْ عَلَيَّ جَوَارِي  
عَلَانِيَةً كَمَا أَجْرْتِكَ عَلَانِيَةً .

قَالَ : فَانْطَلَقْنَا ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى أَتَيْتِ الْمَسْجِدَ فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : هَذَا عُمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَدْ  
جَاءَ يَرُدُّ عَلَيَّ جَوَارِي . قَالَ لَهُمْ : قَدْ صَدَقَ قَدْ وَجَدْتُهُ وَفِيَّا كَرِيمَ الْجَوَارِي وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ  
لَا أَسْتَجِيرَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِ جَوَارِي .

ثُمَّ انْصَرَفَ عُمَانُ وَلَيْدُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنُ مَالِكِ بْنِ كِلَابِ الْقَيْسِيِّ فِي الْمَجْلِسِ مِنْ قُرَيْشٍ  
يَنْشِدُهُمْ فَحَلَسَ مَعَهُمْ عُمَانُ فَقَالَ لَيْدٌ وَهُوَ يَنْشِدُهُمْ : أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهُ  
بِاطِلًا .

فَقَالَ عُمَانُ : صَدَقْتَ . فَقَالَ : وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ . فَقَالَ عُمَانُ : كَذِبْتَ ، نَعِيمُ  
الْجَنَّةِ لَا يَزُولُ . قَالَ لَيْدُ بْنُ رَبِيعَةَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ وَاللَّهِ مَا كَانَ يُؤَدِّي جَلِيسُكُمْ فَمَتَى  
حَدَّثَ فِيكُمْ هَذَا ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : إِنَّ هَذَا سَفِيهٌ مِنْ سَفَهَاءِ مَعَهُ قَدْ فَارَقُوا دِينَنَا  
فَلَا تَجِدَنَّ فِي نَفْسِكَ مَنْ قَوْلِهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ عُمَانُ حَتَّى

سَرَى - أَي عَظُمَ أَمْرُهَا فَقَامَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الرَّجُلَ فَلَطَمَ عَيْنَهُ فَخَطَرَهَا وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةَ قَرِيبُ يَرَى مَا بَلَغَ مِنْ عُثْمَانَ . فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ يَا ابْنَ أَحِي إِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ عَمَّا أَصَابَهَا لَعْنِيَّةٌ ! لَقَدْ كُنْتُ فِي ذِمَّةٍ مَنِيعَةٍ . فَقَالَ عُثْمَانُ : بَلَى وَاللَّهِ إِنْ عَيْنِي الصَّحِيحَةُ لَفَقِيرَةٌ إِلَى مَا أَصَابَ أُخْتَهَا فِي اللَّهِ ، وَإِنِّي لَفِي جَوَارٍ مَنْ هُوَ أَعَزُّ مِنْكَ وَأَقْدَرُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ . وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ فِيمَا أُصِيبَ مِنْ عَيْنِهِ :

شِعْرًا : فَإِنْ تَكُ عَيْنِي فِي رِضَى اللَّهِ نَالَهَا      يَدَا مُلْحِدٍ فِي الدِّينِ لَيْسَ بِمُهْتَدٍ  
فَقَدْ عَوَّضَ الرَّحْمَنُ مِنْهَا ثَوَابَهُ      وَمَنْ يَرْضَهُ الرَّحْمَنُ يَا قَوْمُ يَسْعَدِ  
فَأِنِّي وَقَدْ قُلْتُمْ غَوِيٍّ مُضَلَّلٌ      سَفِيهِ عَلَى دِينِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ  
أُرِيدُ بِذَلِكَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ دِينَنَا      عَلَى رَغْمٍ مَنْ يَبْغِي عَلَيْنَا وَيَعْتَدِي

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَّتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَعِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّضَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُرِيْلُ مَا حَدَثَ مِنْ الْبِدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَيُقِيمَ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعَ أَهْلَ الزِّنْغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ بَارَكَ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَا دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ وَجُوبِ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَعْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" فَصْلٌ " : أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّبِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ فَتَى مَكَّةَ شَبَابًا وَجَمَالًا وَكَانَ أَبَوَاهُ يُجَبِّنُهُ وَكَانَتْ أُمُّهُ مَلِيئَةً - أَي غَنِيَّةً كَثِيرَةَ الْمَالِ - تَكْسُوهُ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الثِّيَابِ ، وَأَرْقَهُ ، وَكَانَ أَعْطَرُ أَهْلِ مَكَّةَ ، يَلْبَسُ الْحُضْرَمِيَّ مِنَ النَّعَالِ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُهُ ،

وَيَقُولُ : « مَا رَأَيْتُ بِمَكَّةَ أَحْسَنَ لُمَّةً ، وَلَا أَرْقَ حُلَّةً ، وَلَا أَنْعَمَ نِعْمَةً مِنْ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ .

فَبَلَّغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ فِي دَارِ أَرْقَمٍ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ وَصَدَّقَ بِهِ ، وَخَرَجَ فَكَتَمَ إِسْلَامَهُ ، خَوْفًا مِنْ أُمَّهِ وَقَوْمِهِ ، فَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرًّا فَبَصُرَ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ يُصَلِّي فَأَخْبَرَ أُمَّهُ وَقَوْمَهُ فَأَخَذُوهُ فَحَبَسُوهُ فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا ، حَتَّى خَرَجَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فِي الْهَجْرَةِ الْأُولَى ، ثُمَّ رَجَعَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ حِينَ رَجَعُوا ، فَرَجَعَ مُتَعَيِّرَ الْحَالِ قَدْ خَرَجَ فَكَفَّتْ أُمُّهُ عَنْهُ مِنَ الْعَدْلِ .

وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُقْبِلًا عَلَيْهِ إِهَابٍ كَبِشٍ - أَي جُلْدٍ كَبِشٍ - ( قَدْ تَمَنَّقَ بِهِ ) - أَي شَدَّهُ فِي وَسْطِهِ ، فَقَالَ : « انظُرُوا إِلَى هَذَا نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بَيْنَ أَبَوَيْنِ يُعْذُوَانِهِ بِأَطْيَبِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتَ عَلَيْهِ حُلَّةً شَرَاهَا - أَوْ شَرَيْتَ - بِمِائَةِ دَرَاهِمٍ فَدَعَاهُ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى مَا تَرَوْنَ .

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ أَبُو يَعْلَى وَابْنُ رَاهَوِيَهُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : خَرَجْتُ فِي غَدَاةِ شَايَةِ مِنْ بَيْتِي جَائِعًا حَرَصًا قَدْ أَذْلَقَنِي الْبُرْدُ ، فَأَخَذْتُ إِهَابًا مَعْطُونًا كَانَ عِنْدَنَا فَجَبَيْتُهُ .

ثُمَّ أَذْخَلْتُهُ فِي عُنُقِي ثُمَّ حَزَمْتُهُ عَلَى صَدْرِي اسْتَدْفِي بِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا فِي بَيْتِي شَيْءٌ أَكَلْتُ مِنْهُ ، وَلَوْ كَانَ فِي بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ لَبَلَّغَنِي ، فَخَرَجْتُ فِي بَعْضِ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ ، فَاطَّلَعْتُ إِلَى يَهُودِيٍّ فِي حَائِطٍ مِنْ ثَغْرَةِ جِدَارِهِ ، فَقَالَ : مَا لَكَ يَا أَعْرَابِي هَلْ لَكَ فِي كُلِّ دَلْوٍ بِنَمْرَةٍ ، فَقُلْتُ : نَعَمْ فَافْتَحَ الْحَائِطَ فَفَتَحَ لِي فَدَخَلْتُ أَنْزِعُ دَلْوًا وَيُعْطِينِي تَمْرَةً حَتَّى امْتَلَأَتْ كَفِّي . قُلْتُ : حَسْبِي مِنْكَ الْآنَ .

ثُمَّ جِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَلَسْتُ إِلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ ، وَهُوَ فِي عُصَابَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَاطَّلَعَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بُرْدَةٍ لَهُ مَرْفُوعَةٍ ، فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ وَرَأَى حَالَهُ الَّذِي هُوَ عَلَيْهَا فَدَرِفَتْ عَيْنَاهُ ، فَبَكَى ثُمَّ قَالَ : « كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا عَدَا أَحَدُكُمْ فِي حُلَّةٍ وَرَاحٍ فِي أُخْرَى ، وَسُتِرَتْ بِيَوْتِكُمْ كَمَا تُسْتَرُ الْكَعْبَةُ قُلْنَا نَحْنُ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ نُكْفَى الْمُؤَنَّةَ ، وَنَتَفَرَّغُ لِلْعِبَادَةِ . قَالَ : « بَلْ أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ » . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَلِكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَاتِكَ ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزِلِ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَخْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" فَصَلِّ " : قِصَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُدَافَةَ السَّهْمِيِّ مَعَ مَلِكِ الْفُرْسِ مَشْهُورَةٌ وَذَلِكَ أَنَّهُ فِي السُّنَّةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ حِينَ عَزَمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَبْعَثَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ بِكُتُبٍ إِلَى مُلُوكِ الْأَعَاجِمِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ .

وَلَقَدْ كَانَ ﷺ يُقَدِّرُ خُطُورَةَ هَذِهِ الْمُهَيَّمَةِ فَهَوْلَاءِ الرُّسُلِ سَيَذْهَبُونَ إِلَى بِلَادٍ نَائِيَةٍ لَا عَهْدَ لَهُمْ بِهَا مِنْ قَبْلُ ، يَجْهَلُونَ لُغَاتِهِمْ وَلَا يَعْرِفُونَ شَيْئًا عَنْ أَخْلَاقِ مُلُوكِهِمْ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ سَيَدْعُونَ هَوْلَاءِ إِلَى تَرْكِ مَا عَلَيْهِ آبَاؤُهُمْ وَالذُّخُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِلْحَادِ وَالْكَفْرِ .

إِنَّهَا رِحْلَةٌ خَطِيرَةٌ الدَّاهِبُ إِلَيْهَا مَفْقُودٌ ، وَالْعَائِدُ مِنْهَا مَوْلُودٌ ، لِذَلِكَ جَمَعَ الْمُصْطَفَى ﷺ أَصْحَابَهُ وَقَامَ فِيهِمْ خَطِيبًا ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَتَشَهَّدَ ثُمَّ



قَالَ : أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَ بَعْضَكُمْ إِلَى مُلُوكِ الْأَعَاجِمِ ، فَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيَّ ، كَمَا اخْتَلَفْتُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ .

فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نُؤَدِّي عَنْكَ مَا تُرِيدُ ، فَابْعَثْنَا حَيْثُ شِئْتُمْ ، انْتَدَبَ ﷺ مِنَ الصَّحَابَةِ لِيَحْمِلُوا كُتُبَهُ إِلَى مُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَكَانَ أَحَدُ هَؤُلَاءِ السُّنَّةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُدَافَةَ السَّهْمِيُّ ، اخْتَارَهُ لِحَمْلِ رِسَالَتِهِ إِلَى كِسْرَى مَلِكِ الْفُرسِ . فَجَهَّزَ عَبْدُ اللَّهِ رَاحِلَتَهُ وَوَدَّعَ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ ، وَمَضَى إِلَى غَايَتِهِ تَرْفَعُهُ النَّجَادُ وَتَحْطُّهُ الْوَهَادُ ، حَتَّى دِيَارِ فَارِسِ ، فَاسْتَأْذَنَ بِالذُّخُولِ عَلَى مَلِكِهَا ، وَأَخْطَرَ أَعْوَانَ الْمَلِكِ بِالرِّسَالَةِ الَّتِي يَحْمِلُهَا بِأَنَّهَا ذَاتُ اهْتِمَامٍ .

عِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ كِسْرَى بِإِيْوَانِهِ فَرِيْنٍ ، وَدَعَا عُظَمَاءَ فَارِسِ لِحُضُورِ مَجْلِسِهِ ، فَحَضَرُوا ، ثُمَّ أَذِنَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُدَافَةَ بِالذُّخُولِ ، فَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُدَافَةَ عَلَى سَيِّدِ فَارِسِ ، مُشْتَمِلًا سَمْتُهُ ، مُرْتَدِّيًا عِبَاءَ تَبَتُّهِ الصَّفِيْقَةِ ، عَلَيْهِ بَسَاطَةُ الْأَعْرَابِ .

لَكِنَّهُ عَالِي الْهِمَّةِ ، مَشْدُودُ الْقَامَةِ ، تَأَجَّجَ بَيْنَ جَوَانِحِهِ عِزَّةُ الْإِسْلَامِ فَلَمَّا رَأَهُ كِسْرَى مُشْبِلًا أَشَارَ

إِلَى أَحَدِ رِجَالِهِ بِأَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ الْكِتَابَ .

فَقَالَ : لَا ، إِنَّمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَدْفَعُهُ لَكَ يَدًا بِيَدٍ لَا أُخَالِفُ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ كِسْرَى لِرِجَالِهِ : اتْرُكُوهُ يَدْتُو مِنِّي ، فَدَنَا مِنْ كِسْرَى ، فَتَنَاوَلَهُ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ .

ثُمَّ دَعَا كِسْرَى كَاتِبًا عَرَبِيًّا مِنْ أَهْلِ الْحَيْرَةِ وَأَمَرَهُ أَنْ يُفَضَّ الْكِتَابَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا فِيهِ " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسِ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى » .

وَلَمَّا سَمِعَ كِسْرَى هَذَا الْمَقْدَارَ مِنَ الرِّسَالَةِ اشْتَعَلَ غَضَبُهُ فِي صَدْرِهِ

فَأَحْمَرُ وَجْهَهُ وَانْتَفَحَتْ أَوْدَاجُهُ ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَدَأَ بِنَفْسِهِ ، فَجَذَبَ الرَّسَالََةَ مِنْ يَدِ كَاتِبِهِ ، وَجَعَلَ يَمْزُقُهَا ، دُونَ أَنْ يَعْلَمَ مَا فِيهَا ، وَيَقُولُ : أَيَكْتُبُ لِي بِهَذَا وَهُوَ عَبْدِي .

ثُمَّ أَمَرَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُدَافَةَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ مَجْلِسِهِ ، فَأَخْرَجَ مِنَ الْمَجْلِسِ ، وَهُوَ لَا يَدْرِي مَاذَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ ، لَكِنَّهُ مَا لَبِثَ أَنْ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَبَالِي عَلَى أَيِّ حَالٍ أَكُونُ بَعْدُ أَنْ أَدَيْتُ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَانْطَلَقَ .

وَلَمَّا سَكَتَ غَضَبَ كِسْرَى ، أَمَرَ أَنْ يَرُدُّوهُ إِلَيْهِ ، فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ ، فَأَرْسَلُوا فِي أَثَرِهِ ، وَطَلَبُوهُ فِي الطَّرِيقِ ، فَلَمْ يَجِدُوهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ كِسْرَى ، وَتَمَزِيقِهِ الْكِتَابَ ، فَمَا زَادَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامُ عَلَى أَنْ قَالَ : « مَزَّقَ اللَّهُ مُلْكَهُ » .

أَمَّا كِسْرَى فَكَتَبَ إِلَى بَادَانَ نَائِبِهِ عَلَى الْيَمَنِ ، أَنْ ابْعَثْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي ظَهَرَ بِالْحِجَازِ رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ مِنْ عِنْدِكَ ، وَمُرَّهُمَا أَنْ يَأْتِيَانِ بِهِ ، وَحَمَلَهُمَا رِسَالَةً لَهُ يَأْمُرُهُمَا بِأَدَائِهَا لَهُ ، وَيَأْمُرُهُ فِيهَا بِأَنْ يَنْصَرِفَ مَعَهُمَا إِلَى لِقَاءِ كِسْرَى دُونَ إِبْطَاءٍ .

وَطَلَبَ إِلَى الرَّجُلَيْنِ أَنْ يَقْفَانِ عَلَى خَبَرِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَسْتَقْصِيَا أَمْرَهُ ، وَأَنْ يَأْتِيَاهُ بِمَا يَقْفَانِ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِ مِنْ مَعْلُومَاتٍ .

فَخَرَجَ الرَّجُلَانِ حَتَّى بَلَغَا الطَّائِفَ ، فَوَجَدَا رَجَالًا بُحَّارًا مِنْ قُرَيْشٍ فَسَأَلَاهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالُوا : هُوَ فِي يَثْرِبَ ، ثُمَّ مَضَى التُّجَّارُ إِلَى مَكَّةَ فَرَحِينِ مُسْتَبْشِرِينَ ، وَجَعَلُوا يُهَنُّونَ قُرَيْشًا ، وَيَقُولُونَ : قُرُّوا عَيْنًا فَإِنَّ كِسْرَى تَصَدَّى لِمُحَمَّدٍ وَكَفَّكُمْ شَرَّهُ .

أَمَّا الرَّجُلَانِ فَيَمَمَا وَجْهَيْهِمَا شَطْرَ الْمَدِينَةِ ، حَتَّى إِذَا وَصَلَا إِلَيْهِمَا ، لَقِيَا

النَّبِيِّ ρ وَدَفَعَا إِلَيْهِ رِسَالَةَ بَادَانَ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّ مَلِكَ الْمُلُوكِ كِسْرَى كَتَبَ إِلَيَّ مَلِكِنَا بَادَانَ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْكَ مَنْ يَأْتِيهِ بِكَ .

وَقَدْ أَتَيْتَاكَ لِتَنْطَلِقَ مَعَنَا فَإِنَّ أَجْبَتَنَا كَلَّمْنَا كِسْرَى بِمَا يَنْفَعُكَ ، وَيَكْفُفُ أَدَاةَ عُنْكَ ، وَإِنْ أَبَيْتَ فَهُوَ مَنْ قَدْ عَلِمْتَ سَطْوَتَهُ ، وَبَطْشَهُ ، وَقُدْرَتَهُ عَلَى إِهْلَاكِكَ ، وَإِهْلَاكِ قَوْمِكَ .

فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ρ ، وَقَالَ لَهُمَا : « ارْجِعَا إِلَى رِجَالِكُمَا الْيَوْمَ ، وَأْتِيَا عَدَا فَلَئِمَّا عَدَوَا عَلَى النَّبِيِّ ρ فِي الْيَوْمِ التَّالِي ، أَخْبَرَهُمَا بِأَنَّ اللَّهَ قَتَلَ كِسْرَى حَيْثُ سَلَطَ عَلَيْهِ ابْنَهُ (( شِيْرُوِيَه )) فِي لَيْلَةٍ كَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا .

فَحَدَّثَنَا فِي وَجْهِهِ وَبَدَتِ الدَّهْشَةُ عَلَى وَجْهِهِمَا ، وَقَالَ : أَتَدْرِي مَا تَقُولُ : أَنْكُتُبُ بِذَلِكَ لِبَادَانَ . قَالَ : « نَعَمْ ، وَقُولَا لَهُ إِنَّ دِينِي سَيَبْلُغُ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مُلْكُ كِسْرَى ، وَإِنَّكَ إِنْ أَسْلَمْتَ ، أَعْطَيْتُكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ ، وَمَلَكَتُكَ عَلَى قَوْمِكَ وَخَرَجَ الرَّجُلَانِ مِنْ عِنْدِ الرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَقَدِمَا عَلَى بَادَانَ وَأَخْبَرَاهُ الْخَبَرَ .

فَقَالَ : لَعْنُ كَانَ مَا قَالَهُ مُحَمَّدٌ حَقًّا فَهُوَ نَبِيٌّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَسَنَرَى فِيهِ رَأْيًا . فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَدِمَ عَلَى بَادَانَ كَتَابَ شِيْرُوِيَه .

وَفِيهِ يَقُولُ : أَمَّا بَعْدُ . فَقَدْ قَتَلْتُ كِسْرَى وَلَمْ أَقْتُلْهُ إِلَّا انْتِقَامًا لِقَوْمِنَا فَقَدْ اسْتَحَلَّ قَتْلَ أَشْرَافِهِمْ وَسَبَى نِسَائِهِمْ وَأَنْتَهَبَ أَمْوَالَهُمْ فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَخُذْ لِي الطَّاعَةَ مِمَّنْ عِنْدَكَ . فَلَمَّا قَرَأَ بَادَانُ الْكِتَابَ (( كِتَابَ شِيْرُوِيَه )) طَرَحَهُ جَانِبًا وَأَعْلَنَ دُخُولَهُ فِي الْإِسْلَامِ وَأَسْلَمَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْفُرْسِ بِالْيَمَنِ .. انتهى .

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سِلْكِ الْقَائِرِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَاتِكَ بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ ، وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا ، وَأَجْرُلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ  
إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ،  
وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .  
وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَبَّحَهُ أَجْمَعِينَ .

### " فَصْلٌ "

#### عَبْدُ اللهِ بنِ حُدَافَةَ وَقِصَّتُهُ مَعَ مَلِكِ الرُّومِ

أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ عَسَاكِرٍ عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ : وَجَّهَ عُمَرُ بنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ  
جَيْشًا إِلَى الرُّومِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللهِ بنِ حُدَافَةَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَسْرَهُ  
الرُّومُ فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ :  
هَلْ لَكَ أَنْ تَنْصَرَ وَأَشْرِكَ فِي مُلْكِي وَسُلْطَانِي . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ : لَوْ أَعْطَيْتَنِي مَا تَمْلِكُ  
وَجَمِيعَ مَا مَلَكَتُهُ الْعَرَبُ عَلَى أَنْ أَرْجِعَ عَنْ دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ طَرْفَةَ عَيْنٍ مَا فَعَلْتُ . قَالَ : إِذَا  
أَقْتُلْتُكَ . قَالَ : أَنْتَ وَذَلِكَ . فَأَمَرَ بِهِ فَصَلَبَ ، وَقَالَ لِلرَّمَاةِ : ارْمُوهُ قَرِيبًا مِنْ بَدَنِهِ قَرِيبًا مِنْ  
رِجْلَيْهِ ، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَأْبَى .

ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأَنْزَلَ ثُمَّ دَعَا بِقَدْرِ فَصَبَّ فِيهِ حَتَّى احْتَرَقَ ، ثُمَّ دَعَا بِأَسِيرِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَمَرَ  
بِأَحَدِهِمَا فَأُلْقِيَ فِيهَا ، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ ، وَهُوَ يَأْبَى ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُلْقَى فِيهَا ،  
فَلَمَّا ذَهَبَ بِهِ بَكَى ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ بَكَى فَظَنَّ أَنَّهُ جَزِعَ ، فَقَالَ : زُدُّوهُ فَعَرَضَ عَلَيْهِ  
النَّصْرَانِيَّةَ فَأَبَى فَقَالَ : مَا أَبْكَأكَ إِذَا .

قَالَ : أَبْكَأَنِي أَنِّي قُلْتُ فِي نَفْسِي تَلَقَى السَّاعَةَ فِي هَذَا الْقَدْرِ فَتَذَهَبَ فَكُنْتُ اشْتَهِي أَنْ  
يَكُونَ بَعْدَ كُلِّ شَعْرَةٍ فِي جَسَدِي نَفْسٌ تَلْقَى فِي اللهِ . قَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ :

هَلْ لَكَ أَنْ تُقْبَلَ رَأْسِي وَأُخْلِي مِنْكَ ، قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : وَعَنْ جَمِيعِ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ . قَالَ :  
: وَعَنْ جَمِيعِ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : عَدُوٌّ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ ، أَقْبَلُ رَأْسَهُ يُخْلِي عَنِّي وَعَنْ أُسَارَى  
الْمُسْلِمِينَ ، لَا أَبَالِي فِدَانًا مِنْهُ فَقَبِلَ رَأْسَهُ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْأُسَارَى ، فَقَدِمَ بِهِمْ عَلَيَّ عَمْرًا فَأَخْبَرَهُ ،  
فَقَالَ عُمَرُ : حَقٌّ عَلَيَّ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُقْبَلَ رَأْسَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُدَافَةَ ، وَأَنَا أَبَدًا . فَقَامَ عُمَرُ  
فَقَبِلَ رَأْسَهُ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ ، اللَّهُمَّ وَقَفْنَا بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ  
وَالِإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَقَفْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ الْآدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ  
وَالْتَسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرِ عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرِ لِنِعْمَائِكَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ يَقْرَعُ	يَخَافُ وَيَرْجُو الْفَضْلَ فَالْفَضْلُ أَوْسَعُ
مُقَرَّبٌ بِأَثْقَالِ الذُّنُوبِ وَمُكَثِّرٌ	وَيَرْجُوكَ فِي عُفْرَانِهَا فَهُوَ يَطْمَعُ
فَإِنَّكَ ذُو الْإِحْسَانِ وَالْجُودِ وَالْعَطَا	لَكَ الْمَجْدَ وَالْإِفْضَالَ وَالْمَنَّ أَجْمَعَ
فَكَمْ مِنْ قَبِيحٍ قَدْ سَتَرْتَ عَنِ الْوَرَى	وَكَمْ نَعْمٌ تَتَرَى عَيْنًا وَتُتْبَعُ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْجَى سِوَاكَ وَيُنْفَى	وَأَنْتَ إِلَهَ الْخَلْقِ مَا شِئْتَ تَصْنَعُ
فِيَا مَنْ هُوَ الْقُدُّوسُ لَا رَبَّ غَيْرَهُ	تَبَارَكْتَ أَنْتَ اللَّهُ لِلْخَلْقِ مَرْجِعُ
وَيَا مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى فَوْقَ	تَبَارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ
بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى وَأَوْصَافِكَ الْعُلَى	تَوْسَلَ عَبْدٌ بِأَسْمَائِكَ يَتَضَرَّعُ
أَعْنِي عَلَى الْمَوْتِ الْمَرِيرَةِ كَأْسُهُ	إِذَا الرُّوحُ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِحِ تُنْرَعُ
وَكُنْ مُؤَنِّسِي فِي ظِلْمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَمَا	يُرَكَّمُ مِنْ فَوْقِي التُّرَابُ وَأُودَعُ
وَبَيِّتْ جَنَانِي لِسُؤَالِ وَحْجَتِي	إِذَا قِيلَ مَنْ رَبُّ وَمَنْ كُنْتَ تَتَّبَعُ
وَمَنْ هَوْلَ يَوْمِ الْحَشْرِ وَالْكَرْبِ نَجْنِي	إِذَا الرُّسُلِ وَالْأَمْلاكِ وَالنَّاسِ حُشِّعُ
وَيَا سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي	إِذَا الصَّحُفُ بَيْنَ الْعَالَمِينَ تُوزَعُ
وَهَبْ لِي كِتَابِي بِالْيَمِينِ وَثَقِّلَنَّ	لِمِيزَانِ عَبْدٍ فِي رَجَائِكَ يَطْمَعُ

وَيَا رَبِّ خَلِّصْنِي مِنَ النَّارِ إِنَّهَا  
 أَجْرَنِي أَجْرَنِي يَا إِلَهِي فَلَيْسَ لِي  
 وَهَبْ لِي شِفَاءً مِنْكَ رَبِّي وَسَيِّدِي  
 فَأَنْتَ الَّذِي تُرَجِي لِكَشْفِ مُلَمَّةٍ  
 فَقَدْ أَعْيَتِ الْأَسْبَابُ وَأَنْقَطَعَ الرَّجَا  
 إِلَيْكَ إِلَهِي قَدْ رَفَعْتُ شِكَايَتِي  
 فَفَرِّجْ لَنَا خَطْبًا عَظِيمًا وَمُعْضِلًا  
 وَمَاذَا عَلَى رَبِّي عَزِيزٌ وَفَضْلُهُ  
 فَكَمْ مَنَحٍ أَعْطَى وَكَمْ مَحَنٍ كَفَى  
 وَأَزْكَى صَلَاةِ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ  
 لَيْسَ مَقَرٌّ لِلْغَوَاةِ وَمَرْجِعُ  
 سُؤَاكَ مَقَرٌّ أَوْ مَالِدٌ وَمَفْرَعُ  
 فَمَنْ ذَا الَّذِي لِلضَّرِّ غَيْرَكَ يَدْفَعُ  
 وَتَسْمَعُ مُضْطَرًّا لِإِبَاكَ يَقْرَعُ  
 سِوَى مِنْكَ يَا مَنْ لِلْخَلَائِقِ مَفْرَعُ  
 وَأَنْتَ بِمَا أَلْقَاهُ تَدْرِي وَتَسْمَعُ  
 وَطَرَبًا يَكَادُ الْقَلْبُ مِنْهُ يُصَدِّعُ  
 عَلَيْنَا مَدَى الْأَنْفَاسِ يَهْمِي وَيَهْمَعُ  
 لَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرَانُ وَالْمِنَّ أَجْمَعُ  
 عَلَى الْمُصْطَفَى مَنْ فِي الْقِيَامَةِ يَشْفَعُ

اللَّهُمَّ أَنْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ الْمُفْلِحِينَ وَأَلْبِسْنَا خَلَعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ وَخُصَّنَا مِنْكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ  
 وَوَقَّفْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتَّبَاعِهِ وَخَلَّصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ وَكُنْ لَنَا مَوْيِدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا  
 وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا رَغَدًا وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا وَفَهْمًا  
 ذَكِيًّا وَطَبْعًا صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ۝ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ  
 الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" فَصَلِّ "

" سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ الْجَمَحِيُّ وَخُبَيْبٌ "

خُبَيْبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ أَحَدُ الْمُعَدَّبِينَ فِي اللَّهِ الثَّابِتِينَ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ثُبُوتَ  
 الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَمَنْ حَضَرَهُ يَوْمَ قَتْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ الْجَمَحِيُّ : خَرَجَ إِلَى  
 التَّنْعِيمِ فِي ظَاهِرَةِ مَكَّةَ بِدَعْوَةِ مَنْ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ لِيَشْهَدَ

مَعَهُمْ مَصْرَعٌ خُبَيْبٍ بنِ عُدَيٍّ أَحَدِ صَحَابَةِ مُحَمَّدٍ بَعْدَ أَنْ ظَفَرَ بِهِ الْأَعْدَاءُ الْمُشْرِكُونَ عَدْرًا

وَقَدْ أَقْدَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَتِمَّكَرَ مِنْ رُؤْيِيهِ أَسِيرٍ قُرَيْشٍ مُكْبَلًا بِبُيُودِهِ يُسَاقُ إِلَى الْمَوْتِ ، فَوَقَفَ سَعِيدٌ يَطْلُ عَلَى خُبَيْبٍ وَهُوَ يُقَدِّمُ إِلَى خَشْبَةِ الصَّلْبِ وَسَمِعَ صَوْتَ خُبَيْبٍ الثَّابِتِ الْهَادِي يُقُولُ إِنَّ شَيْئًا أَنْ تَشْرِكُونِي أَصَلِّي رُكْعَتَيْنِ قَبْلَ مَصْرَعِي فَأَفْعَلُوا .

ثُمَّ نَظَرَ سَعِيدٌ إِلَيْهِ وَهُوَ يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَيُصَلِّي رُكْعَتَيْنِ يَا حُسَيْنِهَا يَا لِمَتَمَاهِمَا وَسَمِعَهُ وَهُوَ يَقُولُ : لَوْلَا أَنْ تَظُنُّوا أَنِّي أَطَلْتُ الصَّلَاةَ جَزَعًا مِنَ الْمَوْتِ لَا اسْتَكْتَرْتُ مِنَ الصَّلَاةِ .

ثُمَّ رَأَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ يُمَثِّلُونَ بِخُبَيْبٍ حَيًّا وَيَقْطَعُونَ مِنْهُ الْقِطْعَةَ تَلَوُ الْقِطْعَةَ وَيَقُولُونَ لَهُ أَجِبْ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ مَكَانَكَ وَأَنْتَ نَاجٍ ، فَيَقُولُ وَالِدَمَاءِ تَنْزِفٌ مِنْهُ وَالرُّوحُ تَتَسَلَّلُ مِنْ بَدَنِهِ : وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ آمِنًا وَادِعًا فِي أَهْلِي وَوَلَدِي وَأَنَّ مُحَمَّدًا يُوحِزُ بِشَوْكَةٍ .

وَلَا عُزْرُو بِالْأَشْرَافِ إِنْ ظَفَرْتَ بِهِمْ      كِلَابُ الْأَعَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ  
فَحَرْبَةُ وَحْشِي سَقَتْ حَمْرَةَ الرَّدَى      وَمَوْتُ عَلِيٍّ مِنْ حُسَامِ ابْنِ مُلْجَمٍ

ثُمَّ أَبْصَرَ سَعِيدٌ بنَ عَامِرِ خُبَيْبًا وَهُوَ يَرْفَعُ بَصْرَهُ إِلَى السَّمَاءِ مِنْ فَوْقِ خَشْبَةِ الصَّلْبِ وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا وَلَا تُبْقِي مِنْهُمْ أَحَدًا . ثُمَّ خَرَجَ رُوحُهُ الطَّيِّبُ وَبِهِ الشَّيْءُ الْكَبِيرُ مِنْ ضَرْبَاتِ السُّيُوفِ وَطَعَنَاتِ الرِّمَاحِ .

ثُمَّ إِنْ سَعِيدٌ أَحَدَ دَرْسًا ، فَعَلِمَ أَنَّ الْحَيَاةَ الْحَقَّةَ عَقِيدَةٌ ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى الْمَوْتِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْإِيمَانَ الثَّابِتَ لَا يُزَلُّهُ شَيْءٌ الْبَتَّةِ .

وَعَلِمَ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي تَبَلُّغَ مَحَبَّتَهُ وَالذَّبُّ عَنْهُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ إِنَّمَا هُوَ رَسُولٌ مُؤَيَّدٌ مِنَ السَّمَاءِ ، عِنْدَ ذَلِكَ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ سَعِيدِ بنِ عَامِرٍ لِلْإِسْلَامِ

فَقَامَ فِي مَجْمَعِ مِنَ النَّاسِ وَأَعْلَنَ بَرَاءَةَ مَا عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَهَاجَرَ سَعِيدُ  
 بن عامر إلى المدينة ، وَلَزِمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَشَهِدَ مَعَهُ خَيْبَرَ ، وَمَا بَعْدَهَا مِنَ الْعَزَوَاتِ .  
 وَلَمَّا تُؤَيَّبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ظَلَّ سَيْفًا مَسْلُولًا فِي يَدَيْ خَلِيفَتِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ  
 وَكَانَا يَعْرِفَانِ لَهُ صِدْقَهُ وَتَقْوَاهُ .

وَلَمَّا آلتِ الْخِلَافَةَ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَاهُ سَعِيدٌ فَقَالَ لَهُ : يَا عُمَرُ أَوْصِيكَ أَنْ تَخْشَى  
 اللَّهَ فِي النَّاسِ ، وَلَا تَخْشَى النَّاسَ فِي اللَّهِ ، وَأَنْ لَا يُخَالِفَ قَوْلُكَ فِعْلَكَ ، فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا  
 صَدَّقَهُ الْفِعْلُ .

يَا عُمَرُ أَقِمْ وَجْهَكَ لِمَنْ وَلَاكَ اللَّهُ أَمْرَهُ مِنْ بَعِيدِ الْمُسْلِمِينَ وَقَرِيبِهِمْ ، وَأَحِبِّ لَهُمْ مَا تُحِبُّ  
 لِنَفْسِكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ ، وَآكِرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ ، وَخُضِ الْعِمْرَاتِ إِلَى الْحَقِّ  
 وَلَا تَخَفْ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ .

فَقَالَ عُمَرُ : وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَا سَعِيدُ ؟ فَقَالَ : يَسْتَطِيعُهُ مِثْلُكَ مِمَّنْ وَلَاهُمْ اللَّهُ أَمْرَ أُمَّةٍ  
 مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَحَدٌ . عِنْدَ ذَلِكَ دَعَا عُمَرُ سَعِيدًا إِلَى مُسَاعَدَتِهِ فَقَالَ  
 لَهُ : إِنَّا مُؤَلُّوكَ حِمَصَ . فَقَالَ : يَا عُمَرُ نَشَدْتُكَ اللَّهَ لَا تَفْتِنِي . فَعَضَبَ عُمَرُ وَقَالَ :  
 وَيَحْكُمُ وَضَعْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ فِي عُنُقِي ثُمَّ تَخَلَّيْتُمْ عَنِّي ، وَاللَّهِ لَا أَدْعَاكَ ثُمَّ أَلْزَمَهُ بِحِمَصَ وَقَالَ :  
 أَلَا نَفَرَضُ لَكَ رِزْقًا ؟ : وَمَا أَفْعَلُ بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ عَطَائِي مِنْ بَيْتِ الْمَالِ يَزِيدُ عَنْ  
 حَاجَتِي .

ثُمَّ مَضَى وَالْيَا عَلَى حِمَصَ وَمَا مَضَى إِلَّا زَمَنٌ يَسِيرٌ حَتَّى جَاءَ بَعْضُ أَهْلِ حِمَصَ إِلَى عُمَرَ  
 فَقَالَ : اكْتُبُوا أَسْمَاءَ الْفُقَرَاءِ عِنْدَكُمْ بِحِمَصَ حَتَّى أَسُدَّ حَاجَتِهِمْ ، فَرَفَعُوا لَهُ كِتَابًا فِيهِ بَعْضُ  
 الْفُقَرَاءِ الْمَوْجُودِينَ بِحِمَصَ وَمِنْ جُمْلَةِ الْفُقَرَاءِ الْمَكْتُوبِينَ سَعِيدُ بن عامرِ الْجَمَحِيِّ .



فَقَالَ عُمَرُ مَنْ سَعِيدِ بْنِ عَامِرٍ ، فَقَالُوا : أَمِيرُنَا . قَالَ : أَمِيرُكُمْ فَعَيْرٌ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَمُرُّ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ الطُّوَالُ ، وَلَا يُوقَدُ فِي بَيْتِهِ نَارٌ . فَبَكَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بُكَاءً شَدِيدًا ، حَتَّى بَلَّتْ دُمُوعُهُ لِحْيَتَهُ .

ثُمَّ عَمِدَ إِلَى أَلْفِ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا فِي صَبْرَةٍ وَقَالَ : افْرُوا عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقُولُوا لَهُ يَسْتَعِينُ بِهَذَا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِ فَجَاءُوهُ بِهَا فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا وَأَخْبَرُوهُ ، جَعَلَ يُبْعِدُهَا عَنْهُ ، وَيَسْتَرْجِعُ . فَجَاءَتْ زَوْجَتُهُ وَقَالَتْ لَهُ : مَا شَأْنُكَ ؟ أَمَاتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : بَلْ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَتْ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : دَخَلَتْ عَلَيَّ الدُّنْيَا لِتُفْسِدَ آخِرَتِي وَحَلَّتِ الْفِتْنَةَ فِي بَيْتِي . قَالَتْ : تَخَلَّصَ مِنْهَا . قَالَ : هَلْ تُعِينِنِي عَلَى ذَلِكَ . قَالَتْ : نَعَمْ . فَوَزَعَهَا عَلَى فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ .

ثُمَّ لَمْ يَمُضْ إِلَّا مُدَّةً يَسِيرَةً حَتَّى أَتَى عُمَرَ عَلَى حِمَصٍ يَتَفَقَّدُهَا وَيَسْأَلُ عَنْ أَمِيرِهِمْ وَسِيرَتِهِ مَعَهُمْ ، وَهَلْ نَقَمُوا عَلَيْهِ شَيْءًا ، فَذَكَرُوا أَرْبَعَ :

أَحَدُهَا : قَالُوا أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْنَا حَتَّى يَتَعَاطَى النَّهَارَ . فَسَأَلَ عُمَرُ سَعِيدًا : لِمَذَا ؟ فَقَالَ : إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَقُولَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ حَيْثُ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ تَوْضِيحِهِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَهْلِي خَادِمٌ فَأَقُومُ الصُّبْحَ فَأَعْجِنُ لَهُمْ عَجِينَهُمْ ، ثُمَّ أَنْتَظِرُهُ يَخْتَمِرُ ، ثُمَّ أَقُومُ فَأَخْبِرُهُ لَهُمْ ، ثُمَّ أَتَوَضَّأُ وَأَخْرَجُ إِلَيْهِمْ .

وَأَمَّا الثَّانِيَةُ : فَقَالُوا : أَنَّهُ لَا يُجِيبُ أَحَدًا بِاللَّيْلِ ، فَسَأَلَهُ عُمَرُ فَقَالَ : إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَدُكُرُهُ ، وَلَكِنْ لَمَّا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ النَّهَارَ لَهُمْ وَلَيْلِي عَزَّ وَجَلَّ اللَّيْلَ .

قَالَ عُمَرُ : وَمَا هِيَ الثَّالِثَةُ ؟ قَالُوا : أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ يَوْمًا مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ : أَنَّهُ لَيْسَ لِي خَادِمٌ ، وَلَيْسَ عِنْدِي ثِيَابٌ غَيْرَ الَّتِي عَلَيَّ فَأَنَا أَعْسَلُهَا فِي الشَّهْرِ مَرَّةً وَأَنْتَظِرُهَا حَتَّى يَجِفَّ ، ثُمَّ أَخْرَجُ إِلَيْهِمْ آخِرَ النَّهَارِ .

وَأَمَّا الرَّابِعَةُ : فَقَالُوا أَنَّهُ تُصِيبُهُ غَشِيَةٌ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ فَيَغِيبُ عَمَّنْ فِي الْمَجْلِسِ ، فَسَأَلَهُ عُمَرُ عَنْهَا فَقَالَ : إِنِّي حَضَرْتُ مَصْرَعَ حُبَيْبِ بْنِ عَدِيِّ ، وَأَنَا مُشْرِكٌ وَرَأَيْتُ قُرَيْشًا تُقَطِّعُ جَسَدَهُ وَهِيَ تَقُولُ : أَحِبُّ أَنْ يَكُونَ مَكَانَكَ مُحَمَّدًا ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ آمِنًا وَأَهْلِي وَوَلَدِي وَأَنَّ مُحَمَّدًا تَشُوْكُهُ شَوْكَةٌ .

فَإِذَا ذَكَرْتُ ذَلِكَ الْمَشْهَدَ وَأَيُّ لَمْ أَنْصُرُهُ ظَنَنْتُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِي فَتُصِيبَنِي تِلْكَ الْعَشِيَّةُ . ثُمَّ بَعَثَ لَهُ عُمَرُ بِالْفِ دِينَارٍ يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى حَوَائِجِهِ ، فَلَمَّا عَلِمَتْ زَوْجَتُهُ قَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَغْنَانَا عَنْ خِدْمَتِكَ أَشْتَرِ لَنَا مُؤْتَةً وَاسْتَأْجَرَ لَنَا خَادِمًا فَقَالَ لَهَا : وَهَلْ لَكَ فِيمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : نَدْفَعُهَا إِلَى مَنْ يَأْتِينَا بِهَا وَنَحْنُ أَحْوَجُ مَا نَكُونُ إِلَيْهَا . قَالَتْ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : نُفْرِضُهَا لِلَّهِ قَرْضًا حَسَنًا . قَالَتْ : نَعَمْ وَجُرَيْتٌ خَيْرًا فَمَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ حَتَّى وَرَعَهَا عَلَى الْأَيْتَامِ وَالْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ . فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ لَقَدْ كَانَ مِنَ الَّذِينَ يُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ . أ.هـ باختصار .

شِعْرًا : وَمَا النَّاسُ إِلَّا رَاحِلُونَ وَبَيْنَهُمْ رَجَالٌ ثَوَتْ آثَارُهُمْ كَالْمَعَالِمِ  
بِعِزَّةِ بَأْسٍ وَطَّلَاعِ بَصِيرَةٍ وَهَزَّةِ نَفْسٍ وَتَسَاعِ مَرَاحِمِ  
خُطُوطٍ كَمَالٍ أَظْهَرَتْ مِنْ عَجَائِبِ بِمِرَاتِ شَخْصٍ مَا اخْتَفَى فِي الْعَوَالِمِ  
وَمَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ يَخْتِصُّ نَفْسَهُ أَلَا إِنَّمَا التَّخْصِيسُ قِسْمَةٌ رَاحِمِ  
وَمَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا تَيَقَّنَ أَنَّهُ مَطِيئَةٌ يَقْظَانٍ وَطَيْفَةٌ حَالِمِ  
فَلِلَّهِ سَاعٍ فِي مَنَاهِجِ طَاعَةِ لِإِيْلَافِ عَدْلٍ أَوْ لِإِتْلَافِ ظَالِمِ

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النَّفَاقِ وَاخْلُصْ عَمَلَنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَمَكْسِبَنَا مِنَ الرِّبَا وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَتَبَّتْهَا عَلَى طَاعَتِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُو وَاصْرِفْ عَنَّا مِنَ الشُّوْءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ . اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوبَنَا بِرَجَائِكَ وَأَقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ عُيُوبَنَا فَاسْتُرْهَا ، وَتَعْلَمُ

حَاجَاتِنَا فَأَقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيرًا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ . اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" فَصْلٌ " : لِلْبَرَاءِ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ أَخُو أَنَسِ بْنِ مَالِكِ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْبَرَاءُ شُجَاعًا قَتَلَ مِائَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ مُبَارَزَةً وَهُوَ وَحْدَهُ غَيْرَ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ فِي غِمَارِ الْمَعَارِكِ مَعَ الْمُحَارِبِينَ .

وَبَعْدَ أَنْ التَّحَقَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى ارْتَدَّ قَبَائِلٌ مِنَ الْعَرَبِ وَخَرَجُوا مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَهْلُ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَجَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةٌ هُنَا وَهُنَاكَ مِمَّنْ ثَبَّتَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ .

وَصَمَدَ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَهُدَى الْفِتْنَةَ الْمُدْمِرَةَ الْعَمِيَاءِ صُمُودَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ ، وَجَهَّزَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَحَدَ عَشَرَ جَيْشًا .

وَعَقَدَ لِقَادَةَ هَذِهِ الْجُيُوشِ أَحَدَ عَشَرَ لِوَاءً وَدَفَعَ بِهِمْ فِي أَرْجَاءِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ لِيُعِيدُوا الْمُرْتَدِّينَ إِلَى سَبِيلِ الْهُدَى وَالْحَقِّ .

وَكَانَ أَقْوَى الْمُرْتَدِّينَ بَأْسًا وَأَكْثَرَهُمْ عَدَدًا بَنُوا حَنِيفَةً ، أَصْحَابَ مُسَيْلَمَةَ الْكُذَّابِ فَقَدُوا اجْتَمَعَ مَعَ مُسَيْلَمَةَ مِنْ قَوْمِهِ وَخُلَفَائِهِ أَرْبَعُونَ أَلْفًا وَكَانَ أَكْثَرَهُمْ قَدْ اتَّبَعُوا مُسَيْلَمَةَ عَصِيَّةً لَا إِيمَانًا بِهِ .

فَلِذَلِكَ صَرَخَ بَعْضُهُمْ وَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّ مُسَيْلَمَةَ كَذَّابٌ وَمُحَمَّدًا صَادِقٌ لَكِنْ كَذَّابَ رِبِيعَةَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ صَادِقِ مُضَرَ : قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ جَيْشَ مُسَيْلَمَةَ يَهْزِمُ أَوَّلَ جَيْشٍ خَرَجَ إِلَيْهِ مِنْ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ بِقِيَادَةِ عَكْرَمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ .

فَأَرْسَلَ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَيْشًا ثَانِيًا بِقِيَادَةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ حَشَدَ فِيهِ وُجُوهَ الصَّحَابَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ .

وَكَانَ فِي طَلِيعَةِ هَوْلَاءِ الْبَرَاءِ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ وَنَقَرَ مِنْ كُفْمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَالتَّقَى الْجَيْشَانِ فِي أَرْضِ الْيَمَامَةِ ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَجَحَتْ كَفَّةُ مُسَيْلَمَةَ وَأَصْحَابِهِ وَزُلْزَلَتِ الْأَرْضُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْمُسْلِمِينَ وَطَفِقُوا يَتَرَاجَعُونَ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ حَتَّى افْتَحَمَ قَوْمُ مُسَيْلَمَةَ وَمَنْ مَعَهُ فَسَطَّادُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَافْتَلَعُوهُ مِنْ أُصُولِهِ .

عِنْدَ ذَلِكَ شَعَرَ الْمُسْلِمُونَ بِالْخَطَرِ الدَّاهِمِ وَأَذْرَكُوا أَنَّهُمْ إِنْ يُهْرَمُوا أَمَامَ مُسَيْلَمَةَ فَلَنْ تَقُومَ لِلْإِسْلَامِ قَائِمَةٌ ، وَهَبَّ خَالِدٌ إِلَى جَيْشِهِ فَأَعَادَ تَنْظِيمَهُ فَمَيَّزَ الْمُهَاجِرِينَ عَنِ الْأَنْصَارِ ، وَمَيَّزَ أَبْنَاءَ الْبَوَادِي عَنِ هَوْلَاءِ وَهَوْلَاءِ ، وَجَمَعَ أَبْنَاءَ كُلِّ أَبِي تَحْتَ رَايَةٍ وَاحِدَةٍ لِيُعْرَفَ بِلَاءُ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ، وَلِيَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ أَتَى الْمُسْلِمُونَ .

ثُمَّ دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ مَعْرَكَةً ضَرُوسٍ لَمْ يُعْرَفْ لَهَا نَظِيرٌ ، وَثَبَّتَ قَوْمُ مُسَيْلَمَةَ فِي سَاحَاتِ الْوَعَى ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَلَمْ يُبَالُوا بِكَثْرَةِ مَا قُتِلَ مِنْهُمْ ، وَأَبْدَى الْمُسْلِمُونَ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالْبُطُولَةِ مَا لَوْ جُمِعَ لَكَانَ مَلْحَمَةً مِنْ رَوَائِعِ الْمَلَا حِم .

فَهَذَا ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ حَامِلُ لُؤَاءِ الْأَنْصَارِ يَتَحَنَّنُ وَيَتَكَبَّرُ وَيَحْفَرُ لِنَفْسِهِ حُفْرَةً فِي الْأَرْضِ فَيَنْزِلُ فِيهَا إِلَى نِصْفِ سَاقِهِ وَيَبْقَى ثَابِتًا يُجَالِدُ عَنْ رَايَةِ قَوْمِهِ حَتَّى خَرَّ صَرِيحًا شَهِيدًا . وَهَذَا زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ أَخُو عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُنَادِي فِي الْمُسْلِمِينَ أَيُّهَا النَّاسُ عُضُّوا عَلَيَّ أَضْرَاسِكُمْ وَاضْرِبُوا فِي عِدْوِكُمْ وَأَمْضُوا قُدَمَا ، أَيُّهَا النَّاسُ وَاللَّهِ ، لَا أَتَكَلَّمُ بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ أَبَدًا حَتَّى يُهْزَمَ مُسَيْلَمَةُ أَوْ أَلْقَى اللَّهُ فَأُدَلِّي إِلَيْهِ بِحُجَّتِي ، ثُمَّ كَرَّرَ عَلَيَّ قَوْمِهِ فَمَا زَالَ يُقَاتِلُ حَتَّى قُتِلَ .

وَهَذَا سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ يَحْمِلُ رَايَةَ الْمُهَاجِرِينَ فَيَخْشَى عَلَيْهِ قَوْمَهُ أَنْ

يُضْعَفَ أَوْ يَنْزَعَنَّ فَقَالُوا لَهُ : إِنَّا لَنَحْشَى أَنْ نُؤْتَى مِنْ قِبَلِكَ فَقَالَ : إِنْ أُتِيتُمْ مِنْ قِبَلِي فَبِئْسَ حَامِلُ الْقُرْآنِ أَكُونُ ، ثُمَّ كَرَّ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ كَرَّةً بَاسِلَةً حَتَّى أُصِيبَ .  
فَلَمَّا رَأَى خَالِدٌ أَنَّ الْوَطِيسَ حَمَى وَاشْتَدَّتْ التَّفَتُّ إِلَى الْبِرَاءِ بْنِ مَالِكٍ وَقَالَ : إِلَيْهِمْ يَا فَتَى الْأَنْصَارِ ، فَالتَفَتَ الْبِرَاءُ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ : يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَا يُفَكِّرَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِالرُّجُوعِ إِلَى يَثْرِبَ ، فَلَا مَدِينَةَ لَكُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ ، وَإِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ ، ثُمَّ الْجَنَّةَ .

ثُمَّ حَمَلَ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَحَمَلُوا مَعَهُ وَأَنْبَرَى يَشُقُّ الصُّفُوفَ ، وَيَعْمَلُ السَّيْفَ فِي رِقَابِ أَعْدَاءِ اللَّهِ حَتَّى زُلْزِلَتْ أَقْدَامُ مُسَيْلِمَةَ وَأَصْحَابِهِ ، فَلَجَّؤُوا إِلَى الْحَدِيقَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِحَدِيقَةِ الْمَوْتِ لِكَثْرَةِ مَنْ قُتِلَ فِيهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَأَغْلَقَ مُسَيْلِمَةُ وَآلَافٌ مَعَهُ مِنْ جُنْدِهِ الْأَبْوَابَ وَتَحَصَّنُوا بِعَالِي جُدْرَانِهَا وَجَعَلُوا يُمَطِّرُونَ الْمُسْلِمِينَ بِنِبَاهِهِمْ مِنْ دَاخِلِهَا فَتَتَسَاقَطُ عَلَيْهِمْ تَسَاقُطُ الْمَطَرِ .

عِنْدَ ذَلِكَ تَقَدَّمَ الْبِرَاءُ بْنُ مَالِكٍ وَقَالَ : يَا قَوْمِ ضَعُونِي عَلَى تَرْسٍ وَارْفَعُوا التَّرْسَ عَلَى الرِّمَاحِ ثُمَّ اقْدِفُونِي بِالْحَدِيقَةِ قَرِيبًا مِنْ بَابِهَا فَأَمَّا أَنْ أُسْتَشْهَدَ وَإِنَّمَا أَنْ أَفْتَحَ الْبَابَ . وَفِي زَمَنِ يَسِيرٍ جَلَسَ الْبِرَاءُ عَلَى التَّرْسِ وَرَفَعْتُهُ الرِّمَاحُ وَالْقَتَّةُ فِي حَدِيقَةِ الْمَوْتِ قُرْبَ الْبَابِ بَيْنَ الْآلَافِ الْمُؤَلَّفَةِ مِنْ جُنْدِ مُسَيْلِمَةَ .

فَنَزَلَ عَلَيْهِمْ نُزُولَ الصَّاعِقَةِ فَجَالَدَهُمْ أَمَامَ بَابِ الْحَدِيقَةِ حَتَّى قَتَلَ عَشْرَةً مِنْهُمْ ، وَفَتَحَ الْبَابَ لِلْمُسْلِمِينَ وَبِهِ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ جِرَاحَةً فَتَدَفَّقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْحَدِيقَةِ مِنْ حَيْطَانِهَا وَأَبْوَابِهَا وَاعْمَلُوا السُّيُوفَ فِي رِقَابِ الْمُؤْتَدِينَ حَتَّى قَتَلُوا مِنْهُمْ قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا وَوَصَلُوا إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ فَقَتَلُوهُ .

ثُمَّ حَمَلُوا الْبِرَاءَ بْنَ مَالِكٍ إِلَى رَحْلِهِ لِيُدَاوَى فِيهِ وَأَقَامَ عَلَيْهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ شَهْرًا يُعَالِجُهُ حَتَّى أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالشِّفَاءِ وَظَلَّ الْبِرَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَمَتَّى الشَّهَادَةَ الَّتِي فَاتَتْهُ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَتَّى فَتَحَ تَسْتَرَ مِنْ بِلَادِ الْفُرْسِ فِي إِحْدَى الْقِلَاعِ الْمُمَرَّدَةِ .

فَحَاصِرُهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَأَحَاطُوا بِهِمْ فَلَمَّا طَالَ الْحِصَارُ وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَى الْفُرْسِ جَعَلُوا يَدُلُّونَ مِنْ فَوْقِ أَسْوَارِ الْقَلْعَةِ سَلَاسِلَ مِنْ حَدِيدٍ عُلِّقَتْ بِهَا كَالَيْبِ مِنْ فُؤَادِ حُمَيْتِ النَّارِ فَكَانَتْ تَنْشِبُ فِي أَجْسَادِ الْمُسْلِمِينَ وَتَعْلِقُ بِهِمْ فَيَرْفَعُونَهُمْ إِلَيْهِمْ إِمَّا مَوْتَى وَإِلَّا عَلَى الْمَوْتِ فَعَلَقَ كَلُوبٌ مِنْهَا بِأَنْسِ بْنِ مَالِكِ أَحِي الْبَرَاءِ بْنِ مَالِكِ .

فَوَثَبَ الْبَرَاءُ عَلَى جِدَارِ الْحِصْنِ وَأَمْسَكَ السُّلْسِلَةَ الَّتِي مَسَكَتْ أَخَاهُ وَجَعَلَ يُعَالِجُ الْكِلَابَ لِيُخْرِجَهُ مِنْ جَسَدِ أَخِيهِ وَأَخَذَتْ يَدَاهُ تَحْتَرِّقُ فَلَمْ يُبَالِ إِلَى أَنْ خَلَصَ أَخَاهُ وَهَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ صَارَتْ يَدُهُ عِظَامًا لَيْسَ عَلَيْهَا لَحْمٌ ثُمَّ دَعَا الْبَرَاءُ رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ فَأَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ وَاسْتَشْهَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ . أ . هـ ، بِاخْتِصَارٍ مِنْ صَوْرٍ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

شِعْرًا : لَهْفِي عَلَى سُرْجِ الدُّنْيَا الَّتِي طَفَيْتُ      وَلَا يَزَالُ لَهَا فِي النَّاسِ أَنْوَارُ  
 لَهْفِي عَلَيْهِمْ رَجَالًا طَالَمَا صَبَرُوا      وَهَكَذَا طَالِبُ الْعَلِيَاءِ صَبَّارُ  
 لَهْفِي عَلَيْهِمْ رَجَالًا طَالَمَا عَدَلُوا      بَيْنَ الْأَنَامِ وَمَا حَابُوا وَلَا مَارُوا  
 مَالُوا يَمِينًا عَنِ الدُّنْيَا وَزَهَرَتْهَا      لِأَنَّهَا فِي عِيُونِ الْقَوْمِ أَقْدَارُ  
 وَصَاحِبُهَا بِأَجْسَادِ قُلُوبِهِمْ      طَيْرٌ لَهَا فِي ظِلَالِ الْعَرْشِ أَوْكَارُ

اللَّهُمَّ قَوِّ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاهُ مُهْتَدِينَ سَلْمًا لِأَوْلِيَائِكَ حَرْبًا لِأَعْدَائِكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَعِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّضَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَثَ مِنَ الْبِدَعِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَيُقِيمَ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعَ أَهْلَ الرِّبْعِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## " قصة "

## لأُمِّ سَلَمَةَ وَمَا حَصَلَ لَهَا مِنَ الْأَذَى

اسْمَهَا هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمِيَّةٍ سَيِّدٍ مِنْ سَادَاتِ مَخْزُومِ الْمَرْمُوقِيِّينَ وَجُودًا يُقَالُ لَهُ زَادَ الرَّكِبِ لِأَنَّهُ إِذَا سَافَرَ لَا يَتْرُكُ أَحَدًا يُرَافِقُهُ وَمَعَهُ زَادٌ بَلْ يَقُومُ بِرِفْقَتِهِ مِنَ الزَّادِ ، وَزَوْجُ أُمِّ سَلَمَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ أَحَدُ الْعَشْرَةِ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ لَمْ يُسَلِّمْ قَبْلَهُ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ وَنَقَرَ قَلِيلًا .  
 أَسَلَمَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مَعَ زَوْجِهَا فَكَانَتْ هِيَ الْأُخْرَى مِنَ السَّابِقَاتِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَلَمَّا شَاعَ خَبْرُ إِسْلَامِهَا هَاجَتْ قُرَيْشٌ وَجَعَلَتْ تَصُبُّ عَلَيْهِمَا الْأَذَى الشَّدِيدَ ، فَلَمْ يُؤْتِرْ بِهِمَا وَلَمْ يُزَلِّهِمَا وَلَمْ يَتَرَدَّدا .

وَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِمَا الْأَذَى وَأَذِنَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ كَانَا فِي طَلِيعَةِ الْمُهَاجِرِينَ وَمَضَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَزَوْجُهَا إِلَى دِيَارِ الْعُرْبَةِ وَخَلَفَتْ وَرَاءَهَا فِي مَكَّةَ بَيْتَهَا الْفَسِيحِ الْعَالِي ، وَعَزَّهَا الشَّامِحُ ، وَأَقْرَبَائِهَا وَمَالَهَا مُحْتَسِبَةً الْأَجْرَ مِنَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ مُحْتَقِرَةً مَا تَرَكَتْ فِي جَانِبِ مَرْضَاةِ اللَّهِ .

وَبِالرَّغْمِ مِمَّا حَصَلَ لِأُمِّ سَلَمَةَ وَمَنْ هَاجَرَ مَعَهَا مِنَ الْحَقَاوَةِ وَالْإِكْرَامِ وَالتَّقْدِيرِ ، فَقَدْ كَانَ الشَّقِيُّ يَخْدُوهَا إِلَى مَهَبِطِ الْوَحْيِ وَإِلَى النَّبِيِّ الْكَرِيمِ .

ثُمَّ تَتَابَعَتْ الْأَخْبَارُ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ بِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ فِي مَكَّةَ قَدْ كَثُرُوا وَأَقْتَنُوا وَعَزُّوا ، وَأَنَّ إِسْلَامَ حَمْرَةَ وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَدْ شَدَّ أَرْزُهُمْ وَكَفَّفَ شَيْئًا مِنْ أَدَى قُرَيْشٍ عَنِ الْمُسْلِمِينَ .

فَعَزَمَ فَرِيقٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْعُودَةِ إِلَى مَكَّةَ يَخْدُوهُمْ الشَّقِيُّ وَيَدْعُوهُمْ الْحَنِينُ ، فَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَزَوْجُهَا مَعَ الْعَازِمِينَ عَلَى الْعُودَةِ .

لَكِنْ سُرِعَانَ مَا تَبَيَّنَ لِلْعَائِدِينَ أَنَّ مَا نُقِلَ لَهُمْ مِنَ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ كَانَ مُبَالِغًا

فِيهِ وَأَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ قَابَلُوا زِيَادَةَ الْقُوَّةِ وَالْعِزَّةِ بِالتَّهَوُّرِ وَالتَّفَنُّنِ فِي التَّعْدِيبِ وَتَرْوِيعِهِمْ  
وَإِزْعَاجِهِمْ وَأَذَاقُوهُمْ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ .

عِنْدَ ذَلِكَ أذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَعَزَمَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَرَوْحُهَا  
عَلَى الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ لَكِنَّ هَجْرَتَهُمَا لَمْ تَكُنْ كَمَا ظَنَّا أَنَّهَا سَهْلَةٌ بَلْ كَانَتْ صَعْبَةً عَسِرَةً  
خَلَفَتْ وَرَاءَهَا مَأْسَاءً تَهُونُ دُونَهَا كُلِّ مَأْسَاءٍ .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : وَلَمَّا عَزَمَ أَبُو سَلَمَةَ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ أَعَدَّ لِي بَعِيرًا ، ثُمَّ حَمَلَنِي عَلَيْهِ  
وَجَعَلَ طِفْلَنَا سَلَمَةَ فِي حِجْرِي ، وَمَضَى يَقُودُ بِنَا الْبَعِيرَ ، وَهُوَ لَا يَلْوِي عَلَيَّ شَيْءًا ، وَقَبِلَ  
أَنَّ نَفْسِي لَعَنَ عَنْ مَكَّةَ رَأَى رِجَالٌ مِنْ قَوْمِي مِنْ بَنِي مُخْزُومٍ فَتَصَدُّوا لَنَا .

وَقَالُوا لِأُمِّ سَلَمَةَ : إِنْ كُنْتَ قَدْ عَلَبْتَنَا عَلَى نَفْسِكَ فَمَا بَالُ امْرَأَتِكَ وَهِيَ بِنْتُنَا ، فَعَلَامَ  
نَتْرُكُكَ تَأْخُذُهَا مِنَّا وَتَسِيرُ بِهَا ثُمَّ وَثَبُوا عَلَيْهِ وَانْتَزَعُونِي ، وَمَا إِنْ رَأَهُمْ قَوْمٌ رَوْحِي بَنُو عَبْدِ  
الْأَسَدِ يَأْخُذُونَنِي أَنَا وَطِفْلِي حَتَّى غَضِبُوا غَضَبًا شَدِيدًا .

وَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ لَا نَتْرُكُ الْوَلَدَ عِنْدَ صَاحِبَتِكُمْ بَعْدَ أَنْ انْتَزَعْتُمُوهَا مِنْ صَاحِبِنَا انْتِزَاعًا فَهُوَ  
ابْنُنَا وَنَحْنُ أَوْلَى بِهِ ، قَالَتْ : ثُمَّ طَفِقُوا يَتَجَادَبُونَ الطِّفْلَ بَيْنَهُمْ حَتَّى ضَرَبُوا يَدَهُ وَأَخَذُوهُ .  
وَبَعْدَ لِحْظَاتٍ وَجَدْتُ نَفْسِي مُمَزَّقَةً الشَّمْلِ وَحِيدَةً فَرِيدَةً فَرَوْحِي الْجَّحَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِرَارًا بِدِينِهِ  
وَنَفْسِهِ وَوَلَدِي اخْتَطَفَهُ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ خَطْفًا مُحْطَمًا مُهَيَّضًا .

أَمَّا أَنَا فَقَدْ اسْتَوَلَى عَلَيَّ بَنُو مُخْزُومٍ قَوْمِي وَجَعَلُونِي عِنْدَهُمْ فَفَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِي فِي سَاعَةٍ  
قَالَتْ ، وَمَنْ ذَلِكَ جَعَلْتُ أَخْرَجَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْأَبْطَحِ



فَأَجْلَسُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي شَهِدَ مَأْسَاتِي ، وَاسْتَعِيدُ فِيهَا صُورَةَ اللَّحْظَاتِ الَّتِي حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَ زَوْجِي وَوَلَدِي فِيهَا .

وَأَظَلُّ أَبْيَكِي حَتَّى يُحَيِّمَ عَلَيَّ اللَّيْلَ وَبَقِيْتُ عَلَى ذَلِكَ قَرِيبًا مِنْ سَنَةٍ ، قَالَتْ : إِلَى أَنْ مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّي فَرَّقَ لِحَالِي وَرَحْمَنِي ، قَالَ لِبَنِي قَوْمِي : أَلَا تَطْلُقُونَ هَذِهِ الْمِسْكِينَةَ فَرَّقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَوَلَدِهَا وَمَا زَالَ بِهِمْ حَتَّى قَالُوا لِي : الْحَقِي بِزَوْجِكَ إِنْ شِئْتَ .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : وَلَكِنْ كَيْفَ لِي أَنْ الْحَقُّ بِزَوْجِي فِي الْمَدِينَةِ وَاتْرُكُ فَلَدَهُ كَبْدِي وَوَلَدِي فِي مَكَّةَ عِنْدَ بَنِي عَبْدِ الْأَسَدِ . قَالَتْ : وَرَأَى بَعْضُ النَّاسِ مَا أُعَالَجُ مِنْ أَحْزَانٍ وَأَشْجَانٍ فَرَقَّتْ قُلُوبُهُمْ لِحَالِي وَكَلَّمُوا بَنِي عَبْدِ الْأَسَدِ فِي شَأْنِي وَاسْتَعَطَفُوهُمْ عَلَيَّ فَرَدُّوا لِي وَوَلَدِي سَلَمَةَ . قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : فَأَعَدَدْتُ بَعِيرِي وَوَضَعْتُ وَوَلَدِي فِي حِجْرِي وَخَرَجْتُ مُتَوَجِّهَةً إِلَى الْمَدِينَةِ أُرِيدُ زَوْجِي وَمَا مَعِيَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ .

قَالَتْ : وَمَا وَصَلْتُ التَّنْعِيمَ حَتَّى لَقِيْتُ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ فَقَالَ : إِلَى أَيْنَ يَا بِنْتَ زَادَ الرَّكْبِ ؟ فَقُلْتُ : أُرِيدُ زَوْجِي فِي الْمَدِينَةِ . قَالَ : أَمَا مَعَكَ أَحَدٌ ؟ قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ إِلَّا اللَّهُ . ثُمَّ ابْنِي هَذَا . قَالَ عُثْمَانُ : وَاللَّهِ لَا أَتْرُكُكَ أَبَدًا حَتَّى تَبْلُغِي الْمَدِينَةَ . قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : ثُمَّ أَخَذَ بِحُطَامِ بَعِيرِي وَأَنْطَلَقَ يَهْوِي بِي قَالَتْ : فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَكْرَمَ مِنْهُ وَلَا أَشْرَفَ وَسَارَ مَعِيَ حَتَّى بَلَّغْنَا الْمَدِينَةَ .

فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى الْقَرْيَةِ بِقَبَاءِ لِبَنِي عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ قَالَ : زَوْجُكَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ فَادْخُلِيهَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ وَنَزَلَتْ عَلَى زَوْجِهَا وَفَرَّتْ عَيْنُهَا بِهِ وَبَوْلَدِهَا .

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ شَهِدَ أَبُو سَلَمَةَ بَدْرًا وَعَادَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ انْتَصَرُوا نَصْرًا مُؤَزَّرًا ، وَشَهِدَ أُحُدًا وَأَبْلَى بِلَاءً حَسَنًا ، لَكِنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا وَقَدْ جُرِحَ

جُرْحًا بَلِيغًا فَمَا زَالَ يُعَالِجُهُ حَتَّى تَوَارَى لَهُ أَنَّهُ قَدْ انْدَمَلَ وَالتَّامَ .  
 لَكِنِ الْجُرْحُ كَانَ بِنَاوُهُ عَلَى فَسَادٍ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ نَفَرَ وَالزَّمَّ أَبَا سَلَمَةَ الْفَرَّاشِ .  
 وَبَيْنَمَا أَبُو سَلَمَةَ يُعَالِجُ جُرْحَهُ قَالَ لِزَوْجَتِهِ : يَا أُمَّ سَلَمَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :  
 « لَا يُصِيبُ أَحَدًا مُصِيبَةٌ فَيَسْتَرْجِعُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَقُولُ : « اللَّهُمَّ عِنْدَكَ احْتَسِبُ مُصِيبَتِي  
 هَذِهِ ، اللَّهُمَّ اخْلُفْنِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » .  
 وَظَلَّ أَبُو سَلَمَةَ عَلَى فَرَّاشٍ مَرَضِهِ أَيَّامًا وَفِي ذَاتِ صَبَاحٍ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَيْتِهِ لِيَعُودَهُ  
 ، فَلَمْ يَكْذُ يُجَاوِزُ بَابَ الدَّارِ حَتَّى فَارَقَ أَبُو سَلَمَةَ الْحَيَاةَ .  
 فَأَعْمَضَ النَّبِيُّ ﷺ أَبُو سَلَمَةَ وَقَالَ : إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ اتَّبَعَهُ الْبَصَرُ وَرَفَعَ ﷺ طَرْفُهُ إِلَى  
 السَّمَاءِ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأبي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدَيْنِ وَاخْلُفْهُ فِي عَقْبِهِ وَافْسَحْ  
 لَهُ قَبْرَهُ وَتَوَزَّرْ لَهُ فِيهِ » . ثُمَّ مَا كَادَتْ تَخْرُجُ مِنْ حِدَادٍ حَتَّى تَتَابَعَ عَلَيْهَا الْخُطَّابُ فَتَقَدَّمَ أَبُو  
 بَكْرٍ إِلَيْهَا يَخْطُبُهَا فَأَبَتْ أَنْ تَسْتَجِيبَ لَهُ . ثُمَّ تَقَدَّمَ عُمَرُ بْنُ الْخُطَّابِ فَرَدَّتْهُ كَمَا رَدَّتْ  
 صَاحِبَهُ .  
 ثُمَّ تَقَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فِيَّ حِلَالًا ثَلَاثًا فَأَنَا امْرَأَةٌ شَدِيدَةُ الْغَيْرَةِ  
 فَأَخَافُ أَنْ تَرَى شَيْئًا مِنِّي يُعْضِبُكَ فَيُعَذِّبُنِي اللَّهُ .  
 وَأَنَا امْرَأَةٌ قَدْ دَخَلْتُ فِي السِّنِّ وَأَنَا امْرَأَةٌ ذَاتُ عِيَالٍ .  
 فَقَالَ ﷺ : « أَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنْ غَيْرَتِكَ فَإِنِّي أَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُذَهَبَهَا عَنْكَ . وَأَمَّا  
 مَا ذَكَرْتِ فِي السِّنِّ فَقَدْ أَصَابَنِي مِثْلُ الَّذِي أَصَابَكَ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْعِيَالِ فَإِنَّمَا  
 عِيَالُكَ عِيَالِي » .  
 ثُمَّ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهَا وَاخْلُفَهَا خَيْرًا مِنْ أَبِي سَلَمَةَ .

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمْ تَكُنْ أُمَّ سَلَمَةَ فَقَطْ ، بَلْ كَانَتْ أُمَّا لِلْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا  
وَجَعَلَ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ مَثْوَانًا وَمَثْوَاهَا . أ . ه .

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَلِكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ  
جَنَّتِكَ ، وَادْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ ، وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ  
الْبَلَايَا وَاجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ وَتَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ  
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ  
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى  
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فِيَا وَيْحَ مَنْ شَبَّتْ عَلَى الرَّبِيعِ نَفْسُهُ	إِلَى أَنْ دَهَاها الشَّيْبُ وَهُوَ نَذِيرُ
وَمَاتَ وَمَا لَأَقَى سِوَى الْحَزِيِّ وَالشَّقَا	وَوَبَّخَهُ بَيْنَ الْقُبُورِ نَكِيرُ
وَلَأَقَى إِلَهَ الْعَرْشِ فِي ثَوْبِ حَسْرَةٍ	وَقَدْ كَانَ فِي ثَوْبِ الْعُرُورِ يَدُورُ
فَقَالَ خُدُوهُ لِلْجَحِيمِ مُكْبَلًا	وَصَلُوهُ نَارًا إِنَّهُ لَكُفُورُ
وَيَا فُوزَ مَنْ أَدَّى مَنَاسِكَ دِينِهِ	وَعَاشَ سَلِيمُ الْقَلْبِ وَهُوَ طَهُورُ
وَتَابَعَ دِينَ الْحَقِّ فَفَقَهَا وَحِكْمَةً	وَلَبَّى نَدَاءَ اللَّهِ وَهُوَ شَكُورُ
فَهَذَا الَّذِي فِي الْخُلْدِ يَنْعَمُ بَالَهُ	وَتَحْظُوا بِهِ بَيْنَ الْأَرَائِكِ حُورُ
فَلَا تُهْمَلُوا يَا قَوْمَ آدَابِ دِينِكُمْ	فَهَجْرُ طَرِيقِ الْأَنْبِيَاءِ فُجُورُ
وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا غَمْضَةٌ وَالنِّفَاتَةُ	وَحُلُوْ أَمَانِي فَوُتْهُنَّ مَرِيرُ
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا طَائِرٌ وَجَنَاحُهُ	مُرُورُ لِيَالِي الْعُمْرِ وَهُوَ قَصِيرُ
وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا جَارِحٌ لَا يَعُوقُهُ	إِذَا انْقَضَ بُنْيَانٌ عَلَا وَقُصُورُ
وَرَامِي الْمَنَايَا لَا تُرَدُّ سَهَامُهُ	سَوَاءٌ لَدَيْهَا حَاكِمٌ وَحَقِيرُ
وَأَنَا وَإِنْ عَشْنَا زَمَانًا مُطْوَلًا	وَطَابَ لَدَيْنَا الْعَيْشُ وَهُوَ نَظِيرُ
فَبَطْنُ الثَّرَى حَتْمًا مَحَطٌ رِحَالِنَا	وَهَلْ تَمَّ حَيٌّ مَا حَوَتْهُ قُبُورُ
وَيَا لَيْتَهَا كَانَتْ نَهَايَةً ضَعْنَا	وَلَكِنَّ عُقْبَى الظَّاعِنِينَ نُشُورُ

وَحَشْرٌ مُهْوَلٌ وَازْدِحَامٌ بِمَوْقِفٍ  
 وَمَصْرَفُهُ سِجْنٌ لِمَنْ عَاشَ لَاهِيًا  
 وَخُضْرٌ جِنَانٍ لِلَّذِي مَاتَ تَائِبًا  
 فَلَا تُسَلِّمُوا لِلنَّارِ حَرَّ وَجُوهِكُمْ  
 وَتَوْبُوا إِلَيْهِ وَاسْأَلُوهُ حَنَانَهُ  
 وَلَا يَغْتَرِرْ ذُو الْجَاهِ مِنْكُمْ بِجَاهِهِ  
 وَعَنْ جَاهِهِ وَالْمَالِ مَنْ مَاتَ  
 وَلَا تُلْهِكُمْ دُنْيَا أَبَادَتْ وَأَهْلَكَتْ  
 وَإِنَّا وَإِنْ كَانَتْ أَسَافِلُ قَوْمِنَا  
 وَبَاعُوا بِدُنْيَاهُمْ فَضَائِلَ دِينِهِمْ  
 فَقَدْ أَسْخَطُوا الرَّحْمَنَ حَتَّى أَهَانَهُمْ  
 فَمِنَّا أَنْسَافٌ فِي الدِّيَاجِي نَوَاحِيهِمْ  
 يُنَادُونَ يَا رَحْمَنَ لُطْفًا فَإِنَّا  
 فِيَا مُصْلِحَ الْأَحْوَالِ جَمَلِ شُؤُونِنَا  
 وَأَنْتَ إِلَهُ الْعَالَمِينَ بِأَسْرِهِمْ  
 فَلَا يَأْسَ إِذْ أَنْتَ الْقَدِيرُ وَكُلُّ مَنْ  
 وَصَلَ وَسَلَّمَ يَا إِلَهِي تَفَضُّلاً  
 مُحَمَّدٌ قُطْبُ الْمُرْسَلِينَ وَمَنْ رَحَى

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النَّفَاقِ وَعَمَلْنَا مِنَ الرِّبَايَةِ وَاللَّسْتِنَا مِنَ الْكُذِبِ وَأَعْيِنْنَا  
 مِنَ الْحَيَاةِ إِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورِ . وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ  
 الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

نَمَازِجٌ مِنْ سِيرَةِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ الْمُخْلِصِينَ وَنُصَحِهِمْ لَوْلَاةِ الْأُمُورِ

وَبُعْدِهِمْ عَنِ الطَّمَعِ وَالْجَشَعِ عَكْسَ مَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ عُلَمَاءِ هَذَا الزَّمَانِ

عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَا بِالسَّاحِلِ فَأَتَيْتُهُ ، فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَيْهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ ، رَدَّ عَلَيَّ وَاسْتَجَلَسَنِي ، ثُمَّ قَالَ لِي : مَا الَّذِي أَبْطَأَ بِكَ عَنَّا يَا أَوْزَاعِي .

قَالَ : قُلْتُ : وَمَا الَّذِي تُرِيدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : أُرِيدُ الْأَخْذَ عَنْكُمْ وَالِاقْتِيسَ مِنْكُمْ . قَالَ فَقُلْتُ : فَاَنْظُرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا تَجْهَلَ شَيْئًا مِمَّا أَقُولُ لَكَ ، قَالَ : كَيْفَ أَجْهَلُهُ وَأَنَا أَسْأَلُكَ عَنْهُ وَفِيهِ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ وَأَقْدَمْتُكَ لَهُ .

قَالَ : قُلْتُ : أَخَافُ أَنْ تَسْمَعَهُ ، ثُمَّ لَا تَعْمَلْ بِهِ ، قَالَ : فَصَاحَ بِي الرَّيْعُ وَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى السَّيْفِ ، فَاَنْتَهَرَهُ الْمَنْصُورُ وَقَالَ : هَذَا مَجْلِسُ مَثُوبَةٍ لَا مَجْلِسَ عُقُوبَةٍ فَطَابَتْ نَفْسِي ، وَانْبَسَطْتُ فِي الْكَلَامِ .

فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثَنِي مَكْحُولٌ عَنْ عَطِيَّةَ عَنْ بَشْرِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَيُّمَا عَبْدٍ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنَ اللَّهِ فِي دِينِهِ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ سَيِّمَتْ إِلَيْهِ ، فَإِنَّ قَبْلَهَا بِشْكْرٍ وَإِلَّا كَانَتْ حُجَّةً مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ لِيَزْدَادَ بِهَا إِثْمًا وَيَزْدَادَ اللَّهُ بِهَا سَخَطًا عَلَيْهِ » .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثَنِي مَكْحُولٌ عَنْ عَطِيَّةَ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَيُّمَا وَالٍ مَاتَ غَاشًّا لِرِعِيَّتِهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَرِهَ الْحَقَّ فَقَدِ كَرِهَ اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ، إِنَّ الَّذِي لَيْزَنَ قُلُوبَ أُمَّتِكُمْ لَكُمْ حِينَ وَلَاكُمْ أُمُورَهُمْ لِقَرَابَتِكُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ كَانَ بِهِمْ رَوْفًا رَحِيمًا مُوَاسِيًا هُمْ بِنَفْسِهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ مَحْمُودًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ النَّاسِ ، فَحَقِيقُ بِكَ أَنْ تَقُومَ لَهُ فِيهِمْ بِالْحَقِّ ، وَأَنْ تَكُونَ بِالْقِسْطِ لَهُ فِيهِمْ فَائِمًا وَلِعَوْرَاتِهِمْ سَائِرًا لَا تُعَلِّقُ عَلَيْكَ دُونَهُمُ الْحِجَابَ ، تَبْتَهِّجَ بِالنِّعْمَةِ عِنْدَهُمْ وَتَبْتَيْسَ بِمَا أَصَابَهُمْ مِنْ سُوءٍ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ كُنْتُ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ مِنْ خَاصَّةِ نَفْسِكَ عَنْ عَامَّةِ النَّاسِ الَّذِينَ أَصْبَحَتْ تَمْلِكُهُمْ أَحْمَرُهُمْ وَأَسْوَدُهُمْ مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ وَكُلٌّ لَهُ عَلَيْكَ نَصِيبٌ مِنَ الْعَدْلِ ، فَكَيْفَ بِكَ إِذَا انْبَعَثَ مِنْهُمْ فِقَامٌ ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَشْكُو بَلِيَّةً أَدْخَلْتَهَا عَلَيْهِ أَوْ ظَلَامَةً سُقْتَهَا إِلَيْهِ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثَنِي مَكْحُولٌ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ زُوَيْمٍ قَالَ : كَانَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَرِيدَةٌ يَسْتَاكُ بِهَا وَيُرْوَعُ بِهَا الْمُنَافِقِينَ فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ : يَا مُحَمَّدُ مَا هَذِهِ الْجَرِيدَةُ الَّتِي كَسَرْتَ بِهَا قُلُوبَ أُمَّتِكَ وَمَلَأْتَ قُلُوبَهُمْ رُعبًا ؟ فَكَيْفَ بِمَنْ شَقَّقَ أَسْتَارَهُمْ وَسَفَكَ دِمَاءَهُمْ وَخَرَّبَ دِيَارَهُمْ ، وَأَجْلَاهُمْ عَنْ بِلَادِهِمْ وَغَيَّبَهُمُ الْخَوْفُ مِنْهُ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثَنِي مَكْحُولٌ عَنْ زِيَادَةَ عَنْ حَارِثَةَ عَنْ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا إِلَى الْقِصَاصِ مِنْ نَفْسِهِ فِي خَدَشٍ خَدَشَهُ أَعْرَابِيٌّ لَمْ يَتَعَمَّدهُ ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْكَ جَبَّارًا وَلَا مُتَكَبِّرًا . فدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْأَعْرَابِيَّ فَقَالَ : « اِقْتَصِ مِنِّي » . فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ قَدْ أَحْلَلْتِكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، وَمَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ أَبَدًا ، وَلَوْ أَتَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِي . فدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَضَّ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ ، وَخُذْ لَهَا الْآمَانَ مِنْ رَبِّكَ وَارْعَبْ فِي جَنَّةِ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، الَّتِي يَقُولُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَقَيْدُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْمُلْكَ لَوْ بَقِيَ لِمَنْ قَبْلَكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ ، وَكَذَا لَا يَنْقُصُ لَكَ كَمَا لَمْ يَبْقَ لِعَيْرِكَ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ دَرِي مَا جَاءَ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ جَدِّكَ ﴿ مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾  
قَالَ : الصَّغِيرَةُ التَّبَسُّمُ وَالْكَبِيرَةُ

الضَّحِك . فَكَيْفَ بِمَا عَمَلْتَهُ الْأَيْدِي وَحَصَدْتَهُ الْأَلْسُنُ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَلَعْنِي أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَوْ مَاتَتْ سِخْلَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ ضَيَّعَتْ لِحْشِيْتُ أَنْ أُسْأَلَ عَنْهَا ، فَكَيْفَ مِمَّنْ حُرِمَ عَدْلُكَ وَهُوَ عَلَى بُسَاطِكَ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَدْرِي مَا جَاءَ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ جَدِّكَ ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الزُّبُورِ : يَا دَاوُودُ إِذَا قَعَدَ الْخِصْمَانِ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَكَانَ لَكَ فِي أَحَدِهِمَا هَوَى ، فَلَا تَتَمَنَّيَنَّ فِي نَفْسِكَ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ لَهُ فَيَفْلَحَ عَلَى صَاحِبِهِ ، فَأَتَّخُوكَ عَنْ نُبُوتِي ثُمَّ لَا تَكُونَ خَلِيفَتِي ، وَلَا كَرَامَةً ، يَا دَاوُودُ إِنَّمَا جَعَلْتُ رُسُلِي إِلَى عِبَادِي رُعَاةَ كُرْعَاةِ الْإِبِلِ ، لِعَلِّمَهُم بِالرَّعَايَةِ وَرَفَقَهُم بِالسِّيَاسَةِ لِيَجْبُرُوا الْكَسِيرَ وَيُدْهَبُوا الْهَزِيلَ عَلَى الْكَلَاءِ وَالْمَاءِ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ قَدْ بُلِيتَ بِأَمْرٍ لَوْ عُرِضَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ لِأَبْيَنَ أَنْ يَحْمِلَنَّهُ وَأَشْفَقْنَ مِنْهُ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ جَابِرٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُمَرَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى الصَّدَقَةِ ، فَرَأَاهُ بَعْدَ أَيَّامٍ مُقِيمًا فَقَالَ لَهُ : مَا مَنَعَكَ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَى عَمَلِكَ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ لَكَ مِثْلَ أَجْرِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . قَالَ : لَا . ثُمَّ قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : إِنَّهُ بَلَعَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ وَالٍ يَلِي شَيْئًا مِنْ أُمُورِ النَّاسِ إِلَّا أُتِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعْلُودَةٌ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ ، لَا يَفُكُّهَا إِلَّا عَدْلُهُ ، فَيُوقَفُ عَلَى جِسْرٍِ مِنَ النَّارِ يَنْتَفِضُ بِهِ ذَلِكَ الْجِسْرُ انْتِفَاضَةً تُزِيلُ كُلَّ عَضْوٍ مِنْهُ عَنْ مَوْضِعِهِ ، ثُمَّ يُعَادُ فَيُحَاسَبُ ، فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا بَخًا بِإِحْسَانِهِ ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا انْحَرَفَ بِهِ ذَلِكَ الْجِسْرُ فَيَهْوَى بِهِ فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِمَّنْ سَمِعَتْ ؟ قَالَ : مِنْ أَبِي ذَرٍّ وَسَلْمَانَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا عُمَرُ فَسَأَلَهُمَا فَقَالَا : نَعَمْ . سَمِعْنَا

مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ عُمَرُ : وَأَعْمَرَاهُ مَنْ يَتَوَلَّاهَا بِمَا فِيهَا . فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ سَلَتَ اللَّهُ أَنْفَهُ ، وَالصَّقَّ خَدَّهُ بِالْأَرْضِ . قَالَ . فَأَخَذَ الْمَنْدِيلَ فَوَضَعَهُ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ بَكَى وَانْتَحَبَ حَتَّى أَبْكَانِي .

ثُمَّ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ سَأَلَ الْعَبَّاسُ النَّبِيَّ ﷺ إِمَارَةَ مَكَّةَ أَوْ الطَّائِفَ أَوْ الْيَمَنَ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ النَّبِيِّ نَفْسُ تُحْيِيهَا خَيْرٌ مِنْ أَمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا . نَصِيحَةٌ مِنْهُ لِعَمِّهِ وَشَفَقَةٌ عَلَيْهِ ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَا يُعْنِي عَنْهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، فَقَالَ : « يَا عَبَّاسُ وَيَا صَفِيَّةُ وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ إِنِّي لَسْتُ أُعْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنَّ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ » . وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا يَقْسِمُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا حَصِيفُ الْعَقْلِ أَرِيبُ الْعَقْدِ ، لَا يَطَّلِعُ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ ، لَا يُخَافُ مِنْهُ عَلَى حُرَّةٍ ، وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٍ . وَقَالَ : الْأَمْرَاءُ أَرْبَعَةٌ : فَأَمِيرٌ قَوِيٌّ ظَلَفَ نَفْسَهُ وَعُمَّالُهُ ، فَذَلِكَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَدُ اللَّهِ بِاسِطَةٌ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ . وَأَمِيرٌ فِيهِ ضَعْفٌ ظَلَفَ نَفْسَهُ وَأَرْتَعَ عُمَّالُهُ لِضَعْفِهِ ، فَهُوَ عَلَى شَفَاءِ هَلَاكِ إِلَّا أَنْ يَرْحَمَهُ اللَّهُ ، وَأَمِيرٌ ظَلَفَ عُمَّالُهُ لِضَعْفِهِ وَأَرْتَعَ نَفْسَهُ فَذَلِكَ الْخُطْمَةُ ، الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « شَرُّ الرِّعَاءِ الْخُطْمَةُ » . فَهُوَ الْهَالِكُ وَحْدَهُ ، وَأَمِيرٌ أَرْتَعَ نَفْسَهُ وَعُمَّالُهُ فَهَلَكُوا جَمِيعًا . وَقَدْ بَلَغَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : أَتَيْتُكَ حِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِمُنَافِحِ النَّارِ فَوُضِعَتْ عَلَى النَّارِ تُسَعَّرُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . فَقَالَ لَهُ : « يَا جَبْرِيلُ صِفْ لِي النَّارَ » . فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بِهَا فَأَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى احْمَرَّتْ ، ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى اصْفَرَّتْ ، ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ ، فَهِيَ سَوْدَاءٌ مُظْلَمَةٌ ، لَا يُضِيئُ جَمْرُهَا ، وَلَا يُطْفَأُ هُبُّهَا ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ



أَنَّ ثَوْبًا مِنْ ثِيَابِ أَهْلِ النَّارِ أَظْهَرَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ لَمَاتُوا جَمِيعًا وَلَوْ أَنَّ ذُنُوبًا مِنْ شَرَاهِمَا صُبَّتْ فِي مِيَاهِ الْأَرْضِ جَمِيعًا قَتَلَ مَنْ ذَاقَهُ ، وَلَوْ أَنَّ ذِرَاعًا مِنَ السَّلْسَلَةِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ وَضِعَ عَلَى جِبَالِ الْأَرْضِ جَمِيعًا لَدَابَتْ وَمَا اسْتَقَلَّتْ ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا ادْخَلَ النَّارَ ثُمَّ أُخْرِجَ مِنْهَا لَمَاتَ أَهْلُ الْأَرْضِ مِنْ نَتْنِ رِيحِهِ وَتَشْوِيهِ خَلْقِهِ وَعِظَامِهِ . فَبَكَى النَّبِيُّ ﷺ وَبَكَى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيُكَايِهِ ؟ فَقَالَ : أَتَبْكِي يَا مُحَمَّدٌ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، فَقَالَ : « أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ، وَلَمْ بَكَيْتَ يَا جِبْرِيلُ وَأَنْتَ الرُّوحُ الْأَمِينُ أَمِينُ اللَّهِ عَلَى وَحْيِهِ . قَالَ : أَخَافُ أَنْ أُبْتَلِيَ بِمَا ابْتُلِيَ بِهِ هَارُوتُ وَمَارُوتُ ، فَهُوَ الَّذِي مَنَعَنِي مِنَ اتِّكَالِي عَلَى مَنْزِلَتِي عِنْدَ رَبِّي ، فَأَكُونُ قَدْ أَمِنْتُ مَكْرَهُ ، فَلَمْ يَزَلَا يَبْكِيَانِ حَتَّى نُودِيََا مِنَ السَّمَاءِ ، يَا جِبْرِيلُ ، وَيَا مُحَمَّدٌ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَكَّنَكُمْ أَنْ تَعَصِيَاهُ ، فَيُعَذِّبَاكُمْ ، وَفَضَّلَ مُحَمَّدٌ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ كَفَضَّلَ جِبْرِيلُ عَلَى سَائِرِ الْمَلَائِكَةِ .

وَقَدْ بَلَغَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَيُّ أَبَالِي إِذَا قَعَدَ الْخِضْمَانِ بَيْنَ يَدَيَّ عَلَى مَنْ مَالَ الْحَقُّ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ ، فَلَا تُنْهَلِنِي طَرْفَةَ عَيْنٍ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ أَشَدَّ الشَّدَّةِ الْقِيَامُ لِلَّهِ بِحَقِّهِ ، وَإِنَّ أَكْرَمَ الْكَرَمِ عَنِ اللَّهِ التَّقْوَى ، وَإِنَّهُ مَنْ طَلَبَ الْعِزَّ بِطَاعَةِ اللَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ وَأَعَزَّهُ . وَمَنْ طَلَبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ أَدَلَّهُ ، وَوَضَعَهُ ، فَهَدَاهُ نَصِيحَتِي إِلَيْكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ ، ثُمَّ نَهَضْتُ . فَقَالَ لِي : إِلَى أَيْنَ ؟ فَقُلْتُ : إِلَى الْوَلَدِ وَالْوَطَنِ ، بِإِذْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَقَالَ : قَدْ أَذِنْتَ لَكَ ، وَشَكَرْتُ لَكَ نَصِيحَتَكَ ، وَقَبِلْتُهَا ، وَاللَّهُ الْمُؤَفَّقُ لِلْخَيْرِ وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ ، وَبِهِ أَسْتَعِينُ ، وَعَلَيْهِ أَتَوَكَّلُ ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَلَا تَخْلِنِي بِمُطَالَعَتِكَ إِيَّايَ ، بِمِثْلِ هَذَا فَإِنَّكَ الْمَقْبُولُ الْقَوْلَ غَيْرَ الْمُتَمَّهِمْ فِي النَّصِيحَةِ . قُلْتُ : أَفَعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

" فَصْلٌ "

وَلَمَّا اسْتَوَى الْمَلِكُ الصَّالِحُ عَلَى دِمَشْقَ اسْتَعَانَ بِالْإِفْرَنْجِ ، وَاصْطَلَحَ مَعَهُمْ عَلَى أَنْ يُسْعِفُوهُ ضِدَّ أَحِيهِ ، مَلِكِ مِصْرَ وَيُعْطِيَهُمْ مُقَابِلَ مَعُونَتِهِمْ صَيِّدًا وَقَلْعَةَ الشَّقِيفِ ، وَغَيْرِهَا مِنْ حُصُونِ الْمُسْلِمِينَ .

وَدَخَلَ الصَّلِيبِيُّونَ دِمَشْقَ ، لِشِرَاءِ الصَّلَاحِ فَاسْتَفْظَعَ الشَّيْخُ الْعِزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ لِدَلِكِ ، وَغَمَّ غَمًّا شَدِيدًا ، فَأَفْتَى بِتَحْرِيمِ بَيْعِ السَّلَاحِ لِلْإِفْرَنْجِ ، وَتَرَكَ الدُّعَاءَ لِلسُّلْطَانِ فِي خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ .

وَنَدَّدَ بِحَيَانَةِ السُّلْطَانِ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ مِمَّا دَعَا بِهِ فِي خُطْبَةٍ : « اللَّهُمَّ أَزِمْ لَهُدِهِ الْأُمَّةَ أَمْرَ رُشْدٍ نُعِزُّ فِيهِ وَلِيَّكَ ، وَتُذِلُّ بِهِ عَدُوَّكَ ، وَيُعْمَلُ فِيهِ بِطَاعَتِكَ ، وَيُنْهَى فِيهِ عَنِ مَعْصِيَتِكَ ، وَالنَّاسُ يُؤْمِنُونَ عَلَى دُعَائِهِ " ، فَبِمِثْلِ لَمَحِ الْبَرْقِ بَلَغَ الْجَوَاسِيسُ الْمَلِكَ مَا فَعَلَهُ فَاضِي الْقُضَاةِ .

وَمَا أَكْثَرَ الْمُبَلِّغِينَ وَالْمُتَوَدِّدِينَ وَالنَّمَامِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ، فَغَضِبَ السُّلْطَانُ ، وَعَزَلَ الشَّيْخَ عَنِ الْقُضَاةِ فَرَحَلَ الشَّيْخُ عَنِ دِمَشْقَ إِلَى مِصْرَ ، وَبَيْنَمَا هُوَ فِي الطَّرِيقِ أَرْسَلَ السُّلْطَانُ فِي أَنْرِهِ ، فَأَذْرَكَتُهُ رُسُلُ الْمَلِكِ الصَّالِحِ . وَطَلَبُوا مِنْهُ الرُّجُوعَ ، وَقَالُوا لَهُ : أَنْ السُّلْطَانَ عَفَا عَنْكَ وَسَيَرَدُّكَ إِلَى مَنْصِبِكَ عَلَى أَنْ تَنْكَسِرَ لَهُ وَتَعْتَدِرَ ، وَتُقَبَّلَ يَدُهُ . فَقَالَ لَهُمُ الشَّيْخُ : أَنَا مَا أَرْضَى أَنْ يُقَبَّلَ يَدِي ، فَضِلًّا عَنْ أَنْ أُقَبَّلَ يَدَهُ يَا قَوْمَ أَنْتُمْ فِي وَادِي ، وَأَنَا فِي وَادِي ، ثُمَّ مَضَى فِي طَرِيقِهِ حَتَّى وَصَلَ مِصْرَ . هَكَذَا الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ .

اللَّهُمَّ قَوْنَا بِالْيَقِينِ وَامْنَحْنَا التَّوْفِيقَ وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" فَصَلِّ " : وَلَمَّا عَلِمَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ قَاضِيَ الْجَمَاعَةِ بِفُرْطَبَةِ ، أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ بَنَى مَدِينَةَ الرَّهْرَاءِ وَوَضَعَ فِيهَا الصَّرْحَ الْمُمَرَّدَ ، وَاتَّخَذَ لِغَيْبِهِ قَرَامِيدَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ .

فَعَضِبَ الشَّيْخُ لِذَلِكَ ، وَتَأَلَّمَ لِهَذَا الْبَدْخِ فِي مَالِ الدَّوْلَةِ وَعَلِمَ أَنَّ الْمَسْئُولَ الْأَوَّلَ أَمَامَ بَدِيحِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَأَنَّهُ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ أَنْ يَنْهِيَ عَنِ هَذَا السَّرْفِ الْمُضِرِّ بِصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ .

فَجَاءَ إِلَى النَّاصِرِ وَقَبَّحَ عَمَلَهُ هَذَا وَأَنْبَهَ بِقَوْلِهِ : مَا ظَنَنْتُ أَنْ الشَّيْطَانَ أَخْرَاهُ اللَّهُ بَلَغَ بِكَ هَذَا الْمَبْلَغَ ، وَلَا أَنْ تُمَكِّنَهُ مِنْ قِيَادِكَ هَذَا التَّمَكِينِ حَتَّى أَنْزَلَكَ اللَّهُ مَنَازِلَ الْكَافِرِينَ مَعَ مَا آتَاكَ اللَّهُ وَفَضَّلَكَ عَلَى الْعَالَمِينَ .

فَأَشْعَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ مِنْ قَوْلِ الشَّيْخِ وَقَالَ لَهُ : أَنْظِرْ مَاذَا تَقُولُ ؟ كَيْفَ أَنْزَلَنِي مَنَازِلَهُمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ \* وَلِيُؤْتِيَهُمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ \* وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿

فَسَكَتَ النَّاصِرُ وَنَكَّسَ رَأْسَهُ سَاعَةً ، وَاعْرُورِقَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْبُكَاءِ وَصَارَتْ دُمُوعُهُ تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهِ وَوَجْهِهِ ، خَوْفًا مِنَ اللَّهِ حَيْثُ وَصَلَتْ الْمَوْعِظَةُ الْخَالِصَةُ إِلَى قَلْبِهِ ، وَتَأَثَّرًا عَظِيمًا لِأَنَّهَا مِنْ قَلْبٍ إِلَى قَلْبٍ .

ثُمَّ قَالَ لِلشَّيْخِ : جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ، وَأَكْثَرَ فِينَا مِنْ أَمْثَالِكَ ، فَالَّذِي نَطَقْتَ بِهِ حَقٌّ وَاللَّهُ وَقَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ يَلْهَجُ بِالِاسْتِغْفَارِ ثُمَّ أَمَرَ بِنَقْصِ سَقْفِ الْقُبَّةِ ، وَعَادَ قَرَامِيدَهَا تُرَابًا .

فَتَأَمَّلْ يَا أَحْيَى كَيْفَ أَنَّ سُلْطَانَ الدُّنْيَا وَالْمَادَةِ وَقَفَ حَاشِعًا أَمَامَ هَذَا الْعَالِمِ الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَّا يَمُّ الَّذِي أَدَّى وَاجِبُهُ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ مُعْتَمِدًا

عَلَى فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا وَلَوْ كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ  
هَذَا الْعَصْرِ الْمُظْلَمِ لَسَمِعْتَ غَيْرَ هَذَا فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَهُوَ حَسْبُنَا  
وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

اللَّهُمَّ أَحْيِي قُلُوبَنَا أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِأَلِيمِ عِقَابِكَ يَا أَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ  
بِالنُّوَالِ وَجَادَ بِالْإِفْضَالِ ، اللَّهُمَّ أَتَقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وَإِحْسَانِكَ ، وَتَجَاوِزَ عَنْ جَرَائِمِنَا  
بِعَفْوِكَ وَعُفْرَانِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا  
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" فَصَلِّ " : وَذَكَرَ أَنَّهُ قَدِمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورَ مَكَّةَ شَرَفَهَا اللَّهُ حَاجًّا فَكَانَ يُخْرَجُ مِنْ  
دَارِ النَّدْوَةِ إِلَى الطَّوَافِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ ، يَطُوفُ وَيُصَلِّي وَلَا يُعْلَمُ بِهِ ، فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرَ ،  
رَجَعَ إِلَى دَارِ النَّدْوَةِ ، وَجَاءَ الْمُؤَذِّنُونَ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ .

فَخَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ حِينَ أَسْحَرَ فَبَيْنَمَا هُوَ يَطُوفُ إِذْ سَمِعَ رَجُلًا عِنْدَ الْمُتَرِّمِ وَهُوَ يَقُولُ :  
اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ظُهُورَ الْبَغْيِ وَالْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ، وَمَا يَحُولُ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنَ  
الظُّلْمِ ، وَالطَّمَعِ ، فَأَسْرِعَ الْمَنْصُورُ فِي مَشْيِهِ ، حَتَّى مَلَأَ مَسَامِعَهُ مِنْ قَوْلِهِ وَفَهُمَ قَوْلُهُ كُلَّهُ .

ثُمَّ خَرَجَ فَجَلَسَ نَاحِيَةَ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَدَعَاَهُ ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ وَقَالَ لَهُ : أَجِبْ  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَصَلَّى رُكْعَتَيْنِ وَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ وَأَقْبَلَ مَعَ الرَّسُولِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ  
الْمَنْصُورُ : مَا هَذَا الَّذِي سَمِعْتُكَ تَقُولُ مِنْ ظُهُورِ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَحُولُ بَيْنَ  
الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنَ الطَّمَعِ وَالظُّلْمِ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ حَشَوْتُ مَسَامِعِي مَا أَمْرَضَنِي وَأَقْلَقَنِي .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ أَمْنَتِي عَلَى نَفْسِي أَنْبَأْتُكَ بِالْأُمُورِ مِنْ أُصُولِهَا

وَالْأَقْتَصَرْتُ عَلَى نَفْسِي فِيهَا لِي شُغْلٌ شَاغِلٌ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ آمِنٌ عَلَى نَفْسِكَ .  
فَقَالَ الَّذِي دَخَلَهُ الطَّمَعُ حَتَّى حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَقِّ وَإِصْلَاحِ مَا ظَهَرَ مِنَ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ  
فِي الْأَرْضِ أَنْتَ .

فَقَالَ : وَيْحَكَ يَدْخُلِي الطَّمَعُ وَالصَّفْرَاءُ وَالْبَيْضَاءُ فِي يَدَيَّ وَالْحُلُوَّ وَالْحَامِضَ فِي قَبْضَتِي ؟  
قَالَ : وَهَلْ دَخَلَ أَحَدًا مِنَ الطَّمَعِ مَا دَخَلَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اسْتَرَعَاكَ أُمُورَ  
الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَغْفَلْتَ أُمُورَهُمْ وَاهْتَمَمْتَ بِجَمْعِ أَمْوَالِهِمْ . وَجَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ  
حِجَابًا مِنَ الْجِصِّ ، وَالْأَجْرِ وَأَبْوَابًا مِنَ الْحَدِيدِ وَحِجَبَةً مَعَهُمُ السَّلَاحُ ثُمَّ سَجَنْتَ نَفْسَكَ  
فِيهَا عَنْهُمْ وَبَعَنْتَ عُمَّالَكَ فِي جَمْعِ الْأَمْوَالِ وَجِبَائِيهَا . وَاتَّخَذْتَ وُزَرَءَ وَأَعْوَانًا ظَلَمَةً إِنْ  
نَسِيتَ لَمْ يُدْكِرُوا وَإِنْ ذَكَرْتَ لَمْ يُعِينُوا وَقَوَّيْتَهُمْ عَلَى ظُلْمِ النَّاسِ بِالْأَمْوَالِ وَالْكَرَاعِ ،  
وَالسَّلَاحِ وَأَمَرْتَ بِأَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْكَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فُلَانٌ وَفُلَانٌ سَمَّيْتَهُمْ وَلَمْ تَأْمُرْ بِإِصْلَاحِ  
الْمُظْلَمِينَ وَالْمَلْهُوفِ وَلَا الْجَائِعِ وَلَا الْعَارِيَّ وَلَا الضَّعِيفِ وَلَا الْفَقِيرِ وَلَا أَحَدًا إِلَّا وَلَهُ فِي هَذَا  
الْمَالِ حَقٌّ .

فَلَمَّا رَأَى هَؤُلَاءِ النَّفْرَ الَّذِينَ اسْتَحْلَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ وَأَثَرْتَهُمْ عَلَى رَعِيَّتِكَ وَأَمَرْتَهُمْ أَنْ لَا  
يُحْجِبُوا عَنْكَ بُحْيِي الْأَمْوَالِ وَلَا تُفَسِّمَهَا قَالُوا : هَذَا قَدْ خَانَ اللَّهُ فَمَا لَنَا لَا نُخُونُهُ وَقَدْ سُخِّرَ  
لَنَا .

فَأْتَمَرُوا عَلَى أَنْ لَا يَصِلَ إِلَيْكَ مِنْ عِلْمِ أَخْبَارِ النَّاسِ إِلَّا مَا أَرَادُوا وَأَنْ لَا يُخْرِجَ لَكَ عَامِلٌ  
فِيخَالِفُ لَهُمْ أَمْرًا إِلَّا أَقْصُوهُ حَتَّى تَسْقُطَ مَنْزِلَتُهُ وَيَصْعَرَ قَدْرُهُ .

فَلَمَّا انْتَشَرَ ذَلِكَ عَنْكَ وَعَنْهُمْ ، أَعْظَمَهُمُ النَّاسَ - وَهَابُوهُمْ وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ صَانَعَهُمْ  
عُمَّالَكَ بِالْهَدَايَا وَالْأَمْوَالِ لِيَتَّقُوا بِهِمْ عَلَى ظُلْمِ رَعِيَّتِكَ .

ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ذُوو الْقُدْرَةِ وَالشَّرْوَةِ مِنْ رَعِيَّتِكَ لِيُنَالُوا ظُلْمَ مَنْ دُوهُمْ مِنَ الرَّعِيَّةِ فَاَمْتَلَأَتْ بِلَادُ  
اللَّهِ بِالطَّمَعِ بَعِيًّا وَفَسَادًا وَصَارَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ شُرَكَاءَكَ فِي سُلْطَانِكَ وَأَنْتَ غَافِلٌ .

فَإِنْ جَاءَ مُتَظَلِّمٌ حِيَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدُّخُولِ إِلَيْكَ وَإِنْ أَرَادَ رَفَعَ صَوْتَهُ أَوْ قَصَّتَهُ إِلَيْكَ عِنْدَ  
ظُهُورِكَ وَجَدَكَ قَدْ نَهَيْتَ عَنْ ذَلِكَ ، وَقَفَّتْ لِلنَّاسِ رِجَالًا يَنْظُرُ فِي مَظَالِمِهِمْ ، فَإِنْ جَاءَ  
ذَلِكَ الرَّجُلُ وَبَلَغَ بِطَانَتِكَ سَأَلُوا صَاحِبَ الْمَظَالِمِ أَنْ لَا يَرْفَعِ مَظْلَمَتِهِ وَإِنْ كَانَتْ لِلْمُتَظَلِّمِ  
بِهِ حُرْمَةٌ وَإِجَابَةٌ لَمْ يُمَكِّنْهُ مِمَّا يُرِيدُ خَوْفًا مِنْهُمْ .

فَلَا يَزَالُ الْمَظْلُومُ يَحْتَلِفُ إِلَيْهِ وَيَلُودُ بِهِ وَيَشْكُو ، وَيَسْتَعِيثُ وَهُوَ يَدْفَعُهُ وَيَعْتَلِي عَلَيْهِ ، فَإِذَا  
جَهَدَ ، وَأُخْرِجَ وَظَهَرَتْ صَرَخَ بَيْنَ يَدَيْكَ فَيُضْرَبُ ضَرْبًا مُبْرِحًا ، لِيَكُونَ نَكَالًا بِغَيْرِهِ ،  
وَأَنْتَ تَنْظُرُ ، وَلَا تُنْكِرُ وَلَا تُغْنِي ، فَمَا بَقَاءُ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ عَلَى هَذَا .

وَلَقَدْ كَانَ بَنُو أُمِّيَّةٍ وَكَانَتْ الْعَرَبُ لَا يَنْتَهِي إِلَيْهِمُ الْمَظْلُومُ إِلَّا رُفِعَتْ ظِلَامَتُهُ إِلَيْهِمْ ،  
فَيُنْصَفُ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي مِنْ أَقْصَى الْبِلَادِ حَتَّى يَبْلُغَ بَابَ سُلْطَانِهِمْ ، فَيُنَادِي يَا  
أَهْلَ الْإِسْلَامِ فَيَبْتَدِرُونَهُ مَا لَكَ ؟ فَيَرَفَعُونَ مَظْلَمَتَهُ إِلَى سُلْطَانِهِمْ فَيُنْصَفُ .

وَلَقَدْ كُنْتُ أَسَافِرُ إِلَى أَرْضِ الصِّينِ وَبِهَا مَلِكٌ فَقَدِمْتُهَا مَرَّةً وَقَدْ ذَهَبَ سَمْعُ مَلِكِهِمْ ،  
فَجَعَلَ يَبْكِي . فَقَالَ وَرِزَاؤُهُ : مَا لَكَ تَبْكِي لَا بَكَتَ عَيْنَاكَ .

فَقَالَ : أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَبْكِي عَلَى الْمُصِيبَةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِي ، وَلَكِنْ أَبْكِي لِمَظْلُومٍ يَصْرُخُ  
بِالْبَابِ فَلَا أَسْمَعُ صَوْتَهُ .

ثُمَّ قَالَ : أَمَا إِنْ كَانَ ذَهَبَ سَمْعِي فَإِنَّ بَصَرِي لَمْ يَذْهَبْ ، نَادُوا فِي النَّاسِ أَلَا لَا يَلْبِسُ ثَوْبًا  
أَحْمَرَ إِلَّا مَظْلُومًا ، فَكَانَ يَرْكَبُ الْفِيلَ وَيَطُوفُ النَّهَارَ هَلْ يَرَى مَظْلُومًا فَيُنْصَفُهُ .

هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ ، قَدْ غَلَبَتْ رَأْفَتُهُ بِالْمُشْرِكِينَ ، وَرَقَّتْهُ ، عَلَى شُحِّ نَفْسِهِ فِي مَلِكِهِ وَأَنْتَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ ، وَابْنُ عَمِّ نَبِيِّ اللَّهِ لَا تَعْلَبُكَ رَأْفَتُكَ بِالْمُسْلِمِينَ ، وَرَقَّتْكَ عَلَى شُحِّ نَفْسِكَ ؛ فَإِنَّكَ لَا تَجْمَعُ الْأَمْوَالَ إِلَّا لِوَاحِدٍ مِنْ ثَلَاثَةٍ .

إِنْ قُلْتَ أَجْمَعُهَا لَوْلَدِي فَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ عِبْرًا فِي الطِّفْلِ الصَّغِيرِ يَسْقُطُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ وَمَا لَهُ عَلَى الْأَرْضِ مَالٌ ، وَمَا مِنْ مَالٍ إِلَّا وَدُونُهُ يَدٌ شَحِيحَةٌ تَحْوِيهِ ، فَمَا يَزَالُ اللَّهُ تَعَالَى يَلْطَفُ بِذَلِكَ الطِّفْلِ حَتَّى تَعْظُمَ رَغْبَةُ النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَلَسْتَ الَّذِي تُعْطِي بَلِ اللَّهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ .

وَإِنْ قُلْتَ : أَجْمَعُ لِأَشِيدِ سُلْطَانِي فَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ عِبْرًا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكَ مَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا جَمَعُوهُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَمَا أَعَدُّوا مِنَ الرِّجَالِ وَالسَّلَاحِ وَالْكَرَاعِ وَمَا ضَرَكَ وَوَلَدَ أَيْبِكَ مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنْ قَلَّةِ الْجِدَّةِ وَالضَّعْفِ حِينَ أَرَادَ اللَّهُ بِكُمْ مَا أَرَادَ .

وَإِنْ قُلْتَ : أَجْمَعُ لِطَلَبِ غَايَةٍ هِيَ أَجْسَمُ مِنَ الْغَايَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا . فَوَاللَّهِ مَا فَوْقَ مَا أَنْتَ فِيهِ إِلَّا مَنْزِلُهُ لَا تُدْرِكُ إِلَّا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ - يُرِيدُ الْجَنَّةَ وَصَدَقَ رَحْمَةُ اللَّهِ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ تَعَاقَبُ مَنْ عَصَاكَ مِنْ رَعِيَّتِكَ بِأَشَدِّ مِنَ الْقَتْلِ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِالْمَلِكِ الَّذِي حَوَّلَكَ ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ مُلْكِ الدُّنْيَا .

وَهُوَ تَعَالَى لَا يُعَاقِبُ مَنْ عَصَاهُ بِالْقَتْلِ ، وَلَكِنْ يُعَاقِبُ مَنْ عَصَاهُ بِالْخُلُودِ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ، وَهُوَ الَّذِي يَرَى مِنْكَ مَا عَقَدَ عَلَيْهِ قَلْبُكَ وَأَضْمَرْتَهُ جَوَارِحُكَ فَمَاذَا تَقُولُ إِذَا انْتَزَعَ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ مُلْكَ الدُّنْيَا مِنْ يَدِكَ وَدَعَاكَ إِلَى الْحِسَابِ هَلْ يُعْنِي عَنْكَ عِنْدَهُ شَيْءٌ بِمَا كُنْتَ فِيهِ بِمَا شَحِحتَ عَلَيْهِ مِنْ مُلْكِ الدُّنْيَا .

فَبَكَى الْمَنْصُورُ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى نَحَبَ وَارْتَفَعَ صَوْتُهُ ، ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ احْتِيَالي فِيمَا خُوِّلْتُ فِيهِ وَلَمْ أَرَّ مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَائِنًا ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكَ بِالْأَيْمَةِ الْأَعْلَامِ الْمُرْشِدِينَ . قَالَ : وَمَنْ هُمْ ؟ قَالَ : الْعُلَمَاءُ . قَالَ : قَدْ فُرُّوا مِنِّي ، قَالَ : هَرَبُوا مِنْكَ مَخَافَةَ أَنْ تَحْمِلَهُمْ عَلَى مَا ظَهَرَ مِنْ طَرِيقَتِكَ مِنْ قَبْلِ عُمَّالِكَ .

وَلَكِنْ افْتَحَ الْأَبْوَابَ وَسَهَّلَ الْحِجَابَ ، وَانْتَصَرَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ ، وَامْنَعَ الْمَظْلَمِ وَخَذَ الشَّيْءَ مِمَّا حَلَّ وَطَابَ وَأَقْسَمَهُ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ ، وَأَنَا ضَامِنٌ عَلَى أَنَّ مَنْ هَرَبَ مِنْكَ أَنْ يَأْتِيكَ ، فَيُعَاوِنَكَ عَلَى صَلَاحِ أَمْرِكَ ، وَرِعِيَّتِكَ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : اللَّهُمَّ وَفَّقْنِي أَنْ أَعْمَلَ بِمَا قَالَ هَذَا الرَّجُلُ وَأَقِيمَتِ الصَّلَاةَ فَخَرَجَ فَصَلَّى بِهِمْ .. الخ .

شِعْرًا : مَا ضَرَّ مَنْ رَهَبَ الْمُلُوكَ لَوْ أَنَّهُ رَهَبَ الَّذِي جَعَلَ الْمُلُوكَ مُلُوكًا  
وَإِذَا رَجَوْتَ لِنِعْمَةٍ أَوْ نِقْمَةٍ فَارْجُ الْمَلِيكَ وَحَاذِرِ الْمَمْلُوكَا  
وَإِذَا دَعَوْتَ سِوَى الْإِلَهِ فَإِنَّمَا صَيَّرْتَ لِلرَّحْمَنِ فِيكَ شَرِيكًا  
آخِر : وَاللَّهُ بِالْغَيْبِ ، وَالتَّقْدِيرِ مُنْفَرِدٌ وَمَا سِوَى حُكْمِهِ غَيٌّ وَتَضْلِيلٌ  
فَلَا مُعْجَلٍ لِلْمَقْضَى آجِلُهُ وَلَيْسَ لِلْعَاجِلِ الْمَقْضَى تَأْجِيلٌ  
ثِقْ بِالْعَلِيمِ الَّذِي يَقْضِي الْأُمُورَ وَلَا يَغْرَكَ مَا دُونَهُ ؛ فَالْكَلُّ تَعْلِيلٌ

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ وَاعْفِرْ لَنَا .

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَقَّفْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَا دَاعٍ ، وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ ، يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ وَجُوبِ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَيْنَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أَدِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا : زِيَادَةُ الْمَرِّ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَانٌ وَرَيْحُهُ غَيْرَ مَحْضِ الْخَيْرِ حُسْرَانٌ  
وَكُلُّ وَجْدَانٍ حَظٌّ لَا ثَبَاتَ لَهُ فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِي التَّحْقِيقِ فُقْدَانٌ



يَا عَامِرًا لِحَرَابِ الدَّهْرِ مُجْتَهِدًا  
وَيَا حَرِيصًا عَلَى الْأَمْوَالِ تَجْمَعُهَا  
رَاعِي الْفُؤَادَ عَنِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفَهَا  
وَأَنْعَ سَمْعَكَ أَمْثَالًا أَفْصِلُهَا  
أَحْسِنِ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبَهُمْ  
يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لِحِدْمَتِهِ  
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا  
وَإِنْ أَسَاءَ مُسِيئٌ فَلْيَكُنْ لَكَ فِي  
وَكُنْ عَلَى الدَّهْرِ مِعْوَانًا لِذِي أَمَلٍ  
وَأَشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا  
مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُحْمَدُ فِي عَوَاقِبِهِ  
مَنْ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبِ  
مَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ مَنَاعًا فَلَيْسَ لَهُ  
مَنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالِ النَّاسِ قَاطِبَةً  
مَنْ سَأَلَ النَّاسَ يَسْلَمَ مِنْ غَوَائِلِهِمْ  
مَنْ كَانَ لِلْعَقْلِ سُلْطَانًا عَلَيْهِ غَدَا  
مَنْ مَدَّ طَرْفًا بِفَرْطِ الْجَهْلِ نَحْوَ هَوَى  
مَنْ اسْتَشَارَ صُرُوفَ الدَّهْرِ قَامَ لَهُ  
مَنْ يَزْرَعِ الشَّرَّ يَحْصُدُ فِي عَوَاقِبِهِ  
مَنْ اسْتَتَمَ إِلَى الْأَشْرَارِ نَامَ وَفِي  
كُنْ رِيْقَ الْبَشْرِ إِنَّ الْحَرَ هِمَّتُهُ  
وَرَافِقِ الرِّقِّ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَلَمْ  
وَلَا يَغْرَنَكَ حَظُّ جَرِّهِ خَرَقُ

بِاللَّهِ هَلْ لِحَرَابِ الدَّهْرِ عُمْرَانُ  
أَنْسَيْتَ أَنَّ سُرُورَ الْمَالِ أَحْزَانُ  
فَصَفُوهَا كَدْرٌ وَالْوَصْلُ هُجْرَانُ  
كَمَا يُفْصَلُ يَأْقُوتُ وَمَرْجَانُ  
فَطَالَ مَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانَ إِحْسَانُ  
أَتَطْلُبُ الرِّيحَ مِمَّا فِيهِ خُسْرَانُ  
فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ  
عُرُوضِ زَلَّتْهُ عَفْوٌ وَعُفْرَانُ  
يَرْجُوا نَدَاكَ فَإِنَّ الْحُرَّ مِعْوَانُ  
فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ  
وَيَكْفِيهِ شَرٌّ مَنْ عَزُوا وَمَنْ هَانُوا  
فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجْزٌ وَخَذْلَانُ  
عَلَى الْحَقِيقَةِ إِخْوَانُ وَأَخْدَانُ  
إِلَيْهِ وَالْمَالُ لِلْإِنْسَانِ فَتَّانُ  
وَعَاشَ وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ خَذْلَانُ  
وَمَا عَلَى نَفْسِهِ لِلْحِرْصِ سُلْطَانُ  
أَغْضَى عَلَى الْحَقِّ يَوْمًا وَهُوَ خَزْيَانُ  
عَلَى حَقِيقَةِ طَبَعِ الدَّهْرِ بُرْهَانُ  
نَدَامَةٌ وَلِحَصْدِ الزَّرْعِ إِبَّانُ  
فَمِصْرِهِ مِنْهُمُوهَا صِلَ وَتُعْبَانُ  
صَحِيفَةٌ وَعَلَيْهَا الْبَشْرِ عُثْوَانُ  
يَنْدَمُ رَفِيقٌ وَلَمْ يَدْمُمْهُ إِنْسَانُ  
فَالْخَرَقُ هَدْمٌ وَرَفِقُ الْمَرَالِ بُنْيَانُ

أَحْسِنُ إِذَا كَانَ إِمْكَانٌ وَمَقْدِرَةٌ  
فَالرُّوضُ يَزْدَانُ بِالْأَنْوَارِ فَاعْمُهُ  
دَعِ الْحُرَّ وَجْهَكَ لَا تَهْتِكْ غَلَاتَهُ  
لَا ضَلَّ لِلْمَرْءِ يَعْرِى مِنْ نُهْيٍ وَتَقَى  
وَالنَّاسُ أَعْوَانُ مَنْ وَلْتَهُ دَوْلَتُهُ  
سَحْبَانُ مَنْ غَيْرِ مَالٍ بِأَقْلٍ حَصْرٌ  
وَلَا تُودِعِ السَّرَّ وَشَاءَ بِهِ مَذَلًا  
لَا تَحْسَبِ النَّاسَ طَبْعًا وَاحِدًا فَلَهُمْ  
مَا كُلُّ مَاءٍ كَصَدَاءٍ لِيُؤَادِهِ  
لَا تَخْدِشَنَّ بِمَطْلٍ وَجْهَ عَارِفَةٍ  
لَا تَسْتَشِرْ غَيْرَ نَدْبٍ حَازِمٍ يَقْظِ  
فَلْتَدَابِيرِ فُرْسَانَ إِذَا رَكُضُوا  
وَلِلْأُمُورِ مَوَاقِيْتُ مُقَدَّرَةٌ  
فَلَا تَكُنْ عَجَلًا فِي الْأَمْرِ تَطْلُبُهُ  
كَفَى مِنَ الْعَيْشِ مَا قَدْ سَدَّ مِنْ عَوَزٍ  
وَذُوا الْفَنَاعَةِ رَاضٍ مِنْ مَعِيشَتِهِ  
حَسْبُ الْفَتَى عَقْلُهُ جَلًّا يُعَاشِرُهُ  
هُمَا رَضِيعًا لِبَانٍ حَكْمَةٌ وَتَقَى  
إِذَا نَبَا بِكَرِيمٍ مَوْطِنٌ فَلَهُ  
يَا ظَالِمًا فَرَحًا بِالْعِزِّ سَاعِدُهُ  
مَا اسْتَمْرَأَ الظُّلْمَ لَوْ أَنْصَفْتَ آكَلَهُ  
يَا أَيُّهَا الْعَالِمُ الْمَرْضِيُّ سِيرَتُهُ  
وَيَا أَخَا الْجَهْلِ لَوْ أَصْبَحْتَ فِي لُجَجِ

فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِمْكَانُ  
وَالْحُرُّ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ يَزْدَانُ  
فَكُلُّ حُرٍّ لِحُرِّ الْوَجْهِ صَوَّانُ  
وَإِنْ أَظَلَّلْتَهُ أَوْرَاقٌ وَأَفْنَانُ  
وَهُمْ عَلَيْهِ إِذَا عَادَتْهُ أَعْوَانُ  
بِأَقْلٍ فِي ثَرَاءِ الْمَالِ سَحْبَانُ  
فَمَا رَعَى غَنَمًا فِي الدَّوِّ سِرْحَانُ  
غَرَائِزُ لَسْتَ تُحْصِيهِنَّ أَلْوَانُ  
نَعْمٌ وَلَا كُلُّ نَبْتٍ فَهُوَ سَعْدَانُ  
فَالْبُرُّ يَخْدِشُهُ مَطْلٌ وَيَلِيَانُ  
قَدْ اسْتَوَى عِنْدَهُ سِرٌّ وَإِعْلَانُ  
فِيهَا أَبْرُوا كَمَا لِلْحَرْبِ فُرْسَانُ  
وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ حَدٌّ وَمِيزَانُ  
فَلَيْسَ يُحْمَدُ قَبْلَ النُّضْجِ بُحْرَانُ  
فَفِيهِ لِلْحُرِّ قُنْيَانٌ وَغُنْيَانُ  
وَصَاحِبُ الْحِرْصِ إِنْ أَثْرَى فَعُضْبَانُ  
إِذَا تَحَامَاهُ إِخْوَانٌ وَخِلَانُ  
وَسَاكِنَا وَطَنٍ مَالٌ وَطُغْيَانُ  
وَرَاءَهُ فِي بَسِيطِ الْأَرْضِ أَوْطَانُ  
إِنْ كُنْتَ فِي سَنَةِ الدَّهْرِ يَقْضَانُ  
وَهَلْ يَلِدُ مَذَاقُ الْمَرْءِ خُطْبَانُ  
أَبْشِرُ فَأَنْتَ بَغَيْرِ الْمَاءِ رِيَانُ  
فَأَنْتَ مَا بَيْنَهَا لَا شَكَّ ضَمْنَانُ

وَلَا تَحْسَبَنَّ سُورًا دَائِمًا أَبَدًا      مِنْ سَرَّهُ زَمَنَ سَاءَتْهُ أَرْمَانُ  
يَا رِفْلًا فِي الشَّبَابِ الْوَجْفِ مُنْتَشِيًا      مِنْ كَأْسِهِ هَلْ أَصَابَ الرُّشْدَ نَشْوَانُ  
لَا تَغْتَرِرْ بِشَبَابِ زَائِلٍ خَضَلٍ      فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شُبَّانُ  
وَيَا أَخَا الشَّيْبِ لَوْ نَاصَحْتَ نَفْسَكَ      يَكُنْ لِمِثْلِكَ فِي الْإِسْرَافِ إِمْعَانُ  
هَبِ الشَّيْبَةَ تُبَلَى عُنْدَ صَاحِبِهَا      مَا عُنْدُ أَشْيَبِ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانُ  
كُلُّ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا      إِنَّ شَيْعَ الْمَرْءِ إِخْلَاصٌ وَإِيمَانُ  
وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْبِرُهُ      وَمَا لِكَسْرِ قِنَاةِ الدِّينِ جُبْرُنُ

### نصيحة أبي حازم التابعي لسليمان بن عبد الملك

رُوي أنَّه لما حجَّ سليمان بن عبد الملك ودخل المدينة زائرًا لقبر رسول الله ﷺ ، ومعهُ ابن شهاب الزهري ورجاء بن حيوة ، فأقام بها ثلاثة أيام ، فقال : أما ها هنا رجلٌ ممن أدرك أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فقيل له : بلى . ها هنا رجلٌ يُقال له أبو حازم . فبعث إليه فجاءه وهو أقور أعرج ، فلما نظر إليه سليمان إزدرتُه عينه ، فقال له : يا أبا حازم : ما هذا الجفاء الذي ظهر منك وأنت تُوصف برؤية أصحاب رسول الله ﷺ مع فضلٍ ودينٍ تُذكرُ به .

فقال أبو حازم : وأي جفاء رأيت مني يا أمير المؤمنين ؟ فقال سليمان : أنه آتاني وجوه أهل المدينة وعلماءها وخيارها ، وأنت معدودٌ فيهم ولم تأتني . فقال أبو حازم : أعيدك بالله أن تقول ما لم يكن ما جرى بيني وبينك معرفةً آتاك عليها .

قال سليمان : صدق الشيخ . فقال : يا أبا حازم ما لنا نكره الموت ؟ فقال أبو حازم : لأنكم أخرجتم أخرجتكم ، وعمرتهم دنياكم ، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب ! قال سليمان : صدقت يا أبا حازم ، فكيف القدوم على الآخرة ؟ قال : نعم : أما المحسن فإنه يقدم على الآخرة كالعائب يقدم على أهله من سفرٍ بعيد .

وأما القدوم المسيء فكالعبد الأبقى يُؤخذ فيشدد كتافه ، فيؤتى به إلى سيدٍ فظٍّ غليظٍ ، فإن شاء عفا وإن شاء عذب ! فبكي سليمان بكاءً شديدًا ، وبكى من حوله .

ثُمَّ قَالَ : لَيْتَ شِعْرِي مَا لَنَا عِنْدَ اللَّهِ يَا أَبَا حَازِمٍ ؟ فَقَالَ : اعْرِضْ نَفْسَكَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ مَا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ . قَالَ سُلَيْمَانُ : يَا أَبَا حَازِمٍ وَأَيْنَ أُصِيبُ تِلْكَ الْمَعْرِفَةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ؟ قَالَ : عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ \* وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ .  
 قَالَ سُلَيْمَانُ : يَا أَبَا حَازِمٍ فَأَيْنَ رَحْمَةُ اللَّهِ ؟ قَالَ : « إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ »  
 قَالَ سُلَيْمَانُ : يَا أَبَا حَازِمٍ : مَنْ أَعْقَلَ النَّاسِ ؟ قَالَ أَبُو حَازِمٍ : أَعْقَلَ النَّاسِ مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهَا النَّاسَ .

قَالَ سُلَيْمَانُ : فَمَنْ أَحَقُّ النَّاسِ ؟ فَقَالَ : مَنْ حَطَّ فِي هَوَى رَجُلٍ وَهُوَ ظَالِمٌ فَبَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ ! قَالَ سُلَيْمَانُ : فَمَا أَسْمَعُ الدُّعَاءَ ؟ قَالَ أَبُو حَازِمٍ : دُعَاءُ الْمُخْتَبِينَ الْخَائِفِينَ .  
 فَقَالَ سُلَيْمَانُ : فَمَا أَزْكَى الصَّدَقَةِ عِنْدَ اللَّهِ ؟ قَالَ : جُهْدُ الْمُقِلِّ . قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِيمَا ابْتُلِينَا بِهِ ؟ قَالَ : اعْفِنَا عَنْ هَذَا وَعَنْ الْكَلَامِ فِيهِ أَصْلَحَكَ اللَّهُ . قَالَ سُلَيْمَانُ : نَصِيحَةٌ تُتْلِيهَا . فَقَالَ : مَا أَقُولُ فِي سُلْطَانٍ اسْتَوَى عُنُودَهُ بِلا مَشُورَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا اجْتِمَاعٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَسُفِكَتَ فِيهِ الدِّمَاءُ الْحَرَامُ ، وَفُطِعَتْ بِهِ الْأَرْحَامُ ، وَعُظِّلَتْ بِهِ الْخُدُودُ ، وَنُكِّتَتْ بِهِ الْعُهُودُ ، وَكُلُّ ذَلِكَ عَلَى تَنْفِيدِ الطَّيْنَةِ ، وَالْجَمْعِ وَمَاذَا يُقَالُ لَكُمْ !  
 فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَائِهِ : بَيْسَ مَا قُلْتَ يَا أَقْوَرُ !! أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُسْتَقْبَلُ بِهَذَا ؟ فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : أَسْكُتْ يَا كَاذِبَ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ فِرْعَوْنَ هَامَانُ . وَهَامَانُ فِرْعَوْنُ !

إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ لِيُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ ، أَيْ لَا يَنْبُدُونَهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ .  
 قَالَ سُلَيْمَانُ : يَا أَبَا حَازِمٍ : كَيْفَ لَنَا أَنْ نُصْلِحَ مَا فَسَدَ مِنَّا ؟ فَقَالَ : الْمَأْخَذُ فِي ذَلِكَ قَرِيبٌ يَسِيرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَاسْتَوَى سُلَيْمَانُ جَالِسًا مِنْ إِتْكَائِهِ فَقَالَ : كَيْفَ ذَلِكَ ؟  
 فَقَالَ : تَأْخُذُ الْمَالِ مِنْ حِلِّهِ ، وَتَضَعُهُ فِي أَهْلِهِ ، وَتَكْفُ الْأَكْفَ عَمَّا هُمِّيَتْ عَنْهُ وَتُضَيِّبُهَا  
 فِيمَا أُمِرَتْ بِهِ .

قَالَ سُلَيْمَانُ : وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : مَنْ هَرَبَ مِنَ النَّارِ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَنَبَذَ  
 سُوءَ الْعَادَةِ إِلَى خَيْرِ الْعِبَادَةِ . فَقَالَ سُلَيْمَانُ : اصْحَبْنَا يَا أَبَا حَازِمٍ ، وَتَوَجَّهْ مَعَنَا تُصِيبْ  
 مِنَّا وَتُصِيبْ مِنْكَ . فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ! .

قَالَ سُلَيْمَانُ : وَلَمْ يَا أَبَا حَازِمٍ ؟ قَالَ : أَخَافُ أَنْ أَرْكُنُ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَيُذَيَّبُنِي اللَّهُ  
 ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ . فَقَالَ سُلَيْمَانُ : فَتَزُورُنَا ؟

قَالَ أَبُو حَازِمٍ : إِنَّا عَهْدْنَا الْمُلُوكَ يَأْتُونَ عَلَى الْعُلَمَاءِ ، وَلَمْ يَكُنِ الْعُلَمَاءُ يَأْتُونَ الْمُلُوكَ ،  
 فَصَارَ فِي ذَلِكَ صِلَاحُ الْقَرِيبَيْنِ ، ثُمَّ صِرْنَا الْآنَ فِي زَمَانِ الْعُلَمَاءِ يَأْتُونَ الْمُلُوكَ ، وَالْمُلُوكُ  
 تَفْعُدُ عَنِ الْعُلَمَاءِ ، فَصَارَ ذَلِكَ فَسَادُ الْقَرِيبَيْنِ جَمِيعًا .

اللَّهُمَّ وَقَفْنَا لِمَا وَقَفْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيِّقْظُنَا مِنْ سِنَةِ الْعُقَلَةِ وَالنَّوْمِ وَارْزُقْنَا الْاِسْتِعْدَادَ لِذَلِكَ  
 الْيَوْمِ الَّذِي يَرِيحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ ، اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجِدْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ  
 وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ  
 الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى  
 آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" فَصَلِّ " : قَالَ سُلَيْمَانُ : فَأَوْصِنَا يَا أَبَا حَازِمٍ وَأَوْجِزْ : قَالَ : اتَّقِ اللَّهَ أَنْ لَا يَرَاكَ حَيْثُ  
 نَهَاكَ ، وَلَا يَفْقِدُكَ حَيْثُ أَمَرَكَ . قَالَ سُلَيْمَانُ : ادْعُ لَنَا بِخَيْرٍ . فَقَالَ

أَبُو حَازِمٍ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ سُلَيْمَانُ وَلِيًّا فَبَشِّرْهُ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا فَخُذْ  
إِلَى الْخَيْرِ بِنَاصِيَتِهِ . قَالَ سُلَيْمَانُ : زِدْنِي . قَالَ : قَدْ أُوجِزْتُ ، فَإِنَّ كُنْتُ وَلِيًّا فَاغْتَبِطْ ،  
وَإِنْ كُنْتُ عَدُوًّا فَاتَّعِظْ ، فَإِنَّ رَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا مُبَاحَةٌ وَلَا يَكْتُوبُهَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا لِمَنْ اتَّقَى  
فِي الدُّنْيَا ؛ فَلَا نَفْعَ فِي قَوْسٍ يَرْمِي بِهَا وَتَرٍ .

فَقَالَ سُلَيْمَانُ : هَاتِ يَا غُلَامُ أَلْفَ دِينَارٍ . فَأَتَاهُ بِهَا . فَقَالَ : خُذْهَا يَا أَبَا حَازِمٍ . فَقَالَ  
: لَا حَاجَةَ لِي بِهَا ، لِأَنِّي وَغَيْرِي فِي هَذَا الْمَالِ سَوَاءٌ ، فَإِنْ سَوَّيْتَ بَيْنَنَا وَعَدِلْتَ أَخَذْتُ  
، وَإِلَّا فَلَا . لِأَنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ ثَمْنَا لِمَا سَمِعْتَ مِنْ كَلَامِي ، وَإِنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا هَرَبَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَرَدَّ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ الْجَارِيَتَيْنِ تَدُودَانَ ، فَقَالَ : مَا  
لَكُمَا مُعِينٌ ؟ قَالَتَا : لَا ، فَسَمَى لهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ : « رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ  
مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ » وَلَمْ يَسْأَلْ أَجْرًا .

فَلَمَّا أَعْجَلَ بِالْجَارِيَتَيْنِ الْانْصِرَافَ أَنْكَرَ ذَلِكَ أَبُوهُمَا ، فَقَالَ لَهُمَا : مَا أَعْجَلَكُمَا الْيَوْمَ ؟  
قَالَتَا : وَجَدْنَا رَجُلًا صَالِحًا قَوِيًّا سَقَى لَنَا . قَالَ : مَا سَمِعْتُمَاهُ يَقُولُ ؟ قَالَتَا : تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ  
وَهُوَ يَقُولُ : « رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ » .

فَقَالَ : يَنْبَغِي لِهَذَا أَنْ يَكُونَ جَائِعًا . تَنْطَلِقُ إِحْدَاكُمَا لَهُ ، فَتَقُولُ لَهُ : إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ  
لِيَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ، فَأَتَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى إِسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ : قَالَتْ إِنَّ أَبِي  
يَدْعُوكَ لِيَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا .

فَجَزَعَ مُوسَى مِنْ ذَلِكَ وَكَانَ طَرِيدًا فِي الْبَحْرِ وَالصَّحَارِي ، فَقَالَ لَهَا : قُولِي لِأَبِيكَ إِنَّ  
الَّذِي سَقَى يَقُولُ : لَا أَقْبَلُ أَجْرًا عَلَى مَعْرُوفٍ إِصْطَنَعْتُهُ .

فَانْصَرَفَتْ إِلَى أَبِيهَا فَأَخْبَرَتْهُ ، فَقَالَ : إِذْهَبِي فَقُولِي لَهُ : أَنْتَ بِالْخِيَارِ بَيْنَ قُبُولِ

مَا يَعْرُضُ عَلَيْكَ أَبِي وَبَيْنَ تَرْكِهِ ، فَأَقْبِلْ يُحِبُّ فَإِنَّهُ يِرَاكَ وَيَسْمَعُ مِنْكَ . فَأَقْبَلَ وَالْجَارِيَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَهَبَّتِ الرِّيحُ ، فَوَصَفَتْهَا لَهُ وَكَانَتْ ذَاتَ خَلْقٍ كَامِلٍ : فَقَالَ لَهَا كُونِي وَرَائِي وَأَرِنِي سَمْتِ الطَّرِيقِ .

فَلَمَّا بَلَغَ الْبَابَ قَالَ : اسْتَأْذِنِي لَنَا . فَدَخَلَتْ عَلَى أَبِيهَا ، فَقَالَتْ : إِنَّهُ مَعَ قُوْتِهِ لِأَمِينٍ ، فَقَالَ شُعَيْبٌ : وَبِمَ عَرَفْتِ ذَلِكَ ؟ فَأَخْبَرَتْهُ مَا كَانَ مِنْ قَوْلِهِ عِنْدَ هُبُوبِ الرِّيحِ عَلَيْهَا . فَقَالَ : ادْخِلِيهِ ، فَدَخَلَ فَإِذَا شُعَيْبٌ قَدْ وَضَعَ الطَّعَامَ ، فَلَمَّا سَلَّمَ رَحَّبَ بِهِ وَقَالَ : أَصِبْ مِنْ طَعَامِنَا يَا فَتَى . فَقَالَ مُوسَى : أَعُوذُ بِاللَّهِ . قَالَ شُعَيْبٌ : لِمَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي مِنْ بَيْتِ لَا نَبِيْعَ دِينَنَا بِمِلَّةِ الْأَرْضِ ذَهَبًا .

قَالَ شُعَيْبٌ : لَا وَاللَّهِ مَا طَعَامِي كَمَا تَظُنُّ وَلَكِنَّهُ عَادَتِي وَعَادَةُ آبَائِي : نُفْرِي الضَّيْفَ ، وَنُطْعِمُ الطَّعَامَ ؛ فَجَلَسَ مُوسَى فَأَكَلَ . وَهَدَاهُ الدَّنَانِيرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ كَانَتْ ثَمْنَا لِمَا سَمِعْتِ مِنْ كَلَامِي فَلَعْنُ أَكُلِ الْمَيْتَةِ وَالِدَمِّ فِي حَالِ الضَّرُورَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَخُذَهَا . فَأَعْجَبَ سُلَيْمَانَ بِأَمْرِهِ عَجَبًا شَدِيدًا . فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَائِهِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . إِنْ النَّاسَ كُلَّهُمْ مِثْلُهُ ، قَالَ : لَا . قَالَ الرَّهْرِيُّ : إِنَّهُ لَجَارِي مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً مَا كَلَّمْتُهُ قَطُ . فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : صَدَقْتَ لِأَنَّكَ نَسِيتَ اللَّهَ فَنَسِيتَنِي وَلَوْ ذَكَرْتَ اللَّهَ لَذَكَرْتَنِي . قَالَ الرَّهْرِيُّ : أَتَشْتُمُنِي ؟ قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : بَلْ أَنْتَ شَتَمْتَ نَفْسَكَ ، أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ لِلْجَارِ عَلَى الْجَارِ حَقًّا ؟

قَالَ أَبُو حَازِمٍ : إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا كَانُوا عَلَى الصَّوَابِ كَانَتْ الْأُمَرَاءُ تَحْتَاجُ إِلَى الْعُلَمَاءِ ، وَكَانَتْ الْعُلَمَاءُ تَقْرُ بِدِينِهَا مِنَ الْأُمَرَاءِ .

فَلَمَّا رَأَى قَوْمٌ مِنْ أَرَاذِلِ النَّاسِ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَأَتَوْا بِهِ الْأُمَرَاءَ ، اسْتَعْنَتِ

الأمراء عن العلماء واجتمع القوم على المعصية ، فسقطوا وهلكوا .  
 ولو كان علماؤنا هؤلاء يصونون علمهم لكانت الأمراء تهابهم وتُعظمهم . فقال  
 الزهري : كأنك إيأي تريد وبني تعرض ؟ قال : هو ما تسمع .  
 قال سليمان : يا أبا حازم عظيم وأوجز . قال : الدنيا حلالها حساب ، وحرامها  
 عذاب ، وإلى الله المآب عذابك أو دغ .  
 قال : لقد أوجزت فأخبرني ما مالك ؟ قال : الثقة بعدي ، والتوكل على كرمه وحسن  
 الظن به ، والصبر إلى أجله ، واليأس مما في أيدي الناس .  
 قال : يا أبا حازم : ارفع إلينا حوائجك . قال : رفعتها إلى من لا تُخذل دونه ، فما  
 أعطاني منها قبلت ، وما أمسك عني رضى . مع أي قد نظرت فوجدت أمر الدنيا  
 يؤول إلى شئنين ، أحدهما لي والآخر لغيري ؛ فأما ما كان لي فلو احتلت عليه بكل حيلة  
 ما وصلت إليه قبل أوانه وحينه الذي قدر لي .  
 وأما الذي لغيري فذلك لا أطمع فيه ، فكما منعي رزق غيري ، كذلك منع غيري رزقي ،  
 فعلام أقتل نفسي في الإقبال والإدبار !  
 قال سليمان : لا بد أن ترفع إلينا حاجة نأمر بقضائها . قال : فتقضيها ؟ قال : نعم .  
 قال : فلا تُعطني شيئا حتى أسألكه ، ولا تُرسل إلي حتى آتيك ، وإن مرضت فلا تُعديني  
 ، وإن مت فلا تشهدني . قال سليمان : أبيت يا أبا حازم . قال : أتأذن لي أصلحك  
 الله في القيام ، فأبي شيخ قد زامنت .  
 قال سليمان : يا أبا حازم : مسألة ما تقول فيها . قال : إن كان عندي علم أخبرتك  
 به ، وإلا فهذا الذي عن يسارك يزعم أنه ليس شيء يُسأل عنه إلا وعنده علم ( يريد  
 الزهري ) فقال له الزهري : عائدا بالله من شرك أيها المرء ! قال : أما من شري فقد  
 عفيت ، وأما لساني فلا .



قَالَ سُلَيْمَانُ : مَا تَقُولُ فِي سَلَامِ الْأَيْمَةِ مِنْ صَلَاتِهِمْ : أَوَّاحِدَةٌ أَمْ ائْتَتَانِ ؟ فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ لَدَيْنَا قَدْ اخْتَلَفُوا عَلَيْنَا فِي ذَلِكَ أَشَدَّ الْاِخْتِلَافِ . قَالَ : عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطَتْ ؛ أَرْسِيكَ فِي هَذَا بَحِيرٍ شَافٍ .

حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ سَعْدٍ أَنَّهُ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الصَّلَاةِ عَنْ يَمِينِهِ حَتَّى يُرَى بَيَاضَ خَدِّهِ الْأَيْمَنِ ثُمَّ يُسَلِّمُ عَنْ يَسَارِهِ حَتَّى يُرَى بَيَاضَ خَدِّهِ الْأَيْسَرِ ، سَلَامًا يَجْهَرُ بِهِ . قَالَ عَامِرٌ : كَانَ أَبِي يَفْعَلُ ذَلِكَ .

وَأَخْبَرَنِي سَهْلُ بْنُ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ رَأَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَابْنَ عُمَرَ يُسَلِّمَانِ مِنَ الصَّلَاةِ كَذَلِكَ ، فَقَالَ الزُّهْرِيُّ : أَعْلَمَ مَا تُحَدِّثُ بِهِ أَيُّهَا الرَّجُلُ ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَعْبٌ شَدِيدٌ إِلَّا بِالتَّشْبِيهِ وَالتَّيَقِينِ .

قَالَ أَبُو حَازِمٍ : قَدْ عَلِمْتُهُ وَرَوَيْتُهُ قَبْلُ أَنْ تَطَّلَعَ أَضْرَاسَكَ فِي رَأْسِكَ . فَالْتَفَتَ الزُّهْرِيُّ إِلَى سُلَيْمَانَ ، قَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، إِنْ هَذَا الْحَدِيثَ مَا سَمِعْتُ بِهِ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَطٌ ، فَضَحِكَ أَبُو حَازِمٍ .

ثُمَّ قَالَ : يَا زُهْرِيُّ أَحْطَتْ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَثَلَاثَةٌ أَرْبَاعِهِ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَثَلَاثَةٌ ؟ فَقَالَ : أَرَأَيْتَ ذَلِكَ ، قَدْ رُوِيَ وَبَلَغَنِي .

فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : فَهَذَا مِنَ الثُّلُثِ الَّذِي لَمْ يَبْلُغَكَ وَبَقِيَ عَلَيْكَ إِسْمَاعِيلُ . فَقَالَ سُلَيْمَانُ : مَا ظَلَمَكَ مِنْ حَاجِكَ . ثُمَّ قَامَ مَأْذُونًا لَهُ . فَأَتْبَعَهُ سُلَيْمَانُ بَصْرَهُ ، يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَعْجَبُ بِهِ . ثُمَّ التَفَتَ إِلَى جُلَسَائِهِ فَقَالَ : مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ بَقِيَ فِي الدُّنْيَا مِثْلَ هَذَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

## نصيحة سُفيان الثوري لهارون الرشيد

من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى أخيه في الله سُفيان بن سعيد الثوري .  
 أمّا بعد يا أخي ، فقد علمت أنّ الله آخى بين المؤمنين ، وقد آخيتم في الله مؤاخاة لم  
 أضرم فيها حبلك ، ولم أقطع منها وُدك ، وإيّ منطو لك على أفضل المحبة ، وأتم  
 الإرادة .

ولولا هذه القلادة التي قلديها الله تعالى لأتيتك ولو حبوا ، لما أجد لك في قلبي من  
 المحبة ، وإنه لم يبق أحد من إخواني إلا زارني وهنأني بما صرت إليه .  
 وقد فتحت بيوت الأموال ، وأعطيتهم من المواهر السنينة ، ما فرحت به نفسي وقرت  
 به عيني وقد استبطنك ، وقد كتبت كتاباً مّي إليك اعلمك بالشوق الشديد إليك .  
 وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل زيارة المؤمن ومواصلته فإذا ورد عليك كتابي  
 هذا فاعجل العجل .

ثم أعطى الكتاب لعباد الطالقاني وأمره بإيصاله إليه ، وأن يخصي عليه بسمعه وقلبه دقيق  
 أمره وحليله ليخبره به ، قال عبّاد : فأنطلقت إلى الكوفة فوجدت سُفيان في مسجده ،  
 فلما رأني على بُعد قام وقال : أعودُ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وأعودُ بك  
 اللهم من طارق يطرق إلا بخير .

قال : فنزلت عن فرسي بباب المسجد ، فقام يصلي ولم يكن وقت صلاة : فدخلت  
 وسلمت فما رفع أحد من جلسائه رأسه إليّ ، قال فبقيت واقفاً وما منهم أحد يعرض  
 عليّ الجلوس ، وقد علتني من هيبتهم الرعدة ، فرميت بالكتاب إليه .

فَلَمَّا رَأَى الْكِتَابَ ارْتَعَدَ وَتَبَاعَدَ مِنْهُ كَأَنَّهُ حَيَّةٌ عُرِضَتْ لَهُ فِي مِحْرَابِهِ فَرَكَعَ وَسَجَدَ وَسَلَّمَ  
وَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي كُمِّهِ وَأَخَذَهُ وَقَلَّبَهُ بِيَدِهِ ، وَرَمَاهُ إِلَى مَنْ كَانَ خَلْفَهُ ، وَقَالَ : لِيَقْرَأَهُ بَعْضُكُمْ  
فِيَّيَّ اسْتَغْفِرُ اللَّهُ أَنْ أَمَسُ شَيْئًا مَسَّهُ ظَالِمٌ بِيَدِهِ .

قَالَ عَبَادٌ : فَمَدَّ بَعْضُهُمْ يَدَهُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَرْتَعِدُ كَأَنَّهُ حَيَّةٌ تَنْهَشُهُ ثُمَّ قَرَأَهُ فَجَعَلَ سُفْيَانُ يَبْتَسِمُ  
تَبَسُّمَ الْمُتَعَجِّبِ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَتِهِ ، قَالَ : أَقْبِئُوهُ وَاكْتُبُوا لِلظَّالِمِ عَلَى ظَهْرِهِ . فَقِيلَ لَهُ  
: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنَّهُ خَلِيفَةٌ فَلَوْ كَتَبْتَ إِلَيْهِ فِي بَيَاضٍ نَقِيٍّ لَكَانَ أَحْسَنُ .

فَقَالَ : اكْتُبُوا لِلظَّالِمِ فِي ظَهْرِ كِتَابِهِ ، فَإِنْ كَانَ اكْتَسَبَهُ مِنْ حَلَالٍ فَسَوْفَ يُجْزَى بِهِ ، وَإِنْ  
كَانَ اكْتَسَبَهُ مِنْ حَرَامٍ فَسَوْفَ يُصَلَّى بِهِ وَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مَسَّهُ ظَالِمٌ بِيَدِهِ عِنْدَنَا ، فَيَفْسِدَ  
عَلَيْنَا دِينَنَا ، فَقِيلَ : مَا نَكْتُبُ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : اكْتُبُوا لَهُ :

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنَ الْعَبْدِ الْمَيِّتِ سُفْيَانَ إِلَى الْعَبْدِ الْمَغْرُورِ بِالْأَمَالِ هَارُونَ الَّذِي سَلِبَ حِلَاوَةَ الْإِيمَانِ ،  
وَلَدَّةَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ .

أَمَّا بَعْدُ .. فَإِنِّي كَتَبْتُ إِلَيْكَ اعْلِمُكَ أَنِّي قَدْ صَرِمْتُ حَبْلَكَ ، وَقَطَعْتُ وَدَكَ ، وَإِنَّكَ قَدْ  
جَعَلْتَنِي شَاهِدًا بِإِقْرَارِكَ عَلَى نَفْسِكَ فِي كِتَابِكَ بِمَا هَجَمْتَ عَلَى بَيْتِ الْمُسْلِمِينَ فَأَنْفَقْتَهُ  
فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَأَنْفَقْتَهُ بِغَيْرِ حُكْمِهِ ، وَلَمْ تَرْضَ بِمَا فَعَلْتَ وَأَنْتَ نَائٍ عَنِّي حَتَّى كَتَبْتَ إِلَيَّ  
تُشْهِدُنِي عَلَى نَفْسِكَ .

فَأَمَّا أَنَا فَإِنِّي قَدْ شَهِدْتُ عَلَيْكَ أَنَا وَإِخْوَانُكَ الَّذِينَ حَضُرُوا قِرَاءَةَ كِتَابِكَ وَسُنُودِي الشَّهَادَةَ  
عَدًّا بَيْنَ يَدَيَّ اللَّهُ الْحَكَمَ الْعَدْلِ . يَا هَارُونَ هَجَمْتَ عَلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ  
رِضَاهُمْ .

هَلْ رَضِيَ بِفِعْلِكَ الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ ، وَالْعَامِلُونَ عَلَيْهَا فِي أَرْضِ اللَّهِ ، وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، أَمْ رَضِيَ بِذَلِكَ حَمَلَةُ الْقُرْآنِ وَأَهْلُ

العلم يعنى العالمين ، أم رضى بفعلك الأيتام والأرامل ، أم رضى بذلك خلق من رعيتك

فشد يا هارون معززك ، وأعد للمسألة جواباً وللبلاء جلباباً ، واعلم أنك ستقف بين يدي  
الحكم العدل فاتق الله في نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذته قراءة القرآن ،  
ومجالسة الأخيار ، ورضيت لنفسك أن تكون ظالماً وللطالمين إماماً .

يا هارون .. قعدت على السرير ، ولبست الحرير ، وأسبلت سُوراً دون بابك ، وتشبَّهت  
بالحجبة رب العالمين ثم أقعدت أجنادك دون بابك ، وسترك يظلمون الناس ، ولا  
يُنصِفون ، ويشربون الحمر ويجدون الشارب ، ويَزنون ويخدون الزاني ، ويسرقون السارق ،  
ويقتلون ويجدون القاتل .

أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن يحكموا بها على الناس .

فكيف بك يا هارون غداً إذا نادى المُنادي من قبل الله احشروا الظلمة وأعوانهم ،  
فتقدمت بين يدي الله ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يفكهما إلا عدلك وإنصافك ،  
والظالمون حولك وأنت لهم إمام أو سائق إلى النار .

وكأني بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق ، ووردت المساق وأنت ترى حسناتك  
في ميزان غيرك ، وسيمات غيرك في ميزانك على سيماتك ، بلاء على بلاء ، وظلمة فوق  
ظلمة .

فاتق الله يا هارون في رعيتك ، واحفظ محمدًا p في أمته ، واعلم أن هذا الأمر لم يصبر  
إليك إلا وهو صائر إلى غيرك ، وكذلك الدنيا تفعل بأهلها واحداً بعد واحد ، فمنهم من  
ترود زاد نفعه ، ومنهم من خسر دنياه وأخرته ، وإياك ثم إياك أن تكسب إلي بعد هذا ،  
فإني لا أحييك والسلام .

ولما ولي ابن هبيرة حكم العراق جمع فقهاءها واستشارهم فيما يفعل

إِذَا أَمَرَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَمْرِ وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ فِيهِ ظُلْمًا فَلَا أَنْ لَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْقَوْلَ .  
وَأَبَى الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَصْدَعَ بِالْحَقِّ وَيَنْقِذَ الشَّعْبَ مِنْ ظُلْمِ ابْنِ هَبِيرَةَ وَيَنْقِذَ  
ابن هبيرة مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ أَطَاعَهُ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ حَقَّ الرَّعِيَّةِ لَازِمٌ لَكَ وَحَقُّ عَلَيْكَ أَنْ  
تَحُوطَهُمْ بِالنَّصِيحَةِ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ  
يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ .

اعْلَمْ أَنَّ حَقَّ اللَّهِ أَلَزَمَ مِنْ حَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُطَاعَ وَلَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي  
مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ يَا ابْنَ هَبِيرَةَ اتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيكَ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ يُزِيلُكَ  
عَنْ سَرِيرِكَ وَيُخْرِجُكَ مِنْ سِعَةِ قَصْرِكَ إِلَى ضَيْقِ قَبْرِكَ فَتَدْعُ سُلْطَانِكَ وَدُنْيَاكَ خَلْفَ ظَهْرِكَ  
وَتَقْدُمُ عَلَى رَبِّكَ وَتَنْزِلَ عَلَى عَمَلِكَ .

يَا ابْنَ هَبِيرَةَ إِنَّ اللَّهَ لَيَمْنَعُكَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَمْنَعُكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ اللَّهِ وَإِنَّ أَمْرَ  
اللَّهِ فَوْقَ كُلِّ أَمْرٍ وَإِنِّي أُحَدِّثُكَ بِأَسْهُ الَّذِي لَا يُرَدُّ عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ .

فَقَالَ لَهُ ابْنُ هَبِيرَةَ : إِرْبَعُ عَلَى ظُلْعِكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ ، وَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَاحِبَ الْعِلْمِ وَصَاحِبَ الْحُكْمِ وَصَاحِبَ الْفَضْلِ وَإِنَّمَا وِلَاةُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ  
أَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ لِعِلْمِهِ بِهِ وَمَا يَعْلَمُهُ مِنْ فَضْلِهِ وَنَيْبَتِهِ . فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ : يَا ابْنَ هَبِيرَةَ  
الْحِسَابُ وَرَائِكَ سَوَاطِئُ بَسُوطٍ وَعُضْبٌ بَعْضُ بَعْضٍ وَاللَّهُ بِالْمِرْصَادِ إِنَّكَ إِنْ تَلَقَى مَنْ يَنْصَحُ  
لَكَ فِي دِينِكَ وَيَحْمِلُكَ عَلَى أَمْرِ آخِرَتِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ إِنْ تَلَقَى رَجُلًا يَعْرُكَ وَيُمْنِيكَ . فَقَامَ  
ابْنُ هَبِيرَةَ مِنَ الْمَجْلِسِ وَقَدْ اصْفَرَّتْ وَجْهُهُ وَتَعَيَّرَ لُونُهُ وَعَلَيْهِ الْكَأَبَةُ وَقَامَ الْحَسَنُ وَقَدْ أَدَّى مَا  
عَلَيْهِ وَأَرْضَى رَبَّهُ وَأَخْلَصَ لَهُ وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ وَهَكَذَا الْعُلَمَاءُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا .

شِعْرًا : لَا شَيْءَ أَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ يُجَرِّعُهُ أَهْلُ الْخَسِيسَةِ أَهْلُ الدِّينِ وَالْحَسَبِ

القائمين بما جاء الرسول به والمبغضين لأهل الزيغ والريب  
 آخر : ولا يلبث الجهال أن يتهضموا  
 أخا الحلم ما لم يستعن بسفيه  
 آخر : ما إن نفى عنك قوماً أنت تكرههم  
 آخر : والعاقيل التحريز محتاج إلى  
 آخر : ومن يحلم وليس له سفيه  
 آخر : تعدوا الدئاب على من لا كلاب له  
 حج أبو جعفر فدعا ابن أبي ذئب فقال : نشدتك بالله ألسنت أعمل بالحق ألسنت ترائني  
 أعدل .  
 فقال ابن أبي ذئب : أما إذا نشدني بالله فأقول : اللهم لا أراك تعدل وإنك لجائر وإنك  
 لتستعمل الظلمة وتدع أهل الخير .  
 قال محمد بن عمر فحدثني محمد بن إبراهيم بن يحيى وأخبرت عن عيسى بن علي قالوا :  
 فظننا أن أبا جعفر سيعاجله بالعقوبة فجعلنا نلفئ إينا ثيابنا مخافة أن يصيبنا من دمّه .  
 فخرج أبو جعفر واغتم وقال له : قم فأخرج .  
 تأمل يا أخي هل يوجد هذا الطراز ممن لا تأخذهم في الله لومة لائم ، أظنه معدوم في  
 هذا الوقت ما فيه اليوم من يصدع بالحق فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .  
 دخل عمرو بن عبدي على المنصور فقال : إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر منه  
 نفسك ببعضها وإني لأحذرك ليلة تتمحض صبيحتها عن يوم القيامة .  
 ثم قال له عن حاشيته : إن هؤلاء اتخذوك سلماً لشهواتهم .  
 فأنت الآخذ بالقرنين وهم يحلبون .

فَاتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ وَحَدُكَ وَمُحَاسَبٌ وَحَدُكَ وَمَبْعُوثٌ وَحَدُكَ وَلَنْ يُعْنُوا عَنْكَ هَؤُلَاءِ مِنْ رَبِّكَ شَيْئًا .

فَقَالَ لَهُ: أَعِنِّي بِأَصْحَابِكَ فَأَسْتَعِينُ بِهِمْ دُونَ هَؤُلَاءِ فَرَدَّ عَلَيْهِ: أَظْهَرَ الْحَقُّ يَتَّبِعُكَ أَهْلُهُ .  
فَقَالَ لَهُ: أَلَيْكَ حَاجَةٌ قَالَ: نَعَمْ . قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَ: أَنْ لَا تَبْعَثَ إِلَيَّ حَتَّى آتِيكَ .  
قَالَ: إِذَا لَا نَلْتَمِي . قَالَ: عَنْ حَاجَتِي سَأَلْتَ ثُمَّ ذَهَبَ .

قَالَ الْحَجَّاجُ لِيَحْيَى بْنِ يَعْمُرٍ: مَا تَقُولُ فِي وَاسِطِ (مَدِينَةِ بَنَاهَا الْحَجَّاجُ) فَقَالَ لَهُ: مَا أَقُولُ فِيهَا وَقَدْ بَنَيْتَهَا مِنْ غَيْرِ مَالِكَ وَسَيَسْكُنُهَا غَيْرُ أَهْلِكَ .

فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ فِي غَيْظٍ وَعُضْبٍ: مَا حَمَلَكَ عَلَيَّ مَا قُلْتَ . قَالَ: مَا أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْعُلَمَاءِ مِنَ الْعَهْدِ إِلَّا يَكْتُمُوا النَّاسَ حَدِيثًا .

فَقَالَ لَهُ: أَلَمْ تَخْشَ سَيْفَ الْحَجَّاجِ؟

فَقَالَ: لَقَدْ مَلَأَنِي خَشْيَةَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فَلَمْ تَدْعُ مَكَانًا لِحَشِيَّةِ سِوَاهُ .

وَقِيلَ: إِنَّ الْحَجَّاجَ خَطَبَ يَوْمًا فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ الصَّبْرُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ أَيْسَرُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى عَذَابِ اللَّهِ . فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ يَا حَجَّاجُ مَا أَصْفَقَ وَجْهَكَ وَأَقْلَ حَيَاءَكَ تَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ وَتَقُولُ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ خَبَاتٍ وَضَلَّ سَعْيِكَ .

فَقَالَ لِلْحَرَسِ: خُذُوهُ ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ خِطْبَتِهِ قَالَ لَهُ: مَا الَّذِي جَرَأَكَ عَلَيَّ؟ فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا حَجَّاجُ أَنْتَ بَجَحْتَرِي عَلَى اللَّهِ وَلَا أَجَحْتَرِي عَلَيْكَ وَمَنْ أَنْتَ حَتَّى لَا أَجَحْتَرِي عَلَيْكَ وَأَنْتَ بَجَحْتَرِي عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ فَقَالَ: حَلُّوا سَبِيلَهُ . فَأُطْلِقَ .

وَدَخَلَ الْعِزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ عَلَى السُّلْطَانِ فَوَعِظَهُ وَشَدَّدَ فِي الْمَوْعِظَةِ فَعَاتَبَهُ

وَلَدُهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ : هَذَا إِجْتِمَاعُ اللَّهِ فَلَا أُكَدِّرُهُ بِشَيْءٍ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا . يَا بَنِي لَقَدْ رَأَيْتُ السُّلْطَانَ فِي تِلْكَ الْعِظْمَةِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَهِينَهُ لِأَنَّ تَكْبُرَ نَفْسِهِ عَلَيْهِ فَتُوذِيهِ .  
 وَلَقَدْ اسْتَحْضَرْتَ هَيْبَةَ اللَّهِ تَعَالَى إِذْ أُخَاطِبُهُ ، فَصَارَ السُّلْطَانُ أَقْلًا مِنَ الْقِطِّ عِنْدِي .  
 وَلَوْ كَانَتْ بِنَفْسِي لَدَيْهِ حَاجَةٌ مِنْ حَاجَاتِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُهُ الدُّنْيَا كُفَّهَا .  
 وَأَجْبِرَ أَحَدَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنْ يَدْخُلَ عَلَى مَلِكِ مِصْرَ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَلْبَسَ مَلَابِسَ خَاصَّةً فَأَبَى وَقَالَ : كَيْفَ أَجْمَلُ لَهُ بِلِبَاسٍ لَا أَجْمَلُ بِهِ لِرَبِّي فِي الصَّلَاةِ .  
 وَدَخَلَ عِبَادُ الْخَوَاصِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ صَالِحٍ وَهُوَ أَمِيرُ فَلَسْطِينِ فَقَالَ لَهُ: يَا شَيْخُ عِظْمِي .  
 فَقَالَ : بِمِ أَعْظَمَكَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ بَلَعْنِي أَنَّ أَعْمَالَ الْأَحْيَاءِ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِهِمْ مِنَ الْمَوْتَى فَاَنْظُرْ مَا يُعْرَضُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنْ عَمَلِكَ فَبَكَى حَتَّى سَأَلَتْ دُمُوعُهُ عَلَى لِحْيَتِهِ .  
 فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِجْلَالِ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ فَقَامَ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيَّ ، قَالَ : فَقَالَ بَعْدَ مُدَّةٍ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ تَوَاضَعْنَا لِعِلْمِكَ فَانْتَفَعْنَا بِهِ ، وَتَوَاضَعْنَا لَنَا عِلْمَ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ فَلَمْ نَنْتَفِعْ بِهِ .  
 وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّ الْمَهْدِيَّ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ حَاجًّا جَاءَهُ مَالِكٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَأَمَرَ الْمَهْدِيَّ ابْنَيْهِ الْهَادِيَّ وَهَارُونَ الرَّشِيدَ أَنْ يَسْمَعَا مِنْهُ فَطَلَبَاهُ إِلَيْهِمَا فَامْتَنَعَ ، فَعَاتَبَهُ الْمَهْدِيُّ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْعِلْمِ نَضَارَةٌ ، يُوتَى أَهْلُهُ .  
 وَفِي رِوَايَةٍ : الْعِلْمُ أَهْلٌ أَنْ يُوقَرَ وَيُوقَرِ أَهْلُهُ فَأَمْرُهُمَا وَالذُّهْمَا بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ مُؤَدِّبُهُمَا أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِمَا ، فَقَالَ : إِنَّ أَهْلَ هَذِهِ الْبُلْدَةِ يَقْرَأُونَ عَلَى الْعَالِمِ كَمَا يَقْرَأُ الصَّبَّيَانِ عَلَى الْمُعَلِّمِ فَإِذَا أَخْطُوا أَفْتَاهُمْ فَرَجَعُوا إِلَى الْحَلِيفَةِ فَعَاتَبَهُ



الْمَهْدِيُّ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَمِعْتُ ابْنَ شَهَابٍ يَقُولُ سَمِعْنَا هَذَا الْعِلْمَ مِنْ رِجَالٍ فِي الرُّوَضَةِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَأَبُو سَلَمَةَ وَعُرْوَةَ وَالْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَسَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَعَدَّ آخَرِينَ كُلِّ هَؤُلَاءِ يُقْرَأُ عَلَيْهِمْ وَلَا يَقْرَأُونَ . فَقَالَ الْمَهْدِيُّ فِي هَؤُلَاءِ قُدُوتُهُ صَبَرُوا إِلَيْهِ فَافْقَرُوا عَلَيْهِ .

أَرَادَ الْوَلِيدُ أَنْ يُؤَيِّيَ يَزِيدَ بْنِ مِرْتَدِ الْقِضَاءِ فَبَلَغَ ذَلِكَ يَزِيدَ فَلَيْسَ فِرْوَةً وَقَلَّبَهَا فَجَعَلَ الْجِلْدَ عَلَى ظَهْرِهِ وَالصُّوفَ خَارِجًا وَأَخَذَ بِيَدِهِ رَغِيْفًا ( أَي حَبْزَةً ) وَعِرْقًا ( أَي عَظْمٌ عَلَيْهِ لَحْمٌ ) وَخَرَجَ بِلا رِذَاءٍ وَلَا قُلْنَسُوتَةٍ ( أَي أَصْلَعِ الرَّأْسِ ) وَلَا نَعْلٍ وَلَا خُفٍّ وَيَمَشِي فِي الْأَسْوَاقِ وَيَأْكُلُ .

فَقِيلَ لِلْوَلِيدِ : إِنَّ يَزِيدَ قَدْ اخْتَلَطَ ( أَي خَرَفَ ) وَأُخْبِرَ بِمَا فَعَلَ فَتَرَكَهُ الْوَلِيدُ .  
قُلْتُ : وَفَعَلَ يَزِيدُ يَدُلُّ عَلَى وَرَعِهِ وَخَوْفِهِ مِنْ تَبَعَةِ الْقِضَاءِ لِأَنَّ الْقِضَاءَ فِيهِ خَطَرٌ عَظِيمٌ وَهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ : يَحْرُمُ عَلَى مَنْ لَا يُحْسِنُهُ وَلَنْ يَجْتَمِعَ فِيهِ شُرُوطُهُ الدُّخُولِ فِيهِ .

وَقَالَ ρ : « الْقِضَاءُ ثَلَاثَةٌ وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ » .

وَقَالَ ρ : « مَنْ وَبِيَ الْقِضَاءَ فَقَدْ ذُبِحَ بِعَيْرِ سِكِّينٍ » .

وَقَالَ ρ : « لَيَأْتِيَنَّ عَلَى الْقَاضِيِ الْعَدْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَاعَةٌ يَتَمَتَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي تَمْرَةٍ قَطٍ » .

وَفِي لَفْظٍ : يُدْعَى الْقَاضِيِ الْعَدْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى مِنْ شِدَّةِ الْحِسَابِ مَا يَتَمَتَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي عَمْرِهِ قَطٍ .

تَرَكَ خَلْفُ الْبَرَارِ الرَّوَايَةَ عَنِ الْكِسَائِيِّ فَلَمْ يَرْوِ عَنْهُ مَعَ أَنَّهُ كَانَ أَسْتَاذُهُ وَهُوَ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ فِي تَصْنِيفِهِ كِتَابَ الْقِرَاءَاتِ وَلَمَّا أَنْ ضَايَعُوهُ لَمْ يَرْوِ عَنْهُ .

قَالَ : لَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ ، قَالَ لِي سَيِّدِي الرَّشِيدُ فَقُلْتُ : إِنَّ إِنْسَانًا مِقْدَارُ الدُّنْيَا عِنْدَهُ أَنْ يُجَلَّ أَهْلَهَا هَذَا الْإِجْلَالِ لِحَرِيِّ أَنْ لَا يُؤْخَذَ عَنْهُ شَيْءٌ مِنَ الْعِلْمِ .

قُلْتُ : لله درة حيث لم يطمئن قلبه لمن يعظم الدنيا .

فَانظُرْ رَحْمَكَ اللهُ إِلَى شِدَّةِ وِرْعِهِمْ وَتَرْفُعِهِمْ وَتَنْزِهِمْ عَنِ مُحَاظَةِ الْمُلُوكِ وَأَهْلِ الدُّنْيَا ،  
وَصِيَانَةِ الْعِلْمِ وَإِعْزَازِهِ وَمِثْلِ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ الْعَطِرَةِ وَالصِّفَاتِ الْفَاضِلَةِ عَظُمَ الْإِسْلَامَ وَأَهْلُهُ .  
دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى الْمَأْمُونِ كَانَ يَمْشِي فِي النَّاسِ فَيَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ  
دُونَ أَنْ يَكُونَ مَأْمُورًا مِنْ قِبَلِ الْخَلِيفَةِ ، فَاسْتَدْعَاهُ الْمَأْمُونُ وَقَالَ لَهُ : لِمَ تَأْمُرُ وَتُنْهَى وَقَدْ  
جَعَلَ اللهُ ذَلِكَ إِلَيْنَا وَنَحْنُ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا  
الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ .

فَقَالَ الرَّجُلُ : صَدَقْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ كَمَا وَصَفْتَ نَفْسَكَ مِنَ السُّلْطَانِ وَالْتِمَكِّنْ  
غَيْرَ أَنَا أَوْلِيَاؤُكَ وَأَعْوَانُكَ فِيهِ .

وَلَا يُنْكَرُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ جَهَلَ كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿  
وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ  
الْمُنْكَرِ ﴾ ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا " .  
فَأَعْجَبَ الْمَأْمُونُ بِكَلَامِهِ وَسُرَّ بِهِ وَقَالَ : مِثْلُكَ يَجُوزُ أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ فَيَأْمُرَ عَلَى مَا  
كُنْتَ عَلَيْهِ بِأَمْرِنَا وَعَنْ رَأْيِنَا . وَهَكَذَا حِينَ أَحْسَنَ الرَّجُلُ الْاِحْتِجَاجَ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ  
انْقَطَعَتْ حُجَّةَ الْمَأْمُونِ ، وَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ إِقْرَارِ الرَّجُلِ عَلَى طَرِيقَتِهِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ  
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ .

وَعَكْسُ هَذَا الرَّجُلِ دَخَلَ وَعَظَّمَ عَلَى الْمَأْمُونِ فَوْعْظَهُ وَاعْلَظَ عَلَيْهِ فِي الْقَوْلِ فَقَالَ لَهُ  
الْمَأْمُونُ : يَا رَجُلُ ارْفُقْ فَإِنَّ اللهَ بَعَثَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ إِلَى مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنِّي ، وَأَمْرُهُ بِالرَّفْقِ

بَعَثَ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ ، فَأَوْصَاهُمَا بِقَوْلِهِ " ﴿ فَعُولًا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا

لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٠﴾ ، وَهُنَا كَانَ مَوْقِفُ الْمَأْمُونِ هُوَ الْأَقْوَى لِأَنَّ الدَّلِيلَ مَعَهُ .  
بَعَثَ الْأَمِيرُ طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ رَافِعٍ بِخَمْسَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ عَلَى يَدِ رَسُولِهِ ،  
فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَهُوَ يَأْكُلُ الْخُبْزَ مَعَ الْفَجْلِ ، فَوَضَعَ كَيْسَ الدَّرَاهِمِ بَيْنَ  
يَدَيْهِ .

فَقَالَ : بَعَثَ الْأَمِيرُ طَاهِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَالَ إِلَيْكَ لِتُنْفِقَهُ عَلَى أَهْلِكَ . فَقَالَ : خُذْهُ خُذْهُ لَا  
أَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَإِنَّ الشَّمْسَ قَدْ بَلَغَتْ رُؤُوسَ الْحَيْطَانِ وَإِنَّمَا تَعْرُبُ بَعْدَ سَاعَةٍ وَأَنَا قَدْ جَاوَزْتُ  
الثَّمَانِينَ سَنَةً إِلَى مَتَى أَعِيشُ .

فَرَدَّ الْمَالَ وَمَ يَتَقَبَّلُ فَأَخَذَ الرَّسُولُ الْمَالَ وَذَهَبَ وَدَخَلَ عَلَى الشَّيْخِ ابْنِهِ وَقَالَ : يَا أَبَتِ  
لَيْسَ لَنَا اللَّيْلَةُ خُبْرٌ . قَالَ : فَذَهَبَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ خَلْفَ الرَّسُولِ لِيَرُدَّ الْمَالَ إِلَى صَاحِبِهِ  
خَوْفًا مِنْ أَنْ يَذْهَبَ ابْنُهُ خَلْفَ الرَّسُولِ فَيَأْخُذَ الْمَالَ ، هَذَا مِنْ رَقْمٍ وَاحِدٍ فِي الرُّهْدِ .  
وَقَالَ أَحَدُ الرُّهَادِ لِلْمَنْصُورِ : اذْكُرْ لَيْلَةَ تَبَيْتُ فِي الْقَبْرِ لَمْ تَبْتَ لَيْلَةً مِثْلَهَا ، وَادْكُرْ لَيْلَةَ  
تَمَحَضَ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا لَيْلَةَ بَعْدَهَا .

فَأَفْحَمَ الْمَنْصُورُ قَوْلَهُ فَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ فَرَدَّهُ وَقَالَ : لَوْ احْتَجْتُ إِلَى مَالِكَ مَا وَعَظْتِكَ . ( )  
لِلَّهِ دُرَّةٌ مَا أَزْهَدُهُ بِالْحُطَامِ الْغَائِي ) .

وَقَالَ لِابْنِهِ لَمَّا وُلَاهُ الْعَهْدَ : اسْتَدِمَّ النِّعْمَةَ بِالشُّكْرِ ، وَالْقُدْرَةَ بِالْعَفْوِ ، وَالنَّصْرَ بِالتَّوَاضُعِ ،  
وَالتَّالِفَ بِالطَّاعَةِ ، وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَنَصِيْبَكَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَقَالَ لِلرَّبِيعِ :  
وَيُحَاكُ لَقَدْ رَأَيْتُ مَنْمَا هَالِي رَأَيْتُ قَائِلًا وَقَفَ فِي بَابِ هَذَا الْقَصْرِ يَقُولُ :

كَأَنِّي بِهَذَا الْقَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ      وَأَوْحَشَ مِنْهُ أَهْلُهُ وَمَنَازِلُهُ  
وَصَارَ رَيْسُ الْقَصْرِ مِنْ بَعْدِ بَهْجَةِ      إِلَى جَدَثٍ يُبْنَى عَلَيْهِ جَنَادِلُهُ

وَكَانَ ابْنُ أَبِي ذُئْبٍ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ فِي الْمَدِينَةِ فَدَخَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ  
الْمَهْدِي فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ .

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى ابْنِ أَبِي ذُئْبٍ لَمْ يَقُمْ .

قَالَ الْمُسَيْبُ بْنُ زَهِيرٍ : قُمْ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : إِنَّمَا يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ .  
فَقَالَ الْمَهْدِي : دَعُهُ فَلَقَدْ قَامَتْ كُلُّ شَعْرَةٍ فِي رَأْسِي .

فَهَكَذَا الْعُلَمَاءُ الْمُخْلِصُونَ الَّذِينَ يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمُ الْإِسْلَامَ وَيَرْفَعُ اللَّهُ بِهِمُ الْمُسْلِمِينَ .

تَأْمَلْ يَا أَحْيَى هَلْ يُوجَدُ فِي زَمَانِنَا مِثْلَ هَؤُلَاءِ مَا أَظُنُّ يُوجَدُ وَلَا رَقْمَ ثَلَاثَةَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ  
إِلَّا بِاللَّهِ .

فَإِنْ قُلْتَ زِنْدَ الْعِلْمِ كَابٍ فَإِنَّمَا كَبَى حَيْثُ لَمْ تُحْمَى حِمَاهُ وَأَظْلَمَا  
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لِعُظِّمَا  
وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانُوا وَدَنَسُوا مَحْيَاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجْهَمَا

وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ قَالَ : مَا رَأَيْنَا فِي الْقُرَاءِ أَحَدًا مِثْلَ عَيْسَى بْنِ يُونُسَ  
أَرْسَلْنَا إِلَيْهِ فَأَتَانَا بِالرِّقَّةِ فَاعْتَلَّ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَمْرٍو وَقَدْ أَمَرَ لَكَ بِعَشْرَةِ  
آلَافٍ فَقَالَ : هِيَ فَقُلْتُ خَمْسُونَ أَلْفًا ، قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا ، فَقُلْتُ : لِمَ وَاللَّهِ  
لَأَهْنَتُكهَا هِيَ وَاللَّهِ مِائَةَ أَلْفٍ .

قَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا يُتَحَدَّثُ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنِّي أَكَلْتُ لِلسُّنَّةِ ثَمْنًا ، أَلَا كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ تُرْسَلُوا  
إِلَيَّ ، فَأَمَّا عَلَى الْحَدِيثِ فَلَا وَاللَّهِ وَلَا شَرَابَةَ مَاءٍ وَلَا هَلِيلِجَةَ .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْمُرُوزِيُّ سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ وَدَكَرَ وَرَعَ عَيْسَى بْنُ يُونُسَ ، قَالَ : قَدِمَ  
فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ أَوْ قَالَ بِمِائَةٍ فَلَمْ يَقْبَلْ ، وَتَدْرِي ابْنُ كَمِّ كَانَ عَيْسَى أَرَادَ أَنَّهُ كَانَ حَدَّثَ  
السَّنَّ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ حَجَّ الرَّشِيدُ فَدَخَلَ الْكُوفَةَ فَرَكِبَ الْأَمِيرُ وَالْمَأْمُونُ إِلَى عِيسَى ابْنِ يُونُسَ فَحَدَّثَهُمَا فَأَمَرَ لَهُ الْمَأْمُونُ بِعَشْرَةِ آلافٍ دِرْهَمٍ .

فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا فَظَنَّ أَنَّهُ اسْتَقْلَمَهَا ، فَأَمَرَ لَهُ بِعِشْرِينَ أَلْفًا ، فَقَالَ عِيسَى : لَا وَاللَّهِ وَلَا إِهْلِيلِجَه وَلَا شَرِبَةَ مَاءٍ عَلَى حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَوْ مَلَأَتْ لِي هَذَا الْمَسْجِدَ ذَهَبًا إِلَى السَّقْفِ . لِلَّهِ ذُرَّةُ هَذَا مِنْ رَقْمِ (١) فِي الرَّهْدِ .

طَلَبَ الْحَلِيفَةُ هُشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ذَاتَ يَوْمٍ أَحَدَ الْعُلَمَاءِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا هُشَامُ ثُمَّ خَلَعَ نَعْلَيْهِ وَجَلَسَ بِجَانِبِهِ .

فَعَضِبَ هُشَامٌ وَهَمَّ بِقِتْلِهِ وَلَمَّا تَحَدَّقَ مَعَهُ وَجَدَهُ عَالِمًا كَبِيرًا .

فَلَمَّا انْتَهَى الْحَدِيثَ عَاتَبَهُ بِقَوْلِهِ : لَقَدْ سَمَّيْتَنِي بِاسْمِي وَلَمْ تُكَلِّمْنِي أَوْ تَدْعُنِي بِالْخِلَافَةِ وَخَلَعْتَ نَعْلَيْكَ وَجَلَسْتَ بِجَانِبِي فَلَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ . قَالَ لَهُ : لَمْ أَدْعِكَ بِالْخِلَافَةِ لِأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَنْتَحِبُوا كُلَّهُمْ ، وَسَمَّيْتِكَ وَلَمْ أَكُنْ ، لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ نَادَى الْأَنْبِيَاءِ بِأَسْمَائِهِمْ ، فَقَالَ : يَا عِيسَى ، يَا إِبْرَاهِيمَ ، يَا مُوسَى ، يَا نُوحَ ، يَا دَاوُدَ . وَكَيْتَى عَدُوَّهُ فَقَالَ : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ .

وَخَلَعْتُ نَعْلِي بِجَانِبِكَ وَأَنَا اخْلَعُهُمَا لَمَّا أَدْخَلْتُ بَيْتَ رَبِّي . وَجَلَسْتُ بِجَانِبِكَ لِأَنِّي سَمِعْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمُوتَ لَهُ الرَّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ " . فَكْرِهْتُ لَكَ النَّارَ فَأَمَرَ لَهُ هُشَامُ بِمَالٍ فَلَمْ يَقْبَلْهُ وَانصَرَفَ .

تَأْمَلْ يَا أَحْيَى هَذَا الْوَرَعُ عَنْ أَخَذِ شَيْءٍ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا عَلَى مَا حَدَّثَنَاهَا بِهِ وَقَالَ : لَا يُتَحَدَّثُ أَهْلُ الْعِلْمِ أَيُّيَ أَكَلْتُ لِلسُّنَّةِ ثَمَنًا .

فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ يَأْكُلُ بِالْكَتُبِ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ بِاسْمِ تَحْقِيقٍ أَوْ نَشْرِ وَيَحْتَكِرُهَا نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . نَعُوذُ بِاللَّهِ

مِنْ عَمَى الْبَصِيرَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ وَأَكْثَرَ يَا أَحْيِي مِنْ قَوْلِ الْحَمْدِ لِلَّهِ الَّذِي عَافَنَا بِمَا ابْتَلَانَاهُمْ ، اللَّهُ يُعَافِيهِمْ وَلَا يُبَالِنَا .

وَيُرَوَى عَنْ أَبِي عَمْرٍو الرَّاهِدِ صَاحِبِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَنَّ بَعْضَ الْوُزَرَاءِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ مَبْلَغَ مَا يَخْتَاجُ إِلَيْهِ لِقُوتِهِ وَقُوتِ عِيَالِهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ لِيَجْرِيَ عَلَيْهِ كِفَايَتُهُ فَقَالَ لِلرَّسُولِ الَّذِي أَرْسَلَهُ أَحَدَ الْوُزَرَاءِ قُلْ لِسَاحِبِكَ أَنَا فِي جَرَايَةِ الَّذِي مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا عَلَيْهِ رِزْقُهَا وَإِذَا غَضِبَ عَلَيَّ لَمْ يَقْطَعْ عَنِّي مَا يَجْرِيهِ عَلَيَّ " اللَّهُ ذَرَّهُ هَذَا مِنْ رَقْمِ (١) فِي الْعَفَافِ وَالرُّهْدِ » .

اللَّهُمَّ اخْتِمِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ لِبُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا ، يَا مُنْقِذَ الْعَرْقَى وَيَا مُنْجِيَ الْهَلَكَى وَيَا دَائِمَ الْإِحْسَانِ أَذْفَنَّا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَنْلَنَّا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَيْكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا : قُلِ الْحَمَاهُ وَمَا فِي الْحَيِّ أَنْصَارُ  
وَأَصْبَحَتْ دَارَنَا تَبْكِي لِفِرْقَتَيْهَا  
سَارُوا جَمِيعًا فَصَارُوا لِلزُّورَى سَمَرًا  
لَهْفِي عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّ اللَّهْفَ يَنْفَعُنِي  
مَا فِي الزَّمَانِ فَتَى نَرْجُوهُ فِي حَدَثٍ  
وَلَا مُعِينًا عَلَيَّ بَلَوَى يُدَافِعُهَا  
سِوَى لِنَامٍ لَهُمْ بِالْعِشِّ سَرِبَلَةٌ  
وَالْحِقْدُ وَالْغِلُّ وَالْبَغْضَاءُ بَيْنَهُمْ  
وَيَحْسُدُونَ عَلَيَّ النَّعْمَاءِ صَاحِبَهَا  
وَاللَّمْزُ فِيهِمْ وَكُلُّ الْقُبْحِ قَدْ جَمَعُوا  
لَا خَيْرَ فِيهِمْ وَلَا نَصْحًا نُؤْمَلُهُ  
وَإِنْ بَدَا لَكَ أَمْرٌ بِالْمَنَى خَلِعْ  
وَدَبَّرَ الْأَمْرَ أَحَدَاتٌ وَأَعْمَارُ  
كُلِّ الْكِرَامِ الَّذِي بِالْجِدِّ قَدْ سَارُوا  
يَتَلَوُّوا لِذِكْرَاهُمْ فِي الْحَيِّ سَمَارُ  
جَدَّدْتُ لَهْفِي وَدَمَعَ الْعَيْنِ مِذْرَارُ  
وَلَا رَجَالًا لَهُمْ فِي الْمَجْدِ إِخْطَارُ  
إِذَا الْغَرِيبُ جَفَاهُ الصَّحْبُ وَالْجَارُ  
وَفِي الْقُلُوبِ لَهُمْ بِالضُّعْنِ إِعْصَارُ  
لَا يُفْلِحُوا أَبَدًا وَالْخَيْرُ يَنْهَارُ  
وَيَشْمَتُونَ إِذَا مَا حَلَّ إِعْسَارُ  
وَفِي الْقُلُوبِ مِنَ الْأَحْقَادِ أَوْغَارُ  
قَدْ فَارَقُوا الرُّشْدَ إِنْ حَلُّوْا وَإِنْ سَارُوا  
أَوْلُوكَ غَدْرًا وَفِي أَفْعَالِهِمْ جَارُوا

لَا تَقْرَبَنَّ لَهُمْ لَا زِلْتَ مُدْرِعًا  
 وَأَطْلُبْ جَلِيسًا كَرِيمَ النَّفْسِ مُلْتَمِسًا  
 إِنْ غِبْتَ حَاذٍ وَلَا تُلْقِيهِ مُتَقِصًّا  
 هَذَا هُوَ الْخَلُّ فَالزَّمْ إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ  
 وَقَلِّ مَثَلًا وَمَا ظَنِّي تُحَصِّلُهُ  
 فَأَنْسُ بِرَبِّكَ قَاعَ الْبَيْتِ مُلْتَزِمًا  
 وَلِلصَّلَاةِ فَلَا تُهْمَلْ جَمَاعَتُهَا  
 وَالصَّدَقِ وَالْبِرِّ لَا تَعُدُوهُمَا أَبَدًا  
 وَالزَّمْ عَفَافًا وَلَا تَتَّبِعْ طَرِيقَ هَوَى  
 وَأَذْكُرْ إِلَهًا فِي خَلْقِهِ مَنْنٌ  
 وَاحْفَظْ لِسَانَكَ عَنِ لَعْوٍ وَعَنْ رَفَثٍ  
 وَأَرْحَمِ يَتِيمًا غَدًا بِأَلَيْتِمٍ مُتَّصِفًا  
 وَصِلْ قَرِيبًا وَلَا تَقْطَعْ لَهُ رَحْمًا  
 وَبِرَّ جَارًا وَلَا تَهْتِكْ مَحَارِمَهُ  
 وَكُنْ حَلِيمًا وَلَا تَغْضَبْ عَلَى أَحَدٍ  
 وَتَمَّ نَظْمِي وَصَلَّى خَالِقِي أَبَدًا  
 وَآلِهِ الْعُرِّ مَعَ صَحْبٍ أَوْلَى كَرِمٍ

اللَّهُمَّ فَتَعْنَا مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ ، وَسَهِّلْ عَلَيْنَا كُلَّ أَمْرٍ عَسِيرٍ وَوَفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ إِنَّكَ  
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَسْكِنْنَا دَارَ كَرَامَتِكَ يَا مَنْ هُوَ مَلْجُؤُنَا وَمَلَاذُنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ، وَاجْعَلْ  
 لَنَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا . وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ  
 وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" فصل "

وَعَنْ أَبِي قُدَامَةَ السَّرْحَسِيِّ قَالَ : قَامَ الْعُمَرِيُّ لِلْخَلِيفَةِ عَلَى الطَّرِيقِ فَقَالَ لَهُ : فَعَلْتَ وَفَعَلْتَ .  
فَقَالَ لَهُ : مَاذَا تُرِيدُ ؟ قَالَ : تَعْمَلُ بِكَذَا وَتَعْمَلُ بِكَذَا . فَقَالَ لَهُ هَارُونَ : نَعَمْ يَا عَمَّ نَعَمْ يَا عَمَّ .  
وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ : كُنْتُ بِمَكَّةَ فِي رُفَاقِ الشَّطْوِيِّ وَإِلَى جَنِّي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ  
الْعُمَرِيِّ وَقَدْ حَجَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ .

فَقَالَ لَهُ إِنْسَانٌ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ هُوَ ذَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسْعَى قَدْ أُخْلِيَ لَهُ الْمَسْعَى . قَالَ  
الْعُمَرِيُّ لِلرَّجُلِ : لَا جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا ، كَلَّفْتَنِي أَمْرًا كُنْتُ عَنْهُ غَنِيًّا . ثُمَّ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ ( أَي  
لِبِسَهُمَا ) .

وَقَامَ فَتَبِعْتَهُ وَأَقْبَلَ هَارُونَ الرَّشِيدَ مِنَ الْمَرَوَّةِ يُرِيدُ الصَّفَا فَصَاحَ بِهِ : يَا هَارُونَ ! فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ  
قَالَ : لَبَيْكَ يَا عَمَّ . قَالَ : ازِقِ الصَّفَا . فَلَمَّا رَقِيَهِ .

قَالَ : ازِمِ بَطْرَفِكَ إِلَى الْبَيْتِ . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . قَالَ : كَمْ هُمْ ؟ قَالَ : وَمَنْ يَخْصِيهِمْ ؟ قَالَ :  
فَكَمْ فِي النَّاسِ مِثْلِهِمْ ؟ قَالَ : خَلْقٌ لَا يُخْصِيهِمْ إِلَّا اللَّهُ .

قَالَ : اعْلَمْ أَيُّهَا الرَّجُلُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُسْأَلُ عَنْ خَاصَّةِ نَفْسِهِ وَأَنْتَ وَحْدَكَ تُسْأَلُ عَنْهُمْ  
كُلَّهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ تَكُونُ ؟ قَالَ : فَبَكَى هَارُونَ وَجَلَسَ وَجَعَلُوا يُعْطُونَهُ مَنَدِيلاً مَنَدِيلاً لِلدُّمُوعِ .  
قَالَ الْعُمَرِيُّ : وَأُخْرَى أَقُولُهَا . قَالَ : قُلْ يَا عَمَّ . قَالَ : وَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيُسْرِفَ فِي مَالِهِ  
فَيَسْتَحِقُّ الْحَجَرَ عَلَيْهِ ، فَكَيْفَ بِمَنْ يُسْرِفُ فِي مَالِ الْمُسْلِمِينَ ؟ ثُمَّ مَضَى وَهَارُونَ يَبْكِي .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَقُولُ : بَلَغَنِي أَنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ قَالَ :  
إِنِّي لِأَحِبُّ أَنْ أَحِجَّ كُلَّ سَنَةٍ مَا يَمْنَعُنِي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ عُمَرَ ثُمَّ يُسْمِعُنِي مَا أَكْرَهُ .



وَقَدْ رَوَى لَنَا مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ أَنَّهُ لَقِيَهُ فِي الْمَسْعَى فَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّتِهِ فَأَهْوَتْ إِلَيْهِ الْأَجْنَادُ فَكَفَّهِمْ عَنْهُ الرَّشِيدُ فَكَلَّمَهُ فَإِذَا دُمُوعُ الرَّشِيدِ تَسِيلُ عَلَى مَعْرِفَةِ دَابَّتِهِ .

ثُمَّ انْصَرَفَ . وَأَنَّهُ لَقِيَهُ مَرَّةً فَقَالَ : يَا هَارُونَ فَعَلْتَ وَفَعَلْتَ . فَجَعَلَ يَسْمَعُ مِنْهُ وَيَقُولُ : مَقْبُولٌ مِنْكَ يَا عَمَّ ، عَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ حَالَ النَّاسِ كَيْتَ وَكَيْتَ . فَقَالَ : عَنْ عَيْرِ عِلْمِي وَأَمْرِي . وَخَرَجَ الْعُمَرِيُّ إِلَى الرَّشِيدِ مَرَّةً لِيَعْظُمَهُ فَلَمَّا نَزَلَ الْكُوفَةَ رَحَفَ الْعَسْكَرُ حَتَّى لَوْ كَانَ نَزَلَ بِهِمْ مِائَةٌ أَلْفٍ مِنَ الْعَدُوِّ مَا زَادُوا عَلَى هَيْبَتِهِ . ثُمَّ رَجَعَ وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِي يَحْيَى الزُّهْرِيِّ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بن عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعُمَرِيُّ عِنْدَ مَوْتِهِ : بِنِعْمَةِ رَبِّي أُحَدِّثُ أَيُّ لَمْ أَصْبِحْ أَمْلِكُ إِلَّا سَبْعَةَ دَرَاهِمٍ مِنْ لِحَاءِ شَجَرٍ فَتَلْتُهُ بِيَدِي وَبِنِعْمَةِ رَبِّي أُحَدِّثُ : لَوْ إِنَّ الدُّنْيَا أَصْبَحَتْ تَحْتَ قَدَمِي مَا يَمْنَعُنِي أَخْذُهَا إِلَّا أَنْ أُزِيلَ قَدَمِي عَنْهَا ؛ مَا أَرَلْتُهَا .

اسْتَسْقَى مُوسَى بن نُصَيْرٍ فِي النَّاسِ فِي سَنَةِ ٩٣ حِينَ أَقْحَطُوا بِإِفْرِيقِيَةَ فَأَمَرَهُمْ بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ خَرَجَ بِهِمْ وَمَيَّزَ أَهْلَ الدِّمَّةِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ وَفَرَّقَ بَيْنَ الْبُهَائِمِ وَأَوْلَادِهَا ثُمَّ أَمَرَ بِالْبُكَاءِ وَارْتِفَاعِ الضَّجِيحِ وَهُوَ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارَ ثُمَّ نَزَلَ فَقِيلَ لَهُ : أَلَا دَعَوْتَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ : هَذَا مَوْطِنٌ لَا يُذَكَّرُ فِيهِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَسَقَاهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَا قَالَ ذَلِكَ .

كَتَبَ زُر بن حُبَيْشٍ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بن مروان كِتَابًا يَعْظُمُهُ فِيهِ فَكَانَ فِي آخِرِهِ : وَلَا يُطْمِغُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي طَوْلِ الْحَيَاةِ مَا يَظْهَرُ مِنْ صِحَّةِ بَدَنِكَ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ وَادُّكُرْ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الْأَوْلُونَ .

شِعْرًا : إِذَا الرَّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادَهَا وَبُلِيتَ مِنْ كِبَرِ أَجْسَادِهَا

وَجَعَلْتَ أَسْقَامَهَا تَعْتَادَهَا      فَنَدِي زُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادَهَا

فَلَمَّا قَرَأَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْكُتُبَ بَكَى حَتَّى بَلَ طَرْفَ ثَوْبِهِ بِدُمُوعِهِ ثُمَّ قَالَ : صَدَقَ زُرٌّ وَلَوْ كَتَبَ  
إِلَيْنَا بَعِيرٌ هَذَا كَانَ أَرْفَقَ بِنَا .

شِعْرًا : يَا بَنِي الْقَصْرِ الْكَبِيرِ      بَيْنَ الدَّسَاكِرِ وَالْقُصُورِ  
وَمَجَرَّرِ الْجَيْشِ الَّذِي      مَلَأَ الْبَسِيطَةَ وَالصُّدُورِ  
وَمُدَّوْخِ الْأَرْضِ التِّي      أَعْيَتْ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ  
أَمَا فَرَعْتَ فَلَا تَدَعِ      بُنْيَانَ قَبْرِكَ فِي الْقُبُورِ  
وَانظُرْ إِلَيْهِ تَرَاهُ كَيْ      فَمَا إِلَيْكَ مُعْتَرِضًا يُشِيرُ  
وَأَذْكَرُ رُقَادَكَ وَسَطَهُ      تَحْتَ الْجَنَادِلِ وَالصُّخُورِ  
قَدْ بُدِدْتَ تِلْكَ الْجُيُ      شُ وَعْيِيَّتَ تِلْكَ الْأُمُورِ  
وَأَعْتَضْتَ مِنْ لَيْنِ الْحَرِي      رِ حُشُونَةَ الْحَجَرِ الْكَبِيرِ  
وَتَرَكْتَ مُرْتَهَنًا بِهِ      لَا مَالَ وَيْكَ وَلَا عَشِيرِ  
حَيْرَانَ تُعْلِنُ بِالْأَسَى      لَهْفَانٍ تَدْعُو بِالشُّبُورِ  
وَدُعِيتَ بِاسْمِكَ بَعْدَمَا      قَدْ كُنْتَ تُدْعَى بِالْأَمِيرِ  
وَلَأَنْتَ أَهْوَنُ فِيهِ مِنْ      جُعَلٍ عَلَى نَتْنٍ يَدُورِ  
إِنْ لَمْ يَجِدْ بِالْعَفْوِ مَنْ      يَعْفُو عَنِ الدَّنْبِ الْكَبِيرِ  
هَذَا هُوَ الْحَقُّ الْيَقِينُ      مِنْ وَكُلٍ ذَلِكَ هُوَ الْغُرُورِ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ ، وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا  
هُدَاهُ مُهْتَدِينَ وَتَوْفِقَنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .  
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" فَصْلٌ "

وعن الفضل بن الربيع قال : حج أمير المؤمنين الرشيد فأتاني فخرجت

مسرِعًا فُقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ أُرْسِلْتَ إِلَى أَيْتِكَ . فَقَالَ : وَيْحَكَ قَدْ حَاكَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ فَأَنْظُرْ لِي رَجُلًا أَسْأَلُهُ . فُقُلْتُ : هَا هُنَا سَفِيَانُ بْنُ عَيْنَةَ .  
 فَقَالَ : امضْ بِنَا إِلَيْهِ . فَأَتَيْنَاهُ فَفَرَعْتَ الْبَابَ فَقَالَ مِنْ ذَا ؟ فُقُلْتُ : أَحِبُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .  
 فَخَرَجَ مَسْرِعًا فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ أُرْسِلْتَ إِلَى أَيْتِكَ . فَقَالَ لَهُ : خُذْ مَا جِئْنَاكَ لَهُ رَحِمَكَ اللَّهُ .

فَحَدَّثَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ لَهُ : عَلَيْكَ دِينَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ : أَبَا عَبَّاسٍ اقضِ دِينَكَ ، فَلَمَّا خَرَجْنَا قَالَ : مَا أَغْنَى عَنِّي صَاحِبُكَ شَيْئًا ، أَنْظُرْ لِي رَجُلًا أَسْأَلُهُ .  
 فُقُلْتُ لَهُ : هَا هُنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ بْنُ هَمَامٍ . قَالَ : امضْ بِنَا إِلَيْهِ فَأَتَيْنَاهُ فَفَرَعْتَ الْبَابَ فَقَالَ :  
 مِنْ هَذَا ؟ قُلْتُ : أَحِبُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَخَرَجَ مَسْرِعًا فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ أُرْسِلْتَ إِلَى أَيْتِكَ . قَالَ : خُذْ مَا جِئْنَاكَ لَهُ .  
 فَحَدَّثَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ لَهُ : عَلَيْكَ دِينَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَبَا عَبَّاسٍ اقضِ دِينَكَ . فَلَمَّا خَرَجْنَا قَالَ : مَا أَغْنَى صَاحِبُكَ شَيْئًا أَنْظُرْ لِي رَجُلًا أَسْأَلُهُ .

قُلْتُ : هَا هُنَا الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ . قَالَ : امضْ بِنَا إِلَيْهِ . فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يَصْلِي يَتَلُو آيَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَرُدُّهَا . فَقَالَ : اقْرَعِ الْبَابَ . فَفَرَعْتَ الْبَابَ فَقَالَ : مِنْ هَذَا ؟ فُقُلْتُ :  
 أَحِبُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : مَا لِي وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فُقُلْتُ : سُبْحَانَ اللَّهِ أَمَا عَلَيْكَ طَاعَةٌ ؟

أَلَيْسَ قَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : " لَيْسَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَذُلَّ نَفْسَهُ " فَنَزَلَ فَفَتَحَ الْبَابَ ثُمَّ ارْتَقَى إِلَى الْغُرْفَةِ فَأَطْفَأَ الْمَصْبَاحَ ثُمَّ التَّجَأَ إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا الْبَيْتِ .  
 فَدَخَلْنَا فَجَعَلْنَا نَجُولُ بِأَيْدِينَا فَسَبَقَتْ كَفَّ هَارُونَ قَبْلِي إِلَيْهِ . فَقَالَ : يَا لَهَا مِنْ كَفِّ مَا أَلَيْهَا إِنْ نَجَتْ غَدًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : لِيَكْلِمَنِي اللَّيْلَةَ بِكَلَامِ نَقِيٍّ مِنْ قَلْبِ تَقِيٍّ . فَقَالَ لَهُ : خذْ مَا جِئْنَاكَ لَهُ رَحِمَكَ اللَّهُ .

فَقَالَ : إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ دَعَا سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ وَ رَجَاءَ بْنَ حَيَوَةَ فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ ابْتَلَيْتُ بِهَذَا الْبَلَاءِ فَأَشِيرُوا عَلَيَّ . فَعَدَّ الْخِلَافَةَ بَلَاءً وَ عَدَدَتْهَا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ نِعْمَةً .

فَقَالَ لَهُ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : إِنْ أَرَدْتَ النِّجَاةَ غَدًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فَصُمْ عَنِ الدُّنْيَا وَ لِيَكُنْ إِفْطَارُكَ مِنَ الْمَوْتِ .

وَ قَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ : إِنْ أَرَدْتَ النِّجَاةَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، فَلِيَكُنْ كَبِيرَ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَكَ أَبًا وَ أَوْسَطَهُمْ أَخًا وَ أَصْغَرَهُمْ عِنْدَكَ وَلَدًا فَوْقَ أَبِيكَ وَ أَكْرَمَ أَخِيكَ وَ تَحْنِ عَلَيَّ وَ لَدَيْكَ . وَ قَالَ لَهُ رَجَاءُ بْنُ حَيَوَةَ : إِنْ أَرَدْتَ النِّجَاةَ غَدًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَأَحْبِبْ لِلْمُسْلِمِينَ مَا تَحِبُّ لِنَفْسِكَ وَ اكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ ثُمَّ مَتِ إِذَا شِئْتَ . وَ إِنِّي أَقُولُ لَكَ : إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَشَدَّ الْخَوْفِ يَوْمَ تَزُلُ فِي الْأَقْدَامِ فَهَلْ مَعَكَ رَحِمَكَ اللَّهُ مِنْ يَشِيرِ عَلَيْكَ بِمِثْلِ هَذَا ؟

فَبَكَى هَارُونَ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ : أَرْفُقْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : يَا ابْنَ أُمِّ الرَّبِيعِ تَقْتُلُهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ وَأَرْفُقُ بِهِ أَنَا ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ لَهُ : زِدْنِي رَحِمَكَ اللَّهُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَلِّغْنِي أَنْ عَامِلًا لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ شَكَا إِلَيْهِ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : يَا أَخِي أَذْكَرُكَ طَوَّلَ سَهْرِ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ مَعَ خُلُودِ الْأَبَدِ وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْصَرَفَ بِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيَكُونَ آخِرَ الْعَهْدِ وَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ .

قَالَ : فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ طَوَى الْبِلَادَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ

له : ما أقدمك ؟ قَالَ : خلعت قلبي بِكِتَابِكَ لا أَعُودُ إلى ولاية أبداً حَتَّى ألقى الله عَزَّ وَجَلَّ .

قَالَ : فَبَكَى هَارُونَ بُكَاءً شَدِيداً ثُمَّ قَالَ لَهُ : زِدْنِي رَحْمَكَ اللهُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْعَبَّاسَ عَمَّ الْمُصْطَفَى ρ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ أَمْرِي عَلَى إِمَارَةِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ρ : « إِنَّ الْإِمَارَةَ حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنَّ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَكُونَ أَمِيرًا فَافْعَلْ » .

فَبَكَى هَارُونَ بُكَاءً شَدِيداً وَقَالَ لَهُ : زِدْنِي رَحْمَكَ اللهُ فَقَالَ : يَا حَسَنَ الْوَجْهِ أَنْتَ الَّذِي يَسْأَلُكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ هَذَا الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِنَّ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقِيَ هَذَا الْوَجْهَ مِنَ النَّارِ فَافْعَلْ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَصْبِحَ وَتَمْسِيَ وَفِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّ النَّبِيَّ ρ قَالَ : « مِنْ أَصْبَحَ لَهُمْ غَاشًّا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ » .

فَبَكَى هَارُونَ وَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ دِينٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ دِينِ لِرَبِّي يَحَاسِبُنِي عَلَيْهِ ، فَالْوَيْلُ لِي إِنْ سَأَلَنِي ، وَالْوَيْلُ لِي إِنْ نَاقَشَنِي ، وَالْوَيْلُ لِي إِنْ لَمْ أَهْمْ حَجَّتِي . قَالَ : إِنَّمَا أَعْنِي دِينَ الْعِبَادِ . قَالَ : إِنْ رَبِّي لَمْ يَأْمُرْنِي بِهَذَا ، أَمْرَ رَبِّي أَنْ أُوْحِدَهُ وَأَطِيعَ أَمْرَهُ ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ \* مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ \* إِنْ لِلَّهِ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ .

فَقَالَ لَهُ : هَذِهِ أَلْفُ دِينَارٍ خَذَهَا فَأَنْفَقَهَا عَلَى عِيَالِكَ وَتَقَوَى عَلَى عِبَادَتِكَ . فَقَالَ : سُبْحَانَ اللهِ أَنَا أَدْلَكَ عَلَى طَرِيقِ النِّجَاتِ وَأَنْتَ تَكْفِئُنِي بِمِثْلِ هَذَا ؟ سَلِمَكَ اللهُ وَوَقَفَكَ .

ثُمَّ صَمِتَ فَلَمْ يَكَلِّمْهُمَا فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ فَلَمَّا صَرْنَا عَلَى الْبَابِ قَالَ هَارُونَ : أبا عَبَّاسٍ إِذَا دَلَلْتَنِي عَلَى رَجُلٍ فَدَلَّنِي عَلَى مِثْلِ هَذَا ، هَذَا سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ .

فدخلت عَلَيْهِ امرأة من نسائه فقالت : يَا هَذَا قَدْ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ ضَيْقِ الْحَالِ فَلَوْ قَبِلْتَ هَذَا الْمَالَ فَتَفَرَّجْنَا بِهِ . فَقَالَ لَهَا : مِثْلِي وَمِثْلَكُمْ كَمِثْلِ قَوْمٍ كَانَ هُمْ بَعِيرٌ يَأْكُلُونَ مِنْ كَسْبِهِ فَلَمَّا كَبُرَ نَحْوُهُ فَأَكَلُوا لَحْمَهُ .

فَلَمَّا سَمِعَ هَارُونَ هَذَا الْكَلَامَ قَالَ : نَدَخَلُ فَعَسَى أَنْ يَقْبَلَ الْمَالَ فَلَمَّا عَلِمَ الْفَضِيلَ خَرَجَ فَجَلَسَ فِي السُّطْحِ عَلَى بَابِ الْغُرْفَةِ ، فَجَاءَ هَارُونَ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ فَجَعَلَ يَكْلِمُهُ فَلَا يَجِيبُهُ فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذَا خَرَجَتْ جَارِيَةٌ سُودَاءُ فَقَالَتْ : يَا هَذَا قَدْ أَتَعَبْتَ الشَّيْخَ مُنْذُ اللَّيْلَةِ فَانصرف رَحِمَكَ اللَّهُ . فانصرف . تأمل يَا أُخِي هَلْ يَوْجَدُ فِي زَمَانِنَا مِنْ يَرُدُّ حِطَامَ الدُّنْيَا إِذَا عَرَضَ عَلَيْهِ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . هَذَا اللَّهُ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ رَقْمِ (١) فِي الزَّهْدِ .

بَلِّغْ يَا أُخِي مَنْ يَأْكُلُونَ بِالْكَتَبِ الدِّينِيَّةِ بِاسْمِ تَحْقِيقِ وَنَشْرِ وَقَلَّ هُمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ واذكر هُمْ طريقة الرسل وأنهم لا يسألون النَّاسَ أَجْرًا .

شِعْرًا : اَعْلَمْ بِأَنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ مُنْفَرِدٌ وَالسَّالِكُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ أَفْرَادٌ  
لَا يَطْلُبُونَ وَلَا تُطَلَّبُ مَسَاعِيَهُمْ فَهُمْ عَلَى مَهَلٍ يَمْشُونَ قُصَادٌ  
وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا لَهُ قُصَدُوا فَجَاهِلُهُمْ عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ رُقَادٌ

قيل : إن هارون الرشيد خَرَجَ فِي نَزْهَةٍ وَمَعَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ جَعْفَرٍ فَقَالَ لَهُ هَارُونَ : قَدْ كَانَتْ لَكَ جَارِيَةٌ تَغْنِي فَتَحْسِنِ الْغِنَا فَأْتِ بِهَا فَجَاءَتْ فَغَنَتْ فَلَمْ تَحْسِنِ الْغِنَا فَقَالَ لَهَا : مَا شَأْنُكَ قَالَتْ : لَيْسَ هَذَا عَوْدِي .

فَقَالَ لِلْخَادِمِ جِئْهَا بَعُودَهَا قَالَ : فَجَاءَ بِالْعُودِ فَوَافَقَ شَيْخَنَا يَلْقَطُ النَّوَى فَقَالَ : إِبْعِدْ عَنِ الطَّرِيقِ يَا شَيْخَ فَرَفَعَ الشَّيْخُ رَأْسَهُ فَرَأَى الْعُودَ فَأَخَذَهُ فَضْرَبَ بِهِ الْأَرْضَ .  
فَأَخَذَهُ الْخَادِمَ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى صَاحِبِ الرَّبْعِ فَقَالَ : احْتَفِظْ بِهَذَا فَإِنَّهُ سَيَطْلُبُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .  
فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الرَّبْعِ : لَيْسَ بِبَغْدَادِ أَعْبُدُ مِنْ هَذَا فَكَيْفَ يَطْلُبُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ لَهُ : اسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ . ثُمَّ دَخَلَ عَلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي مَرَرْتُ عَلَى شَيْخٍ يَلْقُطُ النَّوَى ، فَقُلْتُ : تَنْحَ عَنِ الطَّرِيقِ يَا شَيْخَ . فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَرَأَى الْعُودَ " أَيُّ عُودِ الْغَنَاءِ " فَأَخَذَهُ وَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ .

فَغَضِبَ هَارُونَ وَاسْتَشَاظَ وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ جَعْفَرٍ : مَا هَذَا الْعَضْبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِبْعَثْ إِلَى صَاحِبِ الرَّبِيعِ يَضْرِبُ عُنُقَهُ وَيُرْمِي بِهِ فِي دَجَلَةٍ فَقَالَ : لَا وَلَكِنْ نَبِّعْثْ إِلَيْهِ فَنَنْظُرُهُ أَوَّلًا .

قَالَ : فَبِعَثْتُ إِلَيْهِ فَجَاءَهُ الرَّسُولُ فَقَالَ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ نَعَمْ . قَالَ : أَرْكَبُ . قَالَ : لَا فَجَاءَ يَمْشِي حَتَّى أَوْقَفَ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ فَقِيلَ لَهُ هَارُونَ : قَدْ جَاءَ الشَّيْخُ . فَقَالَ لِنَدَامَاهُ : أَيُّ شَيْءٍ تَرُونَ نَرْفَعُ مِنْ مَا قَدَامَنَا مِنَ الْمُنْكَرِ حَتَّى يَدْخُلَ الشَّيْخُ أَوْ تَقُومُوا إِلَى مَجْلِسِ آخِرِ لَيْسَ فِيهِ مَنُكْرٌ . فَقَالُوا : نَقُومُ إِلَى مَجْلِسِ آخِرِ لَيْسَ فِيهِ مَنُكْرٌ فَقَامُوا صَغُرَةً إِلَى مَجْلِسِ لَيْسَ فِيهِ مَنُكْرٌ .

ثُمَّ طَلَبَ الشَّيْخَ فَادْخَلَ وَفِي كَمِهِ الْكَيْسُ الَّذِي فِيهِ النَّوَى ( أَيُّ الْفَصْمِ ) فَقَالَ لَهُ الْخَادِمُ أَخْرَجْ هَذَا وَادْخُلْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ : مِنْ هَذَا عَشَائِي اللَّيْلَةَ . قَالَ : نَحْنُ نَعْشِيكَ . قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِي عَشَاكُمْ .

فَقَالَ لَهُ هَارُونَ : أَيُّ شَيْءٍ تَرِيدُ مِنْهُ ؟ فَقَالَ فِي كَمِهِ نَوَى فَقُلْتُ لَهُ : اطْرَحْهُ وَادْخُلْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ : دَعَهُ لَا تَطْرَحْهُ فَدَخَلَ عَلَى هَارُونَ وَجَلَسَ .

فَقَالَ هَارُونَ : يَا شَيْخَ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : وَأَيُّ شَيْءٍ صَنَعْتَهُ ؟ وَجَعَلَ هَارُونَ يَسْتَحِي أَنْ يَقُولَ كَسَرْتَ عُودَنَا .

فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ فَقَالَ الشَّيْخُ لَهُ هَارُونَ : إِنِّي سَمِعْتُ آبَاءَكَ وَأَجْدَادَكَ يَقْرءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى الْمَنِيرِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ وَرَأَيْتَ مَنُكْرًا فغَيَّرْتَهُ .

قَالَ : فغيره . قَالَ الراوي : فَوَاللَّهِ مَا قَالَ إِلَّا هَذَا فَلَمَّا خَرَجَ أَعْطَى هَارُونَ رَجُلًا بَدْرَةَ يَعْنِي عَشْرَةَ آلَافٍ دَرَاهِمَ فَقَالَ لَهُ : اتَّبِعِ الشَّيْخَ فَإِنَّ رَأْيَهُ يَقُولُ قُلْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَ لِي فَلَا تَعْطُهُ شَيْئًا وَأَنْتِي بِهِ وَإِنْ رَأَيْتَهُ لَا يَكَلِّمُ أَحَدًا فَأَعْطَاهُ الْبَدْرَةَ .

فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْقَصْرِ تَبِعَهُ وَلَمْ يَرَهُ يَكَلِّمُ أَحَدًا فَقَالَ لَهُ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ خذْ هَذِهِ الْبَدْرَةَ . فَقَالَ : قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : يَرُدُّهَا مِنْ حَيْثُ أَخَذَهَا .

فَأَنْظُرْ رَحِمَكَ اللَّهُ كَيْفَ حَفِظَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا مِنْ سَطْوَتِهِمْ وَرَدَّ عَنْهُ كَيْدَهُمْ بِبَرَكَاتِ الْإِخْلَاصِ وَالتَّقْوَى لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَابْنِ عَبَّاسٍ : « يَا غُلَامُ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ » .

وَلَوْ كَانَ هَذَا مِنَ الْجَهْلَةِ الْمَرَاتِينِ لَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ : اتَّفَقَ لِي مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كَذَا وَكَذَا وَقَالَ لِي وَقُلْتُ لَهُ يَتَّبِحُ بِذَلِكَ وَلَا يَقْنَعُ بِعِلْمِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَاطْلَاعِهِ . هَذَا . اللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ رَقْمِ (١) فِي الزَّهْدِ .

فَيَنْبَغِي التَّفَطُّنَ لِمِثْلِ هَذَا فَإِنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى مَا فِي الْقَلْبِ مِنَ الدَّاءِ الدَّفِينِ مِنَ الرِّيَاءِ وَطَلَبِ الْجَاهِ وَالْمَنْزِلَةِ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ .

وَقَدْ رَوَى النَّسَائِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِنْ اللَّهُ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا وَيَتَّبِعِي بِهِ وَجْهَهُ » .

فَإِنْ قُلْتُ : فَمَا الَّذِي يَمَيِّزُ لَنَا النِّيَّةَ الصَّالِحَةَ الْخَالِصَةَ مِنَ النِّيَّةِ الْفَاسِدَةِ وَمَا الْعَلَامَةُ فِي ذَلِكَ وَالْمَعْيَارُ فِي صِحَّتِهِ .

قُلْتُ : مَحَلُّ الْإِعْتِبَارِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَرَى الْمُنْكَرُ نَفْسَهُ كَالْمَكْرِهِ عَلَى هَذَا الْفِعْلِ وَكَالْمُتَكَلِّفِ لَهُ وَالْمُتَجَشِّمِ الْمَشَقَّةِ فِيهِ .

وَيُودِ لَوْ تَصَدَّى لَهُذَا الْفِعْلُ غَيْرَهُ وَكَفَاهُ اللَّهُ بِهِ وَيَجِبُ أَنْ لَا يَعْلَمَ بِهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ اِكْتِفَاءً بِعِلْمِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدُّسِ وَاطْلَاعِهِ عَلَيْهِ .



ويختار الكلام مع ولي الأمر من سلطان أو غيره في الخلوّة على الكلام معه لا على رؤوس الأشهاد .

بل يود لو كلمه سرًا وحده ونصحه خفية من غير حضور ثالث لهما ويكره أن يُقال عنه أو يحكى ما اتفق له .

ويكره أن يشتهر بذلك بين العامة بل لو أثر كلامه وغير المنكر بقوله ثمّ اشتهر عند الناس نسبة ذلك إلى غيره لما شق عليه .

ذلك إذا علم الله بحقيقة الحال كفاية وهو المجازي كلّ أحد بعلمه .

ويكون قصده زوال المنكر على أي وجه كان ولو حصل له مع زواله ازدياد وتنقص وسب وتغليظ كلام ودم بين الناس أو إعراض وهجر ممن عاداته المودّة له والإقبال عليه ونحو ذلك من الأحوال التي تكرهها النفوس وتنفر منها الطباع .

فهذه كلّها من علامات الإخلاص وحسن القصد وابتغاء وجه الله تعالى والدار الآخرة .  
وأما غير المخلص فبضد ذلك فيرى عند نفسه نشاطاً إلى هذا الفعل وإقبالاً عليه وسروراً به ويجب أن يكون جهراً في ملاء الناس لا سرّاً ويجب أن يحكى عنه ذلك وأن يشتهر به وأن يحمد عليه .

حتى أنّه لو نسب إزالة المنكر إلى غيره لقامت قيامته بل تجده ينقضي عمره وهو يحكى ما اتفق له وما قال وما قيل له متبجحاً بذلك بين أقرانه وزملائه وأبناء جنسه وربما زاد في القصة ونقص .

ولو سبقه غيره إلى ما كان هو قد عزم عليه من ذلك ورجع السلطان إلى قوله لثقل ذلك وشق عليه .

وَرَبَّمَا يُقُولُ مَنْ يَطَّلِعُهُ عَلَى نَيْتِهِ : كُنْتَ عَزَمْتَ عَلَى أَنْ أَدْخَلَ عَلَى السُّلْطَانَ فَأَقُولُ لَهُ كَذًا  
وَكَذًا وَلَكِنْ سَبَقَنِي فَلَانَ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ كَمَا يَنْبَغِي وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِ لَقُلْتُ كَذًا وَكَذًا  
وَفَعَلْتَ كَذًا فَهَذِهِ عَلَامَاتٌ عَلَى فِسَادِ النِّيَّةِ وَسُوءِ الْقَصْدِ وَعَدَمِ الْإِحْلَاصِ .

هذه نماذج وأمثلة سقناها من سيرة العُلَمَاءِ الْمُخْلِصِينَ الْعَامِلِينَ بِعِلْمِهِمُ الَّذِينَ لَا تَأْخُذُهُمْ  
فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمَةٌ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

سَأَلَ الْمَهْدِي الْإِمَامَ مَالِكًا وَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ دَارٌ ؟ فَقَالَ : لَا . فَأَعْطَاهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ  
دِينَارٍ وَقَالَ لَهُ : اشْتَرِ لَكَ بِهَا دَارًا ، فَأَخَذَ وَأَبْقَاهَا عِنْدَهُ .

فَلَمَّا أَرَادَ الرَّشِيدُ الرَّحِيلَ إِلَى بَغْدَادٍ قَالَ لِمَالِكٍ : يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَخْرُجَ مَعَنَا فَإِنِّي عَزَمْتُ أَنْ  
أَحْمِلَ النَّاسَ عَلَى الْمَوْطِ ، كَمَا حَمَلَ عَثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّاسَ عَلَى الْقُرْآنِ . فَقَالَ لَهُ  
مَالِكٌ : أَمَا حَمَلَ النَّاسَ عَلَى الْمَوْطِ فَلَيْسَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ لِأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
افْتَرَقُوا بَعْدَهُ فِي الْأَمْصَارِ فَحَدَّثُوا فَعِنْدَ كُلِّ أَهْلِ مِصْرٍ عِلْمٌ .

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اخْتِلاف أمتي رحمة » . وَأَمَّا الْخُرُوجُ مَعَكَ فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ، قَالَ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » . وَقَالَ : « الْمَدِينَةُ تَنْفِي خَبْثَهَا  
كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبْثَ الْحَدِيدِ » .

وهذه دنائيركم كما هيَ إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها يعني إنَّكَ إِنَّمَا كَلَفْتَنِي مَفَارِقَةَ  
الْمَدِينَةِ بِمَا اصْطَنَعْتَهُ لَدَيْ مَنْ أَخَذَ هَذِهِ الدَّنَائِيرَ ، فَالآن خذها فإني لا أُوثر الدُّنْيَا وَمَا  
فِيهَا عَلَى مَفَارِقَةِ الْمَدِينَةِ .

هَذَا مِنْ رَقْمٍ وَاحِدٍ فِي الْعِفَافِ وَالزُّهْدِ ، لِلَّهِ دَرَهُ هَكَذَا الْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ الْمُخْلِصُونَ الْبَعِيدُونَ  
عَنْ الشَّهْرَةِ وَالظُّهُورِ وَالرِّيَاءِ .

شِعْرًا : إِذَا رُمْتَ أَنْ تَنْجُو مِنَ النَّارِ سَالِمًا  
 وَتَحْطَى بِجَنَاتٍ وَحُورٍ خَرَائِدٍ  
 وَفِي هَذِهِ الدُّنْيَا تَعِيشُ مُنْعَمًا  
 فَمِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ فَاسْأَلْكَ سَبِيلَهَا  
 فَعَادِ الَّذِي عَادَى وَوَالِ الَّذِي لَهُ  
 فَمَنْ لَمْ يُعَادِي الْمُشْرِكِينَ وَمَنْ لَهُمْ  
 فَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْهَا جِ سُنَّةِ أَحْمَدِ  
 وَأَخْلِصْ لِمَوْلَاكَ الْعِبَادَةَ رَاغِبًا  
 مُجِبًّا لِأَهْلِ الْخَيْرِ لَا مُتَكْرِهًا  
 وَكُنْ سَلِسًا سَهْلًا لَبِيبًا مُهَذَّبًا  
 إِلَى كُلِّ مَنْ يَدْنُو إِلَيَّ مِنْهُجِ الثَّقَى  
 وَمِنْهُجُهُمْ خَيْرُ الْمَنَاهِجِ كُلِّهَا  
 فَهَذَا الَّذِي يَرْضَى لِكُلِّ مُوَحِّدٍ  
 وَذَلِكَ يَوْمٌ لَوْ عَلِمْتَ بِهِوْلَهُ  
 وَلَمْ تَتَلَذَّذْ بِالْحَيَاةِ وَطِيهَهَا  
 وَتَنْجُو مِنْ يَوْمٍ مُهَوِّلٍ عَصَبِ  
 وَتَرْفُلٍ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْمَجْدِ مُعْجِبِ  
 عَزِيْزًا حَمِيْدًا نَائِلًا كُلَّ مَطْلَبِ  
 هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى لِأَهْلِ التَّقَرُّبِ  
 يُوَالِي وَأَبْغَضُ فِي الْإِلَهِ وَأَحِبِّ  
 يُوَالِي وَلَمْ يُبْغَضْ وَلَمْ يَتَجَنَّبِ  
 وَلَيْسَ عَلَيَّ نَهْجِ قَوْمٍ مُقَرَّبِ  
 إِلَيْهِ مُنِيْبًا فِي الْعِبَادَةِ مُدْبِ  
 وَلَا مُبْغَضًا أَوْ سَالِكًا مِنْهُجًا وَبِ  
 كَرِيْمًا طَلِيْقَ الْوَجْهِ سَامِي التَّطَلُّبِ  
 فَخَيْرِ الْوَرَى أَهْلُ الثَّقَى وَالتَّقَرُّبِ  
 وَمَوْكِبُهُمْ يَوْمَ اللَّقَا خَيْرُ مَوْكِبِ  
 وَهَذَا الَّذِي يُنْجِي بِيَوْمٍ عَصَبِ  
 لَيْتَ لَعْمَرِي سَاهِدًا ذَا ثَقْلَبِ  
 وَأَصْبَحْتَ فِيهَا خَائِفًا ذَا تَرْقُبِ

اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَنُورِ قُلُوبِنَا وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَأَلْفَ بَيْنِ قُلُوبِنَا وَاهْدِنَا سَبِيلَ  
 السَّلَامِ وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا  
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيْعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوَفِّقَنَا  
 لِمَا فِيهِ صِلَاحٌ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرَمْ مَثْوَانَا وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ  
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## " فَصْلٌ " : فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ

اعْلَمْ وفقك الله أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجبان وجوب كفائي يخاطب به الجميع ، ويسقط بمن يقوم به ، وإن كان العالم به واحداً تعين عليه ، وإن كانوا جماعة لكن لا يحصل المقصود إلا بهم جميعاً تعين عليهم .

وأما تعريفهما ، فالمعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس . والمنكر ضده وعرفه بعضهم بقوله : المنكر اسم جامع لكل ما يكرهه الله وينهى عنه والمعروف اسم جامع لكل ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح .

وقد حبب الله إلينا الخير وأمرنا أن ندعو إليه ، وكره إلينا المنكر ونهانا عنه ، وأمرنا بمنع غيرنا منه ، كما أمرنا بالتعاون على البر والتقوى .

فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

والأصل في وجوبهما : الكتاب والسنة والإجماع قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .  
وأبان جلَّ وعلا أننا بهما خير الأمم فَقَالَ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ .

وفي المسند والسُنَن من حديث عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ مِنْكُمْ قَبْلَكُمْ كَانَ إِذَا عَمِلَ الْعَامِلُ الْخَطِيئَةَ جَاءَهُ النَّاهِي تَعْذِيرًا فَإِذَا كَانَ الْغَدُ جَالِسَهُ وَوَاكَلَهُ وَشَارِبَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَرَهُ عَلَى خَطِيئَةِ الْيَوْمِ فَلَمَّا رَأَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ

ذَلِكَ مِنْهُمْ ضَرْبٌ بِقُلُوبٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ثُمَّ لَعْنَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذَنَّ عَلَى يَدِ السَّفِيهِ وَلَتَأْطُرَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا أَوْ لِيُضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبٍ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ثُمَّ لِيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعْنَهُمْ » .

وذكر ابن أبي الدنيا عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَمْرٍو الصنعاني : وَحَى اللَّهُ إِلَى يُوْشَعَ بْنِ نُونٍ إِنِّي مَهْلِكٌ مِنْ قَوْمِكَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنْ خِيَارِهِمْ وَسِتِينَ أَلْفًا مِنْ شَرَارِهِمْ . قَالَ : يَا رَبِّ هؤُلاءِ الْأَشْرَارُ فَمَا بِالْأَخْيَارِ ؟ قَالَ : إِنَّهُمْ لَمْ يَغْضَبُوا لِعُضْبِي وَكَانُوا يُوَاكِلُونَهُمْ وَيُشَارِبُونَهُمْ .

وذكر أَبُو عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ : بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَلَكِينَ إِلَى قَرْيَةٍ أَنْ دَمَرَاهَا بَيْنَ فِيهَا فَوَجَدُوا فِيهَا رَجُلًا قَائِمًا يَصَلِّي فِي مَسْجِدٍ فَقَالَا : يَا رَبِّ إِنَّ فِيهَا عَبْدَكَ فَلَاتًا يَصَلِّي ؟ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : دَمَرَاهَا وَدَمَرَاهَا مَعَهُمْ فَإِنَّهُ مَا تَمَعَرُ وَجْهَهُ فِيَّ قَطُّ .

وذكر الحميدي عَنْ سَفِيَانَ بْنِ عَيِّنَةَ قَالَ حَدَّثَنِي سَفِيَانَ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ مَسْعَرٍ أَنَّ مَلَكًا أَمَرَ أَنْ يَخْسَفَ بِقَرْيَةٍ فَقَالَ : يَا رَبِّ إِنْ فِيهَا فَلَاتًا الْعَابِدِ . فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ أَنْ بِهِ فابدأ فإنه لم يتمعر وجهه في ساعة قط .

وذكر ابن أبي الدنيا عَنْ وَهْبِ بْنِ مَنْبِهِ قَالَ : لَمَّا أَصَابَ دَاوُدَ الْخَطِيئَةَ قَالَ يَا رَبِّ اغْفِرْ لِي قَالَ قَدْ غَفَرْتَ لَكَ وَأَلْزَمْتَ عَارَهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ وَأَنْتَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ لَا تَظْلَمُ أَحَدًا أَنَا أَعْمَلُ الْخَطِيئَةَ وَتَلْزِمُ عَارَهَا غَيْرِي .

فأوحى الله إليه إِنَّكَ لَمَّا عَمَلْتَ الْخَطِيئَةَ لَمْ يَعْجَلُوا عَلَيْكَ بِالْإِنْكَارِ .

وأوضح سبحانه أن الأجر بهما عظيم في قوله تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجُوهُمْ إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

ووصف المؤمنين والمؤمنات بأن بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقومون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم .

وشهد الله بالصلاح للمؤمنين الذين أضافوا إلى إيمانهم القيام بهما فقال تعالى : ﴿ مَن أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ \* يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

وبين جل شأنه أن قوماً من بني إسرائيل استحقوا اللعن بتركهما فقال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ \* كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ .  
قال القرطبي وبخ سبحانه وتعالى علماؤهم في تركهم نهيمهم فقال : ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ .

قال : ودلت الآية على أن تارك المنكر الذي لا ينهي عنه كمرتكبه . وذلك أن الأمة في عهد استقامتها وتمسكها بالسنة لا تترك بين أظهرها عاصياً ولا معصية ، فإذا رأت شيئاً من ذلك ثارت ثورة الأسود ولم تسكن حتى تذيقه ما يستحق على معصيته .  
كل ذلك غيرة على دينها وطلباً لمرضاة ربها . والعصاة والفسقة يرتدعون عندما يرون ردع إخوانهم .. انتهى كلامه .

شِعْرًا : وَأَهْوَى مِنَ الْفِتْيَانِ كُلِّ مَوْفِقٍ      لِبَطَاعَةِ رَبِّ الْخَلْقِ بَارِي الْبَرِيَّةِ  
مُلَازِمٌ بَيْتِ اللَّهِ يَتْلُوا كِتَابَهُ      وَيَكْثُرُ ذِكْرَ اللَّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ  
وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ حَسَبِ اقْتِدَارِهِ      وَعَنْ مُنْكَرٍ يَنْهَى بِلُطْفٍ بِدَعْوَتِي

وفي سورة الأعراف يخبرنا جلَّ وَعَلَا عما كَانَ من بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ فَيَقُولُ : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ \* فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَیْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ \* فَلَمَّا عَتَوْا عَنَّا نُحُوتًا عَنَّا قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ ، فأفادت هذه الآيات أن بَنِي إِسْرَائِيلَ صاروا إلى ثلاث فرق : فرقة ارتكبت المخدور واحتالوا على اصطیاد الأسماك يوم السبت المحرم فيه الصيد ، وفرقة نعت عن ذلك واعتزلتهم ، وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنه ولكنها قالت للمنكرة : لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً ، أي لم تنهون هؤلاء وقد علمتم أنهم قد هلكوا واستحقوا العقوبة من الله فلا فائدة في نهيكم إياهم .

قَالَتْ لَهُمُ الْمُنْكَرَةُ : معذرة إلى ربكم أن فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولعلمهم يتقون أي ولعل لهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه ويرجعون إلى الله تائبين فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم .

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ( أي فَلَمَّا أَبَى الْفَاعِلُونَ قَبُولَ النَّصِيحَةِ ) أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا

( أي الَّذِينَ ارْتَكَبُوا الْمَعْصِيَةَ ) بِعَذَابٍ بَیْسٍ ، فنصت الآيات على نجات الناهين وهلاك الظالمين وسكتت عن الساكتين .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : كَانُوا ثَلَاثَةَ ثَلَاثٍ نَهَوْا وَثَلَاثَ قَالُوا : لَمْ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مَعْذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا وَثَلَاثَ أَصْحَابِ الْخَطِيئَةِ فَمَا نَجَّا إِلَّا الَّذِينَ نَهَوْا وَهَلَكَ سَائِرُهُمْ . وَهَذَا إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

وَفِي الْحَدِيثِ الثَّابِتِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ خَطَبَ النَّاسَ عَلَى مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَعُونَ هَذِهِ الْآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾

وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " إِنْ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يَغْيُرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعْصِمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ « . وَفِي لَفْظٍ : « مِنْ عِنْدِهِ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وَابْنُ مَاجَةَ وَالنَّسَائِيُّ وَلَفْظُهُ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنْ الْقَوْمُ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يَغْيُرُوهُ عَمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ » .

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَبِي دَاوُدَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَا مِنْ قَوْمٍ يَعْمَلُونَ فِيهِمُ بِالْمَعَاصِي ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَغْيُرُوا ثُمَّ لَا يَغْيُرُوا إِلَّا يَوْشَكَ أَنْ يَعْصِمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ » . وَفِي رِوَايَةٍ : « إِنْ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْصِمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ » .

وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَمِيدٍ : وَلَقَدْ وَصَلْنَا إِلَى حَدِّ مَاتَتْ فِيهِ الْغِيْرَةُ الدِّيْنِيَّةُ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ مِنْ يَرْحَى وَيُظَنُّ أَنَّهُمْ حِمَاةُ الْإِسْلَامِ وَأَبْطَالُ الدِّيْنِ مِمَّا جَعَلَ الْعِصَاةَ يَمْرَحُونَ فِي مِيَادِينِ شَهْوَاتِهِمْ وَيَفْتَحُونَ بِعِصْيَانِهِمْ بَدُونَ حَسِيبٍ وَلَا رَقِيبٍ .

شِعْرًا : قُلْ لِلَّذِي بِقِرَاعِ السَّيْفِ هَدَدْنَا لَا قَامَ قَائِمٌ جَنَّبِي حِينَ تَصْرَعُهُ  
قَامَ الْحَمَامُ إِلَى الْبَازِي يُهَدِّدُهُ وَاسْتَيْقِضَتْ لِأَسْوَدٍ أَصْبَعُهُ



ولو شئت لقلْتُ : ولا أخشى لائماً نَحْنُ فِي زمن علا فيه واعتز أرباب الرذائل وأصبحت الدولة لَهُمْ وأهل الفضيلة المتمسكون بأهداب دينهم عِنْدَمَا ينكرون على المجرمين إجرامهم يكونون كالمضغة فِي الأفواه البديعة ترميهم بكل نقيصة وأقل ما يقولون إنهم متأخرون جامدون فِي بقايا قرون الهمجية يستهزؤون ويقهقهون ويغمزون بالحواجب والعيون ويخرجون ألسنتهم سخرية واستهزاء بِهِمْ ويضحكون من عقولهم لما راجت الرذيلة هذا الرواج وَمَا درى هؤلاء أَنهم فِي غاية من السقوط والهمجية لفساد عقولهم وبعدهم عن معرفة أوامر دينهم .

وناهيك لو قام كُلُّ منا بما عَلَيْهِ من الدعوة للإسلام والأمر بالمعروف والنهي عَنِ الْمُنْكَر وارشاد النَّاس وعظمتهم وتذكيرهم بما فيه صلاحهم واستقامتهم لاستقر الخَيْر والمعروف فينا وامتنع فُشُو الشر والمُنْكَر بيننا . أ هـ . وَاللَّهِ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .  
قَالَ بَعْضُهُمْ :

قُمْ يَا مُحَمَّدُ وَاسْتَمِعْ لِي يَا عُمَرُ	وَاسْتَيْقِظَا فَالِدَيْنِ يَدْعُو لِلنَّصْرِ
وَعَدَا بَنُو الْإِسْلَامِ فِي زَيْغِ فَمَا	يَسْعَوْنَ إِلَّا لِلْمَلَاهِي وَالْبَطْرِ
تَرَكُوا هُدَى الدِّينِ الْحَنِيفِ الْمُعْتَبَرِ	وَاسْتَبَدَّلُوا الْعَيْنَ الصَّحِيحَةَ بِالْعَوْرِ
وَنَسُوا أُصُولَ الدِّينِ مِنْ دَهْشٍ وَقَدْ	أَضْحَى نَصِيرُ الشَّرْعِ فِيهِمْ مُحْتَقِرٌ
وَالدِّينِ يَدْعُوهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ	وَقُلُوبُهُمْ ضَلَّتْ وَقَدْ عَمِيَ الْبَصَرُ
حَتَّى تَشَتَّتْ شَمْلُهُ وَاصْدَعَتْ	أَرْكَانُهُ وَأَسَاءَ مَثْوَاهُ الضَّرْرُ
فِي آلِي مَتَى هَذَا السُّكُوتُ وَقَدْ دَنَا	وَقْتُ الْجِهَادِ وَمَا لَنَا عَنْهُ مَفْرٌ
عَارٌ وَأَيْمُ اللهِ أَنْ نَلْهُوَ وَقَدْ	كَادَتْ مَعَالِمُ دِينِنَا أَنْ تَنْدَثِرَ
فَكَفَّاكُمْوَا زَيْغًا وَهَجْرًا فَاْمُدُّوَا	أَيْدِي الْخِلَاصِ وَأَيِّدُوا الدِّينَ الْأَغْرَ
وَذَرُوا جِدَالَ الْمُلْحِدِينَ فَإِنَّهُمْ	فَقَدُوا الرَّشَادَ وَكَانَ مَاوَاهُمْ سَقْرٌ

وَتَكَاتَفُوا فِي السَّعْيِ حَوْلَ نَجَاتِهِ لَا يَشْنُ هِمَّتَكُمْ حُمُولٌ أَوْ ضَجْرٌ  
فَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعِبَادِ إِذَا هُمُوا نَصَرُوا الْحَنِيفَ وَحَصَّنُوهُ مِنَ الْغَيْرِ

اللَّهُمَّ وَقَفْنَا لِلزُّومِ الطَّرِيقِ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَيَسِّرْ لَنَا مَا  
يَسِّرْتَهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وَأَيِّقِظْنَا مِنْ غَفْلَاتِنَا وَأَهْمِنَا رُشْدَنَا وَاسْتُرْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاحْشُرْنَا فِي  
رُؤْمَةِ عِبَادِكَ الْمُتَّقِينَ وَالْحَقِّنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ  
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

### " فَضْلٌ "

وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمِيدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ .. وبعد : فلا يخفى مَا أصيب به  
الإسلام والمسلمون من الشرور والفتن والدواهي والحن .. وأن الإسلام قَدْ أدبر وأذان  
بالوداع . والنفاق قَدْ أشرف وأقبل باطلاع .. والإسلام بدأ يرتحل من عقر داره لتقصير  
أهله إذ لم يشرحوا للناس محاسنه وفضائله وحكمه وأسراره . ولم يقوموا بالدعوة إليه بغرس  
محبه في القلوب .. بذكر مَا تقدم فَإِنَّ الآيات القرآنية الدالة على الدعوة أَكْثَرُ من آيات  
الصوم والحج الَّذَيْنِ هُمَا ركنان من أركان الإسلام الخمسة .

والاجتماع المأمور به فِي قوله تَعَالَى " ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾

تهدمت مبانيه والإئتلاف والتعاون ذهب وذهبت معانيه .. فلا حول ولا قوة إِلَّا بِاللَّهِ .  
نرى الأَمْرَ بالمعروف والنهي عَنِ الْمُنْكَرِ الَّذِي هُوَ ركن من أركان الإسلام فِي قول طائفة من  
العُلَمَاءِ ضعف جانبه وكثر فِي النَّاسِ وتنوعت مقاصد الخلق وتباينت آرائهم .  
فَالْمُنْكَرُ لِلْمُنْكَرِ فِي هَذِهِ الأزمنة .. يَقُولُ النَّاسُ فِيهِ مَا أَكْثَرَ فَضُولَهُ وَمَا أَسْفَهُ

رأيه وَرَبِّمَا غَمَزُوهُ بِنَقْصِ فِي عَقْلِهِ .. وَمَنْ سَكَتَ وَأَخْلَدَ قَيْلٌ : مَا أَحْسَنَ عَقْلَهُ وَمَا أَقْوَى  
رَأْيَهُ فِي مَعَاشِرَتِهِ لِلنَّاسِ وَمَخَالَطَتِهِ لَهُمْ .

وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرْقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ .. فَأَخْصَ  
أَوْصَافَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُمَيَّزَةَ لَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ هُوَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَرَأْسَ الْأَمْرِ  
بِالْمَعْرُوفِ الدَّعْوَةُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَإِرْشَادُ النَّاسِ إِلَى مَا خُلِقُوا لَهُ وَتَبْصِيرُهُمْ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ كِتَابُ  
رَبِّهِمْ وَسُنَّةُ وَنَبِيِّهِمْ وَتَحْذِيرُهُمْ مِنْ مَخَالَفَةِ ذَلِكَ .

قَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ  
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ . وَصَفَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ  
عَنِ الْمُنْكَرِ وَالَّذِي هَجَرَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ خَارِجٌ عَنِ هَوْلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ..  
انتهى .

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْحَنَّا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ﴾ مَا يَدُلُّ عَلَى  
أَنِ النَّاجِي هُوَ الَّذِي يَنْهَى عَنِ السُّوءِ دُونَ الْوَاقِعِ فِيهِ وَالْمَدَاهِنِ عَلَيْهِ .

وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ هُوَ الْأَسَاسُ الْأَعْظَمُ لِلدِّينِ . وَالْمَهْمُ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ  
لِأَجْلِهِ النَّبِيِّينَ وَلَوْ أَهْمَلُوا لَاضْمَحَلَّتِ الدِّينَانَةُ وَفَشَتِ الضَّلَالَةُ وَعَمَّ الْفَسَادُ وَهَلَكَ الْعِبَادُ .

إِنَّ فِي النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ حِفَاظَ الدِّينِ وَسِيَاجَ الْأَدَابِ وَالْكَمَالَاتِ . فَإِذَا أَهْمَلُوا أَوْ تَسَوَّهَلُوا  
فِيهِ تَجَرَّأَ الْفَسَادُ عَلَى إِظْهَارِ الْفُسُوقِ وَالْفُجُورِ بِلا مَبَالَاةٍ وَلَا خَجَلٍ .. وَمَتَى صَارَ الْعَامَّةُ  
يُرُونَ الْمُنْكَرَاتِ بِأَعْيُنِهِمْ وَيَسْعَوْنَهَا بِأَذَانِهِمْ زَالَتْ وَحَشَّتْهَا وَقَبَحَتْهَا مِنْ نَفْسِهِمْ ثُمَّ يَتَجَرَّأُ  
الْكَثِيرُونَ أَوْ الْأَكْثَرُ عَلَى ارْتِكَابِهَا . وَلَكِنْ يَا لِلْأَسْفِ اسْتَوْلَتْ عَلَى الْقُلُوبِ مَدَاهِنَةُ الْخَلْقِ  
وَانْمَحَتْ عَنْهَا مُرَاقِبَةُ الْخَالِقِ حَيْثُ انْدَرَسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ عَمَلُهُ وَعِلْمُهُ وَانْمَحَى مَعْظَمُهُ  
وَرَسَمَهُ وَاسْتَرْسَلَ النَّاسَ فِي اتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ .

ولا شك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حفظ للشريعة وحماية لأحكامها تدل عليه بعد إجماع الأمة وإرشاد العقول السليمة إليه . الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مثل قوله تعالى : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ \* يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ فدللت الآية الكريمة على عدم صلاحهم بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حيث لم يشهد لهم بذلك إلا بعد أن أضاف إليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد ذم سبحانه وتعالى من لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ \* كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ وهذا غاية التشديد ونهاية التهديد . فبين سبحانه وتعالى أن السبب للعنهم هو ترك التناهي عن المنكر ، وبين أن ذلك بئس الفعل .

ولا شك أن من رأى أخاه على منكر ولم ينهه عنه فقد أعانه عليه بالتخلية بينه وبين ذلك المنكر وهو عدم الجد في إبعاد أخيه عن ارتكابه .

قال ابن عباس رضي الله عنه : لعنوا في كل لسان على عهد موسى في التوراة ولعنوا على عهد داود في الزبور . ولعنوا على عهد عيسى في الإنجيل . ولعنوا على عهد نبيكم محمد  $\rho$  في القرآن . ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَابُ عَنِ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ .

قال القرطبي : وبخ سبحانه وتعالى علماءهم في تركهم نهيهم فقال :

﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ كما وبخ من سارع في الإثم بقوله :

﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ قال : ودلت الآية على أن تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكر أو .. فإن الأمة في عهد استقامتها وتمسكها بالسنة لا تطيق أن ترى بين أظهرها

عاصياً ولا معصية فإِذَا رَأَتْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ثَارَتْ ثَوْرَةَ الْأَسَدِ وَلَمْ تَهْدَأْ إِلَّا إِذَا أَذَاقَتْ الْمَجْرِمَ مَا يَلِيقُ بِهِ وَمَا يَسْتَحِقُّ عَلَى قَدْرِ جَرِمَتِهِ تَفْعَلُ ذَلِكَ غَيْرَةً عَلَى دِينِهَا وَطَلَبًا لِمَرْضَاةِ رَبِّهَا . وَالْمَجْرِمُونَ إِذَا رَأَوْا ذَلِكَ كَفَوْا عَنْ إِجْرَامِهِمْ وَبَالِغُوا فِي التَّسْتَرِ إِذَا أَرَادُوا تَلْوِثَ أَنْفُسِهِمْ بِمَا يَرْتَكِبُونَ ، فَإِذَا لَمْ تَسْقَهُمُ الْأَنْمَةُ وَلَمْ تَرَاعِ سِنَّنَ دِينِهَا ضَعُفَتْ غَيْرَتُهَا أَوْ إِنْ عَدِمَتْ كَلِيًّا فِي نَفْسِهَا إِذْ لَوْ شَاهَدَتْ مَا شَاهَدَتْ مِنَ الْمَعَاصِي .. إِمَّا أَنْ يَتَحَرَّكَ بَعْضُ أَفْرَادِهَا حَرَكَةً ضَعِيفَةً لَا يَخَافُ مَعَهَا الْعَاصِي وَلَا يَنْزَجِرُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ . وَأَمَّا أَنْ يَتَفَقَّ الْجَمِيعُ عَلَى الْإِغْمَاضِ عَنْ ذَلِكَ الْعَاصِي فَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ بَدُونَ خَوْفٍ وَلَا خَجَلٍ إِذَا يَرْفَعُ ذُورًا لِلْإِجْرَامِ رُؤُوسَهُمْ غَيْرَ هَيَابِينَ وَلَا خَجَلِينَ مِنْ أَحَدٍ .

وَلَقَدْ وَصَلْنَا إِلَى حَدِّ مَاتَتْ فِيهِ الْغَيْرَةُ الدِّينِيَّةُ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ مِمَّنْ يَرْجَى وَيُظَنُّ أَنَّهُمْ حِمَاةُ الْإِسْلَامِ وَأَبْطَالُ الدِّينِ مِمَّا جَعَلَ الْعَصَاةَ يَمْرُحُونَ فِي مِيَادِينِ شَهْوَاتِهِمْ وَيَفْتَخِرُونَ بِعَصِيَانَتِهِمْ بَدُونَ حَسِيبٍ وَلَا رَقِيبٍ . وَلَوْ شِئْتُ لَقُلْتُ وَلَا أَحْشَى لَأَيَّمَا نَحْنُ فِي زَمَنِ عِلَا فِيهِ وَعَازَتْ أَرْبَابَ الرِّذَالِ . وَأَصْبَحَتْ الدُّوَلَةُ لَهُمْ . وَأَهْلُ الْفَضِيلَةِ الْمَتَمَسِّكُونَ بِأَهْدَابِ دِينِهِمْ عِنْدَ مَا يَنْكُرُونَ عَلَى الْمَجْرِمِينَ إِجْرَامَهُمْ يَكُونُونَ كَالْمُضْغَةِ فِي الْأَفْوَاهِ الْبَذِيئَةِ تَرْمِيهِمْ بِكُلِّ نَقِصَةٍ وَأَقْلٍ مَا يَقُولُونَ أَنَّهُمْ مَتَأَخِرُونَ جَامِدُونَ فِي بَقَايَا قُرُونِ الْهَمْجِيَّةِ يَبْتَسِمُونَ وَيَقَهْقَهُونَ وَيَغْمِزُونَ بِالْحَوَاجِبِ وَالْعَيُونَ وَيَخْرُجُونَ أَلْسِنَتَهُمْ سَخْرِيَّةً وَإِسْتِهْزَاءً بِهِمْ وَيُضْحِكُونَ مِنْ عَقُولِهِمْ . لَمَّا رَاجَتْ الرِّذِيلَةُ فِي هَذَا الْعَصْرِ هَذَا الرُّوَّاحِ .

وَمَا دَرَى هَؤُلَاءِ الْمُرْذُولُونَ أَنَّهُمْ فِي غَايَةِ مِنَ السَّقُوطِ وَالْهَمْجِيَّةِ الَّتِي لَيْسَتْ دُونَهَا هَمْجِيَّةٌ لِفَسَادِ عَقُولِهِمْ وَبَعْدِهِمْ عَنْ مَعْرِفَةِ أَوْامِرِ دِينِهِمْ .

وَنَاهِيكَ لَوْ قَامَ كُلُّ مَنْ بِنَا عَلَيَّهِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ وَإِرْشَادِ النَّاسِ وَعِظَتِهِمْ وَتَذَكِيرِهِمْ بِمَا فِيهِ صِلَاحُهُمْ وَاسْتِقَامَتُهُمْ

لاستقر الحَيْرَ والمعروف فينا وامتنع فشو السَّرَّ والمُنْكَرَ بيننا : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ .

وقَدْ صرح العُلَمَاءُ رحمة الله عَلَيْهِمُ بأنه يجب على الإمام أن يولي هَذَا المنصب الجليل والأمر الهام الَّذِي هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مقام الرسل . محتسبًا يأمر بالمعروف وينهى عَنِ الْمُنْكَرِ .. وَيَكُونُ ذَا رَأْيٍ وصرامة ، وقوة فِي الدين ، وعلم بالمنكرات الظاهرة . كما قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

فدلت الآيَةُ الْكَرِيمَةُ على أَنَّهُ يجب على الْمُسْلِمِينَ أن تَقُومَ مِنْهُمْ طائفة بوظيفة الدعوة إلى الْخَيْرِ وتوجيه النَّاسِ وعظمتهم وتذكيرهم إلى مَا فِيهِ صلاحهم واستقامة دينهم وأن يكونوا على المنهج القويم . والصرط المستقيم . والمخاطب بِهَذَا كافة الْمُسْلِمِينَ فهم المكلفون لا سيما الإمام الأعظم وأن يختاروا طائفة مِنْهُمْ تَقُومُ بِهَذِهِ الفريضة الهامة التي هِيَ أحد أركان الإسلام فِي قول طائفة من الْعُلَمَاءِ .

قِفَا نَبْكَ عَلَى رسوم علوم الدين والإسلام الَّذِي بدأ يرتحل من بلاده . ولكن يَا للأسف على منام الْقُلُوبِ وقيام الألسنة بالتقول والتأويل على الإسلام بما لا حَقِيقَةَ لَهُ . لَقَدْ انطمس المعنى وذهب اللب وَمَا بَقِيَ إِلَّا قشور ورسوم واكتفى الكثيرون من الإسلام بمجرد الانتساب إليه بدون أن يعملوا به ويقوموا بالدعوة إليه تحذيرًا وإنذارًا وأمرًا ونهيًا وتبصيرًا للناس بدينهم بذكر فضله وعظمته وإيضاح أسراره وحكمه وغرس العقيدة الحقة فِي قُلُوبِهِمْ . فَهَذَا واجب الْمُسْلِمِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ كُلٌّ عَلَى قَدْرِ استطاعته ومقدرته . هَذَا وأسأل الله أن يوفق الْمُسْلِمِينَ وولاية أمورهم لما فِيهِ صلاحهم وصلاح

دينهم وأن يجمع كلمتهم على الحق أنه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل .  
وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا إلى يوم الدين .

### " فَصْلٌ "

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلمه وذلك أضعف الإيمان " رواه مسلم .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل . « . رواه مسلم .

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » . رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن .

وروى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام فادخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال : « ما هذا يا صاحب الطعام ؟ » فقال : أصابته السماء يا رسول الله . قال : « أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا » .  
فهذا نهي منه ﷺ عن منكر ، هو غش الناس في طعامهم وأجمعت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وأخرج الإمام أحمد في المسند أن الوليد بن عقبة أخرج الصلاة مرة فقام

عبد الله بن مسعود فتوب بالصلاة فصلى بالناس فأرسل إليه الوليد : ما حملك على ما صنعت أجهلك من أمير المؤمنين أمر فيما فعلت أم ابتدعت ؟ قال : لم يأتي أمر من أمير المؤمنين ولم ابتدع ولكن أبي الله ورسوله عَلَيْنَا أَنْ ننتظرك بصلاتنا وَأَنْتَ فِي حاجتك .

قال شيخ الإسلام رحمة الله : لا بد من العلم بالمعروف والمُنكر والتمييز بينهما . الثاني أَنَّهُ لا بد من العلم بحال المأمور والنهي ، ومن الصلاح أن يأتي بالأمر والنهي بالصرط المستقيم وَهُوَ أَقرب الطرق إلى حصول المقصود ولا بد من الرفق ولا بد أن يكون حليماً صبوراً على الأذى فإنه لا بد أن يحصل له أذى فَإِنَّ لم يحلم ويصبر كَانَ ما يفسد أَكْثَرُ مما يصلح فَلَا بُدَّ مِنْ العلم والرفق والصبر ، والعلم قبل الأمر والنهي ، والرفق معه والصبر بعده .

وقال سفيان : لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا من كَانَ فيه حِصَالُ ثلاث: رفيق بما يأمر ، رفيق بما ينهى ، عدل بما يأمر عدل ، عدل بما ينهى ، عالم بما يأمر ، عالم بما ينهى .

وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه : يَا أَبَتِ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَمْضِي لما تريد من العدل فوالله ما كنت أبالي لو غلت بي وبك القدور في ذلك ؟ قال : يَا بَنِي إِنَّمَا أروض الناس رياضة الصعب إني أريد أن أجيء الأمر من العدل فأؤخر ذلك حَتَّى أُخْرِجَ معه طمعاً من طمع الدنيا فينفروا من هَذَا ويسكنوا لهذه .

ويُشْتَرَطُ فِي وُجُوبِ الْإِنْكَارِ أَنْ يَأْمَنَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، فَإِنَّ خَافَ السَّبَّ أَوْ سَمَاعَ الْكَلَامِ السَّيِّئِ لم يسقط عَنْهُ والحزم أن لا يبالي لما ورد : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » . وقوله : « لا يمنع أحدكم هيبه الناس أن يقول بحق إذا علمه » .



وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنْكَارُ الْمُنْكَرِ لَهُ أَرْبَعُ دَرَجَاتٍ :  
( الأولى ) : أَنْ يَزُولَ وَيُخْلَفَهُ ضِدَّهُ .

( الثانية ) : أَنْ يَقِلَّ وَإِنْ لَمْ يَزَلْ مِنْ جَمَلَتِهِ .

( الثالثة ) : أَنْ يَخْلَفَهُ مَا هُوَ مِثْلُهُ .

( الرابعة ) : أَنْ يَخْلَفَهُ مَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ .

فَالدَّرَجَتَانِ الْأُولَيَانِ مَشْتَرُوعَتَانِ ، وَالثَّلَاثَةُ مَوْضِعُ اجْتِهَادِ وَالرَّابِعَةُ مُحَرَّمَةٌ ، وَيُحْزَرُ الْأَمْرُ  
وَالنَّاهِي مِنْ أَنْ يَخَالَفَ قَوْلَهُ أَوْ يَأْمُرَ بِمَا لَا يَأْتُرُ بِهِ .

شِعْرًا : رَأَيْتَاكَ تَنْهَى وَلَا تَنْتَهِي      وَتُسْمِعُ وَعَظًّا وَلَا تَسْمَعُ  
فِيَا حَجَرَ الشَّخْذِ حَتَّى مَتَى      تَسْنُ الْحَدِيدَ وَلَا تَقْطَعُ

فَقَدْ وَرَدَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَتَقَرَّرْتُ بِشَفَاهِمِهِمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ : قَالَ : قُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا مَنْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ » . وَحَتَّى لَا يَتَعَرَّضَ لِسُخْرِيَةِ النَّاسِ بِهِ وَاسْتَهْزَائِهِمْ بِهِ وَحَتَّى تُكُونَ دَعْوَتُهُ مَقْبُولَةً .

شِعْرًا : يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَعْلَمُ غَيْرُهُ      هَلَا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ  
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ مِنَ الضَّنَى      كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ  
أَبْدًا بِنَفْسِكَ فَإِنَّهَا عَنْ غِيَّهَا      فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ  
فَهُنَاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيُقْتَدَى      بِالرَّأْيِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمِ  
آخِرُ : فَرَاكَ مِنَ الْأَيَّامِ نَابٌ وَمِخْلَبٌ      وَخَانَكَ لَوْنُ الرَّأْسِ وَالرَّأْسُ أَشْيَبُ  
فَحَتَّامٌ لَا تَنْفَكُ جَامِحَ هِمَّةٍ      بَعِيدَ مَرَامِي النَّفْسِ وَالْمَوْتُ أَقْرَبُ  
تُسَرُّ بِعَيْشٍ أَنْتَ فِيهِ مُنْغَصٌّ      وَتَسْتَعْذِبُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُعَذَّبٌ  
تُعْذِّبُكَ وَالْأَوْقَاتُ جِسْمَكَ تَعْتَذِي      وَتَسْقِيكَ وَالسَّاعَاتُ رُوحَكَ تَشْرَبُ  
وَتَعْجَبُ مِنْ آفَاتِهَا مُتَلَفِّتًا      إِلَيْهَا لَعْمَرُ اللَّهِ فَعَلَّكَ أَعْجَبُ

وَتَحْسِبُهَا بِالْبِشْرِ تُبْطِنُ خُلَّةً      فَيَظْهَرُ مِنْهَا غَيْرُ مَا تَتَحَسَّبُ  
 إِذَا رَضِيتَ أَعْمَتِكَ عَنْ طُرُقِ الْهُدَى      فَمَا ظَنَّ ذِي لُبٍّ بِهَا حِينَ تَغْضَبُ  
 وَفِي سَلْبِهَا ثَوْبَ الشَّبَابِ دَلَالَةٌ      عَلَى أَنَّهَا تُعْطِي خِدَاعًا وَتَسْلِبُ  
 أَتْرَضِي بِأَنْ يَنْهَاكَ شَيْبِكَ وَالْحِجَابِ      وَأَنْتَ مَعَ الْأَيَّامِ تَلْهُو وَتَلْعَبُ

والله أعلم . وصلى الله على مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم .

### " فَضْلٌ "

قَالَ شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ : من لم يكن في قلبه بغض ما يبغضه الله ورسوله من المُنْكَرِ الَّذِي حَرَمَهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ ، لم يكن في قلبه الإيمان الَّذِي أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَإِنَّ لم يكن مبغضًا لشيءٍ من المحرمات أصلاً لم يكن معه إيمان أصلاً .

والحاصل أن الإنسان يأتي من ذَلِكَ بما يستطيع ولا يقصر في نصرته دين الله ولا يعتذر في إسقاط ذَلِكَ بالأعذار التي لا تصح ولا يسقط بها ما أوجب الله عَلَيْهِ من أمر الله ، وَعَلَيْهِ بالأخذ بالرفق واللطف وإظهار الشفقة والرحمة فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ مدار كبير عِنْدَ الأَمْرِ بالمعروف والنهي عَنِ المُنْكَرِ .

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِثُهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ومن الحكم أن يدعو كُلَّ أحد على حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده . وَمِنَ الْحِكْمَةِ الدَّعْوَةُ بِالْعِلْمِ وَالبِدَاءُ بِالأَمْرِ ، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم وبما يكون قبوله أتم ، والرفق واللين فَإِنَّ انقَادَ بالحكمة وإلا فينتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة ، وَهُوَ الأَمْرُ والنهي المقرون بالترغيب والترهيب .

وليحذر من المداهنة في الدين ، ومعناه أن يسكت الإنسان عَنِ الأَمْرِ

بالمعروف والنهي عن المنكر وعن قول الحق وَكَلِمَةَ الْعَدْلِ : طَمَعًا فِي النَّاسِ وَتَوَقُّعًا لِمَا يَحْضُلُ مِنْهُمْ مِنْ جَاهٍ أَوْ مَالٍ أَوْ حُظُوظٍ الدُّنْيَا .

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لِعُمَرَ بْنِ صَالِحٍ : يَا أَبَا حَفْصٍ يَا تِي عَلَى النَّاسِ زَمَانَ يَكُونُ الْمُؤْمِنُ فِيهِ بَيْنَهُمْ مَثَلُ الْجِيْفَةِ وَيَكُونُ الْمُتَنَافِقُ يُشَارُ إِلَى اللَّهِ بِالْأَصَابِعِ . فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَكَيْفَ يُشَارُ إِلَى الْمُتَنَافِقِ بِالْأَصَابِعِ . فَقَالَ : يَا أَبَا حَفْصٍ صَبِرُوا أَمْرَ اللَّهِ فَضُولًا .

وَقَالَ الْمُؤْمِنُ : إِذَا رَأَى أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ أَوْ نَهْيًا عَنِ الْمُنْكَرِ لَمْ يَصْبِرْ حَتَّى يَأْمُرَ وَيَنْهَى . قَالُوا : يَعْنِي هَذَا فَضُولٌ . قَالَ : وَالْمُتَنَافِقُ كُلُّ شَيْءٍ يَرَاهُ قَالَ بِيَدِهِ عَلَى فَمِهِ : « أَي صَمِتَ فَلَمْ يَنْهَ وَلَمْ يَأْمُرْ . فَقَالُوا : ( نَعَمْ الرَّجُلُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفَضُولِ عَمَلٌ ) .

وَقَدْ رَوَى أَنَّ الْجَارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَعَلَّقُ بِجَارِهِ وَيَقُولُ : ظَلَمَنِي . فَيُرَدُّ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ مَا ظَلَمَهُ وَلَا خَانَهُ فِي أَهْلِ وَلَا مَالٍ فَيَقُولُ الْجَارُ : صَدَقَ إِنَّهُ لَمْ يَخْنِي فِي أَهْلٍ وَلَا مَالٍ وَلَكِنَّهُ وَجَدَنِي أَعْصَى اللَّهَ فَلَمْ يَنْهَى . هَذَا الْأَثَرُ بِالْمَعْنَى . وَرُوِيَ حَدِيثٌ آخَرَ : وَيَلُ لِّلْعَالِمِ مِنَ الْجَاهِلِ حَيْثُ لَا يَعْلَمُهُ .

شِعْرًا : وَقَعْنَا فِي الْخَطَايَا وَالْبَلَايَا  
تَفَانِي الْخَيْرِ وَالصُّلْحَاءِ ذُلُّوَا  
وَبَاءَ الْأَمْرُونَ بِكُلِّ عُرْفٍ  
فَصَارَ الْحُرُّ لِلْمَمْلُوكِ عَبْدًا  
فَهَذَا شَغْلُهُ طَمَعٌ وَجَمْعٌ  
وَفِي زَمَنِ انْتِقَاصِ وَأَشْتِبَاهِ  
وَعَزَّ بِذُلِّهِمْ أَهْلُ السَّفَاهِ  
فَمَا عَنِ مُنْكَرٍ فِي النَّاسِ نَاهِ  
فَمَا لِلْحُرِّ مِنْ قَدْرِ وَجَاهِ  
وَهَذَا غَافِلٌ سَكْرَانٌ لَاهِ

آخِرُ : إِذَا بِالْمَعْرُوفِ لَمْ أَتُنْ صَادِقًا  
فَقِيمِ عَرَفْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِاسْمِهِ  
وَلَمْ أَذْمِ الْجُبْنَ اللَّئِيمَ الْمَذْمَمَا  
وَشَقَّ لِي اللَّهُ الْمَسَامِعَ وَالْقَمَمَا

آخر : أَرَى الْإِحْسَانَ عِنْدَ الْحُرِّ حَمْدًا      وَعِنْدَ النَّذْلِ مَنَقَصَةً وَذَمًّا  
كَفَطْرِ صَارَ فِي الْأَصْدَافِ دُرًّا      وَفِي نَابِ الْأَفَاعِي سُمًّا  
آخر : إِذَا سَبَّيْ نَذْلٌ تَزَايَدَتْ رِفْعَةً      وَمَا الْعَيْبُ إِلَّا أَنْ أَكُونَ مُسَابِهُ  
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ نَفْسِي عَلَيَّ عَزِيزَةً      لَمَكَّنْتَهَا مِنْ كُلِّ نَذْلٍ تُجَاوِبُهُ  
آخر : مَتَى تَضَعُ الْكِرَامَةَ فِي لَيْمٍ      فَإِنَّكَ قَدْ أَسَأْتَ إِلَى الْكِرَامَةِ  
آخر : لَا تَلْطَفَنَّ بِي لِوَمٍ فَتُطْعِمَهُ      أَغْلَظُهُ يَأْتِيكَ مَطْوَعًا وَمِذْعَانًا  
إِنَّ الْحَدِيدَ تَلِينُ النَّارِ قَسْوَتُهُ      وَلَوْ صَبَّتَ عَلَيْهِ الْبَحْرَ مَا لَانَا

والله أعلم . وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

### " فَضْلٌ "

عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعَسْرِ وَالْيَسْرِ وَالْمُنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَعَلَى أَثَرِهِ عَلَيْنَا وَعَلَى أَنْ لَا نَنْزِعَ الْأَمْرَ مِنْ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كَفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ تَعَالَى فِيهِ بَرَهَانٌ وَعَلَى أَنْ تَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ .

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ : إِذَا رَأَيْتَ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ لَهُ : إِنَّكَ ظَالِمٌ فَقَدْ تَوَدَّعَ مِنْهُمْ . وَلَقَدْ كَانَ سَلْفُنَا الصَّالِحُ الْكَرَامُ لَهُمْ مَوَاقِفٌ عَظِيمَةٌ شَرِيفَةٌ وَنَوَادِرٌ طَرِيفَةٌ وَقِصَصٌ غَرِيبَةٌ وَحِكَايَاتٌ عَجِيبَةٌ دَالَّةٌ عَلَى صِدْقِ إِيمَانِهِمْ وَقُوَّةِ يَقِينِهِمْ وَشِدَّةِ وَرَعِهِمْ فَكَانُوا لَا يَخْشَوْنَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ أَوْ كَلِمَةَ مِدَاهِنٍ أَوْ فَرِيَةَ مَفْتَرٍ أَوْ قُوَّةَ ظَالِمٍ بَلْ يَجَاهِرُونَ بِالْحَقِّ بِكُلِّ صِرَاحَةٍ وَيَنْطَلِقُوا بِالصِّدْقِ وَإِنْ غَضِبَ الْخَلْقُ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ فِي أَشَدِّ الْمَوَاقِفِ وَأَحْرَجَهَا .

وَإِلَيْكَ مَا كَانَ مِنْ مَوْقِفِ الصَّحَابِيِّ الْجَرِيِّءِ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَعَ مِرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ أَمِيرٍ مِنْ قَبْلِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ فَمِنْ السَّنَةِ

المأثورة والطريقة المعروفة من فعله ρ إِذَا خَرَجَ يَوْمَ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى إِلَى الْمِصْلَى فَأُولَ شَيْءٍ  
يَبْدَأُ بِهِ الصَّلَاةَ . ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَيَقُومُ مُقَابِلَ النَّاسِ وَالنَّاسُ جُلُوسٌ عَلَى صُفُوفِهِمْ فَيَعْظُمُهُمْ  
وَيُوصِيهِمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَيَأْمُرُهُمْ بِحِلَالِ اللَّهِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ حِرَامِهِ ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ  
: فَلَمَّ يَزِلُ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى خَرَجْتُ مَعَ مِرْوَانَ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ فِي عِيدِ الْأَضْحَى أَوْ  
الْفِطْرِ فَلَمَّا أَتَيْنَا الْمِصْلَى إِذَا مِنْبَرٌ بِنَاهُ كَثِيرٌ بَنَى الصَّلْتَ التَّابِعِي الْكَبِيرَ وَالْمَوْلُودَ فِي الزَّمَنِ  
النَّبَوِيِّ .

فَإِذَا مِرْوَانٌ يَرِيدُ أَنْ يَرْتَقِيهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلِي وَفِيهِ مَخَالَفَةٌ لِلسَّنَةِ الصَّحِيحَةِ وَالْعَمَلِ الْمَأْثُورِ عَنْ  
النَّبِيِّ ρ فَجَذِبَتْ بِثُوبِهِ لِيَبْدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ فَجَذَبَنِي فارتفع على المنبر فخطب قبل  
الصَّلَاةَ . فَقُلْتُ لَهُ وَأَصْحَابُهُ : غَيْرْتُمْ وَاللَّهِ سَنَةَ رَسُولِ اللَّهِ ρ وَخُلَفَائِهِ مِنْ بَعْدِهِ فَأَنْهَمُ كَانُوا  
يَقْدُمُونَ الصَّلَاةَ عَلَى الْخُطْبَةِ فِي الْعِيدِينَ . فَقَالَ مِرْوَانٌ : يَا أَبَا سَعِيدٍ قَدْ ذَهَبَ مَا تَعْلَمُ  
مِنْ تَقْدِيمِ الصَّلَاةِ عَلَى الْخُطْبَةِ فِي الْعِيدِينَ . فَقُلْتُ : مَا أَعْلَمُ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا لَا أَعْلَمُ .  
لَأَنَّ الَّذِي أَعْلَمُ طَرِيقَ رَسُولِ اللَّهِ ρ الَّذِي أَمَرْنَا بِاتِّبَاعِهِ وَالتَّأْسِي بِهِ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي  
رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ فَقَالَ مِرْوَانٌ مُعْتَذِرًا عَنْ تَرْكِ السَّنَةِ : إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا  
يَجْلِسُونَ لَنَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَجَعَلْتُهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ .

فَتَأَمَّلْ هَذَا الْمَوْقِفَ الْمَشْرُوفَ الَّذِي وَقَفَهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَيْفَ جَذَبَ  
مِرْوَانٌ بِثُوبِهِ وَقَالَ لَهُ غَيْرْتُمْ : وَاللَّهِ وَلَمْ يَخْفِ صَوْلَةُ الْإِمَارَةِ وَجَاهُ الْحُكْمِ وَجَاهِرُ بِالْحَقِّ وَأَنْكَرُ  
الْبِدْعَةِ وَأَمْرٌ بِالسَّنَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ مِنَ النَّاسِ فَحَفِظَهُ اللَّهُ وَنَصَرَهُ وَأَيْدَهُ وَأَعَزَّهُ وَصَدَّقَ  
اللَّهُ حَيْثُ قَالَ : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ ، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ  
يَنْصُرْكُمْ ﴾ .

وروي أن ضبة بن محسن العنزي قَالَ : كَانَ عَلَيْنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ أَمِيرًا بِالْبَصْرَةِ فَكَانَ إِذَا خَطَبَنَا حَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنٌ عَلَيْهِ وَصَلَى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَنْشَأَ يَدْعُو لِعَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : فغَاضِنِي ذَلِكَ فَقَمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : أَيْنَ أَنْتَ مِنْ صَاحِبِهِ تَفَضَّلَهُ عَلَيْهِ فَصَنَعَ ذَلِكَ جُمُعًا .

ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ يَشْكُونِي يَقُولُ : إِنْ ضَبَّةُ بْنُ مَحْسَنِ الْعَنْزِيِّ يَتَعَرَّضُ فِي خَطْبَتِي فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : أَنْ أَشْخَصَهُ إِلَيَّ فَأَشْخَصَنِي إِلَيْهِ فَقَدِمْتَ فَضَرَبْتَ عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَقَالَ : مِنْ أَنْتَ فَقُلْتُ : أَنَا ضَبَّةُ . فَقَالَ : لَا مَرَحَبًا وَلَا أَهْلًا . قُلْتُ : أَمَا الْمَرْحَبُ فَمَنْ اللَّهُ ، وَأَمَا الْأَهْلُ فَلَا أَهْلَ لِي ، وَلَا مَالٍ فَمَا اسْتَحَلَلْتَ يَا عُمَرَ إِشْخَاصِي مِنْ مِصْرِي بِلَا ذَنْبٍ أَذْنَبْتَهُ ، وَلَا شَيْءٍ آتَيْتَهُ ، فَقَالَ : مَا الَّذِي شَجَرَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَامِلِي ، قَالَ : قُلْتُ : الْآنَ أَخْبِرْكَ بِهِ ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَطَبَنَا حَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنٌ عَلَيْهِ وَصَلَى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَدْعُو لَكَ فَغَاضِنِي ذَلِكَ مِنْهُ ، فَقَمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ : أَيْنَ أَنْتَ مِنْ صَاحِبِهِ ، تَفَضَّلَهُ عَلَيْهِ ، فَصَنَعَ ذَلِكَ جُمُعًا .

ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْكَ يَشْكُونِي ، قَالَ : فَاذْفَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَاكِيًا ، وَهُوَ يَقُولُ : أَنْتَ وَاللَّهِ أَوْفَقُ مِنْهُ وَأَرشُدُ فَهَلْ أَنْتَ غَافِرٌ لِي ذَنْبِي يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ .

قَالَ : فَقُلْتُ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ . قَالَ : ثُمَّ اذْفَعِ بَاكِيًا ، وَهُوَ يَقُولُ : وَاللَّهِ لِلَّيْلَةِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَيَوْمٍ ، خَيْرٌ مِنْ عُمَرَ وَآلِ عُمَرَ .

وَبَعَثَ الْحِجَاجُ الظَّالِمَ المشهور إلى الحسن فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ : قَاتَلَهُمُ اللَّهُ قَتَلُوا عِبَادَ اللَّهِ عَلَى الدَّرْهِمِ وَالدينار . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ : مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ مِنَ الْمَوَاطِيقِ ﴿ لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ قَالَ : يَا حَسَنُ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَإِيَّاكَ أَنْ يَبْلُغَنِي عَنْكَ مَا أَكْرَهُ فَافْرُقْ بَيْنَ رَأْسِيكَ وَجِسَدِكَ . نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الظُّلْمَةِ وَأَعْوَانِ الظُّلْمَةِ مِنْ أَمْثَالِ الْحِجَاجِ .

شِعْرًا : الظُّلْمُ نَارٌ فَلَا تَحْقِرْ صَغِيرَتَهُ لَعَلَّ جَذْوَةَ نَارٍ أَحْرَقَتْ بَلَدًا

ثُمَّ تَطَاوَلَ الزَّمَنُ وَمَضَتْ فِتْرَةٌ مِنْهُ فَاذْفَعِ هَذَا الْوَاجِبَ وَعَفْتَ أَثَارَهُ

وامحت معلمه وانطوت أخباره وداهن النَّاسَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وجبن النَّاسَ عَنِ المِصْرَاحَةِ  
لِللُّوَلَاتِ فِي المِخَالِفَاتِ إِلَّا نَوَادِرَ مَرَّوًا خِلَالَ القُرُونِ الأُولَى أَمَا نَحْنُ فَصَارَتْ شِجَاعَتُنَا  
وَصَلَابَتُنَا وَإِنكَارَاتُنَا حَوْلَ مَا يَتَعَلَقُ بِالدُّنْيَا ، أَمَا مَا يَتَعَلَقُ بِالدِّينِ فَلَيْسَ عِنْدَنَا مِنَ الإِنكَارِ  
إِلَّا التَّلَاوُمُ فِيمَا بَيْنَنَا إِذَا أَمِنَ بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ .  
قَالَ ابن القِيمِ رَحِمَهُ اللهُ :

قُلْ لِي مَتَى سَلِمَ الرَّسُولُ وَصَحْبُهُ	وَالْتَّابِعُونَ لَهُمْ عَلَى الإِحْسَانِ
مِنْ جَاهِلٍ وَمُعَانِدٍ وَمُنَافِقٍ	وَمُحَارِبٍ بِالبُغْيِ وَالطُّغْيَانِ
وَتَظُنُّ أَنَّكَ وَارِثًا لَهُمْ وَمَا	نَلْتِ الأَذَى فِي نُصْرَةِ الرَّحْمَنِ
كَلا وَلَا جَاهَدْتَ حَقَّ جِهَادِهِ	فِي اللهِ لَا يَبِيدُ وَلَا يَلْسَانِ
مَتَّكَ وَاللهِ المَحَالِ النَّفْسُ فَاسِدٌ	تَتَحَدَّثُ سِوَى ذَا الرَّأْيِ وَالْحُسْبَانِ
لَوْ كُنْتَ وَارِثَهُ لِأَذَاكَ الأَوْلَى	وَرُثُوا عِدَاهُ بِسَائِرِ الأَلْوَانِ

وَقَدْ قِيلَ : إِنْ المُنكَرَاتِ أَشْبَهَ بِجَرَائِمِ الأَمْرَاضِ فِي تَنَقُّلِهَا وَانْتِشَارِهَا ، وَالتَّأَثُّرِ بِهَا بِإِذْنِ اللهِ  
فَإِنَّ وَجِدْتَ كِفَاحًا يَجْرُ عَليْهَا فِي مَكَانِهَا حَتَّى يَمُوتَ وَيَبِيدَ سَلْمٌ مَنَهَا مَوْضِعُهَا ،  
وَسَلْمٌ مَنَهَا مَا وَرَاءَهُ ، وَإِذَا لَمْ تَجِدْ كِفَاحًا وَتَرَكْتَ وَشَأْنُهَا اتَّسَعَتْ دَائِرَتُهَا ، وَتَفَشَّتْ فِي  
جَمِيعِ الأَرْجَاءِ وَقَضَتْ عَلَى عُنَاصِرِ الحَيَاةِ وَعَرَضَهَا لِلْفَنَاءِ وَالدَّمَارِ .

وَمِنْ هُنَا كَانَتْ أَثَرُ المُنكَرَاتِ غَيْرِ خَاصٍ بِمَرْتَكِبِهَا ، وَكَانَ السَّاكِنُونَ عَليْهَا عَامِلِينَ عَلَى  
نَشْرِهَا وَإِذْعَانِهَا ، وَبِهَذَا المَوْقِفِ السَّلْبِيِّ يَكُونُونَ أَهْلًا لِحُلُولِ العِقَابِ بِهِمْ وَإِصَابَتِهِمْ بِمَا  
يَصَابُ بِهِ المَبَاشِرُونَ لَهَا .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾  
وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ حَمِيدٍ فِي آخِرِ رِسَالَةِ لَهُ

تتضمن الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : قفا نبيك على رسوم علوم الدين والإسلام الذي بدأ يرتحل من بلاده ، ولكن يا للأسف على منام القلوب وقيام الألسنة بالتقول والتأويل على للإسلام بما لا حقيقة له .

لقد انطمس المعنى وذهب اللب وما بقي إلا قشور ورسوم اكتفى كثيرون من الإسلام بمجرد الانتساب إليه بدون أن يعلموا به ويقوموا بالدعوة إليه تحذيراً وإنذاراً وأمرًا ونهيًا وتبصيرًا للناس بدينهم بذكر فضله وعظمته وإيضاح أسرارته وحكمه وغرس العقيدة الحقة في قلوبهم فهذا واجب المسلمين بعضهم لبعض كل على قدر استطاعته ومقدرته . أ. ه .

وقوله ρ في حديث جابر : « أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى جبريل عليه السلام أن أقلب مدينة كذا وكذا بأهلها ، قال : يا رب إن فيهم فلانًا لم يعصك طرفة عين . قال : فقال : أقلبها عليه وعليهم ، فإنَّ وجهه لم يتمعر في ساعة قط » .

وذكر الإمام أحمد عن مالك بن دينار قال : كان حبر من أحبار بني إسرائيل يغشى منزله الرجال والنساء فيعظهم ويذكرهم بأيام الله فرأى بعض بنيه يغمز النساء في يوم فقال : مهلا يا بني فسقط من سريره فانقطع نخاعه وأسقطت امرأته وقتل بنوه . فأوحى الله إلى نبيهم أن أخبر فلانًا الحبر : أني لا أخرج من صلبك صديقًا أبدًا ما كان غضبك إلا أن قلت : مهلا يا بني .

إذا فهمت ذلك فاعلم أن الانتقام إذا وقع ليس هو أخذًا للبرئ بجريمة المذنب كما يظن البعض ، وإنما هو أخذًا للمذنب بجريمة ذنبه ، فالذنب ذنبان : ذنب يصدر عن شخص ، وهو الفعل نفسه ، وذنب يصدر عن من يعلم هذا الذنب ، وهو يقدر على مكافحته . ثم هو يبعد نفسه عن مكافحة هذا الذنب طمعًا في مال أو مكانة وبذلك يكون شريكًا في العمل على نشره ..أ.ه .



وفي السُّنَن أن عَبْدَ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَكَمَ بِكُفْرِ أَهْلِ مَسْجِدِ الْكُوفَةِ قَالَ :  
وَاحِدٌ إِنَّمَا مَسِيلِمَةٌ عَلَى حَقِّ فِيمَا قَالَ : وَسَكَتَ الْبَاقُونَ فَأَفْتَى بِكُفْرِهِمْ جَمِيعًا . أ. هـ من  
الدرر السنية .

قُلْتُ : لِأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكْذِبُوهُ وَيَقُولُوا لَهُ : كَذَبْتَ بَلْ هُوَ عَلَى بَاطِلٍ فَالَسَاكُ  
شَرِيكَ الْفَاعِلِ لِقُدْرَتِهِ عَلَى الْإِنْكَارِ بِاللِّسَانِ .

وَقَالَ سَفِيَانُ : إِذَا أَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَدْتَ ظَهَرَ الْمُؤْمِنِ وَإِذَا نَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمْتَ  
أَنْفَ الْمُنَافِقِ .

شِعْرًا : لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا مُخْلِصٌ وَرِعٌ يُرَاقِبُ اللَّهَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانٍ  
وَلَيْسَ تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَائِمَةٌ إِذَا رَأَى مُنْكَرًا فِي بَيْتِ إِنْسَانٍ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ حَزْبِكَ الْمَفْلُحِينَ ، وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَهْلَتَهُمْ لخدمتك وجعلتهم  
آمرين بالمعروف فاعلين له ، وناهين عن المنكر ، ومجتنبين له ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ  
مَرْضَى الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " فَصْلٌ "

وكتب عُمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله ، أما بعد فإنه لم يظهر المنكر في قوم قط ثم  
لم ينههم أهل الصلاح منهم إلا أصابهم الله بعذاب من عنده أو بأيدي من يشاء من  
عباده ، ولا يزال الناس معصومين من العقوبات والنقمة ما فُمع أهل الباطل واستخفى  
فيهم بالمحارم .

فلا يظهر من أحد محرم إلا انتقموا ممن فعله فإذا ظهرت فيهم المحارم فلم ينههم أهل  
الصلاح أنزلت العقوبات من السماء إلى الأرض ولعل أهل

الإدهان أن يهلكوا ومعهم وإن كانوا مخالفين لهم ، فإني لم أسمع الله تبارك وتعالى فيما نزل من كتابه عند مثلة أهلك بما أحداً نجى أحداً من أولئك أن يكون الناهين عن المنكر

ويسلط الله على أهل تلك المحارم إن هو لم يصبهم بعذاب من عنده أو بأيدي من يشاء من عباده من الخوف والذل والنقم فإنه ربما انتقم بالفاجر من الفاجر وبالظالم من الظالم ثم صار كلا الفريقين بأعمالهما إلى النار ، فنعوذ بالله أن يجعلنا ظالمين ، أو يجعلنا مدهنين للظالمين .

وأنه قد بلغني أنه قد كثر الفجور فيكم وأمن الفساق في مدائنكم وجاهروا بالمحارم بأمر لا يحب الله من فعله ولا يرضى المداينة عليه ، كأن لا يظهر مثله في علانية قوم يرجون الله وقاراً ويخافون منه غيراً وهم الأعزون الأكثرون من أهل الفجور، أي أكثر من أهل الفجور وأعز منهم .

وليس بذلك مضى أمر سلفكم ولا بذلك تمت نعمة الله عليهم بل كانوا ﴿ أشداء على الكفار رَحْمَاء ﴾ ، ﴿ أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ .

ولعمري إن من الجهاد الغلظة على محارم الله بالأيدي والألسن والمجاهدة لهم فيه .

وإن كانوا الآباء والأبناء والعشائر ، وإنما سبيل الله طاعته .

وقد بلغني أنه بطأ بكثير من الناس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إتقاء التلاوم أن يقال فلان حسن الخلق ، قليل التكلف ، مقبل على نفسه ، وما جعل الله أولئك أحاسنكم أخلاقاً بل أولئك أسوكم أخلاقاً .

وما أقبل على نفسه من كان كذلك ، بل أذبر عنها ، ولسلم من الكلفة

لها بل وقع فيها ، وإذ رضي لنفسه من الحال غير ما أمره الله به أن يكون عَلَيْهِ من الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

وقد دلت السنة كثير من الناس بآية وضعوها غير موضعها ، وتأولوا فيها قول الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ وصدق الله تبارك وتعالى ، ولا يضرنا ضلالة من ضل إِذَا اهْتَدَيْنَا ، ولا ينفعنا هدي من اهتدى إِذَا ضَلَلْنَا ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ وَإِنَّمَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَأَنْفُسِ أَوْلِيَائِكَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَلَا يَظْهَرُ لِلَّهِ مُحَرَّمًا إِلَّا أَنْتَقِمُوا مِمَّنْ فَعَلَهُ مِنْهُمْ ، من كنتم ، ومن كَانُوا ، وقول من قَالَ إِن لَنَا فِي أَنْفُسِنَا شَغْلًا ، ولسنا من النَّاسِ فِي شَيْءٍ .

ولو أن أهل طاعة الله رجع رأيهم إلى ذَلِكَ ، مَا عَمِلَ اللَّهُ بِطَاعَةٍ ، ولا تناهوا لَهُ عَنْ مَعْصِيَةٍ ، ولقهر المبطلون المحقين ، فصار النَّاسُ كَالْأَنْعَامِ ، أَوْ أَضَلَّ سَبِيلًا ، فتسلطوا على الفساق من كنتم ومن كَانُوا فادفعوا بحقكم باطلهم ، وببصركم عما هم ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِلْأَبْرَارِ عَلَى الْفَجَّارِ سُلْطَانًا مُّبِينًا ، وَإِن لَّمْ يَكُونُوا وَلَاةً وَلَا أُمَّةً .

من ضعف عَنْ ذَلِكَ فليرفعه إلى أمامه فَإِنَّ ذَلِكَ من التعاون على البر والتقوى ، قَالَ اللَّهُ لِأَهْلِ الْمَعَاصِي : ﴿ أَقَامَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ \* أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ .

ولينتهن الفجار أَوْ ليهينهم الله بما قَالَ : ﴿ نُعْرِبَنَّكَ بِهِمْ ﴾ الآية .

وذكر ابن أبي الدُّنْيَا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ هُوَ وَرَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ لَهَا الرَّجُلُ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ حَدِّثِينَا عَنْ الزَّلْزَلَةِ ، فَقَالَتْ : إِذَا اسْتَبَاحُوا الزَّانَا ، وَشَرَبُوا الْخَمْرَ ، وَضَرَبُوا بِالْمَعَازِفِ ، غَارَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سَمَائِهِ ، فَقَالَ لِلْأَرْضِ : تَزْلِزِي بِهِمْ ، فَإِنَّ تَابُوا وَنَزَعُوا وَإِلَّا هَدَمَهَا عَلَيْهِمْ .

قَالَ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَعْدَابًا لَهُمْ ؟ قَالَتْ : بَلِ مَوْعِظَةٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَنِكَالًا وَعَذَابًا وَسَخَطًا عَلَى الْكَافِرِينَ . فَقَالَ أَنَسٌ مَا سَمِعْتُ حَدِيثًا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَا أَشَدَّ فَرَحًا بِهِ مِنِّي بِهَذَا الْحَدِيثِ .

وذكر ابن أبي الدنيا حديثًا مرسلاً : أن الأرض تزلزلت على عهد رسول الله ﷺ ، فوضع يده عليها ثم قال : اسكني فإنه لم يأن لك بعد . ثم التفت إلى أصحابه ، فقال : « إن ربكم ليستعبتكم فاعتبوه » . ثم تزلزلت بالناس على عهد عمر بن الخطاب ، فقال : أيها الناس ما كانت هذه الزلزلة إلا على شيء أحدثتموه ، والذي نفسي بيده لئن عادت لا أساكنكم فيها أبداً .

وفي مناقب عمر لابن أبي الدنيا أن الأرض على عهد عمر تزلزلت فضرب يده عليها ، وقال : ما لك ؟ أما إنها لو كانت القيامة حدثت أخبارك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَيْسَ فِيهَا ذِرَاعٌ وَلَا شِبْرٌ إِلَّا وَهُوَ يَنْطِقُ .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار : أما بعد فإن هذا الرجف شيء يعاقب الله عز وجل به العباد ، وقد كتبت إلى الأمصار أن يخرجوا في يوم كذا وكذا في شهر كذا وكذا فمن كان عنده شيء فليصدق به ، فإن الله عز وجل يقول : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى \* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ وقولوا كما قال آدم : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ، وقولوا كما قال يونس : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

شِعْرًا : إِلَهِي لَكَ الْحَمْدُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ      عَلَى نِعْمٍ تَتَرَى عَلَيْنَا سَوَابِغُ  
وَقَدْ عَجَزْتُ عَنْ شُكْرِ فَضْلِكَ قُوَّتِي      وَكُلُّ الْوَرَى عَنْ شُكْرِ جُودِكَ عَاجِزُ

اللَّهُمَّ يَا عَالَمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَيَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ

الصمد الَّذِي لم يلد ولا يولد ولم يكن له كفواً أحد الوهاب الَّذِي لا يبخل والحليم الَّذِي لا يعجل لا يراى لأمرِكَ ولا معقب لحكمك نسألك أن تغفر ذنوبنا وتنور قلوبنا وتثبت محبتك في قلوبنا وتسكننا دار كرامتك إِنَّكَ على كُلِّ شَيْءٍ قدير . وصلى الله على مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين .

### " موعظة "

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، قَالَ : ﴿ فَذَكَرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِدِ ﴾ فيا عباد الله لَقَدْ خَاطَبَكُمْ بِهَذَا الخطاب الرائع ووصفهم بهذا الوصف العَظِيم ، بأنهم خَيْرُ أمة أخرجت للناس ، وأن مجتمعهم أعلا وأعز مجتمع في العالم حاضره وماضيه لما اتصفوا به من الصفات الفاضلة ، والأخلاق العالية ، والغيرة الصادقة ، على حدوده .

وَهَذَا الوصف وَقْتُ أَنْ كَانُوا متمسكين بتعاليم دينهم ، وَكَانَ الإسلام وبهاؤه يلوح في أَعْمَالِهِمْ ، ومعاملاتهم ، وأخلاقهم فلا غش ولا خداع ولا كذب ولا خيانة ولا غدرا ، ولا نيمية ، ولا غيبة ، ولا قطيعة هدفهم القِضَاءِ على المنكرات وإماتتها ، وإعزاز المعروف ونشره بين المُسْلِمِينَ ، وَهَذَا يدل على قوة إيمانهم ، وشدة تمسكهم به ورغبة في النجاة التي وعد الله بها الناهي عَنِ السُّوءِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَبْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ .

فيا عباد الله تأملوا حالتنا الحاضرة ، وحالة سلفنا الكرام الَّذِينَ كَانُوا كُلِّ مِنْهُمْ يجب لأخيه مَا يجب لنفسه ، ويرحم كبيرهم الصغير ويوقر الصغير الكبير ، يتآمرون بالمعروف ، ويتناهون عَنِ الْمُنْكَرِ ، ينصفون حَتَّى الأعداء من أنفسهم وأولادهم .

فالقوي عندهم ضعيف ، حتى يستوفي منه الحق ، والضعيف عندهم قوي حتى يؤخذ حقه ، إذا فقدوا بحثوا عنه فإن كان مريضاً عادوه وإذا مات شيعوه ، وإن احتاج اقرضوه ، وواسوه وإن نزل عليهم أكرموه .

عاملين بقوله ρ : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ، وحديث : [ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ] .

أما نحنُ فحالتنا حالة مخيفة جداً لأننا على ضد ما ذكرنا من حالة سلفنا ولا حاجة إلى تكرار ، ألق سمعك وقلب نظرك ، وأحضر قلبك ترى ذلك بعين بصيرتك وترى ما يخيفك ويقلق راحتك ويقض مضجعك من المنكرات في البيوت والأسواق والبر والبحر ، ولا أدري هل بيتك خال من المنكرات التي سأذكرها فهنيئاً لك إن شاء الله ولا أظنه خال منها .

**فَإِنْ تَنُجْ مِنْهَا تَنُجْ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالَكَ نَاجِيًا**

وإن شككت ففتش على نفسك تجد ذلك ، فالمُنكر نراه بأعيننا ونسمعه بأذاننا بل وفي بيوتنا فهل بيتك خال من صور ذوات الأرواح ، هل هو خال من المذيع ، هل هو خال من التلفزيون ، والسينماء والبكمات ومسجلات الأغاني ، هل هو خال من شراب المسكرات ، هل ما يأتي لبيتك إلا أناس طيبين طاهري الأخلاق ، هل هو خال من حالقي اللحى هل هو خال من المخنفسين مطيلي أظافرهم تشبهاً باليهود ، وهل هو خال من المتشبهين بالمجوس والمتشبهين بالإفرنج ، هل هو خال ممن لا يشهدون صلاة الجماعة أو لا يصلون أبداً ، هل هو خال من النساء القاصات لرؤسهن المطيلات لأظفارهن ، هل هو خال من شراب أب الخبائث الدخان ، ونحوه من المنكرات وأما في الأسواق فحدث عن كثرة المنكرات ولا حرج على حد قول المتنبي :

**شِعْرًا : وَقَدْ وَجَدْتُ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سِعَةٍ فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلْ**

آخر : أَحذِرْكَ أَحذِرْكَ لَا أَحذِرْكَ وَاحِدَةً  
عَنِ الْمَذَائِعِ وَالتَّلْفَازِ وَالْكُورَةِ  
كَذَا الْمَجَلَاتِ مَعَ صُحُفٍ وَنَحْوِهِمَا  
لَوْ كَانَ فِي الْبِرِّ نِلْتُ الْأَجْرِ وَالصَّلَاةِ  
وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا ألسنة تنطق ولا قلوب تتمعر إلا النوادر ، الموجود هو التلاوم والقبيل والقَالَ  
، والمداهنة ، والجلوس مع أهل المعاصي ، ومحادثتهم ومباشرتهم وأظهار البشر هُم  
وتعظيمهم وتقليدهم في الأقوال والأفعال .

فيا عباد الله اتقوا الله واسلكوا طريق سلفكم واصدعوا بالحق وأمروا بالمعروف وانها عن  
الْمُنْكَرِ ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ، قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ  
مَا حَلَّ بِمَنْ قَبْلَكُمْ ، وتضرب قلوب بعضكم على بعض ، قبل فتنة لا تصيبن الَّذِينَ ظَلَمُوا  
منكم خاصة ، قبل أن تلعنوا كما لعن الَّذِينَ من قبلكم ، بسبب عدم تناهيهم عن  
الْمُنْكَرِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ  
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ \* كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ  
﴾ .

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَمِنْ أَعْظَمِ الشَّعَائِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ ،  
وَأَقْوَى الْأُسُسِ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا بِنَاءُ الْمُجْتَمَعَاتِ النَّزِيهَةِ الرَّاقِيَّةِ ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ  
أَوْ كَانَ وَلَكِنْ كَالْمَعْدُومِ ، فعلى الأخلاق والمثل العليا السَّلام ، ويل يومئذ للفضيلة من  
الرديلة ، وللمتدينين من الفاسقين والمنافقين .

فيا عباد الله تداركوا الأمر قبل أن يفوت الأوان وتعضوا على البنان فقد قَالَ لكم سيد ولد  
عدنان : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فَإِنَّ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنَّ لَمْ يَسْتَطِعْ  
فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أضعف الإيمان » .

عباد الله بالأمر بالمعروف والنهي عن الْمُنْكَرِ نأمن بإذن الله على الدين من

الاضمحلال والتلاشي ، ونأمن بإذن الله على الأخلاق الفاضلة من الذهاب والانحلال ، والحذر والحذر من مخالفة القول للفعل ، فتأثير الدعوة بالفعل أقوى بكثير من الأقوال المجردة من الأفعال .

وفي المسند وغيره من حديث عروة عن عائشة قالت : دخل علي رسول الله ﷺ ، وقد حفزه النفس فعرفت في وجهه أن قد حفزه شيء ، فما تكلم حتى توضع وخرج فلصقت بالحجرة ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إن الله عز وجل يقول لكم : مروا بالمعروف وانهاؤا عن المنكر ، قبل أن تدعوني فلا أجيبكم ، وتستنصروني فلا أنصركم ، وتسألوني فلا أعطيكم .

وقال العمري الزاهد : إن من غفلتك عن نفسك وإعراضك عن الله أن ترى ما يسخط الله فتجاوزه ، ولا تنهى عنه ، خوفاً ممن لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً . قلت : وما أكثر المدلسين الساكتين الذين يمشون بالجالسين أمام التلفزيون وعند المديع والكورة بل ولا يأمرهم بالتي هي أحسن ويمرون بأولادهم في فرشهم ولا يوقظونهم للصلاة وكان أمرهم أمر مباح إن شاء أنكر وإن شاء ترك ، وقال : من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مخافة من المخلوقين نزعته منه الطاعة ، ولو أمره ولده أو بعض مواليه لا استخف بحقه . وذكر الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب : توشك القرى أن تخرب وهي عامرة . قيل : وكيف تخرب وهي عامرة ، قال : إذا علا فجارها أبرارها وساد القبيلة منافقوها . قلت : ومما يؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ الآية ، وإليك هذا نظم للأسباب التي بها حياة القلب فألق لها سمعك وأحضر قلبك تأتيك بعد الدعاء .

اللَّهُمَّ وَقَفْنَا لما وفقت إليه القوم وأيقظنا من سنة العفلة والنوم وأرزقنا الاستعداد لذلك اليوم الذي يربح فيه المتقون ، اللَّهُمَّ وعاملنا بإحسانك وجد



عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، اللَّهُمَّ ارحم ذلنا بين يديك واجعل رغبتنا فيما لديك ، ولا تحرمنا بذنوبنا ، ولا تطردنا بعيوبنا ، وأغفر لنا ولوالدينا ، اللَّهُمَّ اجعل قلوبنا مملوءة وألسنتنا رطبة بِذِكْرِكَ وَنُفُوسَنَا مطيعة لِأَمْرِكَ وارزقنا الزهد في الدُّنْيَا وَالْإِقْبَالَ عَلَى الْآخِرَةِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا : حَمِدْتُ الَّذِي أَغْنَى وَأَقْنَى وَعَلَّمَا  
وَأَهْدَى صَلَاةً تَسْتَمِرُّ عَلَى الرِّضَا  
أَعَادَ لَنَا فِي الْوَحْيِ وَالسُّنَنِ النَّبِيِّ  
أَزَالَ بِهَا الْأَغْلَافَ عَنْ قَلْبِ حَائِرٍ  
فِيهَا أَيُّهَا الْبَاغِي اسْتِنَارَةَ عَقْلِهِ  
فَعُنُوانُ إِسْعَادِ الْفَتَى فِي حَيَاتِهِ  
وَفَاقِدُ ذَا لَا شَكَّ قَدْ مَاتَ قَلْبُهُ  
وَأَيَّةُ سُقْمٍ فِي الْجَوَارِحِ مَنْعَهَا  
وَصِحَّتْهَا تَدْرِي بِأَيِّانِ نَفْعِهَا  
وَعَيْنُ امْتِرَاضِ الْقَلْبِ فَقَدْ الَّذِي لَهُ  
وَمَعْرِفَةُ وَالشُّوقِ إِلَيْهِ إِنَابَةٌ  
وَمَوْثِرُ مَحْجُوبٍ سِوَى اللهِ قَلْبُهُ  
وَأَعْظَمُ مَحْذُورٍ حَفَى مَوْتُ قَلْبِهِ  
وَأَيَّةُ ذَا هُونِ الْقَبَائِحِ عِنْدَهُ  
فَجَامِعُ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ اتِّبَاعُهَا  
وَمِنْ شُؤْمِهِ تَرْكُ إِغْتِذَاءِ بِنَافِعِ  
إِذَا صَحَّ قَلْبُ الْعَبْدِ بَانَ ارْتِحَالُهُ  
وَمِنْ ذَاكَ إِحْسَاسُ الْمُحِبِّ لِقَلْبِهِ  
إِلَى أَنْ يُهَيَّنَا بِالْإِنَابَةِ مُخَيَّتَا  
وَيُصْحَبُ حُرًّا دَلَّهُ فِي طَرِيقِهِ

وَصَيَّرَ شُكْرَ الْعَبْدِ لِلْخَيْرِ سَلَامًا  
وَأَصْحَابِهِ وَالْآلِ جَمْعًا مُسَلِّمًا  
أَنَانَا بِهَا نَحْوَ الرَّشَادِ وَعَلَّمَا  
وَفَتِّحَ أَذَانَا أَصِمَّتْ وَأَحْكَمَا  
تَدَبَّرَ كِلَا الْوَحْيَيْنِ وَانْقَدَ وَسَلَّمَا  
مَعَ اللهِ إِقْبَالًا عَلَيْهِ مُعْظَمَا  
أَوْ اعْتَلَّ بِالْأَمْرَاضِ كَالرَّيْنِ وَالْعَمَا  
مَنَافِعَهَا أَوْ نَقَصُ ذَلِكَ مِثْلَمَا  
كُنْطُقِي وَبَطْشِي وَالتَّصَرُّفِ وَالتَّمَا  
أُرِيدَ مِنَ الْإِخْلَاصِ وَالْحُبِّ فَاعْلَمَا  
بِإِثَارِهِ دُونَ الْمَحَبَّاتِ فَاحْكَمَا  
مَرِيضٌ عَلَى جُرْفٍ مِنَ الْمَوْتِ وَالْعَمَا  
عَلَيْهِ لِشُغْلِ عَنِ دَوَاهُ بِصَدِمَا  
وَلَوْلَاهُ أَضْحَى نَادِمًا مُتَأَلَّمَا  
هَوَاهَا فَخَالَفَهَا تَصِحَّ وَتَسَلَّمَا  
وَتَرَكَ الدَّوَا الشَّافِي وَعَجَزُ كِلَاهِمَا  
إِلَى دَارِهِ الْأُخْرَى فَارْحَ مُسَلِّمًا  
بِضَرْبٍ وَتَحْرِيكِ إِلَى اللهِ دَائِمَا  
فَيَسْكُنُ فِي ذَا مُطْمَئِنًّا مُنَعَّمَا  
وَكَانَ مُعِينًا نَاصِحًا مُتَمِّمًا

وَمِنْهَا إِذَا مَا فَاتَهُ الْوَرْدُ مَرَّةً  
 وَمِنْهَا اشْتِيَاقُ الْقَلْبِ فِي وَقْتِ خِدْمَةٍ  
 وَمِنْهَا ذِهَابُ الْهَمِّ وَقْتِ صَلَاتِهِ  
 وَيَشْتَدُّ عَنْهَا بَعْدَهُ لِخُرُوجِهِ  
 فَأَكْرَمَ بِهِ قَلْبًا سَلِيمًا مُقَرَّبًا  
 وَمِنْهَا اجْتِمَاعُ الْهَمِّ مِنْهُ بِرَبِّهِ  
 وَمِنْهَا اهْتِمَامُ يُثْمِرُ الْحِرْصَ رَغْبَةً  
 بِإِخْلَاصٍ قَصْدٍ وَالنَّصِيحَةَ مُحْسِنًا  
 وَيَشْهَدُ مَعَ ذَا مِنَّةٍ اللَّهُ عِنْدَهُ  
 فَسِتُّ بِهَا الْقَلْبُ السَّلِيمُ ارْتِدَاءَهُ  
 فَيَا رَبِّ وَفَقْنَا إِلَى مَا نَقُولُهُ  
 فَإِنِّي وَإِنْ بَلَغْتُ قَوْلَ مُحَقِّقٍ  
 وَلَمَّا أَتَى مِثْلِي إِلَى الْجَوْ خَالِيَا  
 كَغَابِ خَلَا مِنْ أَسَدِهِ فَتَوَاتَبَتْ  
 فَيَا سَامِعِ النَّجْوَى وَيَا عَالِمِ الْخَفَا  
 فَأَجْرَانِي إِلَّا اضْطِرَارُ رَأْيْتَهُ  
 فَأَبْدَيْتُ مِنْ جَرَاهُ مُزْجِي بَضَاعَتِي  
 فَمَا خَابَ عَبْدٌ يَسْتَجِيرُ بِرَبِّهِ  
 وَصَلُّوا عَلَى خَيْرِ الْإِنَامِ مُحَمَّدٍ  
 تَرَاهُ كَثِيرًا نَادِمًا مُتَأَلِّمًا  
 إِلَيْهَا كَمُشْتَدِّ بِهِ الْجُوعُ وَالظَّمَا  
 بِدُنْيَاهُ مُرْتَا حَا بِهَا مُتَنَعِّمًا  
 وَقَدْ زَالَ عَنْهُ الْهَمُّ وَالْعَمُّ فَاسْتَمَا  
 إِلَى اللَّهِ قَدْ أَضْحَى مُجَبًّا مُتِيَمًا  
 بِمَرْضَاتِهِ يَسْعَى سَرِيعًا مُعْظَمًا  
 بِتَصْحِيحِ أَعْمَالٍ يَكُونُ مُتَمَمًا  
 وَتَقْيِيدِهِ بِالِاتِّبَاعِ مُلَازِمًا  
 وَتَقْصِيرُهُ فِي حَقِّ مَوْلَاهُ دَائِمًا  
 وَيَنْجُو بِهَا مِنْ آفَةِ الْمَوْتِ وَالْعَمَا  
 فَمَا زِلْتَ يَا ذَا الطُّولِ بَرًّا وَمُنْعَمًا  
 أَقْرُ بِتَقْصِيرِي وَجَهْلِي لَعَلَّمَا  
 مِنْ الْعِلْمِ أَضْحَى مُعَلِّنًا مُتَكَلِّمًا  
 نَعَالِبُ مَا كَانَتْ تَطَافِي فَنَا الْحِمَا  
 سَأَلْتُكَ غُفْرَانًا يَكُونُ مَعَمَّمَا  
 تَخَوَّفْتُ كَوْنِي إِنْ تَوَقَّفْتُ كَاتِمًا  
 وَأَمَلْتُ عَفْوًا مِنْ إِلَهِي وَمَرْحَمًا  
 أَلْحَ وَأَمْسَى طَاهِرَ الْقَلْبِ مُسْلِمًا  
 كَذَا الْآلِ وَالْأَصْحَابِ مَا دَامَتْ

والله أعلم . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

" فَصْلٌ "

اعلم وَفَقَّنَا الله وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لما يحبه ويرضاه وجعلنا وَإِيَّاكَ وإياهم من المصدقين لله فيما أخبروا به وحيث أَنَّهُ قَدْ كَثُرَ فِي زمننا المنكرون للجن وغالبهم يستندون في إنكارهم بأن طريق معرفة وجودهم هِيَ النظر أَوْ السَّمْعُ أَوْ اللمس وأنهم لم يروا جنًّا ولم يسمعوهم ولم يمسوهم .

ولكن عدم النظر أَوْ السَّمْعُ أَوْ اللمس أَوْ عدم وصول أحد الحواس الخمس إلى وجود الجن لا يقوم دليلاً على عدم وجودهم لا نقلاً ولا عقلاً أما العقل فإنه يجوز وجود كائن حي غير مرئي بالعين بدون واسطة المجهر المكتشف أخيراً فَإِنَّ المكروب كائن حي خلقه الله وَهُوَ كثير في طبقات الجو ولا يمكن رؤيته بالعين .

ومن لم يقر ويعتقد مَا غاب عَنْ سمعه ولمسه لزمه إنكار الروح والآلام والعقل والجوع والظماء لأنها لَيْسَتْ مرئية ولا مسموعة ولا ملموسة ولا مذوقة وأما النقل فكثير فمن الأدلة قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ، وَقَالَ الله تَعَالَى أَمْرًا رَسُولَهُ ﷺ أن يخبر قومه أن الجن استمعوا لقراءة القرآن فآمنوا به وصدقوا لما قَالَ وتلا وانقادوا لَهُ كما فِي قوله تَعَالَى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا \* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ الآيات .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ . وَهَذَا من حكمة الله ولطفه بعباده البشر فلو كشف لنا عَنْ حقيقتهم وسلط نظرنا المحدود على ذواتهم لما أمكن والله أَعْلَمُ أن يعيش الإنسان معهم وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَحَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴾ .

وَقَالَ : ﴿ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ . وَقَالَ فِي من سحر لسُلَيْمَانَ : ﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ الآيات ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ . قَالَ ابن عَبَّاس : « آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونًا يخنق » . رَوَاهُ ابن أَبِي حَاتِمٍ ، قَالَ

: وروي عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ وَسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَالسَّدي وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ وَقَتَادَةَ وَمَقَاتِلَ بْنَ حِيَانَ نَحْوَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ .

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنْهَجَ الْمَفْلُحِينَ وَأَلْبَسْنَا خَلْعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ ، وَخَصْنَا مِنْكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ ، وَوَفَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَخَلَصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ ، وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرِ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا رَغَدًا وَلَا تَشْمِتْ بِنَا عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا ، وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَلًا وَفَهْمًا ذَكِيًّا وَطَبْعًا صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ . وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ وَصْحَبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " فَصْلٌ "

أما السنة فورد عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ عَفَرْتَنَا مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتْ عَلَيَّ الْبَارِحَةُ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةُ فَأَمَكْنِي اللهُ مِنْهُ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةِ مِنْ سَوَارِيِ الْمَسْجِدِ حَتَّى تَصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴾ » .

ورد أن صفيية زوج النَّبِيِّ ﷺ جاءت تزوره وَهُوَ مَعْتَكِفٌ فَقَامَ مَعَهَا مُودِعًا حَتَّى بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ فَرَأَهُ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَلَمَا عَلَيْهِ فَقَالَ : عَلَى رَسَلِكُمَا إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَبِي . فَقَالَا : سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنْ الشَّيْطَانُ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا » .

وَهَذَا صَرِيحٌ وَاضِحٌ فِي أَنَّ الشَّيْطَانَ يَخْتَرِقُ الْجِسْمَ الْبَشَرِيَّ وَيَسْرِي فِيهِ كَمَا يَسْرِي الدَّمُ وَمَعَ خِفَائِهِ فَقَدْ التَزَمَ الشَّيْطَانَ لَعْنَةَ اللَّهِ فِي عِدَاوَتِهِ سَبْعَةَ أُمُورٍ : أَرْبَعَةٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالْأَضْلَانَهُمْ وَالْمُنِينَهُمْ وَالْمُرْتَهَبِينَ فَأَمْنَهُمْ فَلْيَتَّكِنَنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَالْمُرْتَهَبِينَ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ وثلاثة مَنَهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ \* ثُمَّ لَا تَجِدُنَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ .

وَهَذَا الْإِلْتِزَامُ بَيِّنٌ أَنَّهُ عَدُوٌّ مُّتَظَاهِرٌ بِالْعِدَاوَةِ وَلِذَلِكَ فَصَلَ اللَّهُ عِدَاوَتَهُ بِاشْتِمَالِهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءٍ : ( السُّوءِ ) وَهُوَ مُتَنَازِلٌ جَمِيعُ الْمَعَاصِي مِنَ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ ، ( وَالْفَحْشَاءِ ) وَهِيَ مَا عَظُمَ جَرْمُهُ وَذَنِبُهُ كَالْكِبَائِرِ الَّتِي بَلَغَتِ الْغَايَةَ فِي الْفَحْشِ وَذَلِكَ كَالزُّنَا وَاللُّوَاطِ . وَالْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِإِلْعَامِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَشَرَعِهِ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ أَنَّ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ قَتَلَ حَيَّةً فِي بَيْتِهِ فَمَاتَ فِي الْحَالِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " إِنْ فِي الْمَدِينَةِ جَنًّا قَدْ أَسْلَمُوا فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا فَأَذْنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ بَدَأَ لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ » .

وَهَكَذَا تَكَرَّرَتِ الرَّوَايَاتُ الصَّحِيحَةُ أَنَّ الْجِنَّ كَانُوا بِالْمَدِينَةِ وَقَدْ أَسْلَمَ بَعْضُهُمْ وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا نَحْسُهُ الشَّيْطَانُ إِلَّا ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ » .

وَرَوَى مُسْلِمٌ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ قَرِينَهُ مِنَ الْجِنِّ » ، فَرَأَى الصَّحَابَةَ أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ عَامٌ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِيَّاكَ ، أَيِ حَتَّى أَنْتَ ، فَقَالَ ﷺ : « وَإِيَّايَ لَكِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِالْخَيْرِ » .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

بحفظ زكاة رمضان فأتاني أت فجعل يحثو من الطعام فأخفته وقلتُ : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، قَالَ : دعني فإني محتاج ولي عيال وبي حاجة شديدة .

قَالَ : فخليت عنه . فأصبحت فقال رسول الله ﷺ : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أُسَيْرُكَ الْبَارِحَةَ ؟ » قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةَ شَدِيدَةً وَعِيَالاً فَرَحَمْتَهُ فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ ، قَالَ : « أَمَا أَنَّهُ كَذَبُكَ وَسَيَعُودُ » . فرصدته فجاء يحثو من الطعام فعل ذلك ثلاث ليال كل ذلك والرسول ﷺ يقولُ : " أَمَا أَنَّهُ قَدْ كَذَبُكَ وَسَيَعُودُ » .

فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّلَاثَةِ قُلْتُ : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَاتٍ تَزْعَمُ إِنَّكَ لَا تَعُودُ ، فَقَالَ : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها . فقلتُ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : إِذَا أُوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ حَتَّى خَتَمَ الْآيَةَ فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تَصْبِحَ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَمَا أَنَّهُ صَدَقَ وَهُوَ كَذُوبٌ . تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة » . قُلْتُ : لا . قَالَ : « ذَلِكَ شَيْطَانٌ » .

عن أبي السائب أنه دخل على أبي سعيد الخدري في بيته قال : فوجدته يصلي فجلست أنتظره حتى يقضي صلاته فسمعت تحريكاً في عراجين في ناحية البيت فالتفت فإذا حية فوثبت لأقتلها فأشار إلي أن أجلس فجلست فلما انصرف أشار إلى بيت في الدار فقال : أتري هذا البيت ؟ فقلتُ : نعم . فقال : كَانَ فِيهِ فَتَى مَنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعَرَسٍ قَالَ : فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله .

فاستأذنه يوماً فقال له رسول الله ﷺ : « خذ عليك سلاحك ؛ فإني أخشى عليك قريظة » . فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع فإذا امرأته بين البابين قائمة فأهوى

إليها بالرمح ليطعننها به فأصابته ، فقالت : اكفف علك رحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش فأهوى إليها بالرمح فانظمتها به ثم خرج فركزه في الدار فاضطربت علكه فما يدري أيهما كان أسرع موتاً الحية أم الفتى قال : فجعنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له وقلنا : ادع الله يحييه لنا فقال : « استغفروا لصاحبكم » .

ثم قال : « إن بالمدينة جنا قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئاً فأذنيه ثلاثة أيام فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان » . وفي رواية عنه فقال رسول الله ﷺ : « إن لهذه البيوت عوامر فإذا رأيتم شيئاً منها فخرجوا علكها ثلاثة فإن ذهب وإلا فاقتلوه فإنه كافر » . وقال لهم : « اذهبوا فادفنوا صاحبكم » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضي النداء أقبل حتى إذا وثب بالصلاة أدبر حتى إذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول : اذكر كذا واذكر كذا - لما لم يذكر من قبل - حتى يظل الرجل ما يدري كم صلى » . متفق عليه . ( التثويب : الإقامة ، يخطر : يوسوس .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ذكر عند النبي ﷺ رجل نام حتى أصبح قال : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقد علك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » . متفق عليه .

اللهم أنظمتنا في سلك حزبك المفلحين ، واجعلنا من عبادك المخلصين ، وآمنا يوم الفزع الأكبر يوم الدين ، واحشرونا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين

الأحياء مِنْهُمْ والميتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " فَصْلٌ "

وروى مُسْلِمٌ عَنْ ابن مسعود قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا تستنجوا بالروث ، ولا بالعظام ، فإنه زاد إخوانكم من الجن » . وورد في السنة الصحيحة باللفظ الصريح : أكل الشيطان ، وشربه فقد ورد : « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فليأكل بيمينه وليشرب بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ويأخذ بشماله » . وهذا لا يحتاج إلى شرح ، ولا تأويل لوضوحه .

وحديث الوادي الَّذِي نام فيه رَسُولُ اللهِ ﷺ ، عَنْ زيد بن أسلم قَالَ : عرس رَسُولُ اللهِ ﷺ ليلة بطريق مَكَّةَ ، ووكل بلالاً يوقظهم للصلاة ، فرقد بلال ورددوا ، حتى استيقظوا وَقَدْ طلعت عَلَيْهِمُ الشمس ، فاستيقظ القوم قَدْ فرغوا ، فأمرهم رَسُولُ اللهِ ﷺ أن يركبوا ، حتى يخرجوا من ذَلِكَ الوادي . وَقَالَ : « هَذَا واد فيه الشيطان » . فركبوا حتى خرجوا من ذَلِكَ الوادي ثُمَّ أمرهم النَّبِيُّ ﷺ أن ينزلوا ، وأن يتوضأوا وأمر بلالاً أن ينادي بالصلاة وصلى رسول الله ﷺ بالناس ثم انصرف ، وَقَدْ رأى من فرغهم ، فَقَالَ : « أيها النَّاسُ إن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردها إلينا في حين غير هذا ، فَإِذَا رَقَدَ أَحَدُكُمْ عَنْ الصَّلَاةِ أَوْ نسيها ، ثُمَّ فرغ إليها فليصلها كما كَانَ يصلها في وقتها » .

ثُمَّ التفت رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى أَبِي بَكْرٍ الصديق فَقَالَ : « إن الشيطان أتى بلالاً وَهُوَ قائم يصلي فأجمعه ، ثُمَّ لم يزل يهديه كما يهدى الصبي حتى نام ، ثُمَّ دعا رَسُولُ اللهِ ﷺ بلالاً فأخبر بلال رسول الله ﷺ مثل الذي أخبر رسول الله ﷺ أبا بكر ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أشهد إِنَّكَ رَسُولُ اللهِ . رَوَاهُ مالك في الموطأ مرسلًا .



وعن ابن مسعود قَالَ : خَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الْإِنْسِ فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنَ الْجَنِّ فَقَالَ : هَلْ لَكَ أَنْ تَصَارِعَنِي ، فَإِنَّ صَرَعْتَنِي عَلِمْتُكَ آيَةَ إِذَا قَرَأْتَهَا حِينَ تَدْخُلُ بَيْتَكَ لَمْ يَدْخُلْهُ شَيْطَانٌ ، فَصَارِعْهُ فَصَرَعَهُ ، فَقَالَ : إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا ، كَانَ ذِرَاعِيكَ ذِرَاعًا كَلْبٍ ، أَهْكَذَا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْجَنُّ ، أَمْ أَنْتَ مِنْ بَيْنِهِمْ . قَالَ : إِنِّي فِيهِمْ لَضَلِيلٌ فَعَاوَدَنِي . فَعَاوَدَهُ فَصَرَعَهُ الْإِنْسِيُّ قَالَ : تَقْرَأُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ، فَإِنَّهُ لَا يَقْرؤها أَحَدٌ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ إِلَّا خَرَجَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ خَجِيجٌ كَخَجِيجِ الْحَمَارِ . فَقِيلَ لِابْنِ مَسْعُودٍ : أَهْوَ عُمَرُ ؟ قَالَ : مِنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ إِلَّا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

ومن ذَلِكَ مَا فِي مَجِيئِ الشَّيْطَانِ فِي صُورَةِ شَيْخٍ نَجْدِي فِي دَارِ النَّدْوَةِ .  
ومن قصتها أنه اجتمع قريش للتشاور في أمر رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْأَخْبَارِ هَاجَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ مثل عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَابْنَهُ وَأَخِيهِ زَيْدَ بْنَ الْخَطَّابِ ، وَعِثْمَانَ بْنَ عِفَانَ ، وَطَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَحَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَزَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَغَيْرَهُمْ .

وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ أَصْحَابِهِ يَنْتَظِرُ الْأُذُنَ فِي الْهَجْرَةِ ، وَلَمْ يَتَخَلَفْ مَعَهُ بِمَكَّةَ أَحَدٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، إِلَّا مِنْ حَبَسَ ، أَوْ فَتَنَ ، إِلَّا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ كَثِيرًا مَا يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولُ لَهُ : لَا تَعْجَلْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لَكَ صَاحِبًا ، فَيَطْمَعُ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَكُونَ هُوَ .

ولما رأت قريش أن لرسول الله ﷺ شيعة ، وأصحابًا من غير بلدهم ، ورأوا خروج المهاجرين إليهم ، حذروا خروج رسول الله ﷺ ، وعلموا أنه قد اجمع لرحبهم فاجتمعوا في دار الندوة ، وهي دار قصي بن كلاب ، وكانت قريش لا تقضي أمرًا إلا فيها يتشاورون فيما يصنعون برسول الله ﷺ حين خافوه .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَمَّا خَرَجُوا فِي الْيَوْمِ الَّذِي اتَّعَدُوا لَهُ ، كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ

يسمى يوم الرحمة ، فاعترض إبليس في هيئة شيخ جليل ، عَلَيْهِ بتلة أي كساء غليظ ، فوقف على باب الدار ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : من الشَّيْخ ؟ قَالَ : شيخ من أهل نجد ، سَمِعَ بِالَّذِي اتَّعَدْتُمْ لَهُ ، فَجَاءَ لِيَسْمَعَ مَا تَقُولُونَ ، وَعَسَى أَنْ لَا يَعِدْكُمْ مِنْهُ رَأْيًا وَنَصْحًا . قَالُوا : فأدخل .

وَقَدْ اجْتَمَعَ أَشْرَافُ قَرِيشٍ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَأْمَنُهُ عَنِ الْوَثُوبِ عَلَيْنَا ، فَأَجْمَعُوا فِيهِ رَأْيًا ، فَقَالَ قَائِلٌ : احْبِسُوهُ فِي الْحَدِيدِ وَأَغْلِقُوا عَلَيْهِ بَابًا ، ثُمَّ تَرَبَّصُوا بِهِ مَا أَصَابَ أَمْثَالَهُ مِنَ الشَّعْرَاءِ مِنَ الْمَوْتِ . فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ : لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ ، وَاللَّهِ لئن حَبَسْتُمُوهُ كَمَا تَقُولُونَ لِيُخْرِجَنَّ أَمْرَهُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَيُثْبِتُوا عَلَيْكُمْ فَيَنْزِعُوهُ مِنْكُمْ ، مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ فَاَنْظُرُوا فِي غَيْرِهِ .

فَتَشَاوَرُوا ، ثُمَّ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : نَخْرِجْهُ عَنْ بِلَادِنَا ، ثُمَّ إِذَا خَرَجَ فَوَاللَّهِ لَا نَبَالِي أَيْنَ ذَهَبَ . فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ : لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ أَلَمْ تَرَوْا حَسَنَ حَدِيثِهِ ، وَحِلَاوَةَ مَنْطِقِهِ ، وَغَلَبَتَهُ عَلَى قُلُوبِ الرِّجَالِ بِمَا يَأْتِي بِهِ ، وَاللَّهِ مَا هُوَ رَأْيٍ .

فَقَالَ : أَبُو جَهْلٍ : وَاللَّهِ لِي رَأْيًا . قَالُوا : وَمَا هُوَ يَا أَبَا الْحَكَمِ ؟ قَالَ : أَرَى أَنْ نَأْخُذَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ شَابًا ، ثُمَّ نَعْطِي كُلَّ فِتْيٍ سَيْفًا ، ثُمَّ يَعْمَدُوا إِلَيْهِ فَيَضْرِبُوهُ بِهَا ضَرْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَيَقْتُلُوهُ فَتَسْتَرِيحُوا مِنْهُ فَإِنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ جَمِيعًا ، فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ عَلَى حَرْبِ قَوْمِهِمْ جَمِيعًا ، فَرَضُوا بِالْعَقْلِ فَعَقَلْنَا لَهُمْ .

فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ : هَذَا هُوَ الرَّأْيُ الَّذِي لَا أَرَى غَيْرَهُ . فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَتَى جَبْرِيلَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : لَا تَبِيتَ اللَّيْلَةَ عَلَى فِرَاشِكَ ، فَلَمَّا كَانَ عَتَمَةٌ مِنَ اللَّيْلِ ، اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِهِ يَرْقُبُونَهُ حَتَّى يَنَامَ فَيُثْبِتُونَ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكَانَهُمْ قَالَ لِعَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ نَمِ عَلَى فِرَاشِي وَتَسَجِ بَرْدَائِي الْأَخْضَرَ ، فَإِنَّ لِي يَخْلُصُ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِهِ قَالَ أَبُو جَهْلٍ : إِنَّ مُحَمَّدًا يَزْعَمُ أَنَّكُمْ إِنْ تَابَعْتُوهُ عَلَى أَمْرِهِ كُنْتُمْ مَلُوكَ الْعَرَبِ ، وَالْعَجْمُ ثُمَّ بَعَثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ وَجَعَلْتُمْ لَكُمْ جَنَّاتٍ كَجَنَّاتِ الْأُرْدُنِ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَتْ فِيكُمْ ذَبْحٌ ، ثُمَّ بَعَثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ، ثُمَّ جَعَلْتُمْ لَكُمْ نَارًا تَحْرَقُونَ فِيهَا .

قَالَ : وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ : « نَعَمْ أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ أَنْتَ أَحَدُهُمْ » . فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ عَلَى أَبْصَارِهِمْ عَنْهُ فَلَا يَرُونَهُ وَجَعَلَ يَنْشُرُ ذَلِكَ التُّرَابَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ ، وَهُوَ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ﴿ يَس \* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ رَجُلًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَرَابًا ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَأَتَاهُمْ آتٍ فَقَالَ : مَا تَنْتَظِرُونَ هَاهُنَا ؟ قَالُوا : مُحَمَّدًا . قَالَ : خَيِّبَكُمْ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَرَجَ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ ثُمَّ مَا تَرَكَ مِنْكُمْ رَجُلًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَرَابًا وَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ . قَالَ : فَوَضَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ فَإِذَا عَلَيْهِ تَرَابٌ ، ثُمَّ جَعَلُوا يَتَطَّلَعُونَ فَيُرُونَ عَلِيًّا عَلَى الْفِرَاشِ مُسَجِّيًّا بِبَرْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَيَقُولُونَ : وَاللَّهِ إِنْ هَذَا لِمُحَمَّدٍ نَائِمًا فِي بَرْدِهِ ، فَلَمْ يَبْرَحُوا كَذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحُوا .

فَقَامَ عَلِيٌّ عَنِ الْفِرَاشِ فَقَالُوا : وَاللَّهِ لَقَدْ صَدَقْنَا الَّذِي كَانَ حَدَّثَنَا وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ ﴾ وَالشَّاهِدُ هُوَ جِيءَ الشَّيْطَانُ وَرُؤْيَتُهُ وَكَلَامُهُ وَهُوَ أَبُو الْجَنِّ لَعَنَهُ اللَّهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ صِيَاحُ إِبْلِيسَ يَوْمَ أَحَدِ أَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَتَلَ ، فَلَمْ يَشْكُ فِي ذَلِكَ ، حَتَّى طَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ السَّعْدِيِّينَ ، قَالَ الرَّاوي نَعْرَفَهُ بِكَتْفِيهِ إِذَا

مشى قَالَ : ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا ، فأوماً نحونا .. الحديث .  
ومن ذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا اسْتَيْقِظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَلْيَتَوَضَّأْ وَلْيَسْتَنْشِرْ ثَلَاثَ مَرَاتٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خِيَاشِيمِهِ » .  
متفق عليه .

ومن ذلك ما ورد عن أبي سعيد الخدري أن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قام فصلى صلاة الصبح وهو خلفه فقرا فالتبست عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قَالَ : لو رأيتُموني وإبليس فأهويت بيدي فما زلت اخنقه حتى وجدت برد لعابه بين إصبعي هاتين الإبهام والتي تليها ولولا دعوة أخي سليمان أصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة .  
« . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" فَصَلِّ " : وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ وَالْجَنُّ يَتَصَوَّرُونَ فِي صُورِ الْإِنْسِ ، وَالْبَهَائِمُ يَتَصَوَّرُونَ فِي صُورِ الْحَيَاتِ ، وَالْعُقَارِبِ ، وَغَيْرِهَا ، وَفِي صُورِ الْإِبِلِ ، وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ ، وَالْخَيْلِ ، وَالْبِغَالِ ، وَالْحَمِيرِ ، وَفِي صُورِ الطَّيْرِ ، وَفِي صُورِ بَنِي آدَمَ ، كَمَا أَتَى الشَّيْطَانَ قَرِيشًا فِي صُورَةِ سَرَاةِ بَنِ مَالِكِ بْنِ قِشْمٍ ، لَمَّا أَرَادُوا الْخُرُوجَ إِلَى بَدْرٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

وذكر ابن أبي الدنيا في كتابه مكائد الشيطان أن رجلاً من أهل الشام من أمراء معاوية غضب ذات ليلة على ابنه ، فأخرجهُ من منزله فخرج الغلام لا يدري أين يذهب ، فجلس وراء الباب من خارج ، فنام ساعة ثم استيقظ ، وبابه يحمشه هر أسود بري ، فخرج إليه الهر الذي في منزلهم . فقال له البريء : ويحك افتح . فقال : لا أستطيع . فقال : ويحك اتبني بشيء أتبلغ به ، فإني جائع وأنا تعب ، هذا أوان يجيء من الكوفة وقد حدث الليلة



## " فَصْلٌ "

وَقَالَ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ : ولا ريب أن الأوثان يحصل عندها من الشياطين ، وخطابهم ، وتصرفهم ما هُوَ من أسباب ضلال بني آدم ، وجعل القبور أوثانًا ، هُوَ أول الشرك ، ولهذا يحصل عِنْدَ القبور لبعض النَّاس من خطاب يسمعه ، وشخص يراه ، وتصرف عجيب ، مَا يظن أَنَّهُ من الميت .

وقَدْ يكون من الجن والشياطين ، مثل أن يرى القبر قَدْ انشق ، وخرَجَ منه الميت ، وكلمه وعانقه وَهَذَا يرى عِنْدَ قبور الأنبياء وغيرهم ، وإنما هُوَ شيطان فَإِنَّ الشيطان يتصور بصور الإنس ، ويدعي أحدهم أَنَّهُ النَّبِيُّ فلان أو الشَّيْخ فلان وَيَكُونُ كَاذِبًا فِي ذَلِكَ .

وفي هَذَا الباب من الوقائع مَا يضيق هَذَا الموضوع عَنْ ذكره وهي كثيرة جدًا ، والجاهل يظن أن ذَلِكَ الَّذِي رآه قَدْ خَرَجَ من القبر وعانقه أو كلمه هُوَ المقبور أو النَّبِيُّ ، أو الصالح ، أو غيرها ، والمؤمن العَظِيم يعلم أَنَّهُ شيطان ، ويتبين ذَلِكَ بأمر :

أحدهما أن يقرأ آية الكرسي بصدق ، فَإِذَا قرأها تغيب ذَلِكَ الشخص ، أو ساخ فِي الأَرْض ، أو احتجب ، ولو كَانَ رجلاً صالحًا أو ملكًا أو جنياً مؤمناً لم تضره آية الكرسي ، وإنما تضر الشيطان كما ثبت فِي الصحيح من حديث أبي هريرة : اقرأ آية الكرسي إذا أويت فراشك ، فإنه لا يزال عَلَيْكَ من الله حافظ ولا يقربك شيطان حَتَّى تصبح ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « صدقك وَهُوَ كذوب » .

وَمِنْهَا أن يستعيد بالله من الشياطين .

وَمِنْهَا أن يستعيد بالعودة الشرعية ، فَإِنَّ الشياطين كَانَتْ تعرض للأنبياء فِي حياتهم وتريد أن تؤذيهم ، وتفسد عبادتهم كما جاءت الجن إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بشعلة من نار تريد أن تحرقه ، فَأَتَاه جبريل بالعودة المعروفة ، التي تضمنها

الحديث المروي عن أبي التياح أَنَّهُ قَالَ : سأل رجل عَبْدَ الرَّحْمَنِ بن حبيش ، وَكَانَ شَيْخًا كبيرًا قَدْ أدرك النَّبِيَّ ﷺ : كيف صنع رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حين كادته الشياطين ؟ قَالَ: تحدت عَلَيْهِ من الشعاب ، والأودية ، وفيهم شيطان معه شعلة من نار ، يريد أن يحرق بها رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

قَالَ : فرعب رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَتَاهُ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ قل مَا أَقُولُ ، قَالَ : قل : أعوذ بكلماتِ اللَّهِ التَّامَاتِ ، التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، من شر ما خلق ، وذراً وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر ما يخرج من الأرض ، ومن شر ما ينزل فيها ، ومن شر فتن الليل والنَّهَارِ ، ومن شر كُلِّ طارق يطرق إِلَّا طارقاً يطرق بخير يا رحمن .

قَالَ : فطفئت نارهم ، وهزمهم اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . وفي صحيح مُسْلِمٍ عن أبي الدرداء أَنَّهُ قَالَ : قام رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يصلي ، فسمعناه يَقُولُ : « أعوذ بِاللَّهِ منك » . ثُمَّ قَالَ : أعلنك بلعنة اللَّهِ ثلاثاً ، وبسط يده يتناول شَيْئًا ، فَلَمَّا فرغ من صلاته ، قلنا : يَا رَسُولَ اللَّهِ سمعناكَ تَقُولُ شَيْئًا فِي الصَّلَاةِ لم نسمعكَ تَقُولُ قبل ذَلِكَ ، ورأيناكَ بسطت يدك .

قَالَ : إن عدو اللَّهِ إبليسَ جَاءَ بشهاب من نار ، ليجعله فِي وجهي ، فَقُلْتُ : أعوذ بِاللَّهِ منك ثلاث مرات ، ثُمَّ قُلْتُ : أَلْعَنَكَ بلعنة اللَّهِ التامة فاستأخر ، ثُمَّ أردت أن آخذه ، ولولا دعوة أَخينا سُليمانَ لأصبح موثقًا يلعب به ولدان المَدِينَةِ .

وكثيرًا من العباد يرى الكعبة تطوف به ويرى عرشًا عظيمًا ، وَعَلَيْهِ صورة عظيمة ، ويرى أشخاصًا تصعد ، وتنزل فيظنها الملائكة ويظن أن تلك الصورة هِيَ اللَّهِ ، تَعَالَى وتقدس ، وَيَكُونُ ذَلِكَ شيطانًا .

وَقَدْ جرت هَذِهِ القِصَّةُ لغير واحد من النَّاسِ ، فمِنْهُمْ من عصمه اللَّهُ

وعرف أَنَّهُ الشيطان ، كَالشَّيْخِ عبدِ القادرِ فِي حكايته المشهورة ، حيث قَالَ : كنت مرة فِي العبادَةِ فرأيتُ عرشًا عظيمًا ، وَعَلَيْهِ نورٌ ، فَقَالَ لي : يَا عبدِ القادرِ ، أَنَا ربك ، وَقَدْ حللت لك مَا حرمت على غيرك . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ ، أَحْسأ يَا عدو الله . قَالَ : فتمزق ذلكَ النورُ ، وصارَ ظلمةً ، وَقَالَ : يَا عبدِ القادرِ نجوت مني بفقهك فِي دينك ، وعلمك ومنازلتك ، فِي أحوالك ، لَقَدْ فتنت بهذه الْقِصَّةِ سبعين رجلاً .

فَقِيلَ لَهُ : كيف علمت أَنَّهُ الشيطان ، قَالَ : بقوله : لي حللت لك مَا حرمت على غيرك ، وَقَدْ علمت أن شريعة مُحَمَّدٍ لا تنسخ ولا تبدل ، ولأَنَّهُ قَالَ : أَنَا ربك ، ولم يقدر أن يَقُولُ أَنَا اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا أَنَا . ومن هؤلاء من اعتقد أن المرئي هُوَ اللهُ وصار هُوَ وأصحابه يعتقدون أنهم يرون الله تَعَالَى ، وفي اليقظة ، ومستندهم مَا شاهدوه ، وهم صادقون فيما يخبرون به ، ولكن لم يعلموا أن ذلكَ هُوَ الشيطان .

وهذا قَدْ وقع كثيرًا لطوائف من جهال العباد يظن أحدهم أَنَّهُ يرى الله تَعَالَى بعينه فِي الدُّنْيَا لأن كثيرًا مِنْهُمْ رأى مَا ظن أَنَّهُ اللهُ وإنما هُوَ شيطان .

وكثير مِنْهُمْ من رأى من ظن أَنَّهُ نبي أو رجل صالح أو الخضر وكانَ شيطانًا قَالَ : وَمِنْهُمْ من يظن أَنَّهُ ملك والملك يتميز عَن الجنِّي بأمر كثيرة والجن فيهم الكفار والفساق والجهال وفيهم المؤمنون المتبعون لمُحَمَّدٍ ﷺ فكثيرًا ممن لم يعرف أن هؤلاء جن وشياطين يعتقدهم ملائكة وإنما هم من الجن والشياطين .

قَالَ : والشياطين يوالون من يفعل مَا يحبونه من الشرك والفسوق والعصيان فتارةً يخبرونه ببعض الأمور الغائبة ، ليكشف بها ، وتارةً يؤذون من يريد أذاه ، بقتل ، أو تمريض ، ونحو ذلك .

وتارةً يجلبون لَهُ مَا يريد ، من الإنس وتارةً يسرقون لَهُ مَا يسرقونه من



أموال النَّاسِ مِنْ نَقْدٍ وَطَعَامٍ ، وَثِيَابٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَيَعْتَقِدُ أَنََّّهُ مِنْ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مَسْرُوقًا .

وَتَارَةً يَحْمِلُونَهُ فِي الْهَوَاءِ فَيَذْهَبُونَ بِهِ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَذْهَبُونَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ ، وَيَعُودُونَ بِهِ فَيَعْتَقِدُ هَذَا كَرَامَةً ، مَعَ أَنََّّهُ لَمْ يَحْجِ حَجَّ الْمُسْلِمِينَ لَا أَحْرَمَ وَلَا لَبِيٍّ وَلَا طَافَ بِالْبَيْتِ وَلَا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَمَعَ أَنْ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الضَّلَالِ . انْتَهَى بِاخْتِصَارٍ .

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ الْمَفْلُحِينَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمَخْلُصِينَ وَآمِنًا يَوْمَ الْفِرْعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " موعظة "

#### " فِي التَّحْذِيرِ عَنِ الْإِنْهَمَاكِ فِي الدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا "

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ نَظَرٍ إِلَى الدُّنْيَا بَعَيْنَ الْبَصِيرَةِ أَيْقِنُ أَنَّ نَعِيمَهَا ابْتِلَاءٌ ، وَحَيَاتُهَا عَنَاءٌ وَعَيْشُهَا نَكْدٌ ، وَصَفْوُهَا كَدْرٌ وَأَهْلُهَا مَنْهَا عَلَى وَجَلٍ إِمَّا بِنِعْمَةٍ زَائِلَةٍ ، أَوْ بِلِيَةِ نَازِلَةٍ أَوْ مَنِيَّةٍ قَاضِيَةٍ .

مَسْكِينٍ مِنْ اِطْمَأْنَانٍ وَرُضِيٍّ بِدَارِ حَلَالِهَا حَسَابٍ ، وَحَرَامِهَا عِقَابٍ ، إِنْ أَخَذَهُ مِنْ حَلَالٍ حَوَسِبَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ أَخَذَهُ مِنْ حَرَامٍ عَذَبَ بِهِ ، مِنْ اسْتِغْنَى فِي الدُّنْيَا فَتَنَ ، وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزَنَ ، مِنْ أَحْبَبَهَا أَذَلَّتْهُ ، وَمَنْ التَفَتَ إِلَيْهَا وَنَظَرَهَا أَعَمَّتْهُ .

شِعْرًا : ( لَوْ كُنْتُ رَائِدَ قَوْمٍ ظَاعِنِينَ إِلَى دُنْيَاكَ هَذَا لَمَّا أُلْفَيْتَ كَذَابًا )  
( لَقُلْتُ تِلْكَ بَلَاءٌ نَبَتْهَا سَقَمٌ وَمَاؤُهَا الْعَذْبُ سُمٌّ لِلْفَتَى ذَابًا )

وَكَمْ كَشَفَ لِلسَّامِعِينَ عَن حَقِيقَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَهُمْ قَصْرَ مَدَّتِهَا وَانْقِضَاءَ لَدَّتِهَا بِمَا يَضْرِبُ مِنَ  
الْأَمْثَالِ الْحَسِيَّةِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ  
وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مِصْفَرًا ثُمَّ  
يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ  
الْعُرُورُ ﴿ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

مَيَّزَتْ بَيْنَ جَمَالِهَا وَفِعَالِهَا	فَإِذَا الْمَلَا حَةَ بِالْقَبَاحَةِ لَا تَقِي
حَلَفْتُ لَنَا أَنْ لَا تَخُونَ عُهُودَنَا	فَكَأَنَّهَا لَنَا أَنْ لَا تَقِي
آخِر : أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا غَضَارَةٌ أَيْكَةٌ	إِذَا اخْضَرَ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ
هِيَ الدَّارُ مَا الْأَمَالُ إِلَّا فَجَائِعًا	عَلَيْهَا وَمَا اللَّذَاتُ إِلَّا مَصَائِبُ
فَكَمْ سَخِنَتْ بِالْأَمْسِ عَيْنٌ قَرِيرَةٌ	وَقَرَّتْ عُيُونَ دَمْعِهَا الْآنَ سَاكِبُ
فَلَا تَكْتَحِلُ عَيْنَاكَ مِنْهَا بِعَبْرَةٍ	عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبُ
آخِر : لِلْمَوْتِ فِينَا سِهَامٌ غَيْرُ مُخْطِئَةٍ	مَنْ فَاتَهُ الْيَوْمَ سَهْمٌ لَمْ يَفْتَهُ غَدَا
مَا ضَرَّ مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا وَغَدَرَتْهَا	أَنْ لَا يُنَافِسَ فِيهَا أَهْلَهَا أَبَدَا
آخِر : لَحَى اللَّهُ ذِي الدُّنْيَا مَرَادًا وَمَنْزِلًا	فَمَا أَغْدَرَ الْمَثْوَى وَمَا أَوْبَأَ الْمَرْعَى
تَدَلُّ كَالْحَسَنَاءِ فِي حُسْنِ وَجْهِهَا	وَلَكِنَّهَا فِي فُجْحِ أفعالِهَا أَفْعَى
نَرَى أَنَّنَا نَسْعَى لِخَيْرٍ نَنَالُهُ	وَقَدْ وَطِئَتْ أَفْدَامُنَا حِيَّةً تَسْعَى

### " فَصْلٌ "

شرح لنا العليم الحكيم في هذه الآية المتقدمة حال الدنيا التي إفتتن الناس بها اللذين قصر  
نظرهم وبين أنها من محقرات الأمور التي لا يركن إليها العقلاء فضلا عن الافتنان بها  
والانهماك في طلبها وقتل الوقت في تحصيلها بأنها لعب لا ثمرة فيه سوى التعب ، وهو  
تشغل صاحبها وتلهيه عما ينفعه في آخرته ،

وزينة لا تفيد المفتون بها شرفاً ذاتياً كالملابس الجميلة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة الواسعة ، وتفاخر بالأنساب والعظام البالية ومباهات بكثرة الأموال والأولاد وعظم الجاه .  
 ثُمَّ أشار جل شأنه إلى أنها مَعَ ذَلِكَ سريعة الزوال ، قريبة الاضمحلال ، كمثل غيث راق الزراع نباته الناشئ به ، ثُمَّ يهيج ويتحرك وينمو إلى أقصى ما قدره الله لَهُ فسرعان ما تراه مصفرًا متغيرًا ذابلًا بعدما رأيتَه أخضر ناضرًا ، ثُمَّ يصير من اليبس هَشِيمًا متكسرًا ، ففيه تشبيه جميع ما في الدُّنيا من السنين الكثيرة بمدة نبات غيث واحد يفنى ويضمحل ويتلاشى في أقل من سنة .

إشارة إلى سرعة زوالها وقرب فنائها ، وبعد ما بين جَلِّ وَعَلَا حقارة الدُّنيا وسرعة زوالها ترهيدًا فيها ، وتنفيراً وتحذيراً من الانهماك في طلبها أشار إلى فخامة شأن الآخرة وفضاعة ما فيها من الآلام وعظم ما فيها من اللذات ترهيبًا من عذابها الأليم ، وترغيبًا في تحصيل النعيم المُقيم والعيش السليم ممَّا لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .  
 وَالنَّاسُ فِيهَا قَسَمَانِ فَطَنَاءٌ قَدْ وَفَقَهُمُ اللَّهُ فَعَلِمُوا أَنَّهَا ظِلٌّ زَائِلٌ وَنَعِيمٌ حَائِلٌ وَأَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ، بل فهموا أنها نعم في طيها نغم ، وعرفوا أنها حياة فانية ، وأنها معبر وطريق إلى الحياة الباقية ، فرضوا مَنَها باليسير ، وقنعوا مَنَها بالقليل ، فاستراحت قُلُوبُهُمْ من همها وأحزانتها واستراحت أبدانهم من نصبها ، وعنائها ، وسلم هُئِمَّ دينهم ، وكَانُوا عِنْدَ اللَّهِ هم المحمودين ، فَلَمْ تشغلهم دنياهم عَنْ طاعة مولاهم .

جعلوا النفس الأَخِيرَ وَمَا وراءه نصب أعينهم ، وتدبروا ماذا يكون مصيرهم ، وفكروا كيف يخرجون من الدُّنيا ، وإيمانهم سالم هُئِمَّ وَمَا الَّذِي يبقى معهم مَنَها في قبورهم ، وَمَا الَّذِي يتركونه لأعدائهم في الدُّنيا ، ومن لا يغنيهم من الله شَيْئًا ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ ، ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا ﴾ ،

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ \* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ \* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ وبقى عليهم وبال ما جمعوا وما عمروا في غير طاعة الله . أدركوا كل هذا فتأهبوا للسفر الطويل وأعدوا الجواب للحساب ، وقدموا الزاد للمعاد وخير الزاد الثقوى ، فطوبى لهم خافوا فأمنوا وأحسنوا ففازوا وأفلحوا . وقال بعض العلماء يذم الدنيا ويحذر عنها .

شِعْرًا : وَلَمْ يَطْلُبْ عَلْوَ الْقَدْرِ فِيهَا  
وَأَنْ نَالَ التُّفُوسَ مِنَ الْمَعَالِي  
إِذَا بَلَغَ الْمُرَادَ عُلاً وَعِزًّا  
كَفْضِرٍ قَدْ تَهَدَّمَ حَافَتَاهُ  
أَقُولُ وَقَدْ رَأَيْتُ مُلُوكَ عَصْرِي  
آخِر : هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمِلءِ فِيهَا  
فَلَا يَغْرُرُكُمْ مَوَا مِنْ ابْتِسَامٍ  
آخِر : أَفَّ مِنَ الدُّنْيَا وَأَسْبَابِهَا  
هُمُومُهَا مَا تَنْقُضِي سَاعَةً  
آخِر : زَهَدْتُ فِي الْخَلْقِ طَرًّا بَعْدَ تَجْرِبَةٍ  
إِنِّي لَا عَجَبُ مِنْ قَوْمٍ يَتُودُّهُمْ مَوَا  
أَوْ أَنْ يَدِلُّوا لِمَخْلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ  
أَمَّا وَرَبِّكَ لَوْ دَانُوا بِمَعْرِفَةٍ  
مَنْ ذَا تَمَدُّ إِلَيْهِ الْكَفُّ فِي طَلَبِ  
آخِر : عَجِبْتُ لِمَخْلُوقٍ يُبَالِغُ فِي الثَّنَا  
وَيُنْسِي الَّذِي مِنْهُ الْغِنَى وَلَهُ الثَّنَا  
آخِر : إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا فُطِنًا  
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا  
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا

وَعَزَّ النَّفْسِ إِلَّا كُلُّ طَاغٍ  
فَلَيْسَ لِنَيْلِهَا طَيْبُ الْمَسَاغِ  
تَوَلَّى وَاضْمَحَلَّ مَعَ الْبَلَاغِ  
إِذَا صَارَ الْبِنَاءُ إِلَى الْفَرَاغِ  
أَلَا لَا يَبْغِينَ الْمُلْكَ بَاغِ  
حَذَارِ حَذَارٍ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي  
فَقَوْلِي مُضْحِكٌ وَالْفِعْلُ مُبْكِي  
كَانَتْهَا لِلْحُزْنِ مَخْلُوقَةٌ  
عَنْ مَلِكٍ فِيهَا وَلَا سُوقَةٌ  
وَمَا عَلَيَّ بِزُهْدِي فِيهِمْ دَرَكٌ  
حِرْصٌ إِلَى بُرَّةٍ مُلْكًا لِمَنْ مَلَكُوا  
وَفِي خَزَائِنِ رَبِّ الْعِزَّةِ إِشْتَرَكُوا  
لَقَدْ أَصَابُوا بِهَا الْمَرْغُوبَ لَوْ سَلَكُوا  
بِمَا عَلَيْهَا وَأَنْتَ الْمَالِكُ الْمَلِكُ  
عَلَى بَعْضِ خَلْقِ اللَّهِ يَرْجُ الدَّرَاهِمَا  
وَيَأْمُرُ مَنْ يُعْطِي وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَا  
طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا  
أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيِّ سَكْنَا  
صَالِحِ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُفْنَا

آخر : دَعِ الْحِرْصَ عَلَى الدُّنْيَا      وَفِي الْعَيْشِ فَلَا تَطْمَعِ  
 وَلَا تَجْمَعِ مِنَ الْمَالِ      فَلَا تَدْرِي لِمَنْ تَجْمَعِ  
 فَإِنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ      وَسُوءُ الظَّنِّ لَا يَنْفَعِ  
 فَقِيرٌ كُلُّ ذِي حِرْصٍ      غَنِيٌّ كُلُّ مَنْ يَفْنَعِ  
 آخر : لَا تَبْخَلَنَّ بِدُنْيَا وَهِيَ مُقْبَلَةٌ      فَلَا يَضُرُّ بِهَا التَّبَذِيرُ وَالسَّرْفُ  
 وَإِنْ تَوَلَّتْ فَأُخْرَى أَنْ تَجُودَ بِهَا      فَالشُّكْرُ مِنْهَا إِذَا مَا أَدْبَرْتَ خَلْفُ  
 آخر : إِذَا كُنْتَ ذَا مَالٍ وَلَمْ تَكْ ذَا نَدَى      فَأَنْتَ إِذَا وَالْمُقْتَرِينَ سَوَاءُ  
 آخر : وَأَخْسَرُ النَّاسِ سَعْيًا مَنْ قَضَى عُمُرًا      فِي غَيْرِ طَاعَةٍ مَنْ أَنْشَأَهُ مِنْ عَدَمِ  
 آخر : لَا تَغْتَرِبْ عَنَ وَطَنِ      تَزْدَادُ فِيهِ مِنْ تُقَى  
 رَبِّ جَاوِدٍ مَا جَدِ      مَا لَهُ شَرِيكَ يَا فَتَى  
 أَكْثَرُ هُدَيْتَ ذِكْرَهُ      تَنْلِ بِهِ الْأَجْرَ الْجَسِيمِ  
 يَوْمَ الْحِسَابِ وَالْجَزَا      تَحْظَى بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ

اللَّهُمَّ أَلْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنَا الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ  
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
 أَجْمَعِينَ .

" فَصَلِّ " : والقسم الثاني من النَّاسِ جهال عمي البصائر لم ينظروا في أمرها ولم يكشفوا سوء  
 حالها ومآلها ، برزت لهم بزنتها ففتنتهم ، فإليها أخلدوا ، وبها رضوا ، ولها اطمأنوا ، حتى  
 ألهتهم عن الله تَعَالَى ، وشغلتهم عن ذكر الله ، وطاعته ، ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ  
 هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ  
 آيَاتِنَا غَافِلُونَ \* أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

نعم إنهم نسوا الله وأهملوا حقوقه وما قدره حق قدره ، ولم يراعوا لإلتهامهم في الدنيا وتهالكهم عليهما مواجب أوامره ونواهيها حق رعايتها ، فأنساهم أنفسهم أنساهم مصالحهم وأغفلهم عن منافعها وفوائدها فصار أمرهم فرطاً فرجعوا بخسارة الدارين ، وغبنوا غبناً لا يمكن تداركه ولا يجبر كسره ، وسيرون يوم القيامة من الأهوال ما ينسيهم أرواحهم ، وجعلهم حيارى ذاهلين يوم تذهل كل مرضعة عن ما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .

وفي مثل هذا يقول أحد العلماء : اجتهدك فيما ضمن لك مع تقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس بصيرتك . أقاموا الدنيا فهدمتهم ، واغترتوا بها من دون الله فأذلتهم ، أكثروا فيها من الآمال وأحبوا طول الآجال ونسوا الموت وما بعده من الشدائد في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ .

شِعْرًا : إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ الْمَعَاصِي      وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ  
إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قُنُوعٍ      فَأَنْتَ وَمَالِكَ الدُّنْيَا سَوَاءُ

وروى الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه شمله وأتت الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت الدنيا همه جعل فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له ، فلا يمسي إلا فقيراً ولا يصبح إلا فقيراً » .

وما أقبل عبد على الله إلا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد إليه بالود والرحمة ، وكان الله بكل خير إليه أسرع . أ.هـ .

وَقَالَ فِي عِدَّةِ الصَّابِرِينَ ، وَقَدْ أَخْبَرَ ﷺ أَنَّهَا لَوْ سَاوَتْ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ

بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء وأنها أهون على الله من السخلة الميتة على أهلها .

آخر : عَجَبًا لِأَمْنِكَ وَالْحَيَاةَ قَصِيرَةً      وَبَفَقْدِ الْإِلْفِ لَا تَزَالُ تُرَوِّعُ  
أَحْلَامُ لِلَّيْلِ أَوْ كَظَلِّ زَائِلٍ      إِنَّ اللَّيْبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ  
فَتَزَوَّدَنَّ لِيَوْمِ فَفَرِّكَ دَائِبًا      أَلْغَيْرِ نَفْسِكَ لَا أَبَالِكَ تَجْمَعُ

وأن مثلها في الآخرة كمثل ما يعلق بإصبع من أدخل أصبعه في البحر وأنها ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما ولاه ، وعالم ومتعلم وأنها سجن المؤمن وجنة الكافرين .

وأمر العبد أن يكون فيها كأنه غريب أو عابر سبيل ويعد نفسه من أهل القبور وإذا أصبح فلا ينتظر المساء وإذا أمسى فلا ينتظر الصباح .

ونهى عن اتخاذ ما يرغب فيها ، ولعن عبد الدينار وعبد الدرهم ودعا عليه بالتعس والانتكاس وعدم إقالة العثرة بالانتقاش .

شِعْرًا : خَلِيلِيَّ إِنَّ الْمَالَ لَيْسَ بِنَافِعٍ      إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ يُنْفَقُ  
وَمَا خَابَ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ عَامِلٌ      لَهُ فِي التَّقَى أَوْفَى الْمَحَامِدِ سُوقُ  
وَلَا ضَاقَ فَضْلُ اللَّهِ عَن مُتَعَفِّفٍ      وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ

وأخبر أنها خضرة حلوة أي تأخذ العيون بحظرتها والقلوب بحلاوتها ، وأمر باتقائها والحذر منها كما يتقى النساء ويحذر منهن وأخبر أن الحرص عليها ، وعلى الرياسة والشرف يفسد الدين .

وأخبر أنه في الدنيا كراكب استظل تحت شجرة في يوم صائف ، ثم راح وتركها . وهذا في الحقيقة حال سكان الدنيا كلهم ، ولكن هو p شهد هذه الحال ، وعمي عنها بنو الدنيا .

ومر بهم وهم يعالجون خصًا لهم قد وهي ، فقال : « ما أرى الأمر إلا أعجل

من ذَلِكَ ، وأمر بستر على بابه فُنزِعَ . وَقَالَ : « إِنَّهُ يَذْكُرُنِي الدُّنْيَا » . وَأَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ حَقٌّ فِي سِوَى بَيْتٍ يَسْكُنُهُ ، وَثُوبٍ يُوَارِي عَوْرَتَهُ وَقَوْتٍ يَقِيمُ صِلْبَهُ .  
 وَأَخْبَرَ أَنَّ الْمَيْتَ يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعَمَلُهُ فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَقْبِي عَمَلَهُ ، وَكَانَ يَقُولُ :  
 « الزَّهْدُ فِي الدُّنْيَا يَرْيَحُ الْقَلْبَ وَالْبَدْنَ ، وَالرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا تَطِيلُ الْهَمُومَ وَالْحَزْنَ » . وَكَانَ يَقُولُ : « مَنْ جَعَلَ الْهَمُومَ كُلَّهَا هَمًّا وَاحِدًا ، كَفَاهُ اللَّهُ سَائِرَ هَمُومِهِ ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهَمُومُ فِي أَوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يَبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَّتِهَا هَلَكَ » .

وَأَخْبَرَ أَنَّ بَذْلَ الْعَبْدِ مَا فَضَلَ عَنْ حَاجَتِهِ خَيْرٌ لَهُ ، وَإِمْسَاكُهُ شَرٌّ لَهُ وَأَنَّهُ لَا يَلَامُ عَلَى الْكَفَافِ ، وَأَخْبَرَ أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِمِينَ فِيهَا فَإِنَّ أَمَامَهُمْ دَارَ النَّعِيمِ فَهُمْ لَا يَرْضُونَ بِنَعِيمِهِمْ فِي الدُّنْيَا عَوْضًا مِنْ ذَلِكَ النَّعِيمِ .

" نَصِيحَةٌ " : إِذَا اسْتَغْنَى النَّاسُ بِالدُّنْيَا ، فَاسْتَغْنَى أَنْتَ بِاللَّهِ ، وَإِذَا فَرَحُوا بِالدُّنْيَا ، فَافْرَحْ أَنْتَ بِاللَّهِ ، وَإِذَا أَنْسُوا بِأَحْبَابِهِمْ فَأَجْعَلْ أَنْسَكَ بِاللَّهِ ، وَإِذَا تَعَرَّفُوا إِلَى كِبَرَاتِهِمْ لِيُنَالُوا بِهِمُ الْعِزَّةَ وَالْكَرَامَةَ فَتَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ ، وَتَوَدَّدْ إِلَيْهِ تَنَلْ بِذَلِكَ غَايَةَ الْعِزِّ وَالرَّفْعَةَ وَالْكَرَامَةَ .

وَفِي حَدِيثٍ مَنَاجَاةَ مُوسَى : وَلَا تَعْجَبْنِكَمَا زِينَتُهُ وَلَا مَا مَتَعَ بِهِ وَلَا تَمْدَانَ إِلَى ذَلِكَ أَعْيُنِكَمَا ، فَإِنَّهَا زَهْرَةُ الدُّنْيَا ، وَزِينَةُ الْمُتَرَفِّينَ وَإِنِّي لَوْ شِئْتُ أَنْ أَزِينَكُمَا مِنَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ يَعْلَمُ فَرَعُونَ حِينَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا أَنَّ مَقْدَرَتَهُ تَعْجِزُ عَنْ مِثْلِ مَا أُوتِيْتُمَا فَعَلْتُ .

وَلَكِنْ أَرِغْبُ بِكَمَا عَنْ نَعِيمِهَا ذَلِكَ ، وَأَزْوِيهِ عَنْكُمَا ، وَكَذَلِكَ أَفْعَلُ بِأَوْلِيَائِي ، وَقَدِيمًا مَا أَخْرَتْ هُمُومِي فِي ذَلِكَ فَإِنِّي لِأَذُودِهِمْ عَنْ نَعِيمِهَا وَرِخَائِهَا كَمَا يَذُودُ الرَّاعِي الشَّفِيقُ غَنَمَهُ عَنْ مَرَاعِي الْهَلَكَةِ وَإِنِّي لِأَجْنِبُهُمْ سَلُوتَهَا ،



وعيشها كما يذود الراعي الشفيق إبله عن مبارك العزة .  
وما ذلك لهوانهم عليّ ، ولكن ليستكملوا مصيبتهم من كرامتي سالماً موفراً لم تكلمه الدنيا  
ولم يطغه الهوى .

واعلم أنه لم يتزين لي العباد بزينة هي أبلغ من الزهد في الدنيا فإنها زينة المتقين عليهم  
منها لباس يعرفون به من السكينة ، والخشوع سيماهم في وجوههم من أثر السجود .

أولئك أوليائي حقاً فإذا لقيتهم فاحفض لهم جناحك ، وذل هم قلبك ولسانك . وقال  
الحواريون : يا عيسى من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟

قال : الذين نظروا إلى باطن الدنيا ، حين نظر النفس إلى عاجلها فأماتوا منها ما يخشون  
أن يميتهم ، وتركوا ما علموا أن سيتركهم ، فصار استكثارهم منها استقلالاً ، وذكرهم  
إياها فواتاً ، وما عارضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه .

خلقت الدنيا عندهم فليسوا يجدونها ، وخرت بينهم فليسوا يعمرونها ، وماتت في  
صدورهم ، فليسوا يحيونها ، يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ، ويبيعونها ، فيشترون بها ما يبقى  
لهم .

رفضوها فكأنوا بها هم الفرحين ، ونظروا إلى أهلها صرعى قد حلت بهم المثالات ، فأحيوا  
ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة .

يجبون لله ، ويجبون ذكره ، ويستضيئون بنوره ، ويضيئون به هم خير عجيب وعندهم الخبر  
العجيب ، بهم قام الكتاب ، وبه قاموا وبهم نطق الكتاب ، وبه نطقوا ، وبهم علم  
الكتاب ، وبه عملوا ليسوا يرون نائلاً مع ما نالوا ، ولا أماناً دون ما يرجون ، ولا خوفاً  
دون ما يحذرون .

وَقَالَ : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، اجْعَلُوا بَيْوتَكُمْ كَمَنَازِلِ الْأَضْيَافِ فَمَا لَكُمْ فِي الْعَالَمِ مِنْ مَنْزِلٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ .

وَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْحَوَارِيِّينَ أَيُّكُمْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْنِيَ فَوْقَ مَوْجِ الْبَحْرِ دَارًا . قَالُوا : يَا رُوحَ اللَّهِ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : إِيَّاكُمْ وَالْدُّنْيَا فَلَا تَتَّخِذُوهَا قَرَارًا .

وَقَالَ : حَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ ، وَمَرَارَةُ الدُّنْيَا ، حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ .

وَقَالَ : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ تَهَانُونًا بِالْدُّنْيَا تَهَنُّ عَلَيْكُمْ ، وَأَهِينُونَ الدُّنْيَا تَكْرُمُ عَلَيْكُمْ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَكْرُمُوا الدُّنْيَا تَهَنُّ عَلَيْكُمْ الْآخِرَةَ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِأَهْلٍ لِلْكَرَامَةِ ، وَكُلُّ يَوْمٍ تَدْعُوا إِلَى الْفِتْنَةِ وَالْخَسَارَةِ .

قَالُوا : وَقَدْ تَوَاتَرَ عَنِ السَّلَفِ أَنْ حُبَّ الدُّنْيَا رَأْسُ الْخَطَايَا ، وَأَصْلُهَا وَقِيلَ : إِنْ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : رَأْسُ الْخَطِيئَةِ حُبُّ الدُّنْيَا ، وَالنِّسَاءُ حِبَالَةُ الشَّيْطَانِ ، وَالْخَمْرُ جَمَاعُ كُلِّ شَرٍّ .

شِعْرًا : النَّارُ آخِرُ دِينَارٍ نَطَقْتَ بِهِ  
وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ وَرِعًا  
شِعْرًا : قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَأَظْلَمَ لَيْلِي إِذَا أَضَاءَ شَهَابُهَا  
عَلَى الرَّغْمِ مِنِّي حِينَ طَارَ غُرَابُهَا  
وَمَاوَاكٍ مِنْ كُلِّ الدِّيَارِ خَرَابُهَا  
طَلَائِعُ شَيْبٍ لَيْسَ يُغْنِي خَضَابُهَا  
تَنْغَصَّ مِنْ أَيَّامِهِ مُسْتَطَابُهَا  
وَقَدْ فَنِيَتْ نَفْسٌ تَوَلَّى شَبَابُهَا  
حَرَامٌ عَلَى نَفْسِ التَّقِيِّ ارْتِكَابُهَا  
كَمِثْلِ زَكَاةِ الْمَالِ تَمَّ نَصَابُهَا

خَبَتْ نَارُ نَفْسِي بِاشْتِعَالِ مَفَارِقِي  
أَيَا بَوْمَةٍ قَدْ عَشَشَتْ فَوْقَ هَامَتِي  
رَأَيْتِ خَرَابَ الْعُمْرِ مِنِّي فَزُرْتِي  
أَنْنَعَمَ عَيْشًا بَعْدَ مَا حَلَّ عَارِضِي  
إِذَا اصْفَرَ لَوْنُ الْمَرْءِ وَابْيَضَّ شَعْرُهُ  
وَعِزَّةُ عُمَرِ الْمَرْءِ قَبْلَ مَشِيئِهِ  
فَدَعُ عَنْكَ سَوَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا  
وَأَدَّ زَكَاةَ الْجَاهِ وَأَعْلَمَ بِأَنَّهَا

وَأَحْسَنَ إِلَى الْأَحْرَارِ تَمْلِكُ رِقَابَهُمْ  
 وَلَا تَمْشِينَ فِي مَنْكِبِ الْأَرْضِ فَاحِرًا  
 وَمَنْ يَذُقِ الدُّنْيَا فَإِنِّي طَعَمْتُهَا  
 فَلَمْ أَرَهَا إِلَّا غُرُورًا وَبَاطِلًا  
 وَمَا هِيَ إِلَّا جِيفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ  
 فَإِنْ تَجْتَنِبَهَا كُنْتَ سَلْمًا لِأَهْلِهَا  
 إِذَا انْسَدَّ بَابٌ عَنْكَ مِنْ دُونِ حَاجَةٍ  
 فَإِنَّ قُرَابَ الْبَطْنِ يَكْفِيكَ مَلُؤُهُ  
 فَطُوبَى لِنَفْسٍ أَوْطَأَتْ قَعْرَ بَيْتِهَا  
 فَيَا رَبِّ هَبْ لِي تَوْبَةً قَبْلَ مَهْلِكِ  
 فَمَا تَخْرَبُ الدُّنْيَا بِمَوْتِ شِرَارِهَا  
 فَخَيْرُ تَجَارَاتِ الرِّجَالِ اكْتِسَابُهَا  
 فَعَمَّا قَلِيلٍ يَحْتَوِيكَ تُرَابُهَا  
 وَسِيقَ الْيَنَاءِ عَذْبُهَا وَعَذَابُهَا  
 كَمَا لَاحَ فِي ظَهْرِ الْفَلَاةِ سَرَابُهَا  
 عَلَيْهَا كِلَابٌ هَمُّهُنَّ اجْتِنَابُهَا  
 وَإِنْ تَجْتَنِبَهَا نَارَعَتَكَ كِلَابُهَا  
 فَدَعَهَا لِأُخْرَى يَنْفَتِحُ لَكَ بَابُهَا  
 وَيَكْفِيكَ سَوَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا  
 مُغْلَقَةَ الْأَبْوَابِ مُرَخًى حِجَابُهَا  
 أَبَادِرُهَا مِنْ قَبْلِ إِغْلَاقِ بَابِهَا  
 وَلَكِنْ بِمَوْتِ الْأَكْرَمِينَ خَرَابُهَا

اللَّهُمَّ ثبتنا على قولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، اللهم وأيدنا بنصرك وأرزقنا من فضلك ونجنا من عذابك يوم تبعث عبادك ، اللهم اسلك بنا مسلك الصادقين الأبرار ، وألحقنا بعبادك المصطفين الأخيار ، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

### " فَصْلٌ "

وعن سفيان قَالَ : كَانَ عيسى بن مريم يَقُولُ : حُب الدُّنْيَا أَصْلُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَالْمَالُ فِيهِ دَاءٌ كَثِيرٌ ، قَالُوا : وَمَا دَوَاؤُهُ قَالَ : لَا يَسْلَمُ مِنَ الْفَخْرِ وَالْخِيَلَاءِ . قَالُوا : فَإِنَّ سَلْمًا ؟ قَالَ : يَشْغَلُهُ إِصْلَاحُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قَالُوا : وَذَلِكَ مَعْلُومٌ بِالتَّجْرِبَةِ وَالْمَشَاهِدَةِ ، فَإِنْ حَبَّهَا يَدْعُوا إِلَى خَطِيئَةٍ ظَاهِرَةٍ وَبَاطِنَةٍ ، وَلَا سِوَا خَطِيئَةٍ يَتَوَقَّفُ تَحْصِيلُهَا عَلَيْهَا ، فَيَسْكُرُ عَاشِقُهَا حَبَّهَا

عن علمه بتلك الخطيئة ، وقبحها وعن كراهتها واجتنابها .  
 وحبها يوقع في الشبهات ، ثم في المكروهات ، ثم في المحرمات ، وطالما أوقع في الكفر ،  
 بل جميع الأمم المكذوبة لأنبيائهم إنما حملهم على كفرهم وهلاكهم حب الدنيا ، فإن  
 الرسل لما نهومهم عن الشرك والمعاصي التي كانوا يكتسبون بها الدنيا ، حملهم حبها على  
 مخالفتهم وتكذيبهم .

فكل خطيئة في العالم أصلها حب الدنيا ، ولا تنس خطيئة الأبوين قديماً ، فإنما كان  
 سببها حب الخلود في الدنيا ، ولا تنس ذنب إبليس وسببه حب الرياسة ، التي محبتها شر  
 من محبة الدنيا .

وبسببها كفر فرعون وهامان وجنودهما ، وأبو جهل وقومه ، واليهود ، فحب الدنيا  
 والرياسة هو الذي عمّر النار بأهلها .

والزهد في الدنيا والزهد في الرياسة هو الذي عمّر الجنة بأهلها .

والسكر بحب الدنيا أعظم من السكر بشرب الخمر بكثير ، وصاحب هذا السكر لا  
 يفريق منه ، إلا في ظلمة اللحد ، ولو انكشف عنه غطاؤه في الدنيا لعلم ما كان فيه من  
 السكر ، وأنه أشد من سكر الخمر والدنيا تسحر العقول أعظم سحر .

قال الإمام أحمد : حدثنا سيار حدثنا جعفر قال سمعت مالك بن دينار يقول : اتقوا  
 السحارة ، اتقوا السحارة ، فإنها تسحر قلوب العلماء .

شِعْرًا : أَهْلُ الْمَنَاصِبِ فِي الدُّنْيَا وَرَفَعَتِهَا      أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَرْدُولُونَ عِنْدَهُمْ  
 قَدْ أَنْزَلُونَ لَأَنَّا غَيْرَ جِنْسِهِمْ      مَنَازِلَ الْوَحْشِ فِي الْإِهْمَالِ بَيْنَهُمْ  
 فَمَا لَهُمْ فِي تَوْقِي ضُرِّنَا نَظْرٌ      وَمَا لَهُمْ فِي تَرْقِي قَدْرِنَا هَمٌّ  
 فَلَيْتَنَّا لَوْ قَدَرْنَا أَنْ نَعْرِفَهُمْ      مَقْدَارَهُمْ عِنْدَنَا أَوْ لَوْ دَرَوَهُ هُمُومًا  
 لَهُمْ مُرِيحَانٍ مِنْ جَهْلٍ وَفَرَطٍ عَنِّي      وَعِنْدَنَا النَّافِعَانِ الْعِلْمُ وَالْهَمُّ

آخر : رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ مَالُوا إِلَى مَنْ عِنْدَهُ مَالٌ  
وَمَنْ لَا عِنْدَهُ مَالٌ فَعَنَهُ النَّاسُ قَدْ مَالُوا

والله أعلم . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

" فَصْلٌ " : وأقل ما في حبها أنه يلهي عن حب الله ، وذكره ، ومن ألهاه ماله عن ذكر الله فهو من الخاسرين ، قالوا : وإنما كان حب الدنيا رأس الخطايا ومفسداً للدين من وجوه ، أحدها أنه يقتضي تعظيمها وهي حقيرة عند الله .

ومن أكبر الذنوب تعظيم ما حقره الله ، وثانيها : أن الله لعنهما ، ومقتها ، وأبغضها إلا ما كان له فيها ، ومن أحب ما لعنه الله ، ومقته وأبغضه ، فقد تعرض للفتنة ، ومقته وغضبه .

وثالثها : أنه إذا أحبها صيرها غايته ، وتوسل إليها بالأعمال التي جعلها الله وسائل إليه ، وإلى الدار الآخرة ، فعكس الأمر وقلب الحكمة فانتكس قلبه ، وانعكس سيره إلى وراء .  
فها هنا أمران : أحدهما جعل الوسيلة غاية ، والثاني التوسل بأعمال الآخرة إلى الدنيا ، وهذا شر معكوس من كل وجه ، وقلب منكوس غاية الانتكاس .

وهذا هو الذي ينطبق عليه حدو القذة بالقذة قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وقوله : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ ، وقوله : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ

الآخِرَةَ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ . ❁

شِعْرًا : أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا لَنَا عِبْرَةً      فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ  
قَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى ذَمِّهَا      وَمَا أَرَى مِنْهُمْ لَهَا تَارِكًا  
آخِر : وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِي الْمَالِ الْقِلَّةُ      وَلَنْ يَقْضِيَ الْحَاجَاتِ إِلَّا الْمُهَيِّمُنُ

فَهَذَا ثَلَاثَ آيَاتٍ يَشْبَهُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَتَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ ، وَهُوَ أَنَّ مَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتَهَا دُونَ اللَّهِ وَالِدَارِ الآخِرَةِ ، فَحِظْهُ مَا أَرَادَ ، وَهُوَ نَصِيْبِهِ ، لَيْسَ لَهُ نَصِيبٌ غَيْرِهِ .

وَالْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَطَابِقَةٌ لِذَلِكَ مَفْسُورَةٌ لَهُ ، كَحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَى مِنْ تَسْعَرِ بِحُمِّ النَّارِ ، الْغَازِي وَالْمُتَصَدِّقِ ، وَالْقَارِئِ الَّذِينَ أَرَادُوا بِذَلِكَ الدُّنْيَا وَالنَّصِيبِ وَهُوَ فِي صَاحِحِ مُسْلِمٍ .

شِعْرًا : وَمَا تَحْسُنُ الدُّنْيَا إِذَا هِيَ لَمْ تَعْنِ      بِآخِرَةِ حَسَنَاءَ يَبْقَى نَعِيمُهَا  
آخِر : غَدًا تُؤَفَّى النَّفُوسُ مَا كَسَبَتْ      وَيَخْصُدُ الزَّارِعُونَ مَا زَرَعُوا  
إِنْ أَحْسَنُوا أَحْسَنُوا لِأَنْفُسِهِمْ      وَإِنْ أَسَاءُوا فَبِئْسَ مَا صَنَعُوا

فَالْعَاقِلُ مَنْ اسْتَعْمَلَ الدُّنْيَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَجَعَلَهَا مَطِيَّةً لِلآخِرَةِ .

شِعْرًا : لِمَنْ تَطَلَّبِ الدُّنْيَا لَمْ تُرَدِّ بِهَا      رِضَا الْمَلِكِ الْقُدُوسِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ

وَفِي سَنَنِ النَّسَائِيِّ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : رَجُلٌ غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ ، مَا لَهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا شَيْءَ لَهُ » . فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا شَيْءَ لَهُ » . ثُمَّ قَالَ : « إِنْ اللَّهُ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا وَابْتِغَى بِهِ وَجْهَهُ » .

فَهَذَا قَدْ بَطَلَ أَجْرَهُ وَحَبِطَ عَمَلُهُ مَعَ أَنَّهُ قَصَدَ حَصُولَ الْأَجْرِ لِمَا ضَمَّ إِلَيْهِ

قصد الذكر بين النَّاسِ فَلَمْ يَخْلُصْ عَمَلُهُ فَبَطَلَ كَلِمُهُ ، قَالَ : ورابعها : أن محبتها تعترض بين العبد ، وبين فعل ما يعود عليه نفعه في الآخرة ، لاشتغاله عنه بمحبوبه والنَّاسِ ها هنا مراتب .

فَمِنْهُمْ من يشغله محبوبه عن الإيمان ، وشرائعه .

وَمِنْهُمْ من يشغله عن الواجبات التي تجب عليه لله ولخالقه فلا يقوم بها ظاهراً ولا باطناً .

وَمِنْهُمْ من يشغله حبها عن كثير من الواجبات .

وَمِنْهُمْ من يشغله عن واجب يعارض تحصيلها وإن قام بغيره .

وَمِنْهُمْ من يشغله عن القيام بالواجب في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي فيفطر في وقته وفي حقوقه .

وَمِنْهُمْ من يشغله عن عبوديته قلبه في الواجب ، وتفريغه لله عند أدائه ، فيؤذيه ظاهراً لا باطناً ، وأين هذا من عشاق الدنيا ومحبيها هذا من أنذرهم ، وأقل درجات حبها أن يشغل عن سعادة العبد وهو تفرغ القلب لحب الله ، ولسانه لذكره وجمع قلبه على لسانه وجمع لسانه وقلبه على ربه ، فعشقتها ومحبتها تضر بالآخرة ، ولا بد ، كما أن محبة الآخرة تضر بالدنيا .

وخامسها : أن محبتها تجعلها أكثرهم العبد .

وسادسها : أن محبتها أشد النَّاسِ عذاباً بها ، وهو معذب في دوره الثلاث ، يعذب في الدنيا بتحصيلها ، وفي السعي فيها ومنازعة أهلها وفي دار البرزخ أي في القبر بفواتها ، والحسرة عليها ، وكونه قد حيل بينه وبين محبوبه على وجه لا يرجو اجتماعه به أبداً ولم يحصل له هناك محبوب يعوضه عنه .

فَهَذَا أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا فِي قَبْرِهِ ، يَعْمَلُ الْهَمَّ ، وَالْغَمَّ ، وَالْحُزْنَ وَالْحَسْرَةَ ، فِي رُوحِهِ مَا تَعْمَلُ  
الديدان وهوام الأرض في جسمه .

وسابعتها : أن عاشقها ومحبتها الَّذِي يُوَثِّرُهَا عَلَى الْآخِرَةِ مِنْ أَسْفَهِ الْخَلْقِ وَأَقْلَهُمْ عَقْلًا ، إِذْ  
آثَرَ الْخِيَالَ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَالْمَنَامَ عَلَى الْيَقِظَةِ وَالظِّلَّ الزَّائِلَ عَلَى النَّعِيمِ الدَّائِمِ وَالدارَ الْفَانِيَةَ  
عَلَى الدَّارِ الْبَاقِيَةِ إِنْ اللَّيْبُ بِمِثْلِهَا لَا يَخْدَعُ .

ثُمَّ عَقَّدَ فَصْلًا وَذَكَرَ فِيهِ أَمْثَلَةً تَبِينُ حَقِيقَةَ الدُّنْيَا : الْمَثَالَ الْأَوَّلُ : لِلْعَبْدِ ثَلَاثَةٌ أَحْوَالٌ ،  
حَالَةٌ لَمْ يَكُنْ فِيهَا شَيْئًا ، وَهِيَ مَا قَبْلَ أَنْ يُوَجَدَ ، وَحَالَةٌ أُخْرَى وَهِيَ مِنْ سَاعَةِ مَوْتِهِ ، إِلَى  
مَا لَا نَهَايَةَ لَهُ فِي الْبَقَاءِ السَّرْمَدِيِّ فَلِنَفْسِهِ وَجُودٌ بَعْدَ خُرُوجِهَا مِنَ الْبَدَنِ ، إِمَّا فِي الْجَنَّةِ وَإِمَّا  
فِي النَّارِ .

ثُمَّ تَعَادَ إِلَى بَدَنِهِ ، فَيَجَازِي بِعَمَلِهِ ، وَيَسْكُنُ إِحْدَى الدَّارَيْنِ فِي خُلُودِ دَائِمٍ بَيْنَ هَاتَيْنِ  
الْحَالَتَيْنِ وَهِيَ مَا بَعْدَ وَجُودِهِ وَمَا قَبْلَ مَوْتِهِ حَالَةٌ مَتَوَسِّطَةٌ ، وَهِيَ لِأَيَّامِ حَيَاتِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى  
مِقْدَارِ زَمَانِهَا ، وَيَنْسِبْهُ إِلَى الْحَالَتَيْنِ ، يَعْلَمُ أَنََّّهُ أَقَلُّ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ فِي مِقْدَارِ عُمُرِ الدُّنْيَا .

وَمَنْ رَأَى الدُّنْيَا بِهَذِهِ الْعَيْنِ لَمْ يَرْكُنْ إِلَيْهَا ، وَلَمْ يَبَالِ كَيْفَ تَقْضَتْ أَيَّامُهُ فِيهَا فِي ضَرِّ وَضِيقِ  
أَوْ فِي سَعَةِ وَرَفَاهِيَةِ وَلِهَذَا لَمْ يَضَعْ النَّبِيُّ ﷺ لَبْنَةَ عَلَى لَبْنَةٍ وَلَا قِصْبَةَ عَلَى قِصْبَةٍ ، وَقَالَ : «  
مَا لِي وَلِلدُّنْيَا ، إِثْمًا مِثْلِي وَمِثْلُ الدُّنْيَا كِرَاكِبٌ قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا » .

وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الْمَسِيحُ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ فَاعْبُرُوهَا وَلَا تَعْمُرُوهَا . وَهُوَ مِثْلُ  
صَحِيحٍ فَإِنَّ الْحَيَاةَ مَعْبَرٌ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَالْمَهْدُ هُوَ الرُّكْنُ الْأَوَّلُ ، عَلَى أَوَّلِ الْقَنْطَرَةِ ، وَاللَّحْدُ  
هُوَ الرُّكْنُ الثَّانِي عَلَى آخِرِهَا .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ قَطَعَ نِصْفَ الْقَنْطَرَةِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ قَطَعَ ثَلَاثِيهَا ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَبْقَ لَهُ إِلَّا خَطْوَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَهُوَ



غَافِلٍ عَنْهَا وَكَيْفَمَا كَانَ فَلَا بُدَّ مِنْ الْعُبُورِ ، فَمَنْ وَقَفَ بَيْنِي عَلَى الْقَنْطَرَةِ ، وَيَزِينُهَا بِأَصْنَافِ الزَّيْنَةِ ، وَهُوَ يَسْتَحِثُّ عَلَى الْعُبُورِ فَهُوَ فِي غَايَةِ الْجَهْلِ وَالْحَمَقِ . المثل الثاني : شهوات الدُّنْيَا فِي الْقَلْبِ كَشَهَوَاتِ الْأَطْعَمَةِ فِي الْمَعْدَةِ ، وَسَوْفَ يَجِدُ الْعَبْدَ عِنْدَ الْمَوْتِ لَشَهَوَاتِ الدُّنْيَا فِي قَلْبِهِ مِنَ الْكِرَاهَةِ وَالنَّتَنِ وَالقَبْحِ مَا يَجِدُهُ لِلْأَطْعَمَةِ اللَّذِيذَةِ إِذَا انْتَهَتْ فِي الْمَعْدَةِ ، غَايَتِهَا ، وَكَمَا أَنَّ الْأَطْعَمَةَ كُلَّمَا كَانَتْ أَلَذَّ طَعْمًا وَأَكْثَرَ دَسْمًا وَأَكْثَرَ حَلَاوَةً كَانَ رَجِيْعَهَا أَقْدَرُ ، فَكَذَلِكَ كُلِّ شَهْوَةٍ كَانَتْ فِي النَّفْسِ أَلَذَّ وَأَقْوَى فَالتَّأْذِي بِهَا عِنْدَ الْمَوْتِ أَشَدَّ ، كَمَا أَنَّ تَفْجِعَ الْإِنْسَانَ بِمَحْبُوبِهِ إِذَا فَقَدَهُ يَقْوَى بِقَدْرِ مَحَبَّةِ الْمَحْبُوبِ .

شِعْرًا : طَالِبُ الدُّنْيَا بِحِرْصٍ وَعَجَلٍ  
نَحْنُ فِيهَا مِثْلُ رَكْبٍ نَازِلٍ  
إِنَّمَا الدُّنْيَا كَطَلٍّ مُتَقَلِّبٍ  
لِمَقِيلٍ كُلَّمَا حَلَّ ارْتَحَلٍ  
شِعْرًا : قَالَ بَعْضُهُمْ يَخَاطَبُ نَفْسَهُ :

إِلَى مَ أَرَى يَا قَلْبُ مِنْكَ التَّرَاخِيَا  
وَأَخْبَرَ عَنْ قُرْبِ الرَّحِيلِ نَصِيحَةً  
وَعُضَّ عَلَى مَا فَاتَ مِنْكَ أَنَامِلًا  
فَكَمْ مَرَّةً وَافَقْتَ نَفْسًا مَرِيدَةً  
وَكَمْ مَرَّةً أَحَدْتَتْ بِدَعَا لَشَهْوَةٍ  
وَكَمْ مَرَّةً أَمَرَ الْإِلَهَ نَبَذْتَهُ  
وَكَمْ مَرَّةً قَدْ خُضْتَ بِحَرَ غَوَايَةِ  
وَكَمْ مَرَّةً بِرَّ الْإِلَهَ غَمَضْتَهُ  
وَلَا زِلْتَ بِالدُّنْيَا حَرِيصًا وَمَوْلَعًا  
فَمَا لَكَ فِي بَيْتِ الْبَلَاءِ إِذْ نَزَلْتَهُ  
فَتَسْأَلُ عَنْ رَبِّ وَدِينِ مُحَمَّدٍ  
وَيَأْتِيكَ مِنْ نَارِ سَمُومِ أَلِيمَةِ  
وَقَدْ حَلَّ وَخَطَّ الشَّيْبُ بِالرَّأْسِ ثَاوِيَا  
فَدُونِكَ طَاعَاتٍ وَحَلَّ الْمَسَاوِيَا  
وَفَجَّرَ مِنَ الْعَيْنِ الدُّمُوعَ الْهَوَامِيَا  
فَقَدْ حَمَلْتَ شَرًّا عَلَيَّكَ الرَّوَّاسِيَا  
وَعَادَرْتَ هَدْيًا مُسْتَقِيمًا تَوَانِيَا  
وَطَاوَعْتَ شَيْطَانًا عَدُوًّا مُدَاجِيَا  
وَأَسْخَطْتَ رَبًّا بِاِكْتِسَابِ الْمَعَاصِيَا  
وَقَدْ صِرْتَ فِي كُفْرَانِهِ مُتَمَادِيَا  
وَقَدْ كُنْتَ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ سَاهِيَا  
عَنْ الْأَهْلِ وَالْأَحْبَابِ وَالْمَالِ نَائِيَا  
فَإِنْ قُلْتَ هَاهُ فَادِرٍ أَنْ كُنْتَ هَاوِيَا  
وَتُبْصُرُ فِيهَا عَقْرَبًا وَأَفَاعِيَا

وَيَا لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ حَالِكَ إِذْ نُصِبَ      صِرَاطٌ وَمِيزَانٌ يُبَيِّنُ الْمَطَاوِيَا  
فَمَنْ نَاقَشَ الرَّحْمَنُ نُوقِشَ بِتَّهٍ      وَأُلْقِيَ فِي نَارٍ وَإِنْ كَانَ وَالِيَا  
هُنَالِكَ لَا تَجْزِيهِ نَفْسٌ عَنِ الرَّدَى      فَكُلُّ امْرِئٍ فِي غَمِّهِ كَانَ جَائِيَا

اللَّهُمَّ ثَبَّتْ قلوبنا على دينكواهلما ذكرك وشكرك اختم لنا بخاتمة السعادة واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا ارحم الراحمين ، اللهم انا نسالك التوبة ودوامها ، ونعوذ بك من المعصية واسبابها ، اللهم افض علينا من بحر كرمك وعونك حتى نخرج من الدنيا على السلامة من وبالها واراف بنا رافة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها ، وارحمنا من هموم الدنيا وغمومها بالروح والريحان الى الجنة ونعيمها ، ومتعنا بالنظر الى وجهك الكريم في جنات النعيم مع الذين اذنت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين الاحياء منهم والميتين برحمتك يا ارحم الراحمين . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

المثال الثالث : لها ولاهلها في اشتغالهم بنعيمها عن الآخرة وما يعقبهم من الحسرات مثل أهل الدنيا في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهد بهم الى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج لفضاء الحاجة وحذرهم الإبطاء ، وخوفهم مرور السفينة .

فتفرقوا في نواحي الجزيرة ، ففضى بعضهم حاجته وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا ، فأخذ أوسع الأماكن وألينها .

ووقف بعضهم في الجزيرة ، ينظر الى أزهارها وأنوارها العجيبة ويسمع نغمات طيورها ، ويعجبه حسن أحجارها ، ثم حدثته نفسه بفوات السفينة ، وسرعة مرورها ، وخطر ذهابها فلم يصادف إلا مكانا ضيقا فجلس فيه .

وأكب بَعْضُهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحِجَارَةِ الْمُسْتَحْسَنَةِ ، وَالْأَزْهَارِ الْفَائِقَةِ فَحَمَلَ مِنْهَا حَمْلَهُ فَلَمَّا جَاءَ لَمْ يَجِدْ فِي السَّفِينَةِ إِلَّا مَكَانًا ضَيِّقًا ، وَزَادَهُ حَمْلُهُ ضَيِّقًا ، فَصَارَ مَحْمُولَهُ ثِقَلًا عَلَيْهِ ، وَوَبَالَأَ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى نَبْذِهِ بَلْ لَمْ يَجِدْ مِنْ حَمْلِهِ بَدَأًا وَلَمْ يَجِدْ لَهُ فِي السَّفِينَةِ مَوْضِعًا ، فَحَمَلَهُ عَلَى عُنُقِهِ وَنَدِمَ عَلَى أَخْذِهِ ، فَلَمْ تَنْفَعِهِ النَّدَامَةُ ، ثُمَّ ذَبَلَتِ الْأَزْهَارُ ، وَتَغَيَّرَتْ أَرْيَاحُهَا وَأَذَاهُ نَتْنُهَا .

وَتَوَلَّجَ بَعْضُهُمْ فِي تِلْكَ الْغِيَاضِ ، وَنَسِيَ السَّفِينَةَ ، وَأَبْعَدَ فِي نَزْهَتِهِ ، حَتَّى إِنْ الْمَلِاحُ نَادَى بِالنَّاسِ ، عِنْدَ دَفْعِ السَّفِينَةِ ، فَلَمْ يَبْلُغْهُ صَوْتُهُ ، لِاشْتِغَالِهِ بِمَلَاهِيهِ ، فَهُوَ تَارَّةٌ يَتَنَاوَلُ مِنَ الثَّمْرِ وَتَارَّةٌ يَشْمُ تِلْكَ الْأَزْهَارِ وَتَارَّةٌ يَعْجَبُ مِنْ حَسَنِ الْأَشْجَارِ .

وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ خَائِفٌ مِنْ سَبْعٍ يَخْرُجُ عَلَيْهِ ، غَيْرِ مَنْفَكٍ مِنْ شَوْكٍ يَتَشَبَثُ فِي ثِيَابِهِ ، وَيَدْخُلُ فِي قَدَمِيهِ أَوْ غَصْنٍ يَجْرَحُ بَدَنَهُ أَوْ عَوْسَجٍ يَخْرُقُ ثِيَابَهُ ، وَيَهْتِكُ عَوْرَتَهُ ، أَوْ صَوْتِ هَائِلٍ يَفْزَعُهُ .

ثُمَّ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ لَحِقَ بِالسَّفِينَةِ ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهَا مَوْضِعٌ ، فَمَاتَ عَلَى السَّاحِلِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ شَغَلَهُ لُحُوهُ ، فَافْتَرَسَتْهُ السَّبَاعُ وَنَهَشَتْهُ الْحَيَاتُ وَمِنْهُمْ مَنْ تَاهَ فَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى هَلَكَ ، فَهَذَا مِثَالُ أَهْلِ الدُّنْيَا فِي اشْتِغَالِهِمْ بِحُظُوظِهِمْ الْعَاجِلَةِ ، وَنَسْيَانِهِمْ مَوْرَدَهُمْ وَعَاقِبَةَ أَمْرِهِمْ ، وَمَا أَقْبَحَ بِالْعَاقِلِ أَنْ تَغْرَهُ أَحْجَارَ وَنَبَاتٍ يَصِيرُ هَشِيمًا .

المثال الرابع : لاغترار النَّاسِ بِالدُّنْيَا ، وَضَعْفُ إِيمَانِهِمْ بِالْآخِرَةِ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : « إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُكُمْ وَمِثْلُ الدُّنْيَا كَمِثْلِ قَوْمٍ سَلَكُوا مَفَازَةَ غِبْرَاءَ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْرُوا مَا سَلَكُوا مِنْهَا أَكْثَرَ أَمْ مَا بَقِيَ ، أَنْفَذُوا الزَّادَ ، وَحَسَرُوا الظُّهْرَ ، وَبَقُوا بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمَفَازَةِ ، لَا زَادَ وَلَا حَمُولَةَ ، فَأَيَقِنُوا بِالْهَلَكَةِ .

فبينما هم كذلك ، إذ خرَّجَ عَلَيْهِمْ رجل في حلية يقطر رأسه ، فَقَالُوا : إن هَذَا قريب عهد بريف ، وَمَا جَاءَكُمْ هَذَا إِلَّا من قريب ، فَلَمَّا انتهى إِلَيْهِمْ ، قَالَ : يَا هؤُلاءِ علام أنتم ؟ قَالُوا : على مَا تَرَى . قَالَ : أرايتم إن هديتكم على ماء رواء ورياض خضر مَا تجعلون لي ؟

قَالُوا : لا نعصيك شَيْئًا . قَالَ : عهدكم وموآثيقكم بِاللَّهِ . قَالَ : فأعطوه عهدهم وموآثيقهم بِاللَّهِ لا يعصونه شَيْئًا . قَالَ : فأوردهم ماء ورياضًا خضرًا قَالَ : فمكث مَا شاءَ الله .

ثُمَّ قَالَ : يَا هؤُلاءِ الرحيل ، قَالُوا إلى أين ، قَالَ إلى ماء لَيْسَ كمائكم ورياض لَيْسَتْ كرياضكم ، قَالَ : فَقَالَ جل القوم ، وهم أكثرهم : وَاللَّهِ مَا وَجَدْنَا هَذَا حَتَّى ظننا أن لن نجده ، وَمَا تصنع بعيش هُوَ خَيْرٌ من هَذَا ؟

شِعْرًا : عَلَى الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا السَّلَامُ إِذَا مَلَكَتْ خَزَائِنَهَا اللُّثَامُ  
قَالَ : وَقَالَتْ طائفة : وهم أقلهم : ألم يعطوا هَذَا الرجل عهدكم وموآثيقكم بِاللَّهِ لا تعصونه شَيْئًا ، وقد صدقكم في أول حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره ، فراح بمن اتبعه ، وتخلف بقيتهم ، فبادرهم عَدُوَّهُمْ ، فأصبحوا بين أسير وقتيل .

شِعْرًا : إِذَا عَاجَلَ الدُّنْيَا أَلَمَ بِمَفْرَحٍ فَمَنْ خَلْفَهُ فَجَعُ سَيِّئُلُوهُ آجِلُ  
وَكَانَتْ حَيَاةَ الْحَيِّ سَوْقًا إِلَى الرَّدَى وَأَيَّامُهُ دُونَ الْمَمَاتِ مَرَّاحِلُ  
وَمَا لُبُّتْ مَنْ يَغْدُو وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ لَهُ أَجَلٌ فِي مُدَّةِ الْعُمُرِ قَاتِلُ  
وَالْمَرْءُ يَوْمٌ لَا مَحَالَهَ مَا لَهُ عَدُوٌّ وَسَطَ عَامٍ مَا لَهُ الدَّهْرُ قَابِلُ  
كَفَانَا اعْتِرَافًا بِالْفَنَاءِ وَرُقْبَةً لِمَكْرُوهِهِ أَنْ لَيْسَ لِلْخُلْدِ آمِلُ

آخر : أَرَانِي بِحَمْدِ اللَّهِ فِي الْمَالِ زَاهِدًا وَفِي شَرَفِ الدُّنْيَا وَفِي الْعِزِّ أَزْهَدًا  
تَخَلَّيْتُ عَنِ دُنْيَايَ إِلَّا ثَلَاثَةً دَفَاتِرَ مِنْ عِلْمٍ وَبَيْتًا وَمَسْجِدًا

غَيْبْتُ بِهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَوَيْتُهُ      وَكُنْتُ بِهَا أَغْنَى وَأَقْنَى وَأَسْعَدَا  
 وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ مُشْرِفٍ      يَبِيتُ مَقَرًّا بِالضَّلَالَةِ مُجْهَدَا  
 أَتَتْهُ الْمَنَايَا وَهُوَ فِي حِينِ غَفْلَةٍ      فَأَضْحَى ذَلِيلًا فِي الثَّرَابِ مُوسَّدَا

اللَّهُمَّ ثَبَّتْ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَثَبَّتْ إِيمَانِنَا وَنور بِصَائِرِنَا وَاهْدِنَا سَبِيلَ السَّلَامِ وَجَنِّبْنَا  
 الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاعْمُرْ أَوْقَاتِنَا بِتِلَاوَةِ كِتَابِكَ  
 وَأَرْزُقْنَا التَّدَبُّرَ لَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَاعْفُفْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ  
 يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " فَضْلٌ "

المثال الخامس للدنيا وأهلها ، وَمَا مَثَلُهَا بِهِ ρ كَظِلِّ شَجْرَةٍ ، وَالْمَرْءُ مُسَافِرٌ فِيهَا إِلَى اللهِ ،  
 فَاسْتِظَلَّ فِي ظِلِّ تِلْكَ الشَّجَرَةِ فِي يَوْمِ صَائِفٍ ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا .

فتأمل حسن هذا المثال ، ومطابقته للواقع سواء ، فَإِنَّهَا فِي خَضْرَتِهَا كَشَجْرَةٍ ، وَفِي سُرْعَةِ  
 انْقِضَائِهَا وَقُبُضِهَا شَيْئًا فَشَيْئًا كَالظِّلِّ وَالْعَبْدُ مُسَافِرٌ إِلَى رَبِّهِ ، وَالْمَسَافِرُ إِذَا رَأَى شَجْرَةً فِي  
 يَوْمِ صَائِفٍ لَا يَحْسُنُ بِهِ أَنْ يَبْنِي تَحْتَهَا دَارًا ، وَلَا يَتَّخِذُهَا قَرَارًا ، بَلْ يَسْتِظِلُّ بِهَا بِقَدْرِ  
 الْحَاجَةِ ، وَمَتَى زَادَ عَلَى ذَلِكَ انْقَطَعَ عَنِ الرَّفَاقِ .

المثال السادس تمثيله لها ρ بِمَدْخَلِ إِصْبَعِهِ فِي الْيَمِّ ، فَالَّذِي يَرْجِعُ بِهِ إِصْبَعَهُ مِنَ الْبَحْرِ هُوَ  
 مِثْلُ الدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخِرَةِ .

المثال السابع مَا مَثَلُهَا بِهِ ρ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفِقِ عَلَى صِحَّتِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ  
 رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ إِنَّ النَّبِيَّ ρ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ ، عَلَى الْمَنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ ، فَقَالَ : «  
 إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يَفْتَحُ عَلَيْكُمْ

من زهرة الدنيا ، وزينتها » . فَقَالَ رجل : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَوْ يَأْتِي الْخَيْرَ بِالْبَشْرِ ؟ فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ قُلْتُ ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يَأْتِي الْخَيْرَ بِالْبَشْرِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنْ الْخَيْرُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ ، وَإِنْ مِمَّا يَنْبِتُ الرِّبِيْعَ مَا يَقْتُلُ حَبْطًا أَوْ يَلْمُ إِلَّا آكِلَةَ الْخَضِرِ ، أَكَلْتُ حَتَّى إِذَا امْتَلَأَتْ خَاصِرَتَاهَا ، اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسُ فَتَلَطَّتْ وَبَالَتْ ، ثُمَّ اجْتَرَتْ فَعَادَتْ فَأَكَلْتُ . فَمَنْ أَخَذَ مَا لَمْ يَحِقُّهُ بَوْرُكٌ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخَذَ مَا لَمْ يَغْيِرْ حَقُّهُ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ » . فَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ مِمَّا يَخَافُ عَلَيْهِمُ الدُّنْيَا ، وَسَمَاهَا زَهْرَةً ، فَشَبَّهَهَا بِالزَّهْرِ ، فِي طَيْبِ رَائِحَتِهِ وَحَسَنِ مَنَظَرِهِ ، وَقِلَّةِ بَقَائِهِ .

فهذه الفقرة اليسيرة ، من جوامع كلمه ﷺ ، حوت على إيجازها بشارة الصحابة الكرام بما سيكون على أيديهم ، من فتح البلاد ، وإخضاع العباد ، وجلب الأموال الطائلة ، والغنائم الكثيرة ، وتحذيرهم من الغرور ، والركون إلى هذه الأشياء الفانية ، والأعراض الزائلة .

وضرب ﷺ مثلين حكيمين أحدهما مثل المفرط في جمع الدنيا ، والآخر مثل المقتصد فيها ، أما الأول ، فمثله مثل الربيع وذلك قوله فَإِنَّ مِمَّا يَنْبِتُ الرِّبِيْعَ مَا يَقْتُلُ حَبْطًا أَوْ يَلْمُ ، بأن يقارب الهلاك .

فهذا المطر ماء ينزله الله لإغاثة الخلق وإرواء كل ذي روح فرغم فوائده الكثيرة ومنافعه الغزيرة وما يتسبب عن ذلك من إنبات العشب والكلاء ، يأكل منه الحيوان فيكثر فينتفخ بطنه ، فيهلك أو يقارب الهلاك ، وكذلك الذي يكثر من جمع المال ، يكون عنده من الجشع والشره ، والحرص ، ما يتجاوز به الحد ، لا سيما إذا جمع المال من غير حله ، ومنع ذا الحق حقه ، فَإِنَّ لَمْ يَقْتُلْهُ قَارِبٌ أَنْ يَقْتُلْهُ .

شِعْرًا : تَوَقَّ مَصَارِعَ الْعَفَّالَاتِ وَاحْدَرُ فَلَيْسَتْ زِينَةُ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ  
وَقَصْرُكَ عَنْ هَوَاكَ فَكُلْ نَفْسٍ غَدَاةً غَدٍ بِمَا كَسَبْتَ رَهِينَةً

هِيَ الدُّنْيَا تَمْوُجُ كَمَا تَرَاهَا      بِمَا فِيهَا فَشَأْنُكَ وَالسَّفِينَةُ  
 آخِرُ : إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ غُرُورٌ      وَالْجُهُولُ الْجُهُولُ مَنْ يَصْطَفِيهَا  
 مَا مَضَى فَاتَ وَالْمُؤَمَّلُ غَيْبٌ      وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي فِيهَا  
 آخِرُ : وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا      وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُصُولِ  
 آخِرُ : وَمَنْ لَحَظَ الدُّنْيَا بِعَيْنِ حَقِيرَةٍ      فَقَدْ لَحَظَ الدُّنْيَا بِعَيْنِ الْحَقِيقَةِ

ولذلك كثير من أهل الأموال قتلتهم أموالهم فإِنَّهُمْ شرهوا في جمعها ، واحتاج إليها غيرهم ، فلم يصلوا إلى ذلك إلا بقتلهم ، أو ما يقارب ذلك من إذلالهم وقهرهم والضغط عليهم .

وأما المثال الثاني : وهو مثال المقتصد في جمع الدنيا ، الطالب لحلها ، فقد مثل له ρ بقوله : « إلا آكلة الخضر » . فكأنه قال ألا انظروا آكلة الخضر ، واعتبروا بشأنها " أكلت حتى إذا امتدت خاصرتها " وعظم جنبها ، أقلعت سريعاً " استقبلت عين الشمس " تستمرئ بذلك ما أكلت وتجتريه " فثلطت " أقلت ما في بطنها من أذى سهلاً رقيقاً .

وفي قوله : « استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت » . ثلاث فوائد أحدها أنها لما أخذت حاجتها من المرعى تركته ، وبركت مستقبله عين الشمس ، تستمرئ . الفائدة الثانية أنها عرضت عما يضرها من الشره في المرعى ، وأقبلت على ما ينفعها ، من استقبال الشمس التي يحصل لها بحرارتها إنضاج ما أكلته وإخراجه .

الثالثة : أنها استفرغت بالبول والثلط ما جمعت من المرعى في بطنها ، فاستراحت بإخراجه ولو بقي فيها لقتلها ، هكذا جامع المال مصلحته أن يفعل به كما فعلت هذه الشاة فتنبه لذلك أيها المغفل الجموع المنوع .

شِعْرًا : وَإِيَّاكَ وَالِدُنْيَا الدَّنِيَّةُ إِنَّهَا      هِيَ السَّحْرُ فِي تَخْيِيلِهِ وَافْتِرَائِهِ

مَتَاعُ غُرُورٍ لَا يَدُومُ سُرُورُهَا  
فَمَنْ أَكْرَمَتْ يَوْمًا أَهَانَتْ لَهُ غَدًا  
وَمَنْ تَسْقِيهِ كَأْسًا مِنَ الشَّهْدِ غُدُوَّةً  
وَمَنْ تَكْسُ تَاجَ الْمَلِكِ تَنْزَعُهُ عَاجِلًا  
أَلَا إِنَّهَا لِلْمَرْءِ مِنَ أَكْبَرِ الْعِدَا  
فَلَذَاتُهَا مَسْمُومَةٌ وَوَعُودُهَا  
وَكَمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ ذَمِّهَا  
فَدُونُكَ آيَاتِ الْكِتَابِ تَجِدُ بِهَا  
وَمَنْ يَكُ جَمْعُ الْمَالِ مَبْلَغَ عِلْمِهِ  
فَدَعَهَا فَإِنَّ الزُّهْدَ فِيهَا مُحْتَمٌّ  
وَمَنْ لَمْ يَذَرِهَا زَاهِدًا فِي حَيَاتِهِ  
فَسُرُّكُهُ يَوْمًا صَرِيحًا بِقَبْرِهِ  
وَيَنْسَاهُ أَهْلُوهُ الْمُفْعَدَى لَدَيْهِمْ  
وَيَنْتَهَبُ الْوَرَاثُ أَمْوَالَهُ الَّتِي  
وَتُسْكِنُهُ بَعْدَ الشَّوَاهِقِ حُفْرَةً  
يُقِيمُ بِهَا طَوْلَ الزَّمَانِ وَمَا لَهُ  
فَوَاهَا لَهَا مِنْ غُرْبَةٍ ثُمَّ كُرْبَةٍ  
وَمَنْ بَعْدَ ذَا يَوْمِ الْحِسَابِ وَهَوْلُهُ  
وَلَا تَنْسَ ذِكْرَ الْمَوْتِ فَالْمَوْتُ غَائِبٌ  
فَقَضَى اللَّهُ مَوْلَانَا عَلَى الْخَلْقِ بِالْفَنَاءِ  
فَخُذْ أُهْبَةً لِلْمَوْتِ مِنْ عَمَلِ التَّقَى  
وَإِيَّاكَ وَالْأَمَالَ فَالْعُمْرُ يَنْقُضِي  
وَحَافِظٌ عَلَى دِينِ الْهُدَى فَلَعَلَّهُ

وَأَضْغَاثُ حُلْمٍ خَادِعٍ بِبَهَائِهِ  
وَمَنْ أَضْحَكَتْ قَدْ آذَنْتْ بِبُكَائِهِ  
تُجَرِّعُهُ كَأْسَ الرَّدَى فِي مَسَائِهِ  
بِأَيْدِي الْمَنَايَا أَوْ بِأَيْدِي عَدَائِهِ  
وَيَحْسَبُهَا الْمَغْرُورُ مِنْ أَصْدِقَائِهِ  
سَرَابٌ فَمَا الظَّامِي رَوَى مِنْ عَنَائِهِ  
وَكَمْ ذَمَّهَا الْأَخْيَارُ مِنْ أَصْفِيَائِهِ  
مِنَ الْعِلْمِ مَا يَجْلُو الصِّدَا بِجَلَائِهِ  
فَمَا قَلْبُهُ إِلَّا مَرِيضًا بِدَائِهِ  
وَإِنْ لَمْ يَقُمْ جُلُّ الْوَرَى بِأَدَائِهِ  
سَتَزْهَدُ فِيهِ النَّاسُ بَعْدَ فَنَائِهِ  
رَهِينًا أَسِيرًا آيسًا مِنْ وِرَائِهِ  
وَتَكْسُوهُ ثَوْبَ الرُّخْصِ بَعْدَ غَلَائِهِ  
عَلَى جَمْعِهَا قَاسَى عَظِيمِ شَقَائِهِ  
يَضِيقُ بِهِ بَعْدَ اتِّسَاعِ فَضَائِهِ  
أَنِيْسٌ سِوَى دُودٍ سَعَى فِي حَشَائِهِ  
وَمِنْ تُرْبَةٍ تَحْوِي الْفَتَى لِبَلَائِهِ  
فَيُجْزَى بِهِ الْإِنْسَانُ أَوْ فِي جَزَائِهِ  
وَلَا بُدَّ يَوْمًا لِلْفَتَى مِنْ لِقَائِهِ  
وَلَا بُدَّ فِيهِمْ مِنْ نُفُودِ فَضَائِهِ  
لَتَغْنَمَ وَقْتَ الْعُمْرِ قَبْلَ انْقِضَائِهِ  
وَأَسْبَابُهَا مَمْدُودَةٌ مِنْ وِرَائِهِ  
يَكُونُ خِتَامَ الْعُمْرِ عِنْدَ انْتِهَائِهِ



فَدُونِكَ مِنِّي فَاسْتَمِعْهَا نَصِيحَةً      تُضَارِعُ لَوْنَ التَّبْرِ حَالَ صَفَائِهِ  
وَصَلَّى عَلَى طُولِ الزَّمَانِ مُسَلِّمًا      سَلَامًا يَفُوقُ الْمِسْكَ عَرَفَ شِدَائِهِ  
عَلَى خَاتِمِ الرُّسُلِ الْكِرَامِ مُحَمَّدٍ      وَأَصْحَابِهِ وَالْآلِ أَهْلَ كَسَائِهِ  
وَاتَّبَاعِهِمْ فِي الدِّينِ مَا اهْتَرَّ بِالرُّبَا      رِيَاضُ سَقَاهَا طَلَّهَا بِنْدَائِهِ

اللَّهُمَّ اجعل قلوبنا مملوءة بحبك وألسنتنا رطبة بذكرك ونفوسنا مطيعة لأمرِكَ وأرزقنا الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة واغفر لنا ، اللَّهُمَّ وَقَفْنَا لصالِحِ الأَعْمَالِ ، ونبجنا مِنْ جَمِيعِ الأَهْوَالِ ، وأمنا من الفزع الأكبر يوم الرجف والزلال ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والميتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" فَصْلٌ " : اعْلَمْ وَقَفْنَا اللهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ لما يحبه ويرضاه ، أن الألفة ثمرة حسن الخلق ، والتفرق ثمرة سوء الخلق ، فحسن الخلق يوجب التحاب ، والتآلف والتوافق ، وسوء الخلق يثمر التباغض ، والتحاسد ، والتدابير .

ومهما كَانَ المثمر محمودًا ، كَانَتْ الثمرة محمودة ، وحسن الخلق لا تخفى فِي الدين فضيلته ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، وَقَالَ ρ : « أَكْثَرَ مَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ تَقْوَى وَحَسَنَ الْخُلُقِ » . وَقَالَ أسامة بن شريك قلنا : يَا رَسُولَ اللهِ مَا خَيْرٌ مَا أُعْطِيَ الْإِنْسَانُ ؟ فَقَالَ : « حَسَنَ الْخُلُقِ » . وَقَالَ ρ : « بَعَثْتُ لِأَتَمِّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ » .

وَقَالَ ρ : « أَثْقَلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ خُلُقٌ حَسَنٌ » . وَقَالَ ρ : « الْمُؤْمِنُ أَلْفٌ مَأْلُوفٌ ، وَلَا خَيْرَ فِيْمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ » . وَلِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيِّ فِي آدَابِ الصُّحْبَةِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ : مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ لَهُ إِخْوَانٌ صَالِحِينَ .  
وَلِلْإِحَاءِ أَرْبَعُ خِصَالٍ : الأُولَى : العَقْلُ الْمُؤَفُّورُ الهَادِي إِلَى مَرَاشِدِ الأُمُورِ

بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِنَّ الْحَمَقَ لَا تَثَبَّتْ مَعَهُ مَوَدَّةٌ وَلَا تَدُومُ مَعَهُ صُحْبَةٌ ، لِعَدَمِ مُرَاعَاتِهِ حُقُوقِ  
الإخاءِ .

وَالْحُصْلَةُ الثَّانِيَّةُ : الدِّينِ الْوَاقِفِ بِصَاحِبِهِ عَلَى الْخَيْرَاتِ ، فَإِنَّ تَارِكَ الدِّينِ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ  
يُلقِيهَا فِي الْمَهَالِكِ ، فَكَيْفَ يُرْجَى مِنْهُ نَفْعٌ وَمَوَدَّةٌ لِعَيْرِهِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : اصْطَحَبْ مِنَ الْإِخْوَانِ صَاحِبَ الدِّينِ ، وَالْحَسَبِ ، وَالرَّأْيِ  
وَالْأَدَبِ ، فَإِنَّهُ عَوْنٌ لَكَ عِنْدَ حَاجَتِكَ ، لِأَنَّ دِينَهُ يُحْتَمُّ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ مِنْ مُفْتَضِيَاتِهِ  
وَيَدُّ عِنْدَ نَائِتِكَ ، وَذَلِكَ مِنْ مُوجِبَاتِ رَأْيِهِ ، وَحَسَبِهِ ، وَأُنْسٌ عِنْدَ وَحْشَتِكَ لِأَدَبِهِ .

وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْعَارِفِينَ : الْأَخُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنْ نَفْسِكَ ، لِأَنَّ النَّفْسَ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ ،  
وَالْأَخُ الصَّالِحُ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ .

الثَّلَاثَةُ : أَنْ يَكُونَ مَحْمُودُ الْأَخْلَاقِ ، مَرْضِي الْأَفْعَالِ ، مُؤَثِّرًا لِلْخَيْرِ ، أَمْرًا بِهِ لِخَلِيلِهِ ، كَارِهًا  
لِلشَّرِّ دِيَانَةً ، وَخُلُقًا ، نَاهِيًا عَنِ الشَّرِّ مُرُوءَةً وَحَسَبًا ، فَإِنَّ مَوَدَّةَ الشَّرِّيرِ تُكْسِبُ الْأَعْدَاءَ ،  
وَتُفْسِدُ الْأَخْلَاقَ ، وَلَا خَيْرَ فِي مَوَدَّةِ بَجَلْبُ عَدَاوَةٍ ، وَتُورِثُ مَدَمَّةً وَمَلَامَةً .

وَقَدْ ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ مَثَلَيْنِ لِلْجَلِيسِ الصَّالِحِ ، وَالْجَلِيسِ السُّوءِ ، فَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ ، وَالْجَلِيسِ السُّوءِ ،  
كَحَامِلِ الْمِسْكِ ، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ ، فَحَامِلِ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يَحْذِبَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ،  
وَإِمَّا أَنْ بَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ بَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً  
» . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

هَذَا الْحَدِيثُ يُفِيدُ أَنَّ الْجَلِيسَ الصَّالِحَ جَمِيعَ أَحْوَالِ صَدِيقِهِ مَعَهُ خَيْرٌ وَبَرَكَةٌ وَنَفْعٌ وَمَغْنَمٌ مِثْلُ  
حَامِلِ الْمِسْكِ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِمَا مَعَهُ مِنْهُ ، إِمَّا بِهَبَّةٍ ، أَوْ بِبَيْعٍ أَوْ أَقْلَ شَيْءٍ مَدَّةَ الْجُلُوسِ مَعَهُ  
، وَأَنْتَ قَرِيرِ النَّفْسِ ، مُنْشَرِحِ الصَّدْرِ ، بِرَائِحَةِ الْمِسْكِ ،

وَهَذَا تَقْرِيْبٌ ، وَتَشْبِيْهٌ لَهُ بِذَلِكَ وَإِلَّا فَمَا يَحْصُلُ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي يُصِيبُهُ الْعَبْدُ مِنْ جَلِيْسِهِ الصَّالِحِ أَبْلَغُ وَأَفْضَلُ مِنَ الْمَسْئَلِ الْأَذْفَرِ ، فَإِنَّهُ إِمَّا أَنْ يُعَلِّمَكَ أُمُورًا تَنْفَعُكَ فِي دِيْنِكَ ، وَإِمَّا أَنْ يُعَلِّمَكَ أُمُورًا تَنْفَعُكَ فِي دُنْيَاكَ ، أَوْ فِيهِمَا جَمِيْعًا ، أَوْ يَهْدِي لَكَ نَصِيْحَةً تَنْفَعُكَ مُدَّةَ حَيَاتِكَ ، وَبَعْدَ وَفَاتِكَ أَوْ يَنْهَاكَ عَمَّا فِيهِ مَضْرَبَةٌ لَكَ .

شِعْرًا : عَاشِرُ أَخَا الدِّينِ كَيْ تَحْطَى بِصُحْبَتِهِ فَالطَّبْعُ مُكْتَسَبٌ مِنْ كُلِّ مَصْحُوبٍ  
كَالرِّيْحِ آخِذَةٌ مِمَّا تَمُرُّ بِهِ نَتْنَا مِنَ النَّتْنِ أَوْ طِيْبًا مِنَ الطَّيْبِ

فَأنت معه دَائِمًا فِي مَنفَعَةٍ ، وَرِيْحِكَ مَضْمُونٌ بِإِذْنِ اللَّهِ فَتَجِدُهُ دَائِمًا يَرَى أَنَّكَ مَقْصُرٌ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَتَزِدَادُ هَمَّتِكَ فِي الطَّاعَةِ وَيَجْتَهِدُ فِي الزِّيَادَةِ مِنْهَا وَتَرَاهُ يَبْصُرُكَ بِعِيُوبِكَ وَيَدْعُوكَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِهَا بِقَوْلِهِ وَفَعَلَهُ وَحَالَهُ .

فَالْإِنْسَانُ مَجْبُولٌ عَلَى التَّلْقِيْدِ وَالِاقْتِدَاءِ بِصَاحِبِهِ ، وَجَلِيْسِهِ وَالطَّبَاعِ وَالْأَرْوَاحِ جُنُودٌ مَجْنُودَةٌ يَقُودُ بَعْضُهَا بَعْضًا إِلَى الْخَيْرِ أَوْ إِلَى الشَّرِّ وَأَقْلُ نَفْعٍ يَحْصُلُ مِنَ الْجَلِيْسِ الصَّالِحِ انْكَفَافُ الْإِنْسَانِ بِسَبَبِهِ عَنِ السَّيِّئَاتِ ، وَالْمَسَاوِي وَالْمَعَاصِي ، رِعَايَةُ لِلصَّحْبَةِ وَمَنَافَسَةٌ فِي الْخَيْرِ وَتَرْفَعًا عَنِ الشَّرِّ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

وَمَنْ مَا فَيَسْتَفَادُ مِنَ الْجَلِيْسِ الصَّالِحِ أَنَّهُ يَحْمِي عَرْضَكَ فِي مَغِيْبِكَ ، وَفِي ضَرْتِكَ يَدَافِعُ وَيَذِبُ عَنْكَ وَمَنْ ذَلِكَ أَنَّكَ تَنْتَفِعُ بِدَعَائِهِ لَكَ حَيًّا وَمَيِّتًا .

وَأَمَّا مَصَاحِبَةُ الْأَشْرَارِ فَهِيَ السَّمُّ النَّاقِعُ ، وَالْبَلَاءُ الْوَاقِعُ ، فَتَجِدُهُمْ يَشْجَعُونَ عَلَى فَعْلِ الْمَعَاصِي ، وَالْمُنْكَرَاتِ ، وَيَرْغَبُونَ فِيهَا وَيَفْتَحُونَ لِمَنْ خَالَطَهُمْ وَجَالَسَهُمْ أَبْوَابَ الشَّرِّ وَيَزِينُونَ لِمَجَالْسِيهِمْ أَنْوَاعَ الْمَعَاصِي .

شِعْرًا : وَلَا تَجْلِسْ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا فَإِنَّ خَلَائِقَ السُّفَهَاءِ تُعْدِي

وَيُحْتَوِنُهُمْ عَلَى أَذِيَةِ الْخَلْقِ ، وَيَذَكُرُونَهُمْ بِأُمُورِ الْفَسَادِ الَّتِي لَمْ تَدْرِ فِي

خلدهم ، وإن همَّ بتوبة وانزجار عن المعاصي حسنوا عنده تأجيل ذلك ، وطول الأمل ، وأن ما أنت فيه أهون من غيره ، وفي إمكانك التوبة ، والإنابة إذا كبرت في السن . وما يقلدهم به ويكسبه من طباعهم أكثر من ما ذكرنا ، وكم قادوا أصحابهم إلى المهالك . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

شِعْرًا : وَأَهْوَى مِنَ الشُّبَّانِ كُلِّ مُجِيبٍ      عَنِ اللّٰهُوَ مَقْدَامًا إِلَى كُلِّ طَاعَةٍ  
أَحْوِ عَقَّةٍ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مُحْرَمٍ      وَذُرَّ رَغْبَةً فِيمَا يَقُودُ لَجَنَّةٍ  
تَمَسَّكَ بِهِ إِنْ تَلَقَّه يَا أَحَا التُّقَى      تَمَسُّكَ ذِي بُخْلِ يَتَّبِرُ وَفِضَّةٍ  
أَحَبُّ مِنَ الإِخْوَانِ كُلِّ مُوَاتِي      وَكَلَّ غَضِيضِ الطَّرْفِ عَنْ هَفَوَاتِي  
يُوَافِقُنِ فِيمَا بِهِ اللّٰهُ رَاضِيًا      وَيَحْفَظُنِي حَيًّا وَبَعْدَ مَمَاتِي  
آخِر : وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَزِرْ بِهَا      حَيِيًّا وَلَمْ يَطْرَبْ إِلَيْكَ حَيِيْبُ

اللَّهُمَّ امنن علينا يا مولانا بتوبة تمحو بها عنا كلَّ ذنب واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

" فصل " : وكم حث ρ على أهل الدين فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ρ : « المرء على دين خليله فلينظر المرء من يخال » . قال العلماء : معناه لا تخال إلا من رضيت دينه وأمانته فإنك إذا خالته قادتك إلى دينه ، ومذهبه ، ولا تغرر بدينك ولا تخاطر بنفسك ، فتخالل من ليس مرضيًا في دينه ومذهبه .

وقال سفيان بن عيينة : وقد روي في تفسير هذا الحديث انظروا إلى فرعون معه هامان وانظروا إلى الحجاج معه يزيد بن أبي مسلم شر منه قلت : وانظروا إلى يزيد بن معاوية معه مسلم بن عقبة المري شر منه ، انظروا إلى سليمان بن عبد الملك صحبه رجاء بن حيوة الكندي أحد الأفاضل فقومه وسدده .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « تَصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا » . قَالَ الْعُلَمَاءُ : معنى الحديث لا تدعوا إلى مؤواكلتكم إلا الأتقياء ، لأن المؤاكلة تدعو إلى الأفلة ، وتوجبها ، وتجمع بين الثلُوب ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ : « فتوخ أن يكون خلطاؤك وذوو الاختصاص بك أهل التقوى » .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تَلْزَمُوا مَجَالِسَ الْعَشَائِرِ فَإِنَّهَا تَمِيتُ الْقُلُوبَ ، ولا يبالي الرجل بما تكلم ناديمهم ، وتفرقوا في العشائر فإنه أحرى أن تحفظوا في المقالة » .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : ينبغي للمؤمن أن يجانب طلاب الدنيا فَإِنَّهُمْ يدلونه على طلبها ومنعها وَذَلِكَ يبعده عن نجاته ويقضيه عنها ويجرض ويجتهد في عشرة أهل الخَيْرِ وطلاب الآخرة :

شِعْرًا : اصْحَبْ مِنَ الْإِخْوَانِ مَنْ أَخْلَصُوا	لِلَّهِ فِي أَعْمَالِهِمْ وَاتَّقُوا
وَمَنْ إِذَا تَكَاسَلَتْ فِي طَاعَةٍ	لِلَّهِ لَأُمُوكَ وَلَا قَصَّارُوا
آخِر : لَجَلَسْتِي مَعَ فَقِيهِ مُخْلِصٍ وَرِعٍ	أَنْفِي بِهَا الْجَهْلِ أَوْ أَرْدَدُ بِهَا أَدْبَا
أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا	وَمَلَّتْهَا فَضَّةٌ أَوْ مَلَّتْهَا ذَهَبًا
آخِر : وَقَارِنِ إِذَا قَارَنْتَ حُرًّا أَخَا تَقَى	فَإِنَّ الْفَتَى يُزْرِي بِهِ فَرْنَاؤُهُ
آخِر : وَمَنْ يَكُنِ الْغُرَابَ لَهُ دَلِيلًا	يَمُرُّ بِهِ عَلَى جِيفِ الْكِلَابِ
كُلُّ مَنْ لَا يُوَاحِيكَ فِي اللَّهِ	فَلَا تَرْجُ أَنْ يَدُومَ إِخَاؤُهُ
خَيْرُ حِلِّ أَفْدَتَهُ ذُو إِخَاءٍ	كَانَ لِلَّهِ وُدُّهُ وَصَفَاؤُهُ

وَقَالَ آخِر : عَلَيْكَ بصحبة أهل الخَيْرِ ممن تسلم منه في ظاهره وتعينك رؤيته على الخَيْرِ ويدرك الله .

قَالَ الْعُلَمَاءُ : قَدْ حَدَرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَجَالَسَةِ مَنْ لَا يَسْتَفِيدُ الْمَرْءَ بِهِ فَضِيلَةً ، ولا يكتسب بصحبته علمًا وأدبًا .

وعن وديعة الأنصاري قال : سمعت عُمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول وهو يعظ رجلاً : لا تتكلم فيما لا يعينك ، واعتزل عدوك ، واحذر صديقك إلا الأمين ولا أمين إلا من يخشى الله ويطيعه ، ولا تمش مع الفاجر ، فيعلمك من فجوره ، ولا تطلعه على شرك ولا تشاور في أمرك إلا الذين يخشون الله سبحانه .

ووعظ بعضهم ابنه فقال له : إياك وإخوان السوء ، فإنهم يخونون من رافقهم ، ويفسدون من صادقهم ، وقربهم أعدى من الجرب ، ورفضهم والبعد عنهم من استكمال الأدب والدين والمرء يعرف بقرينه ، قال : والإخوان اثنان فمحافظ عليك عند البلاء ، وصديق لك في الرخاء ، فاحفظ صديق البلية ، وتجنب صديق العافية فإنهم أعدى الأعداء وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

(أرى الناس إخوان الرخاء وإنما	أخوك الذي آخاك عند الشدائد )
( وكل خليل بالهؤينا ملاطف	ولكنما الإخوان عند الشدائد )
آخر : إذا حقت ودا في صديق	فزره ولا تخف منه مالا
وكن كالشمس تطلع كل يوم	ولا تك في زيارته هلالا
آخر : فما أكثر الإخوان حين تغدوهم	ولكنهم في النائبات قليل
آخر : وكل مقل حين يغدو لحاجة	إلى كل يلقى من الناس مذنب
وكان بنوا عمي يقولون مرحبا	فلما رأوني معدما مات مرحب
الناس أعوان من دامت له نعم	والويل للمرء إن زلت به قدم
لما رأيت أخلائي وخالصتي	والكل منقبض عني ومحتشم
أبدوا صدودا وإغراضا فقلت لهم	أذبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم
آخر : سمعنا بالصديق ولا نراه	على التحقيق يوجد في الأنام
آخر : فريد من الخلان في كل بلدة	إذا عظم المطلوب قل المساعد
آخر : وإني رأيت الناس إلا أقلهم	خفاف العهود يكثرون التناقلا

بَنِي أُمِّ ذِي الْمَالِ الْكَثِيرِ يَرَوْنَهُ  
وَهُمْ لِمَقَلِّ الْمَالِ أَوْلَادُ عَلَّةٍ  
آخِر : وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدِ بِالَّذِي  
وَلَكِنَّهُ النَّائِي إِذَا كُنْتَ آمِنًا  
وَأَنَّ كَانَ عَبْدًا سَيِّدَ الْقَوْمِ جَحْفَلًا  
وَأَنَّ كَانَ مَحْضًا فِي الْعُمُومَةِ مُخُولًا  
يَسُوءُكَ إِنْ وَلِيَ وَيُرْضِيكَ مُقْبِلًا  
وَصَاحِبُكَ الْأَذْنَى إِذَا الْأَمْرُ أَعْضَلًا  
آخِر : دَعَوَى الْإِخَاءَ مَعَ الرَّحَاءِ كَثِيرَةً  
وَمَعَ الشَّدَائِدِ تُعْرِفُ الْإِخْوَانَ

وعن شريك بن عبد الله كان يُقال : لا تسافر مع جبان فإنه يفر من أبيه وأمه ، ولا تسافر مع أحمق ، فإنه يخذلك أحوج ما تكون إليه ، ولا تسافر مع فاسق فإنه يبيعك بأكلة وشربة .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ قَبْضَةِ قَبْضِهَا مِنْ جَمِيعِ أَجْزَاءِ الْأَرْضِ فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ ، مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ ، وَالْأَسْوَدُ ، وَالْأَبْيَضُ ، وَالسَّهْلُ ، وَالْحَزَنُ .

قَالَ الْعُلَمَاءُ : فِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانٌ أَنَّ النَّاسَ أَصْنَافٌ ، وَطَبَقَاتٌ ، وَأَنْهَمُ مَتَفَاوِتُونَ فِي الطَّبَاعِ وَالْأَخْلَاقِ ، فَمِنْهُمْ الْخَيْرُ الْفَاضِلُ ، الَّذِي يَنْتَفِعُ بِصَحْبَتِهِ ، وَصَدَاقَتِهِ ، وَجِوَارَتِهِ ، وَمَشَاوَرَتِهِ ، وَمَقَارَنَتِهِ ، وَمَشَارَكَتِهِ ، وَمِصَاهَرَتِهِ وَلَا يَنْسَى مَا أَسَدَيْتَ إِلَيْهِ مِنْ مَعْرُوفٍ عِنْدَمَا كَانَ مُحْتَاجًا .

شِعْرًا : وَإِنَّ أَوْلَى الْمَوَالِي أَنْ تُوَالِيَهُ  
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَرُوا  
آخِر : نَسِيبُكَ مَنْ نَاسَبَكَ فِي الدِّينِ وَالتَّقَى  
آخِر : تَقَى الدِّينَ يَجْتَنِبُ الْمَخَازِي  
آخِر : كُلُّ الْأَنْبَاءِ بَنُو أَبٍ لَكِنَّمَا  
آخِر : إِذَا أَرَدْتَ شَرِيفَ النَّاسِ كُلَّهُمْ  
عِنْدَا السُّرُورِ الَّذِي وَاسَاكَ فِي الْحَزَنِ  
مَنْ كَانَ يَأْلُقُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَشِينِ  
وَجَارُكَ مَنْ أَحْبَبْتَ فِي اللَّهِ قُرْبَهُ  
وَيَحْمِيهِ عَنِ الْعَدْرِ الْوَفَاءِ  
بِالدِّينِ تُعْرِفُ قِيَمَةَ الْإِنْسَانِ  
فَانظُرْ إِلَى مُخْلِصِ اللَّهِ فِي الدِّينِ

وَمِنْهُمْ الرّديء الناقص العقل الذي يتضرر بقربه ، وعشرته ، وصداقته وجميع الاتصالات به ضرر وشر ، ونكد ، وشبه ما لهذا الدلب المسمى الخنيز ، وبعضهم يسميه شباب النار ، فهذا النبات يمص الماء عن الشجر والزرع ويضيق عليه ، ويضر من اتصل به. قال ابن القيم رحمه الله في وصف المنحرفين مشبهاً لهم به وهو شبه مطابق :

فَهُمْ لَدَى غَرْسِ الْإِلَهِ كَمَثَلِ غَرْسِ الدَّلْبِ بَيْنَ مَعَارِسِ الزُّمَانِ  
يَمْتَصُّ مَاءَ الزَّرْعِ مَعَ تَضْيِيقِهِ أَبَدًا عَلَيْهِ وَلَيْسَ ذَا قِنْوَانِ  
آخِرُ : النَّاسُ مِثْلُ ضُرُوفٍ حَشُوها صَبْرٌ وَفَوْقَ أَفْوَاهِهَا شَيْءٌ مِنَ الْعَسَلِ  
تَغْرُّ ذَانِقَهَا حَتَّى إِذَا كُشِفَتْ لَهُ تَبَيَّنَ مَا تَحْوِيهِ مِنْ دَخَلِ

ومنها السباخ الخبيثة التي يضيع بذورها ، ويبيد زرعها وما بين ذلك على حسب ما يشاهد منها ويوجد حساً .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « النَّاسُ مَعَادِنٌ » . قَالَ الْخَطَّابِيُّ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ ، وَفِي هَذَا الْقَوْلِ أَيْضًا بَيَانٌ أَنَّ اخْتِلَافَ النَّاسِ غَرَائِزٌ فِيهِمْ ، كَمَا أَنَّ الْمَعَادِنَ وَدَائِعَ مَرْكُوزَةٌ فِي الْأَرْضِ فَمِنْهَا الْجَوْهَرُ الْنَفِيسُ ، وَمِنْهَا الْفُلْزُ الْخَسِيسُ . وَكَذَلِكَ جَوَاهِرُ النَّاسِ ، وَطِبَاعُهُمْ ، مِنْهَا الزَّكِيُّ الرَّضِيُّ ، وَمِنْهَا النَّاْقِصُ الدِّينِيُّ . وَإِذَا كَانُوا كَذَلِكَ ، وَكَانَ الْأَمْرُ عَلَى الْعِيَانِ مِنْهُمْ مُشْكَلاً وَاسْتِبْرَاءَ الْعَيْبِ فِيهِمْ مُتَعَدِّراً فَالْحَزْمُ إِذَا الْإِمْسَاكُ عَنْهُمْ ، وَالتَّوَقُّفُ عَنْ مَدَاخِلَتِهِمْ إِلَى أَنْ تَكْشِفَ الْمُحَنَّةُ عَنْ أَسْرَارِهِمْ وَبِوَاطِنِ أَمْرِهِمْ فَيَكُونُ عِنْدَ ذَلِكَ إِقْدَامٌ عَلَى خَبْرَةٍ أَوْ إِحْجَامٌ عَنْ بَصِيرَةٍ .

شِعْرًا : وَقَلَّ مَنْ ضَمِنَتْ خَيْرًا طَوِيئَتُهُ إِلَّا وَفِي وَجْهِهِ لِلْخَيْرِ عُنْوَانٌ  
ولعلك أسعدك الله إذا خبرتهم ، وإذا عرفتهم أنكرتهم ، إلا من يخصهم



الثُّنْيَاءُ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ، وَعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ جَالِسًا ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدَامَهُ قَوْمٌ يَصْنَعُونَ شَيْئًا كَرِهَهُ مِنْ كَلَامٍ وَلَعَطٍ ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَنْهَاهُمْ ؟ فَقَالَ : « لَوْ نَهَيْتُهُمْ عَنِ الْحَجُونِ ، لَأَوْشَكَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَأْتِيَهُ ، وَلَيْسَتْ لَهُ حَاجَةٌ » .

قَالَ الْخَطَّابِيُّ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ : قَدْ أَنْبَأَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَذَا الْقَوْلِ أَنَّ الشَّرَّ طِبَاعٌ فِي النَّاسِ ، وَأَنَّ الْخِلَافَ عَادَةٌ لَهُمْ . قُلْتُ : وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قِصَّةُ آدَمَ وَحَوَاءَ حِينَمَا نَهَاهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَكَلَا مِنْهَا .

فَبَعْضُ النَّاسِ نَهَيْهِ عَنِ الشَّيْءِ كَأَنَّهُ إِغْرَاءٌ لَهُ فِيهِ ، فَإِذَا نَهَيْتَهُ عَنْ شِدَّةِ الْإِقْبَالِ عَلَى الدُّنْيَا وَالْإِقْلَالِ مِنْ مَحَبَّتِهَا ، اِزْدَادَ وَفَطِنَ لِأَشْيَاءٍ قَدْ نَسِيَهَا .  
قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَإِذَا زَحَرَتِ النَّفْسَ عَنِ شَعْفِ بِهَا فَكَأَنَّ زَجَرَ غَوْبَهَا إِغْرَاؤُهَا

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الشَّرُّ فِي طِبَاعِ النَّاسِ ، وَحُبُّ الْخِلَافِ لَهُمْ عَادَةٌ ، وَالْجُورُ فِيهِمْ سُنَّةٌ .

وَلِذَلِكَ تَرَاهُمْ يُؤْذُونَ مَنْ لَا يُؤْذِيهِمْ ، وَيُظَلِّمُونَ مَنْ لَا يَظْلِمُهُمْ ، وَيُخَالِفُونَ مَنْ يَنْصَحُهُمْ ، وَلَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الظُّلْمِ إِلَّا خَوْفٌ أَوْ رَجَاءٌ .  
وَقَدِيمًا قِيلَ :

وَالظُّلْمُ مِنْ شِيمِ النَّفُوسِ فَإِنَّ تَجِدُ ذَا عَفَّةٍ فَلِعَلَّةٍ لَا يَظْلِمُ

قِيلَ لِرَجُلٍ : أَمَا تَسْتَحِي تُوْذِي جِيرَانِكَ ؟ قَالَ : فَمَنْ أُوْذِي ، أُوْذِي مَنْ لَا أَعْرِفُ .  
نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْحَالِ هَذَا مَطْبُوعٌ عَلَى الشَّرِّ وَالْأَذِيَّةِ .  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

" فصل " : إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْإِخَاءَ فِيمَا مَضَى غَالِبًا بَيْنَ الْأَخَوَيْنِ كَانَ أَحَدُهُمْ يِعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ ثُمَّ عَلَى أَحِيهِ ، وَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ ، فِي مَهَامِهِ كُلِّ الْإِطْمِئْنَانِ ، كَانَ أَحَدُهُمْ يُؤَاحِي أَخَاهُ عَلَى الصَّفَاءِ بَيْنَهُمْ وَالْحَنَانِ ، كَانَ الْأَخُ نَفْسَ أَخِيهِ وَرَبَّمَا زَادَ عَنْهُ فِي الْقِيَامِ بِشَعْنِهِ مَرَاتٍ ، كَانَ الْأَخُ لَا يُؤَاحِي إِلَّا إِذَا أَحَبَّ لِأَحِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ .

وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَدْخُلُ بَيْتَ أَحِيهِ بِحَضْرَتِهِ وَيَأْخُذُ مِنْ خِزَانَتِهِ مَا يُرِيدُ ، كَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا سَأَلَ أَخَاهُ مَا هُوَ مَحْتَاجٌ إِلَيْهِ أَنْبَأَ نَفْسَهُ إِذْ أَهْمَلَهُ حَتَّى أَفْصَحَ هُوَ عَنْ حَاجَاتِهِ ، كَانَ بَعْضُهُمْ يُلَاحِظُ بَعْضًا فَإِذَا رَأَى فُرْجَةً سَدَّهَا وَوَجْهَهُ أَخِيهِ غَيْرُ مَبْدُولٍ .

كَانَتْ الصُّحْبَةُ أَوْلَى صَافِيَةً وَكَانَ الْحُبُّ لِلَّهِ مَا فِيهِ شَائِبَةٌ ، أَوْ طَمَعٌ مِنَ الْأَطْمَاعِ ، وَحَيْثُ أَنَّ الصَّاحِبَ هُوَ الْعَضُدُ الْأَقْوَى ، وَالسَّاعِدُ الْأَيْمَنُ لِلْمَرْءِ فِي حَيَاتِهِ وَمَا يَنْتَابُهُ فِي مُلِمَّاتِ ِهِ فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَخْتَارَ أَصْحَابَهُ وَيَنْتَقِيَ جُلَسَاءَهُ وَيَتَّخِذَهُمْ مِنْ ذَوِي السَّيِّرَةِ الْمَحْمُودَةِ وَالْعَقْلِ الرَّاجِحِ ، وَالرَّأْيِ السَّيِّدِ ، وَالذِّينِ الْمَتِينِ ، وَلِيَحْذَرَ مِنْ مَوْأخَاةٍ مَنْ لَا يَصْلُحُ لِلْأُخُوَّةِ ، وَلَا يُرَاعِي حَقَّ الْوَدَادِ وَآدَابِ الْمُجَالَسَةِ وَالْمَحَادَثَةِ .

وَأَوْصَى بَعْضُهُمْ ابْنَهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فَقَالَ : يَا بُنَيَّ إِذَا أُرِدْتَ صِحْبَةَ إِنْسَانٍ فَاصْحَبْ مَنْ إِذَا خَدَمْتَهُ صَانَكَ ، وَإِنْ صَحِبْتَهُ زَانَكَ ، اصْحَبْ مَنْ إِذَا مَدَدْتَ يَدَكَ لِلْخَيْرِ مَدَّهَا ، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا ، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ سَيِّئَةً سَدَّهَا .

اصْحَبْ مَنْ إِذَا حَاوَلْتَ أَمْرًا أَعَانَكَ ، وَنَصَرَكَ ، وَإِنْ تَنَازَعْتُمَا فِي شَيْءٍ آتَرَكَ ، فَإِنْ يَسَّرَ اللَّهُ لَكَ بِصَاحِبٍ مِنْ هَذَا الطَّرَازِ فَاسْتَمْسِكْ بِعَرْزِهِ . قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : لَوْلَا الْقِيَامُ بِالْأَسْحَارِ ، وَصُحْبَةُ الْأَخْيَارِ ، مَا اخْتَرْتُ الْبَقَاءَ فِي هَذِهِ الدَّارِ . وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ :

: أَفْضَلُ الدَّخَائِرِ أَخٌ صَاحِبٌ وَقَاءٍ .

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

( هُمُومٌ رِجَالٍ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ  
 ( نَكُونُ كُرُوحٍ بَيْنَ جِسْمَيْنِ قُسِّمَتْ  
 آخر : عَلَيْكَ مِنَ الْإِخْوَانِ كُلِّ تَفَاتٍ  
 فَذَلِكَ بِهِ فَاشْدُدْ يَدَيْكَ وَلَا تُرْدُ  
 يَحُوطُكَ فِي غَيْبٍ وَيَزَعَاكَ شَاهِدًا  
 وَمَنْ لِي بِهِذَا لَيْتَ أَنِّي لَقَيْتُهُ  
 آخر : ثَلَاثُ خِصَالٍ لِلصَّادِقِ جَعَلَتْهَا  
 مُوَاسَاتُهُ وَالصَّفْحُ عَنْ عَثْرَاتِهِ  
 آخر : وَمَنْ لَمْ يُعَمِّضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ  
 وَمَنْ يَسْبَعُ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ  
 آخر : هُمُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا فَلَا بُدَّ مِنْ قَدَى  
 وَمِنْ قِلَّةِ الْإِنْصَافِ أَنَّكَ تَبْتَغِي  
 آخر : وَكَمْ مِنْ أَحٍ لَمْ تَحْتَمِلْ مِنْهُ خَلَّةً  
 وَمَنْ لَمْ يُرِدْ إِلَّا خَلِيلًا مُهْتَدَبًا  
 آخر : إِبْسٌ عَلَى النَّفْسِ مَنْ تُصَاحِبُهُ  
 وَقَارِبُ النَّاسِ عَلَى عُقُولِهِمْ  
 آخر : مَا صَاحِبُ الْمَرْءِ مَنْ إِنْ زَلَّ عَاقِبُهُ  
 فَإِنْ أَرَدْتَ وَصَالًا لَا يَكْدُرُهُ  
 آخر : إِذَا مَا كُنْتَ مُعْتَقِدًا صَدِيقًا  
 مُشَارَكَةً إِذَا مَا عَنْ خَطْبٍ  
 وَسِرُّكَ فَاتَّمِنْهُ عَلَيْهِ وَأَنْظُرْ  
 فَإِنْ صَادَفَتْ مَا تَرْضَى وَإِلَّا  
 وَهَمِّي مِنَ الدُّنْيَا صَدِيقٌ مُسَاعِدٌ )  
 فَجَسَمَهُمَا جِسْمَانِ وَالرُّوحُ وَاحِدٌ )  
 حَمُولٍ لِعَبِّ النَّائِبَاتِ مُوَاتِي  
 بِهِ بَدَلًا فِي عَيْشَةٍ وَمَمَاتٍ  
 وَيَسْتُرُ مَا أَبْدَيْتَ مِنْ عَثْرَاتٍ  
 فَقَاسَمْتُهُ مَالِي مِنَ الْحَسَنَاتِ  
 مُضَارَعَةً لِلصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ  
 وَتَرَكْتُ ابْتِذَالَ السَّرِّ فِي الْخَلَاةِ  
 وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتُ وَهُوَ عَاتِبٌ  
 يَجِدُهَا وَلَا يَسْلَمُ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبُ  
 يُلْمُ بِعَيْشٍ أَوْ يُكْدِرُ مَشْرَبًا  
 الْمُهْتَدَبِ فِي الدُّنْيَا وَلَسْتَ الْمُهْتَدَبَا  
 قَطَعْتَ وَلَمْ يُمَكِّنْكَ مِنْهُ بَدِيلُ  
 فَلَيْسَ لَهُ فِي الْعَالَمِينَ خَلِيلُ  
 يَدْمُ لَكَ الْوُدُّ عِنْدَهُ أَبَدًا  
 أَوْ لَا فَعِشْ فِي الْأَنَامِ مُنْفَرِدًا  
 بَلْ صَاحِبُ الْمَرْءِ مَنْ يَعْفُوا إِذَا قَدِرَا  
 هَجْرٌ فَكُنْ صَافِيًا لِلْخَلِإِ إِنْ كَدِرَا  
 فَجَرِبْهُ بِأَحْوَالِ ثَلَاثِ  
 وَإِسْعَافٍ بَعَيْنٍ أَوْ أَثَاثِ  
 أَيَكْتُمُ أَمْ يُبْدِعُ بِإِلَا أَكْثَرَاثِ  
 فَإِنَّ الْمَرْءَ ذَا عُقْدِ رِثَاثِ

آخر : بَمَنْ يَثِقُ الْإِنْسَانُ فِيمَا يَنْوِيهِ  
وَقَدْ صَارَ هَذَا النَّاسُ إِلَّا أَقْلَهُمْ  
تَغَابَيْتُ عَنْ قَوْمٍ فَظَنُّوا غَبَاوَةً  
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنَّنَا بِمَنَازِلِ  
آخر : لَا تَعْتَرِ رَبِّي الزَّمَانَ وَلَا تَقُلْ  
جَرَّبْتُهُمْ فَإِذَا الْمَعَاقِرُ عَاقِرٌ  
آخر : وَرُبَّ أَخٍ لَمْ يُدْنِهِ مِنْكَ وَالِدٌ  
وَرُبَّ بَعِيدٍ حَاضِرٌ لَكَ نَفْعُهُ  
وَمَنْ أَيْنَ لِلْحُرِّ الْكَرِيمِ صِحَابُ  
ذِنَابًا عَلَى أَجْسَادِهِنَّ ثِيَابُ  
بِمَفْرَقِ أَغْبَانَا حَصَى وَثَرَابُ  
تَحَكَّمُ فِي أَسَادِهِنَّ كِلَابُ  
عِنْدَ الشَّدَائِدِ لِي أَخٌ وَحَمِيمٌ  
وَالْأَلُّ آلٌ وَالْحَمِيمُ حَمِيمٌ  
أَبْرٌ مِنْ ابْنِ الْأُمِّ عِنْدَ التَّوَائِبِ  
وَرُبَّ قَرِيبٍ شَاهِدٌ مِثْلَ غَائِبِ

وروي عن النبي  $\text{p}$  أنه قال : « عليكم بإخوان الصدق فإنهم زينة في الرخاء وعصمة في البلاء » . فإذا عزم الإنسان على اصطفاء الإخوان سبر أحوالهم قبل إختائهم وكشف عن أخلاقهم قبل اصطفتائهم . قال بعضهم :

شِعْرًا : كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُنْكِرُهُ  
مُتَّصِعٌ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ  
يُطْرِي الْوَفَاءَ وَذَا الْوَفَاءَ  
فَارْتُضِ بِإِحْمَالِ مَوَدَّةِ مَنْ  
وَعَلَيْكَ مَنْ حَالَاهُ وَاحِدَةٌ  
آخر : أَبْلِ الرَّجَالَ إِذَا أَرَدْتَ إِخَاءَهُمْ  
فَإِذَا ظَفِرَتْ بِذِي الْأَمَانَةِ وَالتَّقَى  
آخر : غَايِضُ صَدِيقِكَ تَكْشِفُ عَنْ ضَمَائِرِهِ  
فَالْعُودُ يُنْبِئُكَ عَنْ مَكْنُونِ بَاطِنِهِ  
مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يُسْرِ  
يَلْقَاكَ بِالْتَّرْحِيبِ وَالْبُشْرِ  
وَيَلْحِي الْعَدْرَ مُجْتَهِدًا وَذَا الْعَدْرِ  
يَقْلِي الْمَقْلَ وَيَعْشِقُ الْمُشْرِي  
فِي الْعُسْرِ مَا كُنْتَ وَبِالْيُسْرِ  
وَتَوَسَّ مَنْ أُمُورُهُمْ وَتَفَقَّدَ  
فَبِهِ الْيَدَيْنِ قَرِيرَ عَيْنٍ فَأَشَدُّ  
وَتَهْتَكِ السِّتْرَ عَنْ مَحْجُوبِ أَسْرَارِ  
دُخَانُهُ حِينَ تُلْقِيهِ عَلَى النَّارِ

ولا تبعته الوحدة على الإقدام قبل الخبرة ، ولا حُسن الظن على الاغترار بالتصنع .

فإن التملق الذي هو القول الحسن مع خبث القلب ، مصائد العقول ، والنفاق تدليس الفطن ، والملق والنفاق سجيتا المتصنع ، وليس فيمن يكون النفاق والملق سجاياه خير يرجى ، ولا صلاح يؤمل بل الشر والأذى فيه ، فليكن اللبيب فطنًا حاذقًا ، صاحب فراسة لا يُحسِنُ الظنَّ بكل أحد .

شِعْرًا : فَلَا تُلْزِمَنَّ النَّاسَ غَيْرَ طِبَاعِهِمْ فَتَتَعَبَ مِنْ طُولِ الْعِتَابِ وَيَتَعَبُوا  
فَتَارِكُهُمْ مَا تَارِكُوكَ فَإِنَّهُمْ  
وَلَا تَعْتَرِرُ مِنْهُمْ بِحُسْنِ بَشَاشَةٍ  
آخِر : وَصَاحِبٌ لِي كَدَاءِ الْبَطْنِ صُحْبَتُهُ  
يُشِي عَلَيَّ جَزَاهُ اللَّهُ صَالِحَةً  
شِعْرًا : إِنِّي لِأَعْرِفُ فِي الرَّجَالِ مُخَادِعًا  
مِثْلُ الْغَدِيرِ يُرِيكَ قُرْبَ قَرَارِهِ  
آخِر : رَعَى اللَّهُ إِخْوَانَ التَّمْلِقِ إِنَّهُمْ  
فَلَوْ وَفَوَاكِنَّا أَسَارَى حُقُوقِهِمْ  
فَتَتَعَبَ مِنْ طُولِ الْعِتَابِ وَيَتَعَبُوا  
إِلَى الشَّرِّ مُذْ كَانُوا عَنِ الْخَيْرِ أَقْرَبُ  
فَأَكْثَرُ إِيْمَاضِ الْبَوَارِقِ خُلْبُ  
يَوَدُّنِي كَوِدَادِ الدُّنْبِ لِلرَّاعِي  
ثَنَاءً هِنْدٍ عَلَى رُوحِ بِنِ زِنْبَاعٍ  
يُيَدِي الصَّفَاءِ وَوُدَّهُ مَمْدُوقُ  
لِصَفَائِهِ وَالْقَعْرُ مِنْهُ عَمِيقُ  
رَعَى اللَّهُ إِخْوَانَ التَّمْلِقِ إِنَّهُمْ  
تَرَاوَحَ مَا بَيْنَ التَّسِيئَةِ وَالتَّقْدِ

وقال الحكماء : اعرف الرجل من فعله ، لا من كلامه ، وأعرف محبته من عينيه ، لا من لسانه ، وعليك بمن حالاه في العسر ، واليسر واحدة أي يجبك كل حين ، سواء كنت غنيا أو فقيرا ، أما إخوان الرخاء فاتركهم . قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ امْرِئٍ مُتَلَوِّنٍ  
جَوَادٌ إِذَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ أَخْذِ مَالِهِ  
فَمَا أَكْثَرُ الْإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ  
إِذَا الرِّيحُ مَالَتْ مَالَ حَيْثُ تَمِيلُ  
وَعِنْدَ احْتِمَالِ الْفَقْرِ عَنْكَ بِخَيْلٍ  
وَلَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلُ

على أن الإنسان موسوم بسمات من قارب ، ومنسوب إليه أفاعيل من صاحب ، قَالَ ρ : « المرء مع من أحب » . وَقَالُوا : ما من شيء أدل على شيء من الصاحب على صاحبه وقديماً قيل :

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ  
 آخِر : إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبُ خِيَارِهِمْ  
 آخِر : إِذَا بَخَلَ الصَّدِيقُ عَلَيْكَ يَوْمًا  
 فَمَثَلُ قَبْرِهِ فِي الْأَرْضِ شَخْصًا  
 آخِر : النَّاسُ شَبَهُ ظُرُوفَ حَشْوِهَا صَبْرٌ  
 تَحَلُّوا لِدَائِقِهَا حَتَّى إِذَا انْكَشَفَتْ  
 آخِر : وَأَكْثَرُ مَنْ شَاوَرْتَهُ غَيْرُ حَازِمٍ  
 إِذَا أَنْتَ فَتَشْتِ الرَّجَالَ وَجَدْتَهُمْ  
 آخِر : وَأَعْظَمَ آفَاتِ الرَّجَالِ نِفَاقُهَا  
 آخِر : وَإِنْ قَرَّبَ السُّلْطَانُ أَحْيَارَ قَوْمِهِ  
 وَإِنْ قَرَّبَ السُّلْطَانُ أَشْرَارَ قَوْمِهِ  
 وَكُلُّ امْرِئٍ يُنْبِئُكَ عَنْهُ قَرِينُهُ  
 آخِر : وَإِذَا أَرَدْتَ تَرَى فَضِيلَةَ صَاحِبٍ  
 فَالْمَرْءُ مَطْوِيٌّ عَلَى عِلَاتِهِ  
 آخِر : تَحَرَّ إِذَا صَادَقْتَ مِنْ وَدُّهُ مَحْضٌ  
 فَكُلُّ خَلِيلٍ مُنْبِئٌ عَنْ خَلِيلِهِ  
 وَبِالصَّدَقِ عَامِلٌ مَنْ تُحِبُّ مِنْ  
 آخِر : تَجَنَّبْ صَدِيقًا مِثْلَ مَا وَاحَدَرَ الَّذِي  
 فَإِنَّ قَرِينَ السُّوءِ يُزِدِي وَشَاهِدِي  
 آخِر : عَلَيْكَ بِأَرْبَابِ الصُّدُورِ فَمَنْ عَدَا  
 وَإِيَّاكَ أَنْ تَرْضَى بِصُحْبَةِ نَاقِصٍ  
 فَرَفِعُ أَبُو مَنْ ثُمَّ خَفِضُ مُزْمَلٍ

والإشارة في قوله : « ثُمَّ خَفِضُ مُزْمَلٍ » إلى قوله امرئ القيس :

كَأَنَّ أَبَانَا فِي عَرَانِينَ وَنَلِيهِ كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ

وَدَلِكَ أَنْ مَزْمَلًا صِفَةً لِكَبِيرٍ ، فَكَانَ حَقُّهُ الرِّفْعَ وَلَكِنْ خَفِضَ لِمُجَارَوْتِهِ الْمَخْفُوضِ .

كَانَ جَنْدَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ صَدِيقًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ لَهُ حِينَ وَدَعَهُ : أَوْصِنِي يَا ابْنَ عَبَّاسٍ فَإِنِّي لَا أُدْرِي أَتَجْتَمِعُ بَعْدَهَا أَمْ لَا .

فَقَالَ : أَوْصِيكَ يَا جَنْدَبُ وَنَفْسِي بِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ فَإِنَّ كُلَّ خَيْرٍ أَتَيْتَ بَعْدَ هَذِهِ الْخِصَالِ مَقْبُولٌ وَإِلَى اللَّهِ مَرْفُوعٌ وَمَنْ لَمْ يَكْمَلْ هَذِهِ الْأَعْمَالَ رَدَّ عَلَيْهِ مَا سِوَاهَا .

وَكُنْ فِي الدُّنْيَا كَالْغَرِيبِ الْمَسَافِرِ وَادْكُرِ الْمَوْتَ وَالتَّهْنِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَكَأَنَّكَ قَدْ فَارَقْتَهَا وَصِرْتَ إِلَى غَيْرِهَا وَاحْتَجْتَ إِلَى مَا قَدِمْتَ وَلَمْ تَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِمَّا خَلَقْتَ ثُمَّ افْتَرَقَا .

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ مِنْ اتَّقَاهُ كَفَاهُ وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَزَاهُ وَمَنْ شَكَرَهُ زَادَهُ ، فَاجْعَلِ التَّقْوَى عِمَادَ بَصْرِكَ وَنُورَ قَلْبِكَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ ، وَلَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَلْقَ لَهُ ، وَلَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا مَالَ لِمَنْ لَا رِفْقَ لَهُ ، وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حَسَنَةَ لَهُ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِنَا نُورًا فَتَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَتَوْلِنَا بِحَسَنِ رِعَايَتِكَ حَتَّى نَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ وَارزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّدَلُّلِ بَيْنَ يَدَيْكَ . فَالْعَزِيزُ مِنْ لَازِدِ بَعْرِكَ وَالسَّعِيدُ مِنَ التَّجَاؤِ إِلَى حِمَاكَ وَجُودِكَ ، وَالذَّلِيلُ مَنْ لَمْ تَوْيِدْهُ بِعِنَايَتِكَ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ رَضِيَ بِالْإِعْرَاضِ عَنْ طَاعَتِكَ . اللَّهُمَّ نَزِهْ قَلْبِنَا عَنْ التَّلَاقِ بِمَنْ دُونَكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ قَوْمٍ تَحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِكِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## " فَصْلٌ "

والمؤاخاة في الناس على وجهين أحدهما أخوة مكتسبة بالاتفاق الجاري مجرى الاضطرار ،  
وَالثَّانِيَةِ مكتسبة بالقصد والاختيار ، فَأَمَّا المكتسبة بالاتفاق فهي أوكد حالاً ، لأنها تنعقد  
عَنْ أسباب موجودة فِي الْمُتَأَخِّرِينَ ، تعود المؤاخاة إِلَى تلك الأسباب ، وهي موجودة فطرة

فالمؤاخاة ضرورية لا يمكن دفعًا ، كما لا يمكن دفع الإيلام ، والمكتسبة بالقصد ، تعقد لها  
أسباب اختيارية ، تنقاد إليها ، وتعتمد عَلَيْهَا بحسب قوتها وضعفها ، وَرُبَّمَا تَكُونُ تَكَلُّفًا  
وخديعة ، فتصير المؤاخاة معادة ، وما كَانَ جَارِيًا بِالطَّبَعِ فهو أَلْزَمُ ، مِمَّا هُوَ حَادِثٌ  
بِالْقَصْدِ .

إِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الإِتْلَافَ بِالتَّشَاكُلِ والتوافق ، والتشاكل بالتجانس فإذا عدم التجانس  
من وجه ، انتفى التشاكل من وجه وَمَعَ انتفاء التشاكل يعدم الإِتْلَافُ فَتَبَيَّنَتْ أَنَّ التجانس  
، وإن تنوع أصل الإحياء وقاعدة الإِتْلَافِ .

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ : « الأرواح جنود  
مجندة فما تعارف فيها ائتلف وما تناكر منها اختلف » . رَوَاهُ البُخَارِيُّ ، فالظواهر التي  
تبدو لَنَا ونراها فِي الاجتماعات العامة ، ميل كُلِّ امرئٍ إِلَى من يشاكلة ويناسبه ، روحًا  
وخلقًا ، أَوْ دِينًا ، وَأَدَبًا أَوْ مَبْدَأًا أَوْ مَذْهَبًا أَوْ حِرْفَةً وعملاً .

قِيلَ : إن إياسًا سافر إِلَى بلد فَلَمَّا وصل وصادف بَعْضَ أَهْلِ البلد وجرى بينهم كلام قَالَ  
إِيَّاسُ : عرفنا خياركم من شراركم فِي يومين ؟ فَقِيلَ لَهُ : كيف ؟ قَالَ : كَانَ معنا خيارنا  
وشرارنا فلحق كُلُّ بشكلة خيارنا لحقوا بخياركم وشرارنا لحقوا بشراركم فألف كُلُّ شكله . أ  
هـ .

شِعْرًا : وَالْأَلْفُ يَنْزِعُ نَحْوَ الْآلِفِينَ كَمَا طَيْرَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَفْهَاءِ تَقَعُ



آخر : إِذَا بُلِيَ اللَّيْبُ بِقُرْبِ قَدَمٍ      تَجَرَّعَ فِيهِ كَاسَاتِ الْحُسُوفِ  
 قَدُو الطَّبَعِ الْكَثِيفِ بَعِيرٍ قَصْدٍ      يَضُرُّ بِصَاحِبِ الطَّبَعِ اللَّطِيفِ  
 وَذَلِكَ أَنَّ بَيْنَهُمَا اخْتِلَافًا      كَحَمَى الرَّبْعِ فِي فَصْلِ الْحَرِيفِ  
 آخِر : وَإِيَّاكَ إِيَّاكَ الْمُزَاحَ فَإِنَّهُ      يُطَمَّعُ فِيكَ الطُّفْلَ وَالرَّجُلَ النَّذْلَا  
 وَيُذْهَبُ مَاءَ الْوَجْهِ بَعْدَ بَهَائِهِ      وَيُورِثُ بَعْدَ الْعِزِّ صَاحِبُ هُذُلَا  
 آخِر : تَوَقَّ بِنِي الزَّمَانِ فَكَمْ خَلِيلٍ      مِنْ الْخِلَافِ مَذْمُومِ الْخِلَالِ  
 وَخَفَّفَ مَا اسْتُطِعْتَ فَكُلُّ نَذْلٍ      يَرَى رَدَّ السَّلَامِ مِنَ الثَّقَالِ  
 وَلَا تَنْظُرْ لِجِسْمِ الْمَرْءِ وَانظُرْ      دِيَانَتَهُ فَإِنَّ الْجِسْمَ آلِ  
 وَإِنْ عَايَنْتَ ذَا فِسْقٍ وَكُفْرٍ      فَخَفُّهُ فَذَلِكَ أَخْتَلُ مِنْ ذُؤَالِ  
 آخِر : إِذَا أَنْتَ سَارَرْتَ فِي مَجْلِسٍ      فَإِنَّكَ فِي أَهْلِهِ مُتِيهِمْ  
 فَهَذَا يَقُولُ قَدْ اغْتَابَنِي      وَذَا يَسْتَتْرِبُ وَذَا يَكْتَابُنِي  
 آخِر : وَقَدْ تَعَامَى رِجَالٌ لَوْ تَبَيَّنَ لَهُمْ      سَجِيَّةَ النَّاسِ خَافُوا كُلَّ مَنْ أَمِنُوا  
 ذَمَمْتُ وَقَتِكَ أَنْ نَابَتِكَ نَائِبَةٌ      بِمِثْلِ مَا تَشْتَكِيهِ يُعْرِفُ الزَّمَنُ  
 خِيفَ مِنْ جَلِيسِكَ وَاصْمُتْ إِنْ بُلِيتَ      فَالْعِيَّ أَفْضَلُ مِمَّا يَحْبِكُ اللِّسَنُ  
 آخِر : كَانَ اجْتِمَاعُ النَّاسِ فِيَمَا مَضَى      يُورِثُ لِلْبَهْجَةِ وَالسَّلْوَةِ  
 فَأَنْقَلَبَ الْأَمْرُ إِلَى ضِدِّهِ      فَصَارَتِ السَّلْوَةُ فِي الْخَلْوَةِ  
 شِعْرًا : مُخَالِطُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا عَلَى خَطَرٍ      وَفِي بَلَاءٍ وَصَفْوٍ شَيْبٍ بِالْكَدَرِ  
 كَرَاحِبِ الْبَحْرِ إِنْ تَسَلَّمَ حُشَاشَتُهُ      فَلَيْسَ يَسَلِّمُ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ حَذَرٍ

فترى المجتمعين بعد مدة وجيزة من بدئ الاجتماع ، قد انقسموا جماعات ، تتحدث كل جماعة في شؤونها الخاصة ، وأمورها المشتركة ، وتتغير نفوسها إذا رأت دخيلاً بين جماعتها لا تربطه بهم صلة ، ولا تجمعهم به جامعة ، وعندما تتركب في قطار ، أو سيارة أو سفينة ، أو في مجلس من المجالس ، ترى نفسك منجذبة إلى بعض الحاضرين مشمئزة ونافرة من الآخرين ، وربما أنه لم يكن قبل ذلك اجتماع ولا تعارف ، ولا تعاد وتخاصم .

بينه المصطفى ρ بهذا الحديث فهو يُقُولُ : « إن أرواح العباد ونفوسهم جنود مجتمعة ، وجيوش مجيشة فالتى بينها تعارف وتشاكل وتوافق وتناسب ، يآلف بعضها بعضًا ، ويسر باجتماعه ، ويفرح لقاءه ، لاتفاق في المبدأ وتقارب في الروح » .

روى أبو يعلى في مسنده عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت : كآنت امرأة بمكة مزاحة ، فنزلت على امرأة مثلها في المدينة ، فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت : صدق حي سمعت رسول الله ρ يُقُولُ : « الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

فالأخيار الأبرار الأتقياء الأمجاد الأطهار ، إذا وجدوا في مجتمع جذبوا أشباههم ، أو انجذبوا إليهم ، وسرى بينهم تيار من المحبة جمع قلوبهم وقوى روابطها وثبت صلتها .

قال بعضهم :

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْقَلْبَ نَحْوَكَ شَيْقٌ وَأَنْتَ بِمَا أَلْقَى مِنَ الشَّوْقِ أَعْلَمُ  
فُوْدُكَ عَنْ وُدِّي إِلَيْكَ مُبْلَغٌ وَقَلْبُكَ عَنْ قَلْبِي إِلَيْكَ يُتْرَجِمُ

وكذلك الأشرار والفجار والفسقة والظلمة ، إذا حضروا بناد بادر إليهم الفسقة ، والمجرمون ، والسفلى ، واللؤماء ، وجذبهم قرناؤهم ، ونفروا ممن لا يتخلق بأخلاقهم ، ولا يسير في ركابهم .

قال ρ : « لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس فيه مائة منافق ، ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه ، ولو أن منافقا دخل إلى مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد ، لجاء حتى يجلس إليه » .

وهذا يدل على أن شبه الشيء منجذب إليه بالطبع ، وإن كان هو لا يشعر به ، وكان مالك بين دينار يُقُولُ : « لا يتفق إثنان في عشرة إلا وفي أحدهما

وصف عَنْ الآخِر ، وأن أجناس الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة . قَالَ : فرأى يوماً غرباً مع حمامة فعجب من ذلك فقال : اتفقا وليسا من شكل واحد ، ثُمَّ طارا فإذا هما أعرجان فقال : من ها هنا اتفقا . وقال بعض الحكماء : كُلُّ إنسان إلى شكله كما أن كُلَّ طير يطير مع جنسه . قَالَ بَعْضُهُمْ : ( لِكُلِّ امْرِئٍ شَكْلٌ يَفْرُبُ بَعَيْنِهِ وَفُرَّةُ عَيْنِ الْفَسَلِ أَنْ يَصْحَبَ الْفَسَلَا وَيُفَوِّلُ الْآخِر :

وَلَيْسَ أَحْوَكُ الدَّائِمِ الْعَهْدِ بِالَّذِي  
وَلَكِنَّهُ النَّائِي إِذَا كُنْتَ آمِنًا  
آخِر : مَنْ خَصَّ بِالشُّكْرِ الصَّدِيقَ فَإِنِّي  
نَكَّرُوا عَلَيَّ مَعَائِي فَحَذِرْتُهَا  
وَلَرُبَّمَا انْتَفَعَ الْفَتَى بَعْدُوهُ  
آخِر : وَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ صَارَ بَعْدَ عِدَاوَةٍ  
وَلَا غُرُوٍّ فَالْعَنُودُ مِنْ بَعْدِ كَرَمِهِ  
آخِر : لَيْسَ الصَّدِيقُ الَّذِي يَلْقَاكَ مُتَبَسِّمًا  
إِنَّ الصَّدِيقَ الَّذِي يُوَلِّي نَصِيحَتَهُ  
آخِر : عَاشِرُ مِنَ النَّاسِ مَنْ تَبَقَى مَرَدَّتُهُ  
مِنْهُمْ صَدِيقٌ بِلا قَافٍ وَمَعْرِفَةٍ  
آخِر : إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُنْصَفْ أَخَاهُ وَلَمْ يَكُنْ  
فَلا خَيْرَ فِيهِ فَاتَّمِسْ غَيْرَهُ أَحَا  
آخِر : وَقُلْتُ أَحِي قَالُوا أَخٍ مِنْ قَرَابَةٍ  
نَسِيبي فِي رَأْيٍ وَعَزَمِي وَهَمَّتِي

وإذا عرفت رجالاً بالبر والتقى والاستقامة ونفرت منهم نفسك ونبا عنهم

قلبك ، فاعلم إنك مريض ، أما مرض شبهة وإلا مرض شهوة ، وأنت ناقص معيب ، دونهم في الطهارة ، فداو نفسك من عيوبها ، وطهرها من أوزارها حتى تتقابر الأرواح وتتشاكل النفوس ، فتحل الألفة محل النفرة .

وإذا رأيت نفسك تميل إلى من تعرفهم بالشر والفجور ، والفسق والخلاعة والعهر فياتهم نفسك واستدرك عمرك قبل الفوت ، وابتعد عنهم كل البعد ، وتب إلى الله وأسأله أن يعافيك مما ابتلاهم .

وإذا رأيت نفسك تحدثك بأنك البر الأمين التقي المخلص أو الإنسان المهذب ، فكذب نفسك في الإعجاب ، وفي هذا الوهم الكاذب ، واعتقد إنك غر مخدوع ، وأبله مفتون ، ففتش في زوايا قلبك ، تجد للباطل ركنًا ، وللشيطان حظًا ، وللفساد جوارًا وهذا ما جذب قلبك إلى الأشرار .

وإذا رأيتك تميل إلى الأخيار ، وتحب مجالسهم ، وتنجذب نفسك إليهم ، مع علمك بسوء سيرتك واعوجاج طريقتك ، فاعلم أن فيك بقبة خير ، ولا يزال فيك أمل قريب هذه البقية وقو هذا الأمل ، حتى يرحل عنك الشر ، وتدخل في حزب الخير .

وكذلك إذا رأيت في نفسك بعض الميل للمجرمين ، وأنت طاهر تقي نقي ، فاعرف أن الشيطان قد نفث فيك نفثة ، وثغر في قلبك يغرة ، فتدارك أمرك وتحصن منه واستعد بالله قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَإِنَّمَا يَنزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ الآية ، وقال : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ إلى آخر السورة أ.هـ . من الأدب النبوي .

وعن أبي ذر أنه قال : الصاحب الخير خير من الوحدة ، والوحدة خير من جليس السوء ، ومجلي الخير خير من الساكت ، والساكت خير من مملي الشر . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

## " فَصْلٌ "

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : عداوة العاقل أقل ضرراً من مودة الأحمق لأن الأحمق ربما ضرر وهو يقدر أن ينفع لعدم تمييزه بين النفع والضرر فيتجاوز الحد ، والعاقل لا يتجاوز الحد في مضرتة فمضرتة لها حد يقف عليه العقل إذا انتهى إلى ذلك الحد .  
ومضرة الجاهل ليست بذات حد والمحدود أقل ضرراً مما هو غير محدود قَالَ بَعْضُهُمْ :

شِعْرًا : وَلَا أَنْ يُعَادِي عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ      مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ  
فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تُصَادِقَ جَاهِلًا      إِنَّ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقٌ

وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ مِنْ أَشَارِ عَلَيِّكَ بِمِصَاحِبَةِ جَاهِلٍ لَمْ يَخْلُ مِنْ أَمْرَيْنِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ صَدِيقًا جَاهِلًا ، مَا يَعْرِفُ وَلَا يَمِيزُ بَيْنَ مَنْ يَصْلُحُ لِلصُّحْبَةِ وَمَنْ لَا يَصْلُحُ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمُشِيرُ عَلَيْكَ عَدُوًّا لِكِنَّةِ عَاقِلٍ لِأَنَّهُ يُشِيرُ بِمَا يَضُرُّكَ وَيَحْتَالُ عَلَيْكَ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي تَضُرُّكَ ، وَقَدِيمًا قِيلَ :

وَلَا تَصْحَبِ الْحَمَقِي فِذْوِ الْجَهْلِ أَنْ      صَاحِبًا لِأَمْرٍ يَا أَخَا الْحَزْمِ مُفْسِدٌ

ويقول الآخر :

فَعِداوَةٌ مِنْ عَاقِلٍ مُتَجَمِّلٍ      أَوْلَى وَأَسْلَمُ مِنْ صَدَاقَةِ أَحْمَقٍ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْأَصْدِقَاءُ ثَلَاثَةٌ أَحَدُهُمْ كَالْغِدَاءِ لَا بُدَّ مِنْهُ ، وَالثَّانِي كَالدَّوَاءِ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي وَقْتِ دُونَ وَقْتٍ ، وَالثَّلَاثُ كَالدَّاءِ لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ قَطُّ . وَقَدْ قِيلَ : مِثْلُ جُمْلَةِ النَّاسِ كَمِثْلِ الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ فَمِنْهَا مَا لَهُ ظِلٌّ وَلَيْسَ لَهُ ثَمَرٌ وَهُوَ مِثْلُ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ فِي الدُّنْيَا دُونَ الْآخِرَةِ ، فَإِنَّ نَفْعَ الدُّنْيَا كَالظِّلِّ السَّرِيعِ الزَّوَالِ ، وَمِنْهَا مَا لَهُ ثَمَرٌ وَلَيْسَ لَهُ ظِلٌّ .

ومنها ما ليس له واحد منهما كأم غيلان تمزق الثياب ولا طعم فيها ولا شراب ومثله من الحَيَوَان الحية والعقرب والفأر ومثله في النَّبَات الخنيز فإنه يضيق على الزرع ويضر من لمسه ولا يؤكل ولا له تمر يؤكل .

وَيَشْرَبُ مَاءَ الزَّرْعِ وَيَعُوقُ نُمُوهُ إِذَا فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِخْتِيَارِ قَبْلَ الْمُعَامَلَةِ

شِعْرًا : لَا تَشْكُرَنَّ فَتَى حَتَّى تُعَامِلَهُ وَتَسْتَيِّنَ مِنَ الْحَالِينَ أَنْصَافًا  
فَقَدْ تَرَى رَجُلًا بَادِيَ الصَّلَاحِ فَإِنْ عَامَلْتَهُ فِي حَقِيرٍ غَشَّ أَوْ حَافَا

آخر : النَّاسُ شَتَّى إِذَا مَا أَنْتَ ذُقْتَهُمْ لَا يَسْتَوُونَ كَمَا لَا تَسْتَوِي الشَّجَرُ  
هَذَا لَهُ ثَمَرٌ حُلُوٌّ مَذَاقَتُهُ وَذَلِكَ لَيْسَ لَهُ طَعْمٌ وَلَا ثَمَرٌ

إذا فهمت تفاوت النَّاسِ فِي الْعَقْلِ وَالِدِينِ فَعَلَيْكَ قَبْلَ الصَّدَاقَةِ أَنْ تَفْحَصَ عَنْ مَنْ تَرِيدُ صَدَاقَتَهُ وَإِخَاءَهُ فَإِذَا حَصَلَتْ عَلَى مَنْ تَرْضَاهُ دِينًا وَعَقْلًا وَأَدَبًا فَالْزَمَهُ ، كَمَا قِيلَ :

أَبْلِ الرَّجَالَ إِذَا أَرَدْتَ إِخَاءَهُمْ وَتَوَسَّ مَنَ أُمُورِهِمْ وَتَفَقَّهِدِ  
فَإِذَا ظَفَرْتَ بِذِي الْأَمَانَةِ وَالتَّقَى فِيهِ الْيَدَيْنِ قَرِيرَ عَيْنٍ فَاشْدُدِ  
آخر : لَا تَمْدَحَنَّ امْرَأً حَتَّى تُجَرِّبَهُ وَلَا تَذُمَّنَّهُ مِنْ غَيْرِ تَجْرِيْبِ  
فَإِنَّ حَمْدَكَ مَنْ لَمْ تَبْلُهُ سَرَفٌ وَإِنَّ ذَمَّكَ بَعْدَ الْحَمْدِ تَكْذِيبٌ  
آخر : جَامِلٌ أَخَاكَ إِذَا اسْتَرَبْتَ بِوَدِّهِ وَانظُرْ بِهِ عُقْبَى الزَّمَانِ يُعَاوِدُ  
فَإِنْ اسْتَمَرَّ عَلَى الْفَسَادِ فَخَلِّهِ فَالْعُضْوُ يُقَطَّعُ لِلْفَسَادِ الزَّائِدِ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة ، ويجعل النَّاسَ فِيهَا أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ: متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينهما دخل عليه الشر .

أحدهما : من مخالطته كالغذاء لا يستغنى عنه في اليوم فإذا أخذ حاجته منه ترك الخلطة ، ثُمَّ إِذَا احتاج إليه خالطه هكذا على الدوام . وَهَذَا الضَرْبُ أَعَزُّ مِنْ

الكبريت الأحمر وهم العُلَمَاءُ بِاللَّهِ وَأَمْرُهُ ، ومكاييد عدوه ، وأمراض القَلْبِ وأدويتها  
الناصحون لله ولرسوله ولخلقه . فَهَذَا الضَّرْبُ فِي مَخَالَطَتِهِمُ الرِّيحَ كُلَّ الرِّيحِ .

القسم الثاني : من مخالطته كالدواء ، يحتاج إليه عند المرض فما دمت صحيحًا فلا حاجة  
لكَ فِي خِلَاطَتِهِ ، وهم من لا يستغنى عَن مَخَالَطَتِهِمْ فِي مَصْلَحَةِ الْمَعَاشِ ، وقيام ما أَنْتَ  
محتاج إليه من أنواع المعاملات والمشاركات والاستشارة والعلاج للأدواء ونحوها فإذا قضت  
حاجتك من مخالطة هَذَا الضَّرْبِ بقيت مخالطتهم من القسم الثالث : وهم من مخالطتهم  
كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه .

فَمِنْهُمْ من مخالطته كالداء العضال ، والمرض المزمن ، وَهُوَ من لا تريح عَلَيْهِ فِي دين ولا  
دنيا ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَحْسُرَ عَلَيْهِ الدِّينَ وَالْدُّنْيَا أَوْ أَحَدَهُمَا ، فَهَذَا إِذَا تَمَكَّنْتَ  
منك مخالطته واتصلت ، فهي مرض الموت المخوف .

وَمِنْهُمْ من مخالطته كوجع الضرس يشتد ضربه عليك فإذا فارقك سكن الألم .  
وَمِنْهُمْ من مخالطته حمى الروح ، وَهُوَ الثَّقِيلُ الْبَغِيضُ ، الَّذِي لَا يَحْسُنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِيْهِدِكَ ،  
ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك ولا يعرف نَفْسَهُ فيضعها منزلتها ، بل إن تكلم  
فكلامه كالعصى تنزل على قُلُوبِ السَّامِعِينَ ، مَعَ إِعْجَابِهِ بِكَلَامِهِ وفرحه به .

فهو يحدث من فيه كَلِّمَا تحدث ، ويظن أنه مسك يطيب به المجلس ، وإن سكت فأثقل  
من نصف الرحا العظيمة التي لا يطاق حملها ولا جرّها على الأَرْضِ ويذكر عَن الشَّافِعِيِّ  
رَحْمَةُ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ : مَا جَلَسَ إِلَى جَانِبِي ثَقِيلٌ إِلَّا وَجَدْتُ الْجَانِبَ الَّذِي يَلِيهِ أَنْزَلَ مِنْ  
الْجَانِبِ الْآخِرِ .

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا مَنْ تَبَرَّمَتِ الدُّنْيَا بِطَلْعَتِهِ      كَمَا تَبَرَّمَتِ الْأَجْفَانُ بِالسُّهُدِ  
يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مُخْتَالًا فَأَحْسِبُهُ      لِنَقْلِ طَلْعَتِهِ يَمْشِي عَلَى كَيْدِي

وقال ابن القيم :

ورأيت يوماً عند شيخنا قدس الله روحه رجلاً من هذا الضرب ، والشَّيخ يحمله ، وقد  
ضعفت القوى عن حمله ، فالتفت إلي وقال : مُجَالَسَةُ الثَّقِيلِ حَمَى الرَّبْعِ ، ثُمَّ قَالَ : لَكِنْ  
قَدْ أَدَمَنْتُ أَرْوَاحَنَا عَلَى الْحَمَى ، فَصَارَتْ لَهَا عَادَةٌ أَوْ كَمَا قَالَ :

قال بعضهم :

مَا حِيلَتِي فِي ثَقِيلٍ قَدْ بُلِيتَ بِهِ      مِنْ فُجْحِ طَلْعَتِهِ يَسْتَحْسِنُ الرَّمْدُ  
قَدْ زَادَ فِي الثَّقَلِ حَتَّى مَا يُقَارِبُهُ      فِي ثِقَلِهِ أَحَدٌ حَتَّى وَلَا أَحَدُ

ومرض الشعبي فعاده ثقيل فأطال الجلوس ثم قال للشعبي : ما أشد ما مر بك في مرضك  
؟ قَالَ : قَعُودُكَ عِنْدِي .

ومر به صديق له وهو بين ثقيلين فقال له : كيف الروح ؟ فقال : في النزاع يعني في شدة  
عظيمة .

وبالجملة : فمخالطة كل مخالف حمى للروح ، فعرضية ولازمة .

ومن نكد الدنيا على العبد أن يتلى بواحد من هذا الضرب ، وليس له بد من معاشرته  
ومخالطته فليعاشره بالمعروف ، حتى يجعل الله له من أمره فرجاً ومخرجاً .

القسم الرابع : من مخالطته الهلك كله ومخالطته بمنزلته بمنزلة أكل السم ، فإن اتفق لآكله  
ترياق ، وإلا فأحسن الله فيه العزاء ، وما أكثر هذا الضرب في الناس لا أكثرهم الله .



وهم أهل البدع والضلالة ، والصادون عَنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الداعون إِلَى خِلَافِهَا ، الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ، فَيَجْعَلُونَ الْبِدْعَةَ سُنَّةً ، وَالسُّنَّةَ بَدْعَةً ، وَالْمَعْرُوفَ مَنكَرًا وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا .

إِنْ جَرَدْتَ التَّوْحِيدَ بَيْنَهُمْ قَالُوا : تَنَقَّصْتَ جَنَابَ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

وَإِنْ جَرَدْتَ الْمَتَابِعَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا : أَهْدَرْتَ الْأَئِمَّةَ الْمَتْبُوعِينَ .

وَإِنْ وَصَفْتَ اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسُهُ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مِنْ غَيْرِ غَلْوٍ وَلَا تَقْصِيرٍ قَالُوا : أَنْتَ مِنَ الْمَشْبَهِينَ .

وَإِنْ أَمَرْتَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتَ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الْمُنْكَرِ قَالُوا : أَنْتَ مِنَ الْمَفْتُونِينَ .

وَإِنْ تَبِعْتَ السُّنَّةَ وَتَرَكْتَ مَا خَالَفَهَا قَالُوا : أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْبَدْعِ الْمُضِلِّينَ .

وَإِنْ انْقَطَعْتَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَخَلَيْتَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ حَيْفَةِ الدُّنْيَا قَالُوا : أَنْتَ مِنَ الْمَبْلِسِينَ .

وَإِنْ تَرَكْتَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ وَاتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ فَأَنْتَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْخَاسِرِينَ وَعِنْدَهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ .

فَالْحَزْمُ كُلُّ الْحَزْمِ : التَّمَاسُ مَرْضَاةَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ بِإِغْضَابِهِمْ ، وَأَنْ لَا تَشْتَغَلَ بِاعْتَابِهِمْ ، وَلَا بِاسْتِعَابِهِمْ ، وَلَا تَبَالِي بِذَمِّهِمْ وَلَا بِغَضِّهِمْ فَإِنَّهُ عَيْنَ كَمَالِكَ كَمَا قَالَ :

وَإِذَا أَتَيْتَكَ مَذْمُومًا مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي فَاضِلٌ

وَقَالَ آخَرُ :

وَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنِّي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ

فمن أيقظ بواب قلبه وحارسه من هذه المداخل الأربعة التي هي أصل بلاء العالم .  
وهي : فضول النظر ، والكلام ، والطعام ، والمخالطة واستعمل ما ذكرناه من الأسباب  
التسعة التي تحزره من الشيطان فقد أخذ بنصيبه من التوفيق . وسد عن نفسه أبواب  
جهنم ، وفتح عليها أبواب الرحمة ، وانعمر ظاهره وباطنه .  
ويوشك أن يحمد عند الممات عاقبة هذا الدواء ، فعند الممات يحمد القوم التقي ، وفي  
الصباح يحمد القوم السري ، والله الموفق لا رب غيره ولا إله سواه . أ.هـ .

اللَّهُمَّ يَا عَالَمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَيَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا مَجِيبَ الدَّعَوَاتِ وَيَا  
قَاضِيَ الْحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ  
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدُ الْوَهَابِ الَّذِي لَا يَبْخُلُ وَالْحَلِيمِ الَّذِي لَا يَعْجَلُ لَا رَادَّ لِأَمْرِكَ وَلَا  
مَعْقِبَ لِحُكْمِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَتَنُورَ قُلُوبَنَا وَتَثَبِّتَ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَتَسْكِنَنَا دَارَ  
كَرَامَتِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحِّهِ أَجْمَعِينَ .

### " موعظة "

عباد الله لا شيء أعلى عليكم من أعماركم وأنتم تضيعونها فيما لا فائدة فيه . ولا عدو  
أعدى لكم من إبليس وأنتم تطيعونه ، ولا أضر عليكم من موافقة النفس الإمارة بالسوء  
وأنتم تصادقونها ، لقد مضى من أعماركم الأطياب ، فما بقي بعد شيب الذوائب .  
يا حاضر الجسم والقلب غائب ، اجتماع العيب مع الشيب من أعظم المصائب ، يمضي  
زمن الصبا في لعب وسهو وغفلة ، يا لها من مصائب ، كفى زاجراً واعظاً تشيب منه  
الذوائب ، يا غافلاً فاتته الأرباح وأفضل

المناقب ، أين البكاء والحزن والقلق وخوف العظیم الطالب أين الزمان الذي فرطت فيه ولم تخش العواقب ، أين البكاء دمًا على أوقات قتلت عند التلفزيون والمذياع والكرة والسينماء والفيديو والخمر والدخان والملاعب واللعب بالورق والقيل والقَال .

كم في يوم الحسرة والندامة من دمع ساكب على ذنوب قد حواها كتاب الكاتب ، من لك يوم ينكشف عنك غطاؤك في موقف المحاسب ، إذا قيل لك : ما صنعت في كل واجب ، كيف ترجو النجاة وأنت تلهو بأسر الملاعب ، لقد ضيعت الأمان بالظن الكاذب ، أما علمت أن الموت صعب شديد المشارب ، يلقي شره بكأس صدور الكتائب ، وأنه لا مفر منه هارب فأنظر لنفسك واتق الله أن تبقى سليماً من النوائب ، فقد بنيت كسج العنكوت بيتاً ، أين الذين علو فوق السفن والمراكب أين الذين علو على متون النجائب ، هجمت عليهم المنايا فأصبحوا تحت النصاب وأنت في أثرهم عن قريب عاطب ، فأنظر وتفكر واعتبر وتدبر قبل هجوم من لا يمنع عنه حرس ولا باب ولا يفوته هرب هارب .

اللهم يسر لنا سبيل الأعمال الصالحات وهب لنا من أمرنا رشداً واجعل معونتك العظمى لنا سنداً واحشنا إذا توفيتنا مع عبادك الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وأغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

شِعْرًا : وَكَيْفَ قَرَّتْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْيُنُهُمْ  
وَأَلْمَوْتُ يُنْذِرُهُمْ جَهْرًا عَلَانِيَةً  
وَالنَّارُ ضَاحِيَةٌ لَا بُدَّ مَوْرِدُهُمْ  
قَدْ أَمَسَتْ الطَّيْرُ وَالْأَنْعَامُ آمِنَةً  
أَوْ اسْتَلْدُوا لَدَيْدَ النَّوْمِ أَوْ هَجَعُوا  
أَوْ كَانَ لِلْقَوْمِ أَسْمَاعٌ لَقَدْ سَمِعُوا  
وَلَيْسَ يَدْرُونَ مَنْ يَنْجُو وَمَنْ يَقَعُ  
وَالنُّونُ فِي الْبَحْرِ لَا يُخْشَى لَهَا فَرَعٌ

وَالْأَدْمِيُّ بِهَذَا الْكَسْبِ مُرْتَهِنٌ      لَهُ رَقِيبٌ عَلَى الْأَسْرَارِ يَطَّلِعُ  
 حَتَّى يَرَى فِيهِ يَوْمَ الْجَمْعِ مُنْفَرِدًا      وَخَصْمُهُ الْجِلْدُ وَالْأَبْصَارُ وَالسَّمْعُ  
 وَإِذْ يَقُومُونَ وَالْأَشْهَادُ قَائِمَةٌ      وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ وَالْأَمْلَاكُ قَدْ خَشَعُوا  
 وَطَارَتْ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي مُنْتَشِرَةً      فِيهَا السَّرَائِرُ وَالْأَخْبَارُ تَطَّلِعُ  
 فَكَيْفَ بِالنَّاسِ وَالْأَنْبَاءِ وَقِيعَةٌ      عَمَّا قَلِيلٍ وَمَا تَدْرِي بِمَا تَقَعُ  
 أَفِي الْجِنَانِ وَفَوْزٍ لَا انْقِطَاعَ لَهُ      أَمْ فِي الْجَحِيمِ فَلَا تُبْقِي وَلَا تَدْعُ  
 تَهْوِي بِسُكَّانِهَا طَوْرًا وَتَرْفَعُهُمْ      إِذَا رَجَوْا مَخْرَجًا مِنْ غَمِّهَا قُمِعُوا  
 طَالَ الْبُكَاءُ فَلَمْ يَنْفَعِ تَضْرَعُهُمْ      هَيْهَاتَ لَا رِقَّةً تُغْنِي وَلَا جَزَعُ

اللَّهُمَّ تَبَّتْ مَحَبَّتِكَ فِي قلوبنا وقوها ونور قلوبنا بنور الإيمان واجعلنا هداة مهتدين وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، اللَّهُمَّ أنظمننا في سلك الفائزين برضوانك ، واجعلنا من المتقين الَّذِينَ أعددت لَهُم فسيح جنانك ، وأدخلنا بِرَحْمَتِكَ فِي دار أمانك ، وعافنا يَا مولانا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا ، وأجزل لنا من مواهب فضلك وهباتك ومتعنا بالنظر إِلَى وجهك الكريم مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيُتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " فَصْلٌ "

وقال ابن القيم : أصل الحَيْر والشَّر من قبل الفكر ، فَإِنَّ الفكر مبدأ الإرادة والطلب في الزهد ، والترك ، والحب والبغض وأنفع الفكر في مصالح المعاد وفي طرق اجتنابها ، وفي دفع مفسد المعاد وفي طرق اجتنابها ، فهذه أربعة أفكار هي أجل الأفكار ، ويليهما أربعة ، فكر في مصالح الدُّنْيَا وطرق تحصيلها وفكر في مفسد الدُّنْيَا وطرق احتراز مَنها فعلى هَذِهِ الأقسام الثمانية دارت أفكار العقلاء .

ورأس القسم الأول ، الفكر في آلاء الله ونعمه وأمره ونهيه وطرق العلم به ، وبأسمائه وصفاته من كتابه وسنة نبيه  $\rho$  وما والاهما ، وهذا الفكر يثمر لصاحبه المحبة ، والمعرفة ، فإذا فكر في الآخرة وشرفها ودوامها وفي الدنيا وخستها وفنائها أثمر له ذلك الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا .

وكلما فكر في قصر الأمل ، وضيق الوقت ، أورثه ذلك الجد والاجتهاد ، وبذل الوسع في اغتنام الوقت .

وهذه الأفكار تعلي همته وتحييها بعد موتها وسفولها وتجعله في واد والناس في واد .  
قال بعضهم :

فَكَرْتُ فِي الْجَنَّةِ الْعُلْيَا فَلَمْ أَرَهَا      تَنَالَ إِلَّا عَلَى جَسْرِ مِنَ التَّعَبِ  
آخِر : إِنَّ أَمْرًا بَاعَ أَخْرَاهُ بِفَاحِشَةٍ      مِنَ الْفَوَاحِشِ يَأْتِيهَا لِمُعْبُونُ  
وَمَنْ تَشَاغَلَ بِالدُّنْيَا وَزُخْرِفَهَا      عَنِ جَنَّةٍ مَا لَهَا مِثْلُ لِمَفْتُونُ  
وَكُلُّ مَنْ يَدْعِي عَقْلًا وَهَمَّتُهُ      فِيمَا يُبْعَدُ عَنْ مَوْلَاهُ مَجْتُونُ  
آخِر : يَا مَنْ يُعَانِقُ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا      يُنْسِي وَيُصْبِحُ فِي دُنْيَاهُ سَفَّارًا  
هَلَا تَرَكْتَ لَدَى الدُّنْيَا مُعَانِقَةً      حَتَّى تُعَانِقَ فِي الْفِرْدَوْسِ أَبْكَارًا  
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي جَنَانَ الْخُلْدِ تَسْكُنْهَا      فَاطْلُبِ رِضَى خَالِقِ الْجَنَّاتِ وَالنَّارِ

وبإزاء هذه الأفكار الرديئة التي تجول في قلوب أكثر هذا الخلق كالفكر فيما يكلف الفكر فيه ، ولا أعطى الإحاطة به من فضول العلم الذي لا ينفع ، كالفكر في كيفية ذات الله وصفاته مما لا سبيل للعقول إلى إدراكه به .

ومنها الفكر في الصناعات الدقيقة التي لا تنفع بل تضر ، كالفكر في الشطرنج والموسيقى وأنواع الأشكال ، والتصاوير . قلتُ : وكل أنواع الملاهي .

ومنها الفكر في العلوم التي لو كانت صحيحة لم يعطي الفكر فيها النفس كمالاً ولا شرفاً كالفكر في دقائق المنطق ، والعلم الرياضي ، والطبيعي ، وأكثر

علوم الفلاسفة التي لو بلغ الإنسان غايتها لم يكمل بذلك ، ولم يرك نفسه .  
ومنها الفكر في الشهوات ، واللذات وطرق تحصيلها ، وهذا وإن كان للنفس فيه لذة لكن  
لا عاقبة له ومضرته في عاقبة الدنيا قبل الآخرة أضعاف مسرته .  
ومنها الفكر فيما لم يكن لو كان كيف كان ، كالفكر فيما إذا صار ملكاً أو وجد كنزاً أو  
ملك ضيعة ماذا يصنع وكيف يتصرف ، ويأخذ ويعطي وينتقم ونحو ذلك من أفكار  
السفل .

ومنها الفكر في جزئيات أحوال الناس ، ومجرياتهم ، ومدخلتهم ومخارجهم ، وتوابع ذلك  
من فكر النفوس المبطللة الفارغة من الله ورسوله والدار الآخرة .  
ومنها الفكر في دقائق الحيل ، والمكر ، التي يتوصل بها إلى أغراضه وهوامه مباحة كانت أو  
محرمة .

ومنها الفكر في أنواع الشعر ، وصروفه وأفانينه في المدح والهجاء والغزل والمرثي ونحوها ،  
فإنه يشغل الإنسان عن الفكر فيما فيه سعادته وحياته الدائمة .  
ومنها الفكر في المقدرات الذهنية التي لا وجود لها في الخارج ولا بالناس حاجة إليها البتة ،  
وذلك موجود في كل علم حتى في علم الفقه والأصول والطب ، فكل هذه الأفكار  
مضرتها أرجح من منفعتها ويكفي في مضرتها شغلها عن الفكر فيما هو أولى به ، وأعود  
عليه بالنفع عاجلاً وآجلاً .أ. ه .

شِعْرًا : يَا غَافِلًا عَنِ صُرُوفِ الْوَقْتِ فِي سِنَةِ الْوَقْتِ يُوقِظُ الْآيَاتِ وَالْعَبْرِ  
كَمْ ذَا تَنَامُ وَعَيْنُ الْوَقْتِ سَاهِرَةٌ لَهُ حَوَادِثُ فِي الْغُدُواتِ وَالْبُكْرِ  
لَا تَأْمَنُ الْوَقْتُ وَأَحْذَرُ مِنْ تَقْلُبِهِ فَشِيمَةُ الْوَقْتِ شَوْبُ الصَّفْوِ بِالْكَدْرِ

وَارْغَبْ بِنَفْسِكَ عَمَّا سَوْفَ تُدْرِكُهُ      فِعْلَ اللَّيْبِ أَحْيِ التَّحْقِيقِ وَالنَّظْرِ  
مَاذَا يَغْرُكَ مِنْ دَارِ الْفَنَاءِ وَمِنْ      عُمْرٍ يَمُرُّ كَمَثَلِ اللَّحْمِ بِالْبَصْرِ  
فَامْهَدْ لِنَفْسِكَ فَالسَّاعَاتُ فَايَةٌ      وَالْعُمْرُ مُنْتَقِصٌ وَالْمَوْتُ فِي الْأَثْرِ

آخر : يَا مَنْ تَبَجَّحَ بِالْدُنْيَا وَزُخِرْفَهَا      كُنْ مِنْ صُرُوفِ لِيَالِهَا عَلَى حَذْرِ  
وَلَا يَغْرُنْكَ عَيْشٌ إِنْ صَفَا وَعَفَا      فَالْمَرْءُ مِنْ غُرْرِ الْأَيَّامِ فِي غَرْرِ  
إِنَّ الزَّمَانَ كَمَا جَرَّيْتَ خَلْقَتَهُ      مُقَسَّمُ الْأَمْرِ بَيْنَ الصَّفْوِ وَالْكَدْرِ

اللَّهُمَّ أَلْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَوَقَّفْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ ، وَخَلَصْنَا مِنْ حَقُوقِ خَلْقِكَ ، وَبَارِكْ لَنَا فِي  
الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ ، وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ ، يَا خَيْرَ مَنْ دَعَا دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ  
يَا قَاضِي الْحَاجَاتِ ، وَجِيبِ الدَّعَوَاتِ ، هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَا ، وَحَقِّقْ رِجَاءَنَا فِيمَا تَنْمِينَاهُ ،  
يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي صُدُورِ الصَّامِتِينَ أَذَقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ  
مَغْفِرَتِكَ وَاعْفُزْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ  
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " فَضْلٌ "

اعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْحُبَّ فِي اللَّهِ وَالْبَغْضَ فِي اللَّهِ ، أَوْلَى عَظِيمٍ مِنْ  
أَصُولِ الْإِيمَانِ يَجِبُ مَرَاعَاتُهُ وَهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : « أَوْثَقُ عَرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ  
وَالْبَغْضُ فِي اللَّهِ » ، وَأَكْثَرَ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِهِ فِي الْقُرْآنِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ  
الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

فَالْمَعْنَى أَنَّ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي مَوَالِدِ الْمُؤْمِنِينَ مَنُودِحَةً عَنْ مَوَالِدِ الْكُفَّارِ ، فَلَا تُؤْثِرُهُمْ  
عَلَيْهِمْ ، وَقَوْلُهُ : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ الْمَعْنَى وَمَنْ يَتَوَلَّاهُمْ فَهُوَ بَرِيءٌ  
مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَرِيءٌ مِنْهُمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ .

وقوله : ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ أي إلا أن تحافوا على أنفسكم في إبداء العداوة للكافرين ، فلكم في هذه الحال الرخصة في المسالمة والمهادنة ، ولا في التولي الذي هو محبة القلب الذي تتبعه النصره ، بل يكون القلب مطمئناً بالعداوة والبغضاء ، ينتظر زوال المانع .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُورًا مَّا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ \* هَآئِنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَفُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِعَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا ﴾ الآية .

ففي هذه الآيات تحذير من الله لعباده المؤمنين عن ولاية الكفار واتخاذهم بطانة أو خصيصة وأصدقاء ، يسرون إليهم ، ويفضون لهم بأسرار المؤمنين ، أولاً أنهم لا يقصرون في مضرة المؤمنين ، وإفساد الأمر على المؤمنين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .  
ثانياً: محبتهم ما شق على المؤمنين ، وتمنيهم ضرر المؤمنين في دنياهم ودينهم .  
ثالثاً : أنهم يبدون العداوة والبغضاء في كلامهم وفي فلتات ألسنتهم .  
رابعاً : أن ما تخفيه صدورهم من البغضاء والعداوة أكبر مما ظهر لكم من أقوالهم وأفعالهم ، ثم ذكر نوعاً آخر من التحذير عن مخالطة الكافرين واتخاذهم بطانة .  
وفيه تنبيه على خطئهم في ذلك وقد ضمنه أموراً ثلاثاً كلٌّ منها يستدعي الكف عن مخالطة الكفار ، أولاً أنكم تحبونهم ولا يحبونكم ، ثانياً أنكم



تؤمنون بالكتاب كله ما نزل على نبيكم وما نزل على نبيهم ، ثالثاً أنهم يداهنونكم وينافقونكم فإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا مع بني جنسهم عضو عليكم الأنامل من الغيظ والبغض .

وإنما فعلوا ذلك لما رأوا من ائتلاف المسلمين ، واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم ، ونصر الله إياهم ، حتى عجز أعداؤهم أن يجدوا إلى ذلك التشفي سبيلاً ، فاضطروا إلى مداراتهم .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ .

والآيات هذه تنادي بالنهي المطلق عن الولاء لليهود والنصارى وعن الاستنصار بهم ، والركون إليهم والثقة بهم ، وبمودتهم والاعتقاد في قدرتهم على إيصال خير للمسلمين ، أو دفع أذى بل هم على العكس لا يألون جهداً في دفع النفع عن المسلمين ، وإيصال الضرر والأذى للمسلمين فانتبه يا أخي واحذرهم وحذر عنهم . وإيّاك ومداراتهم .

يَقُولُونَ لِي الْعِدَا تَنْجِ مِنْهُمْ      فَقُلْتُ مُدَارَاتُ الْعِدَا لَيْسَ تَنْفَعُ  
وَلَوْ أَنِّي دَارَيْتُ ذَهْرِي حَيَّةً      إِذَا مَكَّنْتَ يَوْمًا مِنَ اللَّسْعِ تَلْسَعُ  
آخِرُ : إِذَا وَتَرْتَ أَمْرًا فَاحْذَرِ عِدَاوَتَهُ      مَنْ يَزْرَعِ الشُّوكَ لَا يَحْصُدُ بِهِ عِنَبًا  
إِنَّ الْعَدُوَّ وَإِنْ أَبَدَىٰ مُجَامَلَةً      إِذَا رَأَىٰ مِنْكَ يَوْمًا فُرْصَةً وَتَبَا

قال شيخ الإسلام : ولهذا كان السلف رضي الله عنهم يستدلون بهذه الآيات على ترك الاستعانة بهم في الولايات ، فروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال : قلت لعمر رضي الله عنه ، إن لي كاتباً نصرانياً ، قال : ما لك قاتلك الله ، أما سمعت الله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ ألا اتخذت حنيفياً .

قَالَ : قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِي كِتَابَتَهُ وَهُ دِينُهُ ، قَالَ : لَا أَكْرَمُهُمْ إِذَا أَهَانَهُمُ اللَّهُ ، وَلَا أَعَزَّهُمْ إِذَا أَذْهَمَهُ اللَّهُ وَلَا أَدْنِيَهُمْ إِذَا أَقْصَاهُمْ اللَّهُ . « . بَلِّغْ يَا أَخِي مِنْ وَالَاهُمْ وَوَلَاهُمْ وَوَوْتَقِ بِهِمْ ، وَأَحْمَدِ اللَّهَ الَّذِي عَافَاكَ مِمَّا ابْتَلَاهُمْ بِهِ .

ولما دل عَلَيْهِ معنى الكتاب وجاءت به سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسُنَّةُ خَلْفَائِهِ الرَّاشِدِينَ ، الَّتِي أَجْمَعَ الْفُقَهَاءُ عَلَيْهَا بِمُخَالَفَتِهِمْ ، وَتَرَكَ الشَّبْهَ بِهِمْ ، فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنْ يَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبِغُونَ ، فَخَالَفُوهُمْ أَمْرًا بِمُخَالَفَتِهِمْ قَالَ .

وَقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ﴿ لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ وَذَلِكَ يَقْتَضِي تَبَرُّهُ مِنْهُمْ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ بَرَأَ رَسُولَهُ ﷺ مِنْ جَمِيعِ أُمُورِهِمْ ، فَمَنْ كَانَ مُتَبِعًا لِلرَّسُولِ ﷺ حَقِيقَةً كَانَ مُتَبَرِّئًا مِنْهُمْ ، كَتَبْرُهُ ﷺ مِنْهُمْ وَمَنْ كَانَ مُوَافِقًا لَهُمْ كَانَ مُخَالَفًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقَدْرِ مُوَافَقَتِهِ لَهُمْ .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنْ مَشَاهَتَهُمْ فِي بَعْضِ أَعْيَادِهِمْ ، تَوَجَّبَ سُرُورَ قَلْبِهِمْ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ الْبَاطِلِ ، خُصُوصًا إِذَا كَانُوا مَقْهُورِينَ ، تَحْتَ ذُلِّ الْجَزِيَّةِ وَالصَّغَارِ ، فَإِنَّهُمْ يَرُونَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ صَارُوا فِرْعَاءَ لَهُمْ فِي خِصَائِصِ دِينِهِمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ قَسْوَةَ قُلُوبِهِمْ وَانْشِرَاحَ صُدُورِهِمْ وَرِيْمًا أَطْمَعَهُمْ ذَلِكَ فِي انْتِهَازِ الْفُرْصِ وَاسْتِدْلَالِ الضَّعْفَاءِ .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَكَلِمَا كَانَتْ الْمَشَاهِجَةُ أَكْثَرَ كَانِ التَّفَاعُلُ فِي الْأَخْلَاقِ وَالصِّفَاتِ أَمْ حَتَّى يُؤَلَّ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ لَا يَمِيزُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ إِلَّا بِالْعَيْنِ فَقَطْ .

وَلَمَّا كَانَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ مُشَارَكَةً فِي الْجِنْسِ الْخَاصِّ ، كَانَ التَّفَاعُلُ فِيهِ أَشَدَّ ، ثُمَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَائِرِ الْحَيَوَانَ مُشَارَكَةً فِي الْجِنْسِ ، الْمَتَوَسِّطِ ، فَلَا بُدَّ مِنْ نَوْعِ تَفَاعُلٍ بِقَدْرِهِ .

ثُمَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبَاتِ مُشَارَكَةٌ فِي الْجِنْسِ الْبَعِيدِ مَثَلًا ، فَلَا بُدَّ مِنْ نَوْعٍ مَا مِنْ الْمَفَاعَلَةِ : قَالَ : وَلِأَجْلِ هَذَا الْأَصْلِ وَقَعَ التَّأَثُّرُ وَالتَّأَثِيرُ فِي بَنِي آدَمَ ، وَاكْتَسَابَ بَعْضُهُمْ أَخْلَاقَ بَعْضٍ بِالْمُشَارَكَةِ وَالْمَعَاشِرَةِ ، وَكَذَلِكَ الْآدَمِي إِذَا عَاشَرَ نَوْعًا مِنَ الْحَيَوَانَ ، اِكْتَسَبَ مِنْ بَعْضٍ أَخْلَاقَهُ .

وَلِهَذَا صَارَتِ الْخِيَلَاءُ وَالْفَخْرُ فِي أَهْلِ الْإِبْلِ ، وَصَارَتِ السَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ ، وَصَارَ الْجَمَالُونَ وَالْبَغَالُونَ فِيهِمْ أَخْلَاقَ مَذْمُومَةٍ ، مِنْ أَخْلَاقِ الْجَمَالِ وَالْبَغَالِ ، وَكَذَا الْكَلَابُونَ . قُلْتُ : وَهَذَا وَاضِحٌ مَشَاهِدٌ عِنْدَ الَّذِينَ يَتَأَمَّلُونَ بَدَقَةَ ، فَلَمْعَاشِرُونَ لِلدَّجَاجِ وَالْحَمَامِ ، وَالْأَرَانِبِ وَالْحَمْرِ وَالْبَقْرِ يَأْخُذُونَ مِنْ أَخْلَاقِهَا .

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَصَارَ الْحَيَوَانَ الْإِنْسِي فِيهِ بَعْضُ أَخْلَاقِ الْإِنْسِ مِنَ الْمَعَاشِرَةِ وَالْمُؤَالَفَةِ وَقِلَّةِ الْغَفْرِ ، فَالْمُشَابَهَةُ وَالْمُشَاكَلَةُ فِي الْأُمُورِ الظَّاهِرَةِ تَوْجِبُ مُشَابَهَةَ وَمُشَاكَلَةَ فِي الْأُمُورِ الْبَاطِنَةِ عَلَى وَجْهِ الْمَسَارِقَةِ وَالتَّدْرِيجِ الْخَفِيِّ .

قَالَ : وَقَدْ رَأَيْنَا الْيَهُودَ الَّذِينَ عَاشَرُوا الْمُسْلِمِينَ ، هُمْ أَقَلُّ كُفْرًا مِنْ غَيْرِهِمْ ، كَمَا رَأَيْنَا الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَكْثَرُوا مِنْ مَعَاشِرَةِ الْيَهُودِ وَالتَّنَصَّرِي هُمْ أَقَلُّ إِيمَانًا مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَالْمُشَارَكَةُ فِي الْهَدْيِ الظَّاهِرِ ، تَوْجِبُ أَيْضًا مَنَاسِبَةً وَإِتْلَاقًا وَإِنْ بَعْدَ الْمَكَانِ ، وَالزَّمَانِ ، فَهَذَا أَيْضًا أَمْرٌ مَحْسُوسٌ فَمُشَابَهَتُهُمْ فِي أَعْيَادِهِمْ وَلَوْ بِالْقَلِيلِ ، هُوَ سَبَبٌ لِنَوْعٍ مَا مِنْ اِكْتَسَابِ أَخْلَاقِهِمْ الَّتِي هِيَ مَلْعُونَةٌ .

فَنَقُولُ : مُشَابَهَتُهُمْ فِي الظَّاهِرِ سَبَبٌ وَمُظَنَّةٌ لِمُشَابَهَتِهِمْ فِي عَيْنِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَفْعَالِ الْمَذْمُومَةِ ، بَلْ فِي نَفْسِ الْاِعْتِقَادِ ، وَتَأَثِيرِ ذَلِكَ لَا يَظْهَرُ وَلَا يَنْضَبُطُ وَنَفْسِ الْفَسَادِ الْحَاصِلِ مِنَ الْمُشَابَهَةِ قَدْ لَا يَظْهَرُ وَلَا يَنْضَبُطُ وَقَدْ يَتَعَسَّرُ ، أَوْ يَتَعَذَّرُ زَوَالَهُ ، بَعْدَ حَصُولِهِ لَوْ تَفَطَّنَ لَهُ .

وكل ما كان سبباً إلى مثل هذا الفساد فإنَّ الشارع يحرمه كما دلت عليه الأصول المقررة .  
 وَقَالَ : إن المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالاتة في الباطن . قَالَ : والمحبة  
 والموالاتة لهم تنافي الإيمان ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ  
 وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ﴾ إلى قوله تَعَالَى : ﴿ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى فيما ذم به أهل  
 الكتاب : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾  
 الآيات إلى قوله : ﴿ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ .

فبين تَعَالَى أن الإيمان بالله والنبي وما أنزل مستلزم لعدم ولايتهم فثبوت ولايتهم يوجب  
 عدم الإيمان . انتهى كلامه .

إذا فهمت ذلك ، فاعلم أن المقصود من كل ما ذكرنا ، هو إنك تكون متيقظاً حافظاً  
 لمن ولاك الله عليهم حسب قدرتك واستطاعتك مبعداً لهم كل البعد عن الإتصال  
 بالكفار ، والسفر إلى بلادهم ، والإقامة عندهم ، لما وضعنا لك سابقاً فإن قبلت ذلك  
 فهو المطلوب ، والحمد لله على ذلك وإن آيت قبول هذه النصيحة فسوف تعلم إذا  
 انجلى الغبار ، أفرس تحتك أم حمار ، والله المستعان وعليه التكلان .

أَلَا رَبُّ نَصْحٍ يُغَلِّقُ الْبَابَ دُونَهُ      وَغَشٍ إِلَى جَنْبِ السَّرِيرِ يُقَرِّبُ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم .

" فَصَلِّ "

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ  
 سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ الآيتين . وقال :

﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ﴾ . الآية .  
 قَالَ ابن عباس : لا تميلوا . وَقَالَ عكرمة : أن تطيعوهم أو تودوهم ، أو تصطنعوهم ، أي  
 تولوهم الأعمال ، كمن يولي الفساق والفساج .

وَقَالَ الثوري : ومن لاق لهم دواة أو برى لهم قلمًا أو ناولهم قرطاسًا دخل في هذا . قَالَ  
 بعض المفسرين في الآية : فالنهي متناول للانحطاط في هواهم ، والانقطاع إليهم ،  
 ومصاحبتهم ، ومجالستهم ، وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبه والتزيي بزيتهم ،  
 ومد العين إلى زهرتهم ، وذكرهم بما فيه تعظيمًا لهم . قُلْتُ : ما أكثر هذا في زمننا نسأل  
 الله أن يحفظنا عن ذلك .

وَقَالَ آخر: لا تستندوا وتطمئنوا إلى الَّذِينَ ظلموا وإلى الجبارين الطغاة الظالمين ، أصحاب  
 الجور والظلم الَّذِينَ يقهرون بقوتهم ، ويظلمون لا تميلوا إليهم طالبين نصرتهم أو حمايتهم  
 مهما يكن في أيديهم من القوة والسُّلطان والمال ، فَإِنَّ ركونكم إليهم على هذا النحو  
 يقدر في اعتمادكم على الله ، وفي إخلاصكم بالتوجه إليه وحده والاتكال عليه وحده  
 والاعتزاز به وحده .

والركون إلى الظلمة المتسلطين سواء كانوا أفرادًا أو كانوا دولاً يتمثل في صورٍ شتى ، ومنه  
 التعاون مع الطغاة على الشعوب ، الَّذِينَ لا يحكمون بما أنزل الله ، ومنه معاهدات  
 الحماية ومعاهدات الدفاع المشترك ومعاهدات الصداقة والتحالف مع الَّذِينَ يؤذون  
 الْمُؤْمِنِينَ في ديارهم ، وكل صورة يتحقق فيها اعتماد المُسْلِمِينَ على أهل الظلم أفرادًا  
 ودولاً والاستناد إلى قوتهم وعونهم ومساعدتهم .

وَقَالَ تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ  
 ﴾ صدر هذه السورة نزل في حاطب بن أبي بلتعة ، لما

كتب إلى المشركين ، يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ ، فما ظنك بمن يعول على الكفرة ويعتمد عليهم ويتخذهم أولياء نسأل الله العصمة إنه القادر على ذلك .  
 فيجب علينا معشر المؤمنين أن نتباعد عنهم ولا نقاربهم في المنازل ولا نذهب إليهم ، ولا نكون معهم ، وأن ننصح من كان من المسلمين في بلادهم ، بأن يهاجر عنهم ، وأن نبين له ، قال ﷺ : « لا تستضيئوا بنار المشركين » .  
 وقال : « من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله » . وحديث : « أنا بريء من مسلم بين أظهر المشركين لا ترائي نارهما » . وكان ﷺ يأخذ على أصحابه عند البيعة يأخذ على يد أحدهم : « أن لا ترى نار المشركين إلا أن تكون حرباً لهم » .

شِعْرًا : شَرُّ الْبِلَادِ بِلَادٌ لَا أَدَانَ بِهَا  
 وَلَا زَكَاةٌ وَلَا صَوْمٌ يَكُونُ بِهَا  
 إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ شَخْصٍ يُقِيمُ بِهَا  
 آخِر : إِرْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضٍ تُضَامُ بِهَا  
 مَنْ ذَلَّ بَيْنَ أَهَالِيهِ بِلَدَّتِهِ  
 الْكُحْلُ نَوْعٌ مِنَ الْأَحْجَارِ مُنْطَرِحًا  
 لَمَّا تَعَرَّبَ نَالَ الْعِرَّ أَجْمَعَهُ  
 آخِر : إِذَا زِدْتَ فِي أَرْضٍ لِرَبِّكَ طَاعَةَ  
 فَمَا هِيَ إِلَّا بَلَدَةٌ مِثْلَ بَلَدَةٍ  
 آخِر : إِذَا اغْتَرَبَ الْحُرُّ الْكَرِيمُ بَدَتْ لَهُ  
 تَفَرُّقُ أَلْفٍ وَبَدَتْ لَهُ  
 آخِر : وَكُنْ فِي بَلَدَةٍ تَزْدَادُ فِيهَا  
 وَلَا يُقَامُ بِهَا فَرَضُ الصَّلَاةِ  
 وَلَا مَسَاجِدَ فِيهَا لِلْعِبَادَاتِ  
 عِنْدَ الْمَعَادِي لِخَلَاقِ السَّمَاوَاتِ  
 وَلَا تَكُنْ لِفِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حَرِّقِ  
 فَالِإِغْتِرَابِ لَهُ مِنْ أَحْسَنِ الْخُلُقِ  
 فِي أَرْضِهِ كَالثَّرَى يُرَى عَلَى الطَّرِيقِ  
 وَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ  
 فَلَا تَكْثِرَنَّ مِنْهَا النَّزْوَعُ لِعَيْرِهَا  
 وَخَيْرُهُمَا مَا كَانَ عَوْنًا عَلَى الثَّقَى  
 ثَلَاثٌ خِلَالُ كُلُّهُنَّ صِعَابٌ  
 وَإِنْ حُمَّ لَمْ يَعْطِفْ عَلَيْهِ صِحَابٌ  
 لَدَى الْخَلَاقِ مَرْتَبَةٌ وَقَدْرًا

## فَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ أَرْضَىٰ إِلَهًا تَفَرَّدَ بِالْجَلَالِ وَبِالْكَمَالِ

وفي حديث معاوية بن حيدة مرفوعاً : « لا يقبل الله من مُسْلِمٍ عملاً أو يفارق المشركين ». أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَوَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ أَقْسَمَ لَا يَظَلُّهُ سَقْفٌ ، هُوَ وَقَاطِعَ رَحْمٍ .

فانتبه يا من زين له سوء عمله فأتى بكفار خدامين أو سواقين أو خياطين أو طباحين وأمنهم على محارمه وهم أعداء الله ورسوله والمؤمنين . هذا والعياذ بالله إجرام عظيم ومحاربة لله ورسوله المؤمنين ونشر للفساد في البلاد الإسلامية .

فكيف بمن يذهب إلى بلاد الكفر ويجلس معهم ، ويأكل ويشرب ويتبادل معهم الكلام بلين وبشر وينام ويصحو ، ويقوم ويقعد وهو بينهم في تقلباته وحركاته وسكناته .

ولقد وصل الأمر في هذا الزمن إلى أناسا يبعثون أماناتهم أفلاذ أكبادهم إلى بلاد الكفر والشرك والحرية والفساد يتعلمون عند أولئك الكفرة أعداء الإسلام وأهله الذين تجب الهجرة من بلادهم وربما كان عند الأولاد المبعوثين للتعلم عند الكفرة مبادئ طيبة وأخلاق فاضلة فإذا ذهبوا إلى بلاد الكفر والعياذ بالله ضيعوا دينهم وأخلاقهم واعتادوا عن قصد وعن غير قصد شروراً وسموماً يحملونها ثم يأتون بها فينفثونها بين المسلمين ثم يعدون أقرانهم ويزينون لهم طريقتهم فيهلكون ويهلكون ولا أدري ماذا عند مضيع هذه الأمانة من الجواب إذا وقف بين يدي الجبار جلّ وعلا وسأله عن هذه الأمانة وما أعقبت من شرور وفساد .

هل يدعي أنه لا يعرف أنها بلاد كفر وإلحاد فيكون كاذباً أو يقول إنه يدري ولكنه لا يبالي بهذه الأمانة قولوا له : ألسنت تقرأ قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا

عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ﴿١﴾ الْآيَةَ .  
 وقوله تَعَالَى : ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴿٣﴾ هَذَا إِذَا كَانَ الْبَاعِثُ  
 رَاضِيًا بِذَلِكَ أَوْ أَمْرًا بِهِ .

فهل الكفار أهل لوضع هذه الأمانة عندهم أما تخشى الله هذا والله جرم عظيم . قَالَ  
 تعالى : ﴿٤﴾ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴿٥﴾ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب  
 لنا من لدنك رحمة إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ، فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي  
 فِي الصُّدُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴿٧﴾ .

والشيء الَّذِي يضحك الْإِنْسَانَ من جهه ويبيكه من جهة هُوَ أَنه ربما يكون المرسلون من  
 الَّذِينَ يعدون طاهرة قُلُوبِهِمْ وَلَكِنْ غَفَلُوا عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَلَمْ يَسْأَلُوا عَنْهَا هل يجوز لَهُمْ أم  
 لا ، ثُمَّ الشَّيْءُ الثَّانِي يَأْتِي أَناس آخرون لا يعرفون الولاء والبراء أَوْ يعرفونه ولكن يتساهلون  
 فيأخذون الَّذِي جاءوا من بلاد الكفر يحملون شهاداتهم بالدوائر والولائم وَهَذَا والعياذ بِاللَّهِ  
 تشجيعًا على المعاصي وحثًا عَلَيْهَا وإغراء بها نسأل الله العافية .

لأن الواجب هجرهم والابتعاد عنهم ولو كانوا آباءهم أَوْ أبناءهم أَوْ إخوانهم كما هُوَ  
 المعهود فِي الزمن البعيد والقريب فيمن جاء من البلاد التي مستعمرة للكفرة يهجر لا يكلم  
 ولا يدعى ولا يجاب دعوته عِنْدَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِالدين تمامًا الصِّدَّاعِينَ بِالحق المخلصين لله  
 الناصحين لله ولكتابه ولرسوله ولولاة الْمُسْلِمِينَ ولكن يَا للأسف ذهب النَّاسُ وبقي  
 النسناس الَّذِينَ لا يعرفون الولاء والبراء إِلَّا فيما يتعلق بحطام الدُّنْيَا .

شِعْرًا : فَمَا النَّاسُ لِلنَّاسِ الَّذِينَ عَهَدْتَهُمْ      وَلَا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتَ تَعْرِفُ  
 آخر : أَلَا رَبُّ نَصْحٍ يُغْلِقُ الْبَابَ دُونَهُ      وَغَشٌّ إِلَىٰ جَنْبِ الشَّرِّيرِ يُقَرِّبُ

آخر : بَدَلْتُ لَهُمْ نَصْحِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى      فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْعَدِ



ويذكر عَنْ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : تَحِبُّوا إِلَى اللَّهِ بِبِغْضِ أَهْلِ الْمَعَاصِي ، وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِالْبَعْدِ عَنْهُمْ وَاطْلُبُوا رِضَى اللَّهِ بِسَخْطِهِمْ فَإِذَا كَانَ هَذَا مَعَ أَهْلِ الْمَعَاصِي ، فَكَيْفَ بِالْكَفْرَةِ وَالْمَشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ أَعْدَاءَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ .

وَقَدْ أَجَابَ أَبْنَاءَ شَيْخِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ مَا سَأَلُوا عَنْ السَّفَرِ إِلَى بِلَادِ الْمَشْرِكِينَ لِلتِّجَارَةِ بِمَا حَاصِلُهُ أَنَّهُ يَحْرَمُ السَّفَرُ إِلَى بِلَادِ الْمَشْرِكِينَ إِلَّا إِذَا كَانَ الْمُسْلِمُ قَوِيًّا لَهُ مَنَعَةٌ يَقْدِرُ عَلَى إِظْهَارِ دِينِهِ وَإِظْهَارِ الدِّينِ تَكْفِيرَهُمْ وَعَيْبِ دِينِهِمْ وَالطَّعْنِ عَلَيْهِمْ وَالْبِرَاءَةِ مِنْهُمْ وَالتَّحْفِظِ مِنْ مَوَادَّتِهِمْ وَالرُّكُونِ إِلَيْهِمْ وَاعْتِرَازِهِمْ وَلَيْسَ فِعْلُ الصَّلَوَاتِ فَقَطْ لِلدِّينِ . أ.هـ .

نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ فِيهَا أَيُّهَا الْمَعَاذِيُّ أَحْمَدُ رِبِكُ حَمْدًا طَيِّبًا مَبَارَكًا وَأَكْثَرَ مِنْ قَوْلِ : رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ، وَمِنْ قَوْلِ يَا مَقْلَبَ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ ثَبَّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ ، وَيَا مَصْرَفَ الْقُلُوبِ صَرَفْ قُلُوبَنَا إِلَى طَاعَتِكَ .

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَعَمَلْنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَالسُّنْتِنَا مِنَ الْكُذْبِ وَأَعَيْنَا مِنَ الْخِيَانَةِ وَآذَانَنَا عَنْ الْإِسْتِمَاعِ إِلَى مَا لَا يَرْضِيكَ وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ، اللَّهُمَّ وَوَقَّقْنَا لِسُلُوكِ مَنَاجِحِ الْمُتَّقِينَ ، وَخَصَّنَا بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ ، وَاجْعَلْنَا بِفَضْلِكَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، اللَّهُمَّ أَهْمْنَا مَا أَهَمَّتْ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ ، وَأَيِّقْظُنَا مِنْ رَقْدَةِ الْغَافِلِينَ إِنَّكَ أَكْرَمُ مَنْعَمٍ وَأَعَزُّ مَعِينٍ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا : أَلَا قُلْ لِأَهْلِ الْجَهْلِ مِنْ كُلِّ مَنْ طَعَى  
لَعَمْرِي لَقَدْ أَخْطَأْتُمْوَا إِذْ سَلَكَتُمْ  
عَلَى قَلْبِهِ رَيْنٌ مِنَ الرَّيْبِ وَالْعَمَا  
طَرِيقَةَ جَهْلٍ غِيَّهَا قَدْ تَجَهَّمَا  
وَجَاءُوا مِنَ الْعُدُوَانِ أَمْرًا مُحْرَمًا  
أَيَّخَسَبُ أَهْلُ الْجَهْلِ لَمَّا تَعَسَّفُوا

بِأَنَّ حِمَى التَّوْحِيدِ لَيْسَ بِرَبْعِهِ  
وَوَطَّنُوا سَفَاهًا أَنْ خَلَى فِتْوَانِبَتْ  
أَيْحَسَبُ أَعْمَى الْقَلْبِ أَنْ حُمَاتِهِ  
فَإِنْ كَانَ فَدَمٌ جَاهِلٌ ذُو عِبَاوَةٍ  
بِقَوْلٍ مِنَ الْجَهْلِ الْمُرْكَبِ خَالَهُ  
سَنَكْشِفُ بِالْبُرْهَانِ غَيْهَبَ جَهْلِهِ  
وَنُظْهِرُ مِنْ عَوْرَاتِهِ كُلَّ كَامِنٍ  
رُؤَيْدًا فَأَهْلُ الْحَقِّ وَيَحْكُ فِي الْحِمَى  
وَتِلْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالسُّنَنِ النَّبِيِّ  
فِيَا مَنْ رَأَى نَهْجَ الضَّلَالَةِ نَيْرًا  
لَعْمَرِي لَقَدْ أَخْطَأْتَ رُشْدَكَ فَاتَّبِدْ  
مِنَ الْمَنَهْجِ الْأَسْنَى الَّذِي ضَاءَ نُورُهُ  
وَمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَاسْأَلْكَ طَرِيقَهَا  
وَوَالِ الَّذِي وَالَى وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُنْ  
أَفِي الدِّينِ يَا هَذَا مُسَاكِنَهُ الْعِدَا  
وَأَنْتَ بِدَارِ الْكُفْرِ لَسْتَ بِمُظْهِرٍ  
بِأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِإِيَّةِ آيَةٍ  
وَإِنَّ الَّذِي لَا يُظْهِرُ الدِّينَ جَهْرَةً  
إِذَا صَامَ أَوْ صَلَّى وَقَدْ كَانَ مُبْغِضًا  
تَكَلَّتْكَ هَلْ حَدَّثْتَ نَفْسَكَ مَرَّةً  
فَفِي التَّرْمِذِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا  
يُقِيمُ بِدَارِ أَظْهَرَ الْكُفْرِ أَهْلَهَا  
أَمَا جَاءَ آيَاتٌ تَدُلُّ بِأَنَّه

وَلَا حِصْنَهُ مَنْ يَحْمِيهِ أَنْ يُهْدَمَا  
تَعَالِبُ مَا كَانَتْ تَطَا فِي فِنَا الْحِمَا  
غُفَاةً فَمَا كَانُوا غُفَاةً وَنَوْمَا  
رَأَى سَفَهَا مِنْ رَأْيِهِ أَنْ تَكَلَّمَا  
صَوَابًا وَقَدْ قَالَ الْمَقَالُ الْمُدَمَّمَا  
وَيَعْلَمُ حَقًّا أَنَّهُ قَدْ تَوَهَّمَا  
لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ جَاءَ إِفْكًا وَمَأْتَمَا  
وَقَدْ فَوَّقُوا نَحْوَ الْمُعَادِينَ أَسْهُمَا  
هِيَ النُّورُ إِنْ جَنَّ الظَّلَامُ وَأَجْهَمَا  
وَمَهْيَعُ أَهْلِ الْحَقِّ وَالِدِينَ مُظْلَمَا  
وَرَاجِعَ لِمَا قَدْ كَانَ أَقْوَى وَأَقْوَمَا  
وَدَعُ طُرُقًا تُفْضِي إِلَى الْكُفْرِ وَالْعَمَا  
وَعَادِ الَّذِي عَادَاهُ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا  
سَفِيهَا فَتُحْطَى بِالْهَوَانِ وَتَنْدَمَا  
بِدَارِ بِهَا الْكُفْرِ أَذْلَهُمْ وَأَجْهَمَا  
لِدِينِكَ بَيْنَ النَّاسِ جَهْرًا وَمُعَلَّمَا  
أَخَذْتَ عَلَى هَذَا دَلِيلًا مُسَلَّمًا  
أَبْحَثَ لَهُ هَذَا الْمَقَامَ الْمُحَرَّمَا  
وَبِالْقَلْبِ قَدْ عَادَى ذَوِي الْكُفْرِ وَالْعَمَا  
بِمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ أَوْ كُنْتَ مُعَدَمَا  
بَرِيءٌ مِنَ الْمَرْءِ الَّذِي كَانَ مُسْلِمًا  
فِيَا وَيْحَ مَنْ قَدْ كَانَ أَعْمَى وَأَبْكَمَا  
إِذَا لَمْ يُهَاجِرْ مُسْتَطِيعَ فَإِنَّمَا

سَوَى عَاجِزٍ مَسْتَضَعْفٍ كَانَ مُعَدَمَا  
 فَحَيَّا هَلَا هَاتُوا الْجَوَابَ الْمُحْتَمَا  
 لَتَدْفَعْ نَصًّا ثَابِتًا جَاءَ مُحْكَمَا  
 فَوَيْلٌ لِمَنْ أَلَوْتَ بِهِ مَا تَأَلَّمَا  
 وَفِيئُوا فَإِنَّ الرَّشِدَ أَوْلَى مِنَ الْعَمَا  
 عَلَيْهِ تَوَلَّى عَنْكُمْو بَلْ تَصَرَّمَا  
 عَلَى الدِّينِ أَضْحَى أَمْرُهُ قَدْ تَحَكَّمَا  
 بِأَوْضَارِ أَهْلِ الْكُفْرِ قَدْ صَارَ مُظْلَمَا  
 إِقَامَتُهُ بَيْنَ الْغُوَاةِ تَحَكَّمَا  
 وَتَلْبِيسِ أَفَّاكَ أَرَادَ التَّهَكَّمَا  
 وَأَنْجَدَ فِي كُلِّ الْفُنُونِ وَالتَّهَمَا  
 فَقُلْتُمْ مِنَ الْعُدْوَانِ قَوْلًا مُحَرَّمَا  
 يَرَى أَنَّهُ كُفْرًا فَقَالَ مِنَ الْعَمَا  
 يُشَدُّ أَوْ قُلْتُمْ أَشَدَّ وَأَعْظَمَا  
 وَهَلْ كَانَ إِلَّا بِالْإِغَاثَةِ قَدْ هَمَا  
 وَيُنَجِّهِ مَنْ كَانَ أَعْمَى وَأَبْكَمَا  
 رَسَائِلُ لَمْ يَعْلَمْ بِهَا مَنْ تَوَهَّمَا  
 وَيَأْمُرُ أَنْ يَدْعُو بِلِسَانٍ وَيَحْلُمَا  
 حَمَى الْمِلَّةَ السَّمْحَاءِ أَنْ لَا تُهْدَمَا  
 وَقَدْ جَهَلُوا الْأَمْرَ الْخَطِيرَ الْمُحَرَّمَا  
 وَأَرْكَى وَاتَّقَى أَوْ أَجَلَ وَأَعْلَمَا  
 مِنَ الْعِلْمِ مَا فُقْتُمْ بِهِ مَنْ تَقَدَّمَا  
 جَهَابِذَةَ أُخْرَى وَأَدْرَى وَأَفْهَمَا

جَهَنَّمَ مَاوَاهُ وَسَاءَتْ مَصِيرُهُ  
 فَهَلْ عِنْدَكُمْ عِلْمٌ وَبُرْهَانٌ حُجَّةٌ  
 وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحِيُّوا بِحُجَّةٍ  
 وَلَكِنَّمَا الْأَهْوَاءُ تَهْوِي بِأَهْلِهَا  
 أَلَا فَافِيقُوا وَارْجِعُوا وَتَنَادِمُوا  
 وَظَنِّي بِأَنَّ الْحُبَّ لِلَّهِ وَالْوَلَا  
 وَحُبُّكُمْ الدُّنْيَا وَإِبَارُ جَمْعِهَا  
 لِذَلِكَ دَاهَنْتُمْ وَوَالَيْتُمْو الَّذِي  
 وَجَوْرْتُمْو مِنْ جَهْلِكُمْ لِمَسَافِرٍ  
 بَعِيرٍ دَلِيلٍ قَاطِعٍ بَلْ بِجَهْلِكُمْ  
 وَقَدْ قُلْتُمْو فِي الشَّيْخِ مَنْ شَاعَ فَضْلُهُ  
 إِمَامِ الْهُدَى عَبْدِ اللَّطِيفِ أَخِي التُّقَى  
 مَقَالَةً فَدَمِ جَاهِلٍ مُتَكَلِّفٍ  
 يُنْفِرُ بَلْ قَدْ قُلْتُمْو مِنْ عَبَائِكُمْ  
 وَلَيْسَ يَضُرُّ السُّحْبُ فِي الْجَوِّ نَابِحٌ  
 فَيَدْعُو لَهُ مَنْ كَانَ يَحْيَى بِصَوْبِهِ  
 أَيْنَسَبُ لِلتَّنْفِيرِ وَهُوَ الَّذِي لَهُ  
 يُؤَنَّبُ فِيهَا مَنْ رَأَى غَلْطَةً  
 أَيْنَسَبُ لِلتَّشْدِيدِ إِذَا كَانَ قَدْ حَمَا  
 وَغَارَ عَلَيْهَا مِنْ أَنْاسٍ تَرَخَّصُوا  
 فَلَوْ كُنْتُمْو أَعْلَى وَأَفْضَلَ رُتْبَةً  
 يُشَارُ إِلَيْكُمْ بِالْأَصَابِعِ أَوْ لَكُمْ  
 لَكُنَّا عَدْرَتَاكُمْ وَقُلْنَا أَنَّمَا

وَلَكِنَّكُمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ مَا لَكُمْ  
 وَمِنْ أَصْغَرِ الطُّلَابِ لِلْعِلْمِ بَلْ لَكُمْ  
 لِذَلِكَ أَقْدَمْتُمْ لِفَتْحِ وَسَائِلِ  
 تَكَلَّمْتُمْ هَلْ حَدَّثْتُمْ نَفُوسَكُمْ  
 وَإِنَّ الْحَمَاءَةَ النَّاصِرِينَ لِرَبِّهِمْ  
 عَلَى مَا يَشَأُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ مُحَرَّمٍ  
 وَإِنَّ حِمَى التَّوْحِيدِ أَفْقَرُ رَسْمُهُ  
 فَنَحْنُ إِذَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَمْ نَزَلْ  
 أَلَّا فَاقْبَلُوا مِنَّا النَّصِيحَةَ وَاحذَرُوا  
 وَإِلَّا فَإِنَّا لَا نُؤَافِقُ مَنْ جَفَا  
 وَإِلَّا فَإِنَّا لَا نُؤَافِقُ مَنْ جَفَا  
 كَمَا أَنَّنَا لَا نَرْتَضِي جُورَ مَنْ غَلَا  
 وَيَا مُؤَثِّرَ الدُّنْيَا عَلَى الدِّينِ إِنَّمَا  
 وَعَادَيْتَ بَلْ وَالْأَيْتَ فِيهَا وَلَمْ تَخَفْ  
 أَغْرَتِكَ دُنْيَاكَ الدَّيِّيَّةَ رَاضِيًا  
 تَرُوقُ لَكَ الدُّنْيَا وَلَدَاتِ أَهْلِهَا  
 خَلِيًّا مِنَ الْمَالِ الَّذِي قَدْ جَمَعْتَهُ  
 وَلَمَّا تَقَدَّمَ مَا يُنَجِّيكَ فِي غَدٍ  
 وَذَلِكَ أَنْ تَأْتِيَ بِدِينِ مُحَمَّدٍ  
 تُوَالِي عَلَى هَذَا وَتَرْجُو بِحُبِّهِمْ  
 وَتُبْغِضُ مَنْ عَادَى وَتَرْجُو بِبُغْضِهِمْ  
 فَهَذَا الَّذِي نَرُضِي لِكُلِّ مُوَحِّدٍ  
 وَصَلِّ إِلَهِي مَا تَأَلَّقَ بَارِقٌ

مِنَ الْعِلْمِ مَا فُقْتُمْ بِهِ مَنْ تَعَلَّمَا  
 مُزَيَّةَ جَهْلٍ غِيَّهَا قَدْ تَجَهَّمَا  
 وَقَدْ سَدَّهَا مَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْلَمَا  
 بِخَرِقِ سِيَاجِ الدِّينِ عَدُوًّا وَمَأْتَمَا  
 بِخَرِقِ سِيَاجِ الدِّينِ عَدُوًّا وَمَأْتَمَا  
 وَلَيْسَ لَهُ مِنْ وَاعٍ أَنْ تَكَلَّمَا  
 فَقُلْتُمْ وَلَمْ تَخْشُوا عِتَابًا وَمَنْعَمَا  
 عَلَى تَغْرَةِ الْمَرْمَى فَعُودًا وَجُثْمَا  
 وَفِيئُوا إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَسْلَمَا  
 وَيَسْعَى بِأَنْ يُوْطِيَ الْحِمَى أَوْ يُهْدَمَا  
 وَيَسْعَى بِأَنْ يُوْطِيَ الْحِمَى أَوْ يُهْدَمَا  
 وَزَادَ عَلَى الْمَشْرُوعِ إِفْكًَا وَمَأْتَمَا  
 عَلَى قَلْبِكَ الرَّانُ الَّذِي قَدْ تَحَكَّمَا  
 عَوَاقِبَ مَا تَجْنِي وَمَا كَانَ أَعْظَمَا  
 بِزَهْرَتَيْهَا حَتَّى أَبْحَتَ الْمُحَرَّمَا  
 كَأَنَّ لَمْ تَصِرْ يَوْمًا إِلَى الْقَبْرِ مُعْدَمَا  
 وَفَارَقْتَ أَحْبَابًا وَقَدْ صِرْتَ أَعْظَمَا  
 مِنَ الدِّينِ مَا قَدْ كَانَ أَهْدَى وَأَسْلَمَا  
 وَمَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا  
 رَضِيَ الْمَلِكُ الْعِلَامَ إِذَا كَانَ أَعْظَمَا  
 مِنَ اللَّهِ إِحْسَانًا وَجُودًا وَمَغْنَمًا  
 وَنَكَرَهُ أَسْبَابًا تُرِدُهُ جَهَنَّمَا  
 عَلَى الْمُصْطَفَى مَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْلَمَا

وَأَلِ وَأَصْحَابٍ وَمَنْ كَانَ تَابِعًا وَتَابِعُهُمْ مَا دَامَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ

" موعظة "

عباد الله كلنا يعلم أن النَّاسَ قِسْمَانِ ، قسم انحاز إلى الله ، وهؤلاء حزب الله الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ : ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وقسم انحاز إلى عدو الله إبليسَ لعنه الله وهؤلاء حزب الشيطان الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ : ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ فالأولون الَّذِينَ هُمْ حِزْبُ اللهِ لا تراهم يطيعون الشيطان أبداً ولِذَلِكَ لا تجدهم يفسدون في الأرض ، بل هم بركة في هَذَا الوجود . فإذا رَأَيْتَ مَسْجِدًا مَعْمُورًا فهم الَّذِينَ وفقهم الله لبنائه ، وإن قِيلَ لَكَ إِنَّهُمْ لا يظلمون ، وينهون عَنِ الظلم والجور فصدق ، وإن رَأَيْتَ مُحْتَاجًا سَدَّتْ حاجته ، فهم الَّذِينَ وفقهم الله لإعاشته ، وسدها وإن رَأَيْتَ عَارِيًا فهم الَّذِينَ وفقهم الله لكسوته ، وإن قِيلَ إِنَّ الْمُنْكَرَ الْفَلَائِي أزيل فهم الَّذِينَ وفقهم الله للتسبب في إزالته ، وإن قِيلَ لَكَ إِنَّ إِصْلَاحًا فِي الْأَرْضِ كَانَ صَعْبًا فَسهل بإذن الله ، فهم الَّذِينَ وفقهم الله لإزالته أو تسهيله . وإن قِيلَ إِنَّ أَنَاسًا يَدُورُونَ عَلَى الْبُيُوتِ يَتَفَقَدُونَ الْفُقَرَاءَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَوَارِدُ فهم الَّذِينَ وفقهم الله لِذَلِكَ ، وإن قِيلَ إِنَّ أَنَاسًا يَتَفَقَدُونَ مِنْ عَلَيْهِ دِينَ فَيَتَسَبَّبُونَ لوفائه ، فهم الَّذِينَ وفقهم الله لِذَلِكَ ، وإن قِيلَ : إِنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الله عِبَادَةً مِنْ لَإِئْمَلٍ وَلَا يَفْتَرُ ، فصدق بمجرد مَا يَقَالُ لَكَ .

وإن قِيلَ إِنَّ بَعْضَ الْبُيُوتِ هِيَ الْقَلِيلَةُ إِنَّكَ تَسْمَعُ فِيهَا بِاللَّيْلِ صَوْتَ بُكَاءٍ وَأَنِينٍ وَتَهْجِدًا وَاسْتِغْفَارًا ، فهم أولئك الَّذِينَ وفقهم الله وجعلهم حزبه .

وإن قِيلَ لَكَ إِنَّ أَنَاسًا عِنْدَهُمْ عَطْفٌ عَلَى الْفُقَرَاءِ ، وَرَحْمَةٌ وَإِيثارٌ وَإِحْسَانٌ إِلَى الْجَارِ ، وَمَوَاسَاتٌ الضَّعْفَاءِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ ، مِمَّا يَكَادِي فِي زَمَانِنَا هَذَا أَنْ يَكُونَ نَادِرًا فهم أولئك الَّذِينَ وفقهم العليم الخبير ، وهؤلاء هم المهذبون المتنورون المتأدبون .

أما الفريق الثاني عصمنا الله وإياك عن طريق سلوكهم ، فهم حزب الشيطان لا يحصل فساد في الأرض إلا منهم ، لأنهم حزب الشيطان وإن قيل إن مؤمناً قُتِلَ فهم الَّذِينَ قتلوه ، أو تسبوا لقتله ، لا يختلف في ذلك اثنان ، وإن قيل لك أن سيارة سُرقت فهم الَّذِينَ سرقوها .

وإن قيل إن منزلاً هوجم وسُرق فقل بلا تردد : هم الَّذِينَ هاجموا وسرقوه ، وهل حزب الرحمن يعتدون مثل هذا العدوان ، وإن قيل إن إنساناً خطف وغيب ولا يعلم أين كان ، فقل هم الَّذِينَ خطفوه وغيبوه ، وإن قيل إن مسلماً ذا ثروة نشل وأخذ منه آلاف ، فقل وهل ينشل ويخطف ويعبث بأموال الناس إلا أولئك الأشرار حزب الشيطان .

حزب الله الموفقون الكمل بعيدون عن المعاصي جداً ، فلا ترى الواحد منهم يتعمد الجلوس في الطرق ، ويداوم المُرور فيها لمطاردة النساء ومغازلتهن ، ولا تراه يركب النساء بلا محرم ولا يدخلها لتشتري أو يفصل عليهما ، وليس معها محرم ولا تجده يبيع صور ذوات الأرواح ، ولا يصورها ، ولا يبيع البدع المنكرات ، ولا يجلس عندها ، وهي البدع المحرمة ، التي حدثت في زمننا مثل التلفزيون والسينما والمذياع ، والكرة ، والورق ، والبكم والدخان والفيديو ونحو هذه المنكرات التي قضت على الغيرة والمروءة والشيمة . نسأل الله العافية .

ولا يغش المسلممين ، ولا يكون ذا وجهين يتكلم عند هؤلاء بوجه وعند الآخرين بوجه ، ولا ينافق ولا يوقع بريئاً في مآزق ولا يشهد بالزور ، ولا يحظر عند المنكرات ، بل تراهم في مجالس الذكر يدورون حول ما يقربهم إلى الله .

ولا تراهم يركنون إلى أعداء الله ، ولا الفسقة ولا يعظمونهم ولا يتملقونهم ، ويضحكون معهم ، كما يفعله السذج ، الَّذِينَ لا يعرفون الولاء والبراء ، ولا تنشرح صدورهم ، ولا تهتز عواطفهم ولا تستريح قلوبهم ، ولا يهدؤ

بألمهم ، ولا يسكن قلقهم ، إلا إذا زاحموهم وجالسوهم ، ومازحوهم وعظموهم ، ممن نسوا الله فأنساهم أنفسهم والتهوا عما هم إليه صائرون ، فلم يحسبوا له حساباً ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ الآية .  
 فالَّذي ينبغي أن يتبع ويقتدى به من تمسك بكتاب الله ، وامتلاء قلبه بمحبة الله ، وفاض ذلك على لسانه ، فلهج بذكر الله ، ودعا إلى الله واتبع مرضيه ، فقدمها على هواه وحفظ وقته في طاعة الله بعيداً عن أذية المسلمين لا يقابل الإساءة بمثلها بل يدفع بالتي هي أحسن وهذا حقاً هو المهذب المتنور :

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ      أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ  
 إِنِّي أُحْيِي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَيْهِ      لَأُدْفَعِ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ  
 وَأُحْسِنُ الْبَشَرَ لِلْإِنْسَانِ أُبْغِضُهُ      كَأَنَّهُ قَدْ مَلَاقِلِي مَوَدَّاتِ  
 وَلَسْتُ أَسْلَمُ مِمَّنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ      فَكَيْفَ أَسْلَمُ مِنْ أَهْلِ الْمَوَدَّاتِ  
 آخِر : يَا بِي فُوَادِي أَنْ يَمِيلَ إِلَى الْأَذَى      حُبُّ الْأَذِيَّةِ مِنْ طِبَاعِ الْعَقْرِبِ  
 لِي إِنْ أَرَدْتُ مَسَاءَةً بِمَسَاءَةٍ      لَوْ أَنَّي أَرْضَى بِبِرْقِ خُلْبِ  
 حَسْبُ الْمَسِيءِ شُعُورُهُ وَمَقَالُهُ      فِي سِرِّهِ يَا لَيْتِي لَمْ أُذْنِبِ

اللَّهُمَّ خفف عنا الأوزار وارزقنا عيشة الأبرار واصرف عنا شر الأشرار وأعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا من النار يا عزيز يا غفار ، اللَّهُمَّ ألهمنا ذكرك وَوَقَّفْنَا للقيام بحقك وبارك لنا في الحلال من رزقك ولا تفضحنا بين خلقك يا خير من دعاه داع وأفضل من رجاه راج يا قاضي الحاجات ومجيب الدعوات هب لنا ما سألناه وحقق رجاءنا فيما تمنياه يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ما في ضمائر الصامتين أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك يا أرحم الراحمين .  
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" فَصَلِّ " : وداء في تفسير قوله تَعَالَى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ الآية . أنها نزلت في أبي عبيدة .

وإليك القصة مسوقة بأكملها ، أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، كان صحابياً جليلاً وبطلاً عظيماً من أبطال الإسلام من المجاهدين ، حرص أبوه عبد الله على قتله في أول

لِقَاءٍ ، لِأَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَرَكَ دِينَ أَبِيهِ ، وَاعْتَنَقَ الْإِسْلَامَ ، وَتَخَلَّفَ عَنْ قَافِلَةٍ  
فُرُشٍ ، وَالتَّحَقَّ بِقَافِلَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُؤْمِنًا بِدِينِهِ مُصَدِّقًا بِرِسَالَتِهِ

تَصَدَّى عَبْدُ اللَّهِ لِابْنِهِ مُحَاوِلًا فِتْلَهُ ، فِي عَزْوَةِ بَدْرٍ ، وَلَكِنَّ الْإِبْنَ أَبْعَدَ عَنْهُ وَحَوَّلَ سَيْفَهُ عَنْ  
أَبِيهِ وَانْطَلَقَ إِلَى فِئَةٍ أُخْرَى غَيْرِ الَّتِي فِيهَا أَبُوهُ ، يُقَاتِلُهَا وَيُجَاهِدُهَا وَافْتَرَقَ الرَّجُلَانِ وَلَكِنْ  
الْأَبُّ بَحَثَ عَنْ ابْنِهِ حَتَّى التَّمَّى بِهِ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَرَفَعَ سَيْفَهُ عَلَيْهِ وَوَجَّهَ إِلَيْهِ ضَرْبَةً قَاضِيَةً  
اسْتَقْبَلَهَا أَبُو عُبَيْدَةَ بِحَرَكَةٍ خَفِيفَةٍ ، جَعَلَتْهَا تَهْوِي فِي الْفُضَاءِ .

وَلَكِنَّ الْأَبَّ مُصَمِّمٌ عَلَى أَنْ لَا يَفْلِتَ الْإِبْنَ مَهْمَا كَلَّفَهُ ذَلِكَ مِنْ غَالِي الثَّمَنِ فَبَحَثَ عَنْ  
ابْنِهِ هُنَا وَهُنَا ، وَنَقَّبَ عَنْهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ حَتَّى التَّمَّى بِهِ مَرَّةً ثَالِثَةً ، وَرَفَعَ الرَّجُلَ سَيْفَهُ  
لِيُوجِّهَهُ إِلَى ابْنِهِ ضَرْبَةً قَاضِيَةً مُمِيتَةً يَشْفِي كُلَّ قَلْبٍ وَتَهْدَأُ بِهَا نَفْسُهُ الثَّائِرَةَ عَلَى ابْنِهِ الصَّابِئِ

وَهُنَا نَظَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّ أَبَاهُ يَعْتَرِضُ وَيَتَصَدَّى لَهُ وَفِي اعْتِرَاضِهِ هَذَا



اعْتَرَضَ لِلإِسْلَامِ ، فَمَا أَبُو عُبَيْدَةَ إِلا جُنْدِيٌّ مِنْ الْجُنُودِ الْقَائِمِينَ بِنَصْرِ الإِسْلَامِ ، وَأَنَّ فِي تَصَدِّيقِهِ لَهُ سَدًّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِقَامَةِ دِينِ الرَّحْمَنِ ، وَانْتِشَارِ كَلِمَةِ اللَّهِ فِي الأَرْضِ فَهَلْ يَصْمُتُ أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى هَذَا ، وَهَلْ يَسْكُتُ عَلَى مَنْ يَحُولُ بَيْنَ دَعْوَةِ اللَّهِ أَنْ تَقُومَ فِي الأَرْضِ وَأَنْ تُنَشَرَ بَيْنَ النَّاسِ كَلِمَةُ اللَّهِ مَا عَلَيْهِ نَحْوُ أَبِيهِ وَأَعْرَضَ عَنْهُ مَرَّتَيْنِ .

وَلَكِنَّ مَا دَامَ أَبُوهُ يَحْرِصُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ ، فَلْيَكُنْ هُوَ أَسْبَقُ مِنْ أَبِيهِ فِي حِرْصِهِ عَلَى قَتْلِهِ ، كَذَلِكَ وَالتَّقَى السَّيْفَانِ وَتَقَابُلَ الرَّجُلَانِ وَوَقْفَ الحِصْمَانِ ، وَفِي لَمَحَةٍ خَاطِفَةٍ رَفَعَ الرَّجُلَانِ سَيْفَهُمَا كُلُّهُ يَحْرِصُ عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ ، وَالاْتِصَارَ لِدِينِهِ .

وَرَفَعَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَدَهُ عَالِيَةً حَقَاقَةً ، وَفِي سُرْعَةٍ أَهْوَى بِسَيْفِهِ البَّتَّارِ عَلَى قَلْبِ وَالِدِهِ المُمْتَلِئِ حِقْدًا وَغَضَبًا عَلَى الإِسْلَامِ ، وَدَعْوَةِ الإِسْلَامِ ، وَمَرَّقَ السَّيْفُ قَلْبَهُ ، وَانْفَجَرَ الدَّمُ مِنْهُ بِكَثْرَةٍ وَكَانَتْ هَذِهِ السَّاعَةُ مِنْ سَاعَاتِ التَّارِيخِ الفَاصِلَةِ .

هَذَا مِنْ آثَارِ الحُبِّ فِي اللَّهِ ، وَالبُغْضِ فِي اللَّهِ ، وَهَذَا الوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ تَكُونَ أَعْمَالُهُ كُلُّهَا مُنْطَبِقَةً عَلَى مَا تَأْمُرُ بِهِ الشَّرِيعَةُ المُطَهَّرَةُ فَيُحِبُّ مِنَ النَّاسِ مَنْ نَهَجَ الطَّرِيقَ المُسْتَقِيمَ وَبِتَعَدُّ عَنْ مَنْ حَادَ عَنِ الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ .

وَمَنْ اتَّبَعَ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ انْطَبَعَ فِي قَلْبِهِ حُبُّ الكَمَالِ وَالإِيمَانِ فَيَكُونُ عَدُوًّا لِلَّهِ فِي نَظَرِهِ عَدُوًّا ، وَحِينَئِذٍ يَرَى أَنْ أَعْظَمَ النَّاسِ قِيمَةَ أَهْلِ الإِخْلَاصِ وَالطَّاعَةِ وَأَحَطَّهُمْ مَنزِلَةً أَهْلِ المَعَاصِي وَالشَّنَاعَةِ وَالفَسَادِ فِي الأَرْضِ .

وَكَذَلِكَ كَانَ شَأْنُ المِصْطَفَى ﷺ وَشَأْنُ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَجِبُونَ فِي اللَّهِ ، وَيَغْضُونَ فِي اللَّهِ يُوَادُّونَ الطَّائِعِينَ وَإِنْ كَانُوا بَعْدَاءَ وَيَعَادُونَ العَاصِينَ

وإن كانوا أقرباء فرابطة التَّقْوَى عندهم أشد وأقوى من رابطة النسب والقرباة .

وعن البراء بن عازب : أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله .

وفي حديث مرفوع : « اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عِنْدِي يَدًا وَلَا نِعْمَةً فِيُودِهِ قَلْبِي فَإِنِّي وَجَدْتُ

فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾

. رَوَاهُ بَنُ مَرْدُودِيهِ وَغَيْرِهِ .

المعنى الآية بلفظ الخبر والمراد بها الإنشاء أي لا تجد قومًا يجمعون بين الإيمان بالله واليوم

الآخر ، والمحبة والموالاتة لأعداء الله ورسوله .

فلا يكون المؤمن بالله واليوم الآخر حَقِيقَةً إِذَا كَانَ عَامِلًا عَلَى مَقْتَضَى إِيمَانِهِ ، وَلَوْ أَزَمَهُ مِنْ

مَحَبَّةٍ مِنْ قَامَ بِالْإِيمَانِ وَبَغْضٍ مِنْ لَمْ يَقُمْ بِهِ وَمَعَادَاتِهِ .

وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَهَذَا هُوَ الْإِيمَانُ عَلَى الْحَقِيقَةِ الَّذِي وَجَدْتَ ثَمَرَتَهُ وَمَقْصُودَهُ

فَمَنْ أَحَبَّ أَحَدًا امْتَنَعَ أَنْ يُوَالِيَ عَدُوَّهُ .

وَلَقَدْ أَصَابَ الْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ مِنَ الْمُوَالَاةِ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ بَلَاءٌ شَدِيدٌ فَتَجَدَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ

يَدْعُونَ الْإِيمَانَ يُوَالُونَ أَعْدَاءَ الشَّرَائِعِ الدِّينِيَّةِ وَيَعْظُمُونَهُمْ وَيَقْدِرُونَهُمْ وَيَنْصُرُونَهُمْ عَلَى أَبْنَاءِ

جَنْسِهِمْ وَلَوْ كَانَ فِي هَذَا ذَلْ هُمْ وَلَأَمْتَهُمْ وَلَدِينَهُمْ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ

رَاجِعُونَ .

قَالَ فِي النُّونِيَّةِ :

جَبَّ لَهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانِ

أَيْنَ الْمَحَبَّةِ يَا أَخَا الشَّيْطَانِ

لَمَعَ مَعَ خُضُوعِ الْقَلْبِ وَالْأَرْكَانِ

وَبُغْضِ مَا لَا يَرْتَضِي بِجَنَانِ

أَتُحِبُّ أَعْدَاءَ الْحَبِيبِ وَتَدْعِي

وَكَذَا تُعَادِي جَاهِدًا أَحْبَابُهُ

لَيْسَ الْعِبَادَةُ غَيْرَ تَوْحِيدِ الْمَحَبِّ

آخِرُ : وَالْحُبُّ نَفْسٌ وَفَاقِهِ فِيمَا يُحِبُّ

آخر : وَكُلُّ مَحَبَّةٍ فِي اللَّهِ تَبْقَى  
 وَكُلُّ مَحَبَّةٍ فِيَمَا سِوَاهُ  
 آخر : إِذْ أَنْتَ لَمْ تَعْمَلْ بِشَرِّهِ وَلَمْ تُطِيعْ  
 وَلَمْ تَجْتَنِبْ أَعْدَا الشَّرِيعَةِ كُلَّهُمْ  
 وَتَحَمَّهَا عَنْ جُهَالِهَا وَتَحَوُّطِهَا  
 فَلَسْتُ لَوْ عَلَّلْتَ نَفْسَكَ بِالْمُنَى  
 عَلَى الْحَالَيْنِ فِي سَعَةٍ وَضَيْقٍ  
 فَكَالْحُلَفَاءِ فِي لَهَبِ الْحَرِيقِ  
 أُولِي الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ الثَّقَى وَالتَّسَدُّدِ  
 وَتَدْفَعُ عَنْهَا بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ  
 وَتَقْمَعُ عَنْهَا نُخْوَةَ الْمُتَهَدِّدِ  
 بِذِي سُؤْدَدٍ بَادٍ وَلَا قُرْبَ سُؤْدَدِ

اللَّهُمَّ طهر قلوبنا من النفاق وعملنا من الرياء وألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة  
 وآذاننا عن الاستماع إلى ما لا يرضيك وتوفنا مسلمين ، اللَّهُمَّ يَا حي يَا قيوم يَا بديع  
 السماوات والأرض نسألك أن توفقنا لما فيه صلاح ديننا ودنيانا وأحسن عاقبتنا وأكرم  
 مثوانا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . ؟ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى  
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" فَصْلٌ " : وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ مَرْفُوعًا : « أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبَغْضُ فِي اللَّهِ » .  
 رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وفي الصحيحين : « المرء مع من أحب » . وعن علي مرفوعًا : « لَا يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْمًا إِلَّا  
 حُشِرَ مَعَهُمْ » . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ .

وقد روى الإمام أحمد معناه عن عائشة بإسناد جيد أيضًا عنها مرفوعًا : « الشريك أخفى من  
 ديب الذر على الصفاء في الليلة الظلماء ، وأدناه أن تحب على شيء من الجور ، أو تبغض  
 على شيء من العدل وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله » .

يفتخر بعض المتحذلقين أنه لا يكره أي إنسان ، ولا يبغض أحدًا ، وأنه يسلك مع  
 الفجرة والفسقة ، ومع أهل الدين والصلاح بل ومع الكفرة والمنافقين ، ويلقب نفسه ومن  
 سلك مذهبه بأنه دبلوماسي ، ويظن هذا فخرًا وكرمًا في الأخلاق ونبلاً وطيبًا .

ولكن من لا يعرف البغض ، فلن يعرف الحب ومن لا يكره إنساناً عاصياً هيهات أن يحب عبداً مطيعاً إن تحب مؤمناً بسبب إخلاصه وتقواه فكيف لا تبغضه إذا زال عنه سبب الحب فانقلب فاجراً متهتكاً ، تعفو عمن ظلمك ولكن ما رأيك فيمن ظلم نفسه وظلم عباد الله ، ما رأيك في الزناة هاتكي الأعراض ، ومدني الخمر وشاربي الدخان وحالقي لحاهم ، وأهل الخنافس والتشبه بأعداء الله أعداء الإسلام ومن يشهدون الزور ولا يشهدون صلاة الجماعة ، ويغتصبون الحقوق ويؤذون العباد ويخونون الدين والبلاذ هل تحبهم أو تبغضهم لله فتش عن قلبك وحاسب نفسك هل تحبهم فتعينهم على الظلم أم تبغضهم وتحقرهم وتنابذهم وتبتعد عنهم عسى أن يرجعوا عن غيهم وبغيهم لا مفر من أن يكون لنا أعداء نبغضهم في الله كما يكون لنا أصدقاء نحبهم في الله .

فيا عباد الله تقربوا إلى الله ببغض أهل المعاصي الظلمة والمنافقين كما تتقربون إليه بحب الصالحين ، أشعروهم بمقتكم لآثامهم ، وسخطكم على إجرامهم ، ولا تتساحوا فيما يمس الدين ولا تصفحون عمن يحارب رب العالمين ، ولو كان أقرب قريب .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لِأَشْرَفِ الْخَلْقِ ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تَبَنَّكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ \* إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴿ ، أي لو ملت إليهم لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات أي ضاعفنا عليك العذاب في الدنيا والآخرة ، لأن الذنب من العظيم يكون عقابه أشد من غيره .

ومن ثم يكون عقاب العلماء على زلاتهم أشد من عقاب غيرهم من العامة ، لأنهم يقتدون بالعلماء ، روي عن قتادة أنه قال : لما نزل قوله تَعَالَى ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَإِنَا إِلَيْكَ ﴾ .. إلخ ، قال ρ : « اللَّهُمَّ لَا تَكْلِنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ » .

فينبغي للمؤمن أن يتدبر هذه الآية ويستشعر الحشية ويسأل الله أن يثبتته ، ويستمسك بأهداب دينه ، ويكثر من قول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وَيَقُولُ كَمَا قَالَ ρ : « اللَّهُمَّ لَا تَكْلِنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ » . فَإِذَا كَانَ هَذَا الْخُطَابَ لِأَشْرَفِ الْخَلْقِ فَكَيْفَ بغيره .

وَقَالَ تَعَالَى أَمْرًا رَسُولَهُ ρ بِالْإِعْرَاضِ عَمَّنْ تَوَلَّى وَأَعْرَضَ عَنِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ﴿ فَأَعْرَضَ عَنِ مَنْ تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَمَنْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ وعلى العكس من أقبل على كتاب الله ووقره وقدره وأحبه واتبعه ودعى إليه نسأل الله العظيم أن يغرّس محبته في قلوبنا ويرزقنا تلاوته والعمل به . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ وَعَادَى فِي اللَّهِ وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ وَوَالَى فِي اللَّهِ فَإِنَّمَا تَنَالُ وَايَةَ اللَّهِ بِذَلِكَ . رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ .

وفي حديث رواه أبو نعيم وغيره عن ابن مسعود قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ " : أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ قُلْ لِفُلَانِ الْعَابِدِ أَمَا زَهْدِكَ فِي الدُّنْيَا فَتَعَجَلْتَ رَاحَةَ نَفْسِكَ ، وَأَمَا انْقِطَاعِكَ إِلَيَّ فَتَعَزَّزْتَ بِهِ ، فَمَا عَمِلْتَ لِي عَلَيْكَ ؟ قَالَ : يَا رَبِّ وَمَا لَكَ عَلَيَّ ؟ قَالَ : هَلْ وَالَيْتَ لِي وَلِيًّا ، أَوْ عَادَيْتَ لِي عَدُوًّا » .

شِعْرًا : وَلَيْسَ فَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ ضَاعَ وَقْتُهُ  
وَلَكِنْ فَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ طَاعَ رَبَّهُ  
آخر : لَا تَحْسَبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبَلَا  
كِلَاهُمَا مَوْتُ وَلَكِنْ ذَا  
آخر : وَحَسْبُكَ مِنْ ذُلٍّ وَسُوءٍ صَنِيعِهِ  
بُصْحَفٍ وَتَلْفَازٍ وَقِيلَ وَقَالُوا  
وَصَارَ بِمَا يُرْضِي الْإِلَهَ مِثَالُ  
لَكِنَّمَا الْمَوْتُ هُوَ الْكُفْرُ بِاللَّهِ  
أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ لِجُحْدِهِ اللَّهُ  
رُكُوبُكَ مَا لَا يَرْضِي اللَّهُ فِعْلَهُ

" فائدة " : أقل الناس عقلاً من فرط في عمله فصرفه في غير طاعة الله ، وأقل منه عقلاً من صرف وقته في معاصي الله ، نسأل الله العافية .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ فَعَقَدَ تَعَالَى المِوَالَاةَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَطَعَهُمْ مِنْ وِلَايَةِ الْكَافِرِينَ وَأَخْبَرَ أَنَّ الْكُفْرَانَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ وَقَعَ فِتْنَةٌ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ، وَكَذَا يَقَعُ فَهَلْ يَتِمُّ الدِّينُ أَوْ يُقَامُ عِلْمُ الْجِهَادِ وَعِلْمُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا بِالْحُبِّ فِي اللَّهِ وَالْبَغْضِ فِي اللَّهِ وَالْمَعَادَاةِ فِي اللَّهِ وَالْمِوَالَاةِ فِي اللَّهِ .

وَلَوْ كَانَ النَّاسُ مُتَّفِقِينَ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ وَمَحَبَّةٍ مِنْ غَيْرِ عِدَاوَةٍ وَلَا بَغْضَاءٍ لَمْ يَكُنْ فَرْقٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَلَا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ وَلَا بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ .  
وَمِنْ مِوَالَاةِ الْأَعْدَاءِ وَمِصَادِقَتِهِمْ مَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنْ ضَعْفَاءِ الْإِيمَانِ مِنَ الذَّهَابِ إِلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ فِي أَيَّامِ أَعْيَادِهِمْ فَيَدْخُلُونَ فِي كُنَائِسِهِمْ وَيَبُوتُهُمْ وَأَنْدِيَتِهِمْ وَيَنْهَوْنَهُمْ بِأَعْيَادِهِمْ ، وَالْعِيَادَ بِاللَّهِ .

وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَطْمَ الَّذِينَ يَدْرُسُونَ عَلَى الْكُفْرَانِ وَيَجْلِسُونَ بَيْنَ يَدَيْ الْكَافِرِ وَالْعِيَادَ بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ بِشَهَادَةِ مَنْ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ ، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ فَيَا أَيُّهَا الْمَعَانِي أَكْثَرَ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ وَأَسْأَلُهُ الثَّبَاتَ حَتَّى الْمَمَاتِ .  
وَقَدْ قِيلَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ أَنَّ الْمُرَادَ أَعْيَادَ الْمُشْرِكِينَ ، وَقَالَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِيَّاكُمْ وَرَطَانَةَ الْأَعَاجِمِ وَأَنْ تَدْخُلُوا عَلَى الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ عِيدِهِمْ فِي كُنَائِسِهِمْ .

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : اجْتَنِبُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ فِي عِيدِهِمْ ، وَمِنْ الْأَعْيَادِ الْمَحْدَثَةِ الَّتِي لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ حَضُورُهَا لِأَنَّهَا أَعْيَادٌ بَاطِلَةٌ مَا يُسَمَّى بِعِيدِ الْإِسْتِقْلَالِ ،

وعيد الجلاء وعيد الجلوس ، وعيد الثورة ، ونحو ذلك من أعياد الكفرة والمنافقين وأتباعهم .

وقال الشيخ حمد بن عتيق رَحِمَهُ اللهُ ، ومن أعظم الواجبات على المؤمن محبة الله ومحبة ما يحبه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة وكذا ما يحبه من الأشخاص كالملائكة ، وصالح بني آدم ، وموالاتهم وبغض ما يبغضه الله ، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة وبغض من فعل ذلك فإذا رسخ هذا الأصل في قلب المؤمن لم يطمئن إلى عدو الله ، ولم يجالسهم ولم يساكنه وساء نظره إليه .

فَلَمَّا ضَعَفَ هَذَا الْأَصْلَ فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَاضْمَحَلَّ صَارَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ مَعَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ كَحَالِهِ مَعَ أَعْدَاءِ اللَّهِ ، يَلْقَى كَلَامَهُمْ بِوَجْهِ طَلِيقٍ ، وَصَارَتْ بِلَادُ الْحَرْبِ كِبِلَادِ الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يَخْشَ غَضَبَ اللَّهِ الَّذِي لَا تَطِيقُ غَضَبَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ قُلْتُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَى تَدْفُقَ الْكُفْرَةَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَتَدْفُقَ الشَّبَابَ عَلَى بِلَادِ الْكُفْرِ .

ولما عظمت الفتنة فتنة الدنيا ، وصارت أكبر همهم ومبلغ علمهم حملهم ذلك على التماسها وطلبها ولو بما يسخط الله ، فسافروا إلى أعداء الله في بلادهم ، وخالطوهم في أوطانهم ولبس عليهم الشيطان أمر دينهم فنسوا عهد الله وميثاقه الذي أخذ عليهم ، في مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ .

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَلَكِ حَزْبِكَ الْمَفْلُحِينَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمَخْلُصِينَ وَآمِنَا يَوْمَ الْفِرْعَ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشِرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" فَصَلِّ " : وَقَالَ تَعَالَى مَا ذَكَرَ حَالِ الْمُنَافِقِينَ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ ، قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِرِينَ ، أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَهُ ﷺ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْمُنَافِقِينَ وَإِعْلَاقِ الْقَوْلِ عَلَيْهِمْ وَأَنْ لَا يَلْقَاهُمْ بِوَجْهِهِ طَلْقًا ، بَلْ يَكُونُ وَجْهُهُ مَكْفُوهًا عَابَسًا مُتَغَيِّرًا مِنَ الْغَيْظِ فَإِذَا كَانَ هَذَا مَعَ الْمُنَافِقِينَ ، الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ ، يَصِلُونَ مَعَهُمْ وَيَجَاهِدُونَ مَعَهُمْ وَيَحْجُونَ فَكَيْفَ يَمُنُّ بِسَافِرٍ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَأَقَامَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ أَيَّامًا وَلِيَالِيًا وَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِمْ فِي بَيْوتِهِمْ وَبَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ وَأَكْثَرَ لَهُمُ التَّحِيَّةَ وَأَلَانَ لَهُمُ الْكَلَامَ وَلَيْسَ لَهُ عَذْرٌ إِلَّا طَلَبُ الْعَاجِلَةِ وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ الدُّنْيَا عَذْرًا لِمَنْ اعْتَدَرَ بِهَا قَالَ تَعَالَى :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ ﴾ الْآيَةَ .

وَقَالَ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بْنُ سَحْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

شِعْرًا : وَاللَّهُ حَرَّمَ مَكْتًا مَنْ هُوَ مُسْلِمٌ  
وَأَلْهَمَ بِهَا حُكْمَ الْوَلَايَةِ قَاهِرٌ  
وَأَنْظَرَ حَدِيثًا فِي الْبَرَاءَةِ قَدْ أَتَى  
فِيهِ الْبَرَاءَةُ بِالصَّرَاحَةِ قَدْ أَتَتْ  
قَدْ صَرَّحَتْ فِي مَنَ أَقَامَ بِبِلْدَةٍ  
فِي كُلِّ أَرْضٍ حَلَّتْهَا الْكُفْرَارُ  
فَارْبَأَ بِنَفْسِكَ فَالْمَقَامُ شَنَارُ  
نَقْلُ الثَّقَاةِ رِوَاثُهُ الْأَخْيَارُ  
مِنْ مُسْلِمٍ وَكَذَلِكَ الْآثَارُ  
مُسْتَوْتِطْنَا وَوَلَاتَهَا الْكُفْرَارُ

وَقَالَ فِي آخِرِ كَلَامِهِ : فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ النَّاصِحِ لِنَفْسِهِ النَّظْرَ فِي أَمْرِهِ وَالْفِكْرَ فِي ذَنْبِهِ وَمُجَاهِدَةَ نَفْسِهِ عَلَى التَّوْبَةِ النَّصُوحِ ، وَالنَّدَمَ عَلَى مَا فَاتَ ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ ، وَالتَّبْدِيلَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَتَقْدِيمَ مَحَبَّةِ اللَّهِ عَلَى جَمِيعِ الْمَحَابِّ وَإِيثَارَ مَرْضَاتِهِ عَلَى حِظْوِظِ النَّفْسِ ، فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ ضَيَعَهُ ابْنُ آدَمَ رِمَا يَكُونُ لَهُ مِنْهُ عَوْضٌ ، فَإِنْ ضَيَعَ حِظْلَهُ مِنَ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَوْضٌ ، قُلْتُ : وَقَدْ أَحْسَنَ مِنْ قَالَ :

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا ضَيَعْتَهُ عَوْضٌ  
وَمَا مِنَ اللَّهِ إِنْ ضَيَعْتَهُ عَوْضٌ  
آخِرٌ : وَإِنَّمَا رَجُلٌ الدُّنْيَا وَوَأَحَدُهَا  
مَنْ لَا يُعْوَلُ عَلَى أَحَدٍ سِوَى اللَّهِ



وقَدْ خَابَ مِنْ كَانََ حَظَهُ مِنَ اللَّهِ دُنْيَا يَحْتَلِبُ دَرَاهِمًا ، وَالْحَاسِرُ مِنْ خَسِرَ دِينَهُ وَإِنْ أَفَادَ فِي دُنْيَاهُ نَسَأَلَ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى أَنْ يَأْخُذَ بِنَوَاصِيهَا إِلَيْهِ وَأَنْ يَلْزِمَنَا كَلِمَةَ التَّقْوَى وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِهَا وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

شعرًا:

بَكَيْتُ فَمَا تَبَكِي شَبَابَ صَبَاكَ      كَفَاكَ نَذِيرُ الشَّيْبِ فِيكَ كَفَاكَ  
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّيْبَ قَدْ قَامَ نَاعِيًا      مَكَانَ الشَّبَابِ الْعُضُّ ثُمَّ نَعَاكَ  
 أَلَمْ تَرَ يَوْمًا مَرًّا إِلَّا كَانَهُ      يَاهْلَاكِهِ لِلْهَالِكِينَ عَنَاكَ  
 أَلَا أَيُّهَا الْفَانِي وَقَدْ حَانَ حِينُهُ      أَتَطْمَعُ أَنْ تَبْقَى فَلَسْتَ هُنَاكَ  
 سَتَمَضِي وَبَبَقِيَ مَا تَرَاهُ كَمَا تَرَى      فَيَنْسَاكَ مِنْ خَلْفَتِهِ هُوَ ذَاكَ  
 تَمُوتُ كَمَا مَاتَ الَّذِينَ نَسِيَتْهُمْ      وَتَنْسَى وَيَهْوَى الْحَيُّ بَعْدَ هَوَاكَ  
 كَأَنَّكَ قَدْ أَفْصَيْتَ بَعْدَ تَقَرُّبٍ      إِلَيْكَ وَإِنْ بَاكَ عَلَيْكَ بَكََاكَ  
 كَانَ الَّذِي يَحْشُو عَلَيْكَ مِنَ الشَّرِّ      يُرِيدُ بِمَا يَحْشُو عَلَيْكَ رِضَاكَ  
 كَانَ خُطُوبُ الدَّهْرِ لَمْ تَجْرِ سَاعَةٌ      عَلَيْكَ إِذَا الْخُطْبُ الْجَلِيلُ دَهَاكَ  
 تَرَى الْأَرْضَ كَمْ فِيهَا زُهُونٌ كَثِيرَةٌ      غَلَقْنَا فَلَمْ يَحْصُلْ لَهْنٌ فِكََاكَ

اللَّهُمَّ أَنَا نَسَأَلُكَ التَّوْفِيقَ لِلْهُدَايَةِ وَالْبَعْدَ عَنِ أَسْبَابِ الْجَهَالَةِ وَالْغَوَايَةِ وَنَسَأَلُكَ الثَّبَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ ، وَأَنْ لَا تَزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ مَضَلَاتِ الْفِتَنِ ، وَمَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَنَسَأَلُكَ أَنْ تَنْصُرَ دِينَكَ ، وَكِتَابَكَ وَرَسُولَكَ وَعِبَادَكَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْ تَظْهَرَ دِينَكَ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

" فَصْلٌ "

وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : وَمِنْ تَمَامِ مَحَبَّةِ اللَّهِ مَحَبَّةَ مَا يَحِبُّهُ ، وَكَرَاهَةَ مَا يَكْرَهُهُ ، فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا مِمَّا كَرِهَهُ اللَّهُ ، أَوْ كَرِهَ شَيْئًا مِمَّا يَحِبُّهُ اللَّهُ ، لَمْ يَكْمَلْ تَوْحِيدَهُ وَصَدَقَهُ فِي قَوْلِهِ

لا إله إلا الله ، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كره مما أحبه الله ، وما أحبه مما يكره الله قال الله تعالى ﴿ ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا اسَّخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ، وقال الحسن : اعلم إنك لن تحب الله حتى تحب طاعته . وقال بعضهم : كل من ادعى محبة الله ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة . وقال يحيى بن معاذ : ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده ، وقال رويم : المحبة الموافقة في جميع الأحوال . وأنشد يقول :

وَلَوْ قُلْتُ لِي مَتْمُتْ سَمْعًا وَطَاعَةً      وَقُلْتُ لِدَاعِي الْمَوْتَ أَهْلًا وَمَرْحَبًا  
خَصَائِصُ مَنْ تُشَاوِرُهُ ثَلَاثٌ      فَخُذْهَا مِنْ كَلَامِي بِالْحَقِيقَةِ  
وِدَادٌ خَالِصٌ وَوُفُورٌ عَقْلٍ      وَمَعْرِفَةٌ بِحَالِكَ بِالْحَقِيقَةِ  
فَمَنْ تَمَّتْ لَهُ هَدْيِ الْمَعَانِي      فَتَابِعْ رَأْيَهُ وَفِيقَ الشَّرِيعَةِ  
وَإِنْ خَالَفَ كَلَامَ اللَّهِ أَوْ      كَلَامَ الْمُصْطَفَى فَاحْذَرْ تُطِيع

ويشهد لهذا المعنى قول تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ و قال الحسن : قال أصحاب رسول الله ﷺ : إننا نحب ربنا شديداً ، فأحب الله أن يجعل لحبه علامة فأنزل هذه الآية .

ومن هنا يعلم أنه لا تتم شهادة أن لا إله إلا الله الا بشهادة أن محمداً رسول الله ، فإذا علم أنه لا تتم محبة الله الا بمحبة ما يحبه وكرهه ما يكرهه ، فلا طريق إلى معرفة ما يحبه ويكرهه ، إلا بإتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه ، فصارت محبته مستلزمة لمحبة رسول الله ﷺ وتصديقه ومتابعته .

أَخْلِصْ لِمَنْ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ مِنْ عَدَمٍ      وَاتَّبِعْ رَسُولَ الْهُدَى فِيمَا أَتَاكَ بِهِ  
ولهذا قرن الله محبته ومحبة رسول الله ﷺ في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ ﴾ .

إلى قوله ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ كما قرن طاعته وطاعة رسوله في مواضع كثيرة .

شِعْرًا : وَإِنَّمَا يَتَسَامَى لِلْعُلَى رَجُلٌ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لَا تُلْهِيه أَمْوَالٌ  
وقال ρ : « ثلاث من كن فيه وجدَّ بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار » . وهذه حالة السحرة لما سكنت المحبة في قلوبهم سمحوا ببذل نفوسهم ، وقالوا لفرعون : اقض ما أنت قاض .

شِعْرًا : وَمَنْ تَكُنْ الْفِرْدَوْسَ هِمَّةً نَفْسِهِ ۖ فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُجِيبٌ  
ومتى تمكنت المحبة من القلب لم تتبعت الجوارح إلا إلى طاعة الرب ، وهذا معنى الحديث الإلهي : « ولا يزال عبدى يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها » . وفي بعض الروايات في يسمع وي يبصر .

والمعنى أن محبة الله إذا استغرق بها القلب واستولت عليه لم تتبعت الجوارح إلا إلى رضا الرب ، وسارت النفس مطمئنة حينئذ بإرادة مولاهما عن مرادها وهواها ، وفي بعض الكتب السابقة : من أحب الله لم يكن شئء عنده آثر من رضاه

شِعْرًا : كَفَانِي فَخْرًا أَنْ أَمُوتَ مُجَاهِدًا وَحُبَّ إِلَهِي قَائِدِي مُنْذُ نَشَأْتِي

وقال : لا ينجو غداً إلا من أتى الله بقلب سليم ، ليس فيه سواه قال تعالى ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ وهو الطاهر من أدناس المخالفات .

فأما المتلطف بشيء من المكروهات ، فلا يصلح لمجاورة حضرة القدوس إلا بعد أن يطهر  
بكبير العذاب فإذا أزال عنه الخبث صلح حينئذ للمجاورة إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ،  
فَأَمَّا الْقُلُوبَ الطيبة فتصلح للمجاورة من أول الأمر ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فِعْمَ عُقْبَى  
الدَّارِ ﴾ ، ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ ، ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ  
طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

من لم يحرق نفسه اليوم بنار الأسف على ما سلف أو بنار الشوق إلى لقاء الحبيب ، فنار  
جهنم أشد حرًا ما يحتاج إلى تطهير بنار جهنم إلا من لم يكمل التوحيد والقيام بحقوقه .  
أول من تسعر بهم النار من الموحدين المرأون بأعمالهم وأولهم العالم والمتصدق والمجاهد  
للرياء ، ولأن الرياء شرك ما تظاهر المرئي إلى الخلق بعمله إلا لجهله بعظمة الخالق ، المرئي  
يزور التوقيع على اسم الملك ليأخذ البراطيل لنفسه ، ويوهمهم أنه من خاصة الملك ، وهو  
ما يعرف الملك بالكلية ، نقش المرئي على الدرهم الزائف اسم الملك ليروج والبهرج لا  
يجوز ألا على غير الناقد .

وقال ابن القيم رحمه الله : من أحب شيئاً سوى الله ولم تكن محبته له الله ولا لكونه معيناً  
له على طاعة الله ، عذب في الدنيا قبل اللقاء كما قيل :

شِعْرًا : أَنْتَ الْقَتِيلُ بِكُلِّ مَنْ أَحْبَبْتَهُ فَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ فِي الْهَوَى مَنْ

فإذا كان يوم القيامة ، ولى الحكم العدل سبحانه كل محب من كان يحبه في الدنيا فكان  
معه إما منعماً وإما معذباً ، ولهذا يمثل لمحب المال ماله شجاعاً أقرع ، يأخذ بلهزيمته ،  
يقول : أَنَا مَالِكٌ أَنَا كَنْزُكَ وَصَفَحَ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ يَكْوَى بِهَا جَنْبَهُ وَجَبِينَهُ وَظَهْرَهُ .

وكذا عاشق الصور إذا اجتمع هو ومعشوقه على غير طاعة الله ، جمع بينهما في النار  
وعذب كل منهما بصاحبه ، قَالَ تَعَالَى ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا  
الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وأخبر سبحانه أن الَّذِينَ تَوَادَوْا فِي الدُّنْيَا عَلَى الشَّرِكِ يَكْفُرُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،  
وَيَلْعَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ .

فالمحب مع محبوبه دنيا وأخرى ، ولهذا يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلخَلْقِ أَلَيْسَ عَدْلًا مِنِّي  
أَنْ أُولِي كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَا كَانَ يَتَوَلَّى فِي دَارِ الدُّنْيَا قَالَ ρ : « المرء مع من أحب » .  
وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا \* يَا  
وَيْلَيَّ لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فُلَانًا خَلِيلًا \* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ  
لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ \* مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ إلى  
قوله : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أزواجهم أشباههم  
ونظراؤهم ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ ﴾ .

فقرن كل شكل إلى شكله، وجعل معه قرينًا وزوجًا، البر مع البر والفاجر مع الفاجر .  
والمقصود أن من أحب شيئًا سوى الله فالصَّيرر حاصل له بمحبوبه إن وجدَ وإن فقدَ ، فإنه  
إن فقدَ عذب بفواته ، وتألم على قدرٍ تعلق قلبه به ، وإن وجده كان ما يحصل له من  
الألم قبل حصوله ، ومن النكد في حال حصوله ، ومن الحسرة عليه بعد فواته ، أضعاف  
ما في حصوله له من اللذة .

وهذا الأمر معلوم بالاستقراء والاعتبار والتجارب ، ولهذا قَالَ النَّبِيُّ ρ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي  
رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ : « الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذَكَرَ اللَّهَ وَمَا وَالَاه » .

فذكره جميع أنواع طاعته فكل من كان في طاعته فهو في ذكره ، وإن لم يتحرك لسانه  
بالذكر ، وكل من والاه فقد أحبه وقربه فاللعنة لا تنال ذلك بوجه وهي نائلة كل ما عداه

اللَّهُمَّ ارزقنا العافية في أبداننا والعصمة في ديننا وأحسن منقلبنا ووفِّقنا للعمل بِطَاعَتِكَ أَبَدًا ما أبقيتنا واجمع بين خيري الدُّنيا والآخرة ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْ محبتك في قلوبنا وقوها وارزقنا القيام بِطَاعَتِكَ وجنبا ما يسخطك وأصلح نياتنا وذرياتنا وأعدنا من شر نفوسنا وسيئات أعمالنا وأعدنا من عدوك واجعل هوانا تبعا لما جاء به رسولك ﷺ . وَأَعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَي مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فَصْلٌ )

عباد الله كلمة التوحيد " لا إله إلا الله " ، هي العروة الوثقى وهي التي فطر الله عليها جميع خلقه .

ولها أركان وشروط ، فأركانها اثنان نفي وإثبات . وحد النفي من الإثبات ( لا إله ) ، أي نافيًا جميع ما يعبد من دون الله . والأثبات ( إلا الله ) أي مثبتًا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه .

وأما شروطها فسبعة لا تصح هذه الكلمة ولا تنفع قائلها إلا إذا استجمعت له الشروط التي تلي .

**الأول : العلم ،** بمعناها نفيًا وإثباتًا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ وَقَالَ ﴿ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ وَقَالَ ﷺ : « من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة » .

**الثاني : اليقين ،** أي استيقان القلب بما قال الله تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ .

وقال ﷺ : « أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة » . وَقَالَ ﷺ لِأَبِي هُرَيْرَةَ : « من لقيت وراء هذا

الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بما قلبه فبشره بالجنة . كلاهما في الصحيح .  
**الثالث : الإخلاص ،** قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ ،  
 وَقَالَ ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدَ  
 النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أبا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي  
 عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَى مِنْكَ لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ . أَسْعَدَ النَّاسَ  
 بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ » .  
 وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « قَالَ اللهُ تَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ  
 عَنْ الشُّرْكِ مِنْ عَمَلٍ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتَهُ وَشْرَكَهُ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

**الرابع : الصدق ،** قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ،  
 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : مِنْ جَاءَ بِهَا إِلَّا إِلَهًا إِلَّا اللهُ وَقَالَ ﴿ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا  
 وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ) .

وَقَالَ ﷺ : « مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا  
 حَرَمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ » . متفق عليه . وتقدم قوله ﷺ : « يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا  
 بِهَا قَلْبُهُ » . الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَقَالَ ﷺ لِلأَعْرَابِيِّ الَّذِي عَلِمَهُ شَرَايِعَ الْإِسْلَامِ : « أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ » .

**الخامس : المحبة** قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾  
 وَقَالَ ﷺ : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حُلُوهَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ  
 مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللهُ » . الْحَدِيثُ . متفق عليه .

وَقَالَ ρ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » .  
متفق عليه .

السادس: الانقياد لها ظاهراً وباطناً ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ وَقَالَ ρ : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

السابع : القبول لها ، وَقَدْ جَمَعَ بَعْضُهُمْ شُرُوطَ " لا إله إلا الله " في بيت فقال :

علم يقين وإخلاص وصدقك مع محبة وانقياد والقبول لها

فلا يرد شيئاً من لوازمها ومقتضياتها ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ ﴾ وَقَالَ أَيْضًا فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَقْبَلْهَا " إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إله إلا الله يَسْتَكْبِرُونَ \* وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾ .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قَالَ النَّبِيُّ ρ : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً ، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبٌ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تَنْبِتُ كَلَأً ، فَذَلِكَ مِثْلُ مَنْ فَهِمَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلِمَ ، وَمِثْلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلْتُ بِهِ » . متفق عليه .

وَقَدْ شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ بِالْوَحْدَانِيَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ



هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٥٧﴾  
 فقد تضمنت هذه الآية الكريمة حقيقة التوحيد والرد على جميع طوائف الضلال فقد  
 تضمنت أجل شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها من أجل شاهد بأجل مشهود به  
 وعبارات السلف في "شاهد" تدور على الحكم والفضاء والأعلام والأخبار والبيان وهذه  
 الأقوال كلها حق لا تنافي بينها

فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وخبره وتتضمن إعلامه وإخباره وبيانه فلها أربع مراتب  
 :

فأول مراتبها : علم ومعرفة واعتقاد لصحة المشهود به وثبوتها  
 وثانيها : تكلمه بذلك وإن لم يعلم به غيره بل يتكلم بما مع نفسه ويتذكرها ونطق بها أو  
 يكتبها .

وثالثها : أن يعلم غيره بما يشهد ويخبره به ويبينه له  
 ورابعها : أن يلزمه بمضمونها ويأمره به فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية والقيام  
 بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربع علمه بذلك وتكلمه وإخباره لخلقه وأمرهم وإلزامهم  
 به . فأما مرتبة العلم فإن الشهادة تتضمنها ضرورة وإلا كان الشاهد شاهداً بما لا علم له  
 به ، قَالَ تَعَالَى ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٥٧﴾

وقال ρ : « على مثلها فاشهد » . وأشار إلى الشمس . وأما مرتبة التكلم والخبر فقال  
 تَعَالَى ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ  
 وَيُسْأَلُونَ﴾ ﴿٢٥٧﴾ فجعل ذلك منهم شهادة وإن لم يتلفظوا بلفظ الشهادة ولم يؤدوها عند  
 غيرهم .

وأما مرتبة الإعلام فنوعان : إعلام بالقول ، وإعلام بالفعل ، وَهَذَا شَأْنُ كُلِّ مَعْلَمٍ لِغَيْرِهِ بِأَمْرٍ ، تَأْرَةٌ يَعْلَمُهُ بِهِ بِقَوْلٍ وَتَأْرَةٌ بِفِعْلٍ وَلِهَذَا كَانَ مِنْ جَعَلِ دَارَهُ مَسْجِدًا وَأَبْرَزَهَا وَفَتَحَ طَرِيقَهَا وَأَذِنَ لِلنَّاسِ بِالِدُخُولِ وَالصَّلَاةِ فِيهَا مَعْلَمًا أَنَّمَا وَقَفَ وَإِنْ لَمْ يَلْفِظْ وَكَذَا شَهَادَةُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيَانُهُ وَأَعْلَامُهُ يَكُونُ بِقَوْلِهِ تَأْرَةٌ وَبِفِعْلِهِ أُخْرَى فَالْقَوْلُ مَا أُرْسِلَ بِهِ رِسْلُهُ وَأَنْزَلَ بِهِ كِتَابَهُ

وأما بيانه وإعلامه بفعله كما قَالَ ابن كيسان : شهد الله بتدبيره العجيب وأموره المحكمة عِنْدَ خَلْقِهِ أَنْ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَقَالَ الْآخَرُ :

تَدُلُّ عَلَيَّ أَنَّهُ الْوَاحِدُ	وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ
عَلَى أَنَّهُ الْبَارِي الْإِلَهُ الْمُصَوِّرُ	آخِرُ : لَهُ كُلُّ ذَرَاةِ الْوُجُودِ شَوَاهِدٌ
إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِيكُ	آخِرُ : تَأْمَلُ فِي نَبَاتِ الْأَرْضِ وَانظُرْ
بِأَخْدَاقِ هِيَ الذَّهَبِ السَّيِّكُ	عُيُونٍ مِنْ لُجَيْنٍ شَاخِصَاتُ
بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ	عَلَى قُضْبِ الرَّبْرِجِدِ شَاهِدَاتُ
إِلَى الثَّقَلَيْنِ أَرْسَلَهُ الْمَلِيكُ	وَأَنَّ مُحَمَّدًا خَيْرُ الْبَرَائِيَا
مِنَ الْمَلِكِ الْأَعْلَى إِلَيْكَ رَسَائِلُ	آخِرُ : تَأْمَلُ سُطُورَ الْكَاتِبَاتِ فَإِنَّهَا
أَلَا كُلَّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ	وَقَدْ كَانَ فِيهَا لَوْ تَأْمَلْتَ خَطَّهَا

وَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الشَّهَادَةَ تَكُونُ بِالْفِعْلِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ﴾ فهذه شهادة مِنْهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِمَا يَفْعَلُونَهُ .

وأما مرتبة الأمر بذلك والإلزام به فَإِنَّ مَجْرَدَ الشَّهَادَةِ لَا يَسْتَلْزِمُهُ لَكِنِ الشَّهَادَةُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَدُلُّ عَلَيْهِ وَتَتَضَمَّنُهُ .

فإنه سُبْحَانَهُ شهد به شهادة من حكم به وقضى وأمر وألزم عباده كما قال

تَعَالَى ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ والقرآن كله شاهد بذلك .

ووجه استلزام شهادته سُبْحَانَهُ لِذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا شَهِدَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَقَدْ أَخْبَرَ وَتَبَّأً وَأَعْلَمَ وَحَكَمَ وَقَضَى أَنْ مَا سِوَاهُ لَيْسَ بِإِلَهٍ وَأَنَّ الْوَهْمِيَّةَ مَا سِوَاهُ بَاطِلَةٌ .

فلا يستحق العبادة سواه كما لا تصلح الإلهية لغيره ، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ الْأَمْرَ بِاتِّخَاذِهِ وَحَدَهُ إِلَهًا وَالنَّهْيَ عَنِ اتِّخَاذِ غَيْرِهِ مَعَهُ إِلَهًا وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ الَّتِي اتَّفَقَتْ عَلَيْهَا الرُّسُلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

وما من رسول إلا جعلها مفتتح أمره وقضب رجاه كما قَالَ نَبِيْنَا ﷺ : « أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحَسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

وَحَقُّ هَذِهِ الْكَلِمَةِ هُوَ فِعْلُ الْوَاجِبَاتِ وَتَرْكُ الْمَحْرَمَاتِ .

وَأَمَّا فَائِدَتُهَا وَثَمَرَتُهَا فَالسَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِمَنْ قَالَهَا عَارِفًا لِمَعْنَاهَا عَامِلًا بِمَقْتَضَاهَا ، وَأَمَّا مَجْرَدُ النُّطْقِ فَلَا يَنْفَعُ لَا بَدَّ مِنْ عَمَلٍ .

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ : مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّهُ بِمَجْرَدِ تَلْفِظِهِ بِالشَّهَادَةِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ فَهُوَ ضَالٌّ مَخَالِفٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ . أ . هـ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْعَقْلَةِ وَنَبَهْنَا لِاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمَهَلَةِ لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا تَوَاضَعْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَاكْتَنَتْهُ سِرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْإِحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " موعظة "

عباد الله إن لكلمة التَّوْحِيدِ فضائل عظيمة لا يمكن استقصاؤها مِنْهَا أَنُهَا

كلمة الإسلام وإنها مفتاح دار السّلام فيا ذوي العقول الصّحاح ويا ذوي البصائر والفلاح جددوا إيمانكم في المساء والصبح بقول لا إله إلا الله من أعماق قلوبكم متأملين لمعناها عاملين بمقتضاها .

عباد الله ما قامت السماوات والأرض ولا صحت السنّة والفرض ولا نجا أحد يوم العرض إلا بلا إله إلا الله ولا جردت سيوف الجهاد ، ولا أرسلت الرسل إلى العباد إلا ليعلمهم العمل بلا إله إلا الله .

تالله إنها كلمة الحق ودعوة الحق وإنها براءة من الشرك ونجاة هذا الأمر ولأجلها خلق الله الخلق كما قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ وقال تعالى ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ .

قال ابن عيينة رحمه الله : ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أفضل من أن عرفه لا إله إلا الله ، وأن لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا ولأجلها أعدت دار الثواب ، ودار العقاب ولأجلها أمرت الرسل بالجهاد .

فمن قالها عصم ماله ودمه ومن أبأها فماله ودمه حلال ، وبها كلم الله موسى كفاحاً وهي أحسن الحسنات كما في المسند عن شداد بن أوس وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لأصحابه : « ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله » . فرفعنا أيدينا ساعة فوضع رسول الله ﷺ يده . وقال : « الحمد لله اللهم بعثني بهذه الكلمة ، وأمرتني بها ووعدتني الجنة وإنك لا تخلف الميعاد » .

ثم قال : « أبشرو فإن الله قد غفر لكم وهي أحسن الحسنات وهي تحو الذنوب والخطايا .

وفي سنن ابن ماجه عن أم هانئ عن النبي ﷺ قال : « لا إله إلا الله لا

تترك ذنبًا ولا يسبقها عمل » . وروي بعض السلف بعد موته في المنام فقال : ما أبقت لا إله إلا الله شيئًا وهي تجدد ما درس من الإيمان في القلب .

آخر : وَإِنْ أَصْدَقَ قَوْلٍ أَنْتَ قَائِلُهُ قَوْلٌ تَضَمَّنَ تَوْحِيدَ الَّذِي خَلَقَنَا

وفي المسند أن النبي ﷺ قَالَ لأصحابه : « جددوا إيمانكم » . قَالُوا : كيف نجدد إيماننا ؟ قَالَ : « قولوا لا إله إلا الله ، وهي التي لا يعدلها شيء في الوزن فلو وزنت بالسموات والأرض لرجحت بهن ، كما في المسند عن عَبْدِ اللَّهِ بن عمرو رضي الله عنهما عن النَّبِيِّ ﷺ أَن نوحًا عَلَيْهِ السَّلَام قَالَ لابنه عِنْدَ موته " آمرك بلا إله إلا الله فَإِنَّ السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله لرجحت بهن ، ولو أن السموات السبع والأرضين كن في حلقه مبهمة فصمتهن لا إله إلا الله .

وأما ترجح بالسموات والأرض كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بن عمرو رضي الله عنه أن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام قَالَ : يَا رب علمني شيئًا اذكرك وادعوك به . قَالَ : يَا مُوسَى قل لا إله إلا الله . قَالَ مُوسَى : يَا رب كُلَّ عبادك يقولون هَذَا ؟

قَالَ : يَا مُوسَى قل لا إله إلا الله . قَالَ : لا إله إلا الله ، إنما أريد شيئًا تخصني به ؟ قَالَ : يَا مُوسَى لو أن السموات السبع والأرضين السبع وعامرهنَّ غيري في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهنَّ لا إله إلا الله .

كَذَلِكَ ترجح في صحائف الدُّنُوب ، كما في حديث السجلات ، والبطاقة ، وفي حديث عَبْدِ اللَّهِ بن عمرو فيما أَخْرَجَهُ أحمد والنسائي والترمذي عن النَّبِيِّ ﷺ .  
اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبُورِ وَأَدْخِلْنَا بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاعْفِرْ لَنَا .

ولوالدينا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .  
وصلى الله على مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه اجمعين .

### "فصل"

وهي التي تحرق الحجب حتى تصل إلى الله عز وجل وإنما ليس لها دون الله حجاب ، لما تقدم ولما في الترمذي عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَعَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَيْسَ لَهَا دُونَ اللَّهِ حِجَابٌ وَأَنْهَا تَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا إِلَّا فَتَحَتْ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ حَتَّى تَفْضِيَ إِلَى الْعَرْشِ » .

ويروى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعًا : « مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ ، إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَمَا أَنَّ شَفَتَيْكَ لَا تَحْجِبُهَا كَذَلِكَ لَا يَحْجِبُهَا شَيْءٌ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ .

وورد عَنْ النَّبِيِّ ﷺ : « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مُخْلِصًا بِهَا قَلْبُهُ يَصْدُقُ بِهَا لِسَانُهُ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ السَّمَاءَ فَتَقًا حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى قَائِلِهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَحَقَّ لِعَبْدٍ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُ سؤَالَهُ ، وَهِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي يَصْدُقُ اللَّهُ قَائِلَهَا .

كما فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : إِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ صَدَقَهُ رَبُّهُ وَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، وَأَنَا أَكْبَرُ . وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . قَالَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي لَا شَرِيكَ لِي . وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ . قَالَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لِي الْمُلْكُ وَلِي الْحَمْدُ ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا

حول ولا قوة الا بالله ، قَالَ اللهُ : لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي . وَكَانَ يُعْمَلُ مِنْ قَالِهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمِهِ النَّارُ ، وَهِيَ أَفْضَلُ مَا قَالَهُ النَّبِيُّونَ كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي دَعَاءِ عَرَفَةَ وَهِيَ أَفْضَلُ الذِّكْرِ كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِرِ الْمَرْفُوعِ أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَحَبُّ كَلِمَةٍ إِلَى اللهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، لَا يَقْبَلُ اللهُ عَمَلًا إِلَّا بِهَا .

وَهِيَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ ، وَأَكْثَرُهَا تَضْعِيفًا وَتَعْدُلُ عِتْقَ الرِّقَابِ وَتَكُونُ حَرَزًا مِنَ الشَّيْطَانِ ، كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمِ مِائَةِ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمَحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ ، إِلَّا وَاحِدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ .

وَوُرِدَ أَنْ مِنْ قَالِهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ عُمَرَ مَرْفُوعًا : « مَنْ قَالِهَا إِذَا دَخَلَ السُّوقَ » . وَزَادَ فِيهَا : « يَجِي وَيَمِيتُ بِيَدِهِ الْخَيْرَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، كُتِبَ اللهُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ ، وَمَحِيَتْ عَنْهُ أَلْفُ سَيِّئَةٍ ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفُ أَلْفِ دَرَجَةٍ » . وَفِي رِوَايَةٍ : « يُبْنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ » .

وَمِنْ فِضَائِلِهَا أَنَّهَا آمَانٌ مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ وَهَوْلِ الْمَحْشَرِ كَمَا فِي الْمَسْنَدِ وَغَيْرِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْشَةٌ فِي قُبُورِهِمْ وَلَا فِي نَشُورِهِمْ ، وَكَأَنِّي بِأَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَنْفُضُونَ التُّرَابَ عَنْ رُؤُوسِهِمْ وَيَقُولُونَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ » .

وَفِي حَدِيثِ مَرْسَلٍ : « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ أَمَانًا مِنَ الْفَقْرِ ، وَأَنْسًا مِنَ وَحْشَةِ الْقَبْرِ ، وَاسْتَجْلَبَ بِهِ الْغِنَى ، وَاسْتَقْرَعَ بِهِ بَابَ الْجَنَّةِ ، وَهِيَ شِعَارُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا قَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ » .

ومن فضائلها أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء . وفي الصحيحين عن عباد بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » .

وفي حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قصة منامه الطويل ، وفيه قَالَ : « رأيت رجلاً من أممي انتهى إلى أبواب الجنة فأغلقت دونه ، فجأته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة » .

ومن فضائلها أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقهم ، فإنهم لا بد أن يخرجوا منها . وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « يقول الله وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله » . أ.هـ . والله أعلم . وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم .

### " فَصْل "

قَالَ ابن القيم رحمه الله : أصل الأعمال الدينية حب الله ورسوله كما أن أصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله ، وكل إرادة تمنع كمال حب الله ورسوله ، وتزحم هذه المحبة فإنها تمنع كمال التصديق .

فهي معارضة لأصل الإيمان أو مضعفة له . فإن قويت حتى عارضت أصل الحب والتصديق كانت كفرًا أو شركًا أكبر ، وإن لم تعارضه قدحت في كماله وأثرت فيه ضعفًا وفتورًا في العزيمة والطلب، وهي تحجب الواصل وتقطع الطالب وتنكي الراغب .

فلا تصلح الموالاتة إلا بالمعاداة كما قَالَ تَعَالَى عَنْ إِمَامِ الْحَنْفَاءِ الْحَبِيبِ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ \* أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ \* فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ فلم تصلح لخليل الله هذه الموالاتة والخللة إلا بتحقيق هذه المعاداة فإن



ولاية الله لا تصلح إلا بالبراءة من كلِّ معبود سواه .

قَالَ تَعَالَى ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ \* إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ \* وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ \* أي جعل هذه الموالاة لله والبراءة من كلِّ معبود سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض . وهي كلمة لا إله إلا الله ، وهي التي ورثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة .

وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسموات وفطر الله عليها جميع المخلوقات ، وعليها أسست الملة ونصبت القبلة ، وحردت سيوف الجهاد . وهي محض حق الله على جميع العباد .

وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار المنجية من عذاب القبر وعذاب النار ، وهي المنشود الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به والحبل الذي لا يصل إلى الله من لم يتعلق بسببه .

وهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام ، وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد ومقبول وطريد .

وبها انفصلت دار الكفر من دار السلام وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان . وهي العمود الحامل للفرض والسنة ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة . وروح هذه الكلمة وسرها أفراد الرب جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وتبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره بالمحبة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك ، من التوكل والإنابة والرغبة والرغبة .

فلا يجب سواه ، بل كلُّ ما كان يجب غيره وإنما هو تبعاً لمحبهه وكونه وسيلة إلى

زيادة محبته ولا يخاف سواه ، ولا يرجو سواه ولا يتوكل إلا عَلَيْهِ ، ولا يرغب إلا إليه ، ولا يهرب إلا منه .

ولا يحلف إلا باسمه، ولا ينذر إلا له، ولا يتأب إلا إليه ، ولا يطاع إلا أمره ، ولا يحتسب إلا به ، ولا يستعان في الشدائد إلا به، ولا يلتجأ إلا إليه ، ولا يسجد إلا له ، ولا يذبح إلا له وباسمه . يَجْتَمَعُ ذَلِكَ فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ هُوَ أَنْ : لا يعبد بجميع أنواع العبادة إلا هُوَ . فَهَذَا هُوَ تَحْقِيقُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلِهَذَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ شَهْدِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَقِيقَةَ الشَّهَادَةِ ، وَمَحَالٌ أَنْ يَدْخُلَ النَّارُ مِنْ تَحْقِيقِ حَقِيقَةِ هَذِهِ الشَّهَادَةِ وَقَامَ بِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾ فيكون قائماً بشهادته في باطنه وظاهره وفي قلبه وقالبه .

فإن من الناس من تكون شهادته ميتة .

وَمِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ نَائِمَةً إِذَا نَبَهَتْ انْتَبَهَتْ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ مَضْطَجِعَةً ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ إِلَى الْقِيَامِ أَقْرَبَ . وَهِيَ فِي الْقَلْبِ بِمَنْزِلَةِ الرُّوحِ فِي الْبَدَنِ . فَرُوحٌ مَيْتَةٌ وَرُوحٌ مَرِيضَةٌ إِلَى الْمَوْتِ أَقْرَبَ .

وروح إلى الحياة أقرب ، وروح صحيحة قائمة بمصالح البدن . وفي الحديث الصحيح عنه ρ : « إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت إلا وجدت روحه لها روحاً » .

فحياة هذه الروح بهذه الكلمة فكما أن حياة البدن بوجود الروح فيه وكما إن من مات على هذه الكلمة فهو في الجنة يتقلب فيها .

فمن عاش على تحقيقها والقيام بها فروحه تتقلب في جنة المأوى وعيشها أطيب عيش ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ \* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ .

فالجَنَّةُ مأواه يوم اللقاء ، وجنة المعرفة والمحبة والأُنسِ بِاللَّهِ والشوقِ إِلَى لقائه والفرح به والرضى عَنْهُ وبه مأوى روحه فِي هَذِهِ الدار .

فمن كَانَتْ هَذِهِ الْجَنَّةُ مأواه ها هنا كَانَتْ جنة الخلد مأواه يوم الميعاد ، ومن حرم هَذِهِ الْجَنَّةَ فهو لتلك الْجَنَّةِ أشد حرماناً .

والأَبْرَارُ فِي نعيم وإن اشتد بِحُمِّ العيش وضاق بِحُمِّ الدُّنْيَا ، والفجار فِي جحيم وإن اتسعت عَلَيْهِم الدُّنْيَا ، قَالَ تَعَالَى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ .

وطيب الحياة جنة الحياة ، قَالَ تَعَالَى ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ ، فأى نعيم أطيب من شرح الصدر ، وأى عذاب أشد من ضيق الصدر .

وقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ \* هُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

فالمؤمن المخلص لله من أطيب النَّاسِ عيشًا وأنعمهم بالأً وأشرحهم صدرًا وأسرههم قلبًا ، وهذه جَنَّةٌ عاجلة قبل الْجَنَّةِ الآجلة ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِذَا مررتم برياض الْجَنَّةِ فارتعوا » .  
قَالُوا : وما رياض الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : « حلق الذكر » .

ومن هَذَا قوله ﷺ : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الْجَنَّةِ » . ومن هَذَا قوله وَقَدْ سألوه عَنْ وصاله فِي الصوم وَقَالَ : « إني لست كهيئتكم إني أَظِلُّ عِنْدَ رَبِّي يطعمني ويسقيني » .

فأخبر ﷺ أن ما يحصل لَهُ من الغذاء عِنْدَ رَبِّهِ يقوم مقام الطعام والشراب الحسي ، وأن ما يحصل لَهُ من ذَلِكَ أمر مختص به لا يشركه فيه غيره ، فإذا أمسك عَنْ الطعام والشراب فله عوض عَنْهُ يقوم مقامه وينوب منابه ويغني عَنْهُ كما قِيلَ :

لَهَا أَحَادِيثُ مِنْ ذِكْرِكَ تَشْغَلُهَا      عَنِ الشَّرَابِ وَتُلْهِيَهَا عَنِ الزَّادِ  
لَهَا بَوَجْهِكَ نُورٌ تَسْتَضِيُّ بِهِ      وَمِنْ حَدِيثِكَ فِي أَعْقَابِهَا حَادِي  
إِذَا اشْتَكَّتْ مِنْ كِلَالِ السَّيْرِ أَوْعَدَهَا      رُوحُ اللَّقَاءِ فَتَحِي عِنْدَ مِيعَادِ

وكلُّما كان وجود الشيء أنفع للعبد وهو إليه أحوج كان تألمه بفقدته أشد ، وكلُّما كان عدمه أنفع كان تألمه بوجوده أشد ، ولا شيء على الإطلاق أنفع للعبد من إقباله على الله ، واشتغاله بذكره وتنعمه بحبه ، وإيثاره لمرضاته . بل لا حياة ولا نعيم ولا سرور ولا بهجة إلا بذلك .

فعدمه ألم شيء له وأشد عذاباً عليه ، وإنما تغيب الروح عن شهود هذا الألم والعذاب لا اشتغالها بغيره واستغراقها في ذلك الغير فتغيب به عن شهود ما هي فيه من ألم العقوبة بفراق أحب شيء إليها وأنفعه لها .

وهذا بمنزلة السكران المستغرق في سكره الذي احترقت داره وأمواله وأهله وأولاده وهو لا استغراقه في السكر لا يشعر بألم ذلك الفوات وحسرتة .

حتى إذا صحا وكشف عنه غطاء السكر وانتهى من رقدة الخمر فهو اعلم بحاله حينئذ ، وهكذا الحال سواء عند كشف الغطاء ومعاينة طلائع الآخرة والإشراف على مفارقة الدنيا والانتقال منها إلى الله .

بل الألم والحسرة والعذاب هناك أشد بأضعاف أضعاف ذلك ، فإن المصاب في الدنيا يرجو جبر مصيبته في الدنيا بالعرض ويعلم أنه قد أصيب بشيء زائل لا بقاء له ، فكيف بمن مصيبته بما لا عوض عنه ولا بدل منه ولا نسبة بينه وبين الدنيا جميعها .

فلو قضى الله سبحانه بالموت من هذه الحسرة والألم لكان العبد جديراً به ، وأن الموت ليعد أكبر أمنيته وأكبر حسراته هذا لو كان الألم على مجرد الفوات .

كيف وهناك من العذاب على الروح والبدن أمور أخرى مما لا يقدر قدره ؟  
 فتبارك من حمل هذا الخلق الضعيف هذين الأليمين العظيمين اللذين لا تحملهما الجبال  
 الرواسي . فاعرض على نفسك الآن أعظم محبوب لك في الدنيا ، بحيث لا تطيب لك  
 الحياة إلا معه فأصبحت وقد أخذ منك وحيل بينك وبينه أحوج ما كنت إليه ، كيف  
 يكون حالك هذا ومنه كل عوض ؟ فكيف بمن لا عوض عنه ؟ كما قيل :

وَمَا ضَرَّنِي إِتْلَافُ عُمْرِي كُلِّهِ إِذَا لِمَرَاضِي اللَّهِ أَصْبَحْتُ حَائِرًا

وفي الأثر الإلهي : « ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب ، وتكفلت برزقك فلا تتعب ،  
 ابن آدم اطلبني تجدني فَإِنَّ وجدتي وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء ، وأنا  
 أحب إليك من كل شيء » . انتهى كلامه رحمه الله .

شِعْرًا : كُلُّ لَهُ مَطْلَبٌ يَسْعَى لِيُدْرِكَهُ مُسْتَحْسِنًا لِلَّذِي يَرْضَى وَيَهْوَاهُ

وَذُو الدِّيَانَةِ يَسْعَى دَائِمًا أَبَدًا فِيمَا يَرَى أَنَّهُ يَرْضَى بِهِ اللَّهُ

اللَّهُمَّ علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا ولا تجعل علمنا وبالاً علينا . اللَّهُمَّ قوى معرفتنا  
 بك وبأسمائك وصفاتك ونور بصائرنا ومتعنا بإسماعنا وأبصارنا وقواتنا يا رب العالمين .  
 وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .  
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ  
 قَالَ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بْنُ سَحْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

رَسَائِلُ إِخْوَانِ الصِّفَا وَالتَّوَدُّدِ إِلَى كُلِّ ذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ مُوَحَّدِ

وَمِنْ بَعْدِ حَمْدِ اللَّهِ وَالشُّكْرِ وَالثَّنَا صَلَاةً وَتَسْلِيمًا عَلَى خَيْرِ مُرْشِدِ

وَأَلٍ وَصَحْبٍ وَالسَّلَامِ عَلَيْكُمْ بَعْدَ وَمِيضِ الْبَرْقِ أَهْلَ التَّوَدُّدِ

وَنَعْدُ فَقَدْ طَمَّ الْبَلَاءُ وَعَمَّ مَا مِنَ الْجَهْلِ بِالذِّينِ الْقَوِيمِ الْمُحَمَّدِيِّ

بِمَا لَيْسَ نَشْكُو كَشْفَهُ وَانْتِقَادَنَا لِعَيْرِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْمُتَّفَرِّدِ

وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا النَّزْرُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ يُعَادِيهِمْ مِنْ أَهْلِهَا كُلِّ مُعْتَدِ

فَهَبُوا عِبَادَ اللَّهِ مِنْ نَوْمَةِ الرَّدَى إِلَى الْفَقْهِ فِي أَصْلِ الْهُدَى وَالتَّجَرُّدِ

وَقَدْ عَنَّ أَنْ نُهْدِي إِلَى كُلِّ صَاحِبٍ  
 فَدُونَكَ مَا نُهْدِي فَهَلْ أَنْتَ قَابِلٌ  
 تَرُوقُ لَكَ الدُّنْيَا وَلَذَاتِ أَهْلِهَا  
 فَإِنْ زُمْتَ أَنْ تَنْجُو مِنَ النَّارِ سَالِمًا  
 وَرُوحٍ وَرَبْحَانٍ وَأَرْفَهٍ حَبْرَةٍ  
 فَحَقِّقْ لِتَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ مُخْلِصًا  
 وَأَفْرِدُهُ بِالتَّعْظِيمِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَا  
 وَبِالنَّذْرِ وَالذَّبْحِ الَّذِي أَنْتَ نَاسِكٌ  
 وَلَا تَسْتَعِينِ إِلَّا بِهِ وَبِحَوْلِهِ  
 وَلَا تَسْتَعِذْ إِلَّا بِهِ لَا بَعِيرِهِ  
 إِلَيْهِ مُنِيبًا تَائِبًا مُتَوَكِّلًا  
 وَلَا تَدْعُ إِلَّا اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرَهُ  
 وَفِي صَرْفِهَا أَوْ بَعْضِهَا الشَّرْكَ قَدْ أَتَى  
 وَهَذَا الَّذِي فِيهِ الْخُصُومَةُ قَدْ جَرَتْ  
 وَوَحَّدَهُ فِي أَفْعَالِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ  
 هُوَ الْخَالِقُ الْمُخْيِي الْمُمِيتُ مُدَبِّرٌ  
 إِلَى غَيْرِ ذَا مِنْ كُلِّ أَفْعَالِهِ الَّتِي  
 وَوَحَّدَهُ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ  
 فَلَيْسَ كَمَثَلِ اللَّهِ شَيْءٌ وَلَا لَهُ  
 وَذَا كُلُّهُ مَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّهُ  
 فَحَقَّقْ لَهَا لَفْظًا وَمَعْنَى فَإِنَّهَا  
 وَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى فَكُنْ مُتَمَسِّكًا  
 فَكُنْ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ وَلِوَاحِدٍ  
 نَصِيدًا مِنَ الْأَصْلِ الْأَصِيلِ الْمُؤْتَدِ  
 لِذَلِكَ أَمْ قَدْ غَيَّنَ قَلْبَكَ بِالِدِّ  
 كَأَنَّ لَمْ تَصِرْ يَوْمًا إِلَى قَبْرِ مَلْحَدِ  
 وَتَحْطَى بِجَنَّاتٍ وَخُلْدٍ مُؤَبَّدِ  
 وَخُورٍ حَسَانٍ كَالْيَوَاقِيتِ خُرْدِ  
 بِأَنْوَاعِهَا اللَّهُ قَصْدًا وَجَرْدِ  
 وَبِالْحُبِّ وَالرُّغْبَى إِلَيْهِ وَجَرْدِ  
 وَلَا تَسْتَعِثْ إِلَّا بِرَبِّكَ تَهْتَدِ  
 لَهُ خَاشِيًا بَلْ خَاشِعًا فِي التَّعْبُدِ  
 وَكُنْ لَائِدًا بِاللَّهِ فِي كُلِّ مَقْصَدِ  
 عَلَيْهِ وَثِقْ بِاللَّهِ ذِي الْعَرْشِ تَرُشِدِ  
 فَدَاعٍ لِغَيْرِ اللَّهِ غَاوٍ وَمُعْتَدِ  
 فَجَانِبُهُ وَاحْذَرْ أَنْ تَجِيءَ بِمُؤَبَّدِ  
 عَلَى عَهْدِ نُوحٍ وَالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ  
 مُقِرًّا بِأَنَّ اللَّهَ أَكْمَلُ سَيِّدِ  
 هُوَ الْمَالِكُ الرَّزَاقُ فَاسْأَلْهُ وَاجْتَدِ  
 أَقَرَّ وَلَمْ يَجْحَدْ بِهَا كُلُّ مَلْحَدِ  
 وَلَا تَتَأَوَّلْهَا كَرَأْيِ الْمُفْتَدِ  
 سَمِيٌّ وَقُلْ لَا كُفُوَ لِلَّهِ تَهْتَدِي  
 إِلَهُ الْوَرَى حَقًّا بِغَيْرِ تَرْدُدِ  
 لَنِعْمَ الرَّجَا يَوْمَ اللِّقَا لِلْمُؤَحَّدِ  
 بِهَا مُسْتَقِيمًا فِي الطَّرِيقِ الْمُحَمَّدِي  
 تَعَالَى وَلَا تُشْرِكْ بِهِ أَوْ تُنَدِّدِ

وَمَنْ لَمْ يُقَيِّدْهَا بِكُلِّ شَرْطِهَا  
 فَلَيْسَ عَلَى نَهْجِ الشَّرِيعَةِ سَالِكًا  
 فَأَوْلَاهَا الْعِلْمُ الْمُنَافِي لِضِدِّهِ  
 فَأَوْلَاهَا الْعِلْمُ الْمُنَافِي لِضِدِّهِ  
 فَلَوْ كَانَ ذَا عِلْمٍ كَثِيرٍ وَجَاهِلٍ  
 وَمَنْ شَرْطِهَا وَهُوَ الْقُبُولُ وَضِدُّهُ  
 كَحَالِ قُرَيْشٍ حِينَ لَمْ يَقْبَلُوا الْهُدَى  
 وَقَدْ عَلِمُوا مِنْهَا الْمُرَادَ وَأَنَّهَا  
 فَقَالُوا كَمَا قَدْ قَالَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ  
 فَصَارَتْ بِهِ أَمْوَالُهُمْ وَدِمَاءُهُمْ  
 وَنَائِثُهَا الْإِخْلَاصُ فَاعْلَمْ وَضِدُّهُ  
 كَمَا أَمَرَ اللَّهُ الْكَرِيمُ نَبِيَّهُ  
 وَرَابِعُهَا شَرْطُ الْمَحَبَّةِ فَلْتَكُنْ  
 وَإِخْلَاصُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ كُلِّهَا  
 وَمَنْ كَانَ ذَا حُبٍّ لِمَوْلَاهُ إِنَّمَا  
 فَعَادِ الَّذِي عَادَى لِذَيْنِ مُحَمَّدٍ  
 وَأَحِبِّ رَسُولِ اللَّهِ أَكْمَلَ مَنْ دَعَى  
 أَحَبَّ مِنَ الْأَوْلَادِ وَالنَّفْسِ بَلْ وَمَنْ  
 وَطَارِفِهِ وَالْوَالِدِينَ كَلَيْهِمَا  
 وَأَحِبِّ لِحُبِّ اللَّهِ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا  
 وَمَا الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ وَالْبُغْضُ وَالْوَلَا  
 وَخَامِسُهَا فَلَا يُنْفِيَادُ وَضِدُّهُ  
 فَتَنْقَادُ حَقًّا بِالْحُقُوقِ جَمِيعِهَا

كَمَا قَالَهُ لِأَعْلَامٍ مِنْ كُلِّ مُهْتَدٍ  
 وَلَكِنْ عَلَى آرَاءٍ كُلِّ مَلَدِدٍ  
 مِنَ الْجَهْلِ إِنَّ الْجَهْلَ لَيْسَ بِمُسْعَدٍ  
 مِنَ الْجَهْلِ إِنَّ الْجَهْلَ لَيْسَ بِمُسْعَدٍ  
 بِمَدْلُولِهَا يَوْمًا فَبِالْجَهْلِ مُرْتَدٍ  
 هُوَ الرَّدُّ فَافْهَمْ ذَلِكَ الْقَيْدَ تَرَشُّدٍ  
 وَرَدُّهُ لِمَا أَنْ عَتَوْا فِي التَّمَرُّدِ  
 تَدَلُّ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَالتَّفَرُّدِ  
 بِسُورَةِ ( ص ) فَاعْلَمْ ذَلِكَ تَهْتَدِ  
 حَالًا وَأَعْنَامًا لِكُلِّ مُوَحِّدٍ  
 هُوَ الشِّرْكَ بِالْمَعْبُودِ مِنْ كُلِّ مُلْحِدٍ  
 بِسُورَةِ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ الْمُمَجَّدِ  
 مُجِبًّا لِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْهُدَى  
 كَذَا التَّفْيُ لِلشِّرْكِ الْمُفْنَدِ وَالذِّدِ  
 يَتِمُّ بِحُبِّ الدِّينِ دِينِ مُحَمَّدٍ  
 وَوَالِ الَّذِي وَالَاهُ مِنْ كُلِّ مُهْتَدٍ  
 إِلَى اللَّهِ وَالتَّقْوَى وَأَكْمَلَ مُرْشِدِ  
 جَمِيعِ الْوَرَى وَالْمَالِ مِنْ كُلِّ أَنْدِ  
 بِأَبَائِنَا وَالْأُمَّهَاتِ فَنَقْتَدِ  
 وَأَبْغَضُ لِبُغْضِ اللَّهِ أَهْلَ التَّمَرُّدِ  
 كَذَاكَ الْبِرِّ مِنْ كُلِّ غَاوٍ وَمُعْتَدِ  
 هُوَ التَّرْكَ لِلْمَأْمُورِ أَوْ فِعْلُ مُفْسِدِ  
 وَتَعْمَلُ بِالْمَفْرُوضِ حَتْمًا وَتَفْتَدِ

وَتَشْرَكَ مَا قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ طَائِعًا  
فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ بِالْقَلْبِ مُسْلِمًا  
فَلَيْسَ عَلَى نَهْجِ الشَّرِيعَةِ سَالِكًا  
وَسَادِسُهَا وَهُوَ الْيَقِينُ وَضِدُّهُ  
وَمَنْ شَكَّ فَلْيَبْكِي عَلَى رَفْضِ دِينِهِ  
وَيَعْلَمْ أَنَّ الشَّكَّ يَنْفِي يَقِينَهَا  
بِهَا قَلْبُهُ مُسْتَيْفِنًا جَاءَ ذِكْرُهُ  
وَلَا تَنْفَعُ الْمَرْءَ الشَّهَادَةُ فَاعْلَمَنْ  
وَسَابِعُهَا الصِّدْقُ الْمَنَافِي لِضِدِّهِ  
وَعَارِفٌ مَعْنَاهَا إِذَا كَانَ قَابِلًا  
وَطَابِقٌ فِيهَا قَلْبُهُ لِلْسَّانِيهِ  
وَمَنْ لَمْ يُقَمِّ هَذِهِ الشُّرُوطَ جَمِيعَهَا  
إِذَا صَحَّ هَذَا وَاسْتَقَرَّ فَإِنَّمَا  
وَإِنْ لَهُ - فَاحْذَرْ هُدَيْتَ - نَوَاقِصًا  
فَقَدْ نَقَضَ الْإِسْلَامَ وَارْتَدَّ وَاعْتَدَى  
فَمَنْ ذَاكَ شِرْكٌ فِي الْعِبَادَةِ نَاقِضٌ  
كَمَنْ كَانَ يَغْدُو لِلْقَبَابِ بِذُبْحِهِ  
وَجَاعِلٍ بَيْنَ اللَّهِ - بَعِيًا - وَبَيْنَهُ  
وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ بِالْخُضُوعِ شَفَاعَةً  
وَتَالِثُهَا مَنْ لَمْ يُكْفِّرْ لِكَافِرٍ  
وَصَحَّحَ عَمْدًا مَذْهَبَ الْكُفْرِ وَالرَّدَى  
وَرَابِعُهَا فَالْإِعْتِقَادُ بِأَنَّمَا  
لأَحْسَنُ حُكْمًا فِي الْأُمُورِ جَمِيعَهَا

وَمُسْتَسْلِمًا لِلَّهِ بِالْقَلْبِ تَرَشُدِ  
وَلَمْ يَكُ طَوْعًا بِالْجَوَارِحِ يُنْقَدِ  
وَإِنْ خَالَ رُشْدًا مَا أَتَى مِنْ تَعْبُدِ  
وَهُوَ الشَّكُّ فِي الدِّينِ الْقَوِيمِ  
وَيَعْلَمْ أَنَّ قَدْ جَاءَ يَوْمًا بِمُؤِيدِ  
فَلَا بُدَّ فِيهَا بِالْيَقِينِ الْمُؤَكِّدِ  
عَنِ السَّيِّدِ الْمَعْصُومِ أَكْمَلَ مُرْشِدِ  
إِذَا لَمْ يَكُنْ مُسْتَيْقِنًا ذَا تَجَرُّدِ  
مِنَ الْكُذْبِ الدَّاعِي إِلَى كُلِّ مُفْسِدِ  
لَهَا عَامِلًا بِالْمُقْتَضَى فَهُوَ مُهْتَدِ  
وَعَنْ وَاجِبَاتِ الدِّينِ لَمْ يَتَبَدَّلِ  
بِقَائِلِهَا يَوْمًا فَلَيْسَ عَلَى الْهُدَى  
حَقِيقَتُهُ الْإِسْلَامُ فَاعْلَمَهُ تَرَشُدِ  
فَمَنْ جَاءَ مِنْهَا نَاقِصًا فَلْيُجَدِّدِ  
وَزَاغَ عَنِ السَّمْعَاءِ فَلْيَتَشَهَّدِ  
وَذُبْحٌ لِعَيْرِ الْوَاحِدِ الْمُتَفَرِّدِ  
وَلِلْجَنِّ فِعْلَ الْمُشْرِكِ الْمُتَمَرِّدِ  
وَسَائِطٌ يَدْعُوهُمْ فَلَيْسَ بِمُهْتَدِ  
إِلَى اللَّهِ وَالرُّفْقَى لَدَيْهِ وَيَجْتَدِ  
وَمَنْ كَانَ فِي تَكْفِيرِهِ ذَا تَرَدُّدِ  
وَذَا كُلُّهُ كُفْرٌ يَاجْمَاعِ مَنْ هُدَى  
سِوَى الْمُصْطَفَى الْهَادِي وَأَكْمَلَ  
وَأَكْمَلُ مِنْ هُدَى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ



عَلَى هَدْيِهِمْ مِنْ كُلِّ غَاوٍ وَمُعْتَدٍ  
لِشَيْءٍ أَتَى مِنْ هَدْيٍ أَكْمَلَ سَيِّدٍ  
بِمَا هُوَ ذَا بُغْضٍ لَهُ فَلْيَجِدْ  
وَقَدْ جَاءَ نَصُّ ذِكْرِهِ فِي ( مُحَمَّد )  
وَلَوْ بِعَقَابِ الْوَاحِدِ الْمُتَفَرِّدِ  
عَلَى حَذَرٍ مِنْ ذَلِكَ الْقَيْلِ تَرْشُدِ  
فَرَاغَهُ فِيهَا عِنْدَ ذِكْرِ التَّهْدِيدِ  
كَذَلِكَ رَاضٍ فِعْلُهُ لَمْ يُفْنَدِ  
بِتَكْفِيرِهِ فَاطْلُبْهُ مِنْ ذَاكَ تَهْتَدِ  
أَخِي حُكْمَ هَذَا الْمُعْتَدِي الْمُتَمَرِّدِ  
يَعَانُ بِهَا الْكُفَّارُ مِنْ كُلِّ مُلْحِدِ  
عِيَادًا بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ كُلِّ مُفْسِدِ  
وَمِنْهُ بِلا شَكِّ بِهِ أَوْ تَرُدُّ  
وَجَاءَ عَنِ الْهَادِي النَّبِيِّ مُحَمَّدِ  
وَصَاحِبِهِ لا شَكَّ بِالْكَفْرِ مُرْتَدِ  
عَلَيْهِ اتَّبَاعُ الْمُصْطَفَى خَيْرٌ مُرْشِدِ  
يَسَعُهُ خُرُوجٌ عَنِ شَرِيعَةِ أَحْمَدِ  
كَصَاحِبِ مُوسَى حَيْثُ لَمْ يَتَّقِدِ  
وَمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ فَافْهَمْ لِمَقْصِدِ  
مَشَايخِ أَهْلِ الْإِتِّحَادِ الْمُفْنَدِ  
يُسَمَّى ابْنَ رُشْدٍ وَالْحَفِيدِ الْمُلَدِّدِ  
فُصُوصٍ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ فِي التَّمَرِّدِ  
فَلا يَتَعَلَّمُهُ فَلا يَسَ بِمُهْتَدِ

كَحَالَةِ كَعْبٍ وَابْنِ أَخْطَبِ وَالَّذِي  
وَخَامِسُهَا يَا صَاحِبِ مَنْ كَانَ مُبْغِضًا  
فَقَدْ صَارَ مُرْتَدًا وَإِنْ كَانَ عَامِلًا  
وَذَلِكَ بِالْإِجْمَاعِ مِنْ كُلِّ مُهْتَدٍ  
وَسَادِسُهَا مَنْ كَانَ بِالدِّينِ هَارِتًا  
وَحُسْنُ ثَوَابِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ فَلْتَكُنْ  
وَقَدْ جَاءَ نَصُّ فِي ( بَرَاءة ) ذِكْرُهُ  
وَسَابِعُهَا مَنْ كَانَ لِلْسَّحْرِ فَاعِلًا  
وَفِي سُورَةِ ( الزُّهْرَاءِ ) نَصُّ مُصْرَحٍ  
وَمِنْهُ لَعَمْرِي الصَّرْفُ وَالْعَطْفُ فَاَعْلَمَنْ  
وَتَامِنُهَا وَهِيَ الْمُظَاهَرَةُ الَّتِي  
عَلَى الْمُسْلِمِينَ الطَّائِعِينَ لِرَبِّهِمْ  
وَمَنْ يَتَوَلَّى كَافِرًا فَهُوَ مِثْلُهُ  
كَمَا قَالَهُ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلَالُهُ  
وَتَاسِعُهَا وَهُوَ اعْتِقَادُ مُضَلَّلٍ  
كَمُعْتَقِدِ أَنْ لَيْسَ حَقًّا وَوَاجِبًا  
فَمَنْ يَعْتَقِدُ هَذَا الضَّلَالِ وَأَنَّهُ  
كَمَا كَانَ هَذَا فِي شَرِيعَةِ مَنْ خَلا  
هُوَ الْخَضِرُ الْمُقْصُوصُ فِي ( الْكَهْفِ )  
وَهَذَا اعْتِقَادُ لِلْمَلَا حِدَةِ الْأُولَى  
كَنَحْوِ ابْنِ سِينَا وَابْنِ سَبْعِينَ وَالَّذِي  
وَشَيْخُ كَبِيرٍ فِي الضَّلَالَةِ صَاحِبُ الْ  
وَعَاشِرُهَا الْإِعْرَاضُ عَنِ دِينِ رَبِّنَا

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ عَامِلًا  
 وَلَا فَرَقَ فِي هَذِي النَّوَاقِضِ كُلِّهَا  
 هُنَالِكَ بَيْنَ الْهَزْلِ وَالْجَدِّ فَاعْلَمَنَّ  
 سِوَى الْمُكْرَهِ الْمَضْهُودِ إِنْ كَانَ قَدْ  
 وَحَاذِرُ هَذَاكَ اللَّهُ مِنْ كُلِّ نَاقِضٍ  
 وَكُنْ بَادِلًا لِلْجَدِّ وَالْجُهْدِ طَالِبًا  
 وَإِيَّاهُ فَارْعَبْ فِي الْهَدَايَةِ لِلْهُدَى  
 وَصَلِ إِلَهِي مَا تَأَلَّقَ بَارِقُ  
 تَوُّمٌ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَمَا سَرَى  
 وَمَا لَاحَ نِجْمٌ فِي دُجَى اللَّيْلِ طَافِحٌ  
 عَلَى السَّيِّدِ الْمَعْصُومِ أَفْضَلَ مُرْسَلٍ  
 وَمَا لَاحَ نِجْمٌ فِي دُجَى اللَّيْلِ طَافِحٌ  
 عَلَى السَّيِّدِ الْمَعْصُومِ أَفْضَلَ مُرْسَلٍ  
 وَآلٍ وَأَصْحَابٍ وَمَنْ كَانَ تَابِعًا  
 بِهِ فَهُوَ فِي كُفْرَانِهِ ذُو تَعَمُّدٍ  
 إِذَا رُمْتَ أَنْ تَنْجُو وَلِلْحَقِّ تَهْتَدِ  
 وَلَا رَاهِبٍ مِنْهُمْ لِخَوْفِ التَّهْدُدِ  
 هُنَالِكَ بِالشَّرْطِ الْأَصِيدِ الْمُؤَكَّدِ  
 سِوَاهَا وَجَانِبَيْهَا جَمِيعًا لَتَهْتَدِ  
 وَسَلِ رَبَّكَ التَّشْيِيتَ أَيَّ مُوَحَّدِ  
 لَعَلَّكَ إِنْ تَنْجُو مِنَ النَّارِ فِي غَدٍ  
 وَمَا وَحَدَتْ قُودٌ بِمَوْرِ مُعْبَدِ  
 نَسِيمُ الصَّبَا أَوْ شَاقَ صَوْتُ الْمَغْرَدِ  
 وَمَا انْهَلَّ صَوْبٌ فِي عَوَالٍ وَوَهْدِ  
 وَأَكْرَمَ خَلْقِ اللَّهِ طُرًّا وَأَجْوَدِ  
 وَمَا انْهَلَّ صَوْبٌ فِي عَوَالٍ وَوَهْدِ  
 وَأَكْرَمَ خَلْقِ اللَّهِ طُرًّا وَأَجْوَدِ  
 صَلَاةٌ دَوَامًا فِي الرُّوْحِ وَفِي الْعَدِ

اللَّهُمَّ أَحْيِ قلوبًا آماها البعد عَنْ بابك ، ولا تعذبنا بأليم عقابك يا أكرم من سمح بالنوال  
 وجاد بالأفضال ، اللَّهُمَّ أيقظنا من غفلتنا بلطفك وإحسانك ، وتجاوز عَنْ جرائمنا بعفوك  
 وغفرانك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ  
 الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " نبذة من زهده ρ "

كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ρ أَزْهَدَ النَّاسِ ، وَيَكْفِيكَ فِي تَعْرِيفِ ذَلِكَ أَنْ فَقَرَهُ ρ كَانَ كَانَ فَقْرَ  
 اخْتِيَارِي لَا فَقْرَ اضْطِرَّارِي . لِأَنَّهُ ρ فَتَحَتْ عَلَيْهِ الْفَتْوحَ وَجَلَبَتْ إِلَيْهِ الْأَمْوَالَ ، وَمَاتَ

ودرعه مرهونة عند يهودى في نفقة عياله ، وَهُوَ يَدْعُو : اللَّهُمَّ اجعل رزق آل مُحَمَّد قوتًا .  
 وَقَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عَنْهَا : ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعًا من خَبَزٍ حَتَّى مَضَى  
 لسبيله ، ولو شاءَ لأعطاه الله ما لا يخطر ببال . وَعَنْهَا قَالَتْ : ما ترك رسول الله ﷺ  
 دينارًا ولا شاة ولا درهمًا ولا بعيرًا وَلَقَدْ مَاتَ وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد الا شطرشعير  
 في رف لي . وَقَالَ لي : « إني عرض عليَّ ربي أن يجعل لي بطحاء مَكَّةَ ذهبًا ، فَقُلْتُ :  
 لا يارب أجوع يَوْمًا وأشبع يَوْمًا ، فأما اليَوْم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وادعوك ، وأما  
 اليَوْم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عَلَيْكَ . وَعَنْهَا قَالَتْ : إن كنا آل مُحَمَّدٍ لنمكث شهرًا  
 ما نستوقد نازًا ، إن هُوَ إلا التمر والماء .

وَعَنْهَا قَالَتْ : لم يمتل جوف النَّبِيِّ ﷺ شبعًا قط ، ولم ييثر إلى أحد شكوى .  
 وَكَانَتْ الفاقة أحب إليه من الغنى ، وَإِنْ كَانَ لِيُظَلَّ جَائِعًا يَلْتَوِي طول ليلته من الجوع ، فلا  
 يمنعه من صيام يوم ولو شاءَ لسأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها وَلَقَدْ كُنْتُ  
 أبكي لَهُ رَحْمَةً مِمَّا أَرَى به وامسح بيدي على بطنه مِمَّا به من الجوع ،  
 وَأَقُولُ نفسي لَكَ الفداء ، لو تبلغت من الدُّنْيَا بما يقوتك . فَيَقُولُ : « يَا عَائِشَةُ ما لي  
 وللدنيا ، إخواني أولو العزم من الرسل صبروا على ما هُوَ أَشَدَّ من هَذَا فمضوا على حالهم  
 فقدموا على ربهم وأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم .

وَأَجِدُنِي أَسْتَحِي إن ترفهت في معيشتي إن يقصرني غدًا دونهم وما من شيء أحب إلي من  
 اللحوق بإخواني وإخلائي » . قَالَتْ : فما قام بعد إلا شهرًا ثُمَّ تَوَفِّي ﷺ .

وعن عَائِشَةَ رضي الله عَنْهَا قَالَتْ : ما رفع رسول الله ﷺ قط غداء لعشاء ولا عشاء قط  
 لغداء . ولا اتخذ من شيء زوجين لا قميصين ولا ردائين ولا إزارين ومن النعال ، ولا رأيي  
 قط فارغًا في بيته إما يخصف نعلًا لرجل مسكين أو يخيط ثوبًا لأرملة .

وعن أنس بن مالك أن فاطمة عَلِيَّهَا السَّلَام جاءت بكسرة خبز إلى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : « ما هذه الكسرة يا فاطمة " ؟ قَالَتْ : قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة ، فَقَالَ : « أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذُ ثلاثة أيام .  
 وروى مُسْلِمٌ عَنِ النِّعْمَانِ قَالَ : ذكر عمر ما أصاب النَّاسَ مِنَ الدُّنْيَا ، فَقَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظِلُّ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقْلِ مَا يَمَلَأُ بَطْنَهُ .  
 وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : إِنْ كَانَ لِيَمْرُ بَالَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَهْلَةَ مَا يَسْرَجُ فِي بَيْتِ أَحَدٍ مِنْهُمْ سِرَاجٌ وَلَا يُوقَدُ فِيهِ نَارٌ إِنْ وَجَدُوا زَيْتًا أَدْهَنُوا بِهِ وَإِنْ وَجَدُوا وَدَكًا أَكَلُوهُ .  
 رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَرَوَاتِهِ ثِقَاتٌ .

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَرَ فِي جَنْبِهِ ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وَطَاءً . فَقَالَ : « مَا لِي وَلِلدُّنْيَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَآكِبٍ اسْتَضَلَّتْ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا » . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ .  
 قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ فَجَلَسْتُ فَإِذَا عَلَيْهِ إِزَارُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَرَ فِي جَنْبِهِ . وَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرِ نَحْوِ الصَّاعِ وَقَرِظٍ فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ ، وَإِذَا أَهَابَ مَعْلُقُ ( الْإِهَابُ : الْجِلْدُ ) فَابْتَدَرْتُ عَيْنَايَ .  
 فَقَالَ : « مَا يَبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ " ؟ فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَرَ فِي جَنْبِكَ وَهَذِهِ خَزَانَتُكَ لَا أَرَى إِلَّا مَا أَرَى ، وَذَلِكَ كَسْرِي وَقَيْصِرِي فِي الشَّمَارِ وَالْأَنْهَارِ وَأَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَصَفْوَتُهُ وَهَذِهِ خَزَانَتُكَ .  
 قَالَ : « يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَمَا تَرْضَى أَنْ تُكُونَ لَنَا الْآخِرَةَ وَلَهُمُ الدُّنْيَا » . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ : عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ .

روى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا فِي رِفِّي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ إِلَّا شَطْرَ شَعِيرٍ فِي رِفِّي فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ فَكَلْتَهُ فَفَنِيَ .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاءً ، وكان عامة خبزهم الشعير .

عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَشُدُّ صَلْبَهُ بِالْحِجْرِ مِنَ الْغَرْتِ أَي الْجُوعِ .  
بينما عَائِشَةُ رضي الله عنها تحدث ذات يوم إذ بكت قِيلَ لها : ما يبكيك يا أم الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَتْ : ما ملأت بطني من طعام فشئت أن أبكي إلا بكيت أذكر رسول الله ﷺ وما كان فيه من الجهد .

وعنها أيضاً : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ تَأْتِي عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ مَا يَشْبَعُ مِنْ خَبْزِ بَرٍّ .  
وعنها أيضاً : قَالَتْ ما شبع آل مُحَمَّدٍ ثلاثاً من خبز بر حتى قبض وما رفع عن مائدته كسرة فضلاً حتى قبض .

عن الحسن ( البصرى ) قَالَ : خطب رسول الله ﷺ فَقَالَ : « وَاللَّهِ مَا أَمْسَى فِي آلِ مُحَمَّدٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ » . وأنها لتسعة أبيات ( بيوت زوجاته ) وَاللَّهِ مَا قَالَهَا اسْتِقْلَالاً لِرِزْقِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ تَتَأَسَى بِهِ أُمَّتِهِ .

عن ابن عباس قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ يَأْتِي عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ρ اللَّيَالِي مَا يَجِدُونَ فِيهَا عِشَاءً .  
 عن عَائِشَةَ رضي الله عَنْهَا قَالَتْ : ما شبع رسول الله ρ في يوم مرتين حَتَّى لِحَقِ بِاللَّهِ ، ولا  
 رفعنا لَهُ فضل طعام عَنْ شَبِيعِ حَتَّى لِحَقِ بِاللَّهِ إِلَّا أَنْ نَرْفَعَهُ لِغَائِبِ فِقِيلِ لَهَا : ما كَانَتْ  
 معيشتكم ؟ قَالَتْ : الأَسْوَدَانِ : المَاءِ وَالتَّمَرِ . وَقَالَتْ : وَكَانَ لَنَا جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ هُمُ  
 رَبَائِبُ يَسْقُونَنَا مِنْ لَبْنِهَا ، جَزَاهُمْ اللَّهُ خَيْرًا .

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ρ لَمْ يَجْمَعْ لَهُ غِذَاءً وَلَا عِشَاءً مِنْ خَبْزٍ وَلَحْمٍ إِلَّا عَلَى ضَفْفٍ .

اللَّهُمَّ نور قلوبنا بنور الإيمان وأعنا على أنفسنا والشيطان وآيسه منا كما آيسته من رحمتك  
 يَا رَحْمَانَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَأَعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا  
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
 أَجْمَعِينَ .

### " فَضْلٌ "

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : شَهِدْتُ لِلنَّبِيِّ ρ وَليمة ما فيها خبز ولا لحم .  
 وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : ما أعلم رسول الله ρ رأى رَغِيْفًا مَرْفُوعًا بعينه حَتَّى لِحَقِ بِرَبِّهِ وَلَا  
 شاة سَمِيطًا قَطُ .

عن عَائِشَةَ رضي الله عَنْهَا قَالَتْ : ما اجتمع في بطن النَّبِيِّ ρ طعامان في يوم قط ، إن  
 أَكَلَ لَحْمًا لَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ تَمْرًا لَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ ، وَإِنْ أَكَلَ خَبْزًا لَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ . وَكَانَ  
 رَجُلًا مَسْقَمًا ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَنْعَتُ لَهُ فَيَتَدَاوَى بِمَا تَنْعَتُ لَهُ الْعَرَبُ وَكَانَتْ الْعَجَمُ تَنْعَتُ  
 لَهُ فَيَتَدَاوَى .

عن أَبِي نَضْرَةَ قَالَ : سَمِعْتُ عَائِشَةَ رضي الله عَنْهَا تَقُولُ : إِنِّي لَجَالِسةٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ρ فِي  
 الْبَيْتِ . فَأَهْدَى لَنَا أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا شاةً فَإِنِّي لَا قَطْعَها مَعَ

رسول الله في ظلمة البيت . فقال لها قائل : أما كان لكم سراج ؟ فقالت : لو كان لنا ما يسرج به أكلناه .

عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : لقد مات رسول الله ﷺ وما شيع من خبز وزيت في يوم مرتين .

عن عائشة قالت : بلغني أن الرجل منكم يأكل من ألوان الطعام حتى يلتمس لذلك دواء يمرئه . فذكرت نبيكم ﷺ فذاك الذي أبكاني ، خرج من الدنيا ولم يملأ بطنه في يوم طعامين : كان إذا شبع من التمر لم يشبع من الخبز ، وإذا شبع من الخبز لم يشبع من التمر .

عن أنس بن مالك قال : ما يرفع بين يدي رسول الله ﷺ شيء قط ولا حملت معه طنفسة يجلس عليها .

أخبرني الأعرج عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يجوع . قلت : لأبي هريرة وكيف ذلك الجوع ؟ قال : لكثرة من يغشاه وأضيافه ، وقوم يلزمونهم لذلك ، فلا يأكل طعاماً أبداً إلا ومعه أصحابه ، وأهل الحاجة يتبعونه من المسجد . فلما فتح الله خيبر اتسع الناس بعض الاتساع ، وفي الأمر بعد ضيق والمعاش شديد . هي بلاد ظلف لا زرع فيها ، إنما طعام أهلها التمر، وعلى ذلك أقاموا.

وروي عن جابر رضي الله عنه قال : حضرنا عرس علي وفاطمة فما كان عرساً كان أحسن منه حشونا الفراش يعني من الليف

وأوتينا بتمر وزيت فأكلنا وكان فراشها ليلة عرسها إهاب كبش . رواه البزار ( الإهاب : الجلد ) .

عن عامر الشعبي قال : قال علي رضي الله عنه : لقد تزوجت فاطمة وما لها ولي فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار وما لي ولها خادم غيرها .

وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة آدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين .

فَقَالَ علي لفاطمة ذات يوم : وَاللَّهِ سَنُوتِ حَتَّى اشْتَكَيْتِ صَدْرِي ( المعنى تعبت من إخراج الماء من البئر ) وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِسَيِّ فَاذْهَبِي فَاسْتخدمِيهِ ( أي اطلبي منه خادمًا )  
فَقَالَتْ : وَأَنَا وَاللَّهِ لَقَدْ طَحَنْتِ حَتَّى مَجَلَّتْ يَدَيَّ مِنَ الْعَمَلِ . فَأَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ :  
« مَا جَاءَ بِكَ وَمَا حَاجَتُكَ أَيُّ بَنِيَّةٍ » . قَالَتْ : جِئْتُ لِأَسْلَمَ عَلَيْكَ وَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ تَسْأَلَ فَرَجَعْتَ .

فَقَالَ علي : مَا فَعَلْتَ ؟ قَالَتْ : اسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ ، فَأَتَيْتُهُ جَمِيعًا فَقَالَ علي : يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَاللَّهِ لَقَدْ سَنُوتِ حَتَّى اشْتَكَيْتِ صَدْرِي . وَقَالَتْ فَاطِمَةُ : لَقَدْ طَحَنْتِ حَتَّى مَجَلَّتْ يَدَايَ ، وَقَدْ جَاءَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِسَيِّ وَسَعَةَ فَاخْدَمْنَا .  
فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكُمْ وَأَدْعُ أَهْلَ الصَّفَةِ تَطْوِي بِطُونَهُمْ لَا أَجِدُ مَا أَنْفَقَ عَلَيْهِمْ وَلَكِنِّي أَبِيعُهُمْ وَأَنْفَقَ عَلَيْهِمْ .

فَرَجَعَا وَأَتَاهُمَا النَّبِيُّ ﷺ ، وَقَدْ دَخَلَا فِي قَطِيفَتِهِمَا إِذَا غَطِيَا رُؤُسَهُمَا تَكَشَّفَتْ أَقْدَامُهُمَا ، وَإِذَا غَطِيَا أَقْدَامَهُمَا تَكَشَّفَتْ رُؤُوسُهُمَا فَتَارَا فَقَالَ : « مَكَانِكُمَا » .  
ثُمَّ قَالَ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْمَا بِخَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَانِي » . قَالَا : بَلَى . قَالَ : « كَلِمَاتٌ عَلَّمْنِيهِنَّ جَبْرِيْلُ تَسْبِيْحَانَ فِي دَبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا ، وَتَحْمِيْدَانَ عَشْرًا ، وَتَكْبِيْرَانَ عَشْرًا .  
وَإِذَا أُوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا ، فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَأَحْمِدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ » . وَقَالَ : فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ عَلَّمْنِيهِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ .



عن بريدة قَالَ : سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ » . أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيٍّ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : دَعَا رَجُلٌ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا " ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ » . أَخْرَجَهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ .

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دُعِيَ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ » .

فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَالحَاكِمُ وَقَالَ : صَحِيحُ الْإِسْنَادِ .

وَعَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مِنْ دَعَا بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ الْخَمْسِ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أُعْطَاهُ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ .

وَعَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ : سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا وَهُوَ يَقُولُ : ( يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ) فَقَالَ : « قَدْ اسْتَجِيبَ لَكَ فَسَلْ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ : ( إِنْ الذِّكْرَ بِاعْتِبَارِهِ وَسِيلَةَ الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ هُوَ دَائِمًا دَعَاءٌ )

وإن الدعاء وهو التضرع والخضوع لله تعالى وهو دائماً ذكر .  
وليس بينهما من فرق إلا في اللون والشكل .

وقد وردت الآثار بما تقول : فقد ورد في الأحاديث الشريفة أن الله تعالى يقول :

" من شغله القرآن وذكرني عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » .

وقد ورد في القرآن الكريم عن سيدنا يونس أنه حينما التقمه الحوت نجاه تسيحه : ﴿

فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ \* لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ .

وفي سورة "نون" يندم أصحاب الجنة - الحديقة - التي طاف عليهما طائف من ربك وهم

نائمون فأصبحت كالصريم .. على أنهم لم يكونوا من المسبحين ، وخاطبهم أوسطهم

قائلاً : ﴿ أَمْ أَقَلَّ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ .

والاستغفار ؟ .

أنه ذكر لا يتضمن دعاء لفظياً ولكن الثمرات المترتبة عليه هائلة نفسية .

يقول تعالى : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً \* وَيُمْدِدْكُمْ

بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً ﴾ .

إن الاستغفار ثمرته :

(١) المغفرة

(٢) والغيث (المطر الذي يروي الأرض فينبت الزرع ويروي به الناس والأنعام ظمأهم)

(٣) وإمداد الله للمستغفر بالأموال .

(٤) إمداده بالبنين .

وأكثر من ذلك ....

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾ ، من ثماره إذا زيادة القوة .

اللَّهُمَّ طهر قلوبنا من النفاق وعملنا من الرياء وألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة وآذاننا عن الاستماع إلى ما لا يرضك وتوقفنا مسلمين وألقنا بالصالحين واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

### " فصل "

ولقد حدث في مصر إن أحد الأثرياء الصالحين لم يجد سبيلاً - في فترة من الفترات - لري أرضه ، وكاد الزرع يصبح حطاماً ، فجلس الرجل وسط مزرعته الفسيحة .. وقال : اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتُ .. وقولك الحق : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ وها أنا ذا يا رب استغفرك راجياً أن تفيض علينا من رحمتك . ثم أخذ في الاستغفار .. ومضت ساعات وهو يتابع الاستغفار في همه وفي ثقة بموعد الله تعالى، وإذا بالسماء تتلبد بالغيوم .. وإذا بالمطر ينزل فياضاً مدراراً . ومن المعروف أن الصالحين حينما يصبهم ضعف يلجؤون إلى الله باستغفار فيتحقق لهم وعده : ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾ . وليست هذه فحسب ثمار الاستغفار .. وذلك أنه أيضاً يمنع أن يصيب العذاب الإنسان .

(٦) ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ .

(٧) ثم .. يقول رسول الله ﷺ :

« من لزم الاستغفار جعل الله له من كل فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، وورقه من حيث لا يحتسب » .

وثمار الاستغفار أوسع من ذلك في الدنيا والآخرة .

والم يقل الرسول p : « أفضل الدعاء : الحمد لله ؟ » . والحمد لله ، أليست ذكراً ؟  
وإذا كان من الذكر ما هو دعاء ، أو إذا كان الذكر كله دعاء .. فإن الدعاء أيضاً يكون  
بغير الدعاء اللفظي وبغير الذكر :

فالإكثار من التوبة دعاء وذكر ، ويترتب على الإكثار منه ما يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ .

وإذا أحب الله عبداً من عباده بسبب الإكثار من التوبة فإنه يترتب على هذا الحب آثاره .

« فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ،  
ورجله التي يمشى بها ، وإن سألني لأعطينه ، وإن استعاذني لأعيذنه » .

وإذا كانت التوبة ذكراً أو دعاء فإن التقوى دعاء نفيس .

ألا ترى ما يقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا  
يَحْتَسِبُ ﴾ ؟

إن الله سبحانه يجعل له مخرجاً من كل هم وضيق وأزمة بسبب تقواه ويرزقه الله من حيث  
يدري و لا يدري

ويقول سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ﴾

ييسر سبحانه أموره كلها .

وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ (انتهى)

قصيدة : فيها تضرع إلى رب العزة والجلال والكبرياء والعظمة :

يَا ذَا الْجَلَالِ وَيَا ذَا الْجُودِ وَالْكَرَمِ  
 ذَنْبِي عَظِيمٌ وَأَرْجُو مِنْكَ مَغْفِرَةً  
 دَعَوْتُ نَفْسِي إِلَى الْخَيْرَاتِ فَاثْتَنَعْتُ  
 خَسِرْتُ عُمْرِي وَقَدْ فَرَطْتُ فِي زَمَنِي  
 حَمَلْتُ ثِقْلًا مِنَ الْأَوْزَارِ فِي صِغْرِي  
 رَاحَ الشَّبَابُ وَوَلَّى الْعُمُرُ فِي لَعِبِ  
 زَمَانَ عَزَمِي قَدْ ضَيَعْتُهُ كَسَالًا  
 قَدْ انْقَضَتْ عَيْشَتِي بِالذُّلِّ وَالْأَسْفِي  
 ذِي حَالَتِي وَانْكَسَارِي لَا تُخَيِّبِنِي  
 أَتَيْتُ بِالذُّلِّ وَالتَّقْصِيرِ وَالتَّوْبِ  
 سَارَ الْمَجْدُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَاجْتَهَدُوا  
 شِفَاءَ قَلْبِي ذَكَرُ اللَّهِ خَالِقِنَا  
 صَفَتْ لِأَهْلِ التَّقَى أَوْقَاتُهُمْ سَعِدُوا  
 ضَيَعْتُ عُمْرِي وَلَا قَدَمْتُ لِي عَمَلًا  
 طُوبَى لِعَبْدٍ أَطَاعَ اللَّهَ خَالِقَهُ  
 ظَهَرِي ثَقِيلٌ بِذَنْبِي آهٍ وَأَسْفِي  
 أَرْجُوكَ يَا ذَا الْعُلَاكِرْبِي تُفَرِّجُهُ  
 غَفَلْتُ عَنْ ذِكْرِ مَعْبُودِي وَطَاعَتِهِ  
 فَاغْفِرْ ذُنُوبِي وَكُنْ يَا رَبِّ مُنْقِذَنَا  
 قَدْ انْقَلَبَتْ ذُنُوبِي مَا لَهَا أَحَدٌ  
 كُنْ مُنْجِدِي يَا إِلَهِي وَاعْفُ عَن زَلَّتِي

قَدْ جِئْتُكَ خَائِفًا مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ  
 يَا وَاسِعَ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ وَالْكَرَمِ  
 وَأَعْرَضْتُ عَن طَرِيقِ الْخَيْرِ وَالنِّعَمِ  
 فِي غَيْرِ طَاعَةِ مَوْلَايَ فَيَا نَدْمِي  
 يَا حَجَلِي فِي غَدٍ مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ  
 وَمَا تَحَصَّلْتُ مِنْ خَيْرٍ وَلَمْ أَقْمِ  
 وَالْعُمْرُ مِنِّي انْقَضَى فِي غَفْلَةِ الْحُلْمِ  
 إِنْ لَمْ تَجِدْ خَالِقِي بِالْعَفْوِ وَالْكَرَمِ  
 إِذَا وَقَعْتُ ذَلِيلًا حَافِي الْقَدَمِ  
 أَرْجُو الرِّضَا مِنْكَ بِالْغُفْرَانِ وَالْكَرَمِ  
 يَا فَوْزَهُمْ غَنَمُوا الْجَنَاتِ وَالنِّعَمِ  
 يَا فَوْزَ عَبْدٍ إِلَى الْخَيْرَاتِ يَسْتَقِمِ  
 نَالُوا الْهَنَاءَ وَالْمُنَى بِالْخَيْرِ وَالْكَرَمِ  
 أَنْجُو بِهِ يَوْمَ هَوْلِ الْخَوْفِ وَالزَّحَمِ  
 وَقَامَ جَنَحَ الدُّجَى بِالِدَمْعِ مُنْسَجِمِ  
 يَوْمَ اللَّقَاءِ إِذِ الْأَقْدَامُ فِي زَحَمِ  
 وَأَشْفِ بِفَضْلِكَ لِي لِلْوَايِ مَعَ سَقَمِي  
 وَقَدْ مَشَيْتُ إِلَى الْعِصْيَانِ فِي هِمَمِ  
 مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ وَالتُّهُمِ  
 سِوَاكَ يَا غَافِرَ الزَّلَّاتِ وَالتَّلَمَمِ  
 وَتُبْ عَلَيَّ مِنَ الْآثَامِ وَالتَّلَمَمِ

لَا حَ الْمَشِيبُ وَوَلَّى الْعُمْرُ فِي لَعِبٍ  
 مَضَى زَمَانِي وَمَا قَدَّمْتُ مِنْ عَمَلٍ  
 نَامَتْ عُيُونِي وَأَهْلُ الْخَيْرِ قَدْ سَهَرُوا  
 قَامُوا إِلَيَّ ذَكَرَ مَوْلَاهُمْ فَقَرَّبَهُمْ  
 وَلَيْسَ لِي غَيْرَ الْخَالِقِ مِنْ سَنَدٍ  
 لَا ارْتَجِي أَحَدًا يَوْمَ الرَّحَامِ سِوَى  
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ  
 وَصِرْتُ مِنْ كَثْرَةِ الْأَوْزَارِ فِي نَدَمٍ  
 يَا خَجَلْتِي مِنْ إِلَهِي بَارِي النَّسَمِ  
 أَجْفَانُهُمْ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ لَمْ تَنِمِ  
 وَخَصَّهُمْ بِالرِّضَا وَالْفَضْلِ وَالكَرَمِ  
 أَرْجُوهُ يُؤَلِّينِي بِالْغُفْرَانِ وَالكَرَمِ  
 رَبِّ الْبَرِيَّةِ مَوْلَى الْفَضْلِ وَالكَرَمِ  
 مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى الْمَخْصُوصِ بِالْكَرَمِ

اللَّهُمَّ انهج بنا مناهج المفلحين وألبسنا خلع الإيمان واليقين ، وخصنا منك بالتوفيق المبين ،  
 ووفقنا لقول الحق وإتباعه ، وخلصنا من الباطل وابتداعه ، وكن لنا مؤيداً ، ولا تجعل لفاجر  
 علينا يداً ، واجعل لنا عيشاً رغداً ، ولا تشمت بنا عدواً ولا حاسداً ، وارزقنا علماً نافعا وعملاً  
 متقبلاً ، وفهماً ذكياً صفيًا وشفاء من كلِّ داء ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك  
 يا أرحم الراحمين . وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللَّهُمَّ اجعلنا مكثرين لذكرك مؤدين لحقك حافظين لأمرِكَ راجين لوعدك راضين في جميع  
 حالاتنا عنك ، راغبين في كلِّ أمورنا إليك مؤملين لفضلك شاكرين لنعمك ، يا من يجب  
 العفو والإحسان ، ويأمر بهما اعف عنا ، وأحسن إلينا فإنك بالذي أنت له أهل من  
 عفوك أحق منا بالذي نحنُ له أهل من عقوبتك .

اللَّهُمَّ تَبَّتْ رِجَاءُكَ فِي قُلُوبِنَا ، واقطعه عن سواك ، حتَّى لا نرجو غيرك ولا نستعين إلا  
 إياك يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ .

اللَّهُمَّ أحيِنَا فِي الدُّنْيَا مُؤْمِنِينَ طَاعَتِينَ وَتَوَقَّفْنَا مُسْلِمِينَ تَائِبِينَ ، اللَّهُمَّ أعدنا من الهم والحزن  
 والعجز والكسل والجبن والبخل وضيع الدين وغلبة الرجال

وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " فَضْلٌ "

اعْلَمْ وَقَقْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ لما يحبه ويرضاه إن السَّلام تحية الْمُؤْمِنِينَ ، وشعار الموحدين ، وداعية للإخاء والألفة والمحبة بين إخوانهم الْمُسْلِمِينَ ، والسَّلام تحية مباركة ، وصفة طيبة كما ذكر الله سُبْحَانَهُ فِي كتابه الكريم قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ ، والسَّلام كما أخبر الله تحية أهل الْجَنَّةِ فِي دار النعيم ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ .

وابتداء السَّلام سُنَّةٌ مستحبة ، وليس بواجب وهو سُنَّةٌ كفاية فَإِنَّ كَانَ المسلم جماعة كفى عنهم واحد يسلم ولو سلموا كلهم كَانَ أفضل ، ورفع الصوت بابتداء السَّلام سُنَّةٌ لِيَسْمَعَهُ المسلم عليهم ، كلهم سماعًا محققًا لحديث : « افشوا السَّلام بينكم » . وإن سلم على أيقاظ ونيام أو سلم على من لا يعلم هل هم إيقاظ أو نيام خفض صوته بحيث يَسْمَعُ الإيقاظ ولا يوقظ النيام ، ولو سلم على إنسان ثُمَّ لقيه على قرب سن أن يسلم عَلَيْهِ ثانيًا وثالثًا وأكثر .

ويسن أن يبدأ قبل الكلام ، لحديث من بدء بالكلام قبل السَّلام فلا تجيبوه . فينبغي لَكَ أَيْهَا الْأَخُ أَنْ تنصح كُلَّ من ابتدأك بغير السَّلام وتعلمه بالحديث خُصُوصًا المكلمين لَكَ بالتليفون بقولهم : أَلْ أَلْ ولا يترك السَّلام إِذَا كَانَ يغلب على ظنه أنه لا يرد عَلَيْهِ .

وإن دخل على جماعة فيهم علماء سلم أولاً على الجميع ، ثم سلم على العلماء سلاماً ثانياً تمييزاً لمرتبهم وكذا لو كان فيهم عالم واحد ، خصه بالسلام ثانياً .  
 ولا يسلم على امرأة أجنبية غير زوجة له ، أو ذات محرم ، إلا أن تكون عجوزاً غير حسناء أو تكون برزة ، والمراد أنها لا تشتهي لأمن الفتنة ويكره السلام في الحمام ويكره السلام على من يأكل وعلى من يقاتل لا اشتغاله .  
 ويكره السلام على من يبحثون في العلم ، وعلى من يؤذن ، وعلى من يقيم ، ومحدث بتشديد الدال وخطيب وواعظ ومستمع .  
 ويكره السلام على مكرر فقه ، ومدرس في علم مشروع ، أو مباح ويكره السلام على من يبحثون في العلم .  
 ويكره السلام على من يقضى حاجته ، ويكره على من يتمتع بأهله وعلى مشتغل بالقضاء ، ونحوهم من كل من له شغل عن رد السلام . ويكره أن يخص بعض طائفة لقيهم ، إلا أن يكون بعضهم ممن يجب هجره ، أو يستحب .  
 وإن بدأ بالسلام جميعاً ، وجب على كل منهما الرد ، ولا ينزع يده من يد من يصافحه ، حتى ينزع يده من يده ، إلا لحاجة كحيائه منه ونحوه وقد نظم بعضهم المواضع التي يكره فيه السلام فقال :

سَلَامُكَ مَكْرُوهٌ عَلَى مَنْ سَتَسْمَعُ	وَمَنْ بَعْدَ مَا أُبْدِيَ يُسْنُّ وَيُشْرَعُ
مُصَلٍِّ وَتَالٍ ذَاكِرٍ وَمُحَدِّثٍ	خَطِيبٍ وَمَنْ يُصْغِي إِلَيْهِمْ وَيَسْمَعُ
مَكْرُرٍ فَقْهِ جَالِسٍ لِقَضَائِهِ	وَمَنْ بَحْثُوا فِي الْفِقْهِ دَعَهُمْ لِيَنْفَعُوا
مُؤَذِّنٍ أَيْضًا مَعَ مُقِيمٍ مُدْرِسٍ	كَذَا الْأَجَنِّيَّاتِ الْفَتَيَاتِ أَمْنَعُ
وَلُعَابِ شِطْرُنَجٍ وَشِبْهِهِ بِخَلْقِهِمْ	وَمَنْ هُوَ مَعَ أَهْلِ لَهُ يَتَمَتَّعُ



وَدَعَّ كَافِرًا أَيضًا وَكَاشَفَ عَوْرَةَ  
 وَدَعَّ أَكْرَبًا إِلَّا إِذَا كُنْتَ جَائِعًا  
 كَذَلِكَ أَسْتَاذٌ مُغْنٍ مُطَيَّرٌ  
 ( وَزِدْتُ عَلَى هَذَا فَقُلْتُ مُتَمَّمًا )  
 ( وَمَنْ عِنْدَ تَلْفِزِيُونِهِمْ سَيَمَائِهِمْ )  
 مُصَوِّرٌ ذِي رُوحٍ وَحَالِقٌ لِحْيَةٍ  
 ( وَشَارِبٌ دُخَانَ وَشَارِبٌ شَيْشَةَ )  
 ( وَشَارِبٌ ذِي سُكْرِ وَلَا عِبْ كُورَةَ )  
 ( وَبَائِعٌ آلَاتٍ لِلْهُوِّ وَمُطْرِبٌ )  
 ( وَبَائِعٌ مَا قَدْ سِيقَ فِيهَا سَطْرَتُهُ )  
 وَمَنْ هُوَ فِي حَالِ التَّعَوُّطِ أَشْنَعُ  
 وَتَعَلَّمُ مِنْهُ أَنَّهُ لَيْسَ يَمْنَعُ  
 فَهَذَا خِتَامُ وَالرِّيَادَةِ تَنْفَعُ  
 بِمَا هُوَ مِثْلٌ أَوْ أَشَدُّ فَيَبْعُ )  
 وَمَنْ لِمُذِيعِ الْمُنْكَرَاتِ تَسَمَّعُوا )  
 وَمَحْلُوقَهَا مَعَ ذِي الْخَنَافِسِ يَتَّبِعُ  
 مُتَوَلِّتُ رَاسٍ وَالْمَجَاهِرُ أَفْطَعُ )  
 وَمُضْلِحُ آلَاتٍ لِلْهُوِّ فَيَمْنَعُ )  
 وَمَنْ هُوَ فِي سَبِّ الْعَوَافِلِ يُقْدَعُ )  
 مُسَاعِدُهُمْ أَوْ مَنْ لِدَاكِ يُشَجِّعُ )

اللَّهُمَّ أَنْ نَوَاصِينَا بِيَدِكَ وَأَمُورُنَا تَرْجِعُ إِلَيْكَ وَأَحْوَالُنَا لَا تَخْفَى عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ مَلْحُونُنَا  
 وَمَلَاذِنَا ، وَإِلَيْكَ نَرْفَعُ بَثْنَا وَحَزْنَنَا وَشِكَايَتَنَا ، يَا مَنْ يَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنَا  
 مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِمْ فَكَفَيْتَهُ ، وَاسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ ، وَهَبْ لَنَا مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ وَجُدْ عَلَيْنَا  
 بِإِحْسَانِكَ الْعَمِيمِ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاكَ دَاعٍ ، وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ وَجَمِيعِ  
 الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رِجَاءَنَا فِيمَا تَمَنِينَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ  
 مَا فِي صُدُورِ الصَّامِتِينَ ، أَذَقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ  
 الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ  
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

### " فَضْلٌ "

وَأَمَّا رَدُّ السَّلَامِ فَإِنَّ كَانَ الْمُسْلِمَ عَلَيْهِ وَاحِدًا ، تَعَيَّنَ عَلَيْهِ الرَّدُّ لِلسَّلَامِ ، وَإِنْ كَانُوا جَمَاعَةً رَدَّ  
 السَّلَامِ فَرَضَ كِفَايَةً عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ رَدَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سَقَطَ

الفرض عن الباقيين ، وإن تركوه كلهم أثموا كلهم ، وإن رد كلهم فهو النهاية في الكمال  
قَالَ اللهُ تَعَالَى :

﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ والسَّلام تحية من كَانَ قَبْلَنَا مِنَ  
الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَتْبَاعِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ وَتَحِيَّةُ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَضَيْفِيهِ الْمَكْرَمِينَ فِيمَا قَصَّهُ  
اللَّهُ عَلَيْنَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِقَوْلِهِ : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ \* إِذْ  
دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ .

ومن السُّنَّةِ الْمَحْبُوبَةِ الْبَدَاءَةُ بِالسَّلَامِ ، مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ  
اللَّهِ ﷺ : « إِنْ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مِنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ  
: « وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ » . فَاحْذَرِ عَافَانَا اللهُ وَإِيَّاكَ مِنْ أَلِ .

وَيَسْتَحِبُّ أَنْ يَسْلَمَ عِنْدَ الْإِنْصِرَافِ مِنَ الْمَجْلِسِ ، مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ :  
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِذَا أَنْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيَسْلَمْ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيَسْلَمْ  
فَلَيْسَتْ الْأَوْلَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ » .

وَيَسْتَحِبُّ أَنْ يَسْلَمَ عَلَى الصَّبِيَّانِ مَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صَبِيَّانِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا .  
وَقَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَفْعَلُهُ . مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

شِعْرًا : سَابِقِ النَّاسِ بِالسَّلَامِ فِي ذَا كَ إِذَا مَا اعْتَبَرْتَ خَمْسُ خِصَالٍ  
كَاشِفُ الرَّيْبِ قَاطِعُ الْعَيْبِ مُخَيِّبُ الْوَدِ سِتْرُ الْأَحْقَادِ وَبَابُ الْوَصَالِ

" موعظة " : إخواني لَيْسَ الْأَسْفُ عَلَى دُنْيَا آخِرِهَا الْفَوَاتِ وَالْخُرَابِ وَلَا عَلَى أَحْوَالِ  
نَهَائِهَا التَّحْوِيلِ وَالْإِنْقِلَابِ ، وَلَا عَلَى حَطَامِ حِلَالِهِ حِسَابِ وَحِرَامِهِ عِقَابِ ، وَلَا عَلَى  
أَعْمَارِ يَتَمَنَّى الْمَرْءُ طَوْلَهَا إِذَا طَالَتْ مَلَتْ ، وَلَا عَلَى أَمَاكِنِ كُلَّمَا امْتَلَأَتْ بِأَهْلِهَا وَازْدَهَرَتْ  
بِهِمْ أَدْبَرَتْ عَنْهُمْ وَخَلَتْ مِنْهُمْ .

وإنما الأسف اللذي لا يرجى له خلف وقت قتل على فراش السهو والغفلات ، وعلى ليال وأيام تمضي في إتباع الملذات الفانية والشهوات ، وعلى صحف تطوى ثم لا ترجع فيستدرك ما فات ، وعلى نفوس يناديها لسان الشتات ، وهي لا تقلع عما هي عليه من الهفوات ، وعلى ذنوب محصى صغيرها وكبيرها لا تقابل بالحسنات ، وعلى قلوب غافلة في الغمرات ، وعلى أعوام سريع مرورها كلمع الجمرات ، وعلى السنة لا تشتغل ، وتتلذذ بذكر فاطر السموات  
 ألا ترون شهركم كيف يسرع فيه البدار ثم يعقبه الاحاق فيا خيبة من ضاعت منه الليالي والآيام ، وغبن في ميدان السباق ويا خيبة من ضيع عمره بالقبائح العظام ويا خسارة من كانت تجارته الذنوب والمعاصي والآثام .

شِعْرًا : بُكَائِي عَلَى مَا قَدْ مَضَى مِنْ شَيْئِي      وَلَمْ أَحْتَفِظْ فِيهَا عُلُومَ الشَّرِيعَةِ  
 وَأَفْهَمُ مَا قَالَ الْإِلَهُ وَمَا أَنِي      عَنْ الْمُصْطَفَى أَعْظَمَ بِهَا مِنْ مُصِيبَتِي

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْوَاجِبَ عَلَى الْعَاقِلِ أَخَذَ الْعِدَّةَ لِرَحِيلِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَتَى يَفْجُوهُ أَمْرٌ ربه ، ولا يدري متى يستدعى ، وأني رأيت خلقًا كثيرًا غرهم الشباب ونسوا فقد الأقران وألهام طول الأمل ورتما قال العالم المحض لنفسه : « اشتغل بالعلم ثم اعمل به » .  
 فيتساهل في الزهد بحجة الراحة ويؤخر الرجاء لتحقيق التوبة ولا يتحاشى من غيبة أو سماعها ومن كسب شبهة يأمل إن يحوها بالورع وينسى إن الموت قد يبعثه .  
 فالعقل من أعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه فإن بغيته الموت ربي مستعدًا وإن نال الأمل ازداد خيرًا .

قَالَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي خُطْبَةٍ لَهُ : إِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارٍ دَارِ

كتب الله على أهلها منها الظعن ، فكم عامر قليل يخرب ، وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن ، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة ، بأحسن ما يحظركم من النقلة وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، إنما الدنيا كفى ظلال قاص فذهب بين ابن آدم في الدنيا ينافس وبها قرير عين اذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه ومعناه إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر أنها تسر قليلاً وتجر حزناً طويلاً كما قيل : من سره زمن سأتته أزمان

شِعْرًا : إِذَا كُنْتَ بِالدُّنْيَا بَصِيرًا فَإِنَّمَا  
بَلَاغُكَ مِنْهَا مِثْلُ زَادِ الْمُسَافِرِ  
إِذَا أَبَقْتَ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ دِينَهُ  
فَمَا فَاتَهُ مِنْهَا فَلَيْسَ بِضَائِرِ  
آخِر : يَرَى رَاحَةً فِي كَثْرَةِ الْمَالِ رَبُّهُ  
وَكَثْرَةَ مَالِ الْمَرْءِ لِلْمَرْءِ مُتَعِبُ  
إِذَا قَلَّ مَالُ الْمَرْءِ قَلَّتْ هُمُومُهُ  
وَتَشَعَّبَتْ الْأَمْوَالُ حِينَ تَشَعَّبُ  
آخِر : وَمَا أَجْمَعُ الْأَمْوَالَ إِلَّا غَيْمَةً  
لِمَنْ عَاشَ بَعْدِي وَأَتَهَامُ لِرَازِقِي  
آخِر : رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِقُوتِ يُقِيمُنِي  
فَلَا ابْتَغِي مِنْ دُونِهِ أَبَدًا فَضْلًا  
وَلَسْتُ أَرُومُ الْقُوتَ إِلَّا لِأَنَّهُ  
يُعِينُنِي عَلَى عِلْمِ أَرْدُ بِهِ جَهْلًا  
آخِر : يَا جَامِعًا مَانِعًا وَالْمَوْتَ يَتَّبِعُهُ  
مُقَدَّرًا أَيَّ نَابٍ فِيهِ يُعْلِقُهُ  
الْمَالُ عِنْدَكَ مَخْزُونٌ لِوَارِثِهِ  
يَا جَامِعَ الْمَالِ أَيَّامًا تُفَرِّقُهُ  
لِلَّهِ دُرٌّ فَتَى يَغْدُو عَلَى تِقَّةٍ  
فَالْعَرَضُ مِنْهُ مَصُونٌ لَا يُدْنِسُهُ  
إِنَّ الْقِنَاعَةَ مَنْ يَحُلُّ بِسَاحَتِهَا  
لَمْ يَلْقَى فِي ظِلِّهَا هَمًّا يُورِّقُهُ  
آخِر : يَقُولُ الْفَتَى ثَمَّرْتُ مَالِي وَإِنَّمَا  
لِوَارِثِهِ مَا ثَمَّرَ الْمَالُ كَاسِبُهُ  
يُحَاسِبُ فِيهِ نَفْسَهُ بِحَيَاتِهِ  
وَيَتَرَكُهُ نَهَبًا لِمَنْ لَا يُحَاسِبُهُ

شِعْرًا : أَيَا لِلْمَنَايَا وَيُحَهَا مَا أَجَدَّهَا  
كَأَنَّكَ يَوْمًا قَدْ تَوَرَّدْتَ وَرَدَّهَا  
وَيَا لِلْمَنَايَا مَا لَهَا مِنْ إِقَالَةٍ  
إِذَا بَلَغَتْ مِنْ مُدَّةِ الْحَيِّ حَدَّهَا

أَلَا يَا أَخَانَا إِنَّ لِلْمَوْتِ طَلْعَةً  
 وَلِلْمَرْءِ عِنْدَ الْمَوْتِ كَرْبٌ وَعُصَّةٌ  
 سَتُسَلِّمُكَ السَّاعَاتُ فِي بَعْضِ مَرَّهَا  
 وَتَحْتَ الثَّرَى مِنِّي وَمِنْكَ وَدَائِعُ  
 مَدَدْتَ الْمُنَى طُولاً وَعَرَضاً وَإِنَّهَا  
 وَمَالَتْ بِكَ الدُّنْيَا إِلَى اللَّهِوِ وَالصَّبَا  
 إِذَا مَا صَدَقْتَ النَّفْسَ أَكْثَرَتْ ذَمَّهَا  
 بِنَفْسِكَ قَبْلَ النَّاسِ فَاعْنِ فَإِنَّهَا  
 وَمَا كُلُّ مَا خَوْلْتَ إِلَّا وَدِيعَةً  
 إِذَا أَذْكَرْتِكَ النَّفْسُ دُنْيَا دَنِيَّةً  
 أَلَسْتَ تَرَى الدُّنْيَا وَتَنْغِيصَ عَيْشِهَا  
 وَأَذْنَى بَنِي الدُّنْيَا إِلَى الْغَيِّ وَالْعَمَى  
 هَوَى النَّفْسِ فِي الدُّنْيَا إِلَى أَنْ تَغُولَهَا  
 وَإِنَّكَ مُذْ صُوِّرْتَ تَفْصُدُ قَصْدَهَا  
 إِذَا مَرَّتِ السَّاعَاتُ قَرِينٌ بَعْدَهَا  
 إِلَى سَاعَةٍ لَا سَاعَةَ لَكَ بَعْدَهَا  
 قَرِيْبُهُ عَهْدٌ إِنْ تَذَكَّرْتَ عَهْدَهَا  
 لَتَدْعُوكَ أَنْ تَهْدَا وَأَنْ لَا تَمُدَّهَا  
 وَمَنْ مَالَتْ الدُّنْيَا بِهِ كَانَ عَبْدَهَا  
 وَأَكْثَرَتْ شَكْوَاهَا وَأَقَلَّتْ حَمْدَهَا  
 تَمُوتُ إِذَا مَاتَتْ وَتُبْعَثُ حَمْدَهَا  
 وَلَنْ تَذْهَبَ الْأَيَّامَ حَتَّى تَرُدَّهَا  
 فَلَا تَنْسَ رَوْضَاتِ الْجَنَانِ وَحُلْدَهَا  
 وَأَتَعَابَهَا لِلْمُكْثَرِينَ وَكَدَّهَا  
 لِمَنْ يَبْتَغِي مِنْهَا سَنَاهَا وَمَجْدَهَا  
 كَمَا غَالَتْ الدُّنْيَا أَبَاهَا وَجَدَّهَا

اللَّهُمَّ وَقَفْنَا لِلزُّومِ الطَّرِيقِ الَّذِي يَقْرِنَا إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُورًا نَهْتَدُ بِهِ إِلَيْكَ ، وَيَسِّرْ لَنَا مَا  
 يَسِّرْتَهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ ، وَأَيِّقْظْنَا مِنْ غَفْلَاتِنَا وَأَلْهَمْنَا رَشْدَنَا وَاسْتَرْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ،  
 وَاحْشِرْنَا فِي زَمْرَةِ عِبَادِكَ الْمُتَّقِينَ ، يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاكَ دَاعٍ ، وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاكَ رَاجٍ ، يَا قَاضِيَ  
 الْحَاجَاتِ وَمَجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَيْنَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ  
 السَّائِلِينَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي صُدُورِ الصَّامِتِينَ ، أَذْقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحِلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ . وَاعْفِرْ لَنَا  
 وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ  
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## "فصل"

والأحق بالبداءة بالسَّلام أن يسلم الصغير على الكبير ، والقليل على الكثير ، والراكب على المشي . لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله : « ليسلم الصغير على الكبير ، والمار على القاعد ، والقليل على الكثير » . متفق عليه . وفي رواية لمسلم "الراكب على المشي" .

ولقد ورد في إفشاء السَّلام وفضله أحاديث كثيرة ، منها ما رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير؟ قال : « تطعم الطعام ، وتقرأ السَّلام على من عرفت ولم تعرف » . وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السَّلام بينكم » .

وروى ابن حبان في صحيحه عن البراء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : « افشوا السَّلام تسلموا » . وأخرج الترمذي وقال : حسن صحيح عن أبي يوسف عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يا أيها النَّاس افشوا السَّلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والنَّاس نيام تدخلوا الجنة بسلام » .

وأخرج الطبراني بإسناد حسن ، عن أنس رضي الله عنه قال : كنا إذا كنا مع رسول الله ﷺ فنفرك بيننا شجرة فإذا التقينا يسلم بعضنا على بعض . وأخرج الطبراني في الأوسط بإسناد جيد ، وقال : لا يروى إلا بهذا الإسناد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أعجز النَّاس من عجز عن الدُّعاء ، وأبخل النَّاس من بخل بالسَّلام » .

وروي أيضا عن عبد الله بن معقل رضي الله عنه في معاجمه الثلاثة بإسناد جيد قال : قال رسول الله ﷺ " أسرق الناس الذي يسرق صلاته » . قيل : يا رسول الله وكيف يسرق صلاته . قال : « لا يتم ركوعها ولا سجودها ، وأبخل الناس من بخل بالسَّلام » . وأخرج الإمام أحمد والبخاري وإسناد الإمام أحمد لأبى جابر رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال لفلان في حائطي عذقا وأنه قد آذاني وشق عليّ مكان عذقه فأرسل إليه ﷺ فقال : بعني عذفك الذي في حائط فلان : قال : لا . قال : فهبه لي ؟ قال : لا . فقال : بعنيه بعذق في الجنة . قال : لا . فقال رسول الله ﷺ : « ما رأيت الذي هو أبخل منك إلا الذي يبخل في السَّلام » .

وعن أبي الخطاب قتادة : قال : قلت لأنس : أكانت المصافحة في أصحاب رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم . متفق عليه . وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا » . رواه أبو داود .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رجل يا رسول الله الرجل منا يلقي أخاه أو صديقه أينحنى له ؟ قال : لا . قال : أفيلتزمه ويقبله ؟ قال : لا . قال : فيأخذ بيده ويصافحه . قال : « نعم » . رواه الترمذي وقال : حديث حسن إذا فهمت ذلك فاعلم أن للسلام فوائد عديدة منها امتثال سنة المصطفى ﷺ . وقد قال : « من كان من أمي فليستن بسنتي » .

ومنها الخروج من الحرمة على القول بوجوب ابتدائه وإن كان المعتمد عليه أنه مستحب . ومنها الخروج من البخل وقد ورد أنه لا يدخل جنة عدن بخيل وقال ﷺ :

« أي داء أدوى من البخل ». والبخل بغيض إلى الله بغيض إلى الناس بعيد من الجنة حبيب إلى الشيطان قريب إلى النيران .

ومنها أن السلام يكون من الأسباب التي تدخل صاحبها في الجنة كما مر في حديث عبد الله بن سلام وأنه يوجب دخولها كما في حديث أبي سرح رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله أخبرني بشيء يوجب الجنة ؟ قال : « طيب الكلام وبذل السلام وإطعام الطعام » . رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه .

ومنها أن بذله من موجبات المغفرة ، فقد روى عن أبي سرح بإسناد جيد قال : قلت : يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة . قال : « إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام » .

وَفِيْمَنْ يَرْتَجِيْكَ جَمِيْلَ رَأْيٍ	شِعْرًا : وَكُنْ بِشَاكِرِيْمًا ذَا اِنْسَاطٍ
نَقِيَّ الْكُفِّ عَنْ عَيْبٍ وَثَأْيٍ	بَعِيْدًا عَنْ سَمَاعِ الشَّرِّ سَمَحًا
أَمِيْنَ الْجَيْبِ عَنْ قُرْبٍ وَثَأْيٍ	مُعِيْنًا لِلْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى
حَمِيْدَ السَّعْيِ فِيْ اِنْجَازِ وَآيٍ	وَصُؤْلًا غَيْرَ مُحْتَشِمٍ زَكِيًّا
تَفُزْ بِالْأَمْنِ عِنْدَ حُلُوْلِ لَأْيٍ	تَلَقَّ مَوَاعِظِيْ بِقَبُوْلِ صِدْقٍ
وَطَبَّ نَفْسًا إِذَا حَكَمَ الْقَضَاءُ	آخِر : أَطْعَ مَوْلَاكَ وَاسْأَلْهُ رِضَاهُ
وَشِيْمَتَكَ السَّمَاخَةَ وَالسَّخَاءُ	وَكَنْ رَجُلًا عَلَى الطَّاعَاتِ جَلْدًا
وَكَمَّ عَيْبٍ يُعْطِيْهِ السَّخَاءُ	يُعْطَى بِالذِّيَانَةِ كُلُّ عَيْبٍ
وَلَيْسَ يَزِيْدُ فِي الرِّزْقِ الْعَنَاءُ	وَرِزْقُكَ لَيْسَ يَنْقُصُهُ التَّأْيُ
فَأَنْتَ وَمُثْرِي فِيهَا سَوَاءُ	إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ

اللَّهُمَّ اجعلنا من المتقين الأبرار واسكننا معهم في دار القرار ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا بِحَسَنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ ، وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى



خدمتك وحسن الآداب في معاملتك والتسليم لأمرِك والرِّضَا بقضائك والصبر على بلائِك  
والشُّكْر لعَمَائِك . وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .  
وصلى الله على مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين .

### " فَصْلٌ "

ومن ذَلِكَ أن إفشاء السَّلَام بين المُسْلِمِينَ يوجب المحبة والألفة والعطف والمحبة شأنها  
عَظِيم وقدرها جسيم .

ومن فَوَائِدِ السَّلَام أداء حق أخيه المسلم ففي صحيح مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « حق المسلم على المسلم ست » . قِيلَ : وما هن يَا رَسُولَ اللَّهِ  
قَالَ : « إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ » .. الْحَدِيثُ .

ومنها أولويته بِاللَّهِ لما روى أبو داود والترمذي : أن أولى النَّاسِ بِاللَّهِ من بدأهم بالسَّلَام .  
ومنها حوز الفضيلة لما أَخْرَجَ البِّرَّارُ وابن حبان في صحيحه عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :  
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يسلم الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد ، والماشيان أيهما  
بدأ فهو أفضل » .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ والأَوْسَطِ وأحد إسنادي الكبير محتج بِهِمْ فِي الصحيح عَنْ الأغر  
أغر مزينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ لِي بِجَرِيبٍ مِنْ تَمْرٍ عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ  
الأنصار فمطلني به فكلمت فيه رسول الله ﷺ .

فَقَالَ : « اغد يَا أبا بكر فخذ له من تمره » . فوعدني أَبُو بَكْرٍ المسجد إِذَا صَلَّيْنَا الصُّبْحَ  
فوجدته حيث وعدني ، فانطلقنا فكلَّما رأى أبا بكر رجلاً من بعيد سلم عليه . فَقَالَ أَبُو  
بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أما ترى ما يصيب القوم عَلَيْكَ

من الفضل لا يسبقك إلى السّلام أحد فكانَ إذا طلع الرجل من بعيد باكرناه بالسّلام قبل أن يسلم علينا .

ومنها إدراك الفضيلة في إفشاء السّلام الذي هو اسم الله وفضل الدرجة بنشرها لما أخرج البزار بسند جيد قوي والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « السّلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه في الأرض ، فافشوا السّلام بينكم فإنّ الرجل المسلم إذا مر بقوم فسلم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم السّلام فإنّ لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم » .

ومن فوائد السّلام حصول الحسنات التي صحت بها الروايات . فأخرج أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي والبيهقي وحسنه أيضاً عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : السّلام عليكم . فرد عليه ثمّ جلس فقال النبي ﷺ : « عشر » . ثمّ جاء آخر فقال : السّلام عليكم ورحمة الله . فرد عليه فقال : « عشرون » .

ثمّ جاء آخر فقال : السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فرد فجلس فقال : « ثلاثون » . ورواه أبو داود عن معاذ مرفوعاً بنحوه ، وزاد ثمّ أتى آخر فقال : السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته . فقال : « أربعون » . هكذا تكون الفضائل

ومن فوائد السّلام حصول السلامة كما في حديث البراء المتقدم ويحتمل قوله ﷺ : « أفشوا السّلام تسلموا » . يعني في الدُّنيا من الإثمّ والبخل أو من أعم من ذلك من نكبات الدُّنيا ومن أهوال الآخرة وفضل الله واسع .

ومنها تصنيفته ود أخيك المسلم فقد روى الطبراني في الأوسط عن شيبه الحجي عن عمه مرفوعاً : « ثلاث يصفين لك ود أخيك : تسلم عليه إذا لقيته ، وتوسع له في المجلس ، وتدعوه بأحب الأسماء إليه » .

ومنها حصول فضيلة الإسلام وخيرته كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص المتقدم وأيضاً من فوائده إحياء سنة أبينا آدم عليه السلام ، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لما خلق الله آدم » . قال : اذهب فسلم على أولئك - نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يميونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك قال : السلام عليكم . فقالوا : السلام عليكم ورحمة الله . فزادوا ورحمة الله .

وقال مجاهد : كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يأخذ بيدي فيخرج إلى السوق يقول : إني لأخرج ومالي حاجة إلا لأسلم ويسلم علي فأعطي واحدة واحدة وأخذ عشرًا ، يا مجاهد إن السلام من أسماء الله تعالى فمن أكثر السلام أكثر ذكر الله ، ومنها موافقته تحية أهل الجنة فإن تحية أهل الجنة فيها سلام كما قال جل شأنه ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ . والسلام كما تقدم تحية المؤمنين وشعارهم فلا نبدأ أهل الكتاب أو الذمة به . ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقها » . رواه أحمد ومسلم .

ولما روى أبو نصره قال : قال رسول الله ﷺ : « إنا غادون على يهود فلا تبدوهم بالسلام وإن سلموا عليكم فقولوا : وعليكم » . ويحرم بداءهم بكيف أصبحت أو كيف أمسيت ، أو كيف أنت أو كيف حالك ، أو كما يفعله ضعاف العقول والدين بقولهم لهم صباح النور أو مساء الخير مع رفع أيديهم نسأل الله العافية أو يقولون لهم والعياذ بالله أهلاً ومرحباً .

ولو كتب إلى كافر وأراد أن يكتب سلاماً كتب سلام على من اتبع الهدى لما روى البخاري أنه ﷺ قال ذلك في كتابه إلى هرقل عظيم الروم ، ولأن ذلك معنى جامع وإن سلم على من ظنه مسلماً ثم تبين له أنه ذمي

استحب للمسلم أن يقول للذمي : رد عليّ سلامي لما روي عن ابن عمر أنه مرّ على رجل فسلم عليه فقيل : إنه كافر . فقال : رد عليّ ما سلمت عليك . فرد عليه فقال : أكثر الله مالك وولدك . ثمّ التفت إلى أصحابه . فقال : أكثر للجزية . وإن سلم أحد أهل الذمة لزم رده فيقال : وعليكم أو يقال : عليكم بلا واو .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال : « إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم : السام عليك فقل له : وعليك » . هكذا بالواو . وفي لفظ : « عليك » . بلا واو وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم » . رواه أحمد . وفي لفظ للإمام أحمد : « فقولوا عليكم بلا واو » .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا : السام عليكم . ففهمتها فقلت : وعليكم السام واللعنة . فقال رسول الله ﷺ : « مهلاً يا عائشة فإنّ الله يحب الرفق في الأمر كله » . فقلت : يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله ﷺ : « قد قلت وعليكم » . متفق عليه . وفي لفظ قد قلت : « عليكم » . لم يذكر مسلم الواو وعند الشيخ تقي الدين يرد مثل تحيته فيقول : وعليك مثل تحيتك ... انتهى .

ومما يجرم ويجب النهي عنه ما يفعله كثير من الناس من السلام عليهم باليد بالإشارة وجعلها حذاء الرأس أو وضعها على صدره احتراماً لأعداء الله وإشعاراً بأنه يجهم نسأل الله العافية . قال أبو داود : سمعت أحمد بن حنبل سئل ابتداء الذمي بالسلام إذا كانت له إليه حاجة ؟ قال : لا يعجبني .

قال رسول الله ﷺ : « ليس منا من تشبه بغيرنا لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى ، فإنّ تسليم اليهود إشارة الأصابع وتسليم النصارى إشارة بالأكف » . رواه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص . وروي : لا تسلموا تسليم اليهود

وَالنَّصَارَى فَإِنَّ تَسْلِيمَهُمْ إِشَارَةٌ بِالْكَفُوفِ وَالْحَوَاجِبِ . تَأْمَلْ يَا أَخِي سَلَامَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ  
تَجِدُهُ بِالْكَفُوفِ وَالْحَوَاجِبِ فَقَطْ .

اللَّهُمَّ نُورَ قُلُوبِنَا بِالْإِيمَانِ وَثَبَّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا  
هَدَاةَ مُهْتَدِينَ وَتَوْفِقَنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .  
. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### "فَصْلٌ"

وَيَجِبُ هَجْرُ مَنْ كَفَرَ أَوْ فَسَقَ بِنِدْعَةٍ أَوْ دَعَا إِلَى بَدْعَةٍ مُضَلَّةٍ أَوْ مَفْسُوقَةٍ وَهَؤُلَاءِ هُمُ أَهْلُ  
الْأَهْوَاءِ وَالْبَدْعِ .

وَأَمَّا هَجْرُ مَنْ أَظْهَرَ الْمَعَاصِيَ وَأَعْلَنَهَا فَقِيلَ : يَسُنُّ . وَقِيلَ : يَجِبُ . قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُ : إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَةٍ وَهُوَ يَعْلَمُ بِذَلِكَ لَمْ يَأْتُمْ إِنْ جَفَاهُ حَتَّى يَرْجِعَ وَإِلَّا  
كَيْفَ يَتَّبِعِينَ لِلنَّاسِ مَا هُوَ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَرِ مِنْكَ وَلَا جَفْوَةٌ مِنْ صَدِيقٍ .

وَقَدْ هَجَرَ ρ كَعْبًا وَصَاحِبِيهِ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِهَجْرِهِمْ خَمْسِينَ يَوْمًا وَهَجَرَ ρ زَوْجَاتِهِ شَهْرًا .  
وَهَجَرَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ابْنَ أَخْتِهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَدَّةً . وَهَجَرَ  
جَمَاعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَاتُوا مَتَهَاجِرِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

قَالَ أَبُو دَاوُدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِذَا كَانَتْ الْهَجْرَةُ لِلَّهِ فَلَيْسَ مِنْ هَذَا يَعْنِي مِنْ أَحَادِيثِ الْوَعِيدِ  
بِالْمُهْجَرَانِ بِشَيْءٍ .

فَإِنَّ النَّبِيَّ ρ هَجَرَ بَعْضَ نِسَائِهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا . وَابْنُ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَجَرَ ابْنَةَ لَهٍّ إِلَى أَنْ  
مَاتَ .

وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَجَرَ جَمَاعَةً مِنْ أَجَابُوا فِي الْخِنَةِ مِثْلَ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ وَعَلِيِّ بْنِ  
الْمَدِينِيِّ وَغَيْرِهِمَا مَعَ فِخَامَةِ شَأْنِهِمْ .

وَكَمْ إِمَامٍ هَجَرَ صَدِيقًا لَهُ كَانَ عَزِيزًا عَلَيْهِ لَوْلَا إِنْتِهَاكِهِ لِحَارِمِ اللَّهِ فَصَارَ بِذَلِكَ كَالْجَمَادِ بَلْ  
أَدْنَى وَيَكْفِي مِنْ ذَلِكَ قِصَّةَ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ كَعْبِ وَصَاحِبِيهِ .  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

### " موعظة "

عباد الله لقد تغير أكثر أهل هذا الزمن في أحوالهم الدينية تغيراً يدهش ذوى العقول تغيراً  
من أمعن النظر فيهم ظن أنهم ليسوا من فريق المؤمنين .  
هذه الصلاة وهي عمود الإسلام أكد أركانه بعد الشهادتين أعرضوا عنها ولم يبالوا فيها  
جهلوا ما هي الصلاة وأي قيمة قيمتها وما منزلتها بين سائر الطاعات .  
أما علموا أنها أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة فإن وجدت تامة صالحة قبلت  
منه وسائر عمله ، وإن وجدت ناقصة ردت إليه وسائر عمله ثم تكون كالثوب الخلق  
فيضرب بها وجه صاحبها .

عباد الله إن الصلاة عبادة ومنجاة وقرى نظامها الركوع والسجود مع التذلل والخضوع  
وأقولها . القراءة والتسبيح والإبتهاج إلى الله وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم وروحها  
الإخلاص لله وسرها إظهار العبودية والإستكانة لعظمة الرب جلّ وعلا .  
إنها خمس صلوات في اليوم والليلة خمس وقفات يقفها العبد أمام سيده ومولاه خالقه  
ومدبر أمره ولها عند الله ثواب خمسين صلاة

شرعت لها الجماعة وأمر ببناء المساجد لأجلها وشرع لها الأذان لينتبه الغافل ويتذكر  
الناسي والجاهل إعلاماً لوقتها ليجتمع المسلمون إليها ويؤدوها في جو يسوده الإخاء  
والمحبة والألفة .

وهي خَيْرُ العبادات وكانت قرّة عين النَّبِيِّ ﷺ كما في الحديث : « وجعلت قرّة عيني في الصَّلَاة ». وكان ﷺ يقول : « أرحنا يا بلال بالصَّلَاة » .

عباد الله إن الصَّلَاة كما علمتم عماد الدين ونور اليقين ومصدر البر ومبعث الخَيْر العميم وعصمة لمن وفقه الله عن الفحشاء والمُنْكَر ونجاة من خزي الدُّنْيَا وعذاب الآخِرَة .

وقد جاء في الحديث : « الصَّلَاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء » . وذكرها رسول الله ﷺ يومًا فقال : « من حافظ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة

» .

عباد الله إن الصَّلَاة من أجل الشعائر الدينية وأعظم المظاهر الإسلامية ومن أشرف العبادات وهي خَيْر ما يتقرب به العبد إلى الله وقد كان ﷺ يصلي حتى تورمت قدماه .

عباد الله إذا فهمتم ما سبق من عظم شأن الصَّلَاة فما بال قوم يهملونها ويتهاونون بها ويتكاسلون عنها عند حلول وقتها ، وما بال أقوم يؤدونها على عجل وعلى غير وجهها وينقرونها نقر الغراب كأنهم مكرهون عَلَيْهَا وينسون أنها وقفة أمام بديع السموات والأرض ، فمن الخَيْر أن تطول هذه الوقفة . قَالَ ﷺ : « إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه ؛ فأطيلوا الصَّلَاة وأقصروا الخطبة » .

ومن المؤسف أن أكثر الخطباء اليوم عملوا بخلاف ذلك فأطالوا الخطبة وقصروا الصَّلَاة فلا حول ولا قوة إلا بالله .

عباد الله إن بعض الناس يؤدي الصَّلَاة تعودًا لا تعبدًا وهذا ما جعلها لا تنهاه عن فحشاءٍ ولا منكر ، لسان حالهم يقول : يا إمام أرحنا من الصَّلَاة .

عباد الله إن الله جَلَّ وَعَلَا أنعم عَلَيْنَا بنعم عظيمة لا تعد ولا تحصى جعلنا

من بني آدم وجعل لنا سمعًا وأبصارًا وأفئدة ومنحنا النشاط والقوة وشد أسرنا ووهبنا الصحة والعافية والرزق وسهل علينا الحركة والسعي .

هَذَا البعض اليسير من نعمه كله كرمًا منه وتفضلاً ولم يطلب منا إلا دقائق من يوم طويل نشكره فيها ونحمده ونسأله أن يعفو عنا ويرزقنا ويرحمنا ويحفظنا وأولادنا وأهلنا . وهذه لا تخرج عن كونها لخيرنا في الدنيا والآخرة .

فما لنا لا نقوم بهذه الدقائق بجد وإجتهاد وإخلاص ورغبة ونشاط ونسعى إلى مناجاة مولانا وسيدنا راغبين ونحافظ على أوقات الصلاة ونقيمها على الوجه الأكمل ، لا شك أن العبد عندما يحاسب نفسه يججل ويستحي جدًا ويتذكر أن الصلاة التي هي صلة بينه وبين مولاه لا تأخذ من يومه إلا دقائق بينما له باقي اليوم كله .

اللَّهُمَّ ارزقنا المعرفة على بصيرة بك وبأسمائك وصفاتك ووقفنا لما تحبه وترضاه من الأعمال وجنبنا ما تكرهه ولا ترضاه من الأقوال والأعمال وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار يا عزيز ويا غفار واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

### " فصل "

" فيما ورد في الأخوة والألفة والصدقة في الله "

عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن أحب عبداً لا يحبه إلا الله » . الحديث رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .



وفي رواية : « ثلاث من كن فيه وجدَ بهن حلاوة الإيمان وطعمه : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب في الله ويبغض في الله » . الحديث رواه البخاري ومسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي ، اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي » . رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل معلق قلبه في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » . رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أخاً لي في هذه القرية . قال : هل لك عليهما من نعمة تربها ؟ قال : لا غير أني أحبه لله . قال : فإني رسول الله إليك أن الله قد أحبك كما أحبته فيه » . رواه مسلم .

وعن أبي مسلم قال : قلت لمعاذ : والله أني لأحبك لغير دنيا أرجو أن أصيبها منك ولا قرابة بيني وبينك . قال : فبأي شيء ؟ قلت : لله . قال : فاجذب جبوتي ثم قال : أبشر إن كنت صادقاً فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المتحابون في الله في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله ، يغطهم بمكانهم النبيون والشهداء » . قال : ولقيت عبادة بن الصامت فحدثته بحديث معاذ .

شِعْرًا : وَكُلُّ مَحَبَّةٍ فِي اللَّهِ تَبْقَى  
عَلَى الْحَالَيْنِ فِي سَعَةٍ وَضِيقِ  
وَكُلُّ مَحَبَّةٍ فِيَمَا سِوَاهُ  
فَكَالْحَلْفَاءِ فِي لَهَبِ الْحَرِيقِ  
آخِر : إِذَا اعْتَذَرَ الصَّادِقُ إِلَيْكَ يَوْمًا  
مِنَ التَّقْصِيرِ عُنْدَ فَتَى مُقِرِّ  
فَصِنْتُهُ مِنْ عِتَابِكَ وَأَعْفُ عَنْهُ  
فَإِنَّ الْعَفْوَ شِيمَةٌ كُلُّ حُرِّ  
شِعْرًا : لَا تَهْجُرَنَّ أَحَاكَ إِنْ أَبْصَرْتَهُ  
لَكَ جَافِيًا وَلَمَّا تُحِبُّ مُجَافِيًا  
فَالْعُضُنُ يَذْبُلُ ثُمَّ يُصْبِحُ مَوْرِقًا  
وَالْمَاءُ يَكْدُرُ ثُمَّ يُصْبِحُ صَافِيًا

فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « حَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ . هُمْ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشَّهَدَاءُ وَالصَّادِقُونَ » . رَوَاهُ ابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ .

وَعَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْتِرُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : « حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عِبَادٌ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشَّهَدَاءُ » . قِيلَ : مِنْ هُمْ لَعَلْنَا نَحْبَهُمْ . قَالَ : « هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلَا أَنْسَابٍ ، وَجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ » .

ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي صَحِيحِهِ وَاللَّفْظُ لَهُ وَهُوَ أَتَمُّ .

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأَنْسَاءٌ مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشَّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ » . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَخْبِرْنَا مِنْ هُمْ .

قَالَ : « هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فو الله إن وجوههم لنور وإنهم لعلی نور ولا يخافون إِذَا خاف النَّاسُ ولا يحزنون إِذَا حزن النَّاسُ » .  
وقرأ هذه الآية

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وعن عمار بن ياسر أن أصحابه كانوا ينتظرونه فلَمَّا خَرَجَ قَالُوا : ما أبطاك عنا أيها الأمير قَالَ : أما إني سوف أحدثكم أَنَّ أَخًا لَكُمْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَهُوَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : يا رب حدثني بأحب النَّاسِ إِلَيْكَ قَالَ : ولم . قَالَ : لأحبه بحبك إياه .

قَالَ : « عبد في أقصى الأرض أو طرف الأرض سمع به عبد آخر في أقصى أو طرف الأرض لا يعرفه فَإِنَّ أَصَابَتَهُ مَصِيبَةٌ فَكَأَنَّمَا أَصَابَتَهُ ، وَإِنْ شَاكَتَهُ شَوْكَةٌ فَكَأَنَّمَا شَاكَتَهُ لَا يَجِبُهُ إِلَّا لِي فَذَلِكَ أَحَبُّ خَلْقِي إِلَيَّ » .

قَالَ : يَا رَبِّ خَلَقْتَ خَلْقًا تَدْخُلُهُمُ النَّارُ أَوْ تَعَذِّبُهُمْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ « . كلهم خلقي . ثُمَّ قَالَ : ازْرَعْ زَرْعًا فَزَرَعَهُ فَقَالَ : اسقِه . فسقاه ثُمَّ قَالَ : قم عَلَيْهِ ما شاءَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ فَحَصَدَهُ وَرَفَعَهُ

فَقَالَ : ما فعل زرعك يَا مُوسَى ؟ قَالَ : فرغت منه ورفعته . قَالَ : ما تركت منه شَيْئًا ؟ قَالَ : ما لا خَيْرَ فِيهِ أَوْ ما لا حَاجَةَ لِي فِيهِ . قَالَ : فَكَذَلِكَ أَنَا لَا أَعَذِّبُ إِلَّا مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ » .

قَالَ : ولو لم يكن في محبة الله إلا أنها تنجي محبة من عذابه لكَانَ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ لَا يَتَعَوَّضَ عَنْهَا بِشَيْءٍ أَبَدًا . وسئل بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه ؟ فقال في قوله تَعَالَى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾ . الآية

اللَّهُمَّ وَقَفْنَا لتدبر كتابك وإطالة التأمل فيه وجمع الفكر على معاني آياته . اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قواعد الإيمان في قلوبنا وشيد فيها بنيانه ووطد فيها أركانه وألهمنا ذكرك وشكرك وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

### " موعظة "

عباد الله لَقَدْ غفلت الألسنة اليوم عَنْ ذكر الله غَفْلَةً تسر إبليس وجنوده ولما غفلت الألسنة غفلت القلوب عَنْ مُرَاقَبَةِ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، ولما غفلت القلوب والألسنة عَنْ ذكر الله اندفعت الجوارح في ميدان المعاصي إندفاعاً لا يصدق به إلا من تأمل الناس في تفننهم في الشرور وتسابقهم إليها .

من تقليد للأجانب وشرب لدخان ومعاملات لا تجوز ونفاق وغش ونهش لأعراض الغافلين وخداع ومكر ورياء وربا وكبر وحسد وسماع للملاهي وحضورها وعقوق وشهادة زور ورشاء ومداهنات ونم وكذب ونحو ذَلِكَ .

ولو تحركت الألسنة بذكر الله لاستيقظت القلوب من غفلاتها القاتلات ولو استيقظت القلوب والتفتت إلى ذكر علام الغيوب ما رأيت جارحة من الجوارح تلتفت لشيء من المحظورات فَإِنَّ الْعَفْلَةَ عَنْ ذكر الله هي أصل الشرور واليقظة هي أصل الخير والسعادة في الدنيا والآخرة بإذن الله تَعَالَى .

وإليك نماذج من كنوز ذكر الله تَعَالَى أولها كلمة الإخلاص لا إله إلا الله فَإِنَّهَا ترجح بكل ما سواها حَتَّى عَلَى الأرض والسموات ، وسبحان الله والحمد لله والله أكبر . فَقَدْ رُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ .

شِعْرًا : وَمَنْ يُنْفِقُ السَّاعَاتِ فِي الذِّكْرِ رَابِحٌ يُفْزِزُ يَوْمَ لَا ظِلٌّ سِوَى ظِلِّ رَبِّهِ

آخر : مَنْ لَمْ يَكُنْ وَقْتُهُ ذِكْرًا وَقُرْآنًا فَإِنَّ أَوْقَاتَهُ نَقْصٌ وَخُسْرَانٌ

وعن أم هانئ قَالَتْ : مر بي رسول الله ﷺ ذات يوم فقلتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كَبُرَتْ سِنِي وَضَعْتُ أَوْ كَمَا قَالَتْ : فمرني بعمل أعمله وأنا جالسة .

قَالَ : « سبحي الله مائة مرة فَإِنَّهَا تعدل مائة رقبة تعتقها من ولد إسماعيل ، واحمدي الله مائة تحميدة فَإِنَّهَا تعدل لك مائة فرس مسرحة ملحمة تحملين عَلَيْهَا فِي سبيل الله ، وكبري الله مائة تكبيرة فَإِنَّهَا تعدل لك مائة بدنة متقلبة ، وهللي الله مائة تهليلة » .

قَالَ أَبُو خَلْفٍ أَحْسَبُهُ قَالَ : تَمَلَّأَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَا يَرْفَعُ يَوْمئِذٍ لِأَحَدٍ عَمَلٌ أَفْضَلَ مِمَّا يَرْفَعُ لَكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِ مَا أَتَيْتَ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وَاللَّفْظُ لَهُ وَالنِّسَائِيُّ وَلَمْ يَقُلْ وَلَا يَرْفَعُ إِلَى آخِرِهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ دَوَاءٌ مِنْ تِسْعَةِ وَتِسْعِينَ دَاءً أَيْسَرُهَا اللَّهُمَّ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

ولا حول ولا قوة إلا بالله كثر من كنوز الجنة وقول أعود بكلمات الله التامات من شر ما خلق حفظ لقائلها من العقرب ونحوها . ومن قَالَ : رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَمُحَمَّدًا رَسُولًا فَلْيُبَشِّرْ بَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ زَعِيمٌ لِمَنْ قَالَهَا : إِذَا أَصْبَحَ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ .

وقل : إِذَا أَصْبَحْتَ اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمَنْكَ وَحَدِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ لِتُؤَدِّيَ شُكْرَ يَوْمِكَ وَقُلْ مِثْلَهَا إِذَا أَمْسَيْتَ لِتُؤَدِّيَ شُكْرَ لَيْلَتِكَ .

شِعْرًا : إِذَا مَا الْمَرْءُ أَخْطَأَهُ ثَلَاثٌ فَبِعُهُ وَلَوْ بِكَفٍ مِنْ رَمَادٍ

رِضَا الرَّحْمَنِ مَعَ صِدْقٍ وَزُهْدٍ فَخُذْهَا وَاحْفَظْهَا فِي الْفُؤَادِ

شِعْرًا : وَلَوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ مِنْ لَذَّةِ الْفَتَى  
 وَرُبُّكَ لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ عُوْدِي  
 سِيَاحُهُ قَلْبِي فِي رِيَاضٍ أَرِيضَةً  
 مِنْ الْعِلْمِ مُجْتَازًا عَلَى كُلِّ مَوْرِدِ  
 وَتَسْبِيحُنَا لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ  
 عَشِيًّا وَبِالْبُكَارِ فِي كُلِّ مَسْجِدِ  
 وَتَرْتَلُ آيَاتِ الْكِتَابِ مُوْرًا  
 بِهَا جَوْفَ لَيْلٍ فِي قِيَامِ التَّهَجُّدِ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا مَنْ لَا تَأْخُذُهُ سُنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ مَكَّنَ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوَهَا وَأَلْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشَكَرَكَ وَأَعَنَّا عَلَى الْقِيَامِ بِطَاعَتِكَ وَالْإِنْتِهَاءِ عَنِ مَعْصِيَتِكَ ، اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدَعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ فَإِنَّا نَدْعُوكَ دَعَاءَ مَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ وَتَصَرَّمَتْ أَمَالُهُ وَبَقِيَتْ آثَامُهُ وَانْسَبَلَتْ دَمْعَتُهُ وَانْقَطَعَتْ مَدَّتُهُ دَعَاءَ مَنْ لَا يَرْجُو لِدُنْبِهِ غَافِرًا غَيْرَكَ وَلَا لِمَا يُؤَلِّمُهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ مَعْطِيًّا سِوَاكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### "فصل"

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَنَازِلِهِمْ وَقَرَّبَهُمْ مِنَ اللَّهِ » .

فجئني رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوى بيده إلى النبي ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَاسٌ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقَرَّبَهُمْ مِنَ اللَّهِ انْعَتَهُمْ لَنَا جَلَّهُمْ لَنَا - يَعْنِي صَفَّهُمْ لَنَا - . فسر وجه النبي ﷺ بِسؤال الأعرابي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ تَحَابُوا فِي اللَّهِ وَتَصَافَوْا يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فَيَجْلِسُونَ عَلَيْهَا فَيَجْعَلُ وَجُوهَهُمْ وَثِيَابَهُمْ نُورًا يَفْرَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَفْرَعُونَ وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ : صَحِيحُ الْإِسْنَادِ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ : « إن في الجنة لعمداً من ياقوت  
عَلَيْهَا غَرْفٌ مِنْ زَبْرَجْدٍ لَهَا أَبْوَابٌ مَفْتُوحَةٌ تَضِيءُ كَمَا يَضِيءُ الْكَوْكَبُ الدَّرِي : قَالَ : قَلْنَا  
: يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ يَسْكُنُهَا ؟ قَالَ : « الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ وَالْمُتَبَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَالْمُتَلَقُّونَ فِي اللَّهِ  
» . رَوَاهُ الْبَزَارُ .

وعن بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ : « إن في الجنة غرفاً ترى ظواهرها من  
بواطنها وبواطنها من ظواهرها أعدها الله للمتحابين فيه والمتزاورين فيه والمتبادلين فيه » .  
رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ .

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : متى الساعة ؟ قَالَ : « وما  
أعددت لها » . قَالَ : لا شيء إلا إني أحبُّ الله ورسوله . قَالَ : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ  
» . قَالَ أَنَسٌ : فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » .  
قَالَ : أَنَسٌ فَأَنَا أَحَبُّ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحَبِي إِيَاهُمْ » . رَوَاهُ  
مُسْلِمٌ .

ففي هَذَا الْحَدِيثِ بَشَارَةٌ لِمَنْ أَحَبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَصْحَابَهُ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ وَاقْتَدَى بِهُمْ وَهَذَا  
فَرَحُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِهَذَا النَّبَأِ الْحَسَنِ وَاعْتَبَطُوا لَهُ اغْتِبَاطًا فَائِقًا وَإِنَّمَا سَرُوا بِهِ وَفَرَحُوا  
لأنهم كانوا يقيسون أنفسهم على شخص النبي ﷺ في العبادة وكان ﷺ يأمر بالقصد فيها  
والرفق بأنفسهم .

ففي حديث البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ ،  
أَمَرَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا يَطِيقُونَ ، وَيَقُولُونَ : إِنَّا لَسْنَا مِثْلَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ  
لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ . فَيَغْضَبُ حَتَّى يَعْرِفَ فِي وَجْهِهِ .

ثُمَّ يَقُولُ : « أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ » . وَكَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ أَنْتَ

مغفور لك فلا تحتاج إلى كثرة أعمال بخلافنا فرد عليهم ρ بقوله : « أنا أولاكم بذلك لأني أتقاكم وأعلمك بالله » .

من كان كذلك يكثر أعماله وتعظم عبادته لشدة خوفه من ربه وتمام معرفته بما يليق بجلال الله وعظمته ولأن نعم الله عليه أكثر من غيره قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ ولهذا سر الصحابة بما قاله النبي ρ لهذا الرجل السائل .

وقالوا : فما فرحنا بشيء فرحنا بقول الرسول ρ : « أنت مع من أحببت لما وفقك الله له من حسن النية والقصد من غير اجتهاد في العمل وزيادة في العبادة .

والحق أنه لا يتم ولا يكتمل إيمان الإنسان إلا بإيثار النبي ρ بالمحبة والتعظيم على سائر خلق الله ففي الحديث أن رسول الله ρ قال : « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده » . وفي رواية : « والناس أجمعين » .

ومن علامات محبته إيثار رضاه والعمل بشريعته ونصر سنته والتأسي به في شمائله وسيرته الكريمة المباركة أما من ادعى محبته ولم يؤثر بالعمل بشريعته فتلك دعوى باطلة وتبجح كاذب لأن صاحبها لم يقم حجة على صحة دعواه وأحقية ما ادعاه .

اللَّهُمَّ وَقَفْنَا لِحُبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ رَسَلِكَ وَأَوْلِيَائِكَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سَبِيلَ الْأَبْرَارِ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُسْتَطْفِينَ الْأَخْيَارِ وَامْنِ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ وَالْعَتَقِ مِنَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .



## " فَصْلٌ "

عن الوليد بن أبي مغيث عن مجاهد قال : إِذَا التقي المسلمان فتصافحا غفر لهما . قَالَ : قُلْتُ لمجاهد : بمصاحفة لهما ؟ قَالَ مجاهد : أما سمعته يَقُولُ : ﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ﴾ . فقال الوليد لمجاهد : أَنْتَ أَعْلَمُ مني .

وعن سلمان الفارسي أن رسول الله ﷺ قَالَ : « إِنْ الْمُسْلِمُ إِذَا لَقِيَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فَأَخَذَ بِيَدِهِ تَحَاتَّ عَنْهُمَا ذُنُوبُهُمَا كَمَا تَحَاتُّ الْوَرَقُ عَنْ الشَّجَرَةِ الْيَابِسَةِ فِي يَوْمٍ رِيحٌ عَاصِفٌ وَإِلَّا غُفِرَ لهُمَا ذُنُوبُهُمَا وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَيْدِ الْبَحَارِ » .

وقال أبو عمرو الأوزعي حدثني عبدة بن لبابة عن مجاهد ولقيته فأخذ بيدي فقال : إِذَا التقا المتحابان في الله فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك إليه تحاتت خطاياهم كما تحات ورق الشجر . قَالَ عبدة : فَقُلْتُ لَهُ : هَذَا يَسِيرٌ ؟ فَقَالَ : لَا تَقُلْ ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ . قَالَ عبدة : فَعَرَفْتُ أَنَّهُ أَفْقَهُ مني .

## " مَوْعِظَةٌ مِنْ كَلَامِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ "

يا من يرجى الثواب بغير عمل ويرجى التوبة بطول الأمل تَقُولُ فِي الدُّنْيَا قَوْلَ الزَاهِدِينَ وَتَعْمَلُ فِيهَا عَمَلَ الرَّاغِبِينَ لَا بِقَلِيلٍ مِنْهَا تَقْنَعُ ، وَلَا بِكَثِيرٍ مِنْهَا تَشْبَعُ تَكْرَهُ الْمَوْتَ لِأَجْلِ ذُنُوبِكَ وَتَقِيمُ عَلَى مَا تَكْرَهُ الْمَوْتَ لَهُ مِنْ عِيُوبِكَ .

تغلبك نفسك على ما تظن ولا تغلبها على ما تستقين ، ما تثق من الرزق بما ضمن لك ، ولا تعمل من العمل ما فرض عليك وتستكثر من معصية غيرك ما تحتقره من نفسك . أما تعلم إِنَّ الدُّنْيَا كَالْحِيَةِ لَيْنٍ مَلْمَسُهَا وَالسَّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا يَهْوَى أَلْبَهَا .

الصبي الجاهل ويجذرها اللبيب العاقل كيف تفر عين من عرفها وما أبعد أن يفطم عنها من ألفها فتفكروا إخواني في أهل الصلاح والفساد وميزوا بين أهل الحُسران وأهل الأرياح فيا سرعان عمر يفنيه المساء والصبح .

" شِعْرٌ لِبَعْضِ الصَّالِحِينَ فِي مَدْحِ رَبِّ الْعِزَّةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى "

يَا فَاطِرَ الْخَلْقِ الْبَدِيعِ وَكَافِلًا	رِزْقَ الْجَمِيعِ سِحَابِ جُودِكَ هَاطِلُ
يَا مُسْبِعَ الْبَرِّ الْجَزِيلِ وَمُسْبِلِ السِّدِّ	تَرِ الْجَمِيلِ عَمِيمِ طَوْلِكَ طَائِلُ
يَا عَالِمَ السِّرِّ الْخَفِيِّ وَمُنْجِرَ الْ	وَعْدِ الْوَفِيِّ قَضَاءِ حُكْمِكَ عَادِلُ
عَظُمْتَ صِفَاتِكَ يَا عَظِيمُ فَجَلَّ إِنَّ	يُحْصِي الثَّنَاءَ عَلَيْكَ فِيهَا قَائِلُ
الدُّنْبُ أَنْتَ لَهُ بِمَنْكَ غَافِرُ	وَلِتَوْبَةِ الْعَاصِي بِحِلْمِكَ قَابِلُ
رَبُّ يُرَبِّي الْعَالَمِينَ بِبِرِّهِ	وَنَوَالِهِ أَبَدًا إِلَيْهِمْ وَاصِلُ
تَعْصِيهِ وَهُوَ يَسُوقُ نَحْوَكَ دَائِمًا	مَا لَا تَكُونُ لِبَعْضِهِ تَسْتَاهِلُ
مُتَفَضِّلًا أَبَدًا وَأَنْتَ لِحُودِهِ	بِقَبَائِحِ الْعِصْيَانِ مِنْكَ تُقَابِلُ
وَإِذَا دَجَى لَيْلُ الْخُطُوبِ وَأَظْلَمْتَ	سُبُلُ الْخَلَاصِ وَخَابَ فِيهَا الْآمِلُ
وَآيَسْتَ مِنْ وَجْهِ النَّجَاةِ فَمَا لَهَا	سَبَبٌ وَلَا يَدُنُو لَهَا مُتَنَاوِلُ
يَأْتِيكَ مِنْ أَلطَافِهِ الْفَرَجُ الَّذِي	لَمْ تَحْتَسِبْهُ وَأَنْتَ عَنْهُ غَافِلُ
يَا مُوَجِّدُ الْأَشْيَاءِ مَنْ أَلْقَى إِلَيَّ	أَبْوَابَ غَيْرِكَ فَهُوَ غَرُّ جَاهِلُ
وَمَنْ اسْتَرَاخَ بِغَيْرِ ذِكْرِكَ أَوْ رَجَا	أَحَدًا سِوَاكَ فَذَاكَ ظِلُّ زَائِلُ
عَمَلٌ أُرِيدُ بِهِ سِوَاكَ فَإِنَّهُ	عَمَلٌ وَإِنْ زَعَمَ الْمُرَائِي بَاطِلُ
وَإِذَا رَضِيتَ فَكُلُّ شَيْءٍ هَيِّنٌ	وَإِذَا حَصَلْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ حَاصِلُ
أَنَا عَبْدٌ سُوءِ آبِقُ كُلُّ عَلَى	مَوْلَاهُ أَوْزَارُ الْكَبَائِرِ حَامِلُ
قَدْ أَثْقَلْتَ ظَهْرِي الدُّنُوبُ وَسَوَّدْتَ	صُحْفِي الْعُيُوبُ وَسِتْرُ غَفْوِكَ شَامِلُ
هَا قَدْ أَتَيْتَ وَحُسْنُ ظَنِّي شَافِعِي	وَوَسَائِلِي نَدَمٌ وَدَمَعٌ سَائِلُ
فَاعْفِرْ لِعَبْدِكَ مَا مَضَى وَارْزُقْهُ تَوْ	فِيَقًا لِمَا تَرْضَى فَفَضْلُكَ كَامِلُ

وَأَفْعَلْ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُ جَمِيلِهِ وَالظَّنُّ كُلُّ الظَّنِّ أَنْتَ فَاعِلٌ

اللَّهُمَّ إِنَّا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَهَبْ لَنَا تَقْوَاكَ وَاهْدِنَا بِهَذَاكَ وَلَا تَلْكِنَا إِلَى أَحَدٍ سِوَاكَ . وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرْجًا وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا . اللَّهُمَّ أَعِدْنَا بِمَعَاذِكَ مِنْ عَقُوبَتِكَ وَبِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ لِلْهُدَايَةِ وَبِالْبَعْدِ عَنْ أَسْبَابِ الْجَهَالَةِ وَالْغَوَايَةِ وَنَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ وَأَنْ لَا تَزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ مَضَلَاتِ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَنْصُرَ دِينَكَ وَكِتَابَكَ وَرَسُولَكَ وَعِبَادَكَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْ تَظْهَرَ دِينَكَ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

" فَصَلِّ "

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

لَذَّةُ كُلِّ أَحَدٍ عَلَى حَسَبِ قَدْرِهِ وَهَمَّتِهِ وَشَرَفِ نَفْسِهِ فَأَشْرَفَ النَّاسُ نَفْسًا وَأَعْلَاهُمْ هَمَّةً وَأَرْفَعَهُمْ قَدْرًا مِنْ لَذَّتِهِ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَالشُّوقِ إِلَى لِقَائِهِ وَالتَّوَدُّدِ إِلَيْهِ بِمَا يَجِبُ وَيَرْضَاهُ فَلَذَّتُهُ فِي إِقْبَالِهِ عَلَيْهِ وَعَكُوفِ هَمَّتِهِ عَلَيْهِ .  
وَدُونَ ذَلِكَ مَرَاتِبٌ لَا يَحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مَنْ لَذَّتُهُ فِي أَحْسَنِ الْأَشْيَاءِ مِنَ الْقَاذُورَاتِ وَالْفَوَاحِشِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَشْغَالِ فَلَوْ عَرَضَ عَلَيْهِ مَا يَلْتَذُّ بِهِ الْأَوَّلُ لَمْ تَسْمَحْ نَفْسُهُ بِقَبُولِهِ وَلَا الْآلَتَاتِ إِلَيْهِ ، وَرُبَّمَا تَأَلَّمَتْ مِنْ ذَلِكَ كَمَا أَنَّ الْأَوَّلَ إِذَا عَرَضَ عَلَيْهِ مَا يَلْتَذُّ بِهِ هَذَا لَمْ تَسْمَحْ نَفْسُهُ بِهِ وَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ وَنَفَرَتْ نَفْسُهُ مِنْهُ ، وَأَكْمَلَ النَّاسُ لَذَّةً مِنْ جَمْعٍ لَهُ بَيْنَ لَذَّةِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَلَذَّةِ الْبَدَنِ فَهُوَ يَتَنَاوَلُ لَذَاتَهُ الْمُبَاحَةَ عَلَى وَجْهِ لَا يَنْقُصُ حَظَّهُ مِنَ الدَّارِ الْآخِرَةِ وَلَا يَقْطَعُ عَلَيْهِ لَذَّةَ الْمَعْرِفَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْأَنْسِ بِرَبِّهِ فَهَذَا مِمَّنْ قَالَ تَعَالَى فِيهِ ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

وأبخسهم حظاً من اللذة من تناولها على وجه يحول بينه وبين لذات الآخرة فيكون ممن يقال لهم يوم استيفاء اللذات ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾ . فهؤلاء تمتعوا بالطيبات وأولئك تمتعوا وافترقوا في وجه التمتع فأولئك تمتعوا بما على الوجه الذي أذن فيه فجمع لهم بين لذة الدنيا والآخرة وهؤلاء تمتعوا بما على الوجه الذي دعاهم إليه الهوى والشهوة ، وسواء أذن لهم فيه أم لا انقطعت عنهم لذة الدنيا وفاتهم لذة الآخرة . فلا لذة الدنيا دامت ولا لذة الآخرة حصلت لهم فمن أحب اللذة ودوامها والعيش الطيب فليجعل لذة الدنيا موصلة إلى لذة الآخرة بأن يستعين على فراغ قلبه لله إرادته وعبادته فيتناولها بحكم الاستعانة والقوة على طلبه لا بحكم مجرد الشهوة والهوى وإن كان ممن زويت عنه لذات الدنيا فليجعل ما نقص منها زيادة في لذة الآخرة ويجم نفسه ها هنا . بالترك ليستوفيهما كاملة هناك . فطيبات الدنيا ولذاتها نعم العون لمن صح طلبه لله والدار الآخرة وكانت همته لما هناك . وبئس القاطع لمن كانت هي مقصوده وهمته وحولها يدندن وفواتها في الدنيا نعم العون لطالب الله والدار الآخرة ، وبئس القاطع النازع من الله والدار الآخرة فمن أخذ منافع الدنيا على وجه لا ينقص حظه من الآخرة ظفر بهما جميعاً وإلا خسرهما جميعاً .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

سبحان الله رب العالمين لو لم يكن في ترك الذنوب والمعاصي إلا إقامة المروءة وصون العرض وحفظ الجاه وصيانة المال الذي جعله الله قواماً لمصالح الدنيا والآخرة ومحبة الخلق وجواز القول بينهم .

وصلاح المعاش وراحة البدن وقوة القلب وطيب النفس ونعيم القلب وانسراح الصدر والأمن من مخاوف الفساق والفجار وقلة الهم والغم والحزن وعز النفس عن احتمال الذل وصون نور القلب أن تطفئه ظلمة المعصية وحصول المخارج له بما ضاق على الفساق والفجار .

وتيسير الرزق عليه من حيث لا يحتسب وتيسير ما عسر على أرباب الفسوق والمعاصي وتسهيل الطاعات عليه وتيسير العلم والثناء الحسن في الناس وكثرة الدعاء له والحلاوة التي يكتسبها وجهه والمهابة التي تلقى له في قلوب الناس .

شِعْرًا : يَشْقَى رَجَالٌ وَيَشْقَى آخَرُونَ بِهِمْ وَيُسْعِدُ اللَّهُ أَقْوَامًا بِأَقْوَامٍ  
وَلَيْسَ رِزْقُ الْفَتَى مِنْ حُسْنِ حِيلَتِهِ لَكِنْ حُظُوظٌ مِنَ اللَّهِ لِأَقْوَامٍ  
كَالصَّيْدِ يُحْرَمُهُ الرَّامِي الْمُجِيدُ وَقَدْ يَرْمِي فَيَرْزُقُهُ مَنْ لَيْسَ بِالرَّامِي

وَأَنْتَصَرَتْهُمْ لَهُ وَحَمِيَّتُهُمْ لَهُ إِذَا أُوذِيَ أَوْ ظَلَمَ وَذَبَّهُمْ عَنْ عَرْضِهِ إِذَا اغْتَابَهُ مَغْتَابٌ وَسُرْعَةً  
إِجَابَةً دَعَائِهِ وَزَوَالَ الْوَحْشَةِ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَقَرَبِ الْمَلَائِكَةِ مِنْهُ . وَبَعْدَ شَيْطَانِ الْإِنْسِ  
وَالْجِنِّ مِنْهُ وَتَنَافُسِ النَّاسِ عَلَى خِدْمَتِهِ .

وخطبهم لمودته وصحبته وعدم خوفه من الموت بل يفرح به لقدمه على ربه ولقائه له ومصيره إليه وصغر الدنيا في قلبه وكبر الآخرة عنده وحرصه على الملك الكبير والفوز العظيم فيها وذوق حلاوة الطاعة ووجد حلاوة الإيمان ودعاء حملة العرش ومن حوله من الملائكة له وفرح الكرام الكاتبين به ودعاءهم له كُلاًّ وَقَتَّ وَالزِّيَادَةَ فِي عَقْلِهِ وَفَهْمِهِ وَإِيمَانِهِ  
ومعرفته وحصول محبة الله له وإقباله عليه وفرحه بتوبته .

فَهَذَا بَعْضُ آثَارِ تَرْكِ الْمَعَاصِي فِي الدُّنْيَا فَإِذَا مَاتَ تَلَقَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالْبَشْرَى مِنْ رَبِّهِ بِالْجَنَّةِ  
وبأنه لا خوف عليه ولا يحزن وينتقل من سجن الدنيا وضيقها إلى روضة من رياض الجنة  
ينعم فيها إلى يوم القيامة

فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَانَ النَّاسُ فِي الْحَرِّ وَالْعَرَقِ وَهُوَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ فَإِذَا انصَرَفُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ أَخَذَ بِهِ ذَاتَ الْيَمِينِ مَعَ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ وَحَزَبِهِ الْمَفْلُحِينَ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

### "فَصْلٌ"

وَقَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ : وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَ : أَنَّ الرَّحْمَةَ صِفَةٌ تَقْتَضِي إِيْصَالَ الْمَنَافِعِ وَالْمَصَالِحِ إِلَى الْعَبْدِ وَإِنْ كَرِهَتْهَا نَفْسُهُ وَشَقَتْ عَلَيْهِهَا فَهَذِهِ هِيَ الرَّحْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ . فَارْحَمِ النَّاسَ بِكَ مِنْ شَقِّ عَلَيْهِ فِي إِيْصَالِ مَصَالِحِكَ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ عَنْكَ .

فَمَنْ رَحِمَ الْأَبَ بَوْلَدِهِ : أَنْ يَكْرَهُهُ عَلَى التَّأْدِيبِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَيَشُقُّ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ بِالضَّرْبِ وَغَيْرِهِ وَيَمْنَعُهُ شَهْوَاتِهِ الَّتِي تَعُودُ بِضَرَرِهِ وَمَتَى أَهْمَلَ ذَلِكَ مِنْ وَلَدِهِ كَانَ لِقَلْبِهِ رَحْمَتُهُ بِهِ . وَإِنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَرْحَمُهُ وَيَرْفَهُهُ وَيَرْجُوهُ فَهَذِهِ رَحْمَةٌ مَقْرُونَةٌ بِجَهْلِ كَرَحْمَةِ الْأُمِّ لَهُذَا كَانَ مِنْ تَمَامِ رَحْمَةِ الرَّاحِمِينَ تَسْلِيْطُ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ عَلَى الْعَبْدِ فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِمَصْلَحَتِهِ فَاِبْتِلَاؤُهُ لَهُ وَامْتِحَانُهُ وَمَنْعُهُ مِنْ أَغْرَاضِهِ وَشَهْوَاتِهِ : مِنْ رَحْمَتِهِ بِهِ وَلَكِنَّ الْعَبْدَ لَجَهْلُهُ وَظَلَمَهُ يَتَّهَمُ رَبَّهُ بِابْتِلَاؤِهِ وَلَا يَعْلَمُ إِحْسَانَهُ إِلَيْهِ بِابْتِلَاؤِهِ وَامْتِحَانِهِ .

وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَثَرِ : أَنَّ الْمَبْتَلَى إِذَا دُعِيَ لَهُ : اللَّهُمَّ ارْحَمِهِ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : كَيْفَ أَرْحَمُهُ مِنْ شَيْءٍ بِهِ أَرْحَمُهُ . وَفِي آخَرٍ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدَهُ حَمَاهُ الدُّنْيَا وَطَيِّبَاتِهَا وَشَهْوَاتِهَا كَمَا يَحْمِي أَحَدَكُمْ مَرِيضَهُ .

فَهَذَا مِنْ تَمَامِ رَحْمَتِهِ بِهِ لَا مِنْ بَخْلِهِ عَلَيْهِ . كَيْفَ وَهُوَ الْجَوَادُ الْمَاجِدُ الَّذِي لَهُ الْجُودُ كُلُّهُ وَجُودُ الْخَلَائِقِ فِي جَنْبِ جُودِهِ أَقَلُّ مِنْ ذَرَّةٍ فِي جِبَالِ الدُّنْيَا وَرَمَالِهَا .

فمن رحمته سُبْحَانَهُ بعباده : ابتلاؤهم بالأوامر والنواهي رحمة وحمية لا حاجة منه إليهم بما أمرهم به فهو الغني الحميد ولا بخلاً منه عَلَيْهِمْ بما نهاهم عَنْهُ فهو الجواد الكريم .  
ومن رحمته أن نغص عَلَيْهِم الدُّنْيَا وكدرها لئلا يسكنوا إليها ولا يطمئنوا إليها ويرغبوا في النعيم المُقِيم في داره وجواره فساقهم إِلَى ذَلِكَ بسياط الابتلاء والامتحان فمنعهم ليعطيهم وابتلاهم ليعاقبهم وأماهم ليحييهم .

ومن رحمته بِهِمْ : أن حذرهم نَفْسَهُ لئلا يغتروا به فيعاملوه بما لا تحسن معاملته به كما قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ . قَالَ غير واحد من السَّلَفِ : من رأفته بالعباد حذرهم من نَفْسِهِ لئلا يغتروا به .

اللَّهُمَّ قابل سيئاتنا بإحسانك واستر خطيئتنا بغفرانك وأذهب ظلمة ظلمنا بنور رضوانك واقهر عدونا بعز سلطانك فما تعوذها منك إلا الجميل ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وصلى الله على مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

شِعْرًا : أَتَأْمَلُ فِي الدُّنْيَا تُجِدُ وَتَعْمُرُ  
تُلْقِحُ آمَالًا وَتَرْجُو نِتَاجَهَا  
تَحُومُ عَلَى إِدْرَاكِ مَا قَدْ كُفِّيَتْهُ  
وَهَذَا صَبَاحُ الْيَوْمِ يَنْعَاكَ ضُوءُهُ  
وَرِزْقِكَ لَا يَعْدُوكَ إِلَّا مَا مُعْجَلُ  
فَلَا تَأْمَنِ الدُّنْيَا وَإِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ  
فَمَا تَمَّ فِيهَا الصَّفْوُ يَوْمًا لِأَهْلِهِ  
وَأَنْتَ غَدًا فِيهَا تَمُوتُ وَتُقْبَرُ  
وَعُمْرُكَ مِمَّا قَدْ تَرَجِيهِ قَصْرُ  
وَتَقْبَلُ فِي الْأَمَالِ فِيهَا وَتُذْبِرُ  
وَلَيْلَتِهِ تَنْعَاكَ إِنْ كُنْتَ تَشْعُرُ  
عَلَى حَالِهِ يَوْمًا وَإِذَا مَوْخِرُ  
عَلَيْكَ فَمَا زَالَتْ تَخُونُ وَتَعْدُرُ  
وَلَا الرُّنْقَ إِلَّا رِيثَمًا يَتَغَيَّرُ

شِعْرًا : وَمَا لَاحَ نِجْمٌ لَّا وَلَا ذَرٌّ شَارِقٌ  
 تَطَهَّرُ وَالْحَقُّ ذَنْبَكَ الْيَوْمَ تَوْبَةٌ  
 وَشَمَّرُ فَقَدْ أَبَدَى لَكَ الْمَوْتُ وَجْهَهُ  
 فَهَذِهِ اللَّيَالِي مُؤَذِّنَاتِكَ بِالْبَلَى  
 وَأَخْلِصْ لِدِينِ اللَّهِ صَدْرًا وَنِيَّةً  
 تَذَكَّرُ وَفَكَّرُ بِالَّذِي أَنْتَ صَائِرٌ  
 فَلَا بُدَّ يَوْمًا إِنْ تَصِيرَ لِحُفْرَةٍ  
 عَلَى الْخَلْقِ إِلَّا بِحَبْلِ عُمْرِكَ يَقْضُرُ  
 لَعَلَّكَ مِنْهَا إِنْ تَطَهَّرْتَ تَطَهَّرُ  
 وَلَيْسَ يَنَالُ الْفَوْزَ إِلَّا مُشَمَّرُ  
 تَرُوحُ وَأَيَّامَ كَذَلِكَ تُبَكَّرُ  
 فَإِنَّ الَّذِي تُخْفِيهِ يَوْمًا سَيَطْهَرُ  
 إِلَيْهِ غَدًا إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يُفَكَّرُ  
 بِأَثْنَائِهَا تُطَوَّى إِلَى يَوْمٍ تُنْشَرُ

اللَّهُمَّ اسلك بنا سبيل عبادك الأبرار واجعلنا من عبادك المصطفين الأخيار وأمنن علينا  
 بالعفو والعنتق من النار واحفظنا من المعاصي فيما بقي من الأعمار وأحسن بكرمك  
 قصدنا واحشرنا في زمرة عبادك المتقين وألحقنا بعبادك الصالحين يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى  
 اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " فَضْلٌ "

اعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين لما يحبه الله ويرضاه أن الصبر من أجل صفات  
 النفس وأعلاها قدرًا وهو لغة حبس النفس عن الجزع أي منعها من الاستسلام للجزع كي  
 لا يترتب عليه فعل ما لا ينبغي فعله وبعبارة أخرى الصبر ثبات القوة المضادة للشهوة في  
 مقاومتها .

وما شرعًا فهو أعم من ذلك لأنه حبس النفس عن الجزع ومنعها عن محارم الله ، وإلزامها  
 بأداء فرائض الله يدل عليه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : الصبر في  
 القرآن على ثلاثة أوجه صبر على أداء فرائض الله وصبر عن محارم الله ، وصبر على المصيبة  
 عند الصدمة الأولى .

شِعْرًا : وَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ حَمِيدَةٌ وَأَفْضَلُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ التَّوَدُّنُ



وَلَا عَارَ إِنْ زَالَتْ عَنِ الْمَرْءِ نِعْمَةٌ      وَلَكِنْ عَارًا أَنْ يَزُولَ التَّيْدِيُّنُ  
 آخِرُ : إِذَا قُدِّرَ عَلَيْكَ أُخَيٌّ أَمْرًا      بِمَكْرُوهِ تَعَاظَمَ أَوْ بَلِيَّةٍ  
 فَلَا تَعْجَلْ وَثِقْ بِاللَّهِ وَاصْبِرْ      فَلِلرَّحْمَنِ الْطَّافُ خَفِيَّةً  
 وَإِيَّاكَ الْمَطَامِعَ وَالْأَمَانِي      فَكَمْ أُمْنِيَّةٍ جَلَبَتْ مَنِيَّةً

وَقَالَ ابن القيم : الصبر حبس النفس عن التسخط بالمقدور ، وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن المعصية . فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة فإذا قام بها العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة واستحالة البلية عطية وصار المكروه محبوبًا .

فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه ، وإنما ابتلاه لميتحن صبره وعبوديته ، فإن الله تعالى على العبد عبودية في الضراء كما له عليه عبودية في السراء ، وله عبودية عليه فيما يكره كما له عليه عبودية فيما يحب . أ.هـ .

شِعْرًا : إذا اشتد عسر فارج يسرًا فإنه قضى الله أن العسر يتبعه اليسر

وعرف الصبر بعضهم بأنه باعث الدين أمام باعث الهوى ، فأما باعث الدين فهو قدرة العقل على قهر الشهوة والغضب ، لأنهما بطغيانهما يقودان المرء إلى ما لا يقره الدين ولا يرضاه العقل ، فإذا ثبت العقل أمام الشهوة والغضب وقام بوظيفته على الوجه المطلوب فلا يجعل لهما عليه سلطانًا .

ولا يسمح لهما بالطغيان ، فينقاد لهما صاغراً بل يكون هو الأمر الناهي فيسلك بهما سبيل الاعتدال ، بلا إفراط ولا تفريط فإنه بذلك يستطيع بإذن الله أن يظفر بالصبر ، عن ما حرم الله والصبر على طاعته ، وأن يجبس نفسه عن الجزع عند المصيبة ، فلا يستفزه الجزع إلى قوله ، أو عمل ما لا يرضاه الله مهما كان لنفسه فيه لذة .

ومن ذلك الصبر على ائذاء الناس إياه ، فإنه إذا اغضبه أحد بقول أو

عمل ، فَإِنَّ غَضْبَهُ لَا يَطْعَى عَلَيْهِ ، فيحمله على تعدى حُدُودِ اللَّهِ بل يكفيكهم غضبه حَتَّى يَجْرَى عَلَى سَنَنِ الدِّينِ مِنَ القِصَاصِ العَادِلِ ، أَوْ العَفْوِ إِنْ كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ .  
 وَقِيلَ فِي تَعْرِيفِهِ هُوَ الثَّبَاتُ عَلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَالتَّمَشُّي مَعَ إِرْشَادَاتِهِمَا ، لِأَنَّ مِنَ ثَبَّتَ عَلَيْهِمَا فَقَدْ صَبَرَ عَلَى المَصَائِبِ ، وَعَلَى أَدَاءِ العِبَادَاتِ ، وَعَلَى اجْتِنَابِ المَحْرَمَاتِ .  
 ثُمَّ إِنْ الصَّبْرُ يُسَمَّى بِأَسْمَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ فَمِثْلًا الصَّبْرُ عَنِ شَهْوَةِ الفَرْجِ وَالبَطْنِ أَوْ أَلْمَالِ الحَرَامِ يُسَمَّى عِفَّةً وَوَرَعًا وَمَنْعَهَا عَنِ الجُرْعِ وَالفِرَارِ عِنْدَ لِقَاءِ العَدُوِّ يُسَمَّى شِجَاعَةً وَيُقَابَلُهُ الجَبْنُ ، وَمَنْعَهَا عَنِ التَّعَدِي عَلَى الغَيْرِ عِنْدَ ثَوْرَةِ العُضْبِ يُسَمَّى حِلْمًا ، وَشِجَاعَةً ، وَيُقَابَلُهُ التَّذَمُّرُ وَالتَّطِيشُ .

وَعَنِ إِفْشَاءِ السِّرِّ يُسَمَّى كِتْمَانِ السِّرِّ ، وَعَنِ الإِسْرَافِ فِي المَأْكَلِ وَالمِشَارِبِ يُسَمَّى زَهْدًا ، وَعَنِ الغُرُورِ بِالثَّرْوَةِ وَالمَالِ يُسَمَّى ضَبْطِ النَفْسِ ، وَيُقَابَلُهُ البَطْرُ وَالمَخْلَاصَةُ أَنَّ الصَّبْرَ فَضِيلَةٌ يَحْتَاجُهَا المُسْلِمُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ .

فِيحِبُّ عَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يُوَطِّنَ نَفْسَهُ عَلَى اِحْتِمَالِ الشَّدَائِدِ وَالمَكَارِهِ دُونَ ضَجْرٍ وَانْتِظَارِ النَتَائِجِ مَهْمَا بَعَدَتْ فَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ ، وَعَلَيْهِ أَنْ يُوَطِّنَهَا عَلَى مُوَاجَهَةِ الأَعْبَاءِ مَهْمَا ثَقُلَتْ بِقَلْبٍ لَمْ تَعْلُقْ بِهِ رِيَّةً وَعَقْلٌ لَا تَطِيشُ بِهِ كَرِيَّةً .

وَقَدْ أَكَّدَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَنْ ابْتِلَاءَ النَّاسِ أَمْرٌ لَا مَحِيصَ عَنْهُ حَتَّى يَأْخُذُوا الأَهْبَةَ ، وَالمُجَاهِدِينَ مِنَكُمْ وَالمُصَابِرِينَ وَتَبَلُّوْا أَخْبَارَكُمْ ﴿١﴾ . وَقَالَ ﴿٢﴾ وَتَبَلُّوْا نَفْسَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الخَوْفِ وَالجُوعِ وَنَقْصِ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿٣﴾ وَقَالَ : ﴿٤﴾ وَتَبَلُّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالحَيْرِ فِتْنَةً وَإِنَّا تُرْجِعُونَ ﴿٥﴾

وَقَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَمَّا قَالَهُ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾  
 وَقَالَ تَعَالَى ﴿ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ \* وَلَقَدْ فَتَنَّا  
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿ . الآية

اصبر على مضض الادلاج في  
 اني رأيت وفي الأيام تجربة  
 وقال من جد في أمر تطلبه  
 آخر : يقول لك الإنبات أهل التجارب  
 ونص - كتاب - الله بالصبر - أمر  
 ويقول آخر :

والصبر مثل اسمه مر مذاقته  
 ويقول آخر :

بنى الله للأخيار بيتا سماؤه  
 وادخلهم فيه وأغلق بابه  
 آخر : فكرت في الجنة العليا فلم أرها  
 في الصالحات بإخلاص لخالقنا  
 آخر : أيطمخ في العلياء من كان مشركا  
 آخر : يريد المعالي عاظ من أداتها  
 ولو خلال سننها الشرع ما درى  
 آخر : دبوا إلى المجد والساعون قد بلغوا  
 وساروا المجد حتى مل أكثرهم  
 لا تحسب المجد تمرا أنت آكله  
 آخر : مستشعر الصبر مفرون به الفرج  
 هموم وأحزان وجدرائه الضر  
 وقال لهم مفتاح بابكم الصبر  
 تنال إلا على جسر من التعب  
 اجهد زمانك إن الوقت من ذهب  
 ولن يبلغ العلياء إلا الموحد  
 وهيئات من مقصودة طيراتها  
 بعاة العلى من أين توتى المكارم  
 جهد النفوس وشدوا نحوه الأزر  
 وعانق المجد من وافى ومن صبرا  
 لن تبلغ المجد حتى تلحق الصبر  
 يبلى ويصبر والأشياء تنتهج

حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ مَقْدُورَ غَايَتِهَا      جَاءَتْكَ تَضْحَكُ عَنْ ظَلَمَائِهَا الشُّرْحُ  
يُقَدِّرُ اللَّهُ فَانْجِ اللَّهُ وَارْضَ بِهِ      فِي إِرَادَتِهِ الْعَمَاءُ تَنْفَرُجُ  
آخر : قُلِ اللَّهُ مَنْ يَطْلُبُ رِضَاهُ يَنْلِ أَجْرًا      وَيَسْتَسْهَلُ الْأَخْطَارَ وَالْمَرْكَبَ الْوَعْرَا  
وَيُرْخِصُ فِي إِدْرَاكِهِ كُلَّ مَا غَلَا      وَيُنْفِقُ فِي أَدْنَى رِغَائِيهِ الْعُمَرَا  
آخر : فَلَا تَيَأَسُ إِذَا مَا سُدَّ بَابٌ      فَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ الْمَسَالِكُ  
وَلَا تَجْزَعُ إِذَا مَا اغْتَاصَ أَمْرٌ      لَعَلَّ اللَّهَ يُخْدِتُ بَعْدَ ذَلِكَ  
آخر : بِقَدْرِ الْجِدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي      وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَا سَهْرَ اللَّيَالِي  
تَرْوُمُ الْعَزْ ثُمَّ تَنَامُ عَنْهُ      يَغُوصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي  
آخر : إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا      فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَارْتَجَا  
لَا تَيَأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مَطَالِيهُ      إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا  
أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يُحْطَى بِحَاجَتِهِ      وَمُدِّ مِنَ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا

اللَّهُمَّ انظمننا في سلك حزيك المفلحين واجعلننا من عبادك المخلصين وأمننا يوم الفزع الأكبر يوم الدين ، واحشرنا مع الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ . اللَّهُمَّ اعطنا من الخَيْرِ فوق ما نرجوه واصرف عنا من الشؤء فوق ما نحذر فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب . اللَّهُمَّ واجعلننا ممن يأخذ الكتاب باليمين ، واجعلننا يوم الفزع الأكبر آمنين وأوصلنا بِرَحْمَتِكَ وكرمك إِلَى جنات النَّعِيمِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وصلى آله على مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

" فَضْلٌ " وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ .

فمن ابتلاه الله بنقص في ماله أو منعه شيئاً من شهوات الدنيا ولذاتها الفانية وعجز عن تحصيله بالوسائل المشروعة أو قبض له نفساً أباً أو أخاً أو أماً أو ولد أو نحو ذلك أو خاف من عدو فإنه لا دواء له إلا الصبر على ما أصابه .

فإذا صبر المبتلى وعمل بقول ربه عزَّ وجلَّ فقد هانت عليه البلوى وضاع أثرها فاستراح من عذابها في الدنيا وفاز بالآخرة بالجزاء الحسن ، فالفقير الذي لا يذهب بلبه متاع الحياة وزينتها ولا يحزنه ما لا يستطيع الوصول إليه من المتاع الفاني سائر على ضوء إرشادات القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ . وقوله : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ بل مطمئن إلى ما قدره الله له في هذه الحياة من تعب ونصب ، ويرضى بما قسم له فلا يسخط ، ولا يفعل محرماً فإنه لا بد أن يجعل الله له من أمره فرجاً في حياته الدنيا كما قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ وإذا اشتدت نفسه شيئاً وعدها بالخير وصبرها ومشى أموره على قدر حاله ، ولا يكلف نفسه بالدين والقرض ، قال الله تعالى ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً \* إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴾ . وقال بعضهم :

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَسْتَقْرِضَ الْمَالَ مُنْفِقاً	عَلَىٰ شَهَوَاتِ النَّفْسِ فِي زَمَنِ الْعُسْرِ
فَسَلْ نَفْسَكَ الْإِنْفَاقَ مِنْ كَنْزِ صَبْرِهَا	عَلَيْكَ وَإِنْصَاراً إِلَىٰ زَمَنِ الْيُسْرِ
فَإِنَّ فَعَلْتَ كُنْتَ الْغَنِيِّ وَإِنْ أَبْتَ	فَكُلُّ مَنْوَعٍ بَعْدَهَا وَاسِعُ الْعُذْرِ
آخِر : أَفَادَتْنِي الْقَنَاعَةُ كُلَّ عِزِّ	وَأَيُّ غِنَىٍّ أَعَزُّ مِنَ الْقَنَاعَةِ

فَصَيَّرَهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ  
تَحْزُرُ بِحِينٍ تَغْنَى عَنْ بَخِيلٍ  
آخر : عَزِيْزُ النَّفْسِ مَنْ رَزَقَ الْقَنَاعَةَ  
وَقَدْ عَلِمُوا بِأَنِّي حِينَ شَدُّوا  
إِذَا مَا فَاقَةَ قَرْنَتِ بَعِزٍّ  
نَفَضْتُ يَدَيَّ عَنْ طَمَعِي وَحِرْصِي  
آخر : أَلَا إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَيْسَ يَفُوتُ  
رَضِيْتُ بِقِسْمِ اللَّهِ حَظًّا لِأَنَّهُ  
سَأَقْنَعُ بِالْمَالِ الْقَلِيلِ لِأَنَّي  
آخر : أَبَا مَالِكٍ لَا تَسْأَلِ النَّاسَ وَالْتَمَسِ  
وَلَوْ سُئِلَ النَّاسُ التُّرَابَ لَأُوشِكُوا  
آخر : لَا تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تَرُدْ  
حَسَنُ قَوْلٍ نَعَمٌ مِنْ بَعْدِ لَا  
إِنَّ لَا بَعْدَ نَعَمٍ فَاحِشَةٌ  
وَإِذَا قُلْتَ نَعَمٌ فَاصْبِرْ لَهَا  
فَنُوعُ النَّفْسِ يَعْقُبُهُ رَوَاحٌ  
وَلَيْسَ بِزَائِدٍ فِي الرِّزْقِ حِرْصٌ  
إِذَا الرَّحْمَنُ سَبَبَ رِزْقَ عَبْدٍ

وَصَيَّرَ بَعْدَهَا التَّقْوَى بِضَاعَةً  
وَتَنَعَمُ بِالْجَنَانِ بِصَبْرٍ سَاعَةً  
وَلَمْ يَكْشِفْ لِمَخْلُوقٍ قِنَاعَهُ  
عُرَى الْأَطْمَاعِ فَارْقَتُ الْجَمَاعَةَ  
وَكَانَتْ فِي التَّبَدُّلِ لِي ضِرَاعَهُ  
وَقُلْتُ لِقَاقَتِي سَمْعًا وَطَاعَةً  
فَلَا تُرَعَنَّ إِنَّ الْقَلِيلَ يَفُوتُ  
تَكْفَلُ رِزْقِي مِنْ لَهُ الْمَلَكُوتُ  
رَأَيْتُ أَخَا الْمَالِ الْكَثِيرِ يَمُوتُ  
بِكَفَيْكَ فَضَّلَ اللَّهُ وَاللَّهُ مُوسِعٌ  
إِذَا قِيلَ هَاتُوا أَنْ يَمْلُؤُوا وَيَمْنَعُوا  
أَنْ تَتِمَّ الْوَعْدُ فِي شَيْءٍ نَعَمٌ  
وَقَبِيحٌ قَوْلٌ لَا بَعْدَ نَعَمٍ  
فَبِلا فَابْدَأْ إِذَا خِفْتَ النَّدَمَ  
بِنَجَاحِ الْوَعْدِ إِنَّ الْخُلْفَ ذَمٌ  
وَحِرْصُ النَّفْسِ لِلذُّلِّ الْهَوَانِ  
وَلَيْسَ بِنَاقِصٍ مَعَهُ التَّوَانِ  
أَتَاهُ فِي التَّنَائِيِ وَالتَّوَانِ

أما الفقير الذي يزين له الشيطان والهوى والنفس الأمارة بالسوء ما في أيدي الناس ، فيفسد عليه قلبه بالوساوس الضارة ، والأمانى الكاذبة ، والأحلام الباطلة ، فيحسد الناس على ما أتاهم الله من فضله ، مبعداً عن الصبر على الحالة المرضية لا يبالي بأي وسيلة يتمسك بها من الوسائل المحرمة ، في الوصول إلى لذة محرمة لا تغني عنه شيئاً ولا تسد فقره فهو من أشقى خلق الله لأنه بعمله هذا يكون قد خسر دنياه وآخرته ، وذلك هو الخسران المبين .

وَكَذَلِكَ الْغَنِيَّ يَحْتَاجُ إِلَى الصَّبْرِ عَلَى غِنَاهُ لِأَنَّهُ مَكْلَفٌ بِحَقِّهِ وَوَأَجِبَاتٌ لَا يَسْهَلُ عَلَى  
النَّفْسِ فَعَلَهَا مِنْ زَكَاةٍ مَالٍ وَإِنْفَاقٍ عَلَى مَنْ يُؤْمَنُهِ وَإِغَاثَةٍ مَلْهُوفٍ ... إلخ .  
ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ إِظْهَارَ الْبَلْوَى سَوَاءٌ كَانَتْ مَرْضًا أَوْ فَقْرًا أَوْ غَيْرَهُمَا إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ تَعَالَى كَمَا  
قَالَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ وَكَمَا قَالَ يَعْقُوبُ ﴿  
إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ فَهَذَا لَا يَنَافِي الصَّبْرَ .  
وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ فَإِنَّ كَانَ لِحَاجَةٍ كَشَرَحِ الْعِلَّةِ لِلطَّبِيبِ أَوْ بَيَانِ الْمَظْلَمَةِ لِمَنْ يَقْدِرُ  
عَلَى رَفْعِهَا فَإِنَّهُ لَا يَنَافِي الصَّبْرَ أَيْضًا مَا دَامَ رَاضِيًا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ ، فَلَا يَضْجُرُ وَلَا يَتَرَمَّ  
مِمَّا يَنْزِلُ بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ فَإِنَّ اشْتَكَى لِغَيْرِ اللَّهِ مِنْ دُونَ فَائِدَةٍ تَبَرُّمًا وَتَضَجْرًا لَمْ يَكُنْ مِنَ  
الصَّابِرِينَ ، وَلَمْ يَسْتَفِدْ مِنْ مَصِيبَتِهِ سِوَى عَذَابِ الدُّنْيَا .

شِعْرًا : ثَلَاثُ يَغُورُ الصَّبْرُ عِنْدَ حُلُولِهَا وَيَذْهَلُ عَنْهَا عَقْلٌ كُلُّ لَيْبٍ  
خُرُوجِكَ قَهْرًا مِنْ بِلَادٍ تَحُبُّهَا وَفِرْقَانُهُ إِخْوَانٌ وَفَقْدُهُ حَيْبٌ

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿ وَمَا أَصَابَكَ  
مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿ أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا  
قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ .

وَكُلُّ مُصِيبَاتٍ أَتَتْهَا وَجَدْتَهَا سِوَى غَضَبِ الرَّحْمَنِ هَيِّنَةٌ الْخَطْبِ

فَالْمَرَاتِبُ ثَلَاثٌ أَحْسَهَا أَنْ تَشْكُوَ إِلَى خَلْقِهِ وَأَعْلَاهَا أَنْ تَشْكُوَ نَفْسَكَ إِلَيْهِ وَأَوْسَطُهَا  
أَنْ تَشْكُوَ خَلْقَهُ إِلَيْهِ . انْتَهَى . قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَيَمْنَعُنِي شَكْوَايَ لِلنَّاسِ أَنِّي      عَلِيلٌ وَمَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ عَلِيلٌ  
وَيَمْنَعُنِي شَكْوَايَ لِلَّهِ إِنَّهُ      عَلِيمٌ بِمَا أَشْكُوهُ قَبْلَ أَقُولُ  
آخر : لا تَشْكُونَنَّ إِلَى صَدِيقٍ حَالَةً      فَاتَّكَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ  
فَلِرَحْمَةِ الْمُتَوَجِّعِينَ مَضَاضَةً      فِي الْقَلْبِ مِثْلُ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ

وقد أمر الله بالصبر فقال جلَّ وَعَلَا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾  
وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾ وقال ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾  
وأثنى الله على الصابرين فقال : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ  
الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ .

وأخبر تعالى أنه مع الصَّابِرِينَ فقال ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ وهذه معية خاصة  
تقتضي الحفظ والنصر والتأييد ، وأخبر جلَّ وَعَلَا أن الصبر خير لأصحابه ، قال تعالى :  
﴿ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ وقال : ﴿ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ ، وإيجاب الجزاء  
لهم بأحسن أعمالهم فقال : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾  
وأخبر جلَّ وَعَلَا أن جزاءهم بغير حساب ، فقال : ﴿ إِنَّمَا يُؤَفَّقِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ  
حِسَابٍ ﴾

شِعْرًا : اصْبِرْ أَخِي إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ      وَلَا تَقُولَنَّ ذَرْعِي مِنْهَا قَدْ ضَاقَا  
فَبِالنَّوَائِبِ مَعَ صَبْرٍ يَجِدُ شَرَفًا      كَالْبَدْرِ يَزْدَادُ فِي الظُّلْمَاءِ إِشْرَاقًا  
فَإِنَّ كَانَ لِلتَّسْلِي أَوْ الْمَوَاسَاةِ فَلَ بَأْسٍ

شِعْرًا : وَأَبْشَرْتُ عُمْرًا بَعْضَ مَا فِي جَوَانِحِي      وَجَرَعْتُهُ مِنْ مُرٍّ مَا أَنْجَرَعُ  
وَلَا بُدَّ مِنْ شَكْوَى إِلَى ذِي حَفِیْظَةٍ      يُوَاسِيكَ أَوْ يُسَلِّيكَ أَوْ يَتَوَجَّعُ  
وسيسأل عن ضجره يوم القيامة خصوصًا إذا كانت شكواه مصحوبة ببعض العبارات التي  
فيها جراءة على الله لأنه يشكو الإله القادر على المسكين .



الضعيف العاجز الذي لا يغني عنه شيئاً كما قيل :

( وَإِذَا شَكَوْتَ إِلَى ابْنِ آدَمَ إِنَّمَّا تَشْكُو الرَّحِيمَ إِلَى الَّذِي لَا يَرْحَمُ )

فتجد بعض الناس كثير التشكي إلى الناس يستأنس بالشكوى ويتلذذ بها كما قيل :

تَلَذُّ لَهُ الشُّكْوَى وَإِنْ لَمْ يَجِدْ بِهَا صَلاَحًا كَمَا يَلْتَذُّ بِالْحَكِّ أَجْرَبُ

فالجاهل يشكو الله إلى الناس وَهَذَا غَايَةُ الْجَهْلِ بِالْمَشْكُوِّ وَالْمَشْكُوَ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبَّهُ لَمَا شَكَاهُ ، وَلَوْ عَرَفَ النَّاسَ لَمَا شَكَاهُ إِلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ مَسَاكِينٌ عَاجِزُونَ . وَرُبَّمَا كَانُوا مِنَ الْمُتَشَمِّتِينَ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ عَلَيْهِ وَيَفْرَحُونَ بِمَوْتِهِ .

وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقٍ لِيُشَمِّتَهُ شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْغُرَبَانِ وَالرَّحِمِ

آخِر : كَمْ عَائِدٌ رَجُلًا وَلَيْسَ يَعُودُهُ إِلَّا لِيَنْظُرَ هَلْ يَرَاهُ يَمُوتُ

ورأى بعض السلف رجلاً يشكو إلى رجل فاقتته وضرورته فقال : يَا هَذَا وَاللَّهِ مَا زِدْتَ عَلَى أَنْ شَكَوتَ مِنْ يَرْحَمُكَ إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُكَ وَالْعَارِفُ إِنَّمَا يَشْكُو إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ . وأعرف العارفين من جعل شكواه إلى الله من نفسه لا من الناس فهو يشكو من موجبات تسليط الناس عليه فهو ناظر إلى قوله ، وأخبر جلَّ وعلا أنه ما يلقي الأعمال الصالحة وجزائها والحظوظ عليها إلا الصابرون فقال عَنْ مَا قَالَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ ﴿ وَيَلْكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ . وأخبر جلَّ وعلا أنه ما يلقي الخصلة التي هي دفع السئة بالحسنة إلا الذين صبروا فقال ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ الآية .

والصبر أنواع صبر على طاعة الله بالمحافظة عليها دومًا وبرعايتها

إخلاصًا . ومن الصبر على طاعة الله وبر الوالدين ما داما موجودين وعدم التضجر والتأفف منهما واحتمال الأذى من القريب والجار والصديق والزميل ، ومنه صبر الأستاذة على الطلبة وإحتمال التعب في ذلك ، وكذلك الأطباء المستقيمين المخلصين في معالجة المرضى ، وصبر الغني على إخراج زكاته بدقة وصبر المريض والمسافر على الصلاة والطهارة لها ، وصبر المجاهد والمتعلم والصادق في طلبه للعلم والحاج والساعي على الأراميل والمساكين .

ومن مشقة السفر وعناء الطلب ومكافحة الأعداء والصبر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقول الحق وإن كان مرًا ومساعدة الضعيف والعاجز والعدل في الحكم وحفظ الأمانة والإنصاف من النفس والأقارب ومواصلة السعي في ما يرضي الله عز وجل وحسن الخلق وإيناس المسلم الغريب والصمت عن الكلام إلا فيما يعود إليك نفعه ومراقبة الله فيما يقوله ويفعله .

ودوام الشكر لله وصرف نعمه في طاعته ، وإحترام أهل الدين وتقديرهم والذب عن إعراضهم إذا إنتهكت ، والصبر على الأولاد والأهل وحثهم على الصلاة والزكاة وسائر الطاعات . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وصلى الله على مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم .

### " فَصْل "

النوع الثاني : الصبر عن معصية الله خوفًا من الله ورجاء ثوابه وحياء من الرب جلَّ وعلا أن يستعان بنعمه على معاصيه ، فالصبر عن المعاصي لازم لسعادة الإنسان في دنياه وآخرته ، فَإِنَّ اللَّهَ نَهَى عِبَادَهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لِيَعِيشُوا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَطْمَئِنِينَ ، لا ينال أحدهم من عرض أخيه بالقول والفعل ولا يتعدى أحدهم على غيره في ماله وبدنه ، ولا تغرهم الحياة الدنيا .

وزينتها فيسعون في الأرض فسادًا من أجل الحصول على لذاتها المضمخلة الفانية وشهواتها الخداعة الفاسدة .

فمن يصبر على ضبط لسانه عن الكلام المحرم فلا يغتاب ولا ينم ولا ينافق بالقول ، ولا يكذب ولا يساعد بقوله ظالمًا ، ولا يجادل بالباطل ولا يسخر بالمسلمين ولا يحلف إلا بالله صادقًا ولا يقذف مسلمًا ولا يخاصم ليقطع حق مُسلم ولا يشهد الزور ولا يؤدي مسلمًا بالفحش والبذاء ، فإنه بذلك يتقى آفات لسانه التي تفضي بالمرء إلى الهلاك .

ومن صبر على حفظ فرجه فلا يستعمله إلا فيما أحله الله عملاً بقوله تَعَالَى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ فإنه بذلك ينجو من شر غوائل الزنا واللواط وكان أمينًا على سلامة عرضه وحفظه من الضياع .

ومن صبر وربط عقله عند غضبه فلا يبطش بيده ولا يحقد بقلبه ، وقد ضبط لسانه فقد سلم من مظالم خلق الله ، وكان مسلمًا حقًا كما قال ρ : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » . قصة يوسف مع امرأة العزيز وهي تتعلق في الصبر ، ومملوكًا والمملوك أيضًا ليس وازعه كوازع الحر والمرأة جميلة ، وذات منصب وهي سيدة وقد غاب الرقيب وهي الداعية إلى نفسها ، والحريصة على ذلك أشد الحرص ومع توعدته بالسجن إن لم يفعل والصغار ومع هذه الدواعي كلها صبر اختياريًا وإيثاريًا لما عند الله وأين هذا من صبره في الجب على ما كسبه وكان يقول : الصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات . وأفضل فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية ومفسدة عدم الطاعة أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية . انتهى .

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ : ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الصَّبْرَ فِي الْقُرْآنِ فِي تِسْعِينَ مَوْضِعًا . انْتَهَى .  
 وَهِيَ أَنْوَاعٌ : مِنْهَا تَعْلِيقُ الْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ بِهِ وَبِالْيَقِينِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ . فَبِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ ،  
 تَنَالِ الْإِمَامَةَ فِي الدِّينِ . وَمِنْهَا ظَفَرَهُمْ بِمَعِيَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَهُمْ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَّاقُ : فَازَ الصَّابِرُونَ بَعْزَ الدَّارِينَ لِأَنَّهُمْ نَالُوا مِنَ اللَّهِ مَعِيَتَهُ وَمِنْهَا : أَنَّهُ جَمَعَ  
 لِلصَّابِرِينَ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ لَمْ يَجْمَعُهَا لِغَيْرِهِمْ وَهِيَ الصَّلَاةُ مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَتُهُ لَهُمْ ، وَهَدَايَتُهُ إِيَّاهُمْ ،  
 ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ \*  
 \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ . وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ :  
 وَقَدْ عَزِيَّ عَلَى مُصِيبَةٍ نَالَتْهُ فَقَالَ : مَا لِي لَا أَصْبِرُ وَقَدْ وَعَدَنِي اللَّهُ عَلَى الصَّبْرِ ثَلَاثَ  
 خِصَالٍ ، كُلُّ خِصْلَةٍ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا وَمِنْهَا : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَبَاحَ لَهُمْ أَنْ  
 يِعَاقِبُوا عَلَى مَا عَاقَبُوا بِهِ ثُمَّ أَقْسَمَ قَسَمًا مُّوَكَّدًا غَايَةَ التَّأَكِيدِ أَنْ صَبْرَهُمْ خَيْرٌ لَهُ فَقَالَ : ﴿  
 وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ .

فَتَأْمَلْ هَذَا التَّأَكِيدَ بِالْقِسْمِ الْمَدْلُولِ عَلَيْهِ بِالْوَاوِ ثُمَّ بِاللَّامِ بَعْدَهُ ثُمَّ بِاللَّامِ الَّتِي فِي الْجَوَابِ .  
 وَمِنْهَا : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ حَكَمَ بِالْخُسْرَانِ حَكْمًا عَامًّا عَلَى كُلِّ مَنْ لَمْ يَأْمَنَ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ  
 الْحَقِّ وَالصَّبْرِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا رَابِحَ سِوَاهُمْ فَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَالْعَصْرُ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي  
 خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ .  
 وَهَذَا قَالَ الشَّافِعِيُّ : لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ كُلَّهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ لَوَسَّعَتْهُمْ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَبْدَ كَمَا لَهُ  
 فِي تَكْمِيلِ قُوَّتِيَّةٍ ، قُوَّةَ الْعِلْمِ وَقُوَّةَ الْعَمَلِ وَهُمَا الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ وَكَمَا هُوَ مَحْتَاجٌ إِلَى  
 تَكْمِيلِ نَفْسِهِ فَهُوَ مَحْتَاجٌ إِلَى تَكْمِيلِ غَيْرِهِ وَهُوَ التَّوَاصِي .

بالحق والتواصي بالصبر وَأَخِيَّةَ ذَلِكَ وقاعدته وساقه الَّذِينَ يقوم عَلَيْهِ إنما هُوَ الصبر .  
ومنها : أنه سُبْحَانَهُ خص أهل الميمنة بأنهم أهل الصبر والمرحمة الَّذِينَ قامت بِهِمْ هاتان  
الخصلتان ووصوا بما غيرهم فَقَالَ تَعَالَى ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا  
بِالْمَرْحَمَةِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ .

وقَالَ : الإنسان لا يستغنى عَن الصبر فِي حال من الأحوال فإنه بين أمر يجب عَلَيْهِ امتثاله  
وتنفيذه ، ونهي يجب عَلَيْهِ اجتنابه وتركه ، وَقَدْ يجري عَلَيْهِ اتفاقاً ، ونعمة يجب شكر المنعم  
عَلَيْهَا ، وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الأحوال لا تفارقه ، فالصبر لازم إِلَى الْمَمَاتِ .

شِعْرًا : كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمُرُّ عَلَى الْفَتَى فَتَهُونُ غَيْرَ مُصِيبَةٍ فِي الدِّينِ  
آخِر : هَوْنٌ عَلَيْكَ فَكُلُّ الْأَمْرِ يَنْقَطِعُ وَخَلَّ عَنْكَ عِنَانُ الْهَمِّ يَنْدَفِعُ  
فَكُلُّ هَمٍّ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَرَجٌ وَكُلُّ أَمْرٍ إِذَا مَا ضَاقَ يَتَّسِعُ  
إِنَّ الْبَلَاءَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ فَالْمَوْتُ يَقْطَعُهُ أَوْ سَوْفَ يَنْقَطِعُ

اللَّهُمَّ نور قلوبنا بنور الإيمان وثبتها على قولك الثابت في الحياة الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا  
هداة مهديين وَتَوَقَّفْنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ  
. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

### " فَصْلٌ "

وَكَانَ ما يلقى الْعَبْدُ فِي هَذِهِ الدَّارِ لا يخلو من نوعين : أحدهما يوافق هواه ومراده، والآخر  
مخالفه وَهُوَ محتاج إِلَى الصبر فِي كُلِّ منهما ، أما النوع الموافق لغرضه : فكالصحة والسلامة  
والجاه والمال وأنواع الملاذ المباحة وَهُوَ أحوج شَيْءٍ إِلَى الصبر فيها من وجوه :  
أحدهما : أن لا يركن إليها ولا يعتر بها ولا تحمله على البطر والأشر والفرح المذموم الَّذِي  
لا يحبه الله وأهله .

الثاني : أن لا ينهمك في نيلها ويبالغ في استقصائها فَإِنَّهَا تنقلب إلى أضرارها . فمن بالغ في الأكل والشرب والجماع انقلب ذلك إلى ضده وحرم الأكل والشرب والجماع .

الثالث : أن يصبر على أداء حق الله فيها ولا يضيعه فيسلبها .

الرابع : أن يصبر عن صرفها في الحرام ، فلا يمكن نفسه من كل ما تريده منها فَإِنَّهَا توقعه في الحرام ، فَإِنَّ احتراز كل الاحتراز أوقعته في المكروه ، ولا يصبر على السراء إلا الصديقون . وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر .

ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال والأزواج والأولاد فقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ .

وليس المراد من هذه العداوة ما يفهمه كثير من الناس ، إنها عداوة البغضاء والمحادة بل ، إنما هي عداوة المحبة الصادقة للأبائ عن الهجرة والجهاد وتعلم العلم والصدقة وغير ذلك من أمور الدين وأعمال البر .

كما في جامع الترمذي ، من حديث إسرائيل حدثنا سماك عن عكرمة عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ قال : هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة فأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله ﷺ .

فلمَّا أتوا رسول الله ﷺ ورأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبهم فأنزل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ الآية . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وما أكثر ما فات العبد من الكمال والفلاح بسبب زوجته وولده وفي

الحديث : « الولد مبخلة مجبنة » . وقال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الحباب قال حدثني زيد بن واقد قال حدثني عبد الله بن بريدة قال سمعت أبي يقول : كان رسول الله ﷺ يخطبنا فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران . فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال : « صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما » . وهذا من كمال رحمته ﷺ ولطفه بالصغار وشفقته عليهم ، وهو تعليم منه للأمة الرحمة والشفقة واللطف بالصغار .

وإنما كان الصبر على السراء شديد لأنه مقرون بالقدرة والجائع عند غيبة الطعام أقدر منه على الصبر عند حضوره ، وكذلك الشبق عند غيبة المرأة أصبر منه عند حضورها مشقة الصبر بحسب قوة الداعي إلى الفعل وسهولته على العبد ، فإذا اجتمع في الفعل هذا الأمران كان الصبر عنه أشق شيء على الصابر وإن فقدنا معاً سهل الصبر عنه ، وإن وجد أحدهما وفقد الآخر سهل الصبر من وجه وصعب من وجه ، فمن لا داعي إلى القتل والسرقة وشرب المسكر وأنواع الفواحش ولا هو مسهل . فصبره عنه أيسر شيء وأسهله ، ومن أشد داعيه إلى ذلك وسهل عليه فعله فصبره عنه أشق شيء ولهذا كان صبر السلطان عن الظلم ، وصبر الشاب عن الفاحشة ، وصبر الغني عن تناول اللذات والشهوات عند الله بمكان .

وفي المسند وغيره عن النبي ﷺ : « عجب ربك من شاب ليست له صبوة » . ولذلك استحق السبعة المذكورون في الحديث الذين يظلمهم الله في ظلّ عرشه لكمال صبره ومشفقته ، فإن صبر الإمام المتسلط على العدل في قسمه وحكمه .

ورضاه وغضبه وصبر الشاب على عبادة الله ومخالفة هواه .  
 وصبر الرجل على ملازمة المسجد وصبر المتصدق على إخفاء الصدقة حتى عن بعضه  
 وصبر المدعو إلى الفاحشة مع كمال جمال الداعي ومنصبه ، وصبر المتحابين في الله على  
 ذلك في حال اجتماعهما وافتراقهما ، وصبر الباكي من خشية الله على كتمان ذلك  
 وإظهاره للناس من أشق الصبر .

شِعْرًا : أَمَا وَالَّذِي لَا يَمْلِكُ الْأَمْرَ غَيْرُهُ      وَمَنْ هُوَ بِالسِّرِّ الْمَكْتُمِ أَعْلَمُ  
 لَئِنْ كَانَ كِتْمَانُ الْمَصَائِبِ مُؤَلَّمًا      لِإِعْلَانِهَا عِنْدِي أَشَدُّ وَأَعْظَمُ  
 وَبِي كُلِّ مَا يُبْكِي الْعُيُونَ أَقْلَهُ      وَإِنْ كُنْتَ مِنْهُ دَائِمًا أَتَبَسَّمُ  
 آخِر : وَقَدْ يَلْبَسُ الْمَرْءُ خَزَّ الثِّيَابِ      وَمِنْ دُونِهَا حَالَةٌ مُضْنِيَةٌ  
 كَمَنْ يَكْتَسِي خَدَّهُ حُمْرَةً      وَعَلَّتْهَا وَرَمٌ فِي الرِّيَةِ

ولهذا كانت عقوبة الشيخ الزاني والملك الكذاب والفقير المحتال أشد العقوبات لسهولة  
 الصبر عن هذه الأشياء المحرمات عليهم لضعف دواعيها في حقهم ، فكان تركهم الصبر  
 عنها مع سهولته عليهم دليلاً على تمردهم على الله وعتوهم عليه ، ولهذا كان الصبر عن  
 معاصي اللسان والفرج من أصعب أنواع الصبر لشدة الداعي إليهما وسهولتها .

فإن معاصي اللسان فاكهة الإنسان كالنميمة والغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضاً  
 وتصريحاً ، وحكاية كلام الناس والطعن على من يبغضه ومدح من يحبه ونحو ذلك .  
 فتتفق قوة الداعي وتيسر حركة اللسان فيضعف الصبر ولهذا قال ρ لمعاذ : « أمسك  
 عنك لسانك » . فقال : « وإننا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : « وهل يكب الناس في  
 النار على مناخرهم إلا حصاة ألسنتهم » .

ولا سيما إذا صارت المعاصي اللسانية معتادة للعبد ، فإنه يعز عليه الصبر



عَنْهَا وَلِهَذَا تَجِدُ الرَّجُلَ يَقُومُ اللَّيْلَ وَيَصُومُ النَّهَارَ وَيَتَوَرَّعُ مِنْ اسْتِنَادِهِ إِلَى وَسَادَةِ حَرِيرٍ لِحِظَةٍ وَاحِدَةٍ وَيَطْلُقُ لِسَانَهُ فِي الْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالتَّفَكُّهِ فِي أَغْرَاضِ الْخَلْقِ .

وَرُبَّمَا خَصَّ أَهْلَ الصَّلَاحِ وَالْعِلْمِ بِاللَّهِ وَالِدِينَ وَالْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ وَكَثِيرٌ مِمَّنْ تَجِدُهُ يَتَوَرَّعُ عَنِ الدَّقَائِقِ مِنَ الْحَرَامِ وَالْقَطْرَةِ مِنَ الْخَمْرِ وَمِثْلَ رَأْسِ الْإِبْرَةِ مِنَ النِّجَاسَةِ ، وَلَا يَبَالِي بِارْتِكَابِ الْفَرْجِ الْحَرَامِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

### " فَصْلٌ "

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : يَنْدَفِعُ شَرَّ الْحَاسِدِ عَنِ الْمَحْسُودِ بِعَشْرَةِ أَسْبَابٍ : أَحَدُهُمَا : التَّعَوُّذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَالتَّحَصُّنُ بِهِ وَاللُّجَأُ إِلَيْهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى سَمِيعٌ لِاسْتِعَاذَتِهِ ، عَلِيمٌ بِمَا يَسْتَعِيدُ مِنْهُ . وَالسَّمْعَ هُنَا الْمُرَادُ بِهِ سَمْعَ الْإِجَابَةِ لَا السَّمْعَ الْعَامَ فَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ : ( سَمِعَ اللَّهُ مِنْ حَمْدِهِ ) .

وقول الخليل ρ : ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ ومرة يُقْرَنُهُ بِالْعِلْمِ وَمرةً بِالصَّبْرِ لِإِقْتِضَاءِ حَالِ الْمُسْتَعِيدِ ذَلِكَ .

فإنه يستعيد به من عدو يعلم أن الله يراه ويعلم كيده وشره فأخبر الله تَعَالَى هَذَا الْمُسْتَعِيدُ أَنَّهُ سَمِيعٌ لِاسْتِعَاذَتِهِ أَيَّ مَجِيبٌ عَلِيمٌ بِكَيْدِ عَدُوِّهِ ، يَرَاهُ وَيَبْصُرُهُ لِيَسِطَرَ أَمَلَ الْمُسْتَعِيدِ وَيَقْبَلَ بِقَلْبِهِ عَلَى الدُّعَاءِ .

السبب الثاني : تقوى الله وحفظه عِنْدَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ فَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ تَوَلَّى اللَّهُ حِفْظَهُ وَلَمْ يَكَلِهِ إِلَى غَيْرِهِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَأَيُّضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾ . وَقَالَ النَّبِيُّ ρ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ : « أَحْفِظِ اللَّهَ يَحْفَظُكَ ، وَأَحْفِظِ اللَّهَ تَجِدَهُ بِجَاهِكَ » . فَمَنْ حَفِظَ اللَّهَ حِفْظَهُ ، وَوَجَدَهُ أَمَامَهُ أَيْنَمَا تَوَجَّهَ ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ حَافِظَهُ وَأَمَامَهُ فَمَنْ يَخَافُ وَمَنْ يَحْذَرُ .

السبب الثالث : الصبر على عدوه ، وأن لا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث

نَفْسُهُ بِأَذَاهُ أَصْلًا . فما نصر على حساده وعدوه بمثل الصبر عَلَيْهِ ، ولا يستطل تأخيره وبعيه . فإنه كلما بغى عَلَيْهِ كَانََ بغيه جنْدًا وقوة للمبغى عَلَيْهِ المحسود يقاتل به الباغى نَفْسُهُ ، وَهُوَ لا يشعر فبغيه سهام يرميها من نَفْسِهِ إِلَى نَفْسِهِ .

ولو رأى المبغى عَلَيْهِ ذَلِكَ لسره بغيه عَلَيْهِ ، ولكن لضعف بصيرته لا يرى إلا صورة البغى دون آخره وماله . وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرْنَاهُ اللَّهُ ﴾ فَإِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ ضَمِنَ لَهُ النِّصْرَ مَعَ أَنَّهُ قَدْ اسْتَوْفَى حَقَّهُ أَوَّلًا .

فَكَيْفَ بَمَنْ لَمْ يَسْتَوْفِ شَيْئًا مِنْ حَقِّهِ بَلْ بَغَى عَلَيْهِ وَهُوَ صَابِرٌ ، وَمَا مِنَ الذُّنُوبِ ذَنْبٌ أَسْرَعَ عَقُوبَةً مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةَ الرَّحْمِ وَقَدْ سَبَقَتْ سُنَّةُ اللَّهِ : « أَنَّهُ لَوْ بَغَى جَبَلٌ عَلَى جَبَلٍ لَجَعَلَ الْبَاغِي مِنْهُمَا دَكًّا » .

السبب الرابع : التوكل على الله فمن يتوكل على الله فهو حسبه والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم ، وَهُوَ أَقْوَى الأسبابِ فِي ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ حَسْبُهُ أَي كَافِيهِ .

ومن كَانََ اللَّهُ كَافِيَهُ ووَاقِيَهُ فَلَا مَطْمَعَ فِيهِ لِعَدُوِّهِ ، وَلَا يَضُرُّهُ إِلَّا أَذَى لَا يَدُّ مِنْهُ كَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ . وإما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبدًا . وفرق بين الأذى الذي هُوَ فِي الظاهر إيداء لَهُ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ وَإِضْرَارٌ بِنَفْسِهِ وَبَيْنَ الضَّرَرِ الَّذِي يَتَشَفَى بِهِ مِنْهُ .

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : جعل الله لكل عمل جزاء من جنسه ، وجعل جزاء التوكل عَلَيْهِ نفس كفايته لعبده فَقَالَ : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ ولم يقل نَوْتَهُ كَذَا وَكَذَا مِنْ الْأَجْرِ كَمَا قَالَ فِي الْأَعْمَالِ ، بل جعل نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ كَافِي عِبْدِهِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَيْهِ وَحَسْبُهُ وَوَاقِيَهُ ، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السماوات والأرض ومن فيهن لجعل لَهُ ربه مَخْرَجًا مِنْ ذَلِكَ وَكَفَاهُ وَنَصْرَهُ

السبب الخامس : فراغ القلب من الإنشغال به والفكر فيه ، وأن يقصد أن يحوه من باله كُلُّما خطر له ، فلا يلتفت إليه ، ولا يخافه ولا يملأ قلبه بالفكر فيه ، وهذا من أنفع الأدوية ، وأقوى الأسباب المعينة على إندفاع شره فَإِنَّ هَذَا بمنزلة من يطلبه عدوه ليمسكه ويؤذيه .

فإذا لم يتعرض له ولا تماسك هو وإياه بل إنعزل عنه لم يقدر عليه . فإذا تماسكا وتعلق كُلٌّ منهما بصاحبه حصل الشر ، وهكذا الأرواح سواء . فإذا علق روحه وشبثها به وروح الحاسد الباغي متعلقة به يقظة ومنامًا ، لا يفتر عنه ، وهو يتمنى أن تماسك الروحان ويتشبثا .

فإذا تعلق روح كُلٌّ منهما بالأخرى عدم القزار ، ودام الشر حتى يهلك أحدهما ، فإذا جذب روحه منه وصانها عن الفكر فيه والتعلق به ، وأن لا يخطر بباله . فإذا خطر بباله بادر إلى محو ذلك الخاطر ، والإنشغال بما هو أنفع له وأولى به ، وبقي الحاسد الباغي يأكل بعضه بعضًا .

فإن الحاسد كالنار ، فإذا لم تجد ما تأكله أكل بعضها بعضًا ، وهذا باب عظيم النفع لا يلقاه إلا أصحاب النفوس الشريفة والهمم العلية ، وبين الكيس والفظن وبينه حتى يذوق حلاوته وطيبه ونعيمه كأنه يرى من أعظم عذاب القلب والروح إشتغاله بعدوه ، وتعلق روحه به ، ولا يرى شيئًا ألم لروحه من ذلك .

ولا يصدق بهذا إلا النفوس المطمئنة الوادعة اللينة ، التي رضيت بوكالة الله لها ، وسكنت إليه ، واطمأنت به ، وعلمت أن ضمانه حق ، ووعده صدق ، وأنه لا أوفى بعهده من الله ، ولا أصدق منه قِيلاً ، فعلمت إن نصره لها أقوى وأثبت وأدوم ، وأعظم فائدة من نصرها هي لنفسها ، أو نصر مخلوق مثلها ، ولا يقوى على هذا السبب إلا بالسبب السادس .

وهو الإقبال على الله ، والإخلاص له ، وجعل محبته ورضاه والإنابة إليه في

محل خواطر نَفْسُهُ ، وأمانيتها تدب فيها ديب تلك الخواطر شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يَقهرها ويغمرها ويذهبها بالكلية .

فتبقى خواطره وهو اجسه وأمانيه كُلِّهَا فِي محاب الرب ، والتقرب إليه وتمليقه وترضيه ، وإستعطافه وذكره ، كما يذكر المحب التام المحبة محبوبه المحسن إليه الَّذِي قَدْ امتلأت جوانحه من حبه ، فلا يستطيع قَلْبُهُ إنصرافًا عَنْ ذكره ولا روحه إنصرافًا عَنْ محبته .

فإِذَا صَارَ كَذَلِكَ فَكَيْفَ يَرْضَى لِنَفْسِهِ أَنْ يجعل بيت أفكاره وَقَلْبُهُ معمورًا بالفكر فِي حاسده والباغي عَلَيْهِ ، والطَّرِيقَ إِلَى الإِنْتِقَامِ مِنْهُ ، والتدبير عَلَيْهِ ، هَذَا مَا لَا يتسع لَهُ إلا قلب خراب لم تسكن فيه محبة الله وإجلاله وطلب مرضاته .

بل إِذَا مسه طيف من ذَلِكَ واجتاز ببابه من خارجه ناداه حرس قَلْبِهِ : إياك وحمى الملك ، اذهب إِلَى بيوت الخانات التي كُتِلَ من بجاء حل فيها ، ونزل بها ، مالك وليت السُّلْطَانَ الَّذِي أقام عَلَيْهِ اليزك وأدار عَلَيْهِ الحرس ، وأحاطه بالسور .

قَالَ تَعَالَى حكاية عَنْ عدوه إبليسَ ، أَنه قَالَ : ﴿ فِعِزَّتِكَ لِأَغْوَيْتَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ وَقَالَ : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ ، وَقَالَ فِي حق الصديق يوسف صلى الله عليه وَسَلَّمَ : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ ﴾ .

فأعظم سعادة من دخل هَذَا الحصن ، وصار داخل اليزك ، لقد آوى إِلَى حصن لا خوف على من تحصن به ولا ضيعة على من آوى إليه ، ولا مطمع للعدو فِي الدنو إليه منه . ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" فصل " : السبب السابع : تجريد التوبة إلى الله من الذُّنوب التي سلطت عَلَيْهِ أعداءه ، فَإِنَّ الله تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ ) ، وَقَالَ لِحَيْر الخلق وهم أصحاب نبيه دونه ρ ﴿ أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ .

فما سلط على العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه ، وما لا يعلمه العبد من ذنوب أضعاف ما يعلمه منها ، وما ينسأه مما عمله أضعاف ما يذكره ، وفي الدعاء المشهور : « اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، واستغفرك مما لا أعلم » .  
فما يحتاج العبد إلى الاستغفار منه مما لا يعلمه أضعاف أضعاف ما يعلمه ، فما سلط عَلَيْهِ مؤذ إلا بذنب . ولقى بَعْض السَّلَف رجل فأغلظ لَهُ ونال منه ، فَقَالَ لَهُ : قف حَتَّى أدخل البيت ، ثُمَّ أَخْرَجَ إِلَيْكَ ، ودخل فسجد لله وتضرع إليه وتاب وأتاب إلى ربه .  
ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : ما صنعت ؟ فَقَالَ : تبت إلى الله من الذنب الذي سلطك به عليَّ . فليس للعبد إذا بغى عَلَيْهِ وأوذي وتسلط عَلَيْهِ خصومه شيء أنفع لَهُ من التوبة النصوح . وعلامة سعادته : أن يعكس فكره ونظره على نَفْسِهِ وذنوبه وعيوبه ، فيشتغل بها وبإصلاحها وبالتوبة مِنْهَا ، فلا يبقى فيه فراغ لتدبر ما أنزل به ، بل يتولى هُوَ التوبة وإصلاح عيوبه ، والله يتولى نصرته وحفظه والدفع عَنْهُ ولا بد .

فما أسعده من عبد ، وما أبركها من نازلة نزلت به ، وما أحسن آثارها عَلَيْهِ ، ولكن التَّوْفِيق والرشد بيد الله ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطى لما منع . فما كُلُّ أحد يوفق لهذا ، لا معرفة به ، ولا إرادة لَهُ ، ولا قدرة عَلَيْهِ ، ولا حول ولا قوة إلا بِاللَّهِ . وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" فصل " : السبب الثامن : الصدقة والإحسان ما أمكنه ، فَإِنَّ لِدَلِكْ تَأْثِيرًا عَجِيبًا فِي دفع البلاء ، ودفع العين ، وشر الحاسد ، ولو لم يكن فِي هَذَا إِلَّا بتجارب الأمم قديماً وحديثاً لكفى به . فما تكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق .  
وَإِذَا أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ كَانَ مُعَامِلًا فِيهِ بِاللُّطْفِ وَالْمَعُونَةِ وَالتَّيْيِدِ وَكَانَتْ لَهُ فِيهِ الْعَافِيَةُ الْحَمِيدَةُ . فالحسن المتصدق فِي خِفَارَةِ إِحْسَانِهِ وَصِدْقَتِهِ ، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ جَنَّةٌ وَاقِيَةٌ وَحَصْنٌ حَصِينٌ .

والجملة : فالشكر حارس النعمة من كُلِّ ما يكون سبباً لزوالها. ومن أقوى الأسباب : حسد الحاسد والعائن ، فإنه لا يفتر ولا يني ولا يبرد قلبه حَتَّى تَزُولَ النعمة عَنْ المحسود فحينئذ يبرد أنينه ، وتنطفئ ناره ، لا أطفأها الله .  
فما حرس العبد نعمة الله عَلَيْهِ بمثل شكرها، ولا عرضها للزوال بمثل العمل فيها بمعاصي الله ، وَهُوَ كَفْرَانُ النعمة ، وَهُوَ بَابٌ إِلَى كَفْرَانِ الْمَنَعَمِ .

فالحسن المتصدق يستخدم جنداً وعسكرياً يقاتلون عَنْهُ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى فِرَاشِهِ ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ جُنْدٌ وَلَا عَسْكَرٌ ، وَلَهُ عَدُوٌّ ، فَإِنَّهُ يَوْشِكُ أَنْ يَظْفِرَ بِهِ عَدُوُّهُ ، وَإِنْ تَأَخَّرَتْ مَدَّةُ الظفر ، والله المستعان .

السبب التاسع : وَهُوَ مِنْ أَصْعَبِ الْأَسْبَابِ عَلَى النَّفْسِ وَشَقِيحًا عَلَيْهِ ، وَلَا يُوْفِقُ لَهَا إِلَّا مِنْ عَظْمِ حِظِّهِ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ إِطْفَاءُ نَارِ الْحَسَدِ وَالْبَاغِيِ وَالْمُؤْذِيِ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، فَكُلَّمَا أَزْدَادَ أَذَى وَشَرًّا وَبَغِيًّا وَحَسَدًا ، أَزْدَادَتْ إِلَيْهِ إِحْسَانًا ، وَلَهُ نَصِيحَةٌ ، وَعَلَيْهِ شَفِيقَةٌ .

وما أظنك تصدق بأن هذا يكون ، فضلاً عَنْ أَنْ تَتَعَاطَاهُ ، فَاسْمَعْ الْآنَ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴾

وَأَمَّا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠﴾ .

قَالَ : ﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ . وتأمل حال النَّبِيِّ ﷺ إذ ضربه قومه حتى أدموه ، فجعل يسلك الدم عنه وَيَقُولُ : « اللهم اغفر لقومي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » . كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان ، قابل بها إساءتهم العظيمة إليه

أحدها : عفوه عنهم ، والثاني : استغفاره لهم ، والثالث : اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون ، والرابع : استعطافه لهم بإضافتهم إليه " اغفر لقومي " ، كما يَقُولُ الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به ، هَذَا ولدي ، هَذَا غلامي ، هَذَا صاحبي ، فهبه لي . واسمع الآن ما الَّذِي يسهل هَذَا على النفس ، ويطيبه إليها وينعمها به .

اعلم إن لك ذنوبًا بينك وبين الله ، تخاف عواقبها ، وترجوه أن يعفو عنها ويغفرها لك ويهبها لك ، ومع هَذَا لا يقتصر على مجرد العفو والمساحة حتى ينعم عليك ويكرمك ، ويجلب إليك من المنافع والإحسان فوق ما تؤمله .

فإذا كنت ترجو هَذَا من ربك ، وتحب أن يقابل به إساءتك فما أولاك وأجدرك أن تعامل به خلقه ، وتقابل به إساءتهم ليعاملك الله تلك المعاملة .

فإن الجزاء من حسن العمل ، فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حقك ، يفعل معك في ذنوبك وإساءتك جزاءً وفاقًا ، فانتقم بعد ذلك أو اعف ، وأحسن أو اترك ، فكما تدين تدان وكما تفعل معه يفعل معك .

فمن تصور هَذَا المعنى ، وشغل به فكره ، هان عليه الإحسان إلى من أساء إليه ، وهَذَا مع ما يحصل له بِذَلِكَ من نصر الله ومعيته الخاصة ، كما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ للذي شكى إليه قرابته ، وأنه يحسن إليهم ، وهم يسيئون إليه فقَالَ : « لا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذَلِكَ » .

هَذَا مَعَ مَا يَتَعَجَّلُهُ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ وَيَصِيرُونَ كُلَّهُمْ مَعَهُ عَلَى خَصْمِهِ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ سَمِعَ  
إِنَّهُ مُحْسِنٌ إِلَى ذَلِكَ الْغَيْرِ ، وَهُوَ مَسِيءٌ إِلَيْهِ وَجَدَّ قَلْبُهُ وَدَعَاهُ وَهَمَّتْهُ مَعَ الْمُحْسِنِ عَلَى  
الْمَسِيءِ وَذَلِكَ أَمْرٌ فَطْرِي ، فَطَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عِبَادَهُ ، فَهُوَ بِذَلِكَ الْإِحْسَانَ قَدْ اسْتَحْدَمَ  
عَسْكَرًا لَا يَعْرِفُهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَهُ وَلَا يَرِيدُونَ مِنْهُ أَقْطَاعًا وَلَا خَيْرًا .

هَذَا مَعَ أَنَّهُ لَا بَدَّ لَهُ مِنْ عَدُوِّهِ وَحَاسِدِهِ مِنْ إِحْدَى حَالَتَيْنِ : أَمَا أَنْ يَمْلِكَهُ بِإِحْسَانِهِ ،  
فِيَسْتَعْبِدُهُ وَيَنْقَادَ لَهُ وَيَذَلَّ لَهُ وَيَبْقَى النَّاسُ إِلَيْهِ ، وَأَمَا يَفْتَتِ كَبِدَهُ وَيَقْطَعُ دَابِرَهُ ، وَإِنْ أَقَامَ  
عَلَى إِسَاءَتِهِ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يَذِيْقُهُ بِإِحْسَانِهِ أَضْعَافَ مَا يَنَالُ مِنْهُ بِانْتِقَامِهِ .

وَمَنْ جَرَّبَ هَذَا عَرَفَهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ ، وَاللَّهُ الْمُتَوْفِّقُ وَالْمُعِينُ ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ،  
وَهُوَ الْمَسْئُولُ أَنْ يَسْتَعْمِلَنَا وَإِخْوَانَنَا فِي ذَلِكَ بِمَنْهَ وَكْرَمِهِ وَفِي الْجُمْلَةِ فِي هَذَا الْمَقَامِ مِنْ  
الْفَوَائِدِ مَا يَزِيدُ عَلَى مِائَةِ مَنْفَعَةٍ لِلْعَبْدِ عَاجِلَةً وَآجِلَةً .

السَّبَبُ الْعَاشِرُ : وَهُوَ الْجَامِعُ لِذَلِكَ كُلِّهِ ، وَعَلَيْهِ مَدَارُ هَذِهِ الْأَسْبَابِ وَهُوَ تَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ ،  
وَالْتَرَحُّلُ بِالْفِكْرِ فِي الْأَسْبَابِ إِلَى الْمَسْبَبِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ، وَالْعِلْمُ بِأَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ بِمَنْزِلَةِ  
حَرَكَاتِ الرِّيَاحِ وَهِيَ بِيَدِ مَحْرُكِهَا ، وَفَاطَرِهَا وَبَارِئِهَا ، وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ إِلَّا بِإِذْنِهِ .

فَهُوَ الَّذِي يُحْسِنُ عِبَادَةَ بِهَا ، وَهُوَ الَّذِي يَصْرِفُهَا عَنْهُ وَحْدَهُ لَا أَحَدَ سِوَاهُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ يَمَسُّنَكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ .  
وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ  
يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ  
يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ » .

فَيَرَى أَنَّ أَعْمَالَهُ فِكْرَةٌ فِي أَمْرِ عَدُوِّهِ وَخَوْفِهِ مِنْهُ وَاشْتِغَالَهُ بِهِ مِنْ نَقْصِ



توحيده ، وإلا فلو جرد توحيده لَكَانَ لَهُ فِيهِ شَغْلٌ شَاغِلٌ وَاللَّهُ يَتَوَلَّى حَفْظَهُ وَالِدْفَعُ عَنْهُ ،  
ولا بد وإن مزج له وإن كَانَ مرةً ومرةً فالله له مرة ومرة .

كما قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : من أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ بِكَلِيَّتِهِ أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ جَمَلَةً وَمِنْ أَعْرَضَ عَنْ  
اللَّهِ بِكَلِيَّتِهِ أَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ جَمَلَةً وَمِنْ كَانَ مرةً ومرةً فالله مرة ومرة ، فَالتَّوْحِيدُ حَصْنُ اللَّهِ  
الأَعْظَمُ الَّذِي مِنْ دَخَلِهِ كَانَ مِنَ الآمِنِينَ .

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : من خَافَ اللَّهَ خَافَهُ كُلُّ شَيْءٍ ، ومن لم يَخَفِ اللَّهَ أَخَافَهُ مِنْ كُلِّ  
شَيْءٍ .

هذه عشرة أسباب يندفع بها شر الحاسد والعائن والساحر ، وليس له أنفع من التوجه إلى  
اللَّهِ وإِقْبَالِهِ عَلَيْهِ ، وتوكله عَلَيْهِ ، وثقته به ، وأن لا يَخَافَ معه غيره ، بل يكون خوفه منه  
وحده ، ولا يرجو سواه ، بل يرجوه وحده .

فلا يعلق قلبه بغيره ، ولا يستغيث بسواه ، ولا يرجو إلا إياه ، ومتى علق قلبه بغيره  
ورجاه وخافه وكل إليه وخذل من جهته ، فمن خَافَ شَيْئًا غَيْرَ اللَّهِ سَلَطَ عَلَيْهِ ، ومن رجا  
شَيْئًا سِوَى اللَّهِ خَذَلَ مِنْ جِهَتِهِ وَحَرَّمَ غَيْرَهُ ، وهذه سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ ، ولن تجد لسنة الله  
تبديلاً .

شِعْرًا : وَإِذَا اعْتَمَدْتَ عَلَى الْإِلَهِ حَقِيقَةً نَمَّ فَالْمَخَافِيفُ كُلُّهُنَّ أَمَانٌ  
اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَارزُقْنَا الاستقامة طوعاً وأمرَكَ وتفضل عَلَيْنَا بِعَافِيَتِكَ وَجَزِيلِ  
عَفْوِكَ . وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ  
الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا : أَرَى الصَّبْرَ مَحْمُودًا وَعَنْهُ مُذَاهِبٌ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ عَنْهُ مَذْهَبٌ  
هُنَاكَ يَحِقُّ الصَّبْرَ وَالصَّبْرَ وَاجِبٌ وَمَا كَانَ مِنْهُ لِلضَّرُورَةِ أَوْجَبٌ  
هُوَ الْمَهْرَبُ الْمُنْجِي لِمَنْ أَحْدَقَتْ بِهِ مَكَارِهِ دَهْرٍ لَيْسَ مِنْهُمْ مَهْرَبٌ

اعد خِلالاً فليهِ لَيْسَ لِعَاقِلٍ  
 لُبُوسُ جَمَالٍ جُنَّةٌ مِنْ شَمَاتِهِ  
 فَيَا عَجَبًا لِشَيْءٍ هَدِي خِلالِهِ  
 آخر : كُنْ حَلِيمًا إِذَا بُلِيَتْ بَغِيضٍ  
 فَاللَّيَالِي كَأَنَّهِنَّ حَبَالِي  
 آخر : اصْبِرْ فِي الصَّبْرِ خَيْرٌ لَوْ عَلِمْتَ بِهِ  
 آخر : إِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ خَيْرَ مَعْوَلٍ  
 فَإِذَا نَبَا بِي مَنْزِلٌ جَاوَزْتُهُ  
 وَإِذَا غَلَا شَيْءٌ عَلَيَّ تَرَكْتُهُ  
 آخر : صَبِرْتُ عَلَى بَعْضِ الْأَذَى خَوْفَ كُلِّهِ  
 وَجَرَّحْتُهَا الْمَكْرُوهَ حَتَّى تَدْرَيْتُ  
 فَيَا رَبِّ عِزِّ جَرِّ لِلنَّفْسِ ذِلَّةً  
 وَمَا الْعِزُّ إِلَّا خِيفَةُ اللَّهِ وَحُدَّةُ  
 وَمَا صِدْقُ نَفْسِي إِنَّ فِي الصِّدْقِ  
 وَاهْجُرْ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ فَإِنِّي  
 إِذَا مَا مَدَدْتَ الْكَفَّ التَّمَسُّ الْغَنَى  
 إِذَا طَرَقْتَنِي الْحَادِثَاتُ بِنَكْبَةٍ  
 وَمَا نَكْبَةٌ إِلَّا وَلِلَّهِ مَنَّةٌ  
 مِنَ النَّاسِ إِنْ أَنْصَفَنَ عَنْهُمْ مَرْغَبٌ  
 شِفَاءٌ أَسَى يُثْنَى بِهِ وَيُثَوِّبُ  
 وَتَارَكَ مَا فِيهِ مِنَ الْحِظِّ أَعْجَبُ  
 وَصَبُورًا إِذَا أَتَتْكَ مُصِيبَةٌ  
 مُثْقَلَاتٌ يَلِدْنَ كُلَّ عَجِيبٍ  
 لَكُنْتُ بَارَكْتَ شُكْرُ أَصْحَابِ النِّعَمِ  
 فِي النَّائِبَاتِ لَمَنْ أَرَادَ مَعْوَلًا  
 وَجَعَلْتَ مِنْهُ غَيْرَهُ لِي مَنْزِلًا  
 فَيَكُونُ أَرْخَصُ مَا يَكُونُ إِذَا غَلَا  
 وَالزَّمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَاسْتَقَرَّتْ  
 وَلَوْ حُمِلَتْهُ جَمَلَةٌ لِاشْمَازَتْ  
 وَيَا رَبِّ نَفْسٍ بِالتَّذَلُّ عَزَّتْ  
 وَمَنْ خَافَ مِنْهُ خَافَهُ مَا أَقْلَتْ  
 فَارْضِي بِدُنْيَايَ وَإِنْ هِيَ قَلَّتْ  
 أَرَى الْحِرْصَ جَلَابًا لِكُلِّ مَذَلَّةٍ  
 إِلَى غَيْرِ مَنْ قَالَ اسْأَلُونِي فَشَلَّتْ  
 تَذَكَّرْتُ مَا عُوفِيَتْ مِنْهُ فَقَلَّتْ  
 إِذَا قَابَلْتَهَا أَدْبَرْتُ وَاضْمَحَلَّتْ

اللَّهُمَّ باعد بيننا وبين خطايانا كما باعدت بين المشرق والمغرب ونقنا من الخطايا كما ينقى الثوب  
 الأبيض من الدنس ، اللَّهُمَّ ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا ذنوبنا وهب لنا تقواك واهدنا بهداك ولا تكلنا  
 إلى أحد سواك واجعل لنا من كل فرجًا ، ومن كل ضيق مخرجًا ، اللَّهُمَّ أعذنا بمعافاتك من  
 عقوبتك وبرضاك من سخطك ، واحفظ جوارحنا من مخالفة أمرك واغفر لنا

ولوالدينا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### "فَصْلٌ"

وكما ورد في مدح الصبر والحث عَلَيْهِ آيات ، ذكرنا طرفاً مِنْهَا فَكَذَلِكَ وردت أحاديث نذكر إن شاء الله طرفاً مِنْهَا من ذَلِكَ ما ورد عَنْ صهيب بن سنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنْ أَمْرَهُ كُلُّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ إِصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يَصْبِرْهُ اللَّهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ » . متفق عَلَيْهِ .

وعن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السموات والأرض ، والصلوة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كُلِّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَاعَ نَفْسَهُ فَمَعْتَقَهَا أَوْ مَوْبَقَهَا » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وعن أبي هريرة وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :

" ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها » . متفق عَلَيْهِ .

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَهُ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَهُ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

« إِنْ عَظِمَ الْجَزَاءُ مَعَ عَظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنْ

الله إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السَّخَطُ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصِّرَعَةِ ، وَإِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْعُضْبِ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةُ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

وَعَنْ مِصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً ، قَالَ : « الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ يَبْتَلَى الرَّجُلَ حَسَبَ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صِلَابًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَةٌ ابْتَلَاهُ اللَّهُ حَسَبَ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ فِي الْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةُ فِي جَسَدِهِ وَفِي مَالِهِ وَفِي وَلَدِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ : « أَخَذْتِكِ أُمٌّ مَلْدَمٌ ؟ » قَالَ : وَمَا أُمٌّ مَلْدَمٌ ؟ قَالَ : « حَرٌّ يَكُونُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ » . قَالَ : مَا وَجَدْتِ هَذَا قَطُّ . قَالَ : « فَهَلْ أَخَذْتِ الصَّدَاعَ » . قَالَ : وَمَا الصَّدَاعُ . قَالَ : « عَرَقٌ يَضْرِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي رَأْسِهِ » . قَالَ : مَا وَجَدْتِ هَذَا قَطُّ فَلَمَّا وُلِيَ قَالَ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا » . رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ : اسْتَأْذَنْتِ الْحُمَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « مِنْ هَذِهِ » قَالَتْ : أُمٌّ مَلْدَمٌ فَأَمَرَ بِهَا إِلَى أَهْلِ قَبَاءٍ فَلَقُوا مِنْهَا مَا يَعْلَمُ اللَّهُ فَأَتَوْهُ فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَيْهِ قَالَ : « مَا شِئْتُمْ إِنْ شِئْتُمْ أَنْ أَدْعُو اللَّهَ فَيَكْشِفُهَا عَنْكُمْ وَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَكُونُ لَكُمْ طَهْرًا » . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يَفْعَلُ . قَالَ : « نَعَمْ » قَالُوا : فَدَعَاهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ .

شِعْرًا : تَطْرُقُ أَهْلُ الْفَضْلِ دُونَ الْوَرَى مَصَائِبِ الدُّنْيَا وَآفَاتِهَا  
كَالطَّيْرِ لَا يُسْجَنُ مِنْ بَيْنِهَا إِلَّا الَّتِي تُطْرَبُ أَصْوَاتُهَا

ولابن حبان في صحيحه من رواية العلاء بن المسيب عن أبيه عن سعد قال : سئل رسول الله ﷺ أي الناس أشد بلاء قال : « الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الناس على حسب دينهم ، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه ، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس وما عليه خطيئة » .

وعن أبي سعيد أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو موعوك عليه قطيفة فوضع يده فوق القطيفة ، فقال : ما أشد حُمَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « إِنَّا كَذَلِكَ يُشَدِّدُ عَلَيْنَا الْبَلَاءَ وَيُضَاعَفُ لَنَا الْأَجْرُ » .

ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً ؟ قَالَ " الْأَنْبِيَاءُ " ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : « الْعُلَمَاءُ » . قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : « الصَّالِحُونَ كَانَ أَحَدُهُمْ يُبْتَلَى بِالْقَمَلِ حَتَّى يَقْتُلَهُ وَيُبْتَلَى أَحَدُهُمْ بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ إِلَّا الْعِبَاءَةَ يَلْبَسُهَا ، وَلَا أَحَدُهُمْ كَانَ أَشَدَّ فَرْحًا بِالْبَلَاءِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِالْعَطَاءِ » . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَالْحَاكِمُ وَاللَّفْظُ لَهُ وَقَالَ : صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ الرَّجُلَ لِيَكُونَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةَ فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ فَمَا يَزَالُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يَبْلُغَهُ إِيَّاهَا » . رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ مِنْ طَرِيقِهِ وَغَيْرِهِمَا .

وعن مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ وَكَانَتْ لَهُ صَحْبَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنْ الْعَبْدُ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ فَلَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلٍ ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ ، أَوْ مَالِهِ ، أَوْ فِي وَلَدِهِ ، ثُمَّ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَبْلُغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَأَبُو يَعْلَى وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ .

وَرُوي فِيهِ أَيْضًا عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ اللَّهُ لِيَجْرِبَ أَحَدَكُمْ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَجْرِبُ أَحَدَكُمْ ذَهَبَهُ بِالنَّارِ ، فَمَنْهُ مَا يُخْرِجُ كَالذَّهَبِ الْإِبْرِيذَ فَذَلِكَ الَّذِي حَمَاهُ اللَّهُ مِنَ الشَّبَهَاتِ وَمَنْهُ مَا يُخْرِجُ دُونَ ذَلِكَ فَذَلِكَ الَّذِي يَشْكُ بَعْضُ الشُّكِّ وَمَنْهُ مَا يُخْرِجُ كَالذَّهَبِ الْأَسْوَدِ فَذَلِكَ الَّذِي افْتَتِنَ » . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### "موعظة"

عباد الله كلنا والله الحمد قد رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا ، وبمحمد نبيًا ورسولًا ، وبالقرآن إمامًا ، والكعبة قبله ، وبالمؤمنين إخوانًا وتبرأنا من كل دين يخالف دين الإسلام ، وآمنا بكل كتاب أنزله الله وبكل رسول أرسله الله ، وبملائكة الله وبالقدر خيره وشره وباليوم الآخر وبكل ما جاء به محمد ﷺ عن الله ، على ذلك نحيا وعليه نموت ، وعليه نبعث إنشاء الله من الآمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بفضلهم وكرمه .  
ثم اعلّموا معاشر الإخوان أنه من رضي بالله ربًا لزمه أن يرضى بتدبيره ، واختياره له ، وبمر قضاؤه ، وأن يقنع بما قسم له من الرزق ، وأن يداوم على طاعته ، ويحافظ على فرائضه ، ويجتنب محارمه ، ويكون صابرًا عند بلائه ، موطنًا نفسه على ما يصيبه من الشدائد ، بعيدًا كل البعد عن نار الجزع ، التي تتأجج في قلب كل امرئ يجهل بآرته ومولاه .

فإن رأيت نفسك أيها الأخ تريد أن تجزع عند ملمة ، فقف أمامها موقف الناصح القدير ، أفهمها أنها هي السبب فيما أنزل الله بها من بلاء صغير أو كبير .  
وإن لم تصدقك فاقرا عليها قول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ فإنها إذا سمعت ذلك وجهت اللوم

إلى نفسها على معاصيها ، وهدأت الثورة الثقيلة .

وأفهمها أن ليسَ بينها ولا بين ربحها عداوة ، فإنه بعباده الرءوف الرحيم ، وأفهمها أن البلياء قد تلزم العبد حتى يصبح مغفورة ذنوبه كُلِّها ، صغيرها ، والكبير ، وأفهمها أن نتيجة ذلك أن صاحب البلياء يأتي يوم القيامة في أمن مولاه الكريم .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من يرد الله به خيراً يصب منه » . رواه البخاري . وفي حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله : « إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا » .

وقال ﷺ : « إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم » . الحديث .

وفي حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما يزل البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله تعالى وما عليه خطيئة » . رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح ، أفهم نفسك كل ذلك فإنه يخفف عنها آلام البلياء ، وزمما جعلها من المحبوبات .

وأفهمها أن الله وعد الصابرين أن يجزيهم أجرهم بغير حساب وأفهمها أن الله حكيم في كل تصرفاته ، وقل لها أن الجزع لا يرد ما نزل من البلاء أبداً ، بل ما دبره الحكيم العليم لا بد من وقوعه فلا فائدة في الجزع والحزن ، وقل إن عاقبة الجزع والتسخط النار ، وعاقبة الصبر والرضا بما قضاه الله الجنة ، وقل أن شماتة الأعداء في الجزع ، وغيظهم في الصبر ، الذي يتأكد لزومه على الرجال والنساء .

وتأكد واطمئن أنها إذا سمعت منك كل ذلك رضيت بإذن الله كل الرضا ، ولزمت الآداب ، فتعيش كل حياتها تروح وتغتدي في جنة رضاها ،

مهما برحت بها البلايا والأوصاب ، وبذلك مع توفيق الله تعالى تجمع بين سعادة الدنيا والآخرة وهكذا تكون عواقب الصابرين الأبطال .

شِعْرًا : وَأَصْبَحْتُ فِيمَا كُنْتُ أَبْغِي مِنَ الْعِنَا إِلَى الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ أَحْوَجًا  
وَحَسِبْتُ نَفْسِي بَيْنَ وَبَيْتِي وَمَسْجِدِي وَقَدْ صِرْتُ مِثْلَ النَّسْرِ أَهْوَى التَّعَرُّجَا

آخر : مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ فِي الدُّنْيَا وَأَجْمَلَهُ عِنْدَ الْإِلَهِ وَأَنْجَاهُ مِنَ الْجَزَعِ  
مَنْ شَدَّ بِالصَّبْرِ كَفًّا عِنْدَ مُؤَلِّمَةٍ أَلَوْتُ يَدَاهُ بِجَبَلٍ غَيْرِ مُنْقَطِعِ

اللَّهُمَّ نور قلوبنا واشرح صدورنا ويسر أمورنا وأحسن منقلبنا وأيدنا بروح منك ووقفنا لما تحبه وترضاه وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة واغفر لنا ذنوبنا واستر عيوبنا واكشف كربنا وأصلح ذات بيننا وألف في طاعتك وطاعة رسولك بين قلوبنا واغفر لنا ولوالدين ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

### " فَصْلٌ "

ويكفي في مدح الصبر وشرفه وعلو مكانته وأنه لا يناله إلا من وفقه الله ، أن الصبر طريقة الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام ، فقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ و صفوة خلقه : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ ، وقال : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

فبين تعالى أن كل رسول أرسله إلى أمة من الأمم لاقى أذى وألما من قومه وتكديبا ، وقال لرسوله ﷺ : ﴿ آمراً ومسلماً ﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴿ الآية .  
ألا وإن من حكمة الله في تعريض صفوة خلقه لهذه المكاره والأذايا



وفي أمرهم بالصبر عَلَيْهَا إِفْهَامًا لِخَلْقِهِ أَنَّ الدُّنْيَا دارُ بَلَاءٍ وَابْتِحَارٍ ، لا دار مقامٍ وِلْدَةٍ ، واستقرارٍ ، وأنها محدودة الأجل ، مقصود مَنَهَا صالح العَمَلِ .

فَانظُرْ إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وما نزل به الآلام والأحزان أَخْرَجَهُ اللهُ بَفْتِنَةِ إبْلِيسَ من جنته وأهبطه إِلَى الأَرْضِ ليعمرها هُوَ وَأَبْنَاؤُهُ ، وهي دار العناء والفناء وذاق ثكل ولده هاييل باعتداء أخيه عَلَيْهِ قابيل .

وانظر أول رسول أرسل إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ نوحَ عَلَيْهِ وعلى نبينا أفضل الصَّلَاةِ والسَّلَامِ وَقَدْ مكث يدعو قومه ألف سنةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا (٩٥٠) وهم يهزؤون ويسخرون منه يدعوهم ليلاً ونهاراً سرّاً وجهاراً ولم يتوانا ولم يضجر ولم يمل بل واصل الجهود النبيلة الخالصة الكريمة بلا مصلحة لَهُ ولا منفعة مِنْهُمْ .

ويحتمل فِي سبيل هَذِهِ الدعوة الاستكبار والإعراض ، هَذِهِ المدة الطويلة والمستجيبون لا يزيدون ، والمعرضون فِي زيادة ، ولما أيس من إيمانهم أمر أن يصنع الفلك فكأنوا إِذَا مروا عَلَيْهِ ضحكوا منه وسخروا وَقَالُوا كَانَ بِالْأَمْسِ نبيًا وَالْيَوْمَ نَجَارًا ولا يزيد من جوابه على أن يَقُولُ : ﴿ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ .

وزَادَ بِلَاؤُهُ أَن أُعْرِقَ ابنه ينظر إليه ولا يستطيع لَهُ إنقاذًا إِذ قَدْ غلب على الابن الشقاء فناجى ربه نوح فقال لَهُ ربه : ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ .  
ثمَّ انظر إِلَى شيخ المرسلين وَجَدَ المُسْلِمِينَ خليل الرحمن عَلَيْهِ السَّلَامُ وما تجرع من الغصص والآلام فَقَدْ جد فِي دعوة أبيه إِلَى التَّوْحِيدِ حَتَّى هدده أبوه بالرجم والتعذيب وقومه قَالُوا : اقتلوه أَوْ احرقوه ثُمَّ ما جرى عَلَيْهِ حين أمر بذبح ابنه فَأَقْدِمَ عَلَى ذلك .

ثم انظر إلى موسى وما جرى عليه وما لا قي في أول أمره وآخره مع فرعون لعنه الله وقومه ثم انظر إلى عيسى عليه السلام وما لقيه من قذف أمه وقذفه رضي الله عنهما واضطهاد بنى إسرائيل قومه حتى ائتمروا على صلبه .

ثم انظر إلى لوط عليه السلام وما جرى له مع قومه المنحرفين الشاذين المستهترين بالنذر ، قال تعالى : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ ﴾ الآية ، فصبر إلى أن نصره الله وأرسل على قومه حاصباً وجعل عاليها سافلها والله على كل شيء قدير وهو نعم المولى ونعم النصير .

شِعْرًا : ثَمَانِيَةٌ حَتَّمْ عَلَى سَائِرِ الْوَرَى فَكُلَّ امْرِئٍ لَا بُدَّهَ مِنْ ثَمَانِيَةٍ  
سُرُورٌ وَاجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ وَعُسْرٌ وَيُسْرٌ ثُمَّ سِقَمٌ وَعَافِيَةٌ  
آخر : إِنَّ الْحَيَاةَ مَنَامٌ وَالْمَالُ بِنَا إِلَى انْتِبَاهٍ وَآتٍ مِثْلَ مُنْعَمٍ  
وَنَحْنُ فِي سَفَرٍ نَمُضِي إِلَى حُفْرٍ فَكُلُّ آتٍ لَنَا قُرْبٌ مِنْ عَدَمٍ  
وَالْمَوْتُ يَشْمُلُنَا وَالْحَشْرُ يَجْمَعُنَا وَبِالتَّقَى الْفَخْرُ لَا بِالْمَالِ وَالْحَشَمِ  
صُنْ بِالتَّعَفُّفِ عِزَّ النَّفْسِ مُجْتَهِدًا فَالْنَفْسُ أَعْلَى مِنَ الدُّنْيَا لِذِي الْهَمَمِ  
وَاعْضُضْ عُيُونَكَ عَنْ عَيْبِ الْأَنَامِ وَكُنْ ) يَعِيبُ نَفْسَكَ مَشْغُولًا عَنْ الْأُمَمِ  
فَإِنَّ عَيْبَكَ تَبْدُو فِيكَ وَصَمْتُهُ وَأَنْتَ مِنْ عَيْبِهِمْ خَالٍ مِنَ الْوَصْمِ  
جَارِي الْمُسِيءِ بِإِحْسَانٍ لِتَمْلِكُهُ وَكُنْ كَعَوْدٍ يَفُوحُ الطِّيبُ فِي الضَّرْمِ  
وَمَنْ تَطَلَّبَ خِلاَ غَيْرِ ذِي عِوَجٍ يَكُنْ كَطَالِبِ مَاءٍ مِنْ لَطَى الْفَحْمِ  
وَقَدْ سَمِعْنَا حِكَايَاتِ الصِّدِّيقِ وَلَمْ نَحْلُهُ إِلَّا خَيْالًا كَانَ فِي الْحِلْمِ  
إِنَّ الْإِقَامَةَ فِي أَرْضٍ تُظَامُ بِهَا وَالْأَرْضُ وَاسِعَةٌ ذُلٌّ فَلَا تُقِيمُ  
وَلَا كَمَالٍ بَدَارٍ لَا بَقَاءَ لَهَا فَيَا لَهَا قِسْمَةٌ مِنْ أَعْظَمِ الْقِسَمِ  
دَارٌ حَلَاوَتُهَا لِلْجَاهِلِينَ بِهَا وَمُرُّهَا لِذَوِي الْأَبَابِ وَالْهَمَمِ  
أَبْغِي الْخِلَاصَ وَمَا أَخْلَصْتَ فِي عَمَلٍ أَرْجُو النَّجَاةَ وَمَا نَاجَيْتَ فِي الظُّلْمِ  
لَكِنْ لِي أَمَلًا فِي اللَّهِ يُؤْنِسُنِي وَحَسُنَ ظَنٌّ بِهِ ذَا الْجُودِ وَالْكَرَمِ

اللَّهُمَّ تَبَّتْ مَحَبَّتُكَ فِي قلوبنا وقوها ، اللَّهُمَّ أَلْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشَكَرَكَ وَارزقنا محبة أوليائك  
وبغض أعدائك وهجرانهم والابتعاد عنهم واغفر لنا ، اللَّهُمَّ وَاجْعَلْنَا مِنْ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ  
وَاسْكُنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ ، اللَّهُمَّ وَفَقَّنَا بِحَسَنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا  
لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى خِدْمَتِكَ وَحَسَنِ الْأَدَابِ فِي مَعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ  
وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرِ عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرِ لِنِعْمَائِكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ  
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ  
صَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " فَصْلٌ "

ثُمَّ انظر إِلَى خَطِيبِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَا لَأَقَى مِنْ قَوْمِهِ الْمُتَمَرِّدِينَ عَلَى الْحَقِّ  
وَالْعَدْلِ ، الْمَفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ قَطَاعِ الطَّرِيقِ ، وَالظَّالِمَةَ الَّذِينَ يَفْتَنُونَ النَّاسَ عَنْ دِينِهِمْ ،  
وَيَصُدُّوهُمْ ، الْمُقَاتِلِينَ مَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ بِالْقَسْوَةِ  
وَالغِلْظَةِ ، حَيْثُ يَقُولُونَ : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ ﴾ الْآيَةَ .

ثُمَّ انظر إِلَى صَالِحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ دَعَا قَوْمَهُ وَمَا قَابَلُوهُ بِهِ حِينَ جَاءَ بِالْبَيِّنَةِ الدَّالَّةِ  
عَلَى صِدْقِهِ ، فَيَعْتَدُونَ عَلَيْهِهَا وَيَتَحَدُّونَهُ بِاسْتِعْجَالِ الْعَذَابِ .

ثُمَّ انظر إِلَى هُودِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَاتِّهَامِ قَوْمِهِ لَهُ بِالسَّفَاهَةِ وَالْكَذْبِ بِمَا تَرَوْنَ مِنْهُمْ وَلَا  
تَدْبُرْ وَلَا دَلِيلَ ، وَأَخِيرًا يَتَحَدُّونَهُ بِالْعَذَابِ .

وَانظر إِلَى يُونُسَ وَمَا لَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ حَتَّى ضَاقَ صَدْرُهُ بِتَكْذِيبِ قَوْمِهِ فَأَنْذَرَهُمْ بِعَذَابِ  
قَرِيبٍ ، وَغَادَرَهُمْ مَغْضَبًا أَبَقًا فَقَادَهُ الْعُضْبُ إِلَى شَاطِئِ

الْبَحْرِ ، حَيْثُ رَكِبَ سَفِينَةً مَشْحُونَةً وَفِي وَسْطِ لُجَّةِ الْبَحْرِ نَاوَأَتْهَا الرِّيحُ وَالْأَمْوَاجُ وَأَشْرَفَتْ  
عَلَى الْغَرَقِ ، فَسَاهَمُوا عَلَى أَنْ مِنْ تَقَعِ الْقَرَعَةُ عَلَيْهِ يَلْقَى فِي

البحر لتخف السفينة فوقعت القرعة على يونس نبي الله ثلاث مرات وهم ييخلون به أن يلقي من بينهم .

فتجرد من ثيابه ليلقي نفسه وهم يأبون عليه ذلك ، وأمر الله تعالى حوتًا من البحر الأخضر أن يشق البحار وأن يلتقم يونس عليه السلام ، ولا يهشم له لحمًا ولا يكسر له عظمًا فجاء ذلك الحوت وألقى يونس نفسه فالتقمه الحوت وذهب به .

ولما استقر يونس في بطن الحوت حسب أنه قد مات ، ثم حرك رأسه ورجليه ، وأطرافه ، فإذا هو حي فقام فصلى في بطن الحوت ، وكان من جملة دعائه يا رب اتخذت لك مسجداً في موضع لم يبلغه أحد من الناس ، فهذا ما لقيه يونس عليه السلام ، ذكر ذلك بعض العلماء رحمهم الله .

ثم إلى ما لقيه صفوة الخلق محمد  $\rho$  من قومه ، من التكذيب والاستهزاء ، والإيذاء في نفسه ، وفيمن يتبعه من المستضعفين ، حتى ائتمروا على قتله ، فهاجر إلى المدينة تاركًا وطنه وعشيرته ، وانظر ما لقيه في حروبهم ، وقد جرحوه ، وكسروا رباعيته حتى سال دمه .

إذا نظرت إلى ذلك وإلى غيره علمت أن الدنيا مشحونة بالمصائب والانكاد ، وأنها دار ممر لا دار مقر ، ولو كانت دار مقر واطمئنان ، لكان أولى بذلك رسل الله ، وأنبيأؤه ، وأصفيأؤه فالعاقل من يحرص على عقيدته الدينية كما يحرص على روحه فيحصنها من الزيف والضلال ، ويقوم بما فرض الله عليه ، ويجتنب ما نهى الله عنه صابراً على ما قدره الله عليه . والله أعلم و صلى الله على محمد وآله وسلم .

### " فَصْل "

اعلم وققنا الله وإياك وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه ، أن لتسهيل

المصائب والشدائد البدنية والمالية أسباب إذا قارنت حزمًا وصادقت عزمًا هان وقعها ،  
وقل تأثيرها على الدين والقلب والبدن ، بأذن الله تعالى .

فأولاً الآيات والأحاديث المتقدمة التي فيها مدح الصابرين وبشارتهم ووعدهم بالجزاء  
الحسن ومن ذلك أن يعلم أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة في الآخرة وحلاوة الدنيا هي  
بعينها مرارة الآخرة ، ولأن ينتقل من مرارة منقطعة إلى حلاوة دائمة خير من عكس ذلك

وقال ρ : « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » ، وكذلك قوله في  
الصحيح : « يؤتى يوم القيامة بأنعمة أهل الدنيا من أهل النار فيصبع في النار صبغة ، ثم  
يقال : يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ،  
ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبع في الجنة صبغة فيقال له : يا ابن  
آدم هل رأيت بؤساً قط هل مر بك شدة قط ؟ فيقول : لا والله يا رب » الحديث .

ومن ذلك استشعار النفس بما تعلمه من نزول الفناء وتقضي المسار ، وأن لها آجالاً  
منصرمة ومدداً منقضية ، إذ ليس للدنيا حال تدوم ولا لمخلوق عليها بقاء كما قال تعالى  
: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ وقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ .

شِعْرًا : بِنُ الْوَقْتِ مِنْ فَجَعَاتِهِ فِي تَمَزُّقٍ فَكُلَّهُمْ يَغْدُو بِشَلْوٍ مُقَدِّدٍ  
وَإِنِّي رَأَيْتُ الْوَقْتَ جَمًّا خُطْبُوهُ وَإِنْ لَمْ يُرَوْعْ حَادِثٌ فَكَأَنَّ قَدِ

وروى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ρ قال : « ما مثلي ومثل الدنيا إلا كمثل  
راكب مال إلى ظل شجرة في يوم صائف ثم راح وتركها » .

ومنها أن يتصور انحلال الشدائد وانكشاف الهموم وأن الله قدرها فأوقات لا تنصرم  
قبلها ولا تستديم بعدها فلا تقصر تلك الأوقات بجزع

ولا تطول بصبر ، وأن كُـلَّ يوم يمر بها يذهب مِنْهَا بشطر ويأخذ مِنْهَا بنصيب حَتَّى تنجلي وتنفرج ويزول ما كَانَ من المكاره والخطوب .

وقَدْ قص الله عَلَيْنَا فِي كتابه قصصًا تتضمن وقوع الفرج بعد الكرب والشدة كما قص نجاة نوح ومن معه فِي الفلك من الكرب العظيم مع إغراق سائر أهل الأرض .  
وكما قص نجاة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام من النار حين ألقاه المشركون فِي النار وأنه جعلها بردًا وسلامًا ، وكما قص قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام مَعَ ولده الَّذِي أمر بذبحه ، ثُمَّ فداه الله بذبح عَظِيم .

وكما قص قصة مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام مَعَ أمه لما ألقته فِي اليم حَتَّى التقطه آل فرعون ، وقصته مَعَ فرعون لما نجى الله سُبْحَانَهُ مُوسَى وأغرق عدوه فرعون وقَوْمه .  
وكما قص قصة أيوب ويونس ويعقوب ، ويوسف عَلَيْهِم السَّلَام قصة قوم يونس لما آمنوا ، وكما قص قصص مُحَمَّد P ونصره على أعدائه بإنجائه مِنْهُمْ فِي عدة مواطن ، مثل قصته فِي الغار ، وقصة يوم بدر ، ويوم أحد ، ويوم حنين .

وكما قص الله قصة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وأرضائها فِي حديث الإفك وبرأها الله بِمَا رميت به ، وقصة الثلاثة الَّذِينَ خلفوا حَتَّى إِذَا ضاقت عَلَيْهِم الأَرْض بما رحبت ، وضاقت عَلَيْهِم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله إِلا إِلَيْهِ ، ثُمَّ تاب عَلَيْهِم ليتوبوا .  
وَفِي السُّنَّة من هَذَا المعنى شَيْءٌ كثير مثل قصة الثلاثة الَّذِينَ دخلوا الغار فانطبقت عَلَيْهِم الصخرة ، فدعوا الله بِأَعْمَانِهِم الصَّالِحَةِ ، ففرج الله عنهم ، ومثل قصة إبراهيم وسارة مَعَ الجبار الَّذِي طلبها من إبراهيم ورد الله كيد الفاجر .

وَإِذَا اشْتَدَّ الْكَرْبُ وَعَظُمَ الْخَطْبُ كَانَ الْفَرْجُ قَرِيبًا فِي الْغَالِبِ بِإِذْنِ اللَّهِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ .

وَأَخْبَرَ عَنْ يَعْقُوبَ أَنَّهُ لَمْ يَيْأَسْ مِنْ لِقَاءِ يَوْسُفَ وَقَالَ لِأَخَوْتِهِ : اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ ، وَقَالَ : عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ، وَمِنْ لَطَائِفِ اقْتِرَانِ الْفَرْجِ بِاشْتِدَادِ الْكَرْبِ ، أَنَّ الْكَرْبَ إِذَا اشْتَدَّ ، وَعَظُمَ وَتَنَاهَى ، وَوُجِدَ الْإِيَّاسُ مِنْ كَشْفِهِ مِنْ جِهَةِ الْمَخْلُوقِ ، وَوَقَعَ التَّعْلُقُ بِالْخَالِقِ .

كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَاسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا عَرَضَ لَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْهُوَاءِ ، وَقَالَ : أَلَيْكَ حَاجَةٌ ، فَقَالَ : أَمَا أَلَيْكَ فَلَا وَإِنَّمَا إِلَى اللَّهِ فَبَلَى وَالتَّوَكَّلِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَطْلُبُ بِهَا الْحَوَائِجُ .

فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ ، وَمِنْهَا أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْكَرْبُ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ حِينَئِذٍ إِلَى مَجَاهِدَةِ الشَّيْطَانِ لِأَنَّهُ يَأْتِيهِ فَيَقْنِطُهُ وَيَسْخِطُهُ وَمِنْهَا أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا اسْتَبْطَأَ الْفَرْجَ وَآيَسَ مِنْهُ وَلَا سِيْمَا بَعْدَ كَثْرَةِ دَعَائِهِ وَتَضَرُّعِهِ وَلَمْ يَظْهَرْ لَهُ أَثَرُ الْإِجَابَةِ رَجَعَ عَلَى نَفْسِهِ بِاللَّائِمَةِ وَيَقُولُ لَهَا إِنَّمَا أَتَيْتِ مِنْ قَبْلِكَ وَلَوْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ لَأَجَبْتَ وَهَذَا اللَّوْمُ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الطَّاعَاتِ . أ . ه .

شِعْرًا : وَهَوْنٌ عَلَيْكَ فَكُلُّ الْأَمْرِ تَنْقَطِعُ  
وَحَلَّ عَنْكَ عَنَانٌ يَنْدَفِعُ  
فَكُلُّ هَمٍّ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَارْجُ  
وَكُلُّ أَمْرٍ إِذَا مَا ضَاقَ يَتَّسِعُ  
إِنَّ الْبَلَاءَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ  
فَاللَّهُ يُفَرِّجُهُ وَسَوْفَ يَنْقَطِعُ  
آخِرُ : إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ  
وَضَاقَ بِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ  
وَأَوْطَأَتْ الْمَكَارِهِ وَأَطْمَأْنَنْتْ  
وَأَرْسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا الْخُطُوبُ

وَلَمْ تَرَ لَانْكِشَافِ الضُّرِّ وَجْهَهَا  
 أَتَاكَ عَلَى فُتُوطٍ مِنْكَ غَوْتٍ  
 وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ  
 آخر : إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا مَا اللَّهُ يَسَّرَهَا  
 وَكُلُّ مَا لَمْ يَقْدِرْهُ إِلَّا لَهُ فَمَا  
 ثِقَ بِالْإِلَهِ وَلَا تَرْكُنْ إِلَى أَحَدٍ  
 آخر : وَكَمْ لِلَّهِ مِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ  
 وَكَمْ يُسِرُّ أَتَى مِنْ بَعْدِ عُسْرٍ  
 وَكَمْ هَمٌّ تُسَاءُ بِهِ صَبَاحًا  
 إِذَا ضَاقَتْ بِكَ الْأَسْبَابُ يَوْمًا  
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

### " فَصْلٌ "

ومنها أن يتسلى بذوي الغير ، ويتسلى بأولى العبر ، ويعلم أنهم الأكثرون عددًا والأسرعون مددًا ، فيستجد من سلوة الأسي وحسن العزاء إلى ما يخفف حزنه ويقلل هلعه . وقال عمر رضي الله عنه : الصقوا بذوي الغير تتسع قلوبكم . أي الذين تنتقل أحوالهم إذ يتسلى مرقع الخف بالذي مخرق خفه ، ويتسلى مخرق الخف بالحاسر الذي ليس عليه شيء ، وتسلى الذي ليس عليه شيء بالأعرج ، والأعرج بالأقطع ، وهكذا كل يتسلى بمن هو أعظم منه في المصيبة .

والدنيا إذا تأملها اللبيب وجدها كلها متاع وبلايا ومصائب ، وقد أحاطت بالناس من رؤوسهم إلى أقدامهم ، فترى مصابًا بالعلل والأسقام كلما برئ من علة أصابته علة أخرى ، كلما شفاه الله من مرض جاءه مرض



آخر ، وتجد هَذَا مصابًا بعقوق الأبناء لأنهم خرجوا عن الصراط المستقيم ، وسلكوا طريق الشيطان ، وتجد الآخر مصابًا بسوء خلق زوجته فهو معها دائمًا في شقاق وعناء ونشوز ولجاج

وتجد مصابًا بالفقر المدقع وهذا تجده مصابًا بالعمى ، وهذا تجده مصابًا بكساد تجارته ، وهذا مصابًا ببيوار زراعته ، أو صناعته ، وهذا مصابًا بجيران سوء يذيعون ما يسوء ويكتمون الخير ، وتجد معهم دائمًا في لجاج ، وهذا تجده مع أقربائه في شقاق وقطيعة ، وشكاوى وتردد بين المحاكم والمناطق ، وهذا تجدد مع شركائه أو مع أرحامه كذلك في نكد .

وترى هذا لا حظ له في الحياة يجد ويجتهد ولا ينال مناه ويشقى ويتعب ولا يحصل على مبتغاه ، وهذا تجده مسلطين عليه والديه أو أحدهما وهذا تجده مظلومًا وهذا مسجونًا ، وهكذا إلى نهاية سلسلة الآلام التي لا تقف عند حد ولا يحصيها عد ، ولقد صدق من قال :

شِعْرًا : كُلُّ مَنْ لَاقَيْتُ يَشْكُو دَهْرَهُ      لَيْتَ شِعْرِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِمَنْ  
 آخر : أَلَحَّ عَلَيَّ السُّقْمُ حَتَّى أَلْفَيْتُهُ      وَمَلَّ طَيْبِي جَانِبِي وَالْعَوَائِدُ  
 آخر : تَعَوَّدْتُ مَسَّ الشَّرِّ حَتَّى أَلْفَيْتُهُ      وَأَسْلَمَنِي طَوْلُ البَلَاءِ إِلَى الصَّبْرِ  
 وَوَسَّعَ صَدْرِي لِالأَذَى كَثْرَةَ الأَذَى      وَكَانَ قَدِيمًا قَدْ يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي  
 إِذَا أَنَا لِمَ أَقْبَلُ مِنَ الدَّهْرِ كُلَّمَا      تَكَرَّهْتُهُ قَدْ طَالَ عُنْيِي عَلَى الدَّهْرِ  
 آخر : رُوِّعْتُ بِالبَيْنِ حَتَّى مَا أَرَاعَ لَهُ      وَبِالْمَصَائِبِ فِي أَهْلِي وَجِيرَانِ  
 آخر : تَعَزَّ بِحَسَنِ الصَّبْرِ عَنْ كُلِّ هَالِكِ      فَفِي الصَّبْرِ مَسْأَلَةُ الهُمُومِ اللِّوَاظِمِ  
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَصْبِرْ عِزَاءً وَحِسْبَةً      سَلَوْتَ كَمَا تَسْلُو قُلُوبُ البَهَائِمِ  
 آخر : ولما رأيتُ الوقتَ يُؤذِنُ صَرْفُهُ      بِتَفْرِيقِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الحَبَائِبِ  
 رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَوَطَّئْتُهَا عَلَى      رُكُوبِ جَمِيلِ الصَّبْرِ عِنْدَ النَّوَائِبِ  
 وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا عَلَى سُوءِ فِعْلِهَا      فَأَيَّامُهُ مَحْفُوفَةٌ بِالمَصَائِبِ

وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا عَلَى سُوءِ فِعْلِهَا  
فَخُذْ خِلْسَةً مِنْ كُلِّ يَوْمٍ تَعِيشُهُ  
آخر : وَمَا خَيْرَ عَيْشٍ نِصْفُهُ سِنَّهُ الْكَرَى  
مَعَ الْوَقْتِ يَمْضِي بُؤْسُهُ وَنَعِيمُهُ  
آخر : طَبِعَتْ عَلَى كَدْرِ وَأَنْتَ تَرُومُهَا  
وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضَدَّ طِبَاعِهَا  
وَإِذَا رَجَوْتَ الْمُسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا  
آخر : وَمَا اسْتَعْرَبْتَ عَيْنِي فِرَاقًا رَأَيْتُهُ  
آخر : وَهَنِي مَلَكَتُ الْأَرْضَ طُرًّا وَنَلْتُ مَا  
أَلَسْتُ أَحْلِيهِ وَأُمْسِي مُسَلَّمًا  
آخر : مَتَى تَسْتَرِدُّ فَضْلًا مِنَ الْعُمْرِ تَعْتَرِفُ  
يُسْرُ بَعْمَرَانَ الدِّيَارِ مُظْلَلًا  
وَلَمْ ارْتَضِ الدُّنْيَا أَوَانَ مَجِيئِهَا  
آخر : لَمْ يَبْقَ فِي الْعَيْشِ غَيْرَ الْبُؤْسِ وَالنَّكَدِ  
مَلَأَتْ يَا دَهْرُ عَيْنِي مِنْ مَكَارِهِهَا  
فَأَيَّامُهُ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَصَائِبِ  
وَكُنْ حَذِرًا مِنْ كَامِنَاتِ الْعَوَاقِبِ  
وَنَصَفْ بِهِ نَعْتَلُ أَوْ نَتَوَجَّعُ  
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ وَالْوَقْتُ عُمْرُكَ أَجْمَعُ  
صَفْوًا مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَكْدَارِ  
مُنْتَطَلِبُ فِي النَّارِ جَذْوَةَ نَارِ  
تَبْنِي الرَّجَاءَ عَلَى شَفِيرِ هَارِ  
وَلَا أَعْلَمْتَنِي غَيْرَ مَا الْقَلْبِ عَالِمُهُ  
أُنَيْلَ ابْنِ دَاوُدَ مِنَ الْمَالِ وَالْمَلِكِ  
بِرَغْمِي إِلَى الْأَهْوَالِ فِي مَنْزِلِ صَنْكِ  
بِسَجْلِيكَ مِنْ أَرْبِي الْخُطُوبِ وَصَابِهَا  
وَعُمْرَانُهَا يَدْنُوهُ بِهَا مِنْ خَرَابِهَا  
فَكَيْفَ أَرْتَضِيئُهَا أَوَانَ ذَهَابِهَا  
فَاهْرَبْ إِلَى الْمَوْتِ مِنْ هَمٍّ وَمِنْ كَمَدِ  
يَا دَهْرُ حَسْبُكَ قَدْ أَسْرَفْتَ فَاقْتَصِدْ

قَالَ ابن الجوزي : ولولا الدنيا دار ابتلاء لم تعتور فيها الأمراض والأكدار ولم يضق العيش فيها على الأنبياء والأخيار فآدم يعاني المحن إلى أن خرج من الدنيا ، ونوح بكى ثلاثمائة عام ، وإبراهيم يكابد النار وذبح الولد ، ويعقوب بكى حتى ذهب بصره ، وموسى يقاسى فرعون ويلقى من قومه المحن . وعيسى بن مريم لا مأوى له إلا البراري في العيش الضنك ومحمد  $\rho$  يصابر الفقر وقتل عمه حمزة ، وهو من أحب أقاربه إليه ، ونفور قومه عنه ، وقد قال  $\rho$  : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » . فإذا بان بأنها دار ابتلاء وسجن ومحن فلا ينبغي إنكار وقوع المصائب فيها وقال : رأيتُ جمهور الناس إذا طرقتهم المرض أو غيره من المصائب اشتغلوا تارة بالجزع والشكوى ، وتارة بالتداوي ، إلى أن يشتد عليهم فيشغلهم اشتداده عن الالتفات إلى المصالح ، من وصية أو فعل خير أو تأهب

للموت . فكم ممن له ذنوب لا يتوب منها أو عنده ودائع لا يردها ، أو عليه دين أو زكاة أو في ذمته ظلامة لا يخطر له تداركها ، وإنما حزنه على فراق الدنيا إذا لا هم له سواها وتربما أفاق وأوصى بجور ... انتهى كلامه .

شِعْرًا : لَحَى اللَّهُ دُنْيَا لَا تَكُونُ مَطِيَّةً      إِلَى دَارِكَ الْأُخْرَى تَزُومُ وَتَرْكَبُ  
عَجِبْتُ لِمَنْ يَرْجُو الرِّضَا وَهُوَ مُهْمَلٌ      وَتَسْوِيْفِنَا مَعَ ذَلِكَ الْعِلْمِ أَعْجَبُ  
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَرَاحِلُ      وَأَجْدَرُ أَبْهَاءُ تُقْضَى قَرِيْبًا وَتَنْضَبُ  
إِذَا كَانَا الْأَنْفَاسُ لِلْعُمْرِ كَالْحَطَا      فَإِنَّ الْمَدَى أَدْنَى مَنَالًا وَأَقْرَبُ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنْ الْمَرْءَ إِذَا طَرَقَهُ عَمَّا يَتَحَيَّفُ صَبْرَهُ وَيَضِيقُ صَدْرَهُ يَعُودُ إِلَى عِلْمِهِ بِالدُّنْيَا كَيْفَ نَصَبَتْ عَلَى النَّقْلَةِ ، وَجَنِبَتْ طَوْلَ الْمَهْلَةِ وَابْتَدَأَتْ لِلنَّفَادِ وَشَفَعُ كَوْنَهَا لِلْحَرَابِ ، وَأَنَّ الشَّوْبِي فِيهَا رَاحِلٌ ، وَالْأَيَّامُ فِيهَا مَرَاحِلٌ مَوْهَبَةٌ مَسْلُوبٌ وَأَنَّ أَرْحَى إِلَى مَهْلٍ ، وَمَمْنُوحَةٌ مَحْرُومٌ وَإِنَّ أَرْحَى إِلَى أَجَلٍ وَلَوْ خَلَدَ مِنْ سَبَقٍ لَمَا وَسَعَتْ الْأَرْضُ وَلِذَلِكَ جَعَلَتِ الدُّنْيَا دَارَ قَلْعَةٍ وَمَحَلَّ نَجْعَةٍ .

شِعْرًا : كَم رَأَيْنَا مِنْ أَنْسَاءٍ هَلَكُوا      وَبَكَى أَحْبَابَهُمْ ثُمَّ بُكُوا  
تَرَكُوا الدُّنْيَا لِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ      وَدَهُمْ لَوْ قَدَّمُوا مَا تَرَكُوا  
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ مُلُوكٍ سَوَقَةٌ      وَرَأَيْنَا سَوَقَةً قَدْ مَلَكُوا  
هَذَا حُكْمٌ مِنْ حَكِيمٍ قَادِرٍ      سَلَّمَ الْأَمْرَ لِمَنْ أَجْرَى الْفَلَكَ  
لَا تَكُنْ مِمَّنْ يُقَلِّدُ مُلْحِدًا      كَمْ جَهُولٍ بِاعْتِرَاضَاتِ هَلَكِ  
آخِر : اِطْلُ جَفْوَةَ الدُّنْيَا وَدَعْ عَنكَ شَأْنَهَا      فَمَا الْغَافِلُ الْمَعْرُورُ فِيهَا بِعَاقِلٍ  
وَلَيْسَ الْأَمَانِيُّ لِلْبَقَاءِ وَإِنْ جَرَتْ      بِهَا عَادَةٌ إِلَّا تَعَالَيْلُ بِاطِلِ  
يُسَارُ بِنَا نَحْوِ الْمُنُونِ وَإِنَّا      لِنُسَعْفُ فِي الدُّنْيَا بِطَيِّ الْمَرَاحِلِ  
غَفَلْنَا عَنِ الْأَيَّامِ أَطْوَلَ غَفْلَةٍ      وَمَا حُوبَهَا الْمَجْنِيُّ مِنَّا بِغَافِلِ

آخِر : بَرُوحِي أَنْسَاءَ قَبْلَنَا قَدْ تَقَدَّمُوا      وَنَادُوا بِنَا لَوْ أَنَّ نَسْمَعُ النَّدَا

وَسَارَتْ بِهِمْ سَيْرَ الْمَطِيِّ نُعُوشَهُمْ  
وَأَمْسُوا عَلَى الْيَدَايِ يَنْتَظِرُونَنَا  
فَرِيدُونَ فِي أَجْدَانِهِمْ بِفَعَالِهِمْ  
تَسَاوَوْا عِدَى تَحْتَ الثُّرَى وَأَحِبَّةً  
سَلِ الدَّهْرَ هَلْ أَعْفَى مِنَ الْمَوْتِ شَائِبًا  
آخر إِذَا مَا مَضَى الْقَرْنُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِمْ  
وَإِنْ أَمْرًا قَدْ سَارَ خَمْسِينَ حَجَّةً  
آخر وَإِذَا حَمَلْتَ إِلَى الْقُبُورِ جَنَازَةً  
آخر قِفْ بِالْمَقَابِرِ وَادْكُرْ إِنْ وَقَفْتَ بِهَا  
فَفِيهِمْ لَكَ يَا مَغْرُورٌ مَوْعِظَةٌ  
كَانُوا مُلُوكًا تُوَارِيهِمْ قُصُورُهُمْ  
وَبَعْضُ أُنَيْنِ الْقَادِمِينَ لَهُمْ حُدَا  
إِلَى سَفَرٍ يَفْضِي بَأَنَّ تَنْزُودًا  
وَكَمْ مِنْهُمْ مَنْ سَاقَ جُنْدًا مُجَنَّدًا  
فَلَا فَرْقَ مَا بَيْنَ الْأَحِبَّةِ وَالْعِدَى  
غَدَاةَ أَدَارِ الْكَأْسِ أَمْ رَدَّ أَمْرَدًا  
وَوَخَلَّفْتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبٌ  
إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وَرْدِهِ لَقَرِيبٌ  
فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَهَا مَحْمُولٌ  
لِلَّهِ دُرُكٌ مَاذَا تَسْتُرُ الْحُفْرُ  
وَفِيهِمْ لَكَ يَا مَغْرُورٌ مُعْتَبِرٌ  
دَهْرًا فَوَارَتْهُمْ مِنْ بَعْدِهَا الْحُفْرُ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْعَقْلَةِ وَنَبِهْنَا لِإِغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمَهَلَةِ وَوَقِّفْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا تَوَازِحْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " فَصْلٌ "

وَمَا يَسْلِي وَيَسْهَلُ الْمَصَائِبُ أَنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ أَنَّهُ لَوْلَا مَا قَدَرَهُ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ مَحْنِ الدُّنْيَا وَمَصَائِبِهَا لِأَصَابِ الْإِنْسَانِ مِنْ أَدْوَاءِ الْكِبَرِ وَالْعَجَبِ وَالْفِرْعَنَةِ وَقَسْوَةِ الْقَلْبِ مَا هُوَ سَبَبُ هَلَاكِهِ عَاجِلًا وَآجَلًا ، فَمِنْ رَحْمَةِ الرَّاحِمِينَ أَنْ يَنْفَقِدَهُ فِي الْأَحْيَانِ بِأَنْوَاعٍ مِنْ أَدْوِيَةِ الْمَصَائِبِ تَكُونُ

حمية له من هذه الأدوية ، وتكون حفظاً لصحة عبوديته ، فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلى بنعائمه كما قيل :

شِعْرًا : ( قَدْ يَنْعِمُ اللَّهُ بِالْبُلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ  
 آخِر : أَرَى بَصْرِي قَدْ رَأَيْتِي بَعْدَ حِدَّةٍ  
 وَلَنْ يَلْبَثِ الْعَصْرَ إِنْ يَوْمًا وَلَيْلَةً  
 آخِر : يَا سَائِلِي عَنْ حَالِي  
 قَدْ صِرْتُ بَعْدَ قُوَّةٍ  
 أَمْشِي عَلَى ثَلَاثَةِ  
 آخِر : قَدْ أَمْشِي عَلَى ثِنْتَيْنِ مُعْتَدِلًا  
 آخِر : إِذَا اشْتَدَّتِ الْبُلْوَى تُخَفَّفُ بِالرِّضَا  
 وَكَمْ نِعْمَةٌ مَقْرُونَةٌ بِبِلْيَةٍ  
 وَيَتَّبِعِي اللَّهَ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنَّعْمِ )  
 وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا  
 إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكَ مَا تَيَمَّمَا  
 خُذْ شَرْحَهَا مُدْخَصًا  
 تَقْصُ أَصْلَادَ الْحَصَا  
 أَجْوُدُ مَا فِيهَا الْعَصَا  
 فَصِرْتُ أَمْشِي عَلَى أُخْرَى مِنْ  
 عَنْ اللَّهِ قَدْ فَازَ الرَّضِيُّ الْمُرَاقِبُ  
 عَلَى النَّاسِ تَخْفَى وَالْبَلَايَا مَوَاهِبُ

فلولا أنه سُبْحَانَهُ يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لَطَعُوا وبغوا وعتوا وتجبروا فدى  
 الأَرْض . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَكَوَّ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ، فَإِنَّ مِنْ شِيمِ  
 النَّفُوسِ إِذَا حَصَلَ لَهَا صِحَّةٌ وَفَرَاغٌ وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ وَكَلِمَةٌ نَافِذَةٌ مِنْ غَيْرِ زَاجِرٍ شَرْعِيٍّ يَزْجُرُهَا  
 تَمَرَّدَتْ وَظَلَمَتْ وَسَعَتْ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا كَمَا قِيلَ :

( وَالظُّلْمُ مِنْ شِيمِ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجَدَّدَا عِقْفَةً فَلِعَلَّةٍ لَا يَظْلِمُ )

وَمِمَّا يَسْلِي وَيَسْهَلُ الْمَصَائِبَ وَيَكُونُ سَبَبًا لِلصَّبْرِ عَلَى الْمَصِيبَةِ أَنْ يَعْلَمَ الْإِنْسَانُ أَنَّ الْجَزَعَ لَا يَرِدُ  
 الْمَصِيبَةَ ، بَلْ يَضَاعِفُهَا ، فَتَزِيدُ الْمَصِيبَةَ وَأَنَّ الْجَزَعَ يَشْتُمُ الْعَدُوَّ وَيَسُوُّ الصَّدِيقَ ، وَيَنْهَكَ الْجِسْمَ  
 ، وَيَسْرِ شَيْطَانَهُ وَيَضْعِفُ النَّفْسَ ، وَقَدْ يَجِبُ الْعَمَلُ ، وَإِذَا صَبَرَ وَاحْتَسَبَ أَحْزَى الشَّيْطَانِ  
 وَأَرْضَى الرَّبِّ ، وَسَرَّ الصَّدِيقَ ، وَسَاءَ الْعَدُوَّ ، وَهَذَا مِنَ الثَّبَاتِ فِي الْأَمْرِ الدِّينِيِّ . وَمِمَّا يَسْلِي  
 وَيَسْهَلُ الْمَصَائِبَ أَنْ يُوطنَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ أَنْ كُلِّ مَصِيبَةٍ تَأْتِيهِ

هي من عند الله وأنها بقضائه وقدره وأنه سبحانه لم يقدرها عليه ليهلكه بها ولا ليعذبه وإنما ابتلاه ليمتحن صبره ورضاه وشكواه إليه وابتهاله ودعاءه .

شِعْرًا : وَكُلُّ مُصِيبَاتٍ أَتَيْتَنِي فَإِنَّهَا سِوَى غَضَبِ الرَّحْمَنِ هَيِّنَةٌ الْخَطْبِ )

فإن وفق للرضا والشكر فقد أفلح ، وإن تسخط ولم يرض فقد خاب وخسر . قال أبو الفرج بن الجوزي : علاج المصائب بسبعة أشياء . الأول : أن يعلم بأن الدنيا دار ابتلاء وكره لا يرجى منه راحة في الدنيا مهما طال العمر ومهما اجتمع للإنسان فيها من أسباب الغنى والثروة وسواء في ذلك الصعاليك والمماليك والملوك فلقد أودع الله في كل نفس ما شغلها .

ولو أن الإنسان عرف قدر الدنيا وما طبعت عليه من الكدر والانكاد والمصائب والأحزان وعرف أن ما فيها محض خداع وسراب ، بقية يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً واستعان بما وهبه الله من نور الدين وقصر أمله لما آثرت فيه المصائب بإذن الله لأن قوة الإيمان بالله وقضائه وقدره يثمران الهدى والطمأنينة والرضي بما قسم وقدر .

الثاني : أن يعلم أن المصيبة ثابتة .

الثالث : أن يقدر وجود ما هو أكثر من تلك المصيبة .

الرابع : النظر في حال من ابتلي بمثل هذا البلاء فإن التأسى راحة عظيمة يخفف الحزن أو يزيله بالكلية .

قَالَتْ الْخَنَسَاءُ :

وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي      عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي  
وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ      أَعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأْسِي  
آخر : حَاسِبْ زَمَانَكَ فِي حَالِي تَصَرُّفِهِ      تَجِدُهُ أَعْطَاكَ أَضْعَافَ الَّذِي سَلَبَا  
نَفْسِي الَّتِي تَمْلِكُ الْأَشْيَاءَ ذَاهِبَةً      فَكَيْفَ أَبْكِي عَلَى شَيْءٍ إِذَا ذَهَبَا

آخر : لا تَعْتَبِ الدَّهْرَ فِي خُطْبِ رَمَاكَ بِهِ إِذَا اسْتَرَدَّ فَقَدِمًا طَالَ مَا وَهَبَا  
 وَرَأْسُ مَالِكَ وَهِيَ الرُّوحُ إِنْ سَلِمَتْ لَا تَأْسَفَنَّ لِشَيْءٍ بَعْدَهَا ذَهَبَا  
 آخر : وَلَوْلَا الْأَسَى مَا عِشْتَ فِي النَّاسِ وَلَكِنْ مَتَى نَادَيْتُ جَاوِبِي مِثْلِي

الخامس : ممَّا يهون المصائب ويخففها ويبعث الإنسان على حمد الله وشكره وينفي هموم الدنيا وغمومها النظر والتفكر والاعتبار فيمن هم أعظم مصيبة منك وانظر حالتك بعد زيارتك للمقبرة ، وانظر فيمن قبر ومن سيقبر وحالتك بعد ما تمر بالسجن وترى المعذبين فيه بأنواع العذاب كما قال بعضهم واصفا للسجن ببغداد :

مَحَلُّ بِهِ تَهْفُو الْقُلُوبُ مِنَ الْأَسَى فَإِنْ زُرْتُهُ فَارْتِطْ عَلَى الْقَلْبِ بِالْيَدِ

وانظر حالتك إذا دخلت المستشفيات ورأيت الباكين والذي يعن والذي تحت العملية لقطع عضو أو نحوه ، وسائر أنواع البليات تجدك إن كنت ممن وفقه الله أكثرًا لحمد الله وشكره حيث عافاك ممَّا ترى وتسمع .

وكم من إنسان أتى لعلاج بسيط فلمَّا رأى ما في الإسعاف ، ومن تحت العمليات ومن يعن ومن يجر ليغسل ومن قد مات ، ومن يعمل لكسوره الجبس ، خرج يحمد الله ورأى أنه ما فيه شيء يوجب العلاج .

السادس : رجاء الخلف إن كان من مضى عنه الخلف كالولد والزوجة قيل للقمان : ماتت زوجتك . قال : تجدد فراشي . وقال الشاعر :

هَلْ وَصَلُ عَزَّةٌ إِلَّا وَصَلُ غَانِيَةٍ فِي وَصَلِ غَانِيَةٍ مِنْ وَصَلِهَا خَلْفُ

آخر : قَدْ نَزَكْتُ الْكُرْهَ أَحْيَانًا فَيُفْرِجُهُ رَبُّ نَرْجِيهِ فِي الضَّرَاءِ وَسَرَّائِي

السابع : طلب الأجر بالصبر في فضائله وثواب الصابرين وسرورهم في صبرهم فإن ترقى إلى مقام الرضا فهو الغاية . انتهى كلامه بتصريف .

وممَّا يسلى ويسهل المصائب ويجلب الصبر بإذن الله أن يعلم أن تشديد

البلاء يخص الأخيار ، ولهذا لما سئل رسول الله ﷺ أي الناس أشد بلاء ؟  
 قَالَ : « الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ يبتلى النَّاسُ عَلَى قَدْرِ دِينِهِمْ فَمَنْ تَخَنَ دِينَهُ اشْتَدَّ  
 بِلَاؤُهُ ، وَمَنْ ضَعَفَ دِينَهُ ضَعَفَ بِلَاؤُهُ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَصْبَهُ الْبِلَاءُ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الْأَرْضِ  
 مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ . رَوَاهُ ابْنُ حَبَانَ ، وَمِنْهَا أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَمْلُوكَ اللَّهِ وَلَيْسَ لِلْمَمْلُوكِ فِي نَفْسِهِ  
 شَيْءٌ ، وَمِنْهَا أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الْوَاقِعَ وَقَعَ بِرِضَى السَّيِّدِ فَيَرْضَى بِمَا رَضِيَ بِهِ سَيِّدُهُ وَمَوْلَاهُ  
 وَهُوَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا رَضِينَا بِهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا .

قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرَ مُخَلَّدٍ	اصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَجَلَّدِ
فَاذْكُرْ مُصَابِكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ	فَإِذَا ذَكَرْتَ مُصِيبَةً تَسْأَلُو بِهَا
ذُرْعًا وَنَمَّ مُسْتَرِيحًا خَالِي الْبَالِ	آخِرُ : لَا تَيَأْسَنَّ إِذَا مَا الْأَمْرُ ضِيقَتْ بِهِ
يُقَلِّبُ الدَّهْرُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ	مَا بَيْنَ رَقْدَةٍ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا

ومن فوائد المصائب والصبر عَلَيْهَا ما أجراه الله على الإنسان مما يكرهه ما يعتاضه  
 من الارتياض بنوائب عصره ويستفيده من استحكام الرأي والعقل بالتجارب ببلاء دهره  
 فيقوى عقله ويحصف رأيه بأذن الله ويكمل بأدنى شدته ورخائه ويتعظ بحالتي عفوه وبلائته .

وَقَدْ أَنَاخَ عَلَيْهَا الضُّرُّ بِالْعَجَبِ	شِعْرًا : إِنِّي أَقُولُ لِنَفْسِي وَهِيَ ضَيِّقَةٌ
عُقْبَى وَمَا الصَّبْرُ إِلَّا عِنْدَ ذِي	صَبْرًا عَلَى شِدَّةِ آلامٍ إِنَّ لَهَا
فِيهَا لِمِثْلِكَ رَاحَاتٌ مِنَ التَّعَبِ	سَيَفْتَحُ اللَّهُ عَنْ قُرْبٍ بِنَافِعَةٍ

وأقل ما يؤتاه المؤمن في المصائب الصبر الذي يخفف وقعها على النفس وأكثره رحمة  
 الله التي بها تتحول النعمة إلى نعمة بما يستفيد منه الاختبار والتمحيص وكمال العبرة  
 والتهذيب .



وقد يتلّى الله المؤمن ويمتحن صبره فتعطيه قوة إيمانه من الرجاء ما تخالط حلاوته مرارة المصيبة حتى تغلبها وقد يأنس بالمصيبة لعظم رجائه وصبره وذا وإن كان نادرًا فهو واقع حاصل .

قال بعضهم :

تَعَوَّدْتُ مَسَّ الضَّرِّ حَتَّى أَلْفَيْتُهُ      وَمَلَّ طَيْبِي جَانِبِي وَالْعَوَائِدُ  
آخِر : وَوَسَّعَ صَدْرِي لِلأَذَى كَثْرَةَ الأَذَى      وَكَانَ قَدِيمًا قَدْ يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي

ومنها أن يختبر أمور زمانه وينتبه على إصلاح شأنه فلا يغتر برخاء ولا يطمع في استواء ولا يؤمل بقاء الدنيا على حالة فإن من عرف الدنيا وخبر أحوالها هان عليه بؤسها ونعيمها ، ولولا ما قدره الله من الحوادث والنوائب لم يعرف صبر الكرام ولا جزع للثام .  
فإذا ظفر المصاب بأحد هذه الأسباب تخففت بإذن الله عنه أحزانه ، وتسهلت عليه أشجانه فصار سريع النسيان للمصائب ، قليل الجزع حسن الصبر والتحمل عند المصائب .

شعرًا في ذم الدنيا :

سَلامٌ عَلَى دَارِ العُرُورِ فَإِنَّهَا      مُنَعَّصَةٌ لَذَاتِهَا بِالْفَجَائِعِ  
فَإِنْ جَمَعْتَ بَيْنَ المُجَبِّينَ سَاعَةً      فَعَمَّا قَلِيلٍ أَرْدَفَتْ بِالمَوَانِعِ  
آخِر : وَمَا المَوْتُ إِلَّا رَحْلَةٌ غَيْرَ أَنَّهَا      مِنَ المَنْزِلِ الفَاني إِلَى المَنْزِلِ البَاقِي  
آخِر : رَأَيْتَ بَنِي الدُّنْيَا كَوَفْدَيْنِ كَلَّمَا      تَرَحَّلَ وَفَدَّ حَطَّ فِي إِثْرِهِ وَفَدَّ  
وَكُلَّ يَحُثُّ السَّيْرِ عَنْهَا وَنَحْوَهَا      فَيَمْضِي بِذَا نَعَشٍ وَيَأْتِي بِذَا مَهْدُ  
آخِر : وَكُلُّ أبٍ وَابْنٍ وَإِنْ مُتَّعَا مَعَا      مُقِيمَيْنِ مَفْقُودٌ لَوْ قَتِ وَفَاقِدُ  
آخِر : فَلا تَجَزَّ عَنَ اللَّبِينِ كُلِّ جَمَاعَةٍ      وَرَبِّكَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا التَّفَرُّقُ

وَحُدْ بِالتَّعَزِّي كُلِّ مَا أَنْتَ لِابْسُ  
جَدِيدًا عَلَى الأَيَّامِ يَبْلَى وَيَخْلُقُ  
فَصَبْرُ الْفَتَى عَمَّا تَوَلَّى فَفَاتَهُ  
مِنَ الأَمْرِ أَوْلَى بِالسَّدَادِ وَأَوْفَقُ  
وَأَنَّكَ بِالإِشْفَاقِ لَا تَدْفَعُ الرَّدَى  
وَلَا الخَيْرُ مَجْلُوبٌ فَمَا لَكَ تُشْفِقُ  
كَأَنَّ لَمْ يَرْعَكَ الدَّهْرُ أَوْ أَنْتَ آمِنٌ )  
لأَحْدَاثِهِ فِيمَا يُعَادِي وَيَطْرُقُ

إخواني أين الأمم الماضية ، أين القرون الخالية أين من نصبت على مفارقهم التيجان ، أين الذين قهروا الأبطال والشجعان ، أين الذين دانت لهم المشارق والمغرب ، أين الذين تمتعوا باللذات من المطاعم والمشارب ، أين الذين اغتروا بالأجناد والسُلطان .  
أين أصحاب السطوة والأعوان ، أين أصحاب الأسرة والولايات ، أين الذين خفقت على رؤوسهم الألوية والرايات ، أين الذين قادوا العساكر ، أين الذين عمروا القصور الشامخات والفلل الفسيحات ، أين الذين غرسوا النخيل والأشجار المثمرات .  
أين الذين ملؤوا ما بين الخافقين فخرًا وعزًّا ، أين الذين فرشوا القصور خبزًا وقرًّا ، أفناهم الله مفني الأمم ، وأبادهم مبيد الرمم ، وأخرجهم من سعة المساكن ، والقصور ، وأسكنهم في ضيق اللحود وتحت الجنادل والصخور .

قد خلت من كثرتهم أماكنهم ولم ينفعهم ما جمعوا من الحطام ، ولا أغنى عنهم ما كسبوا من حلال أو حرام أسلمهم الأحبة والأولياء ، وهجرهم الإخوان والأصفياء ونسيهم الأقرباء والبعداء .

شِعْرًا : مَنْ ذَا الَّذِي قَدْ نَالَ رَاحَةَ فِكْرِهِ  
فِي عُسْرِهِ مِنْ عُمَرِهِ أَوْ يُسْرِهِ  
يَلْقَى الغِنَى لِحِفْظِهِ مَا قَدْ حَوَى  
أَضْعَافَ مَا يَلْقَى الفَقِيرُ لِفَقْرِهِ  
فَيَظَلُّ هَذَا سَاحِطًا فِي قَلْبِهِ  
وَيَظَلُّ هَذَا تَاعِبًا فِي كُثْرِهِ  
عَمَّ البَلَاءُ لِكُلِّ شَمْلٍ فُرْقَةٌ  
يُرْمَى بِهَا فِي يَوْمِهِ أَوْ شَهْرِهِ

حُكْمُ الْقَضَاءِ بِخُلُوهِ وَبُؤْمُرِهِ  
 جَاءَ الشَّهَابُ بِحَرْقِهِ وَبِرَجْرِهِ  
 يُرْمَى بِبَاطِلِ قَوْلِهِمْ وَبِسِحْرِهِ  
 ضِدًّا يُوَاجِهُهُ بِتُهْمَةٍ كَفَرِهِ  
 بِالْمُشْكِلَاتِ لَدَى مَجَالِسِ ذِكْرِهِ  
 أَحَدًا يُسَاعِدُ فِي إِقَامَةِ عُذْرِهِ  
 يَبْغِي التَّخْلُصَ مِنْ مَخَاوِفِ قَبْرِهِ  
 رَهْنِ الْهُمُومِ عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِ  
 هَمٌّ تَضِيقُ بِهِ جَوَانِبُ قَصْرِهِ  
 مِمَّا يَلَاقِي مِنْ خَسَارَةِ سِعْرِهِ  
 جُلِّ الْعَقِيمِ كَمِينَةً فِي صَدْرِهِ  
 حَسَدًا وَحَقْدًا فِي غِنَاهُ وَفَقْرِهِ  
 جَاءَتْهُ أَحْلَامٌ فَهَامَ بِأَمْرِهِ  
 غُصَصِ الْفِطَامِ تَرْوَعُهُ فِي صِغَرِهِ  
 فَوَجَدَتْ مِنْهَا مَا يُصَادُ بِوَكْرِهِ  
 وَالْحُوتُ يَأْتِي حَنْفَهُ فِي بَحْرِهِ  
 فَاسْتَخْرَجَتْهُ مِنْ قَرَارِهِ قَبْرِهِ  
 مَا زَالَ وَهُوَ مُرَوِّعٌ فِي أَمْرِهِ  
 أَلْفًا مِنَ الْأَعْوَامِ مَالِكِ أَمْرِهِ  
 مُتَنَعِّمًا بِالْعَيْشِ مُدَّةَ عُمْرِهِ  
 كَلَّا وَلَا تَجْرِي الْهُمُومُ بِفِكْرِهِ  
 بِنُزُولِ أَوَّلِ لَيْلَةٍ فِي قَبْرِهِ  
 صَبْرًا عَلَى خُلُوهِ الْقَضَاءِ وَبُؤْمُرِهِ

وَالْجِنُّ مِثْلُ الْإِنْسِ يَجْرِي فِيهِمُومًا  
 فَإِذَا الْمَرِيدُ أَتَى لِيُخْطِفَ خَطْفَةً  
 وَنَبِيُّ صِدْقٍ لَا يَزَالُ مُكَذِّبًا  
 وَمُحَقِّقٌ فِي دِينِهِ لَمْ يَخُلْ مِنْ  
 وَالْعَالِمِ الْمُفْتِي يَطْلُ مُنَازَعًا  
 وَالْوَيْلُ إِنْ زَلَّ اللِّسَانُ فَلَا يَرَى  
 وَأَخُو الدِّيَانَةِ دَهْرُهُ مَتَنَغِّصُ  
 أَوْ مَا تَرَى الْمَلِكَ الْعَزِيزَ بِجُنْدِهِ  
 فَيَسُورُهُ خَبْرٌ وَفِي أَعْقَابِهِ  
 وَأَخُو التَّجَارَةِ حَائِرٌ مُتَفَكِّرٌ  
 وَأَبُو الْعِيَالِ أَبُو الْهُمُومِ وَحَسْرَةَ الرَّ  
 وَتَرَى الْقَرِينَ مُضْمَرًا لِقَرِينِهِ  
 وَلَرَبَّ طَالِبٍ رَاحَةٍ فِي نَوْمِهِ  
 وَالطُّفْلُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَخْرُجُ إِلَى  
 وَلَقَدْ حَسَدَتِ الطَّيْرُ فِي أَوْكَارِهَا  
 وَالْوَحْشُ يَأْتِيهِ الرَّدَى فِي بَرِّهِ  
 وَلَرُبَّمَا تَأْتِي السَّبَاعُ لَمِيَّتِ  
 كَيْفَ التَّدَاذُ أَخِي الْحَيَاةَ بِعَيْشِهِ  
 تَاللَّهِ لَوْ عَاشَ الْفَتَى فِي أَهْلِهِ  
 مُتَلَذِّذًا مَعَهُمْ بِكُلِّ لَذِيذَةٍ  
 لَا يَعْتَرِبُهُ النِّقْصُ فِي أَحْوَالِهِ  
 مَا كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ مِمَّا يَفِي  
 كَيْفَ التَّخْلُصُ يَا أَخِي مِمَّا تَرَى

اللهم انظمننا في سلك حزبك المفلحين ، واجعلنا من عبادك المخلصين وآمنا يوم الفزع الأكبر يوم الدين ، واحشرنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

### " فَصْلٌ " في هديه ρ في علاج حر المصيبة وحزنها

قال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ .

وفي المسند عنه ρ أنه قال : « ما من أحد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيراً منها إلا أجره الله في مصيبيته وأخلف له خيراً منها » .

وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب وأنفعه له في عاجلته وآجلته . فإنها تتضمن أصلين عظيمين - إذا تحقق العبد بمعرفتها تسلى عن مصيبيته - ( أحدهما ) : أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل حقيقةً .

وقد جعله عند العبد عاريةً فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير وأيضاً فإنه مخفوف بعدمين : عدم قبله ، وعدم بعده ، وملك العبد له متعة معارة في زمن يسير . وأيضاً فإنه ليس هو الذي أوجده من عدمه حتى يكون ملكه حقيقة ؛ ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده ولا يبقى عليه وجوده .

فليس له في تأثير ولا ملك حقيقي . وأيضاً فإنه متصرف العبد المأمور المنهي ، لا تصرف الملاك . ولهذا لا يباح من التصرفات فيه إلا ما وافق أمر مالكة الحقيقي .

وقال ابن سيرين : ( ما كان ضحكك قط ، إلا كان من بعده بكاءً ) .

وقالت هند بنت النعمان : ( لقد رأينا ونحن من أعز الناس وأشدهم ملكًا ، ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن أقل الناس ، وإنه حقُّ على الله أن لا يملأ دارًا خيرةً إلا مملأها عبرةً ) .

وسألها رجل أن تحدثه عن أمرها فقالت : ( أصبحنا ذات صباح وما في العرب أحد إلا يرجونا ، ثم أمسينا وما في العرب أحد إلا يرحمنا ) .

وبكت أختها حرقة بنت النعمان يومًا - وهي في عزها - فقيل لها : ما يبكيك ؟ لعل أحد آذاك ؟ قالت : ( لا ؛ ولكن رأيت غضارة في أهلي ، وقلما امتلأت دار سرورًا إلا امتلأت حزنًا ) .

قال إسحاق بن طلحة : ( دخلت عليها يومًا فقلت لها : كيف رأيت عبرات الملوك ؟ فقالت : ما نحن فيه اليوم خير مما كنا فيه بالأمس ؛ إنا نجد في الكنب أنه ليس من أهل بيت يعيشون في خيرة ، إلا سيعقبون بعدها عبرةً ، وإن الدهر لم يظهر لقوم بيوم يحبونه إلا بطن لهم بيوم يكرهونه ) . ثم قالت :

فَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ  
فَأُفُّ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَقَلَّبُ تَارَاتِ بِنَا وَتَصَرَّفُ

ومن علاجها : أن يعلم أن الجزع لا يردّها ، بل يضاعفها ، وهو في الحقيقة من تزايد المرض .

ومن علاجها : أن يعلم أن فوت ثواب الصبر والتسليم - وهو من الصلاة والرحمة والهداية التي ضمنها الله على الصبر والاسترجاع - أعظم من المصيبة في الحقيقة .

ومن علاجها : أن يعلم أن الجزع يشمت عدوه ، ويسيء صديقه ،

ويغضب ربه ، ويسر شيطانه ، ويجبط أجره ، ويضعف نفسه . وَإِذَا صَبَرَ وَاحْتَسَبَ أَقْصَى شَيْطَانَهُ ، وَرَدَهُ خَاسِئًا ، وَأَرْضَى ربه ، وسر صديقه ، وساء عدوه ، وحمل عن إخوانه ، وعزّاهم هُوَ قَبْلَ أَنْ يَعْزُوهُ . فَهَذَا هُوَ الثَّبَاتُ وَالْكَمَالُ الْأَعْظَمُ ؛ لَا لَطَمَ الْخُدُودِ ، وَشَقَّ الْجُيُوبِ وَالذُّعَاءَ بِالْوَيْلِ وَالثَّبُورِ ، وَالسَّخَطَ عَلَى الْمَقْدُورِ .

ومن علاجها : أن يعلم ما يعقبه الصبر والاحتساب - من اللذة والمسرة - أضعاف ما كان يحصل له ببقاء ما أصيب به ، لو بقي عليه . ويكفيه من ذلك بيت الحمد الذي بينى له في الجنة ، على حمده لربه واسترجاعه . فليُنظر أي المصيبتين أعظم : مصيبة العاجلة ؟ أو مصيبة فوات بيت الحمد في جنة الخلد ؟

وفي الترمذي مرفوعاً : « يود ناس يوم القيامة أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا ، لما يرون من ثواب أهل البلاء » .

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : ( لَوْلَا مَصَائِبُ الدُّنْيَا ، لَوَرَدْنَا الْقِيَامَةَ مَفَالَيْسَ ) .

شِعْرًا : وَعَوَّضْتُ أَجْرًا مِنْ فَقِيدٍ فَلَا يَكُنْ فَقِيدُكَ لَا يَأْتِي وَأَجْرُكَ يَذْهَبُ

ومن علاجها : أن يروح قلبه بروح رجاء الخلف من الله ، فإنه من كل شيء عوض ، إلا الله فما منه عوض . كما قيل :

شِعْرًا : لَعَمْرِي مَا الرَّزِيَّةُ فُقِدَ قَصْرٍ فَسِيحِ مُنِيَّةً لِلْسَّاكِينَا

وَلَكِنَّ الرَّزِيَّةَ فَتَقْدُ دِينٍ يَكُونُ بِفَقْدِهِ مِنْ كَافِرِينَا

آخر : مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا ضَيَّعْتَهُ عَوْضٌ وَمَا مِنْ اللَّهِ إِنْ ضَيَّعْتَهُ عَوْضٌ

ومن علاجها : أن يعلم أن حظه من المصيبة ما تحدثه له ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط . فحظك منها ما أحدثته لك ، فاختر أما خير الحظوظ ، أو شرها . فَإِنَّ أَحَدَثَ لَهُ سَخَطًا وَكَفَرًا كَتَبَ فِي دِيْوَانِ

الهالكين ، وإن أحدثت له جزعًا وتفريطًا في ترك واجب ، أو في فعل محرم كتب في ديوان الهالكين ، وإن حدثت له شكاية وعدم صبر كتب في ديوان المغبونين .  
 وإن أحدثت له اعتراضًا على الله وقدحًا في حكمته فقد قرع باب الزندقة أو وجهه ، وإن أحدثت له صبرًا وثباتًا لله : كتب في ( ديوان الصابرين ) . وإن أحدثت له الرضا : كتب في ( ديوان الراضين ) . وإن أحدثت له الحمد والشكر : كتب فدى ( ديوان الشاكرين ) ، وكان تحت لواء الحمد مع الحمّادين ، وإن أحدثت له محبةً واشتياقًا إلى لقاء ربه : كتب في ( ديوان المحبين المخلصين ) .

وفي مسند الإمام أحمد والترمذي - من حديث محمود بن لبيد يرفعه - :  
 « إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط » .  
 زاد أحمد : « ومن جزع فله الجزع » .  
 ومن علاجها : أن يعلم أنه وإن بلغ في الجزع غايته فأخر أمره إلى صبر الاضطرار .  
 وهو غيره محمود ولا مثاب .

قال بعض الحكماء : ( العاقل يفعل في أول من المصيبة ، ما يفعله الجاهل بعد أيام ، ومن لم يصبر صبر الكرام ، سلا سلو البهائم ) وفي الصحيح مرفوعًا : « الصبر عند الصدمة الأولى » . وقال الأشعث بن قيس : ( إنك إن صبرت إيمانًا واحتسابًا ؛ وإلا سلوت سلو البهائم ) .

ومن علاجها : أن يعلم أن أنفع الأدوية له موافقة ربه وإلهه ، فيما أحبه ورضيه له ، وإن خاصية المحبة موافقة المحبوب ، فمن ادعى محبة محبوب ، ثم سخط ما يحبه وأحب ما يسخطه فقد شهد على نفسه بكذبه ، وتمقت إلى محبوبه .

وقال أبو الدرداء : ( إن الله إذا قضى قضاء ، أحب أن يرضى به ) . وكان عمران ابن الحصين يقول في علته : ( أحبه إليّ أحبه إليه ) . وكذلك قال أبو العالية .  
وهذا دواء وعلاج لا يعمل إلا مع المحبين ، ولا يمكن كُلاًّ أحد أن يتعالج به ..  
ومن علاجها : أن يوازن بين أعظم اللذتين والتمتعين وأدومها : لذة تمتعه بما أصيب به ، ولذة تمتعه بثواب الله له فإن ظهر له الرجحان ، فآثر الراجح فليحمد الله على توفيقه ، وإن آثر المرجوح من كُلاًّ وجه فليعلم أن مصيبته في عقله وقلبه ودينه ، وأعظم من مصيبته التي أصيب بها في دنياه .

شِعْرًا : وَإِذَا تَصَبَّكَ مُصِيبَةٌ فَاصْبِرْ لَهَا عَظَمْتُ مُصِيبَةً مُبْتَلَى لَا يَصْبِرُ

ومن علاجها : أن يعلم أن الذي ابتلاه بها أحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين ، وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه ولا ليعذبه به ، ولا ليجتاحه ، وإنما افتقده به ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه ، وليسمع تضرعه وابتهاله ، وليراه طريقًا باباه ، لائدًا بجانبه ، مكسور القلب بين يديه رافعًا قصص الشكوى إليه .

قال الشيخ عبد القادر : ( يا بني إن المصيبة ما جاءت لتهلكك ، وإنما جاءت لتمتحن صبرك وإيمانك : يا بني القدر سبع ، والسبع لا يأكل الميتة ) .  
والمقصود : أن المصيبة كير العبد الذي يسبك به حاصله ، فإمّا أن يخرج ذهبًا أحمر ، وإمّا أن يخرج خبثًا كله . كما قيل :

سَبَّكَاهُ وَنَحْسِبُهُ لُجَيْنًا فَأَبْدَى الْكَيْرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ

فإن لم ينفعه هذا الكير في الدنيا فبين يديه الكير الأعظم . فإذا علم العبد أن إدخاله كير الدنيا ومسبكها خير له من ذلك الكير والمسبك ، وأنه لا بد من أحد الكيرين فليعلم قدر نعمة الله عليه في الكير العاجل .



فلولا أنه سُبْحَانَهُ يداوي عباده بأدوية المَحْنِ والابْتِلَاءِ ، لَطغوا وبغوا وعتوا ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ إِذَا أَرَادَ بَعْدَ خَيْرٍ سَقَاهُ دَوَاءً - من الِابْتِلَاءِ والامْتِحَانِ - عَلَى قَدْرِ حَالِهِ ، يَسْتَفْرِغُ بِهِ مِنَ الْأَدْوَاءِ الْمُهْلِكَةِ ؛ حَتَّى إِذَا هَذَبَهُ وَصَفَاهُ أَهْلَهُ لِأَشْرَفِ مَرَاتِبِ الدُّنْيَا - وَهِيَ عِبُودِيَّتُهُ - وَأَرْفَعِ ثَوَابَ الْآخِرَةِ ، وَهُوَ رُؤْيَتُهُ وَقَرْبُهُ .

ومن علاجها : أن يعلم أن مرارة الدُّنْيَا هِيَ بَعِينُهَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ ، يَقَابِلُهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ كَذَلِكَ ؛ وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا هِيَ بَعِينُهَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ وَلَآنَ يَنْتَقِلُ مِنْ مَرَارَةٍ مَنقُطَعَةٍ ، إِلَى حَلَاوَةٍ دَائِمَةٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ عَكْسِ ذَلِكَ .

فَإِنَّ خَفِيَ عَلَيْكَ هَذَا فَانظُرْ إِلَى قَوْلِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ : « حَفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ، وَحَفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » .

وَفِي هَذَا الْمَقَامِ تَفَاوُتَتْ عُقُولُ الْخَلَائِقِ ، وَظَهَرَتْ حَقَائِقُ الرِّجَالِ فَأَكْثَرُهُمْ آثَرُ الْحَلَاوَةِ الْمَنقُطَعَةِ ، عَلَى الْحَلَاوَةِ الدَّائِمَةِ الَّتِي لَا تَزُولُ ، وَلَمْ يَحْتَمِلْ مَرَارَةَ سَاعَةٍ بِحَلَاوَةِ الْأَبَدِ ، وَلَا ذَلَّ سَاعَةً لِعِزِّ الْأَبَدِ ، وَلَا مَحَنَةَ سَاعَةٍ لِعَافِيَةِ الْأَبَدِ . فَإِنَّ الْحَاضِرَ عِنْدَهُ شَهَادَةٌ ، وَالْمُنْتَظِرَ غَيْبٌ ، وَالْإِيمَانَ ضَعِيفٌ ، وَسُلْطَانَ الشَّهْوَةِ حَاكِمٌ . فَتَوْلَدُ مَعَ ذَلِكَ إِيْثَارُ الْعَاجِلَةِ ، وَرَفْضُ الْآخِرَةِ .

وَهَذَا حَالُ النَّظَرِ الْوَاقِعِ عَلَى ظَوَاهِرِ الْأُمُورِ وَأَوَائِلِهَا وَمَبَادئِهَا ، وَأَمَّا النَّظَرُ الثَّاقِبُ الَّذِي يَخْرُقُ حِجَابَ الْعَاجِلَةِ ، وَيَجَاوِزُهُ إِلَى الْعَوَاقِبِ وَالْغَايَاتِ ، فَلَهُ شَأْنٌ آخَرٌ .

فَادِعُ نَفْسِكَ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ مِنَ النَّعِيمِ الْمَقِيمِ ، وَالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَالْفَوْزِ الْأَكْبَرِ ، وَمَا أَعَدَّ لِأَهْلِ الْبَطَالَةِ وَالْإِضَاعَةِ مِنَ الْخِزْيِ وَالْعِقَابِ ، وَالْحَسْرَاتِ الدَّائِمَةِ ، ثُمَّ اخْتَرِ أَيَّ الْقَسْمَيْنِ أَلْيَقَ بِكَ . وَ﴿ كُلُّ يَعْْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ ، وَكُلُّ أَحَدٍ يَصْبُو إِلَى مَا يَنَاسِبُهُ وَمَا هُوَ الْأَوْلَى بِهِ . وَلَا تَسْتَطِلْ هَذَا الْعِلَاجَ فَشَدَّةَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ - مِنَ الطَّبِيبِ الْعَلِيلِ - دَعَتْ إِلَى بَسْطِهِ . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

شِعْرًا : نُعَلِّلُ بِالِدَّوَاءِ إِذَا مَرَضْنَا  
وَنَخْتَارُ الطَّيِّبَ وَهَلْ طَيِّبٌ  
آخِر : اصْبِرْ عَلَى حُلُوِّ الْفَضَاءِ وَمُرِّهِ  
فَالصَّدْرُ مَنْ يَلْقَى الْخُطُوبَ بِصَدْرِهِ  
الْحُرُّ سَيْفٌ وَالذُّنُوبُ لَصَفْوِهِ  
لَيْسَ الْحَوَادِثُ غَيْرَ أَعْمَالِ امْرِئٍ  
فَإِذَا أُصِيبَتْ بِمَا أُصِيبَتْ فَلَا تَقُلْ  
وَأَثِبْتَ فَكَمْ أَمْرٍ أَمْضَكَ عُسْرُهُ  
وَلَكُمْ عَلَى نَاسٍ أَتَى فَرَجُ الْفَتَى  
فَاصْرَعْ إِلَى اللَّهِ الْكَرِيمِ وَلَا تَسَلْ  
وَأَعْجَبْ لِنَظْمِي وَالْهُمُومُ شَوَاغِلٌ  
لَا تَخْشَ مِنْ غَمٍّ كَغَمِّ عَارِضٍ  
إِنْ تُمْسِ عَنْ عَبَّاسٍ حَالِكَ رَاوِيَا  
وَلَقَدْ تَمُرُّ الْحَادِثَاتُ عَلَى الْفَتَى  
هَوْنٌ عَلَيْكَ فَرُبَّ أَمْرٍ هَائِلٍ  
وَلَرُبَّ لَيْلٍ بِالْهُمُومِ كَدْمَلٍ  
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ

وَهَلْ يَشْفِي ِي مِنَ الْمَوْتِ الدَّوَاءُ  
يُؤَخِّرُ مَا يُقَدِّمُهُ الْفَضَاءُ  
وَأَعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ  
وَبَصَائِرِهِ وَبِحَمْدِهِ وَبِشُكْرِهِ  
صَدَأٌ وَصَيْقَلُهُ نَوَائِبُ دَهْرِهِ  
يُجْزَى بِهَا مِنْ خَيْرِهِ أَوْ شَرِّهِ  
أَوْذِيَتْ مِنْ زَيْدِ الزَّمَانِ وَعَمْرِهِ  
لَيْلًا فَبَشَّرَكَ الصَّبَاحُ بِبُسْرِهِ  
مِنْ سِرِّ غَيْبٍ لَا يَمُرُّ بِفِكْرِهِ  
بَشْرًا فَلَيْسَ سِوَاهُ كَاشِفَ سِرِّهِ  
يُلْهِينَ عَنِ نَظْمِ الْكَلَامِ وَنَثْرِهِ  
فَلَسَوْفَ يُسْفِرُ عَنِ إِضَاءَةِ بَدْرِهِ  
فَكَأَنِّي بِكَ رَاوِيَا عَنْ بَشْرِهِ  
وَتَزُولُ حَتَّى مَا تَمُرُّ بِفِكْرِهِ  
دُفِعَتْ قُؤَاهُ بِدَافِعٍ لَمْ تَدْرِهِ  
صَابِرَتُهُ حَتَّى ظَفِرَتْ بِفَجْرِهِ  
مَعَ صَاحِبِهِ وَالتَّابِعِينَ لِأَمْرِهِ

اللَّهُمَّ اجعلنا من المتقين الأبرار وأسكننا معهم في دار القرار ، اللهم وفّقنا بحسن الإقبال عليك والإصغاء إليك ووفّقنا للتعاون في طاعتك ، اللهم يا من خلق الإنسان في أحسن تقويم وبقدرته التي لا يعجزها شيء يحيي العظام وهي رميم نسألك أن تهدينا إلى صراطك المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء

والصالحين وأن تغفر لنا ولوالدينا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " فَصْلٌ فِي الْخَوْفِ "

اعْلَمْ وَفَقَّنَا وَإِيَّاكَ لما يحبه ويرضاه أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل وقيل الخوف قوة العلم بمجاري الأحكام وقيل هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره .

فالخوف لعام الْمُؤْمِنِينَ والخشية للعلماء العارفين والهيبة للمحبين والإجلال للمقربين ، وَعَلَى قَدْرِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ ومعرفة العبد بنفسه يكون الخوف والخشية كما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية » . وفي رواية : « خوفًا » .

وَإِذَا أَكْمَلْتَ المعرفة أثرت الخوف ففاض أثره على القلب ، ثُمَّ ظَهَرَ عَلَى الْجَوَارِحِ ، والصفات النحول والاصفرار والبُكَاء والغشي ، وَقَدْ يَفْضِي إِلَى الْمَوْتِ .  
وأما ظهور أثره على الْجَوَارِحِ فبكفها عن المعاصي ، وإلزامها الطاعات تلافياً ، واستدراكاً لما فرط ، واستعداداً للمستقبل .

ومن ثمرات الخوف أنه يَمَعُ الشهوات ، ويكدر اللذات ، فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة ، كما يصير العسل واللبن مكروهًا إِذَا عَلِمَ أَنَّ فِيهِ سُمًّا ، فتحترق الشهوات بالخوف ، وتتأدب الْجَوَارِحِ ، ويذل القلب ، ويستكين ويفارقه الكبر والحسد والحقد ، ويصير مستوعبًا لهم لخوفه والنظر في خطر عاقبته .

فلا يتفرغ لغيره ، ولا يكون له شغل 'لا المُرَاقَبَةُ ، والمحاسبة والمجاهدة ، والبخل في الأنفاس ، واللحظات ، أن يصرفها فيما لا فائدة فيه ، ومؤاخذة النفس في الخطرات ، والخطوات ، والكلمات ، وقوة الخوف

بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى، وصفاته وبعيوب النفس، وما بين يديها من الأخطار والأهوال .

ومقدمات الخوف أربع . الأولى : ذكر الذنوب الكثيرة العظيمة التي سلفت فيما مضى وكثرة ذكر الخصوم الذين مضوا وأنت مرتحن لم يتبين لك الخلاص حتى الآن .  
والثانية : ذكر شدة العقوبة . والثالثة : ذكر قدرة الله عليك متى شاء وكيف شاء . والرابعة : ذكر ضعفك عن احتمال العقوبة .

شِعْرًا : حَقِيقٌ بِالتَّوَاضُّعِ مَنْ يَمُوتُ وَيَكْفِي الْمَرْءَ مِنْ دُنْيَاهُ قُوْتُ  
فَمَا لِلْمَرْءِ يُصْبِحَ ذَا هُمُومٍ وَحِرْصٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ التُّعُوتُ  
فِيَا هَذَا سَتَرَحَلُّ عَنْ قَرِيبٍ إِلَى قَوْمٍ كَلَامُهُمُ السُّكُوتُ  
آخِر : النَّفْسُ تَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّ السَّلَامَةَ مِنْهَا تَرَكَ مَا فِيهَا  
لَا دَارَ لِلْمَرْءِ بَعْدَ الْمَوْتِ يَسْكُنُهَا إِلَّا الَّتِي كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ بَانِيهَا  
فَإِنْ بَنَاهَا بِخَيْرٍ طَابَ مَسْكَنُهُ وَإِنْ بَنَاهَا بِشَرٍّ خَابَ بَانِيهَا  
آخِر : وَمَا مَنْ يَخَافُ الْمَوْتَ وَالتَّارَ آمِنٌ وَلَكِنْ حَزِينٌ مُوجِعُ الْقَلْبِ خَائِفٌ  
إِذَا عَنَ ذِكْرُ الْمَوْتِ أَوْجَعَ قَلْبَهُ وَهَيَّجَ أَحْزَانًا ذُنُوبٌ سَوَالِفٌ

ثم اعلم أن الخوف يحث على العلم، والعمل، قال أبو حفص : الخوف سوط الله، يقوم به الشاردين عن بابه . وقال : الخوف سراج في القلب، به يبصر ما فيه من الخير والشَّر، وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله عز و جل فإنك إذا خفته هربت إليه فالخائف هارب من ربه إلى ربه .

وقال أبو سليمان : ما فارق الخوف قلبًا إلا خرب . وقال إبراهيم بن سفيان : إذا سكن الخوف القلوب أحرقت مواضع الشهوات منها وطرده الدنيا عنها . قال في مختصر مناهج القاصدين : والخوف له إفراط وله اعتدال، وله قصور والمحمود من ذلك الاعتدال .

وهو بمنزلة السوط للبهيمة ، فَإِنَّ الأَصْلَحَ للبهيمة أن لا تخلو عَنْ سوط وَلَيْسَ المبالغة فِي الضرب محمودة ، ولا المتقاصر عَنْ الخوف أيضا محمودًا ، وَهُوَ كَالَّذِي يَخْطُرُ بِالْبَالِ عِنْدَ سَمَاعِ آيَةٍ ، أَوْ سَبَبِ هَائِلِ فَيُورِثُ البُكَاءَ ، فإذا غاب ذَلِكَ السبب عَنْ الحس رجع القَلْبُ إِلَى العَقْلَةِ ، فهو خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع ، وَهُوَ كَالْقَضِيبِ الضعيف ، الَّذِي يَضْرِبُ بِهِ دَابَّةٌ قَوِيَةٌ فلا يُؤْمَلُهَا أَلْمًا مَبْرَحًا ، فلا يسوقها إِلَى المقصد ولا يصلح لرياضتها .

وَهَذَا هُوَ الغالب على النَّاسِ كلهم إلا العارفين والعُلَمَاءِ أعني العُلَمَاءِ بِاللَّهِ وبآياته وَقَدْ عز وجودهم ، وأما المرتسمون برسوم العلم فَإِنَّهُمْ أبعد النَّاسِ عَنْ الخوف ، وهل العُلَمَاءُ حَقِيقَةٌ يأخذون من الدُّنْيَا إلا بقدر البلاغ .

وأما القسم الأول وَهُوَ الخوف المفرط فهو كَالَّذِي يقوى ويجاوز حد الاعتدال ، حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى اليأس والقنوط ، فهو أيضًا مذموم لأنه يمنع من العَمَلِ ، وَقَدْ يَخْرُجُ إِلَى المرض والوله والموت ، وَلَيْسَ ذَلِكَ محمودًا .

وكل ما يراد لأمر فالحمود منه ما يفضي إِلَى المراد المقصود منه ، وما يقصر عَنْهُ أَوْ يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والفكر والذكر والتعبد وسائر الأسباب التي توصل إِلَى الله تَعَالَى وكل ذَلِكَ يستدعى الحياة مَعَ صحة البدن وسلامة العقل فإذا قدح فِي ذَلِكَ شَيْءٌ كَانَ مذمومًا وصلى الله على مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

### " فَصْلٌ "

وَقَالَ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ : والقدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم فَإِنَّ زَادَ عَلَى ذَلِكَ بحيث صار باعثًا للنفوس على التشمير فِي نوافل الطاعات ، والانكفاف عَنْ دقائق المكروهات ، والتبسط فِي فضول المباحات ، كَانَ ذَلِكَ فضلًا محمودًا .

شِعْرًا : خَفِ اللّٰهَ وَارْجُوهُ لِكُلِّ عَظِيمَةٍ وَلَا تُطِعِ النَّفْسَ اللَّجُوجَ فَتَنَدَمَا  
وَكُنْ بَيْنَ هَاتَيْنِ مِنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَأَبْشِرْ بِعَقُوبِ اللّٰهِ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا

فإن تزايد على ذلك بأن أورث مرضًا أو موتًا أو هما لازمًا بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عزَّ وجلَّ لم يكن ذلك محمودًا .

ولهذا كان السلف يخافون على عطاء السلمي من شدة خوفه الذي أنساه القرآن وصار صاحب فراش ، وهذا لأن خوف العقاب ليس مقصودًا لذاته ، إنما هو سوط يساق به المتواري عن الطاعة إليها ومن هنا كانت النار من جملة نعم الله على عباده الذين خافوه واتقوه .

ولهذا المعنى عدها الله سبحانه وتعالى من جملة آلائه على الثقلين في سورة الرحمان ، وقال سفيان بن عيينة : ( خلق الله النار رحمةً يخوف بها عباده لينتهوا ) . أخرجه أبو نعيم .

والمقصود الأصلي هو طاعة الله عزَّ وجلَّ وفعل مرضيه ومحباته وترك مناهيه ومكروهاته ، ولا ننكر أن خشية الله وهيبته وعظمته في الصدور وإجلاله مقصود أيضًا ، ولكن القدر النافع من ذلك ما كان عونًا على التقرب إلى الله ، بفعل ما يحبه وترك ما يكرهه .

ومتى صار الخوف مانعًا من ذلك وقاطعًا عنه فقد انعكس المقصود منه ، ولكن إذا حصل ذلك عن غلبة كان صاحبه معذورًا ، وقد كان في السلف من حصل له من خوف النار أهوال شتى لغلبة حال شهادة قلوبهم للنار ، فمنهم من كان يلازمه القلق والبكاء ورُبَّمَا اضطرب أو عُشِيَ عَلَيْهِ إِذَا سَمِعَ ذِكْرَ النَّارِ ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ .

شِعْرًا : لَوْ يَعْلَمُ الرَّاقِدُ مَا فَاتَهُ  
لَقَلَّلَ النَّوْمَ عَلَى فُرْشِهِ  
وَأَرْسَلَ الدَّمْعَةَ مَمْرُوجَةً  
صَيَّعَ فِيهِ الْحَظُّ مِنْ قُرْبِهِ  
آخر : فَبَادِرِ إِلَى الْخَيْرَاتِ قَبْلَ فَوَاتِهَا  
سَتَبْكِي نَفْسٌ فِي الْقِيَامَةِ حَسْرَةً  
فَلَا تَغْتَرِرِ بِالْعَزِّ وَالْمَالِ وَالْمَنَى  
آخر : تَزَوَّدْ مِنَ الدُّنْيَا بِسَاعَتِكَ الَّتِي  
فَلَا يَوْمُكَ الْمَاضِي عَلَيْكَ بِعَائِدِ  
وَأَيَّ مَجْدٍ هَدَّ أَبْيَاتُهُ  
وَسَدَّ بِالْخِدْمَةِ أَوْقَاتَهُ  
عَلَى مَيِّتٍ طَالَ مَابَاتُهُ  
وَلَمْ يُبَالِ بِاللَّذِي فَاتَهُ  
وَخَالَفَ مُرَادَ النَّفْسِ قَبْلَ مَمَاتِهَا  
عَلَى فَوْتِ أَوْقَاتِ زَمَانِ حَيَاتِهَا  
فَكَمْ قَدْ بُلِينَا بِانْقِلَابِ صِفَاتِهَا  
ظَفَرْتَ بِهَا مَا لَمْ تَعْفِكَ الْعَوَائِقُ  
وَلَا يَوْمُكَ الْآتِي بِهِ أَنْتَ وَاثِقُ

" فَصْلٌ " : وَمِمَّا وَرَدَ فِي الْخَوْفِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ مَا يَلِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ ، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ \* وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ \* يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ \* فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهم يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ . وَقَالَ : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى \* وَبُرْزَتِ الْجَحِيمِ لِمَنْ يَرَى ﴾ الْآيَاتِ ، وَقَالَ : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ .  
وَقَالَ : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ .

وَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ .

وَقَالَ : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا \* وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا \* يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا ﴾ الآيات ، وَقَالَ : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

وَقَالَ : ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وِلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ .

وَقَالَ : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴾ وَقَالَ : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ .

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ ، ولو لم يكن إلا هذه الآية لكانت كافية للتخويف ، إذ شرط للمبالغة في مغفرته أربعة أمور ، يعجز العبد عن الواحد مهنا إن لم يعنه الله فأولاً : التوبة . والثاني : الإيمان . والثالث : العمل الصالح . والرابع : سلوك سبيل المهتمدين

شِعْرًا : يَا نَاطِرًا يَرُنُّو بِعَيْنِي رَاقِدٍ  
مَنِيْتُ نَفْسَكَ ضِلَّةً وَأَبْحَثَهَا  
تُزِقَ الرَّجَاءَ وَهَنَّ عَيْرُ قَوَاصِدِ  
سُكْنَى الْجِنَانِ بِهَا وَفَوَزَ الْعَابِدِ  
وَنَسِيَتْ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمًا  
مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدِ

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ





وَقَالَ : ﴿ وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا \* ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ  
الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثْيًا ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ﴾ الآية ، ومن  
المخوفات قوله تَعَالَى : ﴿ وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ ثُمَّ ذَكَرَ أَرْبَعَةَ شُرُوطٍ بِهَا  
يَقَعُ الْخِلَاصُ مِنَ الْخُسْرَانِ .

وهذه الآيات ونحوها هي التي أفضت مضاجع السلف ، فلم يهتئوا بنوم ولم يستلدوا  
طعامًا وانحلت أجسامهم ، وأضرت بعيونهم من كثرة البكاء على حد قوله تَعَالَى : ﴿  
تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ، وقوله  
: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ .

شِعْرًا : إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابَدُوهُ      فَيَسْفِرُ عَنْهُمْ وَأَهُمُوا وَهُمُوا رُكُوعُ  
طَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ وَقَامُوا      وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعُ  
لَهُمْ تَحْتَ الظَّلَامِ وَهُمْ سُجُودُ      أَنْيِّنْ مِنْهُ تَنْفِرِجِ الضُّلُوعُ  
وَحُرْسٌ فِي النَّهَارِ لِطُولِ صَمْتِ      عَلَيْهِمْ مِنْ سَكَيْتِهِمْ خُشُوعُ  
آخِر : أَهْلُ الْخُصُوصِ مِنَ الصُّوَامِ صَوْمُهُمْ      صَوْنُ اللِّسَانِ عَنِ الْبُهْتَانِ وَالْكَذِبِ  
وَالْعَارِفُونَ وَأَهْلُ الْإِنْسِ صَوْمُهُمْ      صَوْنُ الْقُلُوبِ عَنِ الْأَعْيَارِ وَالْحُجْبِ  
آخِر : لَوْ يَعْلَمُ الرَّاقِدُونَ إِذْ رَقَدُوا      مَا فَاتَهُمْ وَيَحْتَهُمْ وَمَا فَقَدُوا  
مَا طَعَمَتْ فِي الظَّلَامِ أَعْيُنُهُمْ      غَمَضًا وَلَا فِي النَّهَارِ مَا قَعَدُوا  
وَلَا ثَنَى عَزَمَهُمْ إِذْ عَزَمُوا      أَهْلٌ وَلَا صَاحِبٌ وَلَا وَلَدُ  
وَلَوْ دَرَوْا وَيْلَهُمْ نَدَامَتَهُمْ      عَلَى زَمَانِ ضَيَاعِهِ قَصَدُوا  
إِلَّا انْصَدَعَتْ حَسْرَةً قُلُوبُهُمْ      وَخَانَهُمْ عَنِ ذَاكُمُ الْجَلَدُ  
آخِر : يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَىٰ مَالِ أَجُودٍ بِهِ      عَلَى الْمُقْلِينَ مِنْ أَهْلِ الدِّيَانَاتِ  
إِنَّ اغْتِدَارِي إِلَىٰ مَنْ جَاءَ يَسْأَلُنِي      مَا لَيْسَ يُمَكِّنُنِي إِحْدَى الْمَصِيبَاتِ  
آخِر : اجْعَلْ شِعَارَكَ حَيْثَمَا كُنْتَ التَّقَى      قَدْ فَازَ مَنْ جَعَلَ التَّقَى إِشْعَارَهُ

وَاسْلُكْ طَرِيقَ الْحَقِّ مُصْطَحِبًا بِهِ      إِخْلَاصَ قَلْبِكَ حَارِسًا أَسْرَارَهُ  
وَإِذَا أَرَدْتَ الْقُرْبَ مِنْ خَيْرِ الْوَرَى      يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاتَّبِعْ آثَارَهُ

والآيات والأحاديث في باب الخوف كثيرة جدًا منها ما ورد عن أبي مسعود رضي الله عنه قَالَ : حدثنا رسول الله ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ : « إِنْ أَحَدَكُمْ يَجْمَعُ خَلْقَهُ فِي بطن أمه أربعين يومًا نطفةً ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مِضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلِكُ فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بَكْتَبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِي أَوْ سَعِيدٍ » .

« فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ أَنْ أَحَدَكُمْ لِيَعْمَلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا ، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لِيَعْمَلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا » . متفق عليه .

وعنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَأْتِي يَوْمَئِذٍ جَهَنَّمَ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يَجْرُونَهَا » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قَالَ : سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ : « إِنْ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِرَجُلٍ يَوْضَعُ فِي أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغَهُ مَا يَرَى أَنْ أَحَدًا أَشَدَّ مِنْهُ عَذَابًا وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا » . متفق عليه .

شِعْرًا : أَمَا سَمِعْتَ بِأَكْبَادٍ لَهُمْ صَعَدَتْ      خَوْفًا مِنَ النَّارِ فَانْحَطَّتْ إِلَى النَّارِ  
أَمَا سَمِعْتَ بِضَيْقٍ فِي مَكَانِهِمْوَا      وَلَا فِرَارَ لَهُمْ مِنْ صَالِي النَّارِ  
أَمَا سَمِعْتَ بِحَيَاتٍ تَدْبُ بِهَا      إِلَيْهِمْوَا خُلِقَتْ مِنْ مَارِجِ النَّارِ  
فِيَا إِلَهِي بِأَحْكَامٍ وَمَا سَبَقَتْ      بِهِ قَدِيمًا مِنَ الْجَنَاتِ وَالنَّارِ  
أَدْعُوكَ أَنْ تَحْمِيَ الْعَبْدَ الضَّعِيفَ فَمَا      لِلْعَبْدِ مِنْ جَسَدٍ يَقْوَى عَلَى النَّارِ  
وَالشَّمْسُ مَا لِي عَلَيْهَا قَطُّ مِنْ جَلْدٍ      فَكَيْفَ يَصْبِرُ ذُو ضَعْفٍ عَلَى النَّارِ

## " موعظة "

عباد الله سيحيى يوم يتغير فيه هَذَا الْعَالَمُ يَنْفَطِرُ فِيهِ السَّمَاءُ وَيَنْتَشِرُ فِيهِ الْكُوكَبُ  
وَتَطْوِي السَّمَاءُ كَطَيِّ الصَّحِيفَةِ يَزِيلُهَا اللَّهُ وَيَطْوِيهَا جَلًّا وَعَلَا وَتَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ  
وَيَنْفَحُ فِي الصُّورِ فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءٌ كَمَا كَانُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَفَاءً عَرَاهُ غَرَلًا .  
وحيثُ يَحْشُرُ الْكَافِرَ أَعْمَى لَا يَرَى أَصْمَ لَا يَسْمَعُ أَحْرَسَ لَا يَتَكَلَّمُ يَمْشِي عَلَى وَجْهِهِ  
لِيَعْلَمَ مِنْ أَوَّلِ أَنَّهُ أَهْلٌ لِلْإِهَانَةِ وَيَكُونُ أَسْوَدَ الْوَجْهِ أَزْرَقَ الْعَيْنَيْنِ فِي مَتْنَهِي الْعَطَشِ فِي يَوْمِ  
مَقْدَارِهِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ إِلَّا مَقْدَارُ مِيلٍ إِذْ ذَاكَ يَقِفُ ذَاهِلَ الْعَقْلِ  
شَاخِصَ الْبَصَرِ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ وَفُؤَادُهُ هَوَاءٌ وَيُعْطَى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ  
فَيَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يُعْطِهِ .

ثُمَّ يُؤَمَّرُ بِهِ إِلَى النَّارِ وَيَسْلُكُ فِي سِلْسَلَةٍ ذَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَبَعْدَ دُخُولِهَا لَا يَخْرُجُ أَبَدًا  
وَلَا يَزِيدُهُ إِلَّا عَذَابًا إِذَا اسْتَعَاثَ مِنَ الْعَطَشِ يَغَاثُ بِمَاءِ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوَجْهَ وَيَذِيبُ  
الْأَمْعَاءَ وَالْجُلُودَ تَحِيطُ بِهِمْ جَهَنَّمَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَكُلَّمَا نَضَجَ جِلْدُهُ بَدَلَ غَيْرِهِ .  
وَلَهُ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ، كُلٌّ هَذَا الْعَذَابُ يَعْانِيهِ وَلَا يَمُوتُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ  
وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾  
وَسَوَاءٌ صَبَرَ أَوْ لَمْ يَصْبِرْ هُوَ خَالِدٌ فِي هَذَا الْعَذَابِ خَلُودًا لَا نَهَايَةَ لَهُ هَذَا أَقْصَى عَذَابٍ  
يَتَصَوَّرُ لِأَنَّهُ جَزَاءُ أَقْصَى جَرِيمَةٍ هِيَ الْكُفْرُ بِاللَّهِ هَذَا عَذَابٌ مَجْرَدٌ تَصَوَّرَهُ يَطِيْشُ الْعُقُولَ  
وَيَذْهَلُ النُّفُوسَ وَيَفْتَتِ الْأَكْبَادَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ وَأَسْأَلُ اللَّهَ التَّثْبِيتَ عَلَى  
الْإِسْلَامِ وَحَسَنَ الْإِعْتِقَادِ .

شِعْرًا : إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ  
خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ  
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفَلُ سَاعَةً  
وَلَا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ

لَهُونَا لَعَمْرُ اللَّهِ حَتَّى تَتَابَعَتْ      ذُنُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ ذُنُوبٌ  
فِيَا لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى      وَيَأْذَنَ فِي تَوْبَاتِنَا فَتُتُوبُ  
أَقُولُ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي      وَحَلَّ بِقَلْبِي لِلْهُمُومِ نَدُوبُ  
لِطُولِ جَنَائِي وَعُظْمِ خَطِيئَتِي      هَلَكْتُ وَمَا لِي فِي الْمَتَابِ نَصِيبُ  
وَيُذَكِّرُنِي عَفْوُ الْكَرِيمِ عَنِ الْوَرَى      فَأَحْيَا وَأَرْجُو عَفْوَهُ وَأُنِيبُ  
آخِر : الْحَمْدُ لِلَّهِ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ      كَمْ ذَاعَنِ الْمَوْتِ مِنْ سَاهٍ وَمَنْ لَاهٍ  
يَا ذَا الَّذِي هُوَ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ      طُوبَى لِعَبْدٍ حَقِيبِ الْقَلْبِ أَوَّاهٍ  
مَاذَا تُعَايُنُ هَذَا الْعَيْنُ مِنْ عَجَبٍ      عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى اللَّهِ  
فَاخْضَعُ فِي قَوْلِي وَأَرْغَبُ سَائِلًا      عَسَى كَاشِفُ الْبَلَوَى عَلَيَّ يُتُوبُ

اللَّهُمَّ انظمنا في سلك حزنك المفلحين ، واجعلنا من عبادك المخلصين وآمنا يوم الفرع  
الأكبر يوم الدين ، واحشرنا مع الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ  
وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، اللَّهُمَّ أهدنا لصالِح الأعمال والأخلاق  
لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عنا سيء الأعمال والأخلاق لا يصرف عنا سيئها  
إلا أنت وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى  
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَعَلَى وَصْحِهِ أَجْمَعِينَ .

### " فَصْلٌ "

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « يَعْرِقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى  
يَذْهَبَ عَرْفُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا وَيَلْجَمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ » . متفق عليه . وعنه  
قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجِبَةَ فَقَالَ : « هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا » ؟ قُلْنَا : اللَّهُ  
وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « هَذَا حَجَرٌ رَمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهُوَى فِي النَّارِ  
الآن انتهى إلى قعرها فسمعتم وجبتها » . رواه مسلم .

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غرلاً » . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، قَالَ : « يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَهْمَهُمْ ذَلِكَ » . وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ الْخَائِفِينَ مِنْهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ .

شِعْرًا : مَا قِيَمَةُ اللَّيْلِ لَمْ تَذْكُرْ بِظُلْمَتِهِ  
بِوَحْشَةِ الْقَبْرِ يَا مَنْ كَانَ يَعْتَبِرُ  
اسْتَعْفِرِ اللَّهَ يَا مَنْ قَدْ ظَفِرَتْ بِهَا  
فِي هَجَعَةِ النَّاسِ إِذَا يَغْشَاهُمْ السُّحْرُ  
إِذْ يَنْزِلُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَيَّ  
ذُنْيَا السَّمَاءِ لِكَيْ يَدْعُوَنَهُ الْبَشَرُ

وَفِي الْمَسْنَدِ وَالتِّرْمِذِيِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَوْلُ اللَّهِ : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ . أَهْوَى الَّذِي يَزِينُ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُ ، قَالَ : « لَا يَا ابْنَةَ الصَّدِيقِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيَصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَيَخَافُ أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْهُ » . قَالَ الْحَسَنُ : عَمِلُوا وَاللَّهُ بِالطَّاعَاتِ وَاجْتَهَدُوا فِيهَا وَخَافُوا أَنْ تَرُدَّ عَلَيْهِمْ إِنْ الْمُؤْمِنُ جَمَعَ إِحْسَانًا وَخَشْيَةً وَالْمَنَافِقَ جَمَعَ إِسَاءَةً وَأَمْنًا .

وَمِمَّا وَرَدَ فِي فِضَائِلِ الْخَوْفِ مَا فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « سَبْعَةٌ يَظْلِمُهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَالشَّابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مَعْلُوقٌ بِالْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تَنْفَقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » .

وَمِمَّا وَرَدَ فِي فَضِيلَةِ الْخَوْفِ مَا فِي الْحَدِيثِ الْأَخْرَجَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِذَا اقْشَعَرَ جِلْدُ الْعَبْدِ مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَحَاتْ ذُنُوبُهُ كَمَا يَتَحَاتُّ

عن الشَّجَرَةِ اليابسة ورقها . وَقَالَ ρ : « لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حَتَّى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخرى مُسْلِمٍ » .  
رَوَاهُ الترمذي .

وروى ابن حبان في صحيحة والبيهقي في الشعب من حَدِيثِ أَبِي هريرة أن النَّبِيَّ ρ قَالَ فيما يرويه عَنْ ربه قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : « وعزني وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ، ولا أجمع له أمين إن أمني في الدُّنْيَا أخفته يوم القيامة وأنى خافني في الدُّنْيَا أمنت يوم القيامة » .

ومقامات الخوف تختلف فَمِنْهُمْ من يغلب على قَلْبِهِ خوف الموت قبل التوبة والخُرُوج من المظالم ، وَمِنْهُمْ من يغلب عَلَيْهِ خوف الاستدراج بالنعم أو خوف الميل عَنْ الاستقامة على ما يرضي الله ، وقسم يغلب عَلَيْهِ خوف خاتمة السُّوء والعياذ بِاللَّهِ من ذَلِكَ ، وأعلى من هَذَا خوف السابقة لأن الخاتمة فرع السابقة ، وَقَدْ قَالَ : هؤلاء في الجَنَّةِ ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي .

ومن أقسام الخائفين من يخاف سكرات الموت ، وشدته لاسيما إِذَا كَانَ قَدْ عاين من يعاني سكرات الموت ، وَمِنْهُمْ من يخاف عذاب القبر ، وسؤال منكر ونكير ، وَمِنْهُمْ من يخاف هيبة الوقوف بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ ، والخوف من مناقشة الحساب ، والعبور على الصراط والخوف من النار وأنكالها وأهوالها أو حرمان الجَنَّةِ أو الحجاب عَنْ اللهُ تَعَالَى وَهُوَ خوف العارفين .

وما قبل ذَلِكَ هُوَ خوف الزاهدين والعبادين ، وخوف عموم الخلق يحصل بأصل الإِيمَانِ بِالْجَنَّةِ والنار وكونهما دارى جزاء على الطاعة والمعصية وضعف هَذَا الخوف بسبب العَفْلَةِ والركون إِلَى الدنيا ، والانهماك فيها ، وضعف الإِيمَانِ ، وتزول تلك العَفْلَةُ بالتذكر والوعظ وَالْإِرْشَادِ وملازمة الفكر

في أهوال يوم القيامة ، وشدائدها ، والعداب في الآخرة وبالنظر إلى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم فإن فاتت المشاهدة فالنظر في سيرة الصالحين الذين غلب عليهم الخوف ، قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ .

وقال : ﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابِي تَفْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ وقال : ﴿ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ وأخبر عما يقولونه بعد دخولهم الجنة ، ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ .

شِعْرًا : يَا نَفْسُ كُفِي فَطُولَ الْعُمْرِ فِي قِصْرِ  
يَا نَفْسُ قَضَيْتُ عُمْرِي فِي الدُّنُوبِ  
يَا نَفْسُ غَرَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ زُخْرُفُهَا  
يَا نَفْسُ بِالْغَتِ بِالْعِصْيَانِ غَاوِيَةٌ  
وَمَا أَرَى فِيكَ لِلتَّوْبِخِ مِنْ أَثَرِ  
دَنَا الْمَمَاتُ وَلَمْ أَقْضِ مِنَ الْوَطْرِ  
وَلَمْ تَكُونِي بِهِوْلِ الْمَوْتِ تَعْتَبِرِي  
وَلَمْ تُبَالِي بِتَحْذِيرِ وَمُرْدَجَرِ

آخر  
يَا مَنْ يُجِيبُ دَعَا الْمُضْطَرِّ فِي الظُّلَمِ  
قَدْ نَامَ وَفَدُكَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَأَنْتِهُوا  
هَبْ لِي بِجُودِكَ فَضْلَ الْعَفْوِ عَنْ  
إِنْ كَانَ عَفْوُكَ لَا يُدْرِكُهُ ذُو سَرَفِ  
يَا كَاشِفَ الضُّرِّ وَالْبَلْوَى مَعَ السَّقَمِ  
وَأَنْتَ عَيْنُكَ يَا قِيَوْمَ لَمْ تَنْمِ  
يَا مَنْ إِلَيْهِ أَشَارَ الْخَلْقُ فِي الْحَرَمِ  
فَمَنْ يَجُودُ عَلَى الْعَاصِينَ بِالْكَرَمِ

اللَّهُمَّ قُوِّ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَثَبَّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هِدَاةَ مَهْتَدِينَ سَلْمًا لِأَوْلِيَائِكَ حَرَبًا لِأَعْدَائِكَ ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا كِتَابَكَ وَارزُقْنَا الْعَمَلَ بِمَا أَوْدَعْتَهُ فِيهِ وَاجْعَلْهُ لِقُلُوبِنَا ضِيَاءً وَأَسْقَامَنَا دَوَاءً وَأَبْصَارَنَا جِلَاءً وَلذُنُوبِنَا مَحْصًا وَعَنْ النَّارِ مَخْلَصًا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## " فَصْلٌ "

وعلى العاقل الناصح لنفسه أن يحذر من مُجَالَسَةِ الظلمة الأَطْغِيَاءِ والجهلة ممن غلب عَلَيْهِمُ الأَمْنُ من مكر الله حَتَّى كَانَهُمْ حوسبوا وفرغ منهم ، فلم يخشوا بطش الله ، وسطوته ولا نار العَذَابِ ولا بعد الحجاب ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ فَهَذَا رسول الله ﷺ سيد الأولين والآخرين كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ خَوْفًا فِيهِ الصَّحِيحُ : « أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشِيَّةً » .

وَفِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ عَنْ أُمِّ العلاءِ امرأَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ أَنَّهُمْ اقْتَسَمُوا المِهَاجِرِينَ أَوَّلَ مَا قَدِمُوا عَلَيْهِمُ بِالقِرْعَةِ ، قَالَتْ فَطَارَ لَنَا - أَيِ وَقَع - فِي سَهْمِنَا عِثْمَانُ بْنُ مِطْعُونٍ مِنَ أَفْضَلِ المِهَاجِرِينَ وَأَكْبَرِهِمْ وَمَتَعْبِدِيهِمْ وَمَنْ شَهِدَ بَدْرًا .

فَاشْتَكَى فَمَرْضَاهُ حَتَّى إِذَا تَوَفَّى وَجَعَلْنَاهُ فِي ثِيَابِهِ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أبا السائبِ ، فَشَهِدَاتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَمَا يَدْرِيكَ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ » . فَقُلْتُ : لَا أَدْرِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمَا عِثْمَانُ فَقَدْ جَاءَهُ اليَقِينُ ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأَرْجُو لَهُ الحَيْرَ » . أَيِ فَالْإِنْكَارَ عَلَيْهِمَا مِنْ حَيْثُ جَزَمَهَا بِتِلْكَ الشَّهَادَةِ مِنْ غَيْرِ مُسْتَنْدَقِطْعِي ، فَكَانَ اللَّائِقُ بِهَا أَنْ تَأْتِيَ بِهَا فِي صَيْغَةِ الرَّجَاءِ لَا الْجَزْمِ كَمَا فَعَلَ ﷺ .

قُلْتُ : وَكثيْرًا مَا أَسْمَعُ وَأَرَى فِي الكُتُبِ قَوْلَ بَعْضِ النَّاسِ ( المَرْحُومِ ) أَوْ ( المَغْفُورُ لَهُ ) وَلَا أَدْرِي مَا هُوَ مُسْتَنْدَهُمْ بِإِيرَادِهَا بِصَيْغَةِ الْجَزْمِ والأوْلَى أَنْ يَقَالَ المَرْجُو لَهُ الرَّحْمَةُ وَالمَغْفِرَانِ . أ هـ .



ثُمَّ قَالَ : ρ « ما أدري ، وأنا رسول الله ما يفعل بي » . قَالَتْ : فوالله لا أزكي أَحَدًا بعده . أي على جهة الجزم وأما على جهة الرجاءِ وحُسن الظنِّ باللهِ فجائز ، قَالَتْ : وأحزني فتمت فرأيت لعثمان عينا تجري فجمت رسول الله ρ فقال : « ذَلِكَ عمله » .  
ولما توفي عثمان هذا قَبَلَ النَّبِيُّ ρ خَدَّهُ وبكى حتَّى سالت دموعه الكريمة على خد عثمان ، وبكى القوم فقال النَّبِيُّ ρ : « اذهب عَنْهَا أي الدُّنْيَا أبا السائب لقد خرجت عَنْهَا ولم تلبس بشيء » . وسماه ρ السَّلْفَ الصالح وهو أول من فُبرَ بالبقيع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

فتأمل زجره ρ عن الجزم بالشهادة على عثمان هذا مع كونه شهد بدرًا وما يدريك لعل الله أطلع على أهل بدر فقال : ( اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ) وكونه قَبَلَهُ وبكى ووصفه له بأعظم الأوصاف وهو أنه لم يتلبس من الدُّنْيَا بشيء وبأنه السَّلْفَ الصالح ، تعلم أنه ينبغي للعبد وإن عمل من الطاعات وما عمل أن يكون على حيز الخوف والخشية من الله تَعَالَى .

شِعْرًا : يَا رَبِّ هِيَ لَنَا أَمْرًا رَشَدًا      وَاجْعَلْ مَعُونَتَكَ الْعُظْمَى لَنَا سَنَدًا  
وَلَا تَكِلْنَا إِلَى تَدْيِيرِ أَنْفُسِنَا      فَالْعَبْدُ يَعْجَزُ عَنْ إِصْلَاحِ مَا فَسَدَا  
أَنْتَ الْعَلِيمُ وَقَدْ وَجَّهْتُ يَا أَمَلِي      إِلَى رَجَائِكَ وَجَهًّا سَائِلًا أَبَدًا  
وَلِلرَّجَاءِ ثَوَابٌ أَنْتَ تَعْلَمُهُ      فَاجْعَلْ ثَوَابِي دَوَامَ السَّتْرِ لِي أَبَدًا

وروى شداد بن أوس قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ρ : « الكَيْسُ من دان نَفْسَهُ وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نَفْسَهُ هواها ، وتمنى على الله الأماني » .  
وقال علي بن أبي طالب : وَقَدْ سلم من صلاة الفجر وقد علتة كآبة وهو يقلب يده ، لَقَدْ رَأَيْت أصحاب مُحَمَّدٍ ρ ، فلم أرى شيئًا يشبههم اليوم ،

لَقَدْ كَانُوا يَصْبِحُونَ شَعْتًا صَفْرًا غَبْرًا ، بين أعينهم أمثال ركب المعزى ، قَدْ باتوا لله سجداً ،  
 ، وقيامًا يتلون كتاب الله ويراوحون بين جباههم وأقدامهم .  
 فإذا أصبحوا ذكروا الله ، فما دوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهمت أعينهم بالدموع  
 حَتَّى تَبِلَ ثِيَابُهُمْ ، وَاللَّهِ كَأَنِّي بِالْقَوْمِ غَافِلِينَ .  
 ثُمَّ قَامَ فَمَا رُؤْيِي بَعْدَ ذَلِكَ ضَاحِكًا حَتَّى مَاتَ رَحْمَةً اللَّهُ عَلَيْهِ .

شِعْرًا : اللَّهُ دَرَّ رَجَالٍ وَاصَلُوا السَّهْرَا  
 فَهُمْ نُجُومُ الْهُدَى وَاللَّيْلُ يَعْرِفُهُمْ  
 كُلُّ غَدَا وَقْتُهُ بِالذِّكْرِ مُشْتَعِلًا  
 يُمَسِّي وَيُصْبِحُ فِي وَجْدٍ وَفِي قَلْقٍ )  
 يَقُولُ يَا سَيِّدِي قَدْ جِئْتُ مُعْتَرِفًا  
 حَمَلْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا لَا أَطِيقُ لَهُ  
 عَصِيئَةٌ وَهُوَ يُرْحِي سِتْرَهُ كَرَمًا  
 وَطَالَمَا كَانَ لِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ  
 وَإِنِّي تَائِبٌ مِمَّا جَنَيْتُ وَقَدْ  
 لَعَلَّ تَقْبَلُ عُذْرِي ثُمَّ تَجْبُرْنِي  
 وَقَدْ أَتَيْتُ بِذُلِّ رَاجِيًا كَرَمًا  
 ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى الْمُخْتَارِ سَيِّدِنَا  
 وَاسْتَعْدَبُوا الْوَجْدَ وَالتَّبْرِيحَ وَالْفِكْرَا  
 إِذَا نَظَرْتَهُمْ مَوَا هُمْ سَادَةٌ بُرْرَا  
 عَمَّا سِوَاهُ وَلِلذَاتِ قَدْ هَجَرَا  
 مِمَّا جَنَاهُ مِنَ الْعِصْيَانِ مُنْذَعِرَا  
 بِالذَّنْبِ فَاعْفُرْ لِي يَا خَيْرَ مَنْ عَفَّرَا  
 وَلَمْ أَطْعِ سَيِّدِي فِي كُلِّ أَمْرَا  
 يَا طَالَمَا قَدْ عَفَا عَنِّي وَقَدْ سَتَرَا  
 إِذَا اسْتَعْتَنْتُ بِهِ مِنْ كُرْبَةٍ نَصْرَا  
 وَافَيْتُ بِأَبْكَ يَا مَوْلَايَ مُعْتَذِرَا  
 يَوْمَ الْحِسَابِ إِذَا قَدِّمْتَ مُنْكَسِرَا  
 إِلَيْكَ يَا سَيِّدِي قَدْ جِئْتُ مُفْتَقِرَا  
 عِدَادَ مَا غَابَ مِنْ نَجْمٍ وَمَا ظَهَرَ

وقال معاوية لضرار بن حمزة الصدائي : صف عليًا . قال : ألا تعفيني . قال : بل  
 صفه . قال ألا تعفيني . قال : لا أعفيك . قال : أما إنه لا بد . فإنه كان بعيد المدى ،  
 واسع العلوم والمعارف ، لا تدرك غايته فيهما شديد القوى في ذات الله ، ونصرة دينه ،  
 يقول فضلًا ، ويحكم عدلاً ، ينفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ،  
 يستوحش من الدنيا ، وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته .

كَانَ وَاللَّهِ غَزِيرَ الدَّمْعَةِ ، طَوِيلَ الْفِكْرِ ، يَقْلِبُ كَفَّهُ ، تَأْسَفًا وَحَزْنًا ، إِذْ هَذَا فَعَلَ  
الْمَتَأَسِفَ الْحَزِينَ ، وَيَخَاطِبُ نَفْسَهُ ، بِالْمَرْعِجَاتِ ، وَالْمَقْلِقَاتِ ، يَعْجِبُهُ مِنَ اللِّبَاسِ مَا خَشِنَ  
، وَمِنَ الطَّعَامِ مَا حَضَرَ .

كَانَ وَاللَّهِ كَأَحَدِنَا إِذَا سَأَلْنَاهُ ، وَيَأْتِينَا إِذَا دَعَوْنَاهُ ، وَنَحْنُ وَاللَّهِ مَعَ تَقْرِبِهِ لَنَا وَقْرِبِهِ مِنَّا لَا  
نُكَلِّمُهُ هَيْبَةً لَهُ ، فَإِنَّ تَبَسُّمَ فَعْنِ مِثْلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَنْظُومِ ، يَعْظُمُ أَهْلَ الدِّينِ وَيُحِبُّ الْمَسَاكِينَ ،  
وَلَا يَطْمَعُ الْقَوِي فِي بَاطِلِهِ وَلَا يِيَّاسُ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ .

وَاشْهَدَ اللَّهُ لَقَدْ رَأَيْتَهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ ، وَقَدْ أَرْخَى اللَّيْلَ سِتْرَهُ ، وَغَارَتْ نَجُومُهُ ، وَقَدْ  
تَمَثَّلَ فِي مَحْرَابِهِ ، قَابِضًا عَلَى لِحْيَتِهِ ، يَتَمَلَّمُ تَمَلَّمِ اللَّدِيغِ ، وَيَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ ، وَكَأَنِّي  
سَمِعْتُهُ يَقُولُ : يَا رَبَّنَا يَا رَبَّنَا . يَضْرَعُ إِلَيْهِ .

ثُمَّ يَقُولُ : يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا إِلَيَّ تَعَرَّضْتَ أَمْ تَشَوْقِي هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ غَرِي غَرِي ، وَقَدْ  
بَسَّتْكَ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ لِي فِيكَ فَعَمْرُكَ قَصِيرٌ ، وَعَيْشُكَ حَقِيرٌ ، وَخَطْرُكَ كَبِيرٌ ، آهَ مِنْ قَلَّةِ  
الزَّادِ ، وَبَعْدَ السَّفَرِ ، وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ ، فَذَرَفَتْ عَيْنٌ مَعَاوِيَةَ عَلَى لِحْيَتِهِ ، فَمَا مَلَكَهَا وَهْوُ  
يَنْشَفُهَا بِكُمِّهِ ، وَقَدْ اخْتَنَقَ الْقَوْمُ بِالْبُكَاءِ .

قَالَ مَعَاوِيَةَ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا الْحَسَنِ كَانَ وَاللَّهِ كَذَلِكَ ، فَكَيْفَ حَزَنَكَ عَلَيْهِ يَا ضَرَارَ ؟  
قَالَ : حَزَنَ مِنْ وَاحِدِهَا فِي حَجْرِهَا فَلَا تَرَقَّا عِبْرَتَهَا وَلَا يَسْكُنُ حَزْنَهَا .

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ وَدَدْتُ لَوْ أَنِّي شَجْرَةٌ تُعْضَدُ وَكَذَا قَالَ طَلْحَةُ ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ أَحَدَ الْعَشْرَةِ .  
وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ حَصِينٍ : وَدَدْتُ أَنْ أَكُونَ رَمَادًا تَنْسِفُهُ الرِّيحُ .

وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ إِذَا تَوَضَّأَ أَصْفَرَ لَوْنَهُ ، فَيَقُولُ لَهُ أَهْلُهُ : مَا هَذَا الَّذِي يَعْتَادُكَ  
عِنْدَ الْوَضُوءِ ، فَيَقُولُ : أَتَدْرُونَ بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ أَرِيدُ أَنْ أَقُومَ . وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُمَا عَنْ الْخَائِفِينَ ، فَقَالَ : قُلُوبُهُمْ ، بِالْخَوْفِ قَرِحَةٌ ، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةٌ ، يَقُولُونَ كَيْفَ  
نَفْرَحُ وَالْمَوْتُ مِنْ وَرَائِنَا ، وَالْقَبْرُ أَمَامَنَا وَالْقِيَامَةُ

موعدنا ، وعلى جهنم طريقنا وبين يدي الله موقفنا ، وَهَذَا مِنْهُ بَيَانٌ عَنِ الْخَائِفِينَ بِحَسَبِ  
حَالِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ .

شِعْرًا :

وَمَا مِنْ يَخَافُ الْبَعْثَ وَالنَّارَ آمِنٌ      وَلَكِنْ حَزِينٌ مُوجِعُ الْقَلْبِ خَائِفٌ  
إِذَا مَرَّ ذِكْرُ الْمَوْتِ أَوْجَعَّ قَلْبَهُ      وَهَيَّجَ أَحْزَانًا ذُنُوبٌ سَوَالِفُ

ومر الحسن البصري رحمه الله بشاب وهو مستغرق في ضحكه جالس مع قوم فقال له  
الحسن : يَا فَتَى هَلْ مَرَرْتَ بِالصَّرَاطِ ؟ قَالَ : لَا . فَقَالَ : فَهَلْ تَدْرِي إِلَى الْجَنَّةِ تَصِيرُ أَمْ  
إِلَى النَّارِ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَمَا هَذَا الضَّحْكُ . قَالَ : فَمَا رُؤْيِي ذَلِكَ الْفَتَى بَعْدَهَا  
ضَاحِكًا .

وَرُوي عَنْ ميسرة ابن أبي ميسرة أنه كَانَ إِذَا أوى إِلَى فِرَاشِهِ يَقُولُ : يَا لَيْتَنِي لَمْ تَلِدْنِي  
أُمِّي . فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ حِينَ سَمِعَتْهُ : يَا ميسرة إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ ، هَذَاكَ لِلْإِسْلَامِ .  
قَالَ : أَجَلٌ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَدْ بَيَّنَّ لَنَا أَنَّا وَارِدُونَ عَلَى النَّارِ ، وَلَمْ يَبَيِّنْ لَنَا أَنَّا صَادِرُونَ عَنْهَا .  
أَيُّ لَا جِزْمَ عِنْدَهُ أَنَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ النَّاجِينَ فَلِذَا اشْتَدَّ خَوْفُهُ مِنْهَا .

وَكَانَ عَطَاءُ السَّلْمِيِّ مِنَ الْخَائِفِينَ ، وَقِيلَ لَهُ فِي مَرَضِهِ : أَلَا تَشْتَهِي شَيْئًا . فَقَالَ : إِنْ  
خُوفَ جَهَنَّمَ لَمْ يَدْعَ فِي قَلْبِي مَوْضِعًا لِلشَّهْوَةِ .

وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : لِمَاذَا إِذَا وَعِظَ بَعْضُ النَّاسِ خَوْفَ وَأَبْكَى ، وَبَعْضُهُمْ يَتَكَلَّمُ وَيَبْكِي  
وَيَخُوفُ وَلَا يَبْكُونَ ، فَقَالَ : لَيْسَتْ النَّائِحَةُ الشَّكْلَى كَالنَّائِحَةِ الْمُسْتَأْجِرَةِ .

وَحَكَى أَنَّ قَوْمًا وَقَفُوا بِعَابِدٍ وَهُوَ يَبْكِي فَقَالُوا : مَا الَّذِي يَبْكِيكَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ قَالَ :  
قَرِحَةٌ يَجِدُهَا الْخَائِفُونَ فِي قُلُوبِهِمْ قَالُوا : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : رُوْعَةُ النَّدَاءِ بِالْعَرَضِ عَلَى اللَّهِ عِزِّ  
وَجَلِّ .

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه : إن المؤمن لا يسكن روعه ، حتى يترك جسر جهنم وراءه . هذيه نماذج من مخاوف السلف ، ونحن أجدر بالخوف منهم ، لكن ليس بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة .

وإلا فليس أمننا وعدم خشوعنا لقله ذنوبنا ، وكثرة طاعاتنا ، بل فادتنا شهواتنا وغلبت علينا شقوتنا وإهما كنا في الدنيا وزينتها وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا فلا بقرب الرحيل نتبه ، ولا بكثرة الذنوب تتحرك ، ولا بمشاهدة أحوال الخائفين نخوفنا ولا بخطر الخاتمة انزعجنا ، فنسأل الله أن يتداركنا بلطفه وإحسانه وأن يجود علينا بفضله ورحمته إنه على كل شيء قدير .

شِعْرًا : فَوَحَقَّ مَنْ سَمَكَ السَّمَاءَ بِقُدْرَةٍ وَالْأَرْضَ صَيْرَ لِلْعِبَادِ مِهَادًا  
 إن المَطَرَّ على الذُّنُوبِ لَهَالِكٌ صَدَقْتَ قَوْلِي أَوْ أَرَدْتَ عِنَادًا  
 شِعْرًا : أَجَلُ ذُنُوبِي عِنْدَ عَفْوِكَ سَيِّدِي حَقِيرٌ وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي عَظَائِمًا  
 وَمَا زِلْتَ غَفَّارًا وَمَا زِلْتَ رَاحِمًا وَمَا زِلْتَ سَتَارًا عَلَى الْجَرَائِمَا  
 لِنِ كُنْتُ قَدْ تَابَعْتُ جَهْلِي فِي الْهَوَى وَقَضَيْتُ أَوْطَارَ الْبَطَالَةِ هَائِمًا  
 فَهَا أَنَا قَدْ أَقْرَرْتُ يَا رَبُّ بِالَّذِي جَيْتُ وَقَدْ أَصَبَحْتُ حَيْرَانَ نَادِمًا  
 آخِر : أَتَذْهَلُ بَعْدَ إِنْذَارِ الْمَنَائِيَا وَقَبَلَ النَّزْعِ أَنْبَضَتِ الْحَنَائِيَا ؟  
 رُوَيْدَكَ لَا يَغُرُّكَ كَيْدُ دُنْيَا هِيَ الْمِرْنَانُ مُصْمِيَةُ الرَّمَائِيَا  
 أَتَرْجُو الْخُلْدَ فِي دَارِ التَّفَانِي وَأَمَّنَ السَّرْبِ فِي خُطَطِ الْبَلَايَا ؟  
 وَتُغْلِقُ دُونَ رَبِّبِ الدَّهْرِ بَابَا كَأَنَّكَ آمِنٌ قَرَعَ الرَّزَائِيَا  
 وَأَنَّ الْمَوْتَ لَا زَمَةَ قَرَاهُ لُزُومَ الْعَهْدِ أَعْنَاقَ الْبَرَايَا  
 لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهُ غَازٍ لَهُ الْمِرْبَاعُ مِنَّا وَالصَّفَايَا

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا لَصَاحِ الْأَعْمَالِ وَأَتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ وَأَعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْحَزَنِ وَالْبُورِ وَأَدْخِلْنَا بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" فائدة جليظة من كلام ابن القيم وشيخ الإسلام رحمهما الله "

قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ .

فلاية الأولى في الجهاد الذي هو كمال القوة الغضبية ، والثانية في النكاح الذي هو كمال القوة الشهوانية فالعبد يكره مواجهة عدوه بقوته الغضبية خشية على نفسه منه ، وهذا المكروه خير له في معاشه ومعاده ، ويجب المودعة والمتاركة وهذا المحبوب شر له في معاشه ومعاده .

وكذا يكره المرأة لوصف من أوصافها وله في إمساكها خير كثير لا يعرفه ويجب المرأة لوصف من أوصافها وله في إمساكها شر كثير لا يعرفه فالإنسان كما وصفه خالقه ظلم جهول . قُلتُ : ولقد أجاد القائل :

شِعْرًا : إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً      أَتَتْهُ الرَّزَايَا مِنْ وُجُوهِ الْمَكَاسِبِ  
وَقَدْ جَرَّتِ الْخُنْفَاءُ حَتْفَ حُدَيْفَةٍ      وَكَانَ يَرَاهَا عُدَّةً لِلشَّدَائِدِ

آخر : إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ لِلْفَتَى      فَأَكْثَرَ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ  
فلا ينبغي أن يجعل المعيار على ما يضره وينفعه ميله وحبه ونفرته وبغضه ، بل المعيار على ذلك ما اختاره الله له بأمره ونهيه ، فانفع الأشياء له على الإطلاق طاعة ربه بظاهره وبباطنه .

وأضر الأشياء عليه على الإطلاق معصيته بظاهره وبباطنه فإذا قام بطاعته

وعبوديته مخلصاً له ، فكل ما يجري عَلَيْهِ مِمَّا يكرهه يكون خيراً له وَإِذَا تَخَلَّى عَنْ طَاعَتِهِ  
وعبوديته فكل ما هُوَ فيه محبوب هُوَ شرُّ له .

فمن صحت له معرفة ربه والفقهِ في أسمائه وصفاته علم يقيناً أن المكروهات التي تصيبه  
والحن التي تنزل به فيها ضروب من المصالح والمنافع التي لا يحصيها علمه ولا فكرته بل  
مصلحة العبد فيما يكره أعظم مِنْهَا فيما يجب .

فعامة مصالح النفوس في مكروهاها ، كما أن عامة مضارها وأسباب هلكتها في  
محبوباتها ، انظر إلى غارس جنة من الجنات خبير بالفلاحة غرس جنة وتعهدا بالسقي  
والإصلاح حتَّى أثمرت أشجارها فاقبل عَلَيْهَا يفصل أوصالها ويقطع أغصانها لعلمه أنها لو  
خليت على حالها لم تطب ثمرتها فيطعمها من شجرة طيبة الثمرة .

حتى إِذَا التحمت بها واتحدت وأعطت ثمرتها ، أقبل يقلمها ويقطع أغصانها الضعيفة  
التي تذهب قوتها ويذيقها ألم القطع والحديد لمصلحتها وكما لها ، لتصلح ثمرتها أن تكون  
بحضرة الملوك ، ثُمَّ لا يدعها ودواعي طبعها من الشراب كُلِّ وَقْت ، بل يعطشها وقتاً  
ويسقيها وقتاً ، ولا يترك عَلَيْهَا دَائِمًا وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ أنضر لورقها وأسرع لنباتها .

ثُمَّ يعد إلى تلك الزينة التي تحول بين ثمرتها وبين كمال نضجها واستوائها ، كما في  
شجرة العنب ونحوه ، فهو يقطع أعضائها ، بالحديد ، ويلقي عَنْهَا كثيراً من زيتها وَذَلِكَ  
عين مصلحتها فلو أنها ذات تمييز وإدراك كالحَيَوَان لتوهمت أن ذَلِكَ إفسادٌ لها وأضرارٌ بها  
، وإنما هُوَ عين مصلحتها .

وكَذَلِكَ الأب الشفيق على ولده العالم بمصلحته ، إِذَا رأى مصلحته في أن يمسك عَنْهُ  
العطاء لم يعطه ولم يوسع عليه ، لعلمه أن ذَلِكَ أكبر الأسباب إلى فسادِه وهلاكه .

وَكَذَلِكَ يَمْنَعُهُ كَثِيرًا مِنْ شَهَوَاتِهِ حُمِيَّةً لَهُ وَمَصْلَحَةً لَا بُخْلًا عَلَيْهِ ، فَأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ  
وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَأَعْلَمَ الْعَالَمِينَ الَّذِي هُوَ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَمِنْ آبَائِهِمْ  
وَأُمَّهَاتِهِمْ ، إِذَا أَنْزَلَ بِهِمْ مَا يَكْرَهُونَ كَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَنْ لَا يُنْزِلَهُ بِهِمْ ، نَظَرًا مِنْهُ لَهُمْ  
وَإِحْسَانًا إِلَيْهِمْ وَلُطْفًا بِهِمْ .

وَلَوْ مُكِّنُوا مِنَ الْإِخْتِيَارِ لِأَنْفُسِهِمْ لَعَجِزُوا عَنِ الْقِيَامِ بِمَصَالِحِهِمْ عِلْمًا وَإِرَادَةً وَعَمَلًا ،  
لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ تَوَلَّى تَدْبِيرَ أُمُورِهِمْ بِمُوجِبِ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ أَحَبُّوا أَمْ كَرَهُوا ، فَعَرَفَ  
ذَلِكَ الْمُوقِنُونَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ فَلَمْ يَتَّهَمُوهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِهِ وَخَفِيَ ذَلِكَ عَلَى الْجُهَّالِ  
بِهِ وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ، فَنَارَعُوهُ تَدْبِيرَهُ وَقَدَّحُوا فِي حِكْمَتِهِ ، وَلَمْ يَنْقَادُوا لِحُكْمِهِ ، وَعَارَضُوا  
حُكْمَهُ بِعُقُولِهِمُ الْفَاسِدَةَ وَأَرَائِهِمُ الْبَاطِلَةَ وَسِيَاسَاتِهِمُ الْجَائِرَةَ فَلَا لِرَبِّهِمْ عَرْفُوا وَلَا لِمَصَالِحِهِمْ  
حَصَلُوا . وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

وَقَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ مِنْ تَمَامِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُنْزَلَ بِهِمْ مِنَ الضَّرِّ  
وَالشَّدَّةِ مَا يُلْجِئُهُمْ إِلَى تَوْحِيدِهِ فَيَدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَيَرْجُوهُ وَلَا يَرْجُونَ أَحَدًا سِوَاهُ  
فَتَتَعَلَّقُ قُلُوبُهُمْ بِهِ لَا بَعِيرَهُ فَيَحْضُلُ لَهُمْ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالْإِنَابَةِ وَحَلَاوَةِ الْإِيمَانِ وَذَوْقِ  
طَعْمِهِ .

وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشَّرِكِ مَا هُوَ أَعْظَمُ نِعْمَةً عَلَيْهِمْ مِنْ زَوَالِ الْمَرَضِ وَالْخَوْفِ أَوْ الْجُدْبِ  
وَالضَّرِّ وَمَا يَحْضُلُ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ الْمُخْلِصِينَ لِلَّهِ فَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُعْبَرَ عَنْهُ مَقَالٌ وَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ  
مِنْ ذَلِكَ نَصِيبٌ بِقَدْرِ إِيْمَانِهِ وَلِهَذَا قِيلَ : يَا ابْنَ آدَمَ لَقَدْ بُورِكَ لَكَ فِي حَاجَةٍ أَكْثَرَتْ فِيهَا  
مِنْ قَرَعِ بَابِ سَيِّدِكَ .

وَطَوْرًا تَكُونُ الْمَصَائِبُ انْتِقَامًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِمُخَالَفَةِ الْعَبْدِ أَمْرَ رَبِّهِ كَمَعْصِيَةِ آدَمَ مِنْ  
أَكْلِ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاها اللَّهُ عَنِ الْأَكْلِ مِنْهَا فَأَكَلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ مَعْصِيَةً جَزَاءً عِصْيَانِهِ كَمَا  
أَنَّهَا تَكُونُ لِمَحْوِ الذُّنُوبِ وَتَطْهِيرِ الْقُلُوبِ مِنْ رِجْسِ الْمَعَاصِي .



وَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا حَزَنٍ وَلَا حَزْنٍ وَلَا أذى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ » . أ . ه .

وَالْحِكْمَةُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ فِي ذَلِكَ أَنَّهَا مُرِيَّةٌ لِلنُّفُوسِ وَتُزْنُّهَا عَلَى اخْتِمَالِ الشَّدَائِدِ وَالصَّبْرِ الْجَمِيلِ عَلَى الْإِنَاءَاتِ وَالرَّزَانَةِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ فَتَبْلُغُ بِصَاحِبِهَا إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ الْكَمَالِ وَبُلُوغِ الْعَايَاتِ لِذَلِكَ بَجْدِ الرَّجَالِ الْأَجَادِ الَّذِينَ هُمْ أَشَدُّ مُعَانَةً لِلشَّدَائِدِ فِي حَيَاتِهِمْ وَصَبَرُوا عَلَى الْمَصَائِبِ وَالْآلَامِ الَّتِي تَنَالُهُمْ عِنْدَ قِيَامِهِمْ بِالِدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ذَكَرَهُمْ بَاقٍ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَأَجْرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَام .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارزُقْنَا الْقِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَجَنِّبْنَا مَا يُسْخِطُكَ وَأَصْلِحْ نِيَاتِنَا وَذُرِّيَاتِنَا وَأَعِدْنَا مِنْ شَرِّ نَفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا وَأَعِدْنَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاجْعَلْ هَوَانًا تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ ﷺ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( فَصْلٌ ) : وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ مَا قُدِّرَ لَهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ .

وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ مُطْمَئِنَّةٌ لِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ، الَّذِينَ تُصِيبُهُمُ الْمَصَائِبُ فِي الدُّنْيَا مِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مِثْلُ الْمُؤْمِنِ كَمِثْلِ الْحَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ تَفِيئُهَا الرِّيحُ مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى حَتَّى تَهِيَجَ وَمِثْلُ الْكَافِرِ كَمِثْلِ الْأُرْزَةِ الْمُجَدَّبَةِ عَلَى أَصْلِهَا لَا يَفِيئُهَا شَيْءٌ يَكُونُ الْجَعَا فَمَا مَرَّةً وَاحِدَةً » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

وَعَنْ جَابِرِ مَرْفُوعًا : « يَوَدُّ نَاسٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ جُلُودَهُمْ كَانَتْ تُفْرَضُ بِالْمَقَارِيطِ فِي الدُّنْيَا لِمَا يَرَوْنَ مِنْ ثَوَابِ أَهْلِ الْبَلَاءِ » .

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً قَالَ : « الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ ، زِيدَ فِي بَلَائِهِ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : ( يُبْتَلَى الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُؤْمِنَةُ فِي بَدَنِهِ وَفِي مَالِهِ وَفِي وَلَدِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ ) . صَحَّحَهُمَا التِّرْمِذِيُّ وَرَوَى الثَّانِي مَالِكٌ وَأَحْمَدُ .

وَوَرَدَ مَرْفُوعًا : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَصَابَهُ سَقَمٌ ثُمَّ أَعْفَاهُ اللَّهُ مِنْهُ كَانَ كَقَارَةٍ لِمَا مَضَى مِنْ دُنُوبِهِ وَمَوْعِظَةٍ لَهُ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ وَإِنَّ الْمُنَافِقَ إِذَا مَرَضَ ثُمَّ أُعْفِيَ كَانَ كَالْبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ ثُمَّ أَرْسَلُوهُ فَلَمْ يَدِرْ لِمَ عَقَلُوهُ وَلِمَ أَرْسَلُوهُ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ قَدْ يَعْرِضُ لِلْمَرِيضِ وَالْمُحْتَضِرِّ فَيُؤْذِيهِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَقَدْ رَوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ مِنْ بَأْسِ الْغَرَقِ وَالْحَرَقِ وَالْهَدْمِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ » . أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ .

وفي حديث آخر أن إبليس لا يكون في حالٍ أشدَّ منه على ابن آدم عند الموت يقول لأَعْوَانِهِ : دُونَكُمْوهُ فَإِنَّهُ إِن فَاتَكُمْ الْيَوْمَ لَمْ تَلْحَقُوهُ .

وَقَدْ يَسْتَوِي عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَئِذٍ فَيُضِلُّهُ فِي اعْتِقَادِهِ وَرُبَّمَا حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ وَرُبَّمَا مَنَعَهُ مِنَ الْخُرُوجِ مِنْ مَظْلَمَةٍ أَوْ أَيَّسَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ .

وَيَقُولُ لَهُ : قَدْ أَقْبَلْتُ إِلَيْكَ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ الَّتِي لَا تَطِيقُهَا الْجِبَالُ وَنَزَعُ الْمَوْتِ شَدِيدٍ وَرُبَّمَا خَوْفُهُ وَأَقْلَقُهُ وَأَوْقَعَهُ فِي الْوَسَاوِسِ وَالْإِعْتِرَاضِ عَلَى الْقَدْرِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ .

فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ هَذَا السَّاعَةَ سَاعَةُ خُرُوجِ الرُّوحِ حِينَ يَحْمِي الْوَطِيسَ فَيَنْجَلِدُ وَيَتَصَبَّرُ وَيَسْتَعِينُ بِاللَّهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ عَلَى هَذَا الْعَدُوِّ الْمُرْصَدِ لِيَرْجِعَ هَذَا الْعَدُوَّ خَائِبًا .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِيُنْضِي شَيْطَانَهُ كَمَا يُنْضِي أَحَدُكُمْ بَعِيرَهُ فِي السَّفَرِ » .

ويعلم أن الجزع لا يفيد شيئاً وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال : ما أحب أن تُهَوَّنَ عَلَيَّ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ إِنَّهُ آخِرُ مَا يَكْفُرُ بِهِ عَنْ الْمُسْلِمِ .

وعن إبراهيم قال كانوا يستحبون للمريض أن يحمد الله عند الموت ، وعن ابن عباس أنه قال آخر شدة يلقاها المؤمن الموت .

واعلم أن المرض يذهب الخطايا وكلما اشتد المرض كان أذهب لها عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَمَسَسْتُهُ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا ، فَقَالَ : « أَجَلُ إِيَّيْ أُوْعَكُ كَمَا يُوعَكُ رُجْلَانِ مِنْكُمْ » . قُلْتُ : ذَلِكَ بِأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ . قَالَ : « أَجَلُ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللَّهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « ما من مُصيبة تُصيب المسلم إلا كفر الله عزَّ وجلَّ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشوكة يشاكيها » . رواه البخاري ومسلم .  
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وفي ماله وفي ولده » .

وعن صهيب قال : قال رسول الله ﷺ : « عَجِبْتُ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَمَرَهُ كُلُّ خَيْرٍ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ فَشَكَرَ كَانَ خَيْرًا وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ فَصَبَرَ كَانَ خَيْرًا لَهُ » . أخرجه مسلم .

وعن أبي سعيد الخدري قال : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ فوجدت حره بين يدي ( فوق اللحاف ) فقلت : يا رسول الله ما أشدها عليك ، قال : « إنا كذلك يُضعف لنا البلاء ويُضعف لنا الأجر » .

قلت : يا رسول الله أيُّ النَّاسِ أشدُّ بلاءً؟ قال : « الأنبياء » . قلت ثم من؟ قال : « الصالحون إن كان ليبتلي بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يُجويها وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء . » . رواه ابن ماجه .

وعن عبد الله بن أحمد قال : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : حدثنا وكيع عن أبي حيان عن أبيه قال : دَخَلُوا عَلَى سُؤَيْدِ بْنِ شُعْبَةَ الْيَرْبُوعِيِّ وَقَدْ صَارَ عَلَى فَرَاشِهِ كَأَنَّ فَرْخَ وَامْرَأَتَهُ تُنَادِيهِ مَا نُطْعِمُكَ مَا نَسْتَقِيكَ ، فَأَجَابَهَا بِصَوْتٍ خَفِيَ دَبَّرَتِ الْحَرَاقِفُ وَطَالَتِ الصَّجْعَةُ وَمَا أَحَبُّ أَنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَقَصَنِي مِنْهُ قُلَامَةً ظَفُرٌ ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا رَأَيْتُ الْوَجَعَ عَلَى أَحَدٍ أَشَدَّ مِنْهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وكان جماعة من السلف يجعلون مكان الأنين والتأوه من شدة المرض ذكر الله سبحانه والاستغفار والتعبد وذلك لان الأنين ونحوه شكوى فمتى أمكن التصبر عنه فينبغي أن يصبر .

شِعْرًا : وَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ ثُمَّ تَنْقُضِي وَيَذْهَبُ هَذَا كُلُّهُ وَيَزُولُ  
 فإن غلب عليه المرض عذر ، وقال الإمام أحمد لابنِهِ : أقرأ عليَّ حديث طاووس أنه  
 كره الأنين في المرض فقرأ عليه فَمَا أَنَّ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ .  
 وَلَمَّا احْتَضَرَ صَفْوَانُ بْنُ سُلَيْمٍ وَحَضَرَهُ أَخُوهُ فَجَعَلَ يَتَقَلَّبُ قَالُوا : كَانَ لَهُ حَاجَةٌ .  
 قال : نَعَمْ .

فَقَالَتْ ابْنَتُهُ : مَا لَهُ مِنْ حَاجَةٍ إِلَّا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ تَقُومُوا عَنْهُ فَيَقُومُ فَيُصَلِّي ، وَمَا ذَاكَ  
 فِيهِ .

فَقَامَ الْقَوْمُ عَنْهُ وَقَامَ إِلَى مَسْجِدِهِ يُصَلِّي فَصَاحَتْ ابْنَتُهُ بِهِمْ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَحَمَلُوهُ  
 فَمَاتَ .

ودخلوا على أحد السلف وهو يعانى سكرات الموت فجعل يكبر ويهمل ويذكر الله عزَّ  
 وجلَّ وجعل الناس يدخلون عليه أرسالاً يسلمون عليه فيرد عليهم ويخرجون .  
 فَلَمَّا كَثُرُوا عَلَيْهِ أَقْبَلَ عَلَى وَلَدِهِ فَقَالَ : يَا بُنَيَّ أَعْفِنِي رُدَّ السَّلَامَ عَلَى هَؤُلَاءِ لَا يَشْغَلُونِي  
 عَنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ .

وقال أبو محمد الحريري : حَضَرْتُ عِنْدَ الْجُنَيْدِ قَبْلَ وَقَاتِهِ بِسَاعَتَيْنِ فَلَمْ يَزَلْ تَالِيًا  
 وَسَاجِدًا فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى مِنْ الْجُهْدِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ  
 أَحْوَجُ مَا كُنْتُ إِلَيْهِ هَذِهِ السَّاعَةَ فَلَمْ يَزَلْ تَالِيًا وَسَاجِدًا حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا وَخَرَجَ مِنْهَا عَارِيًا  
 كَمَا دَخَلَهَا عَارِيًا .

وَهَكَذَا كُلُّ بَنِي آدَمَ يَدْخُلُ الْإِنْسَانُ مُجَرَّدًا مِنَ اللِّبَاسِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا عَارِيًا إِلَّا مَنْ كَفَّنَهُ  
 كَمَا قِيلَ :

شِعْرًا : نَصِيئِكَ مِمَّا تَجْمَعُ الدَّهْرَ كُلَّهُ رِذَاءَ أَنْ تُلَوَّى فِيهِمَا وَخُنُوطُ

آخر : فَمَا تَزُودَ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ سِوَى حُطُوطِ غَدَاةِ الْبَيْنِ فِي خِرْقٍ  
وَعَيْرِ نَفْحَةِ أَعْوَادِ تُشْبُّ لَهُ وَقَالَ مِنْ زَادٍ لِمُنْطَلِقِ

أَوْجَدَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لِيَتَعَلَّمَ وَيَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَيَتَمَتَّعَ بِخَيْرَاتِ الدُّنْيَا مُسْتَعِينًا فِيهَا  
عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ حَتَّى إِذَا انْقَضَى أَجَلُهُ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لِدَارِ الْجَزَاءِ وَالْمُحَاسَبَةِ عَلَى عَمَلِهِ .  
فَإِنْ أَحْسَنَ التَّصَرُّفَ وَأَطَاعَ رَبَّهُ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ لِيَسْعَدَ فِيهَا لِلْأَبَدِ ، وَإِنْ أَسَاءَ التَّصَرُّفَ  
وَعَصَى رَبَّهُ أَدْخَلَهُ نَارَ جَهَنَّمَ يَتَعَذَّبُ فِيهَا لِلْأَبَدِ .

وكل ما في الدنيا من أمتعةٍ ولذائِدٍ قليلةٍ وضيعةٍ ومحدودةٍ بالنسبةٍ للذائدِ الجنَّةِ بل  
موضع السوطِ في الجنَّةِ خيرٌ من الدنيا وما فيها .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا  
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

والمكث في الدنيا قليل فهو سنوات تمر كالبرق الخاطف لا يشعر الإنسان إلا وقد  
انتهت كأنها ساعة من نهار حياته كلها .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ  
بَيْنَهُمْ ﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن رَأَاهَا دَارَ قَرَارٍ ، وَقَالَ : لَا دَارَ لِي سِوَاهَا وَاعْتَنَى بِهَا  
وَبَزْخَارِفِهَا وَغَرَّةِ إِبْلِيسَ لَعْنَهُ اللَّهُ وَرَبَّنَهَا لَهُ فَانْعَمَسَ فِيهَا ، وَعَمِلَ لَهَا لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ  
وَتَعَبَ فِيهَا مُسْتَمْتِعًا بِخَيْرَاتِهَا الْفَانِيَةِ وَمُلَاقٍ بِلَاءِهَا وَأَنْكَادِهَا وَأَكْدَارِهَا ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ هَجَمَ  
عَلَيْهِ هَادِمُ اللَّذَاتِ وَأَيَّقِظُهُ مِنْ عَقْلَتِهِ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ فَنَدِمَ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمَ وَعَرَفَ  
بَعْدَ الْفَوْتِ أَنَّ الدُّنْيَا دَارٌ مِّنْ لَا دَارَ لَهُ وَهَهَا يَجْمَعُ مِنْ لَا عَقْلَ لَهُ .

( فَصْلٌ ) : وَقَسَمَ مِنَ النَّاسِ وَقَفَّهُمُ اللَّهُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ فَأَسْعَدَهُمُ بِالْإِسْلَامِ  
وَوَقَّفَهُمُ لِلْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيهِ .

قَالَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ وهؤلاء تَمَشُّوا مَعَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَصْلَحُوا دُنْيَاهُمْ وَجَدُّوا وَاجْتَهَدُوا وَعَمِلُوا لِلْآخِرَةِ .

فَالدُّنْيَا نِعْمَ الْمَطِيئَةُ لِلْمُؤْمِنِ يَسْتَعْمِلُهَا لِلْخَيْرِ وَيَنْجُو عَلَيْهَا مِنَ الشَّرِّ فَاتَّخَذَهَا مَطِيئَةً فَعَمَرَهَا كَمَا أَمَرَهُ خَالِقُهُ وَأَخَذَ مِنْهَا مَا يَلْزُمُهُ بِإِعْتِدَالٍ وَتَوَازُنٍ وَلَمْ يُعْلَقْ قَلْبُهُ بِهَا .

فَأَطَاعَ رَبَّهُ وَاسْتَعَدَّ لِآخِرَتِهِ فَلَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ وَجَدَهُ عَلَى أَتَمِّ الْإِسْتِعْدَادِ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ رَأَى الدُّنْيَا تَافِهَةً وَأَيَامَهَا قَلِيلَةً وَعِلْمَ مَا فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَعِيمٍ مُقِيمٍ وَعَيْشٍ سَلِيمٍ وَعِلْمَ أَنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ مَلِكٌ ﴿ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ ﴿ الَّذِي لَهُ ﴾ ﴿ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

فَأَحَبَّ رَبَّهُ وَاشْتَغَلَ بِعِبَادَتِهِ وَبِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِالْعِلْمِ وَفَعَلَ الْحَيْرَ وَتَرَكَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَزَهَدَ فِيهَا .

وَهَذَا الْقِسْمُ نَادِرٌ كَنْدَرَةُ الْمَاسِ وَالْجَوْهَرُ الثَّمِينُ فَسَعِدُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ وَصَرَفَ الْوَقْتَ فِيمَا يَرْضِيهِ . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ جَهَلَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ فَعَاشَ فِيهَا عَيْشَ الْبِهَائِمِ يَعْمَلُ لِيَلَهُ وَنَهَارَهُ .

وَيَأْكُلُ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ فَلَمْ يَسْتَفِدْ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَسْتَعِدْ لِلْآخِرَةِ هَؤُلَاءِ هُمُ الْأَكْثَرِيَّةُ السَّاحِقَةُ . وَأَسْوَأُ النَّاسِ مَنْ شَغَلَ عَمْرَهُ فِي خِدْمَةِ مَخْلُوقٍ وَضَيَعَ وَقْتَهُ فِي الْقَيْلِ وَالْقَالِ وَالْجُلُوسِ عِنْدَ الْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ .

وَرَوَى أَنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَبْدٌ أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ .

شِعْرًا : وَأَسْوَأُ النَّاسِ تَدْبِيرًا لِعَافِيَةٍ مَنِ أَنْفَقَ الْعُمَرَ فِيمَا لَيْسَ يَنْفَعُهُ

أَمَّا الْإِعْتِدَالُ وَالتَّوَسُّطُ بَيْنَ الْإِسْتِمْتَاعِ بِالدُّنْيَا بِإِسْرَافٍ وَلَا إِضَاعَةٍ وَقْتٍ

وَلَا يَتَعَلَّقُ قَلْبُهُ بِهَا وَيَكُونُ مُسْتَعِدًّا لِلآخِرَةِ فَهَذَا سِمَةُ الْعُقَلَاءِ وَالسُّعْدَاءِ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ  
تَصْرِيفَ أَوْقَاتِهِمْ وَأَعْمَارِهِمْ .

وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ يَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُجِبُّهُ كَمَا  
يَحْمِي الْمَرِيضَ أَهْلَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ يَخَافُونَ عَلَيْهِ .

وَعَلَى الْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ أَنْ يَفْهَمَ الدُّنْيَا عَلَى حَقِيقَتِهَا فَيَنْظُرَ أَوَّلًا كَيْفَ وُلِدَ يَجِدُ أَنَّهُ وُلِدَ  
عَارِيًّا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى مِنَ الثِّيَابِ ثُمَّ رَزَقَهُ اللَّهُ الْكِسْوَةَ مِنَ الْمَلَابِسِ وَالْمَتَاعِ وَالسَّكَنِ  
وَالْمَالِ عَلَى أَنَّهَا عَارِيَّةٌ مُرْجَعَةٌ .

فَإِذَا فَقَدَ مِنْهَا شَيْئًا فَلَا يَحْزَنُ لِأَنَّ مِنْ أَعَارِهِ شَيْئًا اسْتَرَدَّهُ وَسَوْفَ يُؤْخَذُ مِنْهُ كُلِّ مَا  
أُعْطِيَ وَيَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا تَارِكًا كُلَّ شَيْءٍ .

شِعْرًا : وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعُ  
وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ  
آخِر : تَجَرَّدَ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ إِنَّمَا  
خَرَجْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُجَرَّدٌ  
آخِر : فَمَا تَزُودَ مِمَّا كَانَ تَجْمَعُهُ  
سِوَى حُنُوطِ غَدَاةِ الْبَيْنِ فِي خِرْقٍ  
وَعَبْرَ نَفْحَةِ أَعْوَادٍ تُشَبُّ لَهُ  
وَقَالَ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِمُنْطَلَقِ

( حِكْمٌ وَمَوَاعِظٌ وَأَدَابٌ )

قَالَ بَعْضُهُمْ يُوصِي ابْنَهُ : يَا بُنَيَّ لَا تَدْخُلْ فِي الدُّنْيَا دُخُولًا يَضُرُّ بِأَخْرَجَتِكَ وَلَا تَتْرُكُهَا  
تَرْكًا تَكُونُ بِهِ كَلًّا عَلَى النَّاسِ .

وَقَالَ : أَتْرُكُ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ تَتْرُكَكَ ، وَاسْتَرَضَ رَبِّكَ قَبْلَ لِقَائِهِ ، وَأَعْمُرْ بَيْتَكَ الَّذِي  
سَوْفَ تَسْكُنُهُ قَبْلَ انْتِقَالِكَ إِلَيْهِ .

قَالَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ لِمَنْ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ : كَيْفَ يَتْرُكُ الدُّنْيَا مَنْ  
تَأْمُرُونَهُ بِتَرْكِ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَهُمْ إِنْ أَلْقَوْهَا أَخَذْتُمُوهَا أَنْتُمْ .

وَقَالَ آخِرَ الْوَقْتِ آلَةُ الرَّزْقِ إِنْ اسْتُعْمِلَ ، وَآفَةُ الرَّزْقِ إِذَا أُهْمِلَ .



لا تَسْتَعْرِبْ وُقُوعَ الْأَكْدَارِ ، مَا دُمْتَ فِي هَذِهِ الدَّارِ ، فَإِنَّهَا مَا أَبْرَزَتْ إِلَّا مَا هُوَ مُسْتَحَقٌّ وَصَفَهَا وَوَجِبَ نَعْتَهَا فَاخَذَرَهَا .

شِعْرًا : طَبَعْتُ عَلَى كَدْرِ وَأَنْتَ تَرُومُهَا صَفْوًا مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَكْدَارِ  
مَرَّ بَعْضُهُمْ عَلَى مَزْبَلَةٍ بِجَانِبِ مَقْبَرَةٍ ، فَقَالَ : هَذِهِ كِنزُ الرِّجَالِ ، وَهَذِهِ كِنزُ الْأَمْوَالِ .  
خَلَقَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا الدُّنْيَا لِتَكُونَ فِي خِدْمَتِكَ ، فَتَحَوَّلَتْ إِلَى خِدْمَتِهَا وَأَرَادَكَ مَلِكًا لَهَا  
وَأَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مَمْلُوكًا لَهَا .

شِعْرًا : أَنْتَ الْأَمِيرُ عَلَى الدُّنْيَا بِزُهْدِكَ فِي خُطَامِهَا وَطَرِيقِ الْحَقِّ مَسْلُوكُ  
وَأَنْتَ عَبْدٌ لَهَا مَا دُمْتَ تَعَشِّفُهَا إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يَهْوَاهُ مَمْلُوكُ  
الدُّنْيَا مَحْبُوبَةٌ لِلْإِنْسَانِ وَلَكِنْ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ لَا نَأْخُذَ مِنْهَا شَيْئًا كَرِهَهُ اللَّهُ وَلَا نَمْنَعُ مِنْهَا  
شَيْئًا أَحَبَّهُ اللَّهُ وَبِذَا لَا يَضُرُّنَا حُبُّنَا لَهَا .

الدُّنْيَا بَجْرٍ وَالْآخِرَةُ سَاحِلُ وَالْمَرْكَبُ التَّقْوَى وَالنَّاسُ سُفْرٌ .  
الذنب يضر فاعله وقد يضر غيره إن عيَّره ابتلي ، وإن اعتابه أثم ، وإن رضي به  
شاركه ، قيل : إن المسيح عليه السلام قال : يَا رَبِّ مَنْ أَشْرَفُ النَّاسِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ  
أَشْرَفُ النَّاسِ مَنْ إِذَا خَلَا عِلْمَ أَبِي تَانِيهِ فَأَجَلَ قَدْرِي عَنْ أَنْ يَظْهَرَنِي عَلَى مَعَاصِيهِ .  
هجران المعاصي أفضل المهجرة والمحافظة على الفرائض أفضل الجهاد ولا يأتي أحد  
بشيء أحب إلى الله من ذكره . قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ لا  
تَسْتَبْطِئُ إِجَابَةَ الدُّعَاءِ وَقَدْ سَدَدْتَ طَرَقَهَا بِالْمَعَاصِي .

التَّمَادِي بِالْمَعَاصِي يُوجِبُ الْإِصْرَارَ عَلَيْهَا وَالْإِصْرَارُ عَلَيْهَا يُوجِبُ الْعُقْلَةَ عَنِ اللَّهِ وَمَنْ  
غَفَلَ عَنِ اللَّهِ بَجَرًّا عَلَيْهِ فَهَلَكَ .

أَخْسَرُ النَّاسِ صَفْقَةً مَنْ بَاعَ الْجَنَّةَ بِمَا فِيهَا بِشَهْوَةِ سَاعَةٍ ، سُئِلَ بَعْضُهُمْ : هَلْ مِنْ  
عَلَامَةٍ لِمَنْ قَبِلَهُ اللَّهُ ؟ فَقَالَ : اللَّهُ أَعْلَمُ وَلَكِنْ هُنَا قِرَائِنٌ وَدَلَائِلُ

ومرجحات منها إنك إذا رأيت الله جلَّ وعلا قد عصمك من المعاصي وكرهها إليك ووفَّقك لما يُجِبُّه ويرضاه من الطاعات التي أمرك بها ترجح عندك القبول لا تتهاون بالذنب الصغير وانظر إلى من عصيت ربًّا عظيمًا السماوات والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة .

شِعْرًا : أَفَقَ مِنْ غَفْلَةِ الْأَمَالِ تَسَلَّمَ  
وَوَخَالَفَ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ  
فَنِعَمَ الْعَبْدُ أَنْتَ بغيرِ شَكِّ  
بصِيرًا بِالْعَوَاقِبِ فِي أُمُورٍ  
وَقُمْ لِلَّهِ أَوَّابًا مُطِيعًا  
وَنَفْسِكَ وَالْهَوَى نَمَّ الرِّقِيعَا  
إِذَا أَصْبَحْتَ لِلدَّاعِي سَمِيعَا  
بِهَا أَحْسَنْتَ مَا عِشْتَ الصَّنِيعَا  
تَمَسَّكَ بِالشَّرِيعَةِ وَاحْتَرَمَهَا  
تَنَلْ مِنْ فَضْلِهَا الشَّرْفَ الرَّفِيعَا  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

#### ( فَضْلٌ )

اعلم وفتقنا الله وإياك أن آفة الكبر عظمة وفيه يهلك الخواص وقلما ينقذ عنه العباد والزهاد والعلماء وكيف لا تعظم آفته وقد أخبر النبي ﷺ أنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر وإنما صار حجاباً دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين لأن صاحبه لا يقدر أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه فلا يقدر على التواضع ولا على ترك الحقد والحسد والغضب ولا على كظم الغيظ وقبول النصح ولا يسلم من الازدراء والاحتقار للناس واعتياهم فما من خلق شيء دميم إلا وهو متصيف به ومضطرب إليه وقد شرح رسول الله ﷺ الكبر فقال : « الكبر بطن الحق وعمط الناس » . واعلم أن العجب يدعوا إلى الكبر تتولد الآفات الكثيرة وهذا مع الخلق فأما مع الخالق فإن العجب بالطاعات نتيجة استعظامها فكأنه يئن على الله تعالى بفعلها وينسى فضل الله ونعمته عليه بتوحيقها لها ويعمى عن آفاتا المفسدة لها .

نَظَرَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ إِلَى وَالٍ ظَلَمَ اسْتِقْبَالَ النَّاسِ بِالتَّبَجِيلِ وَالتَّعْظِيمِ فَقَالَ لِمَنْ حَوْلُهُ :  
انظروا إلى من جمع الله له بين سُورِ الدُّنْيَا وَخِزْيِ الآخِرَةِ .

وَقَالَ آخَرُ : إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا بِجَبْسِهِمْ الْحَقُّ حَتَّى يَشْتَرِيَ مِنْهُمْ وَيَسْطِطِهِمُ الظُّلْمُ  
حَتَّى يَفْتَدِيَ مِنْهُمْ .

كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَجْعَلُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ مَالِهِ دِرْهَمًا فِي طَعَامِ الْمُسْلِمِينَ الْفُقَرَاءِ  
وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَلَا وَإِنِّي نَزَّلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالِ اللَّهِ بِمَنْزِلَةِ كَافِلِ  
الْيَتِيمِ إِنْ اسْتَعْنَيْتُ اسْتَعْفَفْتُ وَإِنْ افْتَقَرْتُ أَكَلْتُ بِالْمَعْرُوفِ .

وَدَخَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ وَالٍ عَلَى الْمَدَائِنِ فَوَجَدَهُ  
يَعْمَلُ الْخُوصَ بِيَدِهِ يُسَوِّي مِنْهُ قُفْفًا لِيَبِيعَهَا وَيَتَقَوَّتَ بِهَا .

فَقَالَ لَهُ : تَعْمَلُ هَذَا وَأَنْتَ أَمِيرٌ عَلَى الْمَدَائِنِ وَيَجْرِي عَلَيْكَ الرَّزْقُ .

فَقَالَ سَلْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنِّي اشْتَرَيْتُ بِدِرْهَمٍ خُوصًا ( سَعَفُ النَّخْلِ ) فَأَعْمَلُهُ  
قُفْفًا فَأَبِيعُهُ بِثَلَاثِ .

أَنْفَقْتُ دِرْهَمًا عَلَيَّ وَعَلَى عِيَالِي وَأَتَصَدَّقُ بِدِرْهَمٍ وَأُعِيدُ دِرْهَمًا فِيهِ وَاللَّهُ إِلَيَّ أَحَبُّ أَنْ أَكُلَ  
مِنْ عَمَلِ يَدِي .

وَرَأَى بَعْضُ النَّاسِ فِي الطَّرِيقِ وَظَنَهُ مِنْ جَمَلَةِ الْحَمَامِيلِ الْفُقَرَاءِ فَقَالَ : احْمِلْ لِي هَذَا  
فَحَمَلَ لَهُ أَمْتِعَتَهُ وَمَشِيَ مَعَهُ فِي السُّوقِ ، وَكُلَّمَا صَادَفَ إِنْسَانًا سَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ : السَّلَامُ  
عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَالْمَقَاضِي عَلَى رَأْسِهِ فَاسْتَعْرَبَ الرَّجُلُ ذَلِكَ وَخَجَلَ مِنْهُ وَقَالَ لِسَلْمَانَ :  
مَنْ الْأَمِيرُ ؟ قَالَ : أَنَا . فَأَخَذَ يَعْتَذِرُ وَيَطْلُبُهُ السَّمَاخَ وَيَقُولُ : أَعْطِنِي مَتَاعِي جَزَاكَ اللَّهُ  
خَيْرًا .

قَالَ : لَا بُدَّ مِنْ حَمْلِهِ أَنَا خَادِمٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَأَبِي إِلَّا أَنْ يُوصَلَ الْأَمْتِعَةَ إِلَيَّ بَيْتِ  
صَاحِبِهَا .

قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا فَقَالَ : بَلْ جَزَى الْمُسْلِمِينَ عَنِّي خَيْرًا .

وَأَتَى إِلَيْهِ مَظْلُومٌ مِنَ الْيَمَنِ فَكَتَبَ لِعَامِلِهِ بِالْيَمَنِ أَنْ يَأْخُذَ لَهُ حَقَّهُ وَيُنْصِفَهُ مِمَّنْ ظَلَمَهُ ، ثُمَّ قَالَ لِلْمَظْلُومِ : كَمْ نَفَقْتِكَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى هُنَا وَهَلْ بَلِي مِنْ أَثْوَابِكَ شَيْءٌ ثُمَّ دَفَعَهَا إِلَيْهِ .

وَأَتَى إِلَيْهِ فَقِيرٌ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اشْتَدَّتْ بِي الْحَاجَةُ وَبَلَغَتْ بِي الْفَاقَةُ وَاللَّهُ سَائِلُكَ عَنْ مَقَامِي هَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَبَكَى عُمَرُ حَتَّى بَلَ الْقَضِيبَ الَّذِي يَتَكَبَّرُ عَلَيْهِ فَقَالَ : كَمْ عِيَالِكَ ؟ قَالَ : خَمْسَةٌ أَنَا وَامْرَأَتِي وَثَلَاثَةٌ أَوْلَادٌ . فَقَالَ عُمَرُ : فَرَضْنَا لَكُمْ عَشْرَةَ دَنَانِيرٍ فِي الشَّهْرِ وَنَأْمُرُ لَكَ بِخَمْسَمِائَةِ دِرْهَمٍ مَائَتِينَ مِنْ مَالِي وَثَلَاثَمِائَةَ مِنْ مَالِ اللَّهِ حَتَّى تَتَبَلَّغَ بِهَا حَتَّى يَخْرُجَ عَطَاؤُكَ .

وَقَدَّمُ لَهُ هَدِيَّةً وَقَالُوا لَهُ : أَقْبَلْهَا فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ ، فَقَالَ : كَانَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ هَدِيَّةٌ وَهِيَ الْآنَ لَنَا رِشْوَةٌ وَرَفَضَهَا .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

( فَصْلٌ ) : بَعْدَ الصُّلْحِ بَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ وَالرُّومِ قَدَّمَ قَائِدُ رُومَانِي طَعَامًا فَاجِرًا لِأَبِي عُبَيْدَةَ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : أَنْظِمُونِ الْجُنْدَ مِثْلَ هَذَا . قَالَ : لَا .

فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : لَا حَاجَةَ لَنَا فِيمَا يَفْتَصِرُ عَلَيْنَا بِئْسَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَقَدْ صَحِبَهُ جُنْدٌ مِنْ بِلَادِهِمْ لِيَهْرُقُوا دِمَاءَهُمْ أَوْ لَمْ يَهْرُقُوا فَاسْتَأْتَرَ بِنَفْسِهِ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ لَا نَأْكُلُ إِلَّا مِمَّا يَأْكُلُونَ .

رَكِبَ الْوَزِيرُ عَلِيُّ بْنُ عِيْسَى الظَّالِمُ فِي مَوْكِبٍ عَظِيمٍ فَقَالَ النَّاسُ : مَنْ هَذَا مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَتْ امْرَأَةٌ : لَمْ تَقُولُونَ مَنْ هَذَا . هَذَا عَبْدٌ غَرَّهُ الشَّيْطَانُ فَسَقَطَ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ تَعَالَى فَابْتَلَاهُ اللَّهُ بِمَا تَرَوْنَ فَرَجَعَ الْوَزِيرُ إِلَى مَكَّةَ تَائِبًا مُجَاوِرًا .

كَتَبَ وَالِ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِنَّ قَوْمًا اخْتَلَسُوا مَالَ الدَّوْلَةِ فَأَذَّنَ لِي فِي

عَقَابِهِمْ فَكَتَبَ عُمْرٌ إِلَيْهِ لَا تَظُنُّ أَنَّ رِضَائِي عَلَيْكَ وَمَشُورِي تُنْجِيكَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، لَذَا مِنْ أَقَرِّ مِنْهُمْ فَجَارِهِ بِمَا يَسْتَحِقُّ وَمَنْ أَنْكَرَ فَاسْتَحْلِفَهُ وَحَلَّ سَبِيلَهُ فَلَعُمْرِي لَأَنْ يَلْقُوا اللَّهَ بِحَيَاتِهِمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُلْقَى اللَّهُ بِدِمَائِهِمْ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا بِحُبْسِهِمْ الْحَقُّ حَتَّى يَشْتَرَى مِنْهُمْ وَيَبْسُطَهُمُ الظُّلْمَ حَتَّى يُفْتَدَى مِنْهُمْ .

( موعظة )

عِبَادَ اللَّهِ سُرُورَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَعْبُرُونَ الْقَنَاظِرَ وَيَأْمَنُونَ الْعَوَائِرَ فَذَلِكَ يَوْمٌ عِيدِهِمْ وَمَا دَامُوا فِي دَارِ الْعُرُورِ فَلَا غِبْطَةَ وَلَا سُرُورَ .

وَأَيُّ سُرُورٍ لِمَنْ الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَاصِيَتِهِ وَالذُّنُوبُ رَاسِخَةٌ فِي آيَتِهِ وَالنَّفْسُ تَقُودُهُ إِلَى هَوَاهَا وَالدُّنْيَا تَتَزَيَّنُ فِي عَيْنِهِ بِمُشْتَهَاهَا .

وَالشَّيْطَانُ مُسْتَبِطٌ فَقَارَ ظَهْرِهِ لَا يَفْتَرُ عَنِ الْوَسْوَاسَةِ فِي صَدْرِهِ وَنَفْسِهِ وَمَالِهِ بَعْرَضِهِ لِلْحَوَادِثِ وَلَا يَدْرِي فِي كُلِّ نَفْسٍ مَا عَلَيْهِ حَادِثٌ .

قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِنِّي بُلِيْتُ بِأَرْعِ مَا سُلِّطُوا      إِلَّا لِأَجْلِ شِقَاوَتِي وَعَنَائِي  
إِنلِيسَ وَالدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى      كَيْفَ الْخَلَاصُ وَكُلَّهُمْ أَعْدَائِي

وَمِنْ وَرَائِهِ الْمُغِيرِ وَمَسْأَلَةُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَيَتَوَسَّدُ التُّرَابَ إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ يَوْمٌ لَا يُبْلَغُ وَصْفُ أَهْوَالِهِ وَلَا شَرْحُ أَحْوَالِهِ مَا لَا يَسَعُ الْمُؤْمِنَ بِهِ أَنْ يَسْتَقِرَّ لَهُ قَرَارٌ وَلَا يَخْلُدُ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ وَلَا يَكُونُ لَهُ هَمٌّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا التَّقَرُّبُ بِأَنْوَاعِ الْقُرْبِ وَاجْتِنَابِ الْفَوَاحِشِ وَالرَّيْبِ وَإِقَامَةِ الدِّينِ الَّذِي فِي إِقَامَتِهِ النَّجَاهُ وَفِي تَضْيِيعِهِ الْعَطَبُ الْعَظِيمُ .

شِعْرًا : يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهِوْلَهُ      لَفَرَرْتَ مِنْ أَهْلِ وَمِنْ أَوْطَانِ

يَوْمَ تَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ لِهَوْلِهِ      وَتَشِيْبُ مِنْهُ مَفَارِقُ الْوَلْدَانِ  
يَوْمَ عَبَّوْسٍ قَمَطِرٍ شَرُّهُ      فِي الْخَلْقِ مُنْتَشِرٌ عَظِيمُ الشَّانِ  
يَوْمَ يَجِيءُ الْمُتَّقُونَ لِرَبِّهِمْ      وَفَدَا عَلَى نُجُبٍ مِنَ الْعِقبَاتِ  
وَيَجِيءُ فِيهِ الْمُجْرِمُونَ إِلَى لظى )      يَتَلَمَّظُونَ تَلَمَّظَ الْعُطْشَانِ  
وَالجَنَّةُ الْعُلْيَا وَنَارُ جَهَنَّمَ      دَارَانِ لِلْخَصْمَيْنِ دَائِمَتَانِ

( فَوَائِد )

تَعَرَّفَ إِلَى اللَّهِ بِمَا تَعَرَّفَ بِهِ إِلَيْكَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَتَعَرَّفَ مَا فَرَضَ عَلَيْكَ مَعْرِفَتَهُ مِنْ أَحْكَامِ شَرْعِهِ .

ثَانِيًا : طَاعَتِهِ فِي فِعْلِ الْوَاجِبَاتِ وَتَرْكِ الْمَحْرَمَاتِ .

ثَالِثًا : أَنْ تَشْتَأَقَ إِلَى مَا شَوَّقَ إِلَيْهِ وَتَخَافَ مَا خَوَّفَ مِنْهُ لِأَنَّ الْعَالَمَ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَأَحْكَامِهِ مِنْ أَعْلَمِ الْعَالَمِينَ .

وَالْعَامِلُ بِطَاعَتِهِ فِيَمَا أَمَرَهُ وَنَهَاهُ مِنْ أَعْمَلِ الْعَامِلِينَ .

إِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى الْجِدِّ فِي الْعَمَلِ فَقِفْ عَلَى بَابِ الطَّلَبِ وَتَعَرَّضْ لِنَفْحَةٍ مِنْ نَفْحَاتِ الرَّبِّ فِي حِظَّةٍ أَفْلَحَ السَّحْرَةَ .

إِذَا رُزِقْتَ يَفْظَةً فَصُنْهَا فِي بَيْتِ عَزْلَةٍ فَإِنَّ أَيْدِيَ الْمُعَاشِرَةِ نَهَابَةٌ وَاحْدَرُ مُعَاشِرَةِ الْبَطَالِينِ فَإِنَّ الطَّبْعَ لِيَصُّ وَلَا تُصَادِقَنَّ فَاسِقًا وَلَا تَتَّقِ إِلَيْهِ فَإِنَّ مَنْ خَانَ أَوَّلَ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ لَا يَفِي لَكَ أَبَدًا .

تَزَيَّنْتَ الْجَنَّةَ لِلْحُطَّابِ فَجِدُوا وَاجْتَهِدُوا فِي تَحْصِيلِ الْمَهْوَرِ .

تَعَرَّفَ رَبُّ الْعِزَّةِ لِلْمُحِبِّينَ فَعَمَلُوا لِلِقَاءِ وَأَنْتَ مَشْغُولٌ بِالْجَيْفِ .

مَا يُسَاوِي رِبْعَ دِينَارٍ حَجَلُ الْفُضِيحَةِ فَكَيْفَ بِأَلْمِ الْقَطْعِ .

لَيْسَ لِلْعَابِدِينَ مُسْتَرَا حٌ إِلَّا تَحْتَ شَجَرَةٍ طَوِي .

وَلَا لِلْمُحِبِّينَ قَرَارٌ إِلَّا يَوْمَ الْمَزِيدِ فَمَثَلٌ لِقَلْبِكَ الْإِسْتِرَاحَةَ تَحْتَ شَجَرَةِ طُوبَى يَهْنُ عَلَيْكَ  
النصب والتعب .

وَاسْتَحْضِرْ يَوْمَ الْمَزِيدِ يَهْنُ عَلَيْكَ مَا تَتَحَمَّلُ مِنْ أَجْلِهِ .  
مَتَى رَأَيْتَ الْعَقْلَ يُؤَثِّرُ الْفَائِي عَلَى الْبَاقِي فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ مُسِحَ .  
وَمَتَى رَأَيْتَ الْقَلْبَ قَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُ حُبُّ اللَّهِ وَالِاسْتِعْدَادَ لِلِقَائِهِ وَحَلَّ فِيهِ حُبُّ الْمَخْلُوقِ  
وَالرِّضَا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالطَّمَأْنِينَةَ بِهَا فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ حُسِفَ بِهِ .  
وَمَتَى أَفْحَطْتَ الْعَيْنُ مِنَ الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَاعْلَمْ أَنَّ فُحْطَهَا مِنْ قَسْوَةِ  
الْقَلْبِ .

وَمَتَى رَأَيْتَ نَفْسَكَ تَهْرَبُ مِنَ الْإِنْسِ بِاللَّهِ إِلَى الْإِنْسِ بِالْمَخْلُوقِ وَمِنْ الْخُلُوةِ مَعَ اللَّهِ إِلَى  
الْخُلُوةِ مَعَ الْمَخْلُوقِ فَاعْلَمْ أَنَّهُمَا لَا تَصْلِحُ لِلَّهِ .

مَنْ رَكِبَ ظَهْرَ التَّفْرِيطِ وَالتَّوَانِي وَالكَسَلَ نَزَلَ بِدَارِ الْعُسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ .  
مَنْ أَدْلَجَ فِي غِيَاهِبِ اللَّيْلِ عَلَى بُحَائِبِ الصَّبْرِ صَبَّحَ مَنْزِلَ السَّرُورِ .  
وَمَنْ نَامَ عَلَى فِرَاشِ الْكَسَلِ أَصْبَحَ مُلَقًّا بِوَادِي الْأَسْفِ .

( فائدة نفيسة ) : يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَأَمَّلَهَا وَيَأْخُذَ لِمُسْتَقْبَلِهِ فِكْرَةً ، قَالَ بَعْضُ  
الْعُلَمَاءِ : لَمْ أَزَلْ بُرْهَةً مِنْ عُمْرِي أَنْظُرُ اخْتِلَافَ الْأُمَّةِ وَالتَّمَسُّسَ الْمُنْهَاجَ الْوَاضِحَ وَالتَّسْبِيلَ  
الْقَاصِدَ وَأَطْلُبُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَاسْتَدِلُّ عَلَى طَرِيقِ الْآخِرَةِ بِإِرْشَادِ الْعُلَمَاءِ .  
وَعَقَلْتُ كَثِيرًا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِتَأْوِيلِ الْمُفَقِّهَاءِ وَتَدَبَّرْتُ أَحْوَالَ الْأُمَّةِ وَنَظَرْتُ فِي  
مَذَاهِبِهَا وَأَقَاوِيلِهَا فَعَقَلْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا قُدِّرَ لِي .

وَرَأَيْتُ اخْتِلَافَهُمْ بِحُجْرًا عَمِيقًا غَرِقَ فِيهِ نَاسٌ كَثِيرٌ وَسَلِمَ مِنْهُ عِصَابُهُ قَلِيلَةٌ ، وَرَأَيْتُ كُلَّ  
صَنَفٍ مِنْهُمْ يَزْعُمُ أَنَّ النَّجَاةَ لِمَنْ تَبِعَهُمْ وَأَنَّ الْمَهَالِكَ لِمَنْ خَالَفَهُمْ . ثُمَّ رَأَيْتُ النَّاسَ  
أَصْنَافًا فَمِنْهُمْ الْعَالِمُ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ لِقَاؤُهُ عَسِيرٌ وَوُجُودُهُ عَزِيزٌ . وَهُوَ يُعِدُّ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا  
لِنُوبِ الْآخِرَةِ وَالْقُرْبِ مِنَ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ .

وَمِنْهُمْ الْجَاهِلُ فَالْبُعْدُ مِنْهُ غَنِيمَةٌ .  
 وَمِنْهُمْ الْمُتَشَبِّهُ بِالْعُلَمَاءِ مَشْعُوفٌ بِدُنْيَاهُ مُؤَثَّرٌ هَا .  
 وَمِنْهُمْ حَامِلٌ عِلْمٍ مَنْسُوبٌ إِلَى الدِّينِ مُلْتَمِسٌ بِعِلْمِهِ التَّعْظِيمَ وَالْعُلُوَّ ، يَنَالُ بِالدِّينِ مِنْ  
 عَرَضِ الدُّنْيَا .  
 وَمِنْهُمْ حَامِلٌ عِلْمٍ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَ مَا حَمَلَ .  
 وَمِنْهُمْ الْمُتَشَبِّهُ بِالنِّسَاكِ مُتَحَرِّرٌ لِلْخَيْرِ لَا غِنَاءَ عِنْدَهُ وَلَا نَفَادَ لِعِلْمِهِ وَلَا مُعْتَمَدَ عَلَى  
 رَأْيِهِ .  
 وَمِنْهُمْ الْمَنْسُوبُ إِلَى الْعَقْلِ وَالذَّهَاءِ مَفْقُودُ الْوَرَعِ وَالتَّقَى .  
 وَمِنْهُمْ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ عَنِ الْآخِرَةِ يَصُدُّونَ وَعَلَى الدُّنْيَا يَتَكَالَبُونَ وَإِلَى جَمْعِهَا يُهْرَعُونَ  
 وَفِي الْاسْتِكْنَارِ مِنْهَا يَرْغَبُونَ .  
 فَهُمْ فِي الدُّنْيَا أَحْيَاءٌ وَفِي الْعَرْفِ مَوْتَى .  
 فَتَفَقَّدْتُ فِي الْأَصْنَافِ نَفْسِي وَضَيْقْتُ بِذَلِكَ دَرْعًا فَقَصَدْتُ إِلَى هُدَى الْمُهْتَدِينَ  
 بِطَلَبِ السَّدَادِ وَالْهُدَى وَاسْتَرَشَدْتُ الْعِلْمَ وَأَعَمَلْتُ الْفِكْرَ وَأَطَلْتُ النَّظْرَ .  
 فَتَبَيَّنَ لِي مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ أَنَّ إِتِّبَاعَ الْهَوَى يُعْمِي  
 عَنِ الرُّشْدِ وَيُطِيلُ عَنِ الْحَقِّ وَيُطِيلُ الْمُكْتَفِي فِي الْعَمَى .  
 فَبَدَأْتُ أَوَّلًا بِإِسْقَاطِ الْهَوَى عَلَى قَلْبِي وَوَقَفْتُ عِنْدَ اخْتِلَافِ الْأُمَّةِ مُرْتَادًا لِطَلَبِ الْفِرْقَةِ  
 النَّاجِيَةِ .  
 حَدَرًا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُرْدِيَةِ وَالْفِرْقَةِ الْهَالِكَةِ مُتَحَرِّرًا مِنَ الْاِقْتِحَامِ قَبْلَ الْبَيَانِ وَالتَّمَسُّسِ سَبِيلَ  
 النَّجَاةِ لِنَفْسِي .  
 ثُمَّ وَجَدْتُ بِاجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ أَنَّ سَبِيلَ النَّجَاةِ فِي التَّمَسُّكِ بِتَقْوَى اللَّهِ  
 وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ ، وَالْوَرَعِ فِي حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَجَمِيعِ حُدُودِهِ . وَالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ .



والتأسي برسوله ρ فطلبت معرفة الفرائض والسُنن عند العلماء في الآثار فرأيت اجتماعاً واختلافاً ووجدت جميعهم مجتمعين على أن علم الفرائض والسُنن عند العلماء بالله وأمره الفقهاء عند الله العاملين برضوانه ، الورعين عن محارمه المتأسين برسوله ρ والمؤثرين الآخرة على الدنيا أولئك المتمسكون بأمر الله وسُنن المرسلين .

فالتمتت من بين الأمة هذا الصنف المجمع عليهم والموصوفين بأثارهم واقتبست من علمهم فرأيتهم أقل من القليل ، ورأيت علمهم مندرسا كما قال رسول الله ρ « بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا » . فطوبى للعرباء وهم المتفردون بدينهم .

فعظمت مصيبي لفقد الأولياء الأتقياء الأبرار وخشيت بعنة الموت أن يفجأني على اضطراب من عمري لاختلاف الأمة ، فانكمت في طالب علم لم أجد لي من معرفته أبداً ولم أقصر في الاحتياط .

فقضيت لي الرؤوف بعباده قوماً وجدت فيهم دلائل التقوى وأعلام الورع وإثار الآخرة على الدنيا . ووجدت إرشادهم ووصاياهم موافقة لأفَاعيل أئمة الهدى .

ووجدتهم مجتمعين على نصح الأمة لا يرجون أبداً في معصيته ولا يقنطون أبداً من رحمته .

يرضون أبداً بالصبر على البأساء والضراء والرضا والشكر على النعماء يحبون الله إلى العبد بذكرهم أيديه وإحسانه ويحئون العباد على الإنابة إلى الله تعالى علماء بعظمتهم تعالى علماء بعظيم قدرته وعلماء بكتابيه وسُننه فقهاء في دينه علماء بما يحب ويكره ورعين عن البدع والأهواء تاركين للتعمق والإغلاء مبغضين للجدال والمرء متورعين عن الاغتياب والظلم مخالفين لأهوائهم محاسبين لأنفسهم مالكين لجوارحهم ورعين في مطاعهم

وَمَلَابِسِهِمْ وَجَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ مُجَانِبِينَ لِلشُّبُهَاتِ تَارِكِينَ لِلشَّهَوَاتِ مُجْتَنِّزِينَ بِالْبُلْغَةِ مِنَ الْأَقْوَاتِ مُتَقَلِّلِينَ مِنَ الْمُبَاحِ مُشْفِقِينَ مِنَ الْحِسَابِ وَجَلِيلِينَ مِنَ الْمَعَادِ عُلَمَاءَ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ وَأَقْوَابِلَ الْقِيَامَةِ رَاجِينَ مِنَ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ جَزِيلِ الثَّوَابِ وَخَائِفِينَ مِنَ أَلِيمِ الْعِقَابِ وَذَلِكَ أَوْرَثَهُمُ الْخَوْفَ الدَّائِمَ وَالْهَمَّ الْمُقِيمَ فَشَغَلُوا عَنْ سُرُورِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا فَتَبَيَّنَ لِي فَضْلُهُمْ وَأَتَّضَحَ لِي نُصْحُهُمْ وَأَيَقَنْتُ أَنَّهُمُ الْعَامِلُونَ بِطَرِيقِ الْآخِرَةِ وَالْمَتَأَسُونَ بِالْمُرْسَلِينَ وَالْمَصَابِيحَ لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِمْ وَالْهَادُونَ لِمَنْ اسْتَرْشَدَ . أ . ه .

قُلْتُ : فِيمِثَلِ هَؤُلَاءِ إِنْ وَجَدُوا فَلْيَقْتَدِ الْمُقْتَدُونَ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

( فَضْلٌ ) : قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : لَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُتَحَقِّقًا ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ إِلَّا

بِأَصْلَيْنِ عَظِيمَيْنِ أَحَدُهُمَا : الْإِخْلَاصَ لِلْمَعْبُودِ . وَالثَّانِي : الْمُتَابَعَةَ لِلرَّسُولِ ρ .

وَالنَّاسَ مُنْقَسِمُونَ بِحَسَبِ هَدْيِ الْأَصْلَيْنِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ أَحَدُهُمْ أَهْلُ الْإِخْلَاصِ

لِلْمَعْبُودِ وَالْمُتَابَعَةِ لِلرَّسُولِ ρ وَهُمْ إِيَّاكَ نَعْبُدُ حَقِيقَةً .

فَأَعْمَالُهُمْ كُلُّهَا لِلَّهِ ، وَأَقْوَالُهُمْ لِلَّهِ ، وَحُبُّهُمْ لِلَّهِ ، وَبُغْضُهُمْ لِلَّهِ .

فَمُعَامَلَتُهُمْ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لَوَجْهِ اللَّهِ وَحَدَهُ لَا يَرِيدُونَ بِذَلِكَ مِنَ النَّاسِ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا .

وَلَا ابْتِغَاءَ الْجَاهِ عِنْدَهُمْ وَلَا طَلَبَ الْمَحْمَدَةِ وَالْمَنْزِلَةِ فِي قُلُوبِهِمْ وَلَا هَرَبًا مِنْ دَمِّهِمْ ، بَلْ

قَدْ عَدُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ لَا يَمْلِكُونَ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا

حَيَاةً وَلَا نُشُورًا .

فَالْعَمَلُ لِأَجْلِ النَّاسِ وَابْتِغَاءَ الْجَاهِ وَالْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُمْ وَرَجَائِهِمْ لِلضَّرِّ وَالنَّفْعِ مِنْهُمْ لَا يَكُونُ

مَنْ عَارَفَ بِهِمُ الْبَتَةَ ، بَلْ مَنْ جَاهِلٌ بِشَأْنِهِمْ وَجَاهِلٌ بِرَبِّهِ فَمَنْ عَرَفَ النَّاسَ أَنْزَلَهُمْ مَنَازِلَهُمْ ،

وَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَخْلَصَ لَهُ أَعْمَالَهُ وَأَقْوَالَهُ وَعَطَاءَهُ

منعه وحبه ويغصه ، ولا يعامل أحد الخلق دون الله إلا لجهله بالله وجهله بالخلق ، وإلا فإذا عرف الله وعرف النَّاسَ أثر معاملة الله على معاملتهم .

القسم الثاني : من لا إخلاص له ولا متابعة فليس عمله موافقا للشرع ، وليس هو خالص للمعبود كأعمال المتزينين للناس المرئيين هم بما لم يشرعه الله ورسوله ، وهؤلاء شرار الخلق وأمقتهم إلى الله عزَّ وجلَّ ، ولهم أوفر نصيب من قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ، يفرحون بما أتوا من البدعة ، والضلالة ، والشرك ، ويجبون أن يحمداوا بإتباع السنَّة والإخلاص .

وهذا القسم يكثر فيمن انحرف من المنتسبين إلى العلم والفقر والعبادة عن الصراط المستقيم ، فإنَّهم يرتكبون البدع والضلالات والرياء والسمعة ويجبون أن يحمداوا بما لم يفعلوه من الإتيان والإخلاص والعلم فهم أهل الغضب والضلال .

القسم الثالث من هو مخلص في أعماله لكنها على غير متابعة الأمر كجهال العباد والمنتسبين إلى طريق الفقر والزهد ، وكل من عبد الله بغير أمره واعتقد عبادته هذه قرينة إلى الله فهذا حاله ، كمن يظن أن سماع المكاء والتصدية قرينة وأن الخلوة التي يترك فيها الجمعة والجماعة قرينة ، وأن مواصلة صوم النَّهَارَ بالليل قرينة وأن صيام يوم يفطر النَّاسَ كلهم قرينة وأمثال ذلك .

القسم الرابع من أعماله على متابعة الأمر لكنها لغير الله كطاعة المرئيين وكالرجل يقاتل رياء وحمية وشجاعة ويحج ليقال ، ويقرأ القرآن ليقال ، فهؤلاء أعمأهم ظاهرها أعمال صالحة مأمور بها لكنها غير صالحة فلا تقبل ، قال الله جلَّ وعلا : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ فكل أحد لم يؤمر إلا بعبادة الله بما أمر .. انتهى كلامه رحمه الله .

اللَّهُمَّ تَبَّتْ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوها وَأَلْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشَكَرَكَ وَيَسِّرْنَا لِلْيَسْرَى وَجَنَّبْنَا الْعُسْرَى وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( فَصْلٌ ) : قَالَ بَعْضُهُمْ : أَعَزَّ الْأَشْيَاءُ فِي الدُّنْيَا الْإِخْلَاصُ . قِيلَ : لِمَا صَارَ أَعَزَّ . قَالَ : لِأَنَّهُ لَيْسَ لِلنَّفْسِ فِيهِ نَصِيبٌ . وَقَالَ آخَرٌ : أَعَزَّ شَيْءٌ فِي الدُّنْيَا الْإِخْلَاصُ وَكَمْ اجْتَهَدَ فِي إِسْقَاطِ الرِّيَاءِ عَنْ قَلْبِي فَكَأَنَّهُ يَنْبَتُ فِيهِ عَلَى لَوْنِ آخَرَ .

فَالْإِخْلَاصُ فِي غَايَةِ الصَّعُوبَةِ فَلِذَلِكَ نَجِدُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَشْرَحُ أَعْمَالَهُ لِلنَّاسِ يَذْكُرُ صَدَقَاتِهِ وَصِيَامَهُ وَصِيَامَ التَّطَوُّعِ وَكَمْ حَجَّ مِنْ سُنَّةٍ وَكَمْ عَمَرَ اعْتَمَرَ وَهُوَ مَا سَأَلَ وَأَنَّهُ يَحْيِي اللَّيْلَ بِالصَّلَاةِ وَالتَّلَاوَةِ .

وَيَذْكُرُ الَّذِينَ يَسَاعِدُهُمْ بِجَاهِهِ وَمَالِهِ يَرِيدُ بِذَلِكَ الْمَنْزِلَةَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ وَأَنَّهُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَهَذَا غَلَطٌ وَضُرٌّ عَلَيْكَ فَمَا دَمْتَ تَعْمَلُ لِلَّهِ فَمَا الدَّاعِي إِلَى ذِكْرِهِ لِمَنْ لَا يَمْلِكُونَ لَا نَفْسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نَشُورًا ، فَالرِّيَاءُ تَعْبٌ وَنَصَبٌ وَلِغُوبٍ وَخُسْرَانٍ وَذَلٌّ فِي الدُّنْيَا وَخِزْيٌ وَفُضِيحَةٌ وَعَذَابٌ وَنَدَامَةٌ فِي الْآخِرَةِ .  
فَالْعَاقِلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ خَالِصًا لِلَّهِ لَا لِأَجْلِ الْخَلْقِ وَلَا لِأَجْلِ النَّفْسِ وَإِلَّا دَخَلَ عَلَيْهِ مَطَالِبُهُ الْعَوْضِ أَوْ تَشَوُّقٌ إِلَى حِظٍّ مِنْ حِظُوظِ الدُّنْيَا .

وَالْمُهْمُ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى إِخْفَاءِ أَعْمَالِهِ لِأَنَّ الْجِزَاءَ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، إِلَّا إِنْ تَرَجَّحَتْ مَصْلِحَةُ الْإِظْهَارِ عَلَى الْإِخْفَاءِ كَانَ يَقْتَدِي بِهِ فِي الصَّدَقَةِ أَوْ الزَّكَاةِ لِإِزَالَةِ التَّهْمَةِ عَنْهُ بَعْدَ إِخْرَاجِهَا . قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهُهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَلَى

الإخلاص لله وحده لا شريك له وأقام الصلّاة وآتى الزكاة فارقتها والله عنه راض . . رَوَاهُ ابن ماجه والحاكم وَقَالَ : صحيح على شرط البخاريّ ومسلم .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال حين بعث إلى اليمن : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي قَالَ : « أخلص دينك يكفيك العمل القليل » . رَوَاهُ الحاكم وَقَالَ : صحيح الإسناد .  
وعن ثوبان رضي الله عنه قَالَ : سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ : « طُوبَى لِلْمُخْلِصِينَ أَوْلَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى تَنْجِلِي عَنْهُمْ كُلَّ فِتْنَةٍ ظَلَمَاءَ » .

شِعْرًا : لِكُلِّ شَيْءٍ زِينَةٌ فِي الْوَرَى      وَزِينَةُ الْمَرْءِ تُقَى مَعَ أَدَبِ  
قَدْ يَشْرَفُ الْمَرْءُ بِإِخْلَاصِهِ      صِدْقًا وَإِنْ كَانَ وَضِيعَ النَّسَبِ  
آخِر : وَذَكَرَ بِالتَّقَى نَفْرًا غَفُولًا      فَلَوْلَا السَّقِيُّ مَا نَمَتِ الزُّرُوعُ  
لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَجْدَ وَالْفَخْرَ وَالْعُلَا      وَنِيلَ الْأَمَانِي وَاكْتَسَابَ الْفَضَائِلِ  
لِمَنْ يُخْلِصُ الْأَعْمَالَ لِلَّهِ وَحَدَهُ      وَيُكْثِرُ مِنْ ذِكْرِ لَهُ فِي الْمَنَازِلِ  
وَفِي الْمَسَاجِدِ وَالْأَسْوَاقِ يَذْكُرُهُ      وَيُشْغِلُهُمْ فِي ذِكْرِهِ فِي الْمَحَافِلِ

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قَالَ : سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ : « نضر الله امرئاً سمع منا حديثاً فبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه ، ثلاث لا يغفل عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الأمر ولزوم الجماعة فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَحِيْطُ مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا نِيَّتَهُ فَرَقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِيهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كَتَبَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللَّهُ أَمْرَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ » . رَوَاهُ ابن حبان وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ .

وعن الضحاک بن قيس قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : أَنَا خَيْرُ شَرِيكَ فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِي شَرِيكًا فَهُوَ لِشَرِيكِي ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ

أخلصوا أعمالكم فإن الله تبارك وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما خالص له . « أخرجه البزار بإسناد لا بأس به .

ورود عنه ρ أنه قال : « إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه » . رواه أبو داود والنسائي .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ρ قال : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما ابتغى به وجهه » . أخرجه الطبراني بإسناد لا بأس به .

سئل الفضيل بن عياض ما أخلص العمل وما أصوبه ، قال : إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة .

شِعْرًا : هَمُّ الْأَبْيَاءِ إِخْلَاصٌ لِخَالِقِهِمْ	فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
وَهُمْ غَيْرِهِمْ فِي الصُّحُفِ يَقْرَؤُهَا	أَوْ حَوْلَ مَذْيَاعِهِ يَا خِيَّةَ الْأَمَلِ
أَعْظَمَ بِهَا مِنْ نَدَامَاتٍ إِذَا أَكْشَفَتْ	يَوْمَ الْجَزَاءِ لِأَهْلِ اللَّهْوِ وَالزَّلَلِ
آخِر : لِعَمْرِي إِنَّ الْمَجْدَ وَالْفَخْرَ وَالْعُلَا	وَنِيْلَ الْأَمَانِي وَارْتِفَاعِ الْمَنَازِلِ
لِمَنْ يُخْلِصُ الْأَعْمَالَ لِلَّهِ وَحْدَهُ	وَيُكْثِرُ مِنْ ذِكْرِ لَهُ فِي الْمَحَافِلِ
آخِر : مَوَاهِبُ ذِي الْجَلَالِ عَلَيْكَ تَتَرَى	بِإِحْسَانٍ وَأَنْتَ بِهَا كُنُودٌ
يَزِيدُكَ مِنْهُ فَضْلًا كُلَّ يَوْمٍ	وَأَنْتَ بِضِدِّهِ أَبَدًا تَرِيدُ
تَغْرُوكَ أَمْ دَفَرٍ بِالْأَمَانِي	عَنِ الْعُقْبَى لِتَغْفُلَ يَا بَعِيدُ
أَلَا فَانْهَضْ إِلَى الْوَهَابِ وَاشْكُرْ	لَهُ نِعْمًا غِزَارًا لَا تَبِيدُ

اللَّهُمَّ أَلْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الْأَبْرَارِ ، وَأَتَنَا فِي الدُّنْيَا حُسْنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حُسْنَةً وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( فَصْلٌ ) : قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ : تَبَاعَدَ عَنِ أَهْلِ الشُّؤْمِ وَبَاعَدَ أَوْلَادَكَ عَنْهُمْ لَا يِعَادُونَكَ بِأَفْعَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَطِبَاعِهِمْ وَلَا يَزَالُ يَقْسُو قَلْبَكَ حَتَّى يَسْتَأْنِسَ بِهِمْ فَهَنَّاكَ الْهَلَاكَ ، وَالشُّؤْمُ يَتَفَاوَتُ فَمِنْ أَهْلِهِ أَهْلُ الْفَوَاحِشِ وَمِنْهُمْ أَهْلُ اللَّهْوِ وَمِنْهُمْ أَهْلُ الْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَمِنْهُمْ أَهْلُ الْمَلَاهِيِ وَأَلَاتِ الطَّرْبِ .

فَإِنَّهُمْ يَسْبُونَ أَهْلَ الْعُقُولِ عَقُولَهُمْ حَتَّى يَنْحَلُّوا عَنْ دِينِهِمْ وَمَرُوءَتِهِمْ فَيَعْسِرُ عَلَيْهِمُ الْخِلَاصَ لَمَّا يَجِدُونَهُ مِنْ لَذَّةِ النِّعَمَاتِ وَالْأَصْوَاتِ ، حَتَّى يَكُونَ عَادَةً وَطَبْعًا فَرَبَّمَا يَجْلِسُ الرَّجُلُ إِلَيْهِمْ وَهُوَ كَارِهِ لِسَمَاعِ لُغْوَاهُمْ مُسْتَوْحِشٌ مِنْ نَفْسِهِ ثُمَّ لَا يَزَالُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَرَاهُ حَسَنًا .

من كيد الشيطان أن يورد ابن آدم المورد التي يخيل إليه أن فيها منفعة ثم يصدره المصادر التي فيها عطفه ويتخلى عنه ويسلمه للهلاك ويقف يتشمته به ويضحك منه ، فيأمره بالسرقة والقتل واللواط والزنا ويدل عليه ويفضحه ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ زَيْنٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

ثُمَّ اعْلَمَ أَنَّ إبليسَ لعنه الله طلاع رصاد وما هو بشيء من فخوخه بأوثق لصيده من النساءِ حُصُوصًا الْمَسْنَاةِ الْعَجَائِزِ الْمَاهِرَاتِ بِالْحَيْلِ وَالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ ، قَالَ بَعْضُهُمْ :

عَجُوزُ النَّحْسِ إِبْلِيسُ يَرَاهَا      تُعَلِّمُهُ الْخَدِيعَةَ فِي السُّكُوتِ  
تَقُودُ مِنَ السِّيَاسَةِ أَلْفَ بَعْلِ      إِذَا انْفَرَدَتْ بِخَيْطِ الْعَنْكَبُوتِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

( فَصْلٌ ) : ذكر ابن القيم رَحْمَهُ اللهُ الأسباب التي يعتصم بها من الشيطان الأول الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ والمراد بالسمع هنا سمع الإجابة لا السمع العام .  
الثاني قراءة المعوذتين فَإِنَّ لهما تأثيراً عجيبيّاً في الاستعاذة بالله من شر الشيطان ودفعه ، ولهذا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « ما تعوذ المتعوذون بمثلهما » . وَكَانَ ﷺ يتعوذ بهما كُلَّ ليلةٍ عِنْدَ النوم ، وأمر عقبه بن عامر أن يتعوذ بهما دبر كُلِّ صلاةٍ وذكر ﷺ أن من قرأهما مَعَ صورة الإخلاص ثلاثاً حين يمسي وثلاثاً حين يصبح كفتاه من كُلِّ شر .  
الثالث قراءة آية الكرسي .

الرابع قراءة سورة البقرة ففي الصحيح عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ الْبَيْتَ الَّذِي تَقْرَأُ فِيهِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ لَا يَدْخُلُهُ الشَّيْطَانُ » .  
الخامس خاتمة سورة البقرة فَقَدْ ثَبَتَ فِي الصحيح عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ » .

السادس أول سورة حم المؤمن إِلَى قوله : ﴿ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ ففي الترمذي عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ قَرَأَ حَمَّ الْمُؤْمِنِ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ ، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ حِينَ يَصْبِحُ حَفِظَ بِهَا حَتَّى يَمْسِيَ ، وَمَنْ قَرَأَهَا حِينَ يَمْسِي حَفِظَ بِهَا حَتَّى يَصْبِحَ » .

السابع لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحده لا شريك لَهُ لَهُ الْمَلِكُ وله الحمد وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ .

ففي الصحيحين أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحده لا شريك لَهُ ، لَهُ الْمَلِكُ وله الحمد وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ ،



كَانَتْ عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكان حرزا له من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل منه إلا رجل عمل أكثر من ذلك . «

الثامن وهو أنفع الحروز من الشيطان كثرة ذكر الله عز وجل وهذا بعينه هو الذي دلت عليه سورة الناس ، فانه وصف الشيطان فيها الشيطان بأنه الخناس الذي إذا ذكر العبد ربه انخنس فإذا غفل عن ذكر الله التقم القلب وألقى إليه الوسوس ، فما أحرز العبد نفسه من الشيطان بمثل ذكر الله عز وجل .

الحرز التاسع الوضوء والصلاة وهذا من أعظم ما يحتز العبد به ولا سيما عند الغضب والشهوة فإنها نار تصلى في قلب ابن آدم ، كما روى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال : « ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم فما أطفأ العبد جمرة الغضب والشهوة بمثل الوضوء والصلاة » . فإن الصلاة إذا وقعت بخشوعها والإقبال على الله فيها أذهبت أثر ذلك جملة وهذا أمر تجربته تغني عن إقامة الدليل عليه .

الحرز العاشر إمساك فضول الكلام فإنها تفتح أبوابا من الشر كلها مداخل للشيطان فإمساك فضول الكلام يسد عنك تلك الأبواب .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وصلی الله على مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم .

( فَوَائِدُ وَنصَائِحُ وَمواعظُ وَحُكْمُ وَآدابُ وَوصايا )

من أخلاق المؤمن حسن الحديث ، وحسن الاستماع إذا حدث ، وحسن البشر إذا لقي ، ووفاء الوعد إذا عد ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

سوء الخلق سبب النكد في الحياة والشور والآثام ، فعلى العاقل اللبيب أن يعرف الأخلاق السيئة ليتنبها ، وهي كثيرة ولا يخلوا احد منها فتفقد نفسك وأزل ما فيها .

فمن ذَلِكَ المكر ، والخديعة ، والخيانة ، والغش ، والكذب ، والغيبة ، والنميمة ،  
والسعاية ، والظلم ، والرياء ، والعقوق ، والقطيعة ، والكبر ، والعجب ، والزهو ، والأنفة  
من المسكنة .

والنفاق ، والخيانة ، والغدر ، والحسد ، والغل ، والحقد ، والشماتة ، والبغضاء ،  
وسوء الظن ، والتجسس على المسلمين .

وإضمار السوء ، والتربص بالدوائر ، ومساعدة الهوى ، ومخالفة الحق ، والرضى بالهوى  
، والحب والبغض بالهوى ، والجفاء .

والقسوة ، وقلة الرحمة ، والحرص ، والشره ، والطمع ، والطيرة ، والطغيان بالمال ،  
والفرح بإقبال الدنيا ، واستقلال الرزق ، واحتقار النعم ، والاحتقار بمصائب الدين ،  
واستعظام الدنيا ، والحزن على ما فات منها .

والاستهانة بعلم الله عزَّ وجلَّ عند فعلك للذنب والاستهانة بسماعه ما يصدر منك  
من المعاصي قولاً وفعلاً ، وقلة الحياة من إطلاع الله عليك ومن إطلاع من عن اليمين  
وعن الشمال قعيد ، وأنت لو اطلع عليك مخلوق ضعيف وأنت تعمل معصية الله  
لانزعجت .

فتنبه لِذَلِكَ وراقب الله جَلَّ وَعَلَا وتقدس وكن منه على حذر .

شِعْرًا : وَهُوَ الْحَلِيمُ فَلَا يُعَاجِلُ عَبْدَهُ      بَعْقُوبَةً لِيُثِيبَ مِنْ عَصِيَانِ  
لَكِنَّهُ يُلْقِي عَلَيْهِ سِتْرَهُ      فَهُوَ السَّتِيرُ وَصَاحِبُ الْغُفْرَانِ  
وَهُوَ الْعَفْوُ فَعَفُوهُ وَسِعَ الْوَرَى      لَوْلَاهُ غَارَ الْأَرْضُ بِالسُّكَّانِ  
وَهُوَ الصَّبُورُ عَلَى أَدَى أَعْدَائِهِ      شَتْمُوهُ بَلْ نَسَبُوهُ لِلْبُهْتَانِ  
قَالُوا لَهُ وَلَدٌ وَلَيْسَ يُعِيدُنَا      شَتْمًا وَتَكْذِيبًا مِنَ الْإِنْسَانِ  
هَذَا وَذَلِكَ بِسَمْعِهِ وَبِعِلْمِهِ      لَوْ شَاءَ عَاجَلَهُمْ بِكُلِّ هَوَانِ  
لَكِنْ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ وَهُمْ      يُؤْذُونَهُ بِالشَّرِّ وَالْكَفْرَانِ

( فَصْلٌ ) : قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : إِخْوَانِي إِذَا تَقَرَّبَ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْوَاعِ الْبِرِّ الظَّاهِرَةِ مِثْلَ الْجِهَادِ وَالْحَجِّ وَالصُّومِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَنَافَسُوهُمْ فِيهَا وَاجْعَلُوا أَعْظَمَ الرَّغْبَةِ فِي طَاعَةِ الْقُلُوبِ الَّتِي لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا الْإِنْسُ وَلَا الْمَلَائِكَةُ وَلَا الْجِنُّ ، وَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا عِلَامُ الْغُيُوبِ ، فَإِنَّ الْقَلِيلَ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ كَثِيرٌ لِسَلَامَتِهِ مِنَ الرِّيَاءِ وَجَمِيعِ الْمَكْدِرَاتِ .

أَلَا فَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِطَاعَةِ الْقُلُوبِ فَإِنَّ فِيهَا الْمَعْرِفَةَ بِعِظْمَةِ اللَّهِ وَكِبْرِيَاءِهِ وَجَلَالِهِ وَقُدْرَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِمَحَابِهِ ، وَبِغَضِّ مَكَارِهِهِ ، وَالرِّضَا وَالْعِظْبَ لَهُ وَفِيهِ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِشِدَّةِ الْحُبِّ لَهُ ، وَالْحُبِّ فِيهِ وَالْغَضِّ مِنْ أَجْلِهِ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِالْمَعْرِفَةِ بِأَيْدِيهِ الْحُسْنَى وَنِعْمِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ ، وَأَفْعَالِهِ الْجَمِيلَةِ ، وَمِنْنِهِ الْمَتَوَاتِرَةَ عَلَى تَوَاتُرِ الْإِسَاءَةِ مِنْهَا ، وَهُوَ جَلٌّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ يَعُودُ بِأَنْوَاعِ النِّعَمِ عَلَيْنَا .

أَلَا فَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْخَوْفِ مِنْ زَوَالِ النِّعَمِ وَشِدَّةِ الْحَيَاءِ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي الشُّكْرِ ، وَتَقَرَّبُوا بِالْوَجَلِ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِشْفَاقِ عَلَى إِيْمَانِكُمْ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِشِدَّةِ الْخَوْفِ مِنْهُ ، وَحَقِيقَةِ الرَّجَاءِ فِيهِ ، وَالسُّرُورِ بِذِكْرِهِ ، وَمَنَاجَاتِهِ ، وَالشُّوقِ إِلَيْهِ ، وَالرَّغْبَةِ فِي جَوَارِهِ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِصَدَقِ الْيَقِينِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالثَّقَّةِ بِهِ وَالتَّطْمَأْنِينَةِ إِلَيْهِ وَالأُنْسِ بِهِ وَالأَنْقِطَاعِ إِلَيْهِ .

وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْوَفَاءِ وَلِينِ الْجَانِبِ وَالْجَنَاحِ وَالتَّوَاضُعِ وَالْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْحَلْمِ وَالأَحْتِمَالِ وَكُظْمِ الْغَيْظِ وَتَجَرُّعِ الْمَرَارَةِ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِسَلَامَةِ الصُّدُورِ وَإِرَادَةِ الْحَيْزْرِ لِلْأُمَّةِ وَكَرَاهَةِ الشَّرِّ هُمْ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ وَالحَوْطَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْجُودِ وَالكَرَمِ وَالتَّفَضُّلِ وَالإِحْسَانِ وَصَدَقِ الْوَفَاءِ .

وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالقَنَاعَةِ وَالعِفَافِ وَالكِفَافِ وَالرِّضَى وَبِالْبُلْغَةِ وَاليَأْسِ مِنْ نَائِلِ

النَّاسَ ، وتقربوا إليه بالتدبير لكتابه وتفهمه والعمل به والإخلاص ، وتقربوا إليه بمجاهدة إبليس لعنة الله ومخالفة الهوى والنفس الأمارة بالسوء والتفقد لأحوالكم والتقوى في كل أموركم وتقربوا إلى الله بأداء الأمانات ، وتقربوا إليه بالإحسان إلى المسيء والإيثار على أنفسكم وإن كان بكم خصاصة ، وارغبوا في مكارم الأخلاق .

شِعْرًا : وَيَا سَائِلِي عَنْ حِرْفَتِي قُلْتُ حِرْفَتِي ( صِيَانَهُ أَوْقَاتِي بِطَاعَةِ خَالِقِي  
فَقَالَ لَقَدْ أَحْسَنْتَ تَصْرِيْفَ مُدَّةٍ لِعُمْرِكَ فَالزَّمَهَا تَفَرُّزَ بِالسَّعَادَةِ

وتقربوا إلى الله بالتواضع والابتعاد عن الترفع على عباد الله المؤمنين ، وتقربوا إلى الله بالفرح بمصائب الدنيا ، والرضا بقضاء الله وقدره وتقربوا إلى الله بالاستعداد للموت والبعث والنشور والحساب .

شِعْرًا : دَعِ التَّعْلِيلَ وَالتَّسْوِيفَ وَأَقْبِلْ عَلَى مَوْلَاكَ تَغْنَمَ نَيْلِ حَظِّ  
أَدِمِ بِالْحَزْمِ إِقْبَالَ عَلَيْهِ ۞ عَسَى تَحْظَى بِتَوْفِيقٍ وَحِفْظِ  
وَنَقِّ الْقَلْبَ مِنْ شِبْهِهَا زَيْغِ تَرَاهُ مَعْنَوِيًّا ثُمَّ لَفْظِي  
وَرِدْ حَوْضَ الشَّرِيعَةِ مَعَ صَفَاءِ وَجَانِبِ كُلِّ ذِي حَسَدٍ وَغَيْظِ  
وَرَقِّ النَّفْسِ بِالْعُرْفَانِ تَرْكُو وَتَظْفِرِ بِالْمُنَى مِنْ كُلِّ وَعْظِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

( فَصْلٌ )

من أنفع الحياء أن تستحي من الله أن تسأله ما تحب وتأتي ما يكره . قَالَ بَعْضُهُمْ :  
ربما أصلي لله ركعتين فانصرف وأنا من الخجل بمنزلة من ينصرف عن السرقة حياء من الله  
عزَّ وَجَلَّ لَأَنِّي لَمْ أَوْفَهَا حَقَّهَا .

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ( الدُّنْيَا كُلُّهَا غَمُومٌ فَمَا كَانَ مِنْهَا مِنْ سرور فهو ربح  
( . وَقَالَ الْجَنِيدُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لست استبشع ما يرد علي لأني قد أصلت أصلاً وهو أن  
الدُّنْيَا دار هم وغم وبلاء وفتنة وإن العالم كله شر .

ومن حكمه أن يتلقاني بكل ما أكره فَإِنَّ تَلْقَانِي بِمَا أَحَبُّ فَهُوَ فَضْلٌ وَإِلَّا فَالْأَصْلُ هُوَ  
الأول .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ تَحْبُونَ الرُّوحَ وَالرُّوحَ لِلَّهِ وَتَحْبُونَ الْمَالَ وَالْمَالَ لِلرُّوحِ  
وَتَطْلُبُونَ اثْنَيْنِ وَلَا تَجِدُونَهُمَا الرَّاحَةَ وَالْفَرَحَ وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ . فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ لَا يُوْطِنَ  
نَفْسَهُ عَلَى الرَّاحَةِ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَرْكُنَ فِيهَا إِلَى مَا يَقْتَضِي فَرْحًا وَأَنْسًا وَأَنْ يَعْمَلَ عَلَى قَوْلِ  
النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنْهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « الدُّنْيَا سَجَنُ الْمُؤْمِنِ » .

فتوطين العبد نفسه على المحن يهون عليه ما يلقيه ويجد السلوان عند ما يهواه .

شِعْرًا : يُمَثَّلُ ذُو اللَّبِّ فِي لُبِّهِ      شَدَائِدُهُ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَا  
فَإِنْ نَزَلَتْ بَعْتَهُ لَمْ تَرْعُهُ      لِمَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مَثَلَا  
رَأَى الْأَمْرَ يُفْضِي إِلَى آخِرِ      فَصَوَّبَ آخِرَهُ أَوْلَا  
وَذُو الْجَهْلِ يَأْمَنُ أَيَّامَهُ      وَيَنْسَى مَصَارِعَ مَنْ قَدْ خَلَا  
فَإِنْ دَهَمَتْهُ صُرُوفُ الزَّمَانِ      بِبُغْضِ مَصَائِبِهِ أَعْوَلَا  
وَلَوْ قَدَّمَ الْحَزْمَ فِي نَفْسِهِ      لَعَلَّمَهُ الصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلَا

فعلى الإنسان العاقل أن يتلقى ما يرد عليه من المصائب والهموم والغموم والانكاد  
بالصبر والرِّضَا والاستسلام عند جريان القضاء .

فعن قريب إن شاء الله تعالى ينجلي الأمر ويستوجب من الله جلَّ وعلا جزيل الأجر  
والثواب والله ولي التوفيق . وقال أحد الزهاد : جوع قليل ، وعزِّي قليل وذل قليل ، وصبر  
قليل وقد انقضت عنك أيام الدنيا . وقال آخر : الصبر جماع كل فضيلة وملاك كل فائدة  
جزيلة ومكرمة نبيلة .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾

بِمَا صَبَرُوا ﴿١﴾ ، وَقَالَ جَل وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿٢﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴿٣﴾  
 وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿٤﴾ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٥﴾ .

من أنزل حوائجه بالله تعالى والتجأ إليه وتوكل في أمره كله عليه كفاه كل مؤنة ، وقرب عليه كل بعيد ، ويسر عليه كل عسير ، ومن سكن إلى علم نفسه وعقله ، واعتمد على قوته وحوله وكله الله إلى نفسه وخذل وحرم التوفيق فلم تنجح مطالبه ولم تتيسر مآربه .

شِعْرًا : أَقَرَّ عَلَى حُكْمِ الرَّدَى الْمُتَخَمِّطُ      وَقَرَّ كَأَنْ لَمْ يُصْرَعِ الْمُتَخَبِّطُ  
 عَلَيْكَ سَبِيلُ الْخَيْرِ وَأَنْظُرْ إِلَى الَّذِي      تَأَبَّطُ شَرًّا هَلْ نَجَا الْمُتَأَبَّطُ  
 وَإِيَّاكَ وَالتَّنْفِيطَ فِي الْبِرِّ وَالتَّقَى      فَكَمْ قَرَعَ السَّنَّ الذُّهُولُ الْمُفَرِّطُ  
 وَحَاوِلْ مِنَ الدُّنْيَا الدُّنْيَةَ مَخْلِصًا      وَأَنْتِ النَّاشِبُ الْمُتَوَرِّطُ  
 لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرَ مَا عَزَّ قَاسِطُ      وَلَوْ مَلَكَ الدُّنْيَا وَلَا ذَلَّ مُفْسِطُ  
 تَبْرًا غَالٍ مِنْ مَسَاعِيهِ مُسْرِفُ      وَأَحْمَدُ عُقْبَى أَمْرِهِ الْمُتَوَسِّطُ  
 سَيَنْخَفِضُ الطَّمَّاحُ إِثْمًا وَعِزَّةً      وَيَنْقَبِضُ التَّلْعَابَةُ الْمُتَبَسِّطُ  
 آخِرُ : سَهْوُنَا عَنْ مُسَاوَرَةِ الْمَنَائِي      فَيَا لِلَّهِ مِنْ سَهْوِ الْعِبَادِ  
 وَغَرَّتْنَا مُسَاعِدَةُ الْأَمَانِي      فَلَمْ نَحْزَنْ عَلَى الْعُمْرِ الْمُبَادِ  
 وَكَمْ نَادَتْ فَاسْمَعَتِ اللَّيَالِي      وَلَكِنْ لَا مُصِيخَ إِلَى مُنَادِ  
 مُجَاهِرَةٌ بِنُكْرٍ دُونَ عُرْفِ      وَتَنْدِيدٌ يُعَادُ بِكُلِّ نَادِ  
 يَطُولُ تَعَجُّبِي مِمَّا حَلَلْنَا      وَلَمْ نَخَفِ السُّيُولَ بِبَطْنِ وَادِ  
 وَلَمْ أَرْ مِثْلَنَا سَفْرًا تَبَارَوْا      إِلَى الْغَايَاتِ سَيْرًا دُونَ زَادِ

اللهم وَفَّقْنَا تَوْفِيقًا يَقِينًا عَنْ مَعَاصِيكَ وَأَرْشَدْنَا إِلَى السَّعْيِ فِيمَا يَرْضِيكَ وَأَجْرُنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ  
 خَزِيكَ وَعَذَابِكَ وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وَأَحِبَّاكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ  
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

( فَصْلٌ ) : فائدة - قَالَ ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : لشهادة أن لا إله إلا الله عِنْدَ الموت تأثير عَظِيمٌ فِي تكفير السيئات وإحباطها لأنها شهادة من عبد موقن بما عارف بمضمونها قَدْ ماتت منه الشهوات ولانت نَفْسُهُ المتمرّدة وانقادت بعد إِبَائِهَا ، وأقبلت بعد أعراضها ، وذلت بعد عزها وخَرَجَ مِنْهَا حرصها على الدُّنْيَا وفضولها واستخذت بين يدي ربه وفاطرها ومولاها الحق أذل ما كَانَتْ لَهُ وأرجى ما كَانَتْ لعفوه ومغفرته ورحمته ، وتجرد مِنْهَا التَّوْحِيدُ بانقطاع أسباب الشرك وتحقق بطلانه .

فزالَتْ مِنْهَا تلك المنازعات التي كَانَتْ مشغولة بها ، واجتمعَ هَمُّهَا على من أيقنت بالقدوم عَلَيْهِ والمصير إليه ، فوجه العُبد وجهه بكليته إليه ، واقبل بقلبه وروحه وهمه عَلَيْهِ ، فاستسلم لله وحده ظاهراً وباطناً واستوى سره وعلانيته .

فَقَالَ : لا إله إلا الله مخلصاً من قَلْبِهِ وَقَدْ تخلص من التعلق بغيره والالتفات إلى ما سواه ، قَدْ خرجت الدُّنْيَا كُلُّهَا من قَلْبِهِ وشارف القدوم على ربه ، وخدمت نيران شهوته ، وامتلأ قَلْبُهُ من الآخِرَةِ ، فصارت نصب عينيه ، وصارت الدُّنْيَا وراء ظهره .

فَكَانَتْ تلك الشهادة الخَالِصَةَ خاتمة عمله فطهرته من ذنوبه وأدخلته على ربه لأنه لَقِيَ ربه بشهادة صادقة خالصة وافق ظاهرها باطنها وسرها وعلانياتها فلو حصلت لَهُ الشهادة على هَذَا الوجه فِي أيام الصحة لا ستوحش من الدُّنْيَا وأهلها وفر إلى الله من النَّاسِ وَأَنسَ به دون من سواه لكنه شهد بما بقلب مشحون بالشهوات وحب الحياة وَأَنسَ بها ونفس مملوءة بطلب الحظوظ والالتفات إلى غير الله فلو تجردت كتجردها عِنْدَ الموت لَكَانَ لها نَبَأٌ آخر وعيش آخر سِوَى عيشها البهيمي . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

شِعْرًا : إِذَا مَا شِئْتُ أَنْ تَحْيَا      حَيَاةً حُلُوءَةَ الْمَحْيَا  
فَلِلْفُرُوضِ لَا تَهْمَلْ      وَذِكْرُ اللَّهِ لَا تَنْسَى

شِعْرًا : أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرَأَ يَحْسِبُ مَالَهُ  
كَأَنَّ الْحَمَاءَ الْمُشْفِقِينَ عَلَيْكَ قَدْ  
وَمَا هُوَ إِلَّا النَّعْشُ لَوْ قَدْ أَتَوْ بِهِ  
وَمَا هُوَ إِلَّا حَادِثٌ بَعْدَ حَادِثٍ  
وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ يَأْتِي لَوْفَتِهِ  
أَلَا وَإِذَا وُدِّعْتَ تُودِيَعُ هَالِكٍ  
أَلَا وَكَمَا شَيَّعَتْ يَوْمًا جَنَائِرًا  
رَأَيْتُكَ فِي الدُّنْيَا عَلَى ثِقَةٍ بِهَا  
وَصَفَّتَ الثَّقَى وَصَفًا كَأَنَّكَ ذُو ثَقَى )  
وَلَمْ تُعْنِ بِالْأَمْرِ الَّذِي هُوَ وَاقِعٌ  
وَإِنَّكَ لِلْمَنْقُوصِ فِي كُلِّ حَالَةٍ  
وَمَا زِلْتُ أَرْمِي كُلَّ يَوْمٍ بِعِبْرَةٍ  
فَمَا بَالُ عَيْنِي لَا تَجُودُ بِمَائِهَا  
تَبَارَكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ الْمُلْكَ غَيْرُهُ  
وَأَيُّ امْرِيٍّ فِي غَايَةِ لَيْسَ نَفْسُهُ  
وَبَعْضُ بَنِي الدُّنْيَا لِبَعْضِ ذُرِيَعَةٍ  
يُجِبُّ السَّعِيدُ الْعَدْلَ عِنْدَ احْتِجَاجِهِ

وَوَارِثَهُ فِيهِ غَدًا يَتَمَتَّعُ  
غَدُوا بِكَ أَوْ رَاحُوا رَوَاحًا فَاسْرِعُوا  
تُقَلِّ فُتَلَقَى فَوْقَهُ ثُمَّ تُرْفَعُ  
عَلَيْكَ فَمِنْ أَيِّ الْحَوَادِثِ تَجْرَعُ  
فَمَالِكَ فِي تَأْخِيرِهِ عَنْكَ مَدْفَعُ  
فَآخِرُ يَوْمٍ مِنْكَ يَوْمٌ تُودَعُ  
فَأَنْتَ كَمَا شَيَّعْتَهُمْ سَشْيَعُ  
وَإِنَّكَ فِي الدُّنْيَا لِأَنْتَ الْمُرْوَعُ  
وَرِيحُ الْخَطَايَا مِنْ تِيَابِكَ تَسْطَعُ  
وَكُلُّ امْرِيٍّ يَعْنَى بِمَا يَتَوَقَّعُ  
وَكُلُّ بَنِي الدُّنْيَا عَلَى النِّقْصِ يُطْبَعُ  
تَكَادُ لَهَا صُومُ الْجِبَالِ تَصْدَعُ  
وَمَا بَالُ قَلْبِي لَا يَرِقُّ وَيَخْشَعُ  
مَتَى تَنْقُضِي حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ يَقْنَعُ  
إِلَى غَايَةِ أُخْرَى سِوَاهَا تَطْلَعُ  
وَكُلُّ بِكُلِّ قَلَمًا يَتَمَتَّعُ  
وَيَبْغِي الشَّقِيَّ الْبَغْيَ وَالْبَغْيَ يَصْرَعُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى نَهْجِ الْإِسْتِقَامَةِ وَأَعِدْنَا مِنْ مَوْجِبَاتِ الْحُسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَخَفِّفْ  
عَنَا ثِقَلِ الْأَوْزَارِ ، وَارزُقْهَا عَيْشَةَ الْأَبْرَارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا  
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .



( موعظة )

عباد الله كلنا نعلم أن حياتنا مهما امتدت وصفت للزوال ، وكذلك كُلِّ واحد منا يعلم أنه أتى للدنيا للاختيار بما كلفنا به من العبادات والمعاملات ، سيصبح الواحد منا عما قريب في حفرةٍ وحيداً لَيْسَ معه أولاد ولا أموال ، وحينئذ تَكُونُ أيها الأخ كأنك ما رَأَيْتِ الدُّنْيَا ولا هِيَ رَأَتْكَ لحظة من اللحظات .

ويا ليتك إِذَا زالت الحياة تزول دون أن يترتب عَلَيْهَا آثار لو كَانَ ذَلِكَ لأحب بعضنا الموت ، لأنه يكون بشيراً بانتهاء الأمراض والمصائب والآلام لكنك تعلم أنه يعقب ذَلِكَ الموت أهوال ، وأمور مزعجات ، تلاقي جزء ما كَانَ منك قبل الموت في الاختيار .

فإن كنت قَدْ أَحْسَنْتِ ، رَأَيْتِ قبرك روضة نعيم ، وإن كنت مسيئاً رأيتَه نيراناً محرقات

عن البراء بن عازب قَالَ : كنا في جنازة رجل من الأنصار ومعنا رسول الله ﷺ فانتبهينا إِلَى القبر ولم يلحد ، ووضعت الجنازة وجلس رسول الله ﷺ فَقَالَ : « إن المؤمن إِذَا احتضر أتاه ملك الموت في أحسن صورة ، وأطيب ريحاً ، فجلس عنده لِقَبْضِ رُوحِهِ ، وأتاه ملكانَ بجنوط من الجنة وكانا منه على بعيد فاستخرَجَ ملك الموت روحه من جسده رشحاً

فإذا صَارَتْ إِلَى ملك الموت ابتدرها الملكان فأحذاها منه فحنطها بجنوط من الجنة وكفناها بكفن من الجنة ثُمَّ عرجا بها إِلَى الجنة ، فتفتح لَهُ أبواب السماء ، وتستبشر الملائكة بها ويقولون : لمن هَذِهِ الروح الطيبة التي فتحت لها أبواب السماء .

ويسمى بأحسن الأسماء التي كَانَ يسمي بها في الدُّنْيَا ، فيَقَالُ هَذِهِ روح

فلان فإذا صعدًا بها إلى السماء شيعها مقربوا كلَّ سماء حتى توضع بين يدي الله عند العرش ، فيخرج عملها من عليين فيقول الله عزَّ وجلَّ للمقربين : اشهدوا أنني قد غفرت لصاحب هذا العمل . ويختتم كتابه فيرد في عليين .

فيقول الله عزَّ وجلَّ : ردوا روح عبدي إلى الأرض ، فإني وعدتهم أنني أردهم فيها .  
 ثمَّ قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾  
 فإذا وضع المؤمن في لحده تقول له الأرض : إن كنت حبيبًا إليَّ وأنت على ظهري ، فكيف إذ صرت اليوم في بطني سأريك ما أصنع بك ، فيفسح له في قبره مد بصره .  
 وقال رسول الله ﷺ : « إِذَا وَضِعَ الْكَافِرُ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مِنْكَ وَنَكِيرٌ فَيَجْلِسَانَهُ فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رِيكَ ؟ فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي . فَيَقُولَانِ لَهُ : لَا دَرِيْتَ ، فَيَضْرِبَانَهُ ضَرْبَةً فَيَصِيرُ رَمَادًا ، ثُمَّ يَعَادُ فَيَجْلِسُ فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا قَوْلُكَ فِي هَذَا الرَّجُلِ . فَيَقُولُ : أَيُّ رَجُلٍ ؟ فَيَقُولَانِ : مُحَمَّدٌ ﷺ فَيَقُولُ : قَالَ النَّاسُ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَضْرِبَانَهُ ضَرْبَةً فَيَصِيرُ رَمَادًا » .

ويا ليت الأمر ينتهي ويقف عند هذا الحد ، فتبقى في قبرك على الدوام ، فإنه أخف بما بعده ، فتكون آلامك فيه أخف إن كنت من أهل الشقاء والآثام ، ولكن تعلم أن ما أخبر به الله سيقع ، وهو القيام من القبور ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وحيث تسوقك نتيجة اختبارك إما إلى الجنة وإما إلى السعير ، من كان مكذبًا بهذا والعياذ بالله فلا كلام لنا معه ، لأن ماله إلى جهنم وبئس المهاد لأنه من الكافرين ، وإن كان مؤمنًا بذلك كما أخبر الله ورسوله فهو الذي تفيد فيه المواعظ وضرب الأمثال ويقال : لماذا نراك متصفاً بما يخالف قولك .

شِعْرًا : فَأَكْثَرُ مَنْ تَلَقَى يَسْرُكَ قَوْلُهُ وَلَكِنْ مَنْ يَسْرُكَ فِعْلُهُ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْعَقْلَةِ وَنَبْهِنَا لِإِغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمَهَلَةِ وَوَقِّفْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تَوَاحِدْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْ سِرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنَّا ، وَامْنَنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتُوبَةِ تَمَحُّو بِهَا عَنَا كُلَّ ذَنْبٍ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَخِتَامَ لَا تَصْحُوْ وَقَدْ قَرُبَ الْمَدَى وَخِتَامَ لَا يَنْجَابُ عَنْ قَلْبِكَ السُّكْرُ )  
بَلَى سَوْفَ تَصْحُو حِينَ يَنْكَشِفُ وَتَذُكُرُ قَوْلِي حِينَ لَا يَنْفَعُ الذُّكْرُ

آخِرُ : وَمُنْتَظِرٍ لِلْمَوْتِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ يَشِيدُ وَيَبْنِي دَائِمًا وَيُحْصِنُ  
لَهُ حِينَ تَبْلُوهُ حَقِيقَةُ مُوقِنٍ وَأَفْعَالُهُ أَفْعَالُ مَنْ لَيْسَ يُوقِنُ

" فَصَلِّ يَحْتَوِي عَلَى الْإِنْكَارِ عَلَى الْمُنْحَرِفِينَ "

نراك في ليلك ونهارك في ما يغضب مولاك فلسانك في ميدان الفحش ، ومنكر القول جواد عظيم وعينك في أودية النظرات الخائبة دَائِمًا تحول وتهيم ، وفرجك لا يتهيب أن يتجاوز أرضه الطيبة إلى الأرض الوبيئة الخبيثة وأما بطنك فلا يعف عن أحبث المأكولات ، وأما أذنك فمصغية وسامعة إلى ما لا يحل من الكلام .

وأما رجلك فساعية إلى المعاصي والآثام ، وأما يدك فباطشة بالضعيف دون توقع ، فيا مسكين أن المعاصي عدو مبين ، يعلم ذلك كل مؤمن عاقل فضلاً عن المؤمن يلقي نفسه فيها ، فاتعظ وتنبه أيها الأخ وبرهن على إنك تميز بين النافع والضار .

شِعْرًا : إِنَّ فِي الْمَوْتِ وَالْمَعَادِ لَشُغْلًا وَادِّكَارًا لِذِي النَّهْيِ وَبَلَاغًا

فَاعْتَبِرْ خِصْلَتَيْنِ قَبْلَ الْمَنَائِمَا  
 آخِر : فَبَادِرِ مَتَابًا قَبْلَ يُغْلَقُ بَابُهُ  
 وَمَثَلُ وُرُودِ الْقَبْرِ مَهْمَا رَأَيْتَهُ  
 آخِر : يَا طَالِبًا رَاحَةً مِنْ دَهْرِهِ عَبَّأ  
 كَمْ مَنْظَرٍ رَائِقٍ أَفْنَتْ جَمَالَتَهُ  
 وَكَمْ هُمَامٍ وَكَمْ قَرَمٍ وَكَمْ مَلِكٍ  
 وَكَمْ إِمَامٍ إِلَيْهِ تَنْتَهِي دُؤْلُ  
 وَكَمْ عَزِيزٍ أَدَلَّتْهُ الْمُنُونُ وَمَا  
 يَا عَارِفًا دَهْرُهُ يَكْفِيكَ مَعْرِفَةً  
 هَلْ فِي زَمَانِكَ أَوْ قَبْلَهُ سَمِعَتْ  
 وَهَلْ رَأَيْتَ أَنَاسًا قَدْ عَلَوْا وَغَلَّوْا  
 أَوْ هَلْ نَسِيتَ ( لِدُوا لِلْمَوْتِ ) أَوْ  
 وَهَلْ رَعَى الْمَوْتُ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ  
 الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ  
 وَلَيْسَ فَقْدُ إِمَامٍ عَالِمٍ عَلِمَ  
 وَلَيْسَ مَوْتُ الَّذِي مَاتَتْ لَهُ أُمَّمٌ

صِحَّةَ الْجِسْمِ يَا أَخِي وَالْفَرَاعَا  
 وَتَطْوَى عَلَى الْأَعْمَالِ صُخْفُ التَّزْوُدِ  
 لِنَفْسِكَ نِفَاعًا فَقَدَّمَهُ تَسْعِدِ  
 أَقْصِرْ فَمَا الْوَقْتِ إِلَّا بِالْهُمُومِ مُلِي  
 يَدُ الْمُنُونِ وَأَعْيَتْهُ عَنِ الْحِيَلِ  
 تَحْتَ التُّرَابِ وَكَمْ شَهْمٍ وَكَمْ بَطَلِ )  
 قَدْ صَارَ بِالْمَوْتِ مَعْرُولًا عَنِ الدُّوَلِ  
 أَنْ صَدَّهَا عَنْهُ مِنْ مَالٍ وَلَا حَوْلِ  
 وَإِنْ جَهَلْتَ تَصَارِيْفَ الزَّمَانِ سَلِ  
 أَدْنَاكَ أَنْ ابْنَ أَنْثَى غَيْرُ مُنْتَقِلِ  
 فِي الْفَضْلِ زَادُوا بِمَا نَالُوا عَنِ الْأَجَلِ )  
 عَيْنَاكَ عَنِ وَاضِعِ نَعْشًا وَمُحْتَمِلِ  
 أَوْ هَلْ خَلَا أَحَدٌ دَهْرًا بِلا خَلَلِ  
 لَكِنْ ذَا الْفَضْلِ مَحْمُولٌ عَلَ عَجَلِ  
 كَفَقْدِ مَنْ لَيْسَ ذَا عِلْمٍ وَلَا عَمَلِ  
 كَمَوْتِ شَخْصٍ مِنَ الْأَوْغَادِ وَالسَّقَلِ )

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ وَقْوِي إِيمَانَنَا بِكَ وَمَلَائِكَتِكَ وَكُتُبِكَ وَرِسْلِكَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِهِ ،  
 اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَقْفَنَا لَامْتِثَالَ أَمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ  
 وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " فَصْلٌ فِي الرَّجَاءِ "

الرجاء قِيلَ فِي تَعْرِيفِهِ هُوَ ارْتِيَا حَ لَانْتِظَارَ مَا هُوَ مَحْبُوبٌ عِنْدَ الْإِنْسَانِ

ولكن ذَلِكَ المتوقع لا بد له من سبب حاصل ، فَإِنَّ لم يكن السبب معلوم الوجود ولا معلوم الانتقاء سمي تمنياً لأنه انتظار من غير سبب ولا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على ما يتردد فيه .

فأما ما لا يتردد فيه ويقطع به فلا إِذَا ، لا يُقَالُ أرجو طلوع الشمس ولكن يُقَالُ أرجو نزول المطر ، وأخاف انقطاعه وضد الرجاء اليأس وَهُوَ تذكر فوت رحمة الله ، وقطع القلب عَنْ ذَلِكَ ، واليأس معصية ، قَالَ تَعَالَى إخباراً عما قاله يعقوب ﴿ وَلَا تَيَاسُؤْا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

شِعْرًا : لَا تَرْجُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ  
وَأَقْطَعُ عُرَى الْأَمَالِ مِنْ خَلْقِهِ  
لَا تَطْلُبُ الْفَضْلَ مِنْ غَيْرِهِ  
وَاضْنُ بِمَاءِ الْوَجْهِ وَاسْتَبْقِهِ  
فَالرِّزْقُ مَفْسُومٌ وَمَا لَمْ يَرِ  
يَكُونُ طُولَ الدَّهْرِ فِي رِقِّهِ  
آخِر : الـتَمَسِ الْأَرْزَاقِ عَنِ الَّذِي  
مَا دُونَهُ إِنْ سُئِلَ مِنْ حَاجِبِ  
وَمَنْ إِذَا قَالَ جَرَى قَوْلُهُ  
بَغْيَرِ تَوْقِيْعِ مِنَ الْكَاتِبِ

ومقدمات الرجاء أربع ، الأولى : ذكر سوابق فضل الله إلى العبد . والثانية : ذكر ما وعد الله من جزيل ثوابه وعظيم كرمه وجوده دون استحقاق أو سؤال . الثالثة : ذكر كثرة نعم الله عَلَيْكَ فِي أمر دينك وبدنك وديناك فِي الحال من أنواع الإمداد والألطف من غير استحقاق أو سؤال . والرابعة : ذكر سعة رحمة الله تَعَالَى وسبقها غضبه وأنه الرحمن الرحيم الغني الكريم الرؤوف بعباده الْمُؤْمِنِينَ ، وقوة الرجاء على حسب قوة المعرفة بِاللَّهِ وأسمائه وصفاته وغلبة رحمته غضبه .

قَالَ ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ فالرجاء ضروري للمريد السالك والعارف لو فارقه لحظة لتلف أو كاد فإنه دائر بين ذنب يرجو غفرانه وعيب يرجو إصلاحه وعمل صالح يرجو قبوله واستقامة يرجو حصولها ودوامها .

وقرب من الله ومنزلة عنده يرجو وصوله إليها والرجاء من الأسباب التي ينال بها العبد ما يرجوه من ربه بل هو من أقوى الأسباب . أ هـ .

وقال في مختصر منهاج القاصدين : وقد علم أرباب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالأرض والإيمان كالبذر فيها والطاعات جارية مجرى تنقية الأرض وتطهيرها ، ومجرى حفر الأنهار وسياقة الماء إليها .

وأن القلب المستغرق بالدنيا كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة هو يوم الحصاد ، ولا يحصد أحد إلا ما زرع ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان ، وقل أن ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه ، كما لا ينمو البذر في الأرض السبخة .

فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع ، فكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً غير مسوسٍ وعفنٍ ، ثم ساق إليها الماء في أوقات الحاجة ونقى الأرض من الشوك والحشيش وما يفسد الزرع .

ثم جلس ينتظر من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته ، فهذا يسمى انتظاره رجاءً ، فأما إن بذر في أرض سبخة صلبة مرتفعة لا يصل إليها الماء ولم يتعاهدها أصلاً ثم انتظر الحصاد فهذا يسمى انتظاره حمقاً وغروراً لا رجاءً .

وإن بث البذر في أرض طيبة ، ولكن لا ماء لها وأخذ ينتظر مياه الأمطار سمي انتظاره تمنياً لا رجاءً ، فإن اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب ، تمهدت أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ، ولم يبق إلا ما ليس إلى اختياره ، وهو فضل الله سبحانه بصرف الموانع المفسدات .

فالعبد إذا بث بذر الإيمان وسقاه ماء الطاعات ، وطهر القلوب من شوك الأخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى ثباته على ذلك إلى الموت ، وحسن

الخاتمة المفضية إلى المغفرة كَانَ انتظاره لِذَلِكَ رجاءٌ محمودًا باعثًا على المواظبة على الطاعات والقيام بمقتضى الإيمان إلى الموت .

شِعْرًا : تَرَى الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَصْبُو  
فُصُولُ العَيْشِ أَكْثَرُهَا هُمُومٌ  
وَمَا يَخْلُو مِنَ الشَّهَوَاتِ قَلْبُ  
وَأَكْثَرَ مَا يَضُرُّكَ مَا تُحِبُّ  
فَلَا يَغْرُوكَ زُحْرُفُ مَا تَرَاهُ  
وَعَيْشٌ لَيْنٌ الأَعْطَافِ رَطْبُ

وإن قطع بذر الإيمان عن تعهده بماء الطاعات أو ترك القلب مشحونًا برذائل الأخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ، ثم انتظر المغفرة كَانَ ذَلِكَ حمقًا وغرورًا ، قَالَ الله تَعَالَى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ﴾ ودم القائل ﴿ وَلَمَّا رُذِدْتُ إِلَى رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ .

شِعْرًا : أَفِي السَّبَخَاتِ يَا مَعْبُونُ تَبْنِي  
دُنُوبُكَ جَمَّةٌ تَتْرَى عِظَامًا  
وَمَا أَبْقَى السَّبَاخُ عَلَى الأَسَاسِ  
وَأَيَّامًا عَصَيْتَ اللهَ فِيهَا  
وَدَمْعُكَ جَامِدٌ وَالْقَلْبُ قَاسِي  
فَكَيْفَ تُطِيقُ يَوْمَ الدِّينِ حِمْلًا  
وَقَدْ حَفِظْتَ عَلَيْكَ وَأَنْتَ نَاسِي  
هُوَ اليَوْمُ الَّذِي لَا وَدَّ فِيهِ  
لَأُوزَارِ الكَبَائِرِ كَالرَّوَاسِي  
وَلَا نَسَبٌ وَلَا أَحَدٌ مُوَاسِي

اللَّهُمَّ يَا عَالِمِ الخَفِيَّاتِ ، ويا رفيع الدرجات ، يا غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، ذي الطول لا إله إلا أَنْتَ إليك المصير ، نسألك أن تذيبنا برد عفوك ، وحلاوة رحمتك ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وصلى الله على مُحَمَّدٍ وآله وصحبه أجمعين .

( موعظة ) : عباد الله يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا وتقدس : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ عباد الله إن الصَّلَاةَ عماد الدين وأعظم أركان الإسلام بعد الشهاداتتين ، وهي قرّة عين المؤمن وطمانينة قلبه تبدو

واضحة في وقوفه بين يدي ربه ، وخشوعه وانكساره ، عِنْدَمَا يتجه إليه في عبادته ، ويقف خاضعاً ذليلاً بين يدي العزيز الحكيم .

عباد الله من حافظ على الصَّلَاة فهو السَّعِيدُ الرَّابِحُ ، ومن أضاعها فهو الشَّقِي الخاسر ، وإن اللبيب العاقل من إِذَا حضر للصلاة اقبل بقلبه وقالبه ، وطرح الدُّنْيَا وشؤونها ومتعلقاتها جانباً وتدبر ما يتلوه إن كَانَ وحده أو إماماً . وأنصت وأحضر قلبه إن كَانَ مأموماً وتفهم ما يسمع وابتهل وتضرع إلى مولاه .

( موعظة ) : عباد الله إن الخشوع في الصَّلَاة هُوَ روحها ، والمحور الَّذِي تدور عَلَيْهِ سائر أفعالها ، والخشوع فيها مَعَ الإِخْلَاصِ لله آية الإِيْمَانِ وسبب الفلاح وأمان من وساوس الشيطان . ألا وإن الصَّلَاة بلا خشوع كجسد بلا روح قَالَ ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ( لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ إِلَّا مَا عَقُلْتَ مِنْهَا ) .

وفي المسند مرفوعاً : « إن العبد ليصلي الصَّلَاة ولم يكتب له إلا نصفها أو ثلثها أو ربعها حتى بلغ عشرين » . وَقَدْ علق الله فلاح المصلين بالخشوع في صلاتهم فدل على أن من لم يخشع فليس من أهل الفلاح ولو اعتد له بها ثواباً لَكَانَ من المفلحين هَكَذَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ .

قَالُوا : وأما الاعتداد بها في أحكام الدُّنْيَا وسقوط الْقَضَاءِ فَإِنَّ غلب الخشوع وتعقلها اعتد بها إجماعاً ، وَكَانَتْ السُّنَنُ والأذكار وعقبها جواهر ومكملات لنقصها ، وإن غلب عَلَيْهِ عدم الخشوع فيها وعدم تعلقها .

فَقَدْ اختلف الْعُلَمَاءُ في وجوب إعادتها واحتجوا بأنها صلاة لا يثاب عَلَيْهَا ، ولم يضمن له فيها الفلاح فلم تبرأ ذمته مِنْهَا ، ويسقط الْقَضَاءُ عَنْهُ كصلاة المرأئي قَالُوا : ولأن الخشوع والعقل روح الصَّلَاة ، ومقصوها ولبها ،



فَكَيْفَ يَعْتَدُ بِصَلَاةٍ فَقَدَتْ رُوحَهَا ، وَلِبِهَا وَبَقَتْ صُورَتُهَا وَظَاهِرُهَا .

قَالُوا : وَلَوْ تَرَكَ الْعَبْدُ وَاجِبًا مِنْ وَاجِبَاتِهَا عَمْدًا لِأَبْطَلَهَا تَرْكُهُ وَغَايَتُهُ أَنْ يَكُونَ بَعْضًا مِنْ أِبْعَاضِهَا مَنْزِلَةً فَوَاتَ عَضْوُ مِنْ أَعْضَاءِ الْعَبْدِ الْمُعْتَقِ فِي الْكُفْرَةِ ، فَكَيْفَ إِذَا عَدِمَتْ رُوحَهَا وَمَقْصُودُهَا ، وَصَارَتْ بِمَنْزِلَةِ الْعَبْدِ الْمَيِّتِ فَإِذَا لَمْ يَعْتَدِ بِالْعَبْدِ الْمَقْطُوعِ الْيَدِ يَعْتَقَهُ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُفْرَةٍ وَاجِبَةٍ فَكَيْفَ يَعْتَدُ بِالْعَبْدِ الْمَيِّتِ .

وَقَالَ بَعْضُ السَّنَفِ : الصَّلَاةُ كَجَارِيَةٍ تَهْدِي إِلَى مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ فَمَا الظَّنُّ بِمَنْ يَهْدِي إِلَيْهِ جَارِيَةٌ شَلَاءٌ أَوْ عَوْرَاءٌ أَوْ عَمِيَاءٌ أَوْ مَقْطُوعَةٌ الْيَدِ أَوْ الرَّجُلِ أَوْ مَرِيضَةٌ أَوْ دَمِيمَةٌ أَوْ قَبِيحَةٌ حَتَّى يَهْدِيَ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ مَيِّتَةٌ بِلَا رُوحٍ وَجَارِيَةٌ قَبِيحَةٌ فَكَيْفَ بِالصَّلَاةِ الَّتِي يَهْدِيهَا الْعَبْدُ وَيَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى رَبِّهِ تَعَالَى وَاللَّهُ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَلَيْسَ مِنَ الْعَمَلِ الطَّيِّبِ صَلَاةٌ لَا رُوحَ فِيهَا كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْعَتَقِ الطَّيِّبِ عَتَقَ بِلَا رُوحٍ .

قَالُوا : وَتَعْطِيلُ الْقَلْبِ عَنْ عِبَادِيَةِ الْحُضُورِ وَالْخُشُوعِ تَعْطِيلُ مَلِكٍ الْأَعْضَاءِ عَنْ عِبَادِيَتِهِ وَعِزْلُ لَهُ عَنْهَا فَمَاذَا تَغْنِي طَاعَةُ الرَّعِيَةِ وَعِبَادِيَتُهَا وَقَدْ عِزَلَ مَلِكُهَا وَتَعْطَلَ .

قَالُوا : وَالْأَعْضَاءُ تَابِعَةٌ لِلْقَلْبِ تَصْلُحُ بِصَلَاحِهِ وَتَفْسُدُ بِفَسَادِهِ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ قَائِمًا بِعِبَادِيَتِهِ فَالْأَعْضَاءُ أَوْلَى أَنْ لَا يَعْتَدِ بِعِبَادِيَتِهَا وَإِذَا فَسَدَتْ عِبَادِيَتُهُ بِالْعَقْلَةِ وَالْوَسْوَاسِ فَأَنْتِ تَصِحُّ عِبَادِيَةُ رَعِيَتِهِ وَجُنْدِهِ وَمَادَتِهِمْ مِنْهُ وَعَنْ أَمْرِهِ يَصْدُرُونَ وَبِهِ يَأْتَمُرُونَ .

قَالُوا : وَلِأَنَّ عِبَادِيَةَ مَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْعَقْلَةُ وَالسُّهُوُّ فِي الْغَالِبِ لَا تُكُونُ مَصَاحِبَةً لِلْإِخْلَاصِ فَإِنَّ الْإِخْلَاصَ قَصْدَ الْمَعْبُودِ وَحُدَّهُ بِالْتَعَبُدِ وَالْعَافِلُ لَا قَصْدَ لَهُ فَلَا عِبَادِيَةَ لَهُ .

قَالُوا : وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ ،  
ولَيْسَ السهو عَنْهَا تركها وإلا لم يكونوا مسلمين وإنما السهو عَنْ واجبها إما عَنْ الحضور أو  
الخشوع .

والصواب أنه يعم النوعين فإنه سُبحَانَهُ أَنْبَتَ لَهُمْ صلاةً ووصفها بالسهو عَنْهَا ، فهو  
السهو عَنْ وقتها الواجب أو عَنْ إخلاصها وحضورها الواجب ، وَلِذَلِكَ وصفهم بالرياء ،  
ولو كَانَ السهو سهو ترك لما كَانَ هناك رياء أ . ه .

وبالتالي فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا مَرَّ نَفْسُهُ وَقَلْبُهُ عَلَى التفهم والتدبر والخشوع والخضوع فِي  
الصَّلَاةِ انغرسَتْ فِي قَلْبِهِ خشية الله ومحبته والرغبة فيما لديه وحضرته هيبه خالقه فِي جميع  
أحواله وَفِي جميع أعماله .

فَإِذَا سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ أَمْرًا أَوْ زَيْنَ لَهُ الشَّيْطَانُ سَوْءًا تَبَرَّأَ مِنْهُمَا قَائِلًا إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ  
العالمين فكن فِي صلاتك خاشعًا خاضعًا محببًا .

فَإِذَا قُلْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَاسْتَحْضِرْ عِظَمَةَ اللَّهِ وَأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَكْبَرَ مِنْهُ وَلَا شَيْءَ أَعْظَمَ مِنْهُ  
وَأَنَّهُ مُسْتَحَقٌّ لِأَنْ يُعْظَمَ وَيَجَلَّ وَيُقَدَّرَ وَأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَسَاوِيهِ أَوْ يَدَانِيهِ فِي عِظَمَتِهِ .  
وَإِذَا قُلْتُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَاسْتَحْضِرْ أَنَّهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلشَّاءِ وَأَنَّهُ الْمُرَبِّي لِجميع الخلق  
التربية العامة والمربي لخواص خلقه التربية الخاصة ، وهي تربية القلوب على العقائد النافعة ،  
والأعمال الصالحة ، والأخلاق الفاضلة .

وَإِذَا قُلْتُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ اسْتَحْضِرْ لِرَحْمَتِهِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ رَاجِعًا مِنْهُ أَنْ يَجْعَلَكَ مِنْ  
كُتْبِهَا لَهُمْ فَإِذَا قُلْتُ مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ اسْتَحْضِرْ لَوْقُوفِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ أَحْكَمُ  
الْحَاكِمِينَ .

فَإِذَا قُلْتُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اسْتَحْضِرْ أَنَّكَ تَخْصُهُ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ

والاستعانة ، المعنى نعبدك ولا نعبد غيرك ونستعين بك ولا نستعين بغيرك .  
فإذا قُلْتُ أهدنا الصراط المستقيم استحضرت أَنَّكَ تتضرع إليه وتسأله أن يدلك  
ويرشدك ويوفقك إلى سلوك الصراط المستقيم وأن يثبتك عَلَيْهِ فَهَذَا الدُّعَاءُ من أَجْمَعِ  
الأدعية وأنفعها للعبد ولهذا وجب على العبد أن يدعو به في كُلِّ ركعة من صلاته لضرورته  
إِلَى ذَلِكَ وَهَذَا الصراط هُوَ صراط المنعم عَلَيْهِم من النبيين .

والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا ، وافعل في باقي صلاتك كما  
فعلت في أولها من التدبر والتفهم محضًا قلبك لمعاني ما تقوله وما تسمعه حتى تكتب لك  
كاملة .

عباد الله إن من حافظ على الصلوات في أوقاتها وواظب على الجُمُعة والجماعات  
وأداها تأدية تامة بخشوع وخضوع ، استنار قلبه وقويت الصلة بينه وبين ربه ، وتهدبت  
نفسه وحسنت مع الله والناس معاملته ،  
وحيل بينه وبين المحرمات وكان على البؤساء عطوفًا وبالضعفاء رحيمًا ، وأفلح في دينه  
وكان من المحبوبين عند الله وعند خلقه .

عباد الله النفس آمرة بالسوء ، والشيطان يأمر بالفحشاء والمُنكر والسيف القاطع  
والدواء النافع الذي جعله الله وقاية للإنسان من شر النفس والشيطان ، إنما هُوَ الصَّلَاة ،  
قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ .

عباد الله احذروا أن تستهينوا بالصَّلَاة وأن لا تهتموا لها ، فَإِنَّ هَذِهِ صِفَةُ الَّذِينَ خَلت  
صلاتهم من التذلل والخشوع كما ترونهم يسرعون في أدائها وهم عنها غافلون لا يعرفون لها  
معنى ولا يعقلون لها سرًا ولم تشعر قلوبهم بحلاوتها ولا بلذة المناجات قد ملكتهم الوسواس  
، وامتألت قلوبهم بشواغل

الدُّنْيَا وَلذَاتهَا ، وَاسْتَحِذْ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَعْتَشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ عَمِيَتْ بَصَائِرِهِمْ ، وَتَحَجَّرَتْ ضَمَائِرُهُمْ ، فَأَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ، وَأَهْمَلُوا أَوْامِرَ بَدِيعِ السَّمَاوَاتِ وَغَفَلُوا عَنْ وَاجِبِ شُكْرِهِ وَلَمْ يَخَافُوا سَطْوَةَ جَبْرُوتِهِ وَبَطْشَةَ ، وَلَا سُوءِ الْحِسَابِ ، وَلَا نَارِ الْعَذَابِ ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ ، ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ .

فِيهَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَحَافِظُوا عَلَى صَلَاتِكُمْ وَقَوْمُوا لِلَّهِ خَاضِعِينَ خَاشِعِينَ لِنُفُوزِ بَرِضْوَانِهِ وَتَكُونُوا مِنَ الْمَفْلُحِينَ .

شِعْرًا : اللَّهُ دُرُّ السَّادَةِ الْعَبَّادِ	فِي كُلِّ كَهْفٍ قَدْ ثَوَّوْا أَوْ وَادِي
أَلْوَانُهُمْ تُنْيِيكَ عَنْ أَحْوَالِهِمْ	وَدُمُوعُهُمْ عَنْ حُرْقَةِ الْأَكْبَادِ
كَتَمُوا الضَّنَى حِفْظًا لَهُمْ وَتَحَمَّلُوا	سُقْمَ الْهَوَى وَمَشَقَّةَ الْأَجْسَادِ
هَجَرُوا الْمَرَاقِدَ فِي الظَّلَامِ لِرَبِّهِمْ	وَاسْتَبَدَّلُوا سَهْرًا بِطَيْبِ رُقَادِ
لَا يَفْتُرُونَ إِذَا الدُّجَى وَافَاهُمُوا	مِنْ كَثْرَةِ الْأَذْكَارِ وَالْأَزْوَادِ
وَرَأَوْا عِلَامَاتِ الرَّجِيلِ فَبَادِرُوا	تَحْصِيلِ مَا التَّمَسُّوا مِنَ الْأَزْوَادِ
فَإِذَا اسْتَمَالَ قُلُوبَهُمْ دَاعِي الْهَوَى	ذَكَرُوا الْبَلَى فِي ظُلْمَةِ الْإِلْحَادِ
نَظَرُوا إِلَى الدُّنْيَا تَعَرُّ بِأَهْلِهَا	بِوَصَالِهَا وَتَكْرُرُ بِالْإِبْعَادِ
فَتَجَنَّبُوهَا عِفَّةً وَتَزَهُدًا	وَتَزُودُوا مِنْ صَالِحِ الْأَزْوَادِ
وَمَضُوا عَلَى مِنْهَاجِ صَحْبِ نَبِيِّهِمْ	فَنَجَّوْا غَدًا مِنْ هَوْلِ يَوْمِ مَعَادِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

( فَصْلٌ ) : رَوَى شَدَادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « الْكَيْسُ مِنْ دَانَ نَفْسُهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي » .

وَمِمَّا وَرَدَ فِي الْحَثِّ عَلَى الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ،  
 وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ﴾ ، وَقَالَ  
 تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ  
 لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الآية .

وَقَالَ : ﴿ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَن  
 عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾ وَقَالَ : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ .

شِعْرًا : إِذَا شَدَّ زَنْدِي حُسْنُ ظَنِّي بِمَنْ عَلَى ( عَلَى خَلْقِهِ فَهُوَ الَّذِي كُنْتُ أَطْلُبُ  
 آخِر : وَإِنِّي لَأَتِي الذَّنْبَ أَعْرِفُ قَدْرَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَغْفُو وَيَغْفِرُ  
 لِمَنْ عَظَّمَ النَّاسُ الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا وَإِنْ عَظُمَتْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ تَصْغُرُ

وَقَالَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا  
 آخَرَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ  
 كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ .

وَقَالَ : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ  
 أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن  
 يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ووجه الدلالة مِنْهَا حَيْثُ أَوْصَى اللَّهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى  
 الْقَاضِي .

ومن جانب الرجاء ما كان من أمر السحرة المبارزين لموسى عليه السلام فما كان إلا  
 أن رأوا آية موسى فعرفوا الحق ووقعوا سجداً ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ \* رَبِّ مُوسَى  
 وَهَارُونَ ﴾ أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء برة فهذا حال من عرف الله ووحده بعد كُـلِّ  
 ذَلِكَ السحر والكفر والضلال والفساد فكيف حال من أفنى عمره في توحيد الله .

وَكذًا قصة أصحاب الكهف إذ آمنوا بالله كيف لطف بهم ، وأكرمهم وألبسهم المهابة حتى إن بركتهم شملت كلبهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحالة وصار له ذكر وشان وخبر يتلى وهذه فائدة صحبة الأخيار فما ظنك بالمؤمن الذي عبّد الله ووحده ولهج بذكره آناء الليل وآناء النهار ، وعادى فيه ووالى فيه سنين عديدة وبوده لو عمر زيادة تابع فيها خدمة سيده ومولاه جلّ وعلا .

ومن جانب الرجاء قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ ﴾ .

شِعْرًا : تَفِيضُ عُيُونِي بِالِدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ  
 عَلَى عُمْرِي إِذْ وَلَّى وَحَانَ انْقِضَاؤُهُ  
 عَلَى غُرْرِ الْأَيَّامِ لَمَّا تَصَرَّمْتُ  
 عَلَى زَهْرَاتِ الْعَيْشِ لَمَّا تَسَاقَطْتُ  
 عَلَى أَشْرَفِ الْأَوْقَاتِ لَمَّا غُبَّتْهَا  
 عَلَى أَنْفَسِ السَّاعَاتِ لَمَّا أَضَعْتُهَا  
 عَلَى صَرَفِي الْأَيَّامِ فِي غَيْرِ طَائِلِ  
 عَلَى مَا تَوَلَّى مِنْ زَمَانٍ قَضَيْتُهُ  
 عَلَى فُرْصٍ كَانَتْ لَوْ أَنِّي انْتَهَزْتُهَا  
 وَأَحْيَانًا أَنَاءِ مِنَ الدَّهْرِ قَدْ مَضَتْ  
 عَلَى صُحُفٍ مَشْحُونَةٍ بِمَآثِمِ  
 عَلَى كَمِّ ذُنُوبٍ كَمِّ عُيُوبٍ وَزَلَّةٍ  
 عَلَى شَهَوَاتٍ كَانَتْ النَّفْسُ أَقْدَمَتْ  
 عَلَى أَنْبِي آثَرْتُ دُنْيَا دُنْيَا  
 وَمَالِي لَا أَبْكِي عَلَى خَيْرِ ذَاهِبِ  
 بِأَمَالٍ مَغْرُورٍ وَأَعْمَالٍ نَاكِبِ  
 وَأَصْبَحْتُ مِنْهَا رَهْنًا شُومِ الْمَكَّاسِبِ  
 بِرِيحِ الْأَمَانِيِّ وَالظُّنُونِ الْكُوَاذِبِ  
 بِأَسْوَاقِ غَبْنٍ بَيْنَ لَاهٍ وَلَا عِبِ  
 وَقَضَّيْتُهَا فِي غَفْلَةٍ وَمَعَاظِبِ  
 وَلَا نَافِعٍ مِنْ فِعْلٍ فَضَّلِ وَوَاجِبِ  
 وَرَجَيْتُهُ فِي غَيْرِ حَقٍّ وَصَائِبِ  
 لَقَدْ نَلْتُ فِيهَا مِنْ شَرِيفِ الْمَطَالِبِ  
 ضَيَاعًا وَكَانَتْ مُوسِمًا لِلرَّغَائِبِ  
 وَجُرْمٍ وَأُوزَارٍ وَكَمِّ مِنْ مَثَالِبِ  
 وَسَيِّئَةٍ مَخْشِيَّةٍ فِي الْعَوَاقِبِ  
 عَلَيْهَا بِطَبْعٍ مُسْتَحْتٍ وَعَالِبِ  
 مُنْعَصَةً مَشْحُونَةً بِالْمَعَائِبِ

عَلَى عَمَلٍ لِلْعِلْمِ غَيْرِ مُوَافِقٍ  
 عَلَى فِعْلِ طَاعَاتٍ بِسَهْوٍ وَعَقْلَةٍ  
 أَصْلِي الصَّلَاةِ الْخُمْسِ وَالْقَلْبِ جَائِلٍ  
 عَلَى أَنْبِيِ أَتْلُو الْقُرْآنَ كِتَابَهُ  
 عَلَى طُولِ آمَالٍ كَثِيرٍ غَرُورُهَا  
 عَلَى أَنْبِيِ قَدْ أذْكَرُ اللَّهَ خَالِقِي  
 عَلَى أَنْبِيِ لَا أذْكَرُ الْقَبْرَ وَالْبَلَى  
 عَلَى أَنْبِيِ عَنِ يَوْمِ بَعْثِي وَمَحْشَرِي  
 مَوَاقِفُ مِنْ أَهْوَالِهَا وَخُطُوبِهَا  
 تَغَافَلْتُ حَتَّى صِرْتُ مِنْ فُرْطِ غَفْلَتِي  
 عَلَى النَّارِ أَنِّي مَا هَجَرْتُ سَبِيلَهَا  
 عَلَى السَّعْيِ لِلْجَنَاتِ دَارِ النَّعِيمِ وَالِدِ  
 مِنْ الْعِزِّ وَالْمُلْكِ الْمَخْلَدِ وَالْبَقَا  
 وَأَكْبَرُ مِنْ هَذَا رِضَا الرَّبِّ عَنْهُمْ  
 فَأَهَا عَلَى عَيْشِ الْأَحْبَةِ نَاعِمًا  
 وَأَهَا عَلَيْنَا فِي غُرُورٍ وَعَقْلَةٍ  
 وَأَهَا عَلَى مَا فَاتَ مِنْ هَدْيِ سَادَةِ  
 عَلَى مَا لَهُمْ مِنْ هِمَّةٍ وَعَزِيمَةٍ  
 عَلَى مَا لَهُمْ مِنْ عِفَّةٍ وَفُتُوَّةٍ  
 عَلَى مَا لَهُمْ مِنْ صَوْمٍ كُلِّ هَجِيرَةٍ  
 عَلَى الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ اللَّذِينَ تَحَقَّقَا  
 عَلَى مَا صَفَا مِنْ قُرْبِهِمْ وَشُهُودِهِمْ  
 وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ جَلَالَهُ  
 وَمَا فَضْلُ عِلْمٍ دُونَ فِعْلِ مُنَاسِبِ  
 وَمِنْ غَيْرِ إِحْضَارٍ وَقَلْبِ مُرَاقِبِ  
 بِأَوْدِيَةِ الْأَفْكَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ  
 تَعَالَى بِقَلْبِ ذَاهِلٍ غَيْرَ رَاهِبِ  
 وَنَسِيَانٍ مَوْتٍ وَهُوَ أَقْرَبُ غَائِبِ  
 بِغَيْرِ حُضُورٍ لِازِمٍ وَمُصَاحِبِ  
 كَثِيرًا وَسَفْرًا ذَاهِبًا غَيْرَ آيِبِ  
 وَعَرْضِي وَمِيزَانِي وَتِلْكَ الْمَصَاعِبِ  
 يَشِيبُ مِنَ الْوَلْدَانِ شَعْرُ الذَّوَائِبِ  
 كَأَنِّي لَا أَدْرِي بِتِلْكَ الْمَرَاهِبِ  
 وَلَا خِفْتُ مِنْ حَيَاتِهَا وَالْعَقَارِبِ  
 كَرَامَةِ الزُّلْفَى وَنَيْلِ الْمَارِبِ  
 وَمَا تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ مِنْ كُلِّ طَالِبِ  
 وَرُؤْيَتُهُمْ إِيَّاهُ مِنْ غَيْرِ حَاجِبِ  
 هِنِيئًا مُصَفَّى مِنْ جَمِيعِ الشَّوَابِ  
 هِنِيئًا مُصَفَّى مِنْ جَمِيعِ الشَّوَابِ  
 عَنِ الْمَلَاءِ الْأَعْلَى وَقُرْبِ الْحَبَابِ  
 وَمِنْ سِيرَةِ مَحْمُودَةٍ وَمَذَاهِبِ  
 وَجَدِّ وَتَشْمِيرِ لَيْلِ الْمَرَاتِبِ  
 وَزُهْدِ وَتَجْرِيدِ وَقَطْعِ الْجَوَادِبِ  
 وَمِنْ خَلْوَةٍ بِاللَّهِ تَحْتَ الْعِيَاهِبِ  
 وَصِدْقِ وَإِخْلَاصِ وَكَمٍّ مِنْ مَنَاقِبِ  
 وَمَا طَابَ مِنْ أَدْوَابِهِمْ وَالْمَشَارِبِ

فَأَهَا عَلَى عَيْشِ الْأَحْبَةِ نَاعِمًا  
وَأَهَا عَلَيْنَا فِي غُرُورٍ وَعُغْفَلَةٍ  
وَأَهَا عَلَى مَا فَاتَ مِنْ هَدْيِ سَادَةٍ  
عَلَى مَا لَهُمْ مِنْ هِمَّةٍ وَعَزِيمَةٍ  
عَلَى مَا لَهُمْ مِنْ عَقَّةٍ وَفُتُوَّةٍ  
عَلَى مَا لَهُمْ مِنْ صَوْمٍ كُلِّ هَجِيرَةٍ  
عَلَى الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ اللَّذِينَ تَحَقَّقَا  
عَلَى مَا صَفَا مِنْ قُرْبِهِمْ وَشُهُودِهِمْ  
وَاسْتَغْفِرُ اللَّهُ الْعَظِيمَ جَلَالَهُ  
إِلَيْهِ مَا بِي وَهُوَ حَسْبِي وَمَلْجَأِي  
وَأَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ فِيمَا بَقِيَ لِمَا  
وَأَنْ يَتَغَشَّانَا بِعَفْوٍ وَرَحْمَةٍ  
وَأَنْ يَتَوْلَانَا بِطُفٍّ وَرَأْفَةٍ  
وَأَنْ يَتَوَفَّانَا عَلَى خَيْرِ مَلَّةٍ  
مُقِيمِينَ لِلْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي  
مُحَمَّدٌ الْهَادِي الْبَشِيرُ نَبِينَا  
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ

وَقُدْرَتُهُ فِي شَرْقِهَا وَالْمَغَارِبِ  
عَنْ الْمَلَاءِ الْأَعْلَى وَقُرْبِ الْحَبَائِبِ  
وَمِنْ سِيرَةِ مُحَمَّدٍ وَمَذَاهِبِ  
وَجَدِّ وَتَشْمِيرِ لَيْلِ الْمَرَاتِبِ  
وَزُهْدِ وَتَجْرِيدِ وَقَطْعِ الْجَوَاذِبِ  
وَمِنْ خَلْوَةٍ بِاللَّهِ تَحْتَ الْعِيَاهِبِ  
وَصِدْقِ وَإِخْلَاصِ وَكَمِّ مِنْ مَنَاقِبِ  
وَمَا طَابَ مِنْ أَذْوَاقِهِمْ وَالْمَشَارِبِ  
وَقُدْرَتُهُ فِي شَرْقِهَا وَالْمَغَارِبِ  
وَلِي أَمَلٍ فِي عَطْفِهِ غَيْرُ خَائِبِ  
يُحِبُّ وَيَرْضَى فَهُوَ أَسْنَى الْمَطَالِبِ  
وَفَضْلٍ وَإِحْسَانٍ وَسَتْرِ الْمَعَائِبِ  
وَحِفْظِ يَقِينَا شَرَّ كُلِّ الْمَعَاظِبِ  
عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ خَيْرِ الْمَوَاهِبِ  
أَتَانَا بِهَا عَالِي الدُّرَى وَالْمَرَاتِبِ  
وَسَيِّدُنَا بَحْرُ الْهُدَى وَالْمَنَاقِبِ  
وَأَلٍ وَأَصْحَابٍ لَهُ كَالْكُوكَبِ

( موعظة ) : عباد الله لا شيء أفسد للقلب من التعلق بالدنيا والركون إليها فإن متاعها قليل ولا تطمعوا بالإقامة فيها فإن البقاء فيها مستحيل كيف لا والمنادي ينادي كل يوم يا عباد الله الرحيل ، هو الموت ما منه فوت ولا تعجيل ولا يقبل الفداء فاستعدوا له فإنه سيأتيكم عن قريب . عباد الله لا شيء أفسد للقلب من التعلق بالدنيا والركون إليها وإيثارها على الآخرة فإن هذا الفساد يقعد المسلم عن التطلع إلى الآخرة والعمل لها وإتباع الجسد في سبيل الله والدعوة إليه وهيئات لقلب فاسد مريض أن يقوى على مهام الدعوة إلى الله ، إن الدنيا فيها قابلية



الإغراء للتعلم بها وحبها . ولهذا وصفها النبي ﷺ بقوله : « إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَحْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ » . وقد حذرنا ربنا من الوقوع في شباكها والتعلق بها فقال عز من قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْعُرُورُ ﴾ . ووجه الاعتزاز بالدنيا أن فيها مباحج ومناظر وملذات للأنفس والأعين والأسماع تهواها نفسه بطبيعتها وتؤثرها على ما سواها ، قال تعالى : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ \* وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ ، وقال عز من قائل : ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ \* وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴾ . فإذا تركت النفس وشانها زاد تعلقها بالدنيا وزاد التصاقها بها حتى تصبح هي كل غايتها ومنتها أملها ومبلغ علمها ، قال الله جلَّ وعلا : ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَن دِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ . وإذا ما وصلت النفس إلى هذا الحد فقدت حاسة القبول والاعتبار وعند ذلك لا يجدي معها وعظ ولا تذكير مهما بالغت فيه . فما هو العلاج لمن وصل إلى هذه الدرجة العلاج بإذن الله هو تخليص القلب من أسرارها وتعلقه بها وذلك بان يجعل زوال الدنيا نصب عينيه ويتيقن لقاء الآخرة وبقائها وما فيها من النعيم المقيم . ويتدبر الآيات مثل قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَدْمُومًا مَّدْحُورًا \* وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴾ . وقوله تعالى ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى ﴾ ، وقوله : ﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ . وقوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ \* أُولَٰئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ ﴾ الآية . ويتدبر الأحاديث مثل قوله ρ لابن عمر : « كن في الدنيا غريباً أو عابراً سبيل » . الحديث . وقوله : « ما لي وللدنيا » . ونحو ذلك من الآيات والأحاديث التي مرت سابقاً حول أمثلة الدنيا .

ويقارن بين الأمرين فَإِنَّ كَانَ ذا عقل راجح آثر الآخرة على الدنيا وأيضًا لا بد من قطع التسويف وطول الأمل حتى يحس أنه في غربة وأنه مسافر عن هذه الدار وأنه سيرحل عنها في آية ساعة رغم أنه شاء أم أبى .

شِعْرًا : وَكُلُّ حَيٍّ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءٍ مَحْمُولٍ  
آخر : وَكُلُّ حَيٍّ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا لَهُ مِنْ دَوَاعِي الْمَوْتِ تَثْوِيبٌ

وإن وسوس له الشيطان وألقى في روعه إنك شاب قوي موفور الصحة مشدود أسرك وفي إمكانك الرجوع إلى الطاعة والإقبال إلى الآخرة فليطرد وساوسه باستحضار الذين رحلوا شابًا وكهولًا وهم الآن تحت الثرى .

شِعْرًا : يُعَمَّرُ وَاحِدٌ فَيَعُرُّ أَلْفًا وَيُنْسَى مَنْ يَمُوتُ مِنَ الشَّبَابِ  
آخر : لَا تَغْتَزِرْ بِشَبَابٍ نَاعِمٍ خَضِلٍ فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شُبَّانٌ

ويخرج إلى المقابر ويتفكر فيمن جمعوا الأموال وقتلوا أوقاتهم في طلبها واتعبوا أبدانهم وأنهم سيحاسبون عليها ، ويفكر فيمن تعود عليهم بعده ربما أنهم لا يذكرونه بخير ويتمنون موته فلماذا يحرق نفسه في جمعها لهم .

شِعْرًا : وَقَدْ يُورَثُ الْمَالُ الْبُعِيدَ مُظْلَلٌ  
آخر : فَمَا تَزُودُ مَمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ وَعَيْرَ نَفْخَةِ أَعْوَادٍ تُشَبُّ لَهُ

ورائي من يكون به سعيدًا؟! شَقِيتُ بِمَا جَمَعْتُ فَلَيْتَ شِعْرِي

أَعَايِنُ حَسْرَةَ أَهْلِي وَمَالِي إِذَا مَا النَّفْسُ جَاوَزَتِ الْوَرِيدَا

أَعِدُّ الزَّادَ مِنْ تَقْوَى فَإِنِّي رَأَيْتُ مَنِّي السَّفَرَ الْبُعِيدَا

وَهَالِ عَلَى مَنَّاكِبِي الصَّعِيدَا تَبَدَّلَ صَاحِبِي فِي اللَّحْدِ مِنِّي

رَأَيْتَ مَحَاسِنِي قَدْ صِرْنَ دُودَا فَلَوْ أَبْصَرْتَنِي مِنْ بَعْدِ عَشْرِ

وَحِيدًا مُفْرِدًا يَا رَبِّ [ لُطْفًا ] بَعْدِكَ حِينَ مَا يُتْرَكَ وَحِيدَا

فإذا قصر أمله في الحياة انبعث إلى التجهز للآخرة بعمل الطاعات إذ لا يدري متى ينادى عليه بالرحيل فإذا تخلص من التعلق بالدنيا وأفرغ ما في قلبه من سمومها وأقبل على الآخرة أحس بغربة شديدة في الدنيا ولكن مع خفة في روحه وإقبال شديد على مرضي الله وعلى رأسها الدعوة إليه وهداية الحيارى من عباد الله .

لا يعوقه عن ذلك عائق من تعب ولا نصب ولا سفر ولا سهر ولا بذل ولا تضحية لأن ذلك كله من الزاد المؤكد نفعه وفائدته في سفره الطويل البعيد إلى الآخرة بل إنه سيعقب تعب راحة وأمله لذة وفي بذله ربحاً وفي تضحيته عوضاً مضموناً .

وفي وصية الإمام علي بن أبي طالب لابنه الحسن أحي قلبك بالموعظة وأمته بالزهادة وقوه باليقين ونوره بالحكمة ودلله بذكر الموت وقرره بالفناء وبصره بفجائع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والأيام وأعرض عليه أخبار الماضين وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين وسر في ديارهم وآثارهم وانظر فيما فعلوا وعمما انتقلوا وأين حلوا ونزلوا فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة وحلوا في دار غربة وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم فأصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك إلى أن قال : يا بني أكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت إليه حتى يأتيك وقد أخذت وشدت له أزرك ولا يأتيك بغتة فيبهرك وإياك أن تعتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها وتكالبتهم عليها فقد نبأك الله عنها ونعت لك نفسها وتكشف لك عن مساويها فإن أهلها كلاب عاوية وسباع ضارية يهر بعضها بعضاً أي ينبح بعضها على بعض ويأكل عزيزها ذليلها ويقهر كبيرها صغيرها نعم معلقة وأخرى مهملة قد أضلت عقولها وركبت مجهولها سروح عاهة ليس راع يقيمها ولا مقيم يسيئها سلكت بهم الدنيا طريق العمى وأخذت

بأبصارهم عن منار الهدى فتاهوا في خيراتها وغرقوا في نعمتها واتخذوها رثًا فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها ، واعلم أن من كان مطيته الليل والتَّهَارَ فإنه يسار به وإن كان واقفًا ويقطع المسافة وإن كان مقيمًا .

شِعْرًا : يَا جَامِعَ الْمَالِ إِنَّ الْعُمَرَ مُنْصَرِمٌ      فَايْخُلُ بِمَالِكَ مَهْمَا شِئْتَ أَوْ فَجُدِ  
وَيَا عَزِيزًا يَخِيطُ الْعُجْبُ نَاطِرُهُ      أَذْكَرُ هَوَانِكَ تَحْتَ التُّرْبِ وَاتَّيْدِ  
قَالُوا تَرَقَى فُلَانُ الْيَوْمَ مَنْزِلَةً      فَقُلْتُ يُنْزِلُهُ عَنْهَا لِقَاءُ غَدِ  
كَمْ وَاثِقٍ بِاللَّيَالِي مَدَّ رَاحَتَهُ      إِلَى الْمَرَامِ فَنَادَاهُ الْحِمَامُ قَدِ  
وَبَاسِطٍ يَدَهُ حُكْمًا وَمَقْدِرَةً      وَوَارِدُ الْمَوْتِ أَدْنَى مِنْ فَمِ لِيَدِ  
كَمْ غَيْرَ الدَّهْرِ مِنْ دَارٍ وَسَاكِنِهَا      لَا عَنْ عَمِيدِ ثَنَى بَطْشًا وَلَا عَمَدِ  
زَالَ الَّذِي كَانَ لِلْعَلِيَا بِهِ سَنَدٌ      وَزَالَتْ الدَّارُ بِالْعَلِيَاءِ فَالَسَّنَدِ  
تَبَارَكَ اللَّهُ كَمْ تَلَقَى مَصَائِدَهَا      هَذِي التُّجُومُ عَلَى الدَّانِينَ وَالْبَعْدِ  
تَجْرِي التُّجُومُ بِتَقْرِيْبِ الْحِمَامِ لَنَا      وَهَنَّ مِنْ قُرْبِهِ مِنْهَا عَلَى أَمَدِ  
لَا بُدَّ أَنْ يَغْمِسَ الْمِقْدَارُ مُدْيَتَهُ      فِي لَبَّةِ الْجَدِي مِنْهَا أَوْ حَشَى الْأَسَدِ )  
عَجِبْتُ مِنْ آمَلٍ طُولَ الْبَقَاءِ وَقَدْ      أَخْنَى عَلَيْهِ الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدِ  
يَجْرُ خَيْطُ الدُّجَى وَالْفَجْرِ أَنْفُسَنَا      لِلتُّرْبِ مَا لَا يَجْرُ الْجَبَلُ مِنْ مَسَدِ  
هَذِي عَجَائِبُ تَشِي النَّفْسَ حَاثِرَةً      وَتُبْعِدُ الْعَقْلَ مِنْ عِيٍّ عَلَى ضَمَدِ  
مَا لِي أُسْرُ بِيَوْمٍ نَلْتُ لَذَّتَهُ      وَقَدْ ذَوَى مَعَهُ جُزْءٌ مِنَ الْجَسَدِ  
لَا تَرَكَّنْ فَرِيدًا فِي التُّرَابِ غَدًا      وَلَوْ تَكَثَّرَ مَا بَيْنَ الْوَرَى عَدَدِي  
مَا نَافِعِي سَعَةٌ فِي الْعَيْشِ أَوْ حَرْجٌ      إِنْ لَمْ تَسْعِنِي رُحْمِي الْوَاحِدِ الصَّمَدِ )

اللَّهُمَّ قنعنا من الدنيا باليسير وسهل علينا كلَّ أمر عسير ووقفنا لما تحبه وترضاه إنَّكَ على كلِّ شيءٍ قدير وأسكننا دار كرامتك يا من هو ملجؤنا وملاذنا وإليه المصير واجعل لنا من كلِّ هم فرجًا ومن كلِّ ضيق مخرجًا ،

اللَّهُمَّ أَحْيِي قلوبًا أماتها البعد عَنْ بابك ، ولا تعذبنا بأليم عقابك يَا أَكْرَمَ من سَمَحَ بالنوال  
وجاد بالأفضال ، اللَّهُمَّ أيقظنا من غفلتنا بلطفك وإحسانك ، وتجاوز عَنْ جرائمنا بعفوك  
وغفرانك ، واغفر لنا ولوالدينا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الأحياء مِنْهُمْ والميتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ  
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " فَضْلٌ "

ومَّا ورد في فضيلة الرجاء من الأحاديث ما في الصحيحين عَنْ أَبِي سعيد رَضِيَ اللهُ  
عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أن رجلاً قتل تسعة وتسعين نفساً ، ثُمَّ ندم وسأل عابداً من عباد  
بني إسرائيل هل له من توبة فقال لا فقتله وأكمل به مائة ، ثُمَّ سأل عالماً من علمائهم هل  
له من توبة فقال ومن يحول بينك وبين التوبة .

ثُمَّ أمره بالذهاب إلى قرية يعبد الله فيها فقصدتها فأتاه الموت في أثناء الطريق  
فاختصمت فيه ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب ، فأمر الله عزَّ وجلَّ أن يقيسوا ما بين  
الأرضين ، فإلى أيهما كان أقرب فهو منَّها فوجدوه أقرب إلى الأرض التي هاجر إليها  
بشير فقبطته ملائكة الرحمة ، وذكر أنه نأى بصدرة عند الموت ، وأن الله تبارك وتعالى  
أمر البلدة الخيرة أن تقترب وأمر تلك البلد أن تتباعد . هَذَا معنى الحديث .

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « من شهد أن لا  
إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن مُحَمَّدَ عبده ورسوله ، وأن عيسى عَبْدُ اللهِ ورسوله  
وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما  
كان من العمل » . متفق عَلَيْهِ . وفي رواية لمسلم : « من شهد أن لا إله إلا الله ، وأن  
مُحَمَّدًا رسول الله حرم الله عَلَيْهِ النار » .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عز وجل من جاءَ بالحسنةَ فله عشر أمثالها ، أو أزيد ومن جاءَ بالسيئةَ فجزاء سيئةً مثلها أو أغفر ، ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولاً ، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئةً لا يشرك بي شيئاً لقيته بمنثلها مغفرة » .  
رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وعن جابر رضي الله عنه قال : جاء أعربي إلى رسول الله ﷺ فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ما الموجدتان ؟ قَالَ : « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، ومن مات يشرك به شيئاً دخل النار » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَفِي حَدِيثٍ معاذ : « ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار » .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هريرة وأبي سعيد أن النبي ﷺ قَالَ : « أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَفِي حَدِيثِ عتبان قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله » . متفق عليه .

وعن عُمَرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه قال : قدم رسول الله ﷺ بسبي فإذا امرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبياً في السبي أخذته فالزقته ببطنها فأرضعته ، فقال رسول الله ﷺ : « أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟ قلنا : لا والله . فقال : « لله أرحم بعباده من هذه بولدها » . متفق عليه .

وعن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قَالَ اللَّهُ يَا ابْنَ آدَمِ إِنَّكَ ما دعوتني ورجوتني ، غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يَا ابْنَ آدَمِ لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ، يَا ابْنَ آدَمِ

إِنَّكَ لو أتيتني بقراب الأَرْضِ خطايا ، ثُمَّ لقيتني لا تشرك بي شَيْئًا ، لا تبتك بقرابها مغفرة . « . رَوَاهُ الترمذي .

وعنه عَنْ رسول الله ﷺ قَالَ : « إن الكافر إِذَا عمل حَسَنَةً أطعم بها طعمة من الدُّنْيَا ، وأما المؤمن فَإِنَّ الله تَعَالَى يدخر له حسناته فِي الآخِرَةِ ويعقبه رزقًا فِي الدُّنْيَا على طاعته . « .

وَفِي رواية : « إن الله لا يظلم مؤمنًا حَسَنَةً يعطى بها فِي الدُّنْيَا ويجزى بها فِي الآخِرَةِ وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل لله تَعَالَى فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لم يكن له حَسَنَةً يجزى بها . « . رَوَاهُ مُسْلِم .

وَفِي حديث ابن مسعود قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « ما أنتم فِي أَهْلِ الشُّرْكِ إِلَّا كالشُّعْرَةِ البِيضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّورِ الأَسْوَدِ أَوْ كالشُّعْرَةِ السُّودَاءِ فِي جِلْدِ الثَّورِ الأَحْمَرِ . « . متفق عَلَيْهِ .

وَفِي حديث ابن عباس قَالَ : سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ : « ما من رجل مُسْلِمٍ يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله شَيْئًا إِلَّا شفَعَهُمُ اللهُ فِيهِ . « . رَوَاهُ مُسْلِم .

وَفِي حديث أبي هريرة فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « اذهب فمَنْ لقيت وراءَ هَذَا الحَائِطِ يشهد أن لا إله إِلَّا اللهُ مستيقنًا بما قلبه فبشره بالجنة . « . رَوَاهُ مُسْلِم .

وعن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النَّهَارِ ويبسط يده بالنَّهَارِ ليتوب مسيء الليل حَتَّى تطلع الشمس من مغربها . « . رَوَاهُ مُسْلِم .

شِعْرًا :

تَبَّعَ مَرَاذِي اللهِ وَادَّعَى وَالْحِفَا  
لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُجَابَ فَتَسْعَدَا  
وَحَافِظٌ عَلَى فِعْلِ الْفُرُوضِ بِوَقْتِهَا  
وَلَاتَسْوَانِي عِنْدَمَا تَسْمَعُ النَّدَا

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُدنى المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول : أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول : ربي أعرف ، قال : فأني سترتها عليك في الدنيا وأنا اغفرها لك اليوم فيعطي صحيفة حسناته » . متفق عليه .

وينبغي لمن قربت مفارقتة الدنيا أن يكون على باله ما تقدم من آيات الرجاء وأحاديث الرجاء . والله أعلم و صلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

شِعْرًا : نَادَتْ بِوَشِكِّ رَحِيلِكَ الْيَوْمَ  
وَمَضَى أَمَامَكَ مَنْ رَأَيْتُ وَأَنْتَ لِدِ  
مَا لِي أَرَاكَ كَأَنَّ عَيْنَكَ لَا تَرَى  
تَأْتِي الْخُطُوبُ وَأَنْتَ مُتَّبِعُهُ لَهَا  
قَدْ وَدَّعْتِكَ مِنَ الصَّبَا نَزْوَاتُهُ  
وَأَرْضَ الْمَشِيبِ مِنَ الشَّبَابِ خَلِيفَةً  
وَكَلَاهُمَا حُجَّجٌ عَلَيْكَ قَوِيَّةٌ  
وَلَقَدْ غَنَيْتَ مِنَ الشَّبَابِ بِغِطَّةٍ  
أَهْلًا وَسَهْلًا بِالْمَشِيبِ مُؤَدِّبًا  
مَا زُخِرْفُ الدُّنْيَا وَزُبْرُجُ أَهْلِهَا  
وَلَرُبَّ ذِي فُرْشٍ مُمَهَّدَةٍ لَهُ  
وَلَكُمْ رَأَيْتُ مَحَلَّةً أَقْوَتْ وَكَمْ  
وَالْمَوْتُ يَعْمَلُ وَالْعُيُونُ قَرِيرَةٌ  
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ دَائِمٌ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لِيَجْلَالَهُ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ لَمْ يَزَلْ  
سُبْحَانَهُ مَلِكٌ تَعَالَى جَدُّهُ

أَفَلَسْتُ تَسْمَعُ أَمْ بِكَ اسْتِصْمَامُ  
بَاقِينَ حَتَّى يَلْحَقُوكَ إِمَامُ  
عَبْرًا تَمُرُّ كَأَنَّهِنَّ سِهَامُ  
فَإِذَا مَضَتْ فَكَأَنَّهَا أَحْلَامُ  
فَاجْهَدْ فَمَا لَكَ بَعْدَهُنَّ مَقَامُ  
فَكِلَاهُمَا لَكَ خَلْفَةٌ وَنِظَامُ  
وَكِلَاهُمَا نِعَمٌ عَلَيْكَ جِسَامُ  
وَلَقَدْ كَسَاكَ وَقَارُهُ الْإِسْلَامُ  
وَعَلَى الشَّبَابِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ  
إِلَّا غُرُورٌ كُلُّهُ وَحُطَامُ  
أَمْسَى عَلَيْهِ مِنَ التُّرَابِ رِكَامُ  
جَدْتُ رَأَيْتُ تُلُوحَ فِيهِ عِظَامُ  
تَلْهُو وَتَعَبْتُ بِالْمُنَى وَتَنَامُ  
أَبَدًا وَلَيْسَ لِمَا سِوَاهُ دَوَامُ  
وَلِحَلْمِهِ تَتَصَاغَرُ الْأَحْلَامُ  
لَا تَسْتَقِلُّ بِعِلْمِهِ الْأَوْهَامُ  
وَلَوْجِهَهُ الْإِجْلَالُ وَالْإِكْرَامُ



اللَّهُمَّ اجعلنا من المتقين الأبرار وأسكننا معهم في دار القَرَار ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا بحسن الإقبال عَلَيْكَ والإصغار إليك وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ والمبادرة إلى خدمتك وحسن الآداب في معاملتك والتسليم لأَمْرِكَ والرِّضَا بقضائك والصبر على بلائك والشكر لنعمائك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المُسْلِمِينَ الأحياء مِنْهُمْ والميتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" فَصْلٌ " : إِذَا فَهَمْتَ مَا تَقْدِمُ فَاعْلَمْ أَنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ لَا بَدَّ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالخَوْفِ ، وَهَذَا الطَّرِيقُ هُوَ طَرِيقُ الاعتدال ، لِأَنَّهُ إِنْ غَلَبَ عَلَيْكَ الرَّجَاءُ حَتَّى فَقدت الخوفَ البتة وقعت فِي طَرِيقِ الأَمْنِ من مكر الله ، ولا يَأْمَنُ مكر الله إِلا القومُ الخاسرون . وَإِنْ غَلَبَ عَلَيْكَ الخوفُ حَتَّى فَقدت رجاءَ الله وقعت فِي طَرِيقِ اليأس ، ولا ييأس من روح الله إِلا القومُ الكافرون ، ولا يقنط من رحمة ربه إِلا الضالون ، وَإِنْ جمعت بين الخوفِ والرَّجَاءِ فهو طَرِيقُ أَوْلِيَاءِ اللهُ وَأَصْفِيائِهِ .

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : وَجملَةُ الأَمْرِ أَنَّكَ إِذَا تَذَكَّرْتَ سعةَ رحمةِ اللهُ تَعَالَى التي سبقت غضبه ووسعت كُلَّ شَيْءٍ ثُمَّ أَنْ كُنْتَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ المرحومةِ الكريمةِ على اللهُ تَعَالَى ثُمَّ غايةَ فضله العَظِيمِ وكمالِ جوده الكَرِيمِ وجعلَ عنوانَ كتابه بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ثُمَّ كَثْرَةَ أَياديه إِلَيْكَ ونعمته عَلَيْكَ ظاهرةً وباطنةً من غيرِ شفيعٍ أَوْ قدمٍ سابقةٍ لَكَ .

شِعْرًا : يَا رَبِّ إِنْ ذُنُوبِي قَدْ أَحْطَتْ بِهَا عِلْمًا وَبِي وَبِإِعْلَانِي وَإِسْرَارِي  
أَنَا الْمُؤَحِّدُ لِكِنِّي الْمُقَرُّ بِهَا فَهَبْ ذُنُوبِي لِتَوْحِيدِي وَإِفْرَارِي  
آخِر : أَيَا رَبِّ قَدْ أَحْسَنْتَ عَوْدًا وَبَدَأَةً إِلَيَّ فَلَمْ يَنْهَضْ بِإِحْسَانِكَ الشُّكْرُ  
فَمَنْ كَانَ ذَا عُذْرٍ لَدَيْكَ وَحُجَّةٍ فَعُذْرِي إِفْرَارِي بِأَنْ لَيْسَ لِي عُذْرٌ

وتذكرت من جانب آخر كمال جلاله وعظمته وعظم سلطانه وهيبته

ثُمَّ شَدَّ غَضَبَهُ الَّذِي لَا تَقُومُ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، ثُمَّ غَايَةَ غَفْلَتِكَ وَكَثْرَةَ ذُنُوبِكَ وَجَفْوَتِكَ مَعَ دَقَّةِ أَمْرِهِ ، وَخَطَرَ مَعَامَلَتِهِ فِي إِحَاطَةِ عِلْمِهِ وَبَصَرِهِ بِالْعِيُوبِ وَالْغِيُوبِ ، ثُمَّ حَسَنَ وَعَدَهُ وَثَوَابَهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُ كُنْهَهُ الْأَوْهَامُ وَشِدَّةَ وَعِيدِهِ وَأَلِيمَ عِقَابِهِ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ ذَكَرَهُ الْقُلُوبُ .

تَارَةً تَنْظُرُ إِلَى عَذَابِهِ وَتَارَةً تَنْظُرُ إِلَى رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَتَارَةً تَنْظُرُ إِلَى نَفْسِكَ فِي جَفْوَاتِهَا وَجَنَائِبَاتِهَا فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ أَدَى بِكَ جَمِيعَ ذَلِكَ إِلَى الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَكُنْتَ قَدْ سَلَكْتَ سَبِيلَ الشَّارِعِ الْقَصْدِ وَعَدَلْتَ مِنَ الْجَانِبِينَ الْمُهْلِكِينَ ، الْأَمْنِ وَالْيَأْسِ وَلَا تَتِيهِ فِيهِمَا مَعَ التَّائِهِينَ ، وَلَا تَهْلِكُ مَعَ الْمَهَالِكِينَ وَشَرِبْتَ الشَّرَابَ الْمَمْزُوجَ الْعَدْلَ فَلَا تَهْلِكُ بِرُودَةِ الرَّجَاءِ الصَّرْفِ ، وَلَا بِحَرَارَةِ الْخَوْفِ الصَّرْفِ .

وَكَأَنِّي بِكَ قَدْ وَصَلْتُ إِلَى الْمَقْصُودِ غَانِمًا وَشَفِيتُ مِنَ الْعَلْتَيْنِ سَالِمًا وَوَجَدْتُ النَّفْسَ قَدْ انْبَعَثَتْ لِلطَّاعَةِ وَدَانَتْ فِي الْخِدْمَةِ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْ غَيْرِ فِتْرَةٍ وَلَا عَقْلَةٍ ، وَاجْتَنَبْتَ الْمَعَاصِيَ وَالْمَخَازِي وَهَجَرْتَهَا وَصَرْتَ حِينْتِذَ مِنَ الْأَصْفِيَاءِ الْخَوَاصِ الْعَابِدِينَ ، الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ .

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يَمْدَكَ وَإِيَانًا بِحَسَنِ تَوْفِيقِهِ وَتَسْجِيدِهِ إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَأَجُودُ الْأَجُودِينَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

اللَّهُمَّ إِنَّ نَسَأَلَكَ التَّوْبَةَ وَدَوَامَهَا ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَأَسْبَابِهَا ، اللَّهُمَّ أَفْضُ عَلَيْنَا مِنْ بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَوْنِكَ حَتَّى نُخْرَجَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى السَّلَامَةِ مِنْ وَبَالِهَا وَأَرْأَفَ بِنَا رَأْفَةَ الْحَبِيبِ بِحَبِيبِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَنَزُولِهَا ، وَارْحَمْنَا مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَغَمُومِهَا بِالرُّوحِ وَالرِّيْحَانِ إِلَى الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا ، وَمَتَعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ

والصالحين ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" فَصْلٌ " : قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : الْقَلْبُ فِي سِيرِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَنْزِلَةِ الطَّائِرِ ، فَالْحُبَّةُ رَأْسُهُ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ جَنَاحَاهُ فَمَتَى سَلِمَ الرَّأْسُ وَالْجَنَاحَانِ فَالطَّائِرُ جَيِّدُ الطَّيْرَانِ وَمَتَى قَطَعَ الرَّأْسَ مَاتَ الطَّائِرُ مَتَى فَقَدَ الْجَنَاحَانِ فَهُوَ عَرِضَةٌ لِكُلِّ صَائِدٍ وَكَاسِرٍ .

وَقِيلَ أَكْمَلِ الْأَحْوَالَ الْإِعْتِدَالَ . أ هـ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مَخْبِرًا عَنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ \* فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وَقِيلَ : إِنْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى الْقَلْبِ الْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ فَالْخَوْفُ أَفْضَلُ وَكَذَا إِنْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى الْعَبْدِ الْمَعْصِيَةِ ، وَإِنْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْيَأْسُ وَالْقَنُوطُ فَالرَّجَاءُ أَفْضَلُ . وَالَّذِي تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ النَّفْسُ سَلُوكَ الْإِعْتِدَالَ إِلَّا عِنْدَ فِرَاقِ الدُّنْيَا فَيُغْلِبُ جَانِبَ الرَّجَاءِ .

لَمَّا وَرَدَ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ : « لَا يَمُوتُنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ ذَكَرَنِي » . الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَدْ رَأَى بَعْضُهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِ فَسُئِلَ عَنْ حَالِهِ فَأَنْشَدَ :

شِعْرًا : نُقِلَتْ إِلَى رِمْسِ الْقُبُورِ وَضِيقِهَا وَخَوْفِي دُنُوبِي أَنَّهَا بِي تَعْتُرُ

فَصَادَفْتُ رَحْمَانًا رُوُوفًا وَأَنْعَمًا  
وَمَنْ كَانَ حُسْنُ الظَّنِّ فِي حَالِ مَوْتِهِ  
آخر : رَجَوْتُكَ يَا رَحْمَنُ إِنَّكَ خَيْرُ مَنْ  
فَرَحَمْتُكَ الْعُظْمَى الَّتِي لَيْسَ بَابُهَا  
آخر : يَا مَنْ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْخَلْقِ يَبْتَهِلُوا  
يَا مَنْ نَأَى فَرَأَى مَا فِي الْقُلُوبِ وَمَا  
يَا مَنْ دَنَا فَنَأَى عَنَّا أَنْ يُحِيطَ بِهِ أَلِ )  
أَنْتَ الْمَلَأْدُ إِذَا مَا أَزَمْتُ شَمِلْتُ  
أَنْتَ الْمُنَادَى بِهِ فِي كُلِّ حَادِيَةٍ  
أَنْتَ الْغِيَاثُ لِمَنْ سُدَّتْ مَذَاهِبُهُ  
إِنَّا قَصَدْنَاكَ وَالْأَمَالَ وَالْإِقَاعَةَ  
فِي أَنْ غَفَرْتَ فَعَنَ طُولٍ وَعَنَ كَرَمٍ

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه والبيهقي عن حيان أبي النضر قال :  
خرجت عائداً ليزيد بن الأسود ، فلقيت واثلة بن الأسقع وهو يريد عيادته ، فدخلنا عليه  
فلما رأى واثلة بسط يده وجعل يشير إليه ، فأقبل واثلة حتى جلس فأخذ يزيد بكفي  
واثلة فجعلهما على وجهه ، فقال له واثلة : كيف ظنك بالله ؟ قال : ظني بالله حسن .  
قال : فأبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي  
، إن ظن خيراً فله ، وإن ظن شراً فله » .

وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : والذي لا إله غيره لا يحسن عبد  
بالله الظن إلا أعطاه ظنه ، وذلك بأن الحير في يده .

وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « أمر الله عز وجل بعبد إلى النار  
فلما وقف على شفتها التفت فقال : أما والله يا رب إن كان ظني

بك لحسن فقال الله عَزَّ وَجَلَّ : ردوه أَنَا عِنْدَ حَسَنَ ظَنِّ عَبْدِ بِي .  
ولما حضرت الإمام أحمد الوفاة قَالَ لولده عَبْدُ اللَّهِ : أَذْكَرُ لِي أَحَادِيثَ الرَّجَاءِ ، وَأَنْشُدْ  
بَعْضَهُمْ يُوْبِخُ نَفْسَهُ :

شِعْرًا : أَرَانِي إِذَا حَدَّثْتُ نَفْسِي بِتَوْبَةٍ      تَعَرَّضَ لِي مِنْ دُونَ ذَلِكَ عَائِقُ  
تَفَضَّتْ حَيَاتِي فِي اشْتِغَالٍ وَعَقْلَةٍ      وَأَعْمَالٍ سُوءٍ كُلُّهَا لَا تُوَافِقُ  
طُرِدْتُ وَغَيْرِي بِالصَّلَاحِ مُقَرَّبُ      وَدُونَ بُلُوغِي مَسَلَكَ مُتَصَاقِقُ  
وَكَيْفَ وَزَلَاتُ الْمَسِيءِ كَثِيرَةٌ      أَيَقْرُبُ عَبْدٌ عَنِ مَوَالِيهِ آبِقُ  
إِلَى اللَّهِ أَشْكَو قَلْبَ سُوءٍ قَدْ احْتَوَى      عَلَيْهِ الْهَوَى وَاسْتَأْصَلَتْهُ الْعَلَائِقُ  
وَلِي حُزْنٌ يَزْدَادُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ      وَدَمْعٌ جُفُونِي لِلْبُكَاءِ يُسَاقِقُ  
فَإِنْ يَغْفِرُ الْمَوْلَى الَّذِي قَدْ أَتَيْتُهُ      فَذَلِكَ الرَّجَا وَالظَّنُّ حِينًا يُوَافِقُ  
( عِلَامَةٌ مَا يُؤَلِي مِنَ الْفَضْلِ إِنْ أَنَا      هَجَرْتُ الدُّنَا أَوْ قُلْتُ إِنَّكَ طَالِقُ )  
( وَأَقْبَلْتُ فِي تَصْلِيحِ أَخْرَائِي مُدْلِجًا      أَحَاسِبُ نَفْسِي كُلَّ مَا ذَرَّ وَشَارِقُ )

### " فَصْلٌ "

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَلَا رَيْبَ أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ الْإِحْسَانِ فَإِنَّ  
الْحُسْنَ حَسْنَ الظَّنِّ بِرَبِّهِ أَنَّهُ يُجَازِيهِ عَلَى إِحْسَانِهِ وَلَا يَخْلِفُ وَعَدَّهُ وَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُ وَأَمَّا الْمَسِيءُ  
الْمَصْرُ عَلَى الْكِبَائِرِ وَالظُّلْمِ وَالْمُخَالَفَاتِ فَإِنَّ الْمَعَاصِي وَالظُّلْمَ وَالْحَرَامَ تَمْنَعُهُ مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ  
بِرَبِّهِ وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي الشَّاهِدِ فَإِنَّ الْعَبْدَ الْآبِقَ الْمَسِيءَ الْخَارِجَ عَنِ طَاعَةِ سَيِّدِهِ لَا يُحْسِنُ  
الظَّنَّ بِهِ ، وَلَا يُجَامَعُ وَحِشَّةُ الْإِسَاءَةِ إِحْسَانُ الظَّنِّ أَبَدًا ، فَإِنَّ الْمَسِيءَ مُسْتَوْحِشٌ بِقَدْرِ  
إِسَاءَتِهِ ، وَأَحْسَنُ النَّاسِ ظَنًّا بِرَبِّهِ أَطْوَعُهُمْ لَهُ ، كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : إِنْ الْمُؤْمِنُ  
أَحْسَنَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ فَأَحْسَنَ الْعَمَلُ ، وَإِنْ الْفَاجِرُ أَسَاءَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ فَأَسَاءَ الْعَمَلُ .

وكيف يكون مُحْسِنُ الظَّنِّ بربه من هُوَ شارِدٌ عَنْهُ ، حال مرتحلٍ فِي مساحطه وما يغضبه ، متعرض للعتته ، قَدْ هَانَ حَقُّهُ وَأَمْرُهُ عَلَيْهِ فَأَضَاعَهُ ، وهَانَ نَهْيُهُ عَلَيْهِ فارتكبه وَأَصْرٌ عَلَيْهِ وكيف يُحْسِنُ الظَّنِّ بربه من بارزه بالمحاربة ، وعادى أوليائه ووالى أعداءه ، وجحد صفات له وأسَاءَ الظنِّ بما وصف نفسه ووصفه به رسوله ρ وظن بجهله أن ظاهر ذلك ضلال وكفر .

وكيف يُحْسِنُ الظَّنِّ بمن يظن أنه لا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى ولا يرضى ولا يغضب وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي حَقِّ مَنْ شَكَّ فِي تَعَلُّقِ سَمْعِهِ بِبَعْضِ الْجَزْئِيَّاتِ ، وَهُوَ السَّرِّ فِي الْقَوْلِ (٤١ : ٢٣) ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .  
فهؤلاء لما ظنوا أن الله سُبْحَانَهُ لا يعلم كثيراً ممَّا يعملون كَانَ هَذَا إِسَاءَةً لظنهم بربهم ، فأرداهم ذَلِكَ الظن . وَهَذَا شَأْنٌ كُلٌّ مِنْ جَحْدِ صِفَاتِ كَمَالِهِ وَنَعْوَتِ جَلَالِهِ ، ووصفه بما لا يليق به ، إِذَا ظَنَّ هَذَا أَنَّهُ يَدْخُلُهُ الْجَنَّةَ كَانَ هَذَا غُرُورًا وَخَدَاعًا مِنْ نَفْسِهِ ، وتسويلاً من الشيطان ، لا إحسان ظن بربه .

فتأمل هَذَا الموضع ، وتأمل شدة الحاجة إليه ، وكيف يجتمع فِي قلب العَبْدِ تيقنه بأنه مُلَاقٍ اللهُ ، وَأَنَّ اللهُ يَسْمَعُ كَلَامَهُ وَيَرَى مَكَانَهُ ، ويعلم سره وعلايته ، ولا يخفى عيه خافية من أمره ، وأنه موقوف بين يديه ومسئول عَنْ كُلِّ عَمَلٍ وَهُوَ مَقِيمٌ عَلَى مساحطه مضيع لأوامره معطل لحقوقه ، وَهُوَ مَعَ هَذَا يُحْسِنُ الظَّنِّ بِهِ .

وهل هَذَا إِلا مِنْ خَدَعِ النُّفُوسِ وَغُرُورِ الْأَمَانِيِّ ، وَقَدْ قَالَ أَبُو سَهْلٍ ابْنُ حَنِيفٍ : ( دخلت أَنَا وَعُرْوَةُ بْنُ الزَّيْبِرِ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَقَالَتْ : لو رَأَيْتَمَا رَسُولَ اللهِ ρ فِي مَرَضٍ لَهُ ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ سِتَّةُ دَنَانِيرٍ أَوْ سَبْعَةُ دَنَانِيرٍ ، فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ρ أَنْ أُفْرِقَهَا ، فَشَغَلَنِي وَجَعَ رَسُولُ اللهِ ρ حَتَّى عَافَاهُ

الله ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْهَا فَقَالَ : « ما فعلت أكنت فرقت الستة دنانير » . فَقُلْتُ : لا وَاللَّهِ ، لَقَدْ كَانَ شَغَلَنِي وَجَعَكَ ، قَالَتْ : فدعا بها فوضعها في كفه ، فَقَالَ : « ما ظن نبي الله لو لقي الله وهذه عنده » .

فيا لله ما ظن أصحاب الكبائر والظلمة بالله إِذَا لقوه ومظالم العباد عندهم ، فَإِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ قَوْلُهُمْ : حَسَنًا ظَنُّونَا بِكَ إِنَّكَ لَمْ تَعْذِبْ ظَالِمًا وَلَا فَاسِقًا ، فليصنع العبد ما شاء ، وليرتكب كُلَّ ما نهاه الله عَنْهُ ، وليحسن ظنه بالله ، فالنار لا تمسه ، فسبحان الله ، ما يبلغ الغرور بالعبد ، وَقَالَ إبراهيم لقومه (٣٧ : ٨٦) ﴿ أَفَكَا أَهْلَهُ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ \* فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . أي ما ظنكم به إن يفعل بكم إِذَا لقيتموه وَقَدْ عبدتم غيره .

ومن تأمل هَذَا الموضع حق التأمل علم أن حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ هُوَ حَسَنُ الْعَمَلِ نَفْسُهُ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ يَحْمِلُهُ عَلَى حَسَنِ الْعَمَلِ حُسْنَ الظَّنِّ بِرَبِّهِ أَنْ يَجَازِيَهُ عَلَى أَعْمَالِهِ وَيُشَبِّهَهُ عَلَيْهَا وَيَتَقَبَّلُهَا مِنْهُ ، فَالَّذِي حَمَلَهُ عَلَى حَسَنِ الْعَمَلِ حُسْنَ الظَّنِّ ، فَكُلُّمَا حَسَنَ ظَنَّهُ بِرَبِّهِ حَسَنَ عَمَلِهِ .

وإِلَّا فَحُسْنَ الظَّنِّ مَعَ اتِّبَاعِ الْهَوَى عَجْزٌ ، كما فِي الترمذي والمسند مِنْ حَدِيثِ شَدَادِ ابْنِ أَوْسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني » .

وبالجملَة فَحُسْنَ الظَّنِّ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ انْعِقَادِ سَبَابِ النِّجَاةِ وَأَمَّا مَعَ انْعِقَادِ سَبَابِ الْهَلَاكِ فَلَا يَتَأْتِي إِحْسَانَ الظَّنِّ .

فَإِنَّ قِيلَ : بل يتأتى ذَلِكَ ، ويكون مستند حُسْنَ الظَّنِّ عَلَى سَعَةِ مَغْفِرَةِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَعَفْوِهِ وَجُودِهِ ، وَأَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ ، وَأَنَّهُ لَا تَنْفَعُهُ الْعُقُوبَةُ وَلَا يَضُرُّهُ الْعَفْوُ .

قِيلَ : الأَمْرُ هَكَذَا ، وَاللَّهُ فَوْقَ ذَلِكَ وَأَجَلٌ وَأَكْرَمٌ وَأَجْوَدٌ وَأَرْحَمٌ ، وَلَكِنْ إِنَّمَا يُضَعُ ذَلِكَ فِي مَحَلِّهِ اللَّائِقُ بِهِ ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مَوْصُوفٌ بِالْحِكْمَةِ وَالْعِزَّةِ وَالْإِنْتِقَامِ وَشِدَّةِ الْبَطْشِ ، وَعَقُوبَةٍ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعَقُوبَةَ ، فَلَوْ كَانَ مُعَوَّلٌ حُسْنِ الظَّنِّ عَلَى مَجْرَدِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ لَاشْتَرِكَ فِي ذَلِكَ الْبِرِّ وَالْفَاجِرِ ، وَالْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ ، وَوَلِيهِ وَعَدُوهُ .

فَمَا يَنْفَعُ الْجَرِمَ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ وَقَدْ بَاءَ بِسَخَطِهِ وَغَضَبِهِ وَتَعَرَّضَ لَلْعَنَتِهِ ، وَوَقَعَ فِي مَحَارِمِهِ وَانْتَهَكَ حَرَمَاتِهِ ، بَلْ حُسْنِ الظَّنِّ يَنْفَعُ مَنْ تَابَ وَنَدِمَ وَأَقْلَعَ ، وَبَدَلَ السَّيِّئَةَ بِالْحُسْنَةِ ، وَاسْتَقْبَلَ بَقِيَّةَ عَمْرِهِ بِالْحَيَّرِ وَالطَّاعَةِ ، ثُمَّ أَحْسَنَ الظَّنِّ بَعْدَهَا فَهَذَا هُوَ حُسْنُ الظَّنِّ ، وَالْأَوَّلُ غُرُورٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

يُفْرَقُ بَيْنَ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ وَبَيْنَ الْغُرُورِ بِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ( ٢ : ٢١٨ ) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾ فَجَعَلَ هَؤُلَاءِ أَهْلَ الرَّجَاءِ ، لَا الْبَاطِلِينَ وَالْفَاسِقِينَ ، وَقَالَ تَعَالَى ( ١٦ : ١١٩ ) ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ بَعْدَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِمَنْ فَعَلَهَا ، فَالْعَالِمُ يَضَعُ الرَّجَاءَ مَوَاضِعَهُ ، وَالْجَاهِلُ الْمَعْتَرِ يَضَعُهُ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهِ .

اللَّهُمَّ أَحِينَا فِي الدُّنْيَا مُؤْمِنِينَ طَائِعِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ تَائِبِينَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدًا وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### ( فَصَلِّ فِي نَمَازِجٍ مِنْ أَخْلَاقِ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ )

مَنْ ذَلِكَ تَوْصِيَةٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَقُبُولُهُمْ لَهَا وَشُكْرُهُمْ لِلْوَاعِظِ هُنَّ ، وَمَنْ وَصِيَّةُ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِابْنِهِ الْحَسَنِ قَالَ فِيهَا :



أي بني .. إني لما رأيتني قد بلغت سنًا ، ورأيتني أزداد وهنًا بادرت بوصيتي إليك ، وأوردت خصالاً منها قبل أن يُعجل بي أجلي دون أن أفضي إليك بما في نفسي ، وأن أنقص في رأيي كما نقصت في جسمي ، أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا ، فتكون كالصعب النفور .

وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقى فيها من شيء قبلته ، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ، ويشغل لبك ، لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفأك أهل التجارب بغيته وتجربته ، فتكون قد كفيت مؤونة الطلب ، وعوفيت من علاج التجربة ، فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه ، واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه .

أي بني .. إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي ، فقد نظرت في أعمالهم ، وفكرت في أخبارهم ، وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدكم ، بل كأني بما انتهيت إلي من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره . فاستخلصت لك من كل أمر نخيله وتوخيت لك جميله ، وصرفت عنك مجهوله ، ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق ، وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ومقتبل الدهر ، ذو نية سليمة ونفس صافية .

وأن إبتدئك بتعليم كتاب الله وتأويله ، وشرائع الإسلام وأحكامه ، وحلاله وحرامه ، لا أجاوز ذلك بك إلى غيره ، ثم أشفقت أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم مثل الذي التبس عليهم ، فكان أحكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك به الهلكة ، ورجوت أن يوفقك الله لما فيه لرشدك ، وأن يهديك لقصدك ، فعهدت إليك بوصيتي هذه .

واعلم يا بني ، إن أحب ما أنت آخذ به إليّ من وصيتي تقوى الله ، والاقتصار على ما فرضه الله عليك ، والأخذ بما مضى عليه الأولون من آباءك والصالحون من أهل بيتك ، فإنهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر .

وفكروا كما أنت مفكر ، ثم ردهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا ، والإمساك عما لم يكلفوا ، فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا ، فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم ، ولا بتورط الشبهات وعلوا الخصومات .

وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بإهلك ، والرغبة إليه في توفيقك ، وترك كل شائبة أوجلتك في شبهة أو أسلمتك إلى ضلالة ، فإذا أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع ، وتم رأيك فاجتمع ، وكان همك في ذلك همًا واحدًا ، فانظر فيما فسرت لك .

وإن لم يجتمع لك ما تحب من نفسك ، وفراغ نظرك وفكرك ، فاعلم أنك إنما تخبط العشواء وتتورط الظلماء ، وليس طالب الدين من خبط أو خلط ، والإمساك على ذلك أمثل .

فتفهم يا بني وصيتي ، واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة ، وأن الخالق هو المميت ، وأن المفني هو المعيد ، وأن الله هو المعافي ، وأن الدنيا لم تكن لتستقر إلا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء ، والجزاء في المعاد أو ما شاء مما لا نعلم .

فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به ، فإنك أول ما خلقت جاهلاً ثم علمت ، وما أكثر ما تجهل من الأمر ، ويتحير فيه رأيك ، ويضل فيه بصرك ، ثم تبصره بعد ذلك ، فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسواك ، وليكن له تعبدك ، وإليه رغبتك ، ومنه شفقتك .

واعلم يا بني أن أحدًا لم ينبي عن الله كما أنبأ عنه الرسول  $\rho$  فإرض به رائدًا ، وإلى النجاة قائدًا ، فإني لم ألك نصيحة ، وإنك لن تبلغ في النظر لنفسك - وإن اجتهدت - مبلغ نظري لك .

واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأنتك رسله ، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ، ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه ، لا يضاده في ملكه أحدًا ، ولا يزول أبدًا ، ولم يزل أول قبل الأشياء بلا أولية ، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية ، عظم عن أن تثبت ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر ، فإذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعله في صغر خطره ، وقلة مقدرته ، وكثرة عجزه ، وعظيم حاجته إلى ربه ، في طلب طاعته ، والرغبة من عقوبته ، والشفقة من سخطه ، فإنه لم يأمرك إلا بحسن ، ولم ينهك إلا عن قبيح .

يا بني .. إني قد أنبأتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها ، وأنبأتك عن الآخرة وما أعد لأهلها فيها ، وضربت لك فيهما الأمثال لتعتبر بها وتحذو عليها .

اللهم إنا نعوذ بك من الشك بعد اليقين ، ومن الشيطان الرجيم ، ومن شدائد يوم الدين ، ونسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك والنار ، اللهم ارحمنا إذا عرق الجبين واشتد الكرب والأنين ، وأغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

" فصل " : إنما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفر نبا بهم منزل جديب فأموا منزلاً خصيباً وجناباً مريعاً فاحتملوا وعشاء الطريق وفراق الصديق ، وحشونة السفر ، وحشوبة المطعم ، ليأتوا سعة دراهم ، ومنزل قرارهم ، فليس

يجدون لشيء من ذلك أَلَمًا ، ولا يرون في نفقه مغرمًا ، ولا شيء أحب إليهم مما قربهم من منزلهم ، وأدناهم عن محلهم .

ومثل من اغتر بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب ، فنبا بهم إلى منزل جديب ، فليس شيء أكره إليهم ولا أفضح عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه ويصيرون إليه .

يا بني .. اجعل نفسك ميزانًا فيما بينك وبين غيرك ، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك ، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل ما لا تعلم وإن قل ما تعلم ، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك .

واعلم أن الإعجاب ضد الصواب وآفة الألباب ، فاسع في كدحك ولا تكن خازنًا لغيرك ، وإذا هديت لقصدك ، فكن أخشع ما تكون لربك .

واعلم أن أمامك طريقًا ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة ، وأنه لا غنى لك فيه عن حسن الارتياح ، قدر بلاغك من الزاد مع خفة الظهر ، فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالاً عليك .

وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة ، فيوافيك به غدًا حيث تحتاج إليه فاغتنمه وحمله إياه ، وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه ، فلعلك تطلبه فلا تجده ، واغتنم من استقرضك في حال غناك ، ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك .

واعلم أن أمامك عقبة كؤودًا ، المخف فيها أحسن حالاً من المثقل ، والمبطي عليها أقرب حالاً من المسرع ، وأن مهبطك بها لا محالة على جنة أو على نار ، فارتد لنفسك قبل نزولك ، ووطئ المنزل قبل حلولك ، فليس بعد الموت مستعجب ، ولا إلى الدنيا منصرف .

واعلم أن الذي بيده خزائن السماوات والأرض ، قد أذن لك في الدعاء ، وتكفل لك بالإجابة ، وأمرك أن تسأله ليعطيك تسترحمه ليرحمك ، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك ، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه ، ولم يمنعك إن أسأت من التوبة ، ولم يعاجلك بالنقمة ، ولم يعيرك بالإنابة ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى ، ولم يشدد عليك في قبول الإنابة ، ولم يناقشك بالجرمة ، ولم يؤيسك من الرحمة .

بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة ، وحسب سيئتك واحدة ، وحسب حسنك عشرًا ، وفتح لك باب المتاب ، فإذا ناديته سمع نداءك ، وإذا ناجيته علم نجواك ، فأفضيت إليه بمحبتك ، وأبشته ذات نفسك ، وشكوت إليه همومك ، واستكشفته كربوك ، واستعنته على أمورك ، وسأته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره من زيادة الأعمار ، وصحة الأبدان ، وسعة الأرزاق .

ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك من مسألته ، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته ، واستمطرت شآبيب رحمته فلا يقنطك إبطاء إجابته ، فإن العطية على قدر النية ، ووزمًا أخرت عنك إجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل ، وأجزل لعطاء الآمل .

ووزمًا سألت الشيء فلا تؤتاه وأوتيت خيرًا منه عاجلاً أو آجلاً ، أو صرف عنك لما هو خير لك ، فلب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته ، فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله ، وينفى عنك وباله . فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له .

واعلم أنك إنما خلقت للآخرة لا الدنيا ، وللبقاء لا للموت لا للحياة ، وأنت في منزل قلعة ودار بلغة ، وطريق إلى الآخرة .

وأنتك طريد الموت الَّذِي لا ينجو منه هاربه ، ولا بد أنه مدركه ، فكن منه على حذر  
إن يدركك وأنت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك منّها بالتوبة ، فيحول بينك  
وبين ذلك ، فإذا أنت قد أهلكت نفسك .

يا بني .. أكثر من ذكر الموت ، وذكر ما تهجم عليه ، وتفضي بعد الموت إليه ، حتى  
يأتيك وقد أخذت منه حذر ، وشدت له أزر ، ولا يأتيك بغتة فيبهرك ، وإياك أن  
تغتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها ، وتكالبهم عليها .

فقد نبأك الله عنها ونعت لك نفسها ، وتكشفت لك عن مساويها ، فإن أهلها  
كلاب عاوية وسباع ضارية ، يهر بعضها بعضاً ، ويأكل عزيزها ذليلها ، ويقهر كبيرها  
صغيرها .

نعم معقلة ، وأخرى مهملة ، قد أضلت عقولها ، وركبت مجهولها ، سروح عاهة بواد  
وعث . ليس لها راع يقيمها ، ولا مقيم يسميها ، سلكت بهم الدنيا طريق العمى ،  
وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى ، فتاهوا في حيرتها ، وغرقوا في نعمتها ، واتخذوها رباً  
فلعبت بهم ولعبوا بها ، ونسوا ما وراءها .

رويداً يسفر الظلام ، كأن قد وردت الأظغان ، يوشك من أسرع أن يلحق ، واعلم أن  
من كانت مطية الليل والنهار فإنه يسار به وإن كان واقفاً ويقطع المسافة وإن كان مقيماً  
وادعاً .

واعلم يقينا إنك لن تبلغ أملك ، ولن تعدو أجلك ، وإنك في سبيل من كان قبلك  
فخفض في الطلب ، وأجمل في المكتسب فانه رب طلب قد جر إلى حرب ، فليس كل  
طالب بمزوق ، ولا كل مجمل بمحروم ، وأكرم نفسك عن دنية ، وان ساقتك إلى  
الراغائب ، فانك لن تعترض بما تبذل

من نفسك عوضًا ، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرًا ، وما خَيْرٌ ، لا ينال إلا بشر ، ويسر لا ينال الا بعسر .

وَإِيَّاكَ أَنْ تَوْجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ ، فتوردك مناهل الهلكة ، وإن استطعت أن يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل ، فإنك مدرك قسمك ، وأخذ سهمك ، وإن اليسير من الله سُبْحَانَهُ أعظم وأكرم من الكثير من خلقه وإن كَانَ كُلُّ مِنْهُ .

كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى	وَلَمْ تَرَ فِي الْبَاقِينَ مَا يَصْنَعُ الدَّهْرُ
فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَتِلْكَ دِيَارُهُمْ	عَلَيْهَا مَجَالُ الرِّيحِ بَعْدَكَ وَالْقَطْرُ
وَهَلْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ حَيًّا بِمَنْزِلِ	عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِالْفَنَاءِ لَهُ قَبْرُ
وَأَهْلِ الثَّرَى نَحْوِ الْمَقَابِرِ شُرْعٌ	وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا إِلَى رَبِّهِمْ نَشْرُ
عَلَى ذَاكَ مَرُّوا أَجْمَعُونَ وَهَكَذَا	يَمُرُّونَ حَتَّى يَسْتَرِدُّهُمْ الْحَشْرُ
فَلَا تَحْسَبَنَّ الْوَفْرَ مَالًا جَمَعْتَهُ	وَلَكِنَّ مَا قَدَّمْتَ مِنْ صَالِحٍ وَفْرُ
قَضَى جَامِعُوا الْأَمْوَالَ لَمْ يَتَزَوَّدُوا	سِوَى الْفَقْرِ يَا بُؤْسًا لِمَنْ زَادَهُ الْفَقْرُ
بَلَى سَوْفَ تَصْحُو حِينَ يَنْكَشِفُ	وَتَذْكُرُ قَوْلِي حِينَ لَا يَنْفَعُ الذِّكْرُ
وَمَا بَيْنُ مِيلَادِ الْفَتَى وَوَفَاتِهِ	إِذَا نَصَحَ الْأَقْوَامُ أَنْفُسَهُمْ عُمُرُ
لَأَنَّ الَّذِي يَأْتِي كَمِثْلِ الَّذِي مَضَى	وَمَا هُوَ إِلَّا وَقْتُكَ الضَّيِّقُ النَّزْرُ
فَصَبْرًا عَلَى الْأَوْقَاتِ حَتَّى تَحُوزَهَا	فَعَمَّا قَلِيلٍ بَعْدَهَا يَنْفَعُ الصَّبْرُ

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ بدعائنا توجهنا وبفنائك أنخنا وَإِيَّاكَ أملنا ولما عندك من الكرم والجود والإحسان طلبنا ومن عذابك أشفقنا ولغفرانك تعرضنا فاغفر لنا ولوالدينا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( وَصِيَّةُ أَبِي حَازِمٍ الْأَعْرَجِ لِلزُّهْرِيِّ )

عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن ، ورحمك من النار ، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك منها ، أصبحت شيخاً كبيراً قد أثقلتك نعم الله عليك ، بما أصح من بدنك ، وأطال من عمرك ، وعلمت حجج الله تعالى بما حملك من كتابه ، وفقهك فيه من دينه ، وفهمك من سنة نبيك ﷺ ، فرمى بك في كلِّ نعمة أنعمها عليك وكل حجة يحتج بها عليك ، وقد قال تعالى : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ .

انظر .. أي رجل تكون إذا وقفت بين يدي الله عزَّ وجلَّ فسألك عن نعمه عليك كيف رعيته ، وعن حججه عليك كيف قضيتها ، ولا تحسبن الله راضياً منك بالتغريب ، ولا منك التقصير ، هيهات ليس كذلك .

أخذ على العلماء في كتابه إذ قال ﴿ لَتَبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُونَهُ فَبَدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ .. الآية .

إنك تقول إنك جدل ، ماهر عالم ، قد جدلت الناس فجدلتهم ، وخاصمتهم فخصمتهم ، إذلالاً منك بهمك ، وإقتداراً منك برأيك ، فأين تذهب من قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .. الآية

اعلم أن أدنى ما ارتكبت ، وأعظم ما احتقيت ، أن آنست الظالم وسهلت له طريق الغي بدنوك حين أدنيت ، وأجابتك حين دعيت ، فما أخلقك أن تبوء بإثمك غدا مع الجماعة ، وأن تسأل عما أردت بإغضائك عن ظلم مظلمة .

إنك أخذت ما ليس لمن أعطاك ، ودنوت ممن لا يرد على أحد حقاً ، ولا ترك باطلاً حين أدناك ، وأجبت من أراد التدليس بدعائه إياك حين دعاك .

جعلوك قطباً تدور باطلهم عليك ، وجسراً يعبرون بك إلى بلائهم ،



وسلمًا إلى ضلالتهم ، وداعيًا إلى غيهم ، وسالغًا سبيلهم ، يدخلون بك الشك على العلماء ، ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم ، فلم تبلغ أخص وزرائهم ، ولا أقوى أعوانهم لهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم ، واختلاف الخاصة والعامّة إليهم ، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خرجوا عليك ، وما أقل ما أعطوك في كثير ما أخذوا منك ، فانظرُ لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك ، وحاسبها حساب رجل مسؤول .

وانظر كيف شكرك لمن غداك بنعمه صغيرًا وكبيرًا ، وانظر كيف إعظامك أمر من جعلك بدينه في الناس بخيالًا ، وكيف صيانتك لكسوة من جعلك لكسوته ستيرًا ، وكيف قريك وبعذك ممن أمرك أن تكون منه قريبًا .

ما لك لا تنتبه من نفسك ، وتستقيل من عثرتك ، فتقول : وَاللَّهِ مَا قَمَتَ اللَّهُ مَقَامًا وَاحِدًا أَحْيَى لَهُ فِيهِ دِينًا ، وَلَا أَمِيتَ لَهُ فِيهِ بَاطِلًا ، إنما شكرك لمن استحملك كتابه ، واستودعك علمه .

ما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى ﴾ ... الآية .

إنك لست في دار مقام ، قد أذنت بالرحيل ، ما بقاء المرء بعد أقرانه ، طوبى لمن كان مع الدنيا على وجل ، ويا بؤس من يموت وتبقى ذنوبه من بعده .

إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك ، وليس أحد أهلك أن تردفه على ظهرك . ذهب اللذة وبقيت التعب ، ما أشقى من سعد بكسبه غيره ، إحدرد فقد أتيت ، وتخلصت فقد أدهيت إنك تعامل من لا يجهل ، والذي يحفظ عليك لا يغفل .

تجهز فقد دنا منك سفر ، وداو دينك فقد دخله سقم شديد ، ولا

تحسبن أني أردت توبيخك أو تعييرك وتعنيفك ، ولكني أردت أن تبش ما فات من رأيك ، وترد ما عزب عنك من حلمك ، وذكرت قوله تعالى : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

أغفلت ذكر من مضى من أسلافك وأقرانك ، وبقيت بعدهم كقرن أعضب ، فأنظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به ، أو دخلوا في مثل ما دخلت فيه ، هل تراه إذخَرَ لَكَ خَيْرًا ممنوعه أو علمك علمًا جهلوه ، بل جهلت ما ابتليت به من حالك في صدور العامة ، وكلفهم بك أن صاروا يقتدون برأيك ويعملون بأمرك ، إن حللت أحلوا ، وإن حرمت حرما ، وليس ذلك عندك ، ولكن إكبابهم عليك ، ورغبتهم فيما في يديك ، ذهاب عملهم ، وغلبة الجهل عليك وعليهم ، وطلب حب الرياسة وطلب الدنيا منك ومنهم .

أما ترى ما أنت فيه من الجهل والعزة ، وما الناس فيه من البلاء والفتنة ، وابتليتهم بالشغل عن مكاسبهم وفتنتهم ، بما رأوا من اثر العلم عليك ، وتاقت أنفسهم إلى أن يدركوا بالعلم ما أدركت ، ويبلغوا منه مثل الذي بلغت ، فوقعوا بك في بحر لا يدرك قعره ، وفي بلاء لا يقدر قدره ، فالله لنا ولك ولهم المستعان .

واعلم أن الجاه جاهان : جاه يجريه الله تعالى على يدي أوليائه لأوليائه ، الخامل ذكرهم ، الخافية شخوصهم ، ولقد جاء نعتهم على لسان رسول الله ﷺ (( إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإذا شهدوا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة » .

فهؤلاء أولياء الله الذين قال تعالى فيهم : ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وجاه يجريه الله تَعَالَى على يدي أعدائه لأوليائه ، وَمَقَّةٌ يَقذفها الله في قُلُوبِهِمْ هُمْ ،  
 فيعظمهم النَّاسُ بتَعْظِيمِ أولئك هُمْ ويرغب النَّاسُ فيما في أيديهم لرغبة أولئك فيه إليهم  
 ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ .

وما أخوفني أن تَكُونُ مَنْ ينظر لمن عاش مستورا عَلَيْهِ في دينه ، مقتورا عَلَيْهِ في رزقه ،  
 معزولة عَنْهُ البلايا ، مصروفة عَنْهُ الفتن في عنفوان شبابه وطهور جلده ، وكمال شهوته .  
 فعني بِذَلِكَ دهره ، حَتَّى إِذَا كبر سنه ، ورق عظمه ، وضعفت قوته ، وانقطعت  
 شهوته ولذته ، فتحت عَلَيْهِ الدُّنْيَا شر فتوح فلزمته تبعثها وعلقتة فتنتها ، وأعشت عينيه  
 زهرتها ، وصفت لغيره منفعتها .

فسبحان الله ما أبين هَذَا الغبن ، وأخسر هَذَا الأمر ، فهلا إِذَا عرضت لَكَ فتنتها  
 ذكرت أمير الْمُؤْمِنِينَ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتابه إِلَى سعد .. حين خاف عَلَيْهِ مثل الَّذِي  
 وقعت فيه عِنْدَمَا فتح الله على سعد .

أما بعد فأعرض عَنْ زهرة ما أَنْتَ فيه حَتَّى تلقى الماضين الَّذِينَ دفنوا في أسماهم ،  
 لاصقة بطونهم بظهورهم ، لَيْسَ بينهم وبين الله حجاب ، لم تفتنهم الدُّنْيَا ولم يفتنوا بها ،  
 رغبوا فطلبوا فما لبثوا أن لحقوا .

فإِذَا كَانَتْ الدُّنْيَا يبلغ من مثلك هَذَا في كبر سنك ، ورسوخ علمك ، وحضور أجلك  
 ، فمن يلوم الحدث في سنه ، والجاهل في علمه ، والمأفون في رأيه المدخول في عقله ( إِنَّا  
 اللهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ) على من المعول ، وَعِنْدَ من المستعجب .

نحتسب عِنْدَ اللهُ مصيبتنا .. وما نرى منك ، ونحمد الله الَّذِي عافانا مِمَّا ابتلاك به .  
 والسَّلَامُ عَلَيْكَ ورحمة الله وبركاته ..

شِعْرًا : يَمْشُونَ نَحْوَ بُيُوتِ اللَّهِ إِذَا سَمِعُوا  
أَرْوَاحَهُمْ خَشَعَتْ لِلَّهِ فِي آدَبِ  
نَجْوَاهُمْ رَبَّنَا جَنَّاتِكَ طَائِعَةً  
إِذَا سَجَى اللَّيْلُ قَامُوهُ وَأَعْيَنُهُمْ  
هُمُ الرَّجَالُ فَلَا يُلْهِبُهُمْ لَعَبٌ  
آخر : لَا فِي النَّهَارِ وَلَا فِي اللَّيْلِ لِي فَرَحٌ  
لَأَتَّبِي طُولَ لَيْلَى هَائِمٌ دَنِفٌ  
آخر : لَعَمْرِي لَقَدْ نُودِيتَ لَوْ كُنْتَ تَسْمَعُ  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّاسَ فِي عَقْلَانِهِمْ  
أَلَمْ تَرَ لَذَاتِ الْجَدِيدِ إِلَى الْبَلَى  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَوْتَ يَهْتَزُّ سَيْفُهُ  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْوَقْتَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ  
أَيَا بَانِي الدُّنْيَا لِعَيْرِكَ تَبْتِي

اللَّهُ أَكْبَرُ فِي شَوْقٍ وَفِي جَدَلِ  
قُلُوبُهُمْ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ فِي وَجَلِ  
نُفُوسَنَا وَعِصْيَانًا خَادِعِ الْأَمَلِ  
مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ مِثْلَ الْجَائِدِ الْهَاطِلِ  
عَنِ الصَّلَاةِ وَلَا أَكْذُوبَةَ الْكَسَلِ  
فَمَا أَبَالِي أَطَالَ اللَّيْلُ أَمْ قَصُرَا  
وَبِالنَّهَارِ أَفَاسِي الْهَمَّ وَالْفَكْرَا  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَوْتَ مَا لَيْسَ يَدْفَعُ  
وَأَنَّ الْمَنَائِمَا بَيْنَهُمْ تَتَفَقَّعُ  
أَلَمْ تَرَ أَسْبَابَ الْأُمُورِ تَقَطَّعُ  
وَأَنَّ رِمَاحَ الْمَوْتِ نَحْوَكِ شُرْعُ  
لَهُ عَارِضٌ فِيهِ الْمَنِيَّةُ تَلْمَعُ  
وَبَا جَامِعِ الدُّنْيَا لِعَيْرِكَ تَجْمَعُ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ : أَوْصِنِي . فَقَالَ : لَا تَحْسُدْ أَحَدًا فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ  
فَكَيْفَ تَحْسُدُهُ عَلَى دُنْيَا فَانِيَةِ مَصِيرِهِ بَعْدَهَا إِلَى النَّارِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَاتَّبِعْهُ فِي  
إِعْمَالِهَا وَاعْبُطْهُ عَلَيْهَا فَإِنَّ ذَلِكَ أَوْلَى مِنْ حَسَدِكَ لَهُ عَلَى الدُّنْيَا .

وَقَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ : أَوْصِنِي . فَقَالَ : لَا تَذَنْبَ فَتَلْقَى نَفْسَكَ فِي النَّارِ مِنْ إِنْكَ  
لَوْ رَأَيْتَ أَحَدًا يَلْقَى بَرَعُوًّا فِي النَّارِ لَا نَكَرْتَ عَلَيْهِ ، وَأَنْتَ تَلْقَى نَفْسَكَ فِي النَّارِ كُلَّ يَوْمٍ  
مَرَاتٍ ، وَلَا تَنْكَرَ عَلَيْهَا . وَمَنْ ذَلِكَ حَسَنٌ أَدْبَهُمْ مَعَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَمَعَ الْبَعِيدِ فَضلاً  
عَنْ الْقَرِيبِ .

وَالأَصْلُ فِي الأَدَبِ شُهُودِ النِّقْصِ فِي النَّفْسِ وَالْكَمَالِ فِي الْغَيْرِ عَكْسٌ مِنْ

كَانَ قَلِيلَ أَدَبٍ مُتَكَبِّرٍ ، وَكَانَ مَيْمُونُ بْنُ مَهْرَانَ إِذَا دُعِيَ إِلَى وَلِيمَةٍ جَلَسَ مَعَ الصَّبِيَّانِ  
وَالْمَسَاكِينِ مِنَ الرِّجَالِ وَتَرَكَ الْأَغْنِيَاءَ ، وَكَانَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْزَبُطِيُّ يَقُولُ : إِذَا رَأَيْتَ مِنْ  
هُوَ أَكْبَرَ مِنْكَ فَعِظْمُهُ وَقُلْ إِنَّهُ سَبَقَنِي إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُ أَصْغَرَ  
مِنْكَ فَعِظْمُهُ وَقُلْ فِي نَفْسِكَ إِنِّي سَبَقْتَهُ إِلَى الذُّنُوبِ ، وَإِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسُ فَقُلْ هَذَا مِنْ  
فَضْلِ اللَّهِ عَلَيَّ لَا أَسْتَحِقُّهُ وَإِذَا أَهَانُوكَ فَقُلْ هَذَا بِذَنْبِ أَحَدْتَهُ .

وَمِنْ أَخْلَاقِهِمُ الْخُلَاعُ قُلُوبِهِمْ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَ أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ الْوَفَاةُ  
سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ بَكَى ، وَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ عَاهَدَ إِلَيْنَا وَقَالَ : « لِيَكُنْ بَلَاغَةٌ أَحَدَكُمْ  
مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّكَّابِ » وَهِيَ أُنَا قَدْ جَمَعْتَ هَذِهِ الْأَمْتَعَةَ وَأَشَارَ إِلَيْهَا وَهِيَ أَجَانَةٌ وَحَفْنَةٌ  
وَمُطَهَّرَةٌ فَلَمَّا مَاتَ قَوْمُهَا بِخَمْسَةِ عَشَرَ دَرْهَمًا .

شِعْرًا : مَا ضَرَّ مَنْ كَانَتْ الْفِرْدَوْسُ مَسْكَنَهُ  
تَرَاهُ يَمْشِي كَيْبًا خَائِفًا وَجَلًّا  
وَمَا يَنْسَبُ إِلَى الشَّافِعِيِّ :

يَا لَهْفَ قَلْبِي عَلَى شَيْئَيْنِ لَوْ جُمِعَا  
كَفَافٍ عَيْشٍ يَقِينِي شَرَّ مَسْأَلَةٍ  
عِنْدِي لَكُنْتُ إِذَا مِنْ أَسْعَدِ الْبَشَرِ  
وَخِدْمَةِ الْعِلْمِ حَتَّى يَنْتَهِيَ عُمْرِي

آخِرُ : قَطَعَ اللَّيَالِي مَعَ الْأَيَّامِ فِي خَلْقِ  
أَحْرَى وَأَعْدَرُ لِي مِنْ أَنْ يُقَالَ غَدًا  
قَالُوا قَبِعْتَ بِذَا قُلْتَ الْقُنُوعُ غِنَى

آخِرُ : لَا تَضْرَعَنَّ لِمَخْلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ  
وَاسْتَرْزَقَ اللَّهُ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ

آخِرُ : كَمْ فَاقَةَ مَسْتُورَةٍ بِمُرُوءَةٍ  
وَمِنْ ابْتِسَامٍ تَحْتَهُ قَلْبٌ شَجِي

وَالنَّوْمُ تَحْتَ رَوَاقِ الْهَمِّ وَالْقَلْقِ  
إِنِّي التَّمَسْتُ الْغِنَى مِنْ كَفِّ مُخْتَلِقِ  
لَيْسَ الْغِنَى كَثْرَةُ الْأَمْوَالِ وَالْوَرَقِ  
فَإِنَّ ذَلِكَ نَقْصٌ مِنْكَ فِي الدِّينِ  
فَإِنَّمَا الْأَمْرُ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ  
وَضَرُورَةٌ قَدْ غُطِّيَتْ بِتَجْمُلِ  
قَدْ خَامَرْتَهُ لُوعَةٌ مَا تَنْجَلِي

آخر : إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا نَالَتَهُ مَخْمَصَةٌ      أَبْدَى إِلَى النَّاسِ رِيًّا وَهُوَ ظَمَانُ  
يَطْوِي الضُّلُوعَ عَلَى مِثْلِ اللَّظَى حُرْقًا      وَالْوَجْهَ طَلَقَ بِهِ وَالْبَشَرَ رِيَانُ  
آخر : نَهَارٌ مُشْرِقٌ وَظِلَامٌ لَيْلٍ      أَحْحَا بِالْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ  
هُمَا هَدَمَا دَعَائِمَ عُمَرِ نُوحٍ      وَلُقَمَانَ وَشَدَادٍ وَعَعَادِ  
فِيَا بَكَرَ بْنَ حَمَادٍ تَعَجَّبُ      لِقَوْمٍ سَافَرُوا مِنْ غَيْرِ زَادِ  
تَيْتُ عَلَى فِرَاشِكَ مُطْمَئِنًّا      كَأَنَّكَ قَدْ أَمِنْتَ مِنَ الْمَعَادِ  
فِيَا سُبْحَانَ مَنْ أَرَسَى الرُّوَاسِي      وَأَوْفَدَهَا عَلَى السَّبْعِ الشَّدَادِ  
آخر : مَنْ رَاقَبَ الْمَوْتَ لَمْ تَكْثُرْ أَمَانِيهِ      وَلَمْ يَكُنْ طَالِبًا مَا لَيْسَ يَعْينِهِ  
آخر : رَبِّ بَاتَ يُمَنِّي نَفْسَهُ      حَالَ مِنْ دُونِ مُنَاهُ أَجْلُهُ  
آخر : إِذَا أَمْسَيْتَ فَابْتَدِرِ الصَّابِحَا      وَلَا تُمْهَلْهُ تَنْتَظِرِ الصَّيَاحَا  
وَتُبِّ مِمَّا جَنَيْتَ فَكَمْ أَنْاسٍ      فَضَوْا نَحْبًا وَقَدْ نَامُوا صِحَا  
آخر : وَلَا تُرْجِ فِعْلَ الصَّالِحَاتِ إِلَى عَدٍ      لَعَلَّ غَدًا يَأْتِي وَأَنْتَ فَقِيدُ

احتضر بعض العباد فقال : ما تأسفي على دار الهموم والأحزان والانكاد والخطايا  
والذنوب ، وإنما تأسفي على ليلة نمتها ويوم أفطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله ،  
وقال إبراهيم بن أدهم : فرغ قلبك من ذكر الدنيا يفرغ عليك الرضاء إفرغاً . خطب  
الحجاج فقال : إن الله أمرنا نطلب الآخرة وكفانا مؤنة الدنيا فليته كفانا مؤونة الآخرة  
وأمرنا بطلب الدنيا . فقال الحسن البصري : ضالة المؤمن عند فاسق فليأخذها .

وقال أنس رضي الله عنه : إن الله جعل الدنيا دار بلوى والآخرة دار عقبي ، فجعل بلوى  
الدنيا لثواب الآخرة سبباً ، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً فيأخذ ليعطي ويبتلي  
ليجزى . وقال بعضهم : إن امرأ ذهب ساعة من عمره في غير ما خلق له لحري أن  
يطول عليها حزنه .

وقال آخر : ما ابتلى أحد بشيء أشد من العفلة والمسئولة إنما كره المؤمن الموت لانقطاع الأعمال الصالحة وخوف الذنوب ، ومن شغله طلب الدنيا عن الآخرة ذل إما في الدنيا وإما في الآخرة وإما بهما جميعاً .

من نظر في سيرة السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الكمال ، تعرف نفسك في ثلاثة مواضع : إذا عملت فأنظر نظر الله إليك وإذا تكلمت فاذا سمع الله إليك وإذا سكت فاذا علم الله فيك ، تهاون بالدنيا حتى لا يعظم بعينك أهلها ومن يملكها . قال بعض العلماء : كان الرجل في أهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا لها ، واليوم يزداد الرجل بعلمه حبا للدنيا وطلبا لها وكان الرجل ينفق ماله على علمه واليوم يكسب الرجل بعلمه مالا وكان يرى على طالب العلم زيادة في باطنه وظاهره واليوم يرى على كثير من أهل العلم فساد في الظاهر والباطن .

شِعْرًا : يَا عَامِرَ الدُّنْيَا عَلَى شَيْبَتِهِ      فِيكَ أَعَاجِيبُ لِمَنْ يَعْجَبُ  
مَا عُذْرُ مَنْ يَعْمرُ بُنْيَانَهُ      وَعُمْرُهُ مُسْتَهْدَمٌ يَخْرَبُ  
آخِر : عَجِبْتُ لِتَغْرِيسِي نَوَى النَّخْلِ بَعْدَمَا      طَلَعْتَ عَلَى السِّتِّينِ أَوْ كِدْتُ أَفْعَلُ  
وَأَدْرَكْتُ مِلاً الأَرْضِ نَاسًا فَأَصْبَحُوا      كَأَهْلِ دِيَارِ أَدْلَجُوا فَتَحَمَّلُوا  
وَمَا النَّاسُ إِلَّا رُفْقَةٌ قَدْ تَحَمَّلَتْ      وَأُخْرَى تُقْضَى حَاجَهَا ثُمَّ تَرْحَلُ

ولما حضرت إبراهيم النخعي الوفاة بكى فقيل له في ذلك فقال : إني أنتظر رسولا يأتي من ربي لا أدري هل يبشرني بالجنة أو بالنار . ولما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة ، قال : اللهم إني أذنبت فإن غفرت لي فقد مننت وإن عذبتني فقد عدلت ، وما ظلمت لكن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثم قضى نجه .

وكان يتمثل بهذه الأبيات :

تَرَاهُ مَكِينًا وَهُوَ لِلَّهِوَ مَاقِتٌ      بِهِ عَنُ حَدِيثِ الْقَوْمِ مَا هُوَ شَاغِلُهُ  
وَأَزْعَجَهُ عِلْمٌ عَنُ الْجَهْلِ كُلُّهُ      وَمَا عَالِمٌ شَيْئًا كَمَنْ هُوَ جَاهِلُهُ  
عَبُوسٌ عَنُ الْجَهَّالِ حِينَ يَرَاهُمُوا      فَلَيْسَ لَهُ مِنْهُمْ خَدِينٌ يَهَازِ لَهُ  
تَذَكَّرَ مَا يَلْقَى مِنَ الْعَيْشِ آجِلًا      فَاشْغَلُهُ عَنُ عَاجِلِ الْعَيْشِ آجِلُهُ

ولما حضرت عامر بن قيس الوفاة بكى وقال : إني لم أبك جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ، ولكن على عدم قضاء وطري من طاعة ربي وقيام الليل في أيام الشتاء .  
وكانوا يكون إذا فاتتهم تكبيرة الإحرام مع الجماعة ، وكان المحدث الثقة بشر بن الحسن يقال له الصفي لأنه كان يلزم الصف الأول في مسجد البصرة خمسين سنة .  
مثله إبراهيم بن ميمون المروزي أحد الدعاة المحدثين الثقة من أصحاب عطاء بن أبي رباح وكانت مهنته الصياغة وطرق الذهب والفضة قالوا : كان فقيهاً فاضلاً من الأمارين بالمعروف . وقال ابن معين : كان إذا رفع المطرقة فسمع النداء لم يردّها .  
وقيل لكثير بن عبيد الحمصي عن سبب عدم سهوه في الصلاة وقد أم أهل حمص ستين سنة كاملة فقال : ما دخلت من باب المسجد قط وفي نفسي غير الله .  
وقال سليمان بن حمزة المقدسي وهو من ذرية ابن قدامة صاحب كتاب المغني " لم أصل الفريضة قط منفرداً إلا مرتين ، وكأني لم أصلها قط مع أنه قارب التسعين » .  
وذكر عن الأعمش أنه قال : لم تفتني صلاة الجماعة ما يقرب من أربعين سنة إلا مرة واحدة حين ماتت والدته اشتغل بتجهيزها .



وذكر عن بعضهم أنه لم تفته تكبيرة الإحرام أربعين سنة وكان بعضهم يصيبه مرض إذا فاتته صلاة الجماعة .

نحْنُ بالعكس ربما يصيبنا مرض أو جنون إذا فاتنا شيء من حطام الدنيا والسبب الوحيد إنَّ الدنيا ما تمهمهم وأما الآخرة فهي نصب أعينهم في كل ساعة يستعدون لها والدنيا جعلوها مطية الآخرة .

نسال الله الحي القيوم العلي العظيم القوى العزيز أن يوقظ قلوبنا من هذه الرقدة اللّهمّ صلى على محمد .

شِعْرًا : أَفَلَسْتَ تَدْرِي أَنَّ يَوْمَكَ قَدْ دَنَا  
فَعَلَامَ تَضْحَكُ وَالْمَنِيَّةُ قَدْ دَنَتْ  
آخر : الْوَقْتُ سَاوَمَنِي عُمْرِي فَقُلْتُ لَهُ  
ثُمَّ اشْتَرَاهُ تَفْرِيقًا بِلا ثَمَنِ  
آخر : وَمَا فُرْشُهُمْ إِلَّا أَيْامِنُ أَرْزِهِمْ  
وَمَا لَيْلُهُمْ فِيهِنَّ إِلَّا تَخَوُّفٌ  
وَأَلْوَانُهُمْ صَفْرٌ كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ  
نَوَاحِلٌ قَدْ أَرْزَى بِهَا الْجُهْدُ وَالسَّرَى  
وَيَبْكُونَ أَحْيَانًا كَأَنَّ عَجِيجَهُمْ  
وَمَجْلِسِ ذِكْرٍ فِيهِمْ قَدْ شَهِدْتُهُ  
آخر : وَمَا النَّاسُ إِلَّا رَاحِلُونَ وَيَبِينُهُمْ  
بِعِزَّةِ بَأْسٍ وَاطِّاعِ بَصِيرَةٍ  
حُطُوطِ كَمَالٍ أَظْهَرَتْ مِنْ عَجَائِبِ  
وَمَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ يَخْتِصُّ نَفْسَهُ  
وَقَدْ يَفْسِدُ الْحُرُّ الْكَرِيمَ جَلِيسُهُ  
وَلَيْسَ بِحَيٍّ سَالِكٍ فِي خَسَائِسِ  
أَوْ لَسْتَ تَدْرِي أَنَّ عُمْرَكَ يَنْفَدُ  
وَعَلَامَ تَرْفُؤُكَ وَالثَّرَى لَكَ مَرْقَدُ  
لَا بَعْتُ عُمْرِي بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا  
ثَبَّتَ يَدًا صَفْقَةً قَدْ خَابَ شَارِبُهَا  
وَمَا وَسَدُّهُمْ إِلَّا مِلاءٌ وَأَذْرُعُ  
وَمَا نَوْمُهُمْ إِلَّا عِشَاشٌ مُرَوِّعُ  
عَلَيْهَا جِسَامًا مَا بِهِ الْوَرْسُ مُشْبِعُ  
إِلَى اللَّهِ فِي الظُّلْمَاءِ وَالنَّاسُ هُجَّعُ  
إِذَا نَوْمَ النَّاسِ الْحَبِينُ الْمَرْجَعُ  
وَأَعْيُنُهُمْ مِنْ رَهْبَةِ اللَّهِ تَدْمَعُ  
رَجَالٌ ثَوَتْ آثَارُهُمْ كَالْمَعَالِمِ  
وَهَزَّةِ نَفْسٍ وَاتَّسَاعِ مَرَاحِمِ  
بِمِرَاةِ شَخْصٍ مَا اخْتَفَى فِي الْعَوَالِمِ  
أَلَا إِنَّمَا التَّخْصِصُ قِسْمَةٌ رَاحِمِ  
وَتَضَعْفُ بِالْإِيهَامِ قُوَّةٌ حَازِمِ  
وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ هَالِكٍ فِي مَكَارِمِ

إِذَا لَجَّ لَوْمٌ مِنْ سَفِيهِ لِرَاشِدٍ      تَوَهَّمْ رَشْدًا فِي سَفَاهِهِ لِائِمِّ  
 عَجِبْتُ مِنَ الْإِنْسَانِ يَعْجَبُ وَهُوَ فِي      نَقَائِصَ أَحْوَالِ قَسِيمِ السَّوَائِمِ  
 يَرَى جَوْهَرَ النَّفْسِ الطَّلِيْقَ فَيَزْدَهِي      وَيَذْهَلُ عَنِ أَعْرَاضِ جِسْمِ لَوَائِمِ  
 دُيُونُ اضْطِرَارٍ تَقْتَضِي كُلَّ سَاعَةٍ      فَتُقَرِّضُ الْأَعْمَارُ بَيْنَ الْمَعَارِمِ  
 وَكُلُّ فَمَغْرُورٍ بِحُوبِ حَيَاتِهِ      وَيُغْرِيبُهُ بِالْأَذْنَى خَفَاءُ الْخَوَاتِمِ  
 وَجَمَاعُ مَالٍ لَا انْتِفَاعَ لَهُ بِهِ      كَمَا مَصَّ مَشْرُوطًا زُجَاجِ الْمَحَاجِمِ  
 وَمَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا تَيَقَّنَ أَنَّهَا      مَطِيَّةٌ يَقْظَانِ وَطَيْفَةٌ حَالِمِ  
 فَلِلَّهِ سَاعٌ فِي مَنَاحِجِ طَاعَةٍ      لِإِيْلَافِ عَدْلِ أَوْ لِإِتْلَافِ ظَالِمِ

ولما حضرت عبد الله بن المبارك الوفاة قال لغلامه : اجعل رأسي على الأرض . فبكي غلامه قال : ما يبكيك ؟ قال : ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هو ذا تموت على هذه الحال فقال : إني سألت ربي أن أموت على هذه الحال .

ثم قال : لقني يا أخي لا إله إلا الله إذا الحال تغير ، ولا تعد علي إلا إن تكلمت بعد بكلام . ودخل الحسن البصري على رجل وهو في سياق الموت يجود بنفسه فقال : إن أمراً هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله . ولما حضرت أبا ذر الوفاة قال : يا موت احنق وعجل فإني أحب لقاء الله .

ودخل أبو الدرداء رضي الله عنه على رجل محتضر يجود بنفسه فوجده يقول : الحمد لله . فقال له : أصبت يا أخي أن الله إذا قضى أمراً أحب من عبده أن يحمد عليه . ودخل سفيان الثوري على ولد يجود بنفسه وأبواه يبكيان عنده فقال لهما : لا تبكيا فإني قادم على من هو أرحم منكما . ولما حضرت أبا هريرة الوفاة بكى ، قالوا : ما يبكيك ؟ قال : بعد السفر وقلة الزاد وضعف اليقين وخوف الوقوع من الصراط في النار . وروي أن معاذ بن جبل رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال : أعود بالله من ليلة صباحها إلى النار .

شِعْرًا : لَعْمَرِي مَا الرَّزِيَّةُ فَقَدْ قَصَرِ      فَسِيحِ مُنِيَّةً لِلْسَّاكِينَا  
وَلَكِنَّ الرَّزِيَّةَ فَقَدْ دِينَ      يَكُونُ بِفَقْدِهِ مِنْ كَافِرِينَا

ثُمَّ قَالَ : مرحبًا بالموت زائر مغيب وحبیب جاءَ على فاقة ، اللَّهُمَّ إني كنت أخافك وأنا اليوم أرحوك ، اللهم إِنَّكَ تعلم أني لم أكن أحب الدُّنْيَا وطول البقاء فيها لكري الأنهار ولا لغرس الأشجار ولكن لطول ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء ومكابدة السَّاعات ومزاحمة العُلَمَاء بالركب عندَ حلق الذكر .

ولما حضرت أبا الدرداء الوفاة وجعل يجود بنفسه وَيَقُولُ : ألا رجل يعمل مثل مصرعي هَذَا ألا رجل يعمل مثل يومي هَذَا ألا رجل يعمل مثل ساعتِي هَذِهِ . ثُمَّ قبض رَحْمَةُ اللَّهِ فِيا أيها العَافِلُ المهمل وكلنا كَذَلِكَ انتبه واغتنم أوقات الصحة والسلامة واملاً أوقاتك بالباقيات الصالحات قبل أن يفاجئك هاذم اللذات ويحال بينك وبين الأعمال الصالحات وتندم ولات ساعة مندم .

شِعْرًا : تَغَنَّمْ سُكُونََ الْحَادِثَاتِ فَإِنَّهَا      وَإِنْ سَكَنْتَ عَمَّا قَلِيلٌ تَحَرَّكَ  
وَبَادِرْ بِأَيَّامِ السَّلَامَةِ إِنَّهَا      رِهَانٌ وَهَلْ لِلرَّهْنِ عِنْدَكَ مَثْرَكٌ  
آخِر : نَهَارُكَ بَطَّالٌ وَلَيْلُكَ نَائِمٌ      وَعَيْشُكَ يَا مَسْكِينُ عَيْشُ الْبُهَائِمِ  
آخِر : وَعَظَّتْكَ أَجْدَاتٌ وَهَنَّ صُمُوتُ      وَسُكَّانِهَا تَحْتَ الثَّرَابِ خُفُوتُ  
أَيَّا جَامِعِ الدُّنْيَا لِعَيْرِ بِلَاغِهِ      لِمَنْ تَجَمَّعَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَمُوتُ

وروى المزني قَالَ : دخلت على الشَّافِعِيِّ فِي مرضه الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَقُلْتُ لَهُ : كيف أصبحت ؟ فَقَالَ : أصبحت من الدُّنْيَا راحلاً وللاِخْوَانَ مفارقاً ولسوء عملي ملاقيًا ولكأس المنية شاربًا وعلى الله واردًا فلا أدري أروحي تصير إلى الجَنَّةِ فَأَهْنُوها أَوْ إلى النار فأعزبها ثُمَّ أنشأ يَقُولُ :

وَلَمَّا فَسَى قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي      جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّْي لِعَفْوِكَ سُلْمًا

تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ  
 وَمَا زِلْتُ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ يَزَلْ  
 آخر : أَجَاعَتْهُمْ الدُّنْيَا فَخَافُوا وَلَمْ يَزَلْ  
 أَخُو طَيِّءٍ دَاوُدُ مِنْهُمْ وَمَسْعَرٌ  
 وَفِي ابْنِ سَعِيدٍ قُدْوَةٌ الْبِرِّ وَالنُّهَى  
 وَحَسْبُكَ مِنْهُمْ بِالْفَضِيلِ مَعَ ابْنِهِ  
 أَوْلَيْكَ أَصْحَابِي وَأَهْلُ مَوَدَّتِي  
 فَمَا ضَرَّ ذَا التَّقْوَى نِصَالُ أَسِنَّةٍ  
 وَمَا زَالَتِ التَّقْوَى تُرِيكَ عَلَى الْفَتَى  
 آخر : عَلَيْكَ بِتَّقْوَى اللَّهِ وَاقْنَعْ بِرِزْقِهِ  
 وَلَا تُلْهِكَ الدُّنْيَا وَلَا طَمَعُ بِهَا  
 فَصَبْرًا عَلَى مَا نَابَ مِنْ تَبَعَاتِهَا  
 أَعَاذِلُ مَا يُغْنِي الشَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى  
 آخر : اَمْنَعُ جَفُونَكَ طَوِيلَ اللَّيْلِ رَقْدَتِهَا  
 وَاسْتَشْعِرِ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَدَمَ بِهِمَا  
 آخر : فَخُضْ عَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَاسْمُ إِلَى الْعُلَا  
 فَلَا خَيْرَ فِي مَنْ لَا يَخَافُ إِلَهَهُ  
 آخر : وَرَبِّكَ لَوْ أَبْصَرْتَ يَوْمًا تَتَابَعْتُ  
 لِأَبْصَرْتَ قَوْمًا جَانَبُوا النَّوْمَ وَارْتَدَوْا  
 وَصَامُوا نَهَارًا دَائِمًا ثُمَّ أَفْطَرُوا  
 أَوْلَيْكَ قَوْمٌ حَسَنَ اللَّهُ فِعْلُهُمْ  
 آخر : صَفُّوا فَلَا غُرُوَ أَنْ تَصْفُوا مَشَارِبَهُمْ  
 يَزُورِي عَيْلِ الصَّبَا صَحِيحَ هَوَى

بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوِكَ أَعْظَمَ مَا  
 تَجُودُ وَتَعْفُو مِنْهُ وَتَكْرَمًا  
 كَذَلِكَ ذُو التَّقْوَى عَنِ الْعَيْشِ مُلْجَمًا  
 وَمِنْهُمْ وَهَيْبٌ وَالْعَرِيبُ بْنُ أَدَهْمَا  
 وَفِي الْوَارِثِ الْفَارُوقِ صِدْقًا مُقَدَّمًا  
 وَيُوسُفَ إِنْ لَمْ يَأَلْ أَنْ يَتَسَلَّمَ  
 فَصَلَّى عَلَيْهِمْ ذُو الْجَلَالِ وَسَلَّمًا  
 وَمَا زَالَ ذُو التَّقْوَى أَعَزُّ وَأَكْرَمًا  
 إِذَا مَحَضَ التَّقْوَى مِنَ الْعِزِّ مِيسَمًا  
 فَخَيْرُ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ هُوَ قَانِعٌ  
 فَقَدْ تَهْلِكَ الْمَغْرُورَ فِيهَا الْمَطَامِعُ  
 فَمَا يَسْتَوِي عَبْدٌ صَبُورٌ وَجَانِعٌ  
 إِذَا حَشْرَجَتْ فِي النَّفْسِ مِنْهُ الْأَضَالِعُ  
 وَامْنَعُ حَشَاكَ لَذِيذِ الرِّيِّ وَالشَّبْعَا  
 حَتَّى تَنَالَ بِهِنَّ الْفُوزَ وَالرَّفْعَا  
 لِتَحْطَى بِعِزِّ فِي حَيَاتِكَ دَائِمٌ  
 وَلَا هِمَّةٍ تَصْبُو لِنَيْلِ الْمَأْتِمِ  
 عَزَائِهِمْ حَتَّى لَقَدْ بَلَّغُوا الْجُهْدَا  
 بَارِدِيَةَ التَّسْهَادِ وَاسْتَقْرَبُوا الْبُعْدَا  
 عَلَى بُلْغِ الْأَقْوَاتِ وَاسْتَعْمَلُوا الْكُدَا  
 وَأَوْرَثَهُمْ مِنْ حُسْنِ فِعْلِهِمُ الْخُلْدَا  
 وَفِي الْمَصَافَتِ لِلْأَحْبَابِ أَسْرَارُ  
 مِنَ الشَّدَا فَهُوَ نَقَالٌ وَمِعْطَارُ

نَلْتِ الْمُنَى لَيْسَ بَعْدَ الْعَيْنِ آثَارُ  
 فَعِنْدَهُمْ لِمُتَقِيمِي الدِّينِ أَفْدَارُ  
 وَاصْحَبْهُمْوَ إِن نَأَتْ يَوْمًا بِكَ الدَّارُ  
 يَحْمُوا النَّزِيلَ وَلَا يُؤْذَى لَهُمْ جَارُ  
 وَقُلِ الْفَضْلَ وَجَانِبَ مَنْ هَزَلَ  
 فَلْأَيَّامِ الصَّبَا نِجْمَ أَفْلَ  
 ذَهَبَتْ لَذَاتُهَا وَالْإِثْمُ حَلَّ  
 تُمَسِّ فِي عَزِّ رَفِيعٍ وَتُجَلَّ  
 أَنْتَ تَهْوَاهُ تَجِدُ أَمْرًا جَلَّ  
 أَنْتَ تَهْوَاهُ تَجِدُ أَمْرًا جَلَّ  
 كَيْفَ يَسْعَى فِي جُنُونٍ مِنْ عَقَلٍ  
 بَاشَرْتَ قَلْبَ امْرِئٍ إِلَّا وَصَلَّ  
 إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِي اللَّهَ بَطَلَّ  
 رَجُلٍ يَرِصُدُ فِي اللَّيْلِ زُحَلَّ  
 قَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا عَزَّ وَجَلَّ  
 مَلَكِ الْأَرْضِ وَوَلِيِّ وَعَزَلَّ  
 رَفَعَ الْأَهْرَامَ مَنْ يَسْمَعُ يَحَلَّ  
 هَلَكَ الْكُلُّ فَلَمْ تُغْنِ الْقُلُلُ  
 أَيَّنَ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْقَوْمُ الْأَوَّلُ  
 وَسَيَجْزِي فَاعِلًا مَا قَدْ فَعَلَ  
 حِكْمًا خُصَّتْ بِهَا خَيْرُ الْمِلَلِ  
 أَبْعَدَ الْخَيْرِ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلِ  
 تَشْتَغِلُ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوْلُ

هُمُ الرَّجَالُ فَإِنْ تَسَلُّكَ طَرِيقَهُمْوَ  
 سَلُّهُمْ وَسَلَّ عَنْهُمْوَ مَنْ كَانَ يَعْرِفُهُمْ  
 أَنْعَمَ إِذَا كُنْتَ تَهْوَاهُمْ بِقُرْبِهِمْوَ  
 وَاحْلُلْ بِسَاحَتِهِمْ تَسْعُدْ بِجَيْرَتِهِمْ  
 آخر : اعتزل ذكر الغواني والغزل  
 ودع الذكرى لأيام الصبا  
 إن أهنأ عيشة فضيبتها  
 وأترك العادة لا تخفل بها  
 وأفتكر في منتهى حسن الذي  
 وأفتكر في منتهى حسن الذي  
 وأهجر الخمرة إن كنت فتى  
 وآتق الله فتقوى الله ما  
 ليس من يقطع طرقا بطلا  
 صدق الشرع ولا تركز إلى  
 حارت الأفكار في قدره من  
 أين نمرود وكنعان ومن  
 أين عاد أين فرعون ومن  
 أين من سادوا وشادوا ونبوا  
 أين أرباب الحجى أهل النهى  
 سيعيد الله كالأمنهم  
 يا بني اسمع وصايا جمعت  
 اطلب العلم ولا تكسل فما  
 واحتفل للفقهاء في الدين ولا

وَأَهْجُرُ النَّوْمَ وَحَصَّ لَهُ فَمَنْ  
 لَا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَرْبَابُهُ  
 فِي أَرْذِيَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعِدَى  
 جَمَلِ الْمَنْطِقِ بِالنَّحْوِ فَمَنْ  
 أَنْظِمِ الشُّعْرَ وَلَا زِمَ مَذْهَبِي  
 فَهُوَ عُنْوَانٌ عَلَى الْفَضْلِ وَمَا  
 مَاتَ أَهْلُ الْجُودِ لَمْ يَبْقَ سِوَى  
 أَنَا لَا أَخْتَارُ تَقْيِيلَ يَدِ  
 إِنْ جَرْتَنِي عَنْ مَدِيحِي صِرْتُ فِي  
 مُلْكِ كَسْرَى عَنْهُ تُغْنِي كِسْرَةَ  
 أَعَذَبُ الْأَلْفَاظِ قَوْلِي لَكَ خُذْ  
 لَيْسَ مَا يَخْوِي الْفَتَى مِنْ عَزْمِهِ  
 اطْرَحِ الدُّنْيَا فَمَنْ عَادَاتِهَا  
 عَيْشَةُ الرَّاغِبِ فِي تَخْصِيلِهَا  
 كَمْ جَهُولٍ وَهُوَ مُثَرِّ مُكْثَرٌ  
 كَمْ شُجَاعٍ لَمْ يَنْلِ مِنْهَا الْمُنَى  
 فَاتْرِكِ الْحَيْلَةَ فِيهَا وَاتَّبِدْ  
 أَيُّ كَفٍّ لَمْ تَنْلِ مِمَّا تُفِدْ  
 لَا تَقُلْ أَصْلِي وَفَضْلِي أَبَدًا  
 قَدْ يَسُودُ الْمَرْءُ مِنْ غَيْرِ أَبِي  
 وَكَذَا الْوَرْدُ مِنَ الشُّوكِ وَمَا  
 مَعَ أَنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى  
 قِيمَةِ الْإِنْسَانِ مَا يُحْسِنُهُ

يَعْرِفُ الْمَطْلُوبَ يَخْقِرُ مَا بَدَلْ  
 كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلْ  
 وَجَمَالَ الْعِلْمِ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ  
 حُرْمِ الْإِغْرَابِ بِالنُّطْقِ اخْتَبَلْ  
 فِي اطِّرَاحِ الرَّفْدِ لَا تَبْغِ النَّحْلَ  
 أَحْسَنَ الشُّعْرِ إِذَا لَمْ يُبْتَدَلْ  
 مُقْرِفٌ أَوْ عَلَى الْأَصْلِ اتَّكَلْ  
 قَطْعُهَا أَجْمَلُ مِنْ تِلْكَ الْقَبْلِ  
 رِقَّةَا أَوْ لَا فَيَكْفِينِي الْخَجَلْ  
 وَعَنْ الْبَحْرِ اكْتِفَاءً بِالْوَشَلْ  
 وَأَمْرُ اللَّفْظِ نُطْقِي بِالْعَلْ  
 لَا وَلَا مَا فَاتَ يَوْمًا بِالْكَسَلْ  
 تَخْفِضُ الْعَالِي وَتُعْلِي مِنْ سَقَلْ  
 عَيْشَةُ الزَّاهِدِ فِيهَا أَوْ قَلْ  
 وَعَلِيمٍ مَاتَ مِنْهَا بِالْعِلْ  
 وَجَبَانٍ نَالَ غَايَاتِ الْأَمَلْ  
 إِنَّمَا الْحَيْلَةُ فِي تَرْكِ الْحَيْلِ  
 فَرَمَاهَا اللَّهُ مِنْهُ بِالشَّلَلْ  
 إِنَّمَا أَصْلُ الْفَتَى مَا قَدْ حَصَلْ  
 وَبِحُسْنِ السَّبكِ قَدْ يُنْفَى الرَّعَلْ  
 يَطْلَعُ النَّرْجِسُ إِلَّا مِنْ بَصَلْ  
 نَسَبِي إِذْ بِأَبِي بَكْرٍ اتَّصَلْ  
 أَكْثَرَ الْإِنْسَانِ مِنْهُ أَوْ قَلْ

أَكْتُمُ الْأَمْرَيْنِ فَقَرًّا وَعَنِيًّا  
وَادْرِعْ جَدًّا وَكَدًّا وَاجْتَنِبْ  
بَيْنَ تَبْدِيرٍ وَبُخْلِ رَثْبَةً  
لَا تَخْضُ فِي حَقِّ سَادَاتٍ مَضَوْا  
وَتَعَاْفَلْ عَنِ أُمُورٍ إِنَّهُ  
لَيْسَ يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ ضِدِّ وَلَوْ  
مِنْ عَنِ التَّمَامِ وَازْجُرْهُ فَمَا  
دَارَ جَارِ السُّوءِ بِالصَّبْرِ فَإِنْ  
جَانِبَ السُّلْطَانَ وَاحْذَرْ بَطْشَهُ  
لَا تَلِي الْحُكْمَ وَإِنْ هُمْ سَأَلُوا  
إِنَّ نِصْفَ النَّاسِ أَعْدَاءُ لِمَنْ  
فَهُوَ كَالْمَحْبُوسِ عَنِ لَدَاتِهِ  
إِنَّ لِلنَّقْصِ وَالِاسْتِثْقَالِ فِي  
لَا تَوَازِي لَدَّةَ الْحُكْمِ بِمَا  
فَالْوَلَايَاتُ وَإِنْ طَابَتْ لِمَنْ  
نَصَبُ الْمَنْصِبِ أَوْهَى جَلْدِي  
قَصْرَ الْأَمَالِ فِي الدُّنْيَا تَفْزُ  
إِنَّ مَنْ يَطْلُبُهُ الْمَوْتُ عَلَى  
غِبِّ وَزُرْ غَبًّا تَزِدْ حُبًّا فَمَنْ  
خُذْ بِنِصْلِ السَّيْفِ وَاتْرُكْ غِمْدَهُ  
لَا يَضُرُّ الْفُضْلَ إِقْلَالُ كَمَا  
حُبُّكَ الْأَوْطَانَ عَجَزُ ظَاهِرٍ  
فِيْمَكْتِ الْمَاءِ يَبْقَى آسِنًا

وَكَسَبِ الْفَلَسِ وَحَاسِبِ مَنْ مَطَّلَ  
صُحْبَةَ الْحَمَقَى وَأَرْبَابِ الدُّوَلِ  
وَكَلا هَٰذَيْنِ إِنْ زَادَ قَتَلَ  
إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلٍ لِلزَّلَلِ  
لَمْ يُفْزِ بِالْحَمْدِ إِلَّا مَنْ غَفَلَ  
حَاوَلَ الْعُزْلَةَ فِي رَأْسِ جَبَلٍ  
بَلَغَ الْمَكْرُوهَ إِلَّا مَنْ نَقَلَ  
لَمْ تَجِدْ صَبْرًا فَمَا أَخْلَى الثَّقَلَ  
لَا تُعَانِدْ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلَ  
رَغْبَةً فِيكَ وَخَالَفَ مَنْ عَدَلَ  
وَلِي الْأَحْكَامِ هَٰذَا إِنْ عَدَلَ  
وَكَلا كَفَيْهِ فِي الْحَشْرِ تُغَلِّ  
لَفْظَةَ الْقَاضِي لَوْعَطًا وَمَثَلِ  
ذَاقَهُ الشَّخْصُ إِذَا الشَّخْصُ انْعَزَلَ  
ذَاقَهَا فَالْسُّمُّ فِي ذَاكَ الْعَسَلِ  
وَعَنَائِي مِنْ مَدَارَاةِ السَّقْلِ  
فَدَلِيلُ الْعَقْلِ تَقْصِيرُ الْأَمَلِ  
غِرَّةٌ مِنْهُ جَدِيرٌ بِالْوَجَلِ  
أَكْثَرَ التَّرْدَادِ أَقْصَاهُ الْمَلَنِ  
وَاعْتَبِرْ فَضْلَ الْفَتَى دُونَ الْحَلَنِ  
لَا يَضُرُّ الشَّمْسُ إِطْبَاقُ الطُّفْلِ  
فَاغْتَرِبْ تَلَقَّ عَنِ الْأَهْلِ بَدَلِ  
وَسُرَى الْبَدْرِ بِهِ الْبَدْرُ اكْتَمَلِ

أَيُّهَا الْعَائِبُ قَوْلِي عَبَّأَا      إِنَّ طِيبَ الْوَرْدِ مُؤَذِّ لِلْعَجَلِ  
 عَدَّ عَنِّ اسْمَهُمْ قَوْلِي وَاسْتَبْرَأَا      لَا يُصَيِّبُكَ سَهْمٌ مَن تَعَلَّ  
 لَا يَغُرَّنَكَ لِيْنٌ مِّنْ فَتَى      إِنَّ لِلْحَيَّاتِ لِيْنَا يُعْتَزَلُ  
 أَنَا مِثْلُ الْمَاءِ سَهْلٌ سَائِغٌ      وَمَتَى سُوخُنْ آذَى وَقَتْلُ  
 أَنَا كَالْخِيْزُورِ صَعْبٌ كَسْرُهُ      وَهُوَ لَدُنْ كَيْفَ مَا شِئْتَ انْقَلُ  
 غَيْرَ أَنِّي فِي زَمَانٍ مَّنْ يَكُنْ      فِيهِ ذَا مَالٍ هُوَ الْمَوْلَى الْأَجَلُ  
 وَاجِبٌ عِنْدَ الْوَرَى إِكْرَامُهُ      وَقَلِيلُ الْمَالِ فِيهِمْ يُسْتَقَلُ  
 كُلُّ أَهْلِ الْعَصْرِ غَمْرٌ وَأَنَا      مِنْهُمْ فَاتْرُكْ تَفَاصِيلَ الْجَمَلِ  
 وَصَلَاةٌ وَسَلَامٌ أَبَدًا      لِلنَّبِيِّ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الدَّوَلِ  
 وَعَلَى الْآلِ الْكِرَامِ السُّعَدَا      وَعَلَى الْأَصْحَابِ وَالْقَوْمِ الْأَوَّلِ  
 مَا تَوَى الرَّكْبُ بِعِشَاقِي إِلَى      أَيَّمَنَ الْحَيِّ وَمَا غَنَى رَمَلِ

" موعظة "

إخواني : إن الليل كما علمتم فيه فضل عظيم وثواب جزيل لمن وفقه الله جلَّ وعلا ،  
 وهو من أثقل شيء على النفس ولا سيما بعد أن يرقد الإنسان ، وإنما يكون خفيفاً  
 بالاعتقاد ، وتوطين النفس وتمارينها عليه والمداومة والصبر على المشقة والمجاهدة في الابتداء  
 ، ثم بعد ذلك ينشرح وينفتح باب الأُنس بالله وتلد له المناجاة والخُلُوة ، وعند ذلك لا  
 يشبع الإنسان من قيام الليل ، فضلاً عن أن يستقله أو يكسل عنه كما وقع لكثير من  
 السلف . قَالَ بَعْضُهُمْ : أَهْلُ اللَّيْلِ فِي لَيْلِهِمْ أَلَذُّ مِنْ أَهْلِ اللَّهْوِ فِي لَهْوِهِمْ وَيَا بَعْدَهَا بَيْنَ  
 الْحَالَتَيْنِ ، فَسَبْحَانِ مَنْ وَفَّقَ أَقْوَامًا فَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالنَّوَابِلِ ، وَأَبْعَدَ بِحِكْمَتِهِ وَعَدَلَهُ آخَرِينَ فَهَمَّ  
 عَنْ مَا يَنْفَعُهُمْ فِي حَاضِرِهِمْ وَمَا لَمْ يَغْفُلُوا .

شِعْرًا : وَلَا خَيْرَ فِي مَنْ لَا يُوْطِنُ نَفْسَهُ      عَلَى طَاعَةِ الْمَوْلَى بِمَا فِي كِتَابِهِ  
 اللَّهُمَّ ثَبَّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوها وَأَلْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشَكَرَكَ وَوَقَّفْنَا لِلْقِيَامِ بِأَمْرِكَ وَأَعَدْنَا مِنْ عَدُونَا  
 وَعَدُوِّكَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ  
 وصلی الله على مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبة أجمعين .



" فَصْلٌ "

اعْلَمَ يَا أَحْيَى أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَكْثَرَ مِنْ سُؤْلِ اللَّهِ وَيَتَحَرَى أَوْقَاتَ الإِجَابَةِ لَعَلَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُ ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ تَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ ، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُوَ أَوْفَى الْوَاعِدِينَ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ \* لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ وَأَنْ يَفْتَحَ الدُّعَاءَ بِالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

شِعْرًا : وَأَقُومُ خَلْقَ اللَّهِ بِاللَّذِي	يُحِبُّ وَيَرْضَاهُ النَّبِيَّ الْمَبْجُلَ
فَتَى جَمَعْتَ فِيهِ الْمَكَارِمَ شَمَلَهَا	فَمَا فَاتَهُ مِنْهَا أَحْيَرُ وَأَوْلُ
عِنَايَتِهِ بِاللَّذِينَ تَشْهَدُ أَنَّهُ	نَبِيٌّ مِنَ الرَّحْمَنِ قَدْ جَاءَ مَرْسَلٌ
لَهُ مِنْي عَظْمَى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ	وِطَاعَتُهُ فَرَضٌ مِنَ اللَّهِ مَنْزَلٌ
دَعَانَا إِلَى الإِسْلَامِ بَعْدَ انْدِرَاسِهِ	وَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَالْأَمْرِ مَهْمَلٌ
وَأَصْلَحَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِيَمِينِهِ	وَاطْفَأَ نِيرَانًا عَلَى الدِّينِ تَشْعَلُ
يَعَاقِبُ تَأْدِيًّا وَيَعْفُو تَطَوُّلاً	وَيَجْزِي عَلَى الْحَسَنِ وَيُعْطَى فِيجْزَلُ
وَلَا يَتَّبِعُ الْمَعْرُوفَ مِنْهَا وَلَا أَدَى	وَلَا الْبَخْلَ مِنْ عَادَاتِهِ حِينَ يَسْأَلُ
رِعَاةِ الَّذِي اسْتَرَعَاهُ أَمْرَ عِبَادِهِ	وَكَافَاهُ عِنَا الْمَنْعَمِ الْمَتَفَضَّلِ

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الإِيمَانَ هَادِمًا لِلْسَيِّئَاتِ ، كَمَا جَعَلْتَ الْكُفْرَ عَادِمًا لِلْحَسَنَاتِ وَوَفَّقْنَا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ ، وَاسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَدَعَا لَكَ فَأَجَبْتَهُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى صَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَجْمَعِينَ .

" فَصْلٌ "

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « ولن ينفع حذر من قدر ، ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، فعليكم بالدعاء عباد الله » . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ مَعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل يديه إن يردهما صفراً خائبتين » . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « ادعوا الله وأنتم موقنين بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب من قلب غافل لاه " . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « ما من رجل يدعو بدعاء إلا استجيب له ، فإمّا أن يعجل له في الدنيا وإمّا أن يؤخر له في الآخرة وإمّا يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعاء ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، أو يستعجل يقول : دعوت ربي فما استجاب لي » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « من سره إن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَلَقَدْ عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ كَيْفَ تَدْعُو فَقَالَ ﷺ : « إذ صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله تعالى والثناء عليه ثم ليصل على النبي ﷺ ثم ليذبح بما شاء » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حَبَانَ وَالْحَاكِمُ وَالبَيْهَقِيُّ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إذا دعا أحدكم فليؤمن على دعاء نفسه » . رَوَاهُ ابْنُ عَدِيٍّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ " لا يَجْتَمَعُ مَلَأٌ فَيَدْعُوا بَعْضُهُمْ وَيُؤْمِنُ بَعْضُهُمْ إِلَّا أَجَابَهُمُ اللَّهُ « . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ حَبِيبِ بْنِ سَلَمَةَ الْفَهْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « سلوا الله يبطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم « . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لا تدعو على أنفسكم إِلَّا بِخَيْرٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ " . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لا تدعو على أنفسكم ولا تدعو على أولادكم ولا على تدعو على خدمكم ولا تدعو على أموالكم لا توافق من الله ساعة نيل فيها عطاء مستجاب لكم « . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ جَابِرِ بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « تفتح أبواب السماء ويستجاب الدعاء في أربعة مواطن : عند التقاء الصفوف في سبيل الله ، وعند نزول الغيث ، وعند إقامة الصلاة ، وعند رؤية الكعبة « . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي إِمامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « من كانت له إلى الله حاجة فليدع بها دبر كل صلاة مفروضة « . رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، وتفتح لها أبواب السماء ، وَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : وعزتي لا نصرنك ولو بعد حين « . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ " دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب ، عند رأسه ملك موكل به ، كُلُّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلِكُ : آمين ولك مثل

ذَلِكَ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « سلوا الله حوائجكم حتى الملح » . رَوَاهُ البيهقي عَنْ بكر بن عبد  
الله المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرسلاً .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الليل  
الآخر فيقول : من يدعوني فاستجب له ، ومن يسألني فأعطيه ، ومن يستغفري فأغفر له  
» . رَوَاهُ أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فإن استطعت أن  
تكون مما يذكر الله في تلك الساعة فكن » . رَوَاهُ الترمذي والنسائي والحاكم عَنْ عمرو  
بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه ، فيقول : عبدي ،  
إني أمرتك أن تدعوني ووعدتك أن أستجيب لك ، فهل كنت تدعوني ؟ فيقول : نعم يا  
رب . فيقول : أما إنك لم تدعني بدعوة إلا استجيب لك ، أليس دعوتني يوم كذا وكذا  
لعم نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك ؟ فيقول : نعم يا رب . فيقول : إني عجلتها  
لك في الدنيا ، ودعوتني يوم كذا وكذا لعم نزل بك أن أفرج عنك فلم تر فرجاً ؟ قال :  
نعم يا رب . فيقول : إني ادخرت لك بها في الجنة كذا وكذا . ودعوتني في حاجة أقضيها  
لك في يوم كذا وكذا فقضيتها ؟ فيقول : نعم يا رب . فيقول : إني عجلتها لك في  
الدنيا . ودعوتني يوم كذا وكذا في حاجة أقضيها لك فلم تر قضاء . فيقول : نعم يا رب  
فيقول : ادخرتها لك في الجنة كذا وكذا » .

وَقَالَ رسول الله ﷺ : « فلا يدع الله دعوة دعا عبده المؤمن إلا بين له ، إما أن يكون  
عجل له في الدنيا وإما أن يكون ادخر له في الآخرة » . قَالَ

فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ : يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُن عَجَلًا لَهُ شَيْئًا مِنْ دَعَائِهِ « . رَوَاهُ الْحَاكِمُ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا . وَإِنَّ اللَّهَ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ، ثُمَّ ذَكَرَ : الرَّجُلَ يَطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ : يَا رَبِّ وَمَطْعَمِهِ حَرَامٌ وَمَشْرَبِهِ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغَدَى بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يَسْتَجَابُ لِذَلِكَ « . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . عَنْهُ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ تَجَابَ دَعْوَتَهُ فَلْيَطْبِطِطْ مَطْعَمَهُ .

### " فَضْلٌ "

فِيهَا أَيُّهَا الْعَافِلُ الْمَهْمَلُ الْمَفْرُطُ وَكَلْنَا كَذَلِكَ انْتَبِهْ وَتَصَوَّرْ صَرْعَةَ الْمَوْتِ لِنَفْسِكَ وَتَصَوَّرْ نَزْعَهُ لِرُوحِكَ وَتَصَوَّرْ كَرِيهَ وَسُكْرَاتِهِ وَغَصَصَهُ وَغَمَّهُ وَقَلْقَهُ .

وَتَصَوَّرْ بُدْوُ الْمَلِكِ لَجَذْبِ رُوحِكَ مِنْ قَدَمِيكَ ثُمَّ الْإِسْتِمْرَارَ لِيَجْذِبَ الرُّوحَ مِنْ جَمِيعِ بَدَنِكَ فَتُنشِطَتْ مِنْ أَسْفَلِكَ مَتَصَاعِدَةً إِلَى أَعْلَاكَ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مِنْكَ الْكَرْبَ وَالْوَجْعَ وَالْأَلَمَ مِنْتَهَاةً وَعَمَتِ الْآلَامُ جَمِيعَ بَدَنِكَ وَقَلْبِكَ وَجِلَّ مَحْزُونٌ مُنْتَظِرٌ إِمَّا الْبَشْرَى مِنْ اللَّهِ بِالرِّضَا وَإِمَّا الْغَضَبَ .

فَبَيْنَمَا أَنْتَ فِي كَرِيحٍ وَغَمُومٍ وَشِدَّةِ حَزْنِكَ لَا رَتَقَابِكَ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِيِّينَ إِذْ سَمِعْتَ صَوْتَهُ إِمَّا بِمَا يَسْرُكُ وَإِمَّا بِمَا يَغْمُكُ فَيَلْزِمُ حِينَئِذٍ غَايَةَ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ أَوْ الْفَرَحِ وَالْأُنْسِ وَالسَّرُورِ قَلْبِكَ حِينَ أَقْضَتْ مِنَ الدُّنْيَا مَدَّتَكَ وَانْقَطَعَ مِنْهَا آثَرُكَ وَحَمَلَتْ إِلَى دَارٍ مِنْ سَلْفٍ مِنَ الْأُمَّمِ قَبْلِكَ .

وَتَصَوَّرْ نَفْسَكَ حِينَ اسْتِطَارَ قَلْبِكَ فَرَحًا وَسُرُورًا وَمَلَى رَعْبًا وَحُزْنًا وَعَبْرَةً وَبِزْيَارَةِ الْقُبُورِ وَهَوَلٍ مُطْلَعِهِ وَرُوعَةِ الْمَلِكِينَ مِنْكَ وَنَكِيرِ وَسْؤَالِهَا لَكَ فِي

القبير عَنْ ثَلَاثَةِ أَسْئَلَةٍ مَا فِيهَا تَخْيِيرٌ ، الْأَوَّلُ مِنْ رَبِّكَ وَالثَّانِي مَا دِينَكَ وَالثَّلَاثُ مِنْ نَبِيِّكَ .  
 فتصوّر أصواتهما عِنْدَ نِدَائِهِمَا لَكَ لِتَجْلِسَ لِسُؤَالِهِمَا لَكَ فِيهِ فَتَصُوّرُ جِلْسَتَكَ فِي ضَيْقِ  
 قَبْرِكَ وَقَدْ سَقَطَ كَفْنُكَ عَنْ حَقْوِيكَ وَالْقَطْنُ مِنْ عَيْنِيكَ . ثُمَّ تَصُوّرُ شَخْوَصَكَ بِبَصْرِكَ  
 إِلَيْهِمَا وَتَأْمَلُكَ لِصُورَتِهِمَا فَإِنَّ رَأْيَتَهُمَا بِأَحْسَنِ صُورَةٍ أَيْقَنَ قَلْبُكَ بِالْفُوزِ وَالنَّجَاةِ وَالسَّرُورِ  
 وَإِنْ رَأَيْتَهُمَا بِأَقْبَحِ صُورَةٍ أَيْقَنْتَ بِالْعَطْبِ وَالْهَلَاكِ .

شِعْرًا : وَلِلْمَرءِ يَوْمٌ يَنْقُضِي فِيهِ عَمْرَهُ      وموت وقبر ضيق فيه يولج  
 ويلقى نكيرًا في السؤال ومنكرًا      يسومان بالتكيل من يتلجلج  
 آخر : تفكر في مشييك والمآب      ودفنك بعد عزك في التراب  
 إذا وافيت قبرًا أنت فيه      تقويم به إلى يوم الحساب  
 وفي أوصال جسمك حين تبقى      مقطعة ممزقة الالهاب  
 فلولا القبر صار عليك سترًا      لأنتت الأباطح والروابي  
 خلقت من الشراب فصرت حيًا      وعلمت الفصيح من الخطاب  
 فطلق هذه الدنيا ثلاثًا      وبادر قبل موتك بالمتاب  
 نصحتك فاستمع قولي ونصحي      فمثلك قد يدل على الصواب  
 خلقنا للممات ولو تركنا      لضاق بن الفسيح من الرحاب  
 ينادى في صبيحة كل يوم      لدوا للموت وابنو للخراب

ثُمَّ تَصُوّرُ كَيْفَ يَكُونُ شَعُورُكَ إِنْ ثَبَتَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَنَظَرْتَ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ وَقَوْلُهُمَا  
 لَكَ هَذَا مِنْزَلُكَ وَمَصِيرُكَ فَتَصُوّرُ فَرْحَكَ وَسُرُورَكَ بِمَا تَعَانِيهِ مِنَ النَّعِيمِ وَبَهْجَةِ الْمَلِكِ وَإِيقَانِكَ  
 بِالسَّلَامَةِ مِمَّا يَسُوءُكَ .

وَأِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى فَتَصُوّرُ ضِدَّ ذَلِكَ مِنْ انْتِهَارِكَ وَمَعِينَتِكَ جَهَنَّمَ

وقولهما لَكَ هَذَا منزلك ومصيرك فيا لها من حسرة ويا لها من ندامة ويا لها من عثرة لا تقال .

ثم بعد ذلك الفناء والبلاء حتى تنقطع الأوصال وتفتت العظام ويلى جسدك ويستمر حزنك فيا حسرة روحك وغمومها وهمومها ، حتى إذا تكاملت عدة الأموات وقد بقي الجبار الأعلى منفردًا بعظمته وجلاله وكبريائه ثم لم يفجأك إلا نداء المنادي للخلائق للعرض على الله جلّ وعلا .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ \* يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ يأمر الله ملكًا ينادي على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمرن أن تجتمعن لفصل القضاء .

فتصور وقوع الصوت في سمعك ودعائك إلى العرض على مالك الملك فيطير فؤادك ويشيب رأسك للنداء لأنها صيحة واحدة للعرض على الرب جلّ وعلا ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ \* فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ .

فبينما أنت في فرع من الصوت إذ سمعت بانشقاق الأرض فخرجت مغبرًا من غبار قبرك قائمًا على قدميك شاخصًا ببصرك نحو النداء ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ ﴾ .

فتصور تعريك ومذلتك وانفرادك بخوفك وأحزانك وهمومك وغمومك في زحمة الخلائق خاشعة أبصارهم وأصواتهم ترهقهم الذلة ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ \* مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ﴾ .

اللَّهُمَّ ثبتنا على قولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة واتنا في الدنيا حسنة

وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ .  
اللَّهُمَّ خفف عنا الأوزار وارزقنا عيشة الأبرار واصرف عنا شر الأشرار واعتق رقابنا ورقاب  
إبائنا من النار يَا عزيز يَا غفار يَا كريم يَا ستار يَا حليم يَا جبار وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا  
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
أَجْمَعِينَ .

" فصل " : ثُمَّ تصور إقبال الوحوش من البراري منكسة رؤوسها ل هول يوم القيامة فبعد  
توحشها وانفرادها من الخلائق ذلت ليوم النشور ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾

وتصور تكوير الشمس وتناثر النجوم وانشقاق السماء من فوق الخلائق مَعَ كثافة سمكها  
فيا هول صوت ذَلِكَ الانشقاق .

والملائكة على حافات ما يتفطر من السماء ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ  
وَاهِيَةٌ \* وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً  
كَالدِّهَانِ ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴾ . قِيلَ تذوب كما تذوب الفضة في  
السبك وتتلون كما تلون الأصباغ التي يدهن بها فتارة حمراء وتارة صفراء وزرقاء وخضراء  
وَذَلِكَ من شدة الأمر وهول يوم القيامة ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴾  
قِيلَ كالفضة المذابة أو الرصاص المذاب ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ .

فتصور وقوفك مفردًا عريانًا حافيًا وَقَدْ أدنيت الشمس من رؤوس الخلائق ولا ظِلَّ إِلَّا ظِلَّ  
عرش رب العالمين ، فبينما أَنْتَ على تلك الحال المزعجة اشتد الكرب والوهج من حر  
الشمس ثُمَّ ازدحمت الأمم وتدافعت وتضايقت واختلقت الأقدام وانقطعت الأعناق من  
شدة العطش والخوف العَظِيم .



وانضاف إلى حر الشمس كثرة الأنفاس وازدحام الأجسام والعطش تضاعف ولا نوم ولا راحة وفاض عرقهم على الأرض حتى استنقع ثم ارتفع على الأبدان على قدر مراتبهم ومنازلهم عند ربحهم بالسعادة والشقاوة .

ثم تصور مجئ جهنم تقاد ولها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ، وقال تعالى : ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ .

فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا لركبته يقول : يا رب نفسي نفسي . فتصور ذلك الموقف المهيل المفزع الذي قد ملا القلوب رعباً وخوفاً وقلقاً ودعراً يا له من موقف ومنظر مزعج .

وأنت لا محالة أحدهم فتوهم نفسك لكربك وقد علاك العرق والفرع والرعب الشديد والناس معك منتظرون لفصل القضاء إلى دار السعادة أو إلى دار الشقاء ، قال تعالى : ﴿ وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ .

فتصور أصوات الخلائق وهم ينادون بأجمعهم منفرد كل واحد بنفسه ينادي نفسي نفسي ، قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجُثَادِهَا عَنِ نَفْسِهَا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ \* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴾ الآية .

فتصور نفسك وحالتك عندما يتبرأ منك الولد والوالد والأخ والصاحب لما في ذلك اليوم من المزعجات والقلقل والأهوال التي ملأت القلوب من الخوف والفرع والرعب والدعر . ولولا عظم هول ذلك اليوم ما كان من الكرم والمروة والحفاظ أن تفر من أمك وأبيك وأخيك وبنيك ولكن عظم الخطر وشدة الكرب والهول اضطرك إلى ذلك فلا تلام على فرارك منهم ولا لوم عليهم إذا فروا منك ، قال الله تعالى :

﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ ، وَقَالَ ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ .

فبينما أنت في تلك الحالة مملوء رعباً قد بلغت القلوب الحناجر من شدة الأهوال والمزعجات والخوف العظيم إذا ارتفع عنق من النار يلتقط من أمر بأخذه فينطوي عليهم ويلقيهم في النار فتبتلعهم ثم تصور الميزان وعظمته وقد نصب لوزن الأعمال وتصور الكتب المتطايرة في الإيمان والشمائل وقلبك واجف مملوءاً خوفاً متوقع أين يقع كتابك في يمينك أو في شمالك أو من وراء ظهرك .

اللهم انهج بنا مناهج المفلحين وألبسنا خلع الإيمان واليقين ، وخصنا منك بالتوفيق المبين ، ووقفنا لقول الحق وإتباعه وخلصنا من الباطل وابتداعه ، وكن مؤيداً ولا تجعل لفاجر علينا يداً واجعل لنا عيشاً رغداً ولا تشمت بنا عدواً ولا حاسداً ، وارزقنا علماً نافعاً وعملاً متقبلاً ، وفهماً ذكياً وطبعاً صفيماً وشفاءً من كلِّ داء ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين . وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

" فصل " : فالأتقياء يعطون كتبهم بإيمانهم والأشقياء بالشمال أو من وراء الظهر ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ \* فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَاباً يَسِيراً \* وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ \* فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً \* وَيَصْلَىٰ سَعيراً ﴾ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ مَن آفَرُوا كِتَابِيهِ ﴾ الآيات ، وَقَالَ ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ \* وَلَمْ أَدرِ مَا حِسَابِيهِ ﴾ الآيات .

فيا لها من مواقف ، ويا لها من أهوال ويا لها من خطوط مجرد تصورها يبكي المؤمن بها حَقًّا .

عَنْ الْحَسَنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ رَأْسَهُ فِي حَجَرٍ عَائِشَةَ فَنَعَسَ فَتَذَكَّرَتِ الْآخِرَةَ فَبَكَتْ فَسَالَتْ دُمُوعَهَا عَلَى خَدِ النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَيْقِظَ بِدُمُوعِهَا فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : « مَا يَبْكُوكَ » ؟ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الْآخِرَةَ هَلْ تَذَكَّرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَإِنَّ أَحَدًا لَا يَذْكُرُ إِلَّا نَفْسَهُ : إِذَا وَضَعْتَ الْمَوَازِينَ وَوَزَنْتَ الْأَعْمَالَ حَتَّى يَنْظُرَ ابْنُ آدَمَ أَيُخْفِ مِيزَانَهُ أَمْ يَثْقُلُ وَعِنْدَ الصَّحْفِ حَتَّى يَنْظُرَ أَيَمِينِهِ أَمْ بِشِمَالِهِ وَعِنْدَ الصَّرَاطِ » .

وعن أنس بن مالك قال : يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمعه الخلائق سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا .

وإن خف ميزانه نادى بصوت فيسمعه الخلائق شقي فلان بن فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا .

وتصور بينما أنت واقف مع الخلائق الذين لا يعلم عددهم إلا الله جلَّ وعلا وتقدس إذ نودي باسمك على رؤوس الخلائق من الأولين والآخرين أين فلان بن فلان هلُمَّ إلى العرض على الله عزَّ وجلَّ .

فقمت أنت لا يقوم غيرك لما لزم قلبك من العلم من أنت المطلوب فقمت ترتعد فرائضك وتضطرب رجلاك وجميع جوارحك وقلبك من شدة الخوف والذهول في أشد الخفقان مرتفعًا إلى الحنجرة .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ ﴾ .

فتصور خوفك وَذُلُّكَ وضعفك وانهيار أعصابك وقواك متغيراً لونك مرعوباً مدعوراً  
مرتكضاً مزعجاً قَدْ حَلَّ بِكَ الْعَمُّ وَالْهَمُّ والاضطراب والقلق والذهول لما أصابك ورأيت من  
الشدائد والكروب والمحزونات ما الله به عليم .

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا وتقدس : ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ  
شَدِيدٌ ﴾ ، فإيا من يوم ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا وتقدس : ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ  
الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ والآية بعدها .

وتصور وقوفك بين يدي بديع السموات والأرض الَّذِي الَّذِي الأَرْضُ جميعاً قبضته يوم القيامة  
والسموات مطويان بيمينه القوي العزيز وقلبك خائف مملوء من الرعب محزون وجل  
وطرفك خائف خفي خاشع ذليل .

وجوارحك مرتعدة بيدك صحيفة فيها الدقيق والجليل لا تغادر صغيرة ولا كبيرة فقرأتها  
بلسان كليل وقلب منكسر وداخلك من الخجل والجن والحياء من الله الَّذِي لم يزل أليك  
محسناً وَعَلَيْكَ سَاتِرًا .

فبأي لسان تجيبه حين يسألك عَنْ قَبِيحِ فَعْلِكَ وَعَظِيمِ جَرْمِكَ وبأي قدم تقف غداً بين  
يديه وبأي طرف تنظر إليه وبأي قلب تحمل كلامه الْعَظِيمِ الْجَلِيلِ ومساءلته وتوبيخه .

وتصور نفسك بصغر جسمك بين يدي من السموات السبع والأرض كخردلة فِي كَفَّةِ  
الكبير المتعال شديد المحال الَّذِي ما من دابة إلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا وَقُلُوبِ الْعِبَادِ بَيْنَ  
أَصَابِعِهِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ .

وتصور نفسك بهذه الهيئة والأهوال محدقة بك من جوانبك ومن خلفك فكم من كبيرة قَدْ  
نسيتها أثبتها عَلَيْكَ الْمَلِكُ وَكَمْ من بلية أحدثتها فذكرتها وَكَمْ من سريرة قَدْ كنت كتبتها  
قَدْ ظهرت وبدت .

وَكَمْ مِنْ عَمَلٍ قَدَّ كُنْتَ تَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ خَلَصَ لَكَ وَسَلِمَ فَإِذَا هُوَ بِالرِّبَاءِ قَدْ حَبِطَ بَعْدَ مَا كَانَتْ أَمْلَكَ فِيهِ عَظِيمًا فِيَا حَسْرَةٌ قَلْبِكَ وَتَأْسُفٌ عَلَى مَا فَرَطْتَ فِي طَاعَةِ رَبِّكَ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

حتى إذا كرر عَلَيْكَ السُّؤالُ بِذِكْرِ الْبَلَايَا وَنَشْرَتِ مَخْبَأَتِكَ الَّتِي طَلَمَّا أَخْفَيْتَهَا وَسَتَرْتَهَا عَنْ مَخْلُوقٍ مِثْلِكَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ وَلَا لِغَيْرِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَقَدْ ظَهَرَتْ قَلَّةُ هَيْبَتِكَ وَقَلَّةُ حَيَاةِكَ مِنْهُ وَظَهَرَتْ مِبارزتك لَهُ بِفَعْلٍ مَا نَهَكَ عَنْهُ .

فَمَا ظَنُّكَ بِسُّؤالٍ مِنْ قَدِّ امْتِلَأُ سَمْعِكَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَجَلالِهِ وَكِبْرِيائِهِ وَسائِرِ صِفَاتِ كَمالِهِ وَكَيْفَ بَكَ أَنْ ذَكَرَكَ مَخالفتك لَهُ وَرَكُوبَكَ مَعاصِيهِ وَقَلَّةَ اِهْتِمَامِكَ بِنَهْيِهِ وَنَظَرَهُ إِلَيْكَ وَقَلَّةَ اكْتِراثِكَ فِي الدُّنْيَا بِطاعته .

وَمَاذَا تَقُولُ إِنْ قَالَ : يَا عَبْدِي أَمَا اسْتَحَيْتَ مِنِّي أَمَا راقبتني اسْتَحْفَفْتَ بِنَظَرِي إِلَيْكَ أَلَمْ أَحْسِنَ إِلَيْكَ أَلَمْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ مَا غَرَكَ مِنِّي .

شِبابك فِيما اَبْلَيْتَهُ وَعَمْرُكَ فِيما أَفْنَيْتَهُ وَمالِكَ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْتَهُ وَفِيمَ أَنْفَقْتَهُ وَعِلْمِكَ مَاذَا عَمِلْتَ فِيهِ .

وورد عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « لِيَقْفَنَ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ وَلَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجَمَانٌ يَتَرَجَمُ عَنْهُ فَيَقُولُ أَلَمْ أَنْعَمْ ، أَلَمْ آتِكَ مالاً فَيَقُولُ : بلى . فَيَقُولُ : أَلَمْ أُرْسِلَ إِلَيْكَ رَسُولاً فَيَقُولُ : بلى . ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ فَلْيَتَّقِ أَحَدُكُمْ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنَّ لَمْ يَجِدْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ " رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ " .

فَأَعْظَمُ بِهِ مَوْقِفًا وَأَعْظَمُ بِهِ مِنْ سائِلٍ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ وَأَعْظَمُ بِمَا يَدَاخِلُكَ مِنَ الْحِجْلِ وَالغَمِّ وَالْحُزَنِ وَالْأَسْفِ الشَّدِيدِ عَلَى مَا فَرَطْتَ فِي طاعته

وعلى ركوبك معصيته وعلى أوقات ضاعت عند الملاهي والمنكرات ، قَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْ  
حَالِ الْمُجْرِمِينَ الْمَفْرَطِينَ : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا  
وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ  
وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ \* وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ الآية .

وكيف تثبت رجلاك عند الوقوف بين يديه وكيف يقدر على الكلام لسانك عندما  
يسألك الحي القيوم إلا أن يثبتك جلَّ وَعَلَا ويقدرك على ذلك فإذا تبالغ فيك الجهد من  
الغم والحزن والحياء والحجل بدا لك منه أحد أمرين إما الغضب أو الرضا عنك .

فإما أن يقول : يَا عَبْدِي أَنَا سَتَرْتَهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا اغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَقَدْ غَفَرْتَ لَكَ  
كَبِيرَ جَرْمِكَ وَكَثِيرَ سَيِّئَاتِكَ وَتَقَبَلْتَ مِنْكَ يَسِيرَ إِحْسَانِكَ فَيَسْتَطِيرُ قَلْبَكَ بِالْبَهْجَةِ وَالْفَرَحِ  
وَالسُّرُورِ فَيَشْرُقُ وَيَسْتَنِيرُ لِذَلِكَ وَجْهَكَ .

فتصور نفسك حين ما يقال لك وتهداً نفسك ويطمئن قلبك وينور وجهك بعد كآبته  
وتكسفه من الحياء من السؤال .

وتصور رضاه عنك حينما تسمعه منه فثار في قلبك فامتلاً سروراً وكدت أن تموت من  
الفرح فأبي سرور أعظم من السرور والفرح برضا الله عَزَّ وَجَلَّ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَا قَطَعَ قُلُوبَنَا عَنْ ذِكْرِكَ وَاغْفِرْ عَنْ تَقْصِيرِنَا فِي طَاعَتِكَ وَشُكْرِكَ وَأَدْمِ لَنَا  
لِزُومِ الطَّرِيقِ إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُورًا نُهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ ، وَاسْلِكْ بِنَا سَبِيلَ أَهْلِ مَرْضَاتِكَ واقطع  
عنا كُلَّ مَا يَبْعِدُنَا عَنْ سَبِيلِكَ وَيَسِرْ لَنَا مَا يَسِرُّهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وَأَيِّقْظُنَا مِنْ غَفْلَاتِنَا وَأَلْهِمْنَا  
رَشْدَنَا وَحَقِّقْ بِكَرْمِكَ قَصْدَنَا وَاسْتِرْنَا فِي دُنْيَانَا وَأَخْرِثْنَا وَاحْشِرْنَا فِي زِمْرَةِ الْمُتَّقِينَ وَأَلْحِقْنَا  
بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَلَا تَجْعَلْ عَلْمَنَا وَبِالْأَعْلِيَانَا ،  
اللَّهُمَّ قَوِّ مَعْرِفَتَنَا بِكَ وَبِأَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ وَنُورِ بَصَائِرِنَا وَمَتَعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا

وقواتنا يا رب العالمين وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .  
وصلى الله على مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

### " فَصْلٌ "

وتصور نفسك وَقَدْ بدا لَكَ منه الرِّضَا والرحمة والمغفرة فتكاد روحك أن تطير من بدنك  
فرحًا فَكَيْفَ لو سمعت من الله عَزَّ وَجَلَّ الرِّضَا عَنْكَ والمغفرة لَكَ فأمن خوفك وسكن  
حذرك وتحقق أملك ورجاؤك بخلود الأبد وأيقنت بفوزك ونعيمك أبدًا لا يفنى ولا يبيد  
وطار قلبك فرحًا وأبيض وجهك وأشرق وأنار .

ثُمَّ خرجت إلى الخلائق مستنير الوجه قَدْ حل بك أكمل الجمال والحسن كتابك بيمينك  
وقَدْ شخصت أبصار الخلائق إليك غبطة لَكَ وتأسفًا على أن ينالوا من الله عَزَّ وَجَلَّ مثل  
ما نلت .

وتصور نفسك إن لم يعف عَنْكَ ربك وأيقنت بالهلاك وذهب بك إلى جهنم مسود  
الوجه تتخطى الخلائق بسواد وجهك وكتابك في شمالك أو من وراء ظهرك تنادي بالويل  
ولشبور والملك آخذ بعضدك ينادي هَذَا فلان بن فلان قَدْ شقي شقاء لا يسعد بعدها أبدًا .

وتصور الصراط وَهُوَ الجسر المنصوب على متن جهنم قدامك وتصور ما يحل بك من  
الوجل والخوف الشديد حين رفعت طرفك فنظرت إليه بدقته ودحوضه وجهنم تضطرب  
وتتغيض وتخفق بأمواجها من تحته .

فيا لَهُ من منظر ما أفضعه وأهوله وسماعك شهيقها وتغيضها وقصف أمواجها وجلبة ثورانها  
من أسفلها وَقَدْ اضطرت على المشي عَلَيْهِ وَقَدْ مرت عَلَيْكَ صفته .

ثُمَّ قِيلَ لَكَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَى الْجَسْرِ بِفِظَاظَتِهِ وَفِظَاعَتِهِ وَقِيلَ لِلخَلْقِ مَعَكُمْ أَرْكَبُوا الْجِسْرَ الَّذِي هُوَ الصَّرَاطُ فَتَصَوَّرْ حَالَتَكَ وَخَفَقَانَ قَلْبِكَ وَرَجْفَانَ جِسْمِكَ مِمَّا عَانَيْتَ مِنَ الْمَزْعِجَاتِ وَالْكُرُوبِ وَالشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ وَعِظَائِمِ الْأُمُورِ وَقِلَّةِ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَالرَّاحَةِ .

ولما قِيلَ : أَرْكَبْ طَارَ عَقْلُكَ رَعْبًا وَخَوْفًا ثُمَّ إِذَا رَفَعْتَ رِجْلَكَ وَأَنْتَ تَنْتَفِضُ لِتَرْكَبَ الْجِسْرَ فَوَقَعَ قَدَمُكَ عَلَى حَدَّتِهِ وَدَقَّتْهُ فَازْدَادَ فَزَعُكَ وَازْدَادَ رَجْفَانَ قَلْبِكَ وَرَفَعْتَ رِجْلَكَ الْأُخْرَى وَأَنْتَ مُضْطَرِبٌ تَمْرُوجٌ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ الْعَظِيمِ وَقَدْ أَثْقَلْتِكَ الْأَوْزَارَ وَأَنْتَ حَامِلُهَا عَلَى ظَهْرِكَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ مِنْ يَتَهَافَتُونَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ وَرَائِكَ .

فَتَصَوَّرْ مَرُورَكَ عَلَيْهِ بِضَعْفِكَ وَثِقَلِكَ وَأَوْزَارِكَ وَقِلَّةِ حِيلَتِكَ وَأَنْتَ مَنْدَهَشٌ مِمَّا تَحْتَكُ وَأَمَامَكَ مِمَّنْ يَنْنُونُ وَيَزْلُونُ وَقَدْ تَنَكَّسَتْ هَامَاتِهِمْ وَارْتَفَعَتْ أَرْجُلُهُمْ وَآخَرُونَ يَتَخَطَفُونَ بِالْكَالِيلِ وَتَسْمَعُ الْعَوِيلَ وَالْبُكَاءَ وَالْأَصْوَاتَ الْمَزْعِجَاتِ الْمُنَادِيَاتِ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ .

فِيَا لَهُ مِنْ مَنْظَرٍ فَظِيعٍ وَمَرِّ تَقِي مَا أَصْعَبَهُ وَمَجَازٍ مَا أَضِيقَهُ وَمَكَانٍ مَا أَهْوَلَهُ وَمَوْقِفٍ مَا أَشْقَهُ وَكَأَنِّي بِكَ مَمْلُوءًا مِنَ الذُّعْرِ وَالرَّعْبِ وَالْقَلْقِ مَلْتَفَتًا يَمِينًا وَشِمَالًا إِلَى مَنْ حَوْلَكَ مِنَ الْخَلْقِ وَهُمْ يَتَهَافَتُونَ قَدَامَكَ فِي جَهَنَّمَ وَأَنْتَ تَخْشَى أَنْ تَتَّبِعَهُمْ إِلَى قَعْرِ جَهَنَّمَ .

فَتَصَوَّرْ هَذَا بِعَقْلِكَ مَا دَمْتَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ قَبْلَ أَنْ يَحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فَلَا يَفِيدُكَ التَّفَكِيرُ لَعَلَّكَ أَنْ تَتَلَاَفِي تَفْرِيطَكَ وَتَحَاسِبَ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ يَفُوتَ الْأَوَانَ فِتْبُوءًا بِالْفِشْلِ وَالْحَيِيَّةِ وَالْحَرْمَانَ .

وَتَصَوَّرْ حَالَتَكَ إِنْ يَأْتِ بِالْحُسْرَانُ وَزَلَتْ رِجْلُكَ عَلَى الصَّرَاطِ وَوَقَعْتَ فِيهَا كُنْتَ تَحَازِرُ وَتَخَافُ وَطَارَ عَقْلُكَ ثُمَّ زَلَتْ رِجْلَكَ الْأُخْرَى فَنَكَّسْتَ عَلَى هَامَتِكَ وَعَلَتْ رِجْلَاكَ فَلَمْ تَشْعُرْ إِلَّا وَالْكُلُوبُ قَدْ دَخَلَ فِي جِلْدِكَ وَحَمَلَكَ .



فجذبت به وبادرت إليك النار ثائرة غضبانية لغضب مولاها وقد غلب على قلبك الندم والتأسف على ضيعتها فيما يسخط الله .

وتصور سماعك لنداء النار بقوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ هَلِ امْتَلَأَتْ ﴾ وسمعت أجابتها ﴿ هَلِ مِنْ مَّزِيدٍ ﴾ وهي تلتهب في بدنك لها قصيف في جسدك ثم لم تلبث أن تفطر جسمك وتساقط لحمك وبقيت عظامك .

محترق تطلب منهم ماء أو نحوه فأجابوك بالرد والخيبة فتقطع قلبك حسرة وأسفا .  
 قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ فيا خيبة من هذا حاله وهذا ماله .

لقد تقطع قلبك حزنا إذ خيوا أملك فيهم وبما رأيت من غضبهم عليك لغضب ربك عَزَّ وَجَلَّ ففزعت إلى الله بالنداء بطلب الخروج منها فبعده مدة الله أعلم بها جاء الجواب ﴿ قَالَ احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ .

فلما سمعت النداء بالتخسئة لك ولأمثالك بقي نفسك من شدة الضيق والألم والحسرة مترددا في جوفك لا مخرج له فضاقت نفسك ضيقا شديدا لا يعمل مداه إلا الله .  
 وبقيت قلما تزفر ولا تطيق ثم أتاك زيادة حسرة وندامة حيث أطبق أبواب النار عليك وعلى أعدائه فيها فانقطع الأمل كلياً .

فيا إياسك ويا إياس سكان جهنم حين يسمعون وقع أبوابها تطبق عليهم ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ \* فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ .

فعلموا عند ذلك أن لا فرج أبداً ولا مخرج ولا محيص لهم من عذاب الله خلود فلا موت وعذاب لا زوال له عن أبدانهم ودوام حرق قلوبهم .

أحزان لا تنقضي وهموم وغموم لا تنفد وسقم لا يبرأ وقيود لا تحل وأغلال لا تفك ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِذِ الْأَعْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ \* فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ \* يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ \* وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ \* كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ .

ثُمَّ اطلعت النار على ما في جوفك فأكلت ما فيه وأنت تنادى وتستغيث فلا ترحم حتى إذا طال فيها مكثك واشتد بك العطش .

فذكرت الشراب في الدنيا فزعت إلى الحميم فتناولت الإناء من يد الخازن الموكل بعذابك فلما تناولته تمزعت كفك من تحته واحترقت من حرارته ثم قربته إلى فمك والألم بالغ منك كل مبلغ فشوى وجهك وتساقط لحمه .

ثُمَّ تجرعت فسلخ حلقك ثم وصل إلى جوفك فقطع أمعاءك ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ ، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ \* يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ .

ثُمَّ ذكرت شراب الدنيا وبرده ولذاته فبادرت إلى الحميم لتبرد به كبذك كما تعودت في الدنيا فسقيت فقطع أمعاءك والحميم شراب كالححاس المذاب يقطع الأحشاء والأمعاء ثم بادرت إلى النار رجاء أن تكون أهون منه ثم اشتد عليك حريق النار فرجعت إلى الحميم قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾ ، وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى : ﴿ إِذِ الْأَعْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ \* فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ .

فقدر نفسك مع الضائعين والحاسرين لعلك أن تلحق بالأبرار

والمقربين وتصور حالتك لما اشتد بك الكرب والعطش وبلغ منك كُـلُّ مبلغٍ وذكرت الجنان وما فيها من النعيم المُقيم والعيش السليم .

وهاجت الأحزان وهاجت غصة في فؤادك إلى حلقك أسفاً على ما فات من رضي الله عزَّ وجلَّ حزناً على نعيم الجنة .

ثمَّ ذكرت شرابها وبرد مائها وذكرت أن فيها بعض القربة من أب أو أم أو ابن أو أخ أو غيرهم من القربة أو الأصدقاء في الدنيا فناديتهم بقلب محزون لا يرحم بكأؤهم ولا يجاب دعاؤهم ولا يغاثون عند تضرعهم ولا تقبل توبتهم ولا تقال عشرتهم غضب الله عزَّ وجلَّ عليهم فلا يرضى عنهم أبداً فمثل نفسك بهذا الوصف إن لم يعف عنك ربك لعلك أن تستيقظ فتستدرك .

فلو رأيت المعذبين قد أكلت النار لحومهم ومحت محاسن وجوههم واندرس تخطيطهم فبقيت العظام محترقة مسودة وقد قلقوا من شدة تكرار العذاب الأليم ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ وهم ينادون بالويل والشور ويصرخون بالبكاء والعيول ، قال الله جلَّ وعلا وتقدس : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ ، وقال : ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً \* لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً ﴾ .

فلو رأيتهم لذاب قلبك فزعاً ورعباً من سوء خلقهم ولخرجت روحك من نتن رائحتهم فكيف لو نظرت نفسك وأنت لعلك فيهم وقد زال من قلبك الأمل والرجاء ولزمت القنوط والإياس فمثل نفسك لعلك أن تتأثر فتستعد للقاء الله .

ونظرت إلى النار وهي تشتعل في أجزاء بدنك فتدخل أذنيك وعينيك ولا تقدر على إبعادها عنك لملازمتها لك ، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً \* إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً ﴾ فهناك يغلب على قلبك التأسف والحسرات

والندامة ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ الآية .

فتصور تلك الأهوال والعظائم بعقل فارغ وعزيمة صادقة وراجع نفسك ما دمت في قيد الحياة وتب إلى الله توبة نصوحاً عن ما يكره مولاك وتضرع إليه وابك من خشيته لعله يرحمك ويقبل عثرتك فَإِنَّ الْخَطَرَ عَظِيمٌ وَالْبَدَنُ ضَعِيفٌ وَالْمَوْتُ مِنْكَ قَرِيبٌ ، انتهى بتصريف من كلام المحاسبي رَحِمَهُ اللهُ .

شِعْرًا : مِثْلَ وَقُوفِكَ يَوْمَ الْحَشْرِ غُرَيَانَا مُسْتَعِظِفًا قَلِقَ الْأَحْشَاءَ حَيْرَانَا  
النَّارُ تَزْفُرُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَنْقٍ عَلَى الْعُصَاةِ وَتَلْقَى الرَّبَّ غَضَبَانَا  
أَفْرَأَ كِتَابَكَ يَا عَبْدِي عَلَى مَهْلٍ وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ تَرَى هَلْ كَانَ مَا كَانَ  
لَمَّا قَرَأْتَ كِتَابًا لَا يُعَادِرُ لِي حَرْفًا وَمَا كَانَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانَا  
قَالَ الْجَلِيلُ خُدُوهُ يَا مَلَائِكَتِي مُرُوا بِعَبْدِي إِلَى النَّيِّرَانِ عَطَشَانَا  
يَا رَبِّ لَا تُحْزِنَا يَوْمَ الْحِسَابِ وَلَا تَجْعَلْ لِنَارِكَ فِينَا الْيَوْمَ سُلْطَانَا

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْعَقْلَةِ وَنَبَهْنَا لِاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمَهَلَةِ وَوَقِّفْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تَوَاضِعْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَاكْتَنَتْ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنَّا ، وَامْنِ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

" موعظة " : لله در أقوام تركوا الدنيا فأصابوا ، وسمعوا منادي الله فأجابوا ، وحضروا مشاهد التقى فما غابوا ، واعتدروا مع التحقيق ثم تابوا وأتابوا ، وقصدوا باب مولاهم فما ردوا ولا خابوا .

قَالَ عمرو بن ذر : لما رأى العابدون الليل قد هجم عليهم ، ونظروا إلى أهل العقلة قد سكنوا إلى فرشهم ورجعوا إلى ملاذهم .

قاموا إِلَى اللَّهِ سُُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَرْحِينَ مُسْتَبْشِرِينَ بِمَا قَدْ وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ السَّهْرِ وَطُولِ التَّهَجُّدِ .

فاستقبلوا الليل بأبدانهم ، وباشروا ظلمته بصفاح وجوههم ، فانقضت عنهم الليل ، وما انقضت لذتهم من التلاوة ، ولا مَلَّتْ أبدانهم من طول العبادة ، فأصبح الفريقان وَقَدْ ولى الليل بريح وغبن .

فاعملوا فِي هَذَا اللَّيْلِ وَسَوَادِهِ ، فَإِنَّ الْمَغْبُونَ مِنْ غِبْنِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ تَعَالَى فِي هَذَا اللَّيْلِ قَدْ اغْتَبَطَ بِقِيَامِهِ فِي ظِلْمَةِ حَفْرَتِهِ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرْنَا وَعَلَانِيَتْنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تَقِيضَ لَدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَثَ مِنَ الْبِدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَيُقِيمَ عَلَى الْجِهَادِ وَيَقْمَعَ أَهْلَ الزُّبُغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ .

" فصل " : ويقابل دار الأشقياء التي تقدمت قريبا دار أخرى دار قرار ونعيم وسرور وحبور وأمن وصحة وحياة أبدية فيها ما تشتهيهِ الأَنفُسُ وتلذ الأعين مِمَّا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أذْنَ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ .

دار جعلها الكَرِيمُ جَلًّا وَعَمَلًا دار ضيافة يكرم فيها عباده الأَخْيَارَ الَّذِينَ وَفَّقَهُمْ لِحُدُومَتِهِ وَالْعَمَلَ بِطَاعَتِهِ .

ولا تظن هَذِهِ الضيافة محدودة ، ولا أن الكرامة فيها تنتهي بل كُلُّ مَا تَجِبُهُ وَتَتَمَنَاهُ أَمَامَكَ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْعَفْوِ وَالتَّجَاوُزِ فَتَوْهَمُ إِنْ تَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِالْعَفْوِ وَالتَّجَاوُزِ ( أي تصور ممرِك على الصراط ) .

ونورك يسعى بين يديك وعن يمينك ، وكتابك بيمينك مبيض الوجه .

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا : ( يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ) ، وَقَدْ أَيْقَنْتَ بِرِضَاهِ عَنكَ وَأَنْتَ عَلَى الصِّرَاطِ مَعَ زَمْرَةِ الْعَابِدِينَ وَوَفُودِ الْمُتَّقِينَ .

والملائكة تنادى : سلم سلم ، والوجل مَعَ ذَلِكَ لَا يَفَارِقُ قَلْبَكَ وَلَا قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ ، تنادى وينادون : ﴿ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، فتدبر حين رأوا المنافقين طفئ نورهم ، وهاج الوجل في قلوبهم ، فدعوا بتمام النور والمغفرة .

فتوهم أي تصور وتخيل وتمثل نفسك ، وَأَنْتَ تَمْرٌ خَفِيفًا مَعَ الْوَجْلِ وَتَصُورُ مَمْرَكَ عَلَى قَدْرِ خَفَةِ أَوْزَارِكَ وَثِقَلِهَا وَقَدْ أَنْتَهَيْتَ إِلَى آخِرِهِ . فغلب على قلبك النجاة ، وَقَدْ عَايَنْتَ نَعِيمَ الْجَنَّةِ وَأَنْتَ عَلَى الصِّرَاطِ ، فحن قلبك على جوار الله عَزَّ وَجَلَّ ، واشتاق إلى رضا الله ، حَتَّى إِذَا صَرْتَ إِلَى آخِرِ خَطَوَاتِ بَاحِدِ رَجْلِكَ إِلَى الْعَرِصَةِ ( أَى عَرِصَةِ الْقِيَامَةِ ) الَّتِي بَيْنَ آخِرِ الْجَسْرِ وَبَيْنَ بَابِ الْجَنَّةِ ، فوضعتها على العريضة التي بعد الصراط ، وبقيت القدم الأخرى على الصراط ، والخوف والرجاء قَدْ اعْتَلِيَا فِي قَلْبِكَ وَغَلَبَا عَلَيْكَ .

ثُمَّ ثَبَّتْ بِالْأُخْرَى ، فَجَزَّتِ الصِّرَاطَ كُلَّهُ وَاسْتَقَرَّتْ قَدَمَاكَ عَلَى تِلْكَ الْعَرِصَةِ ، وَزَلَّتْ عَنْ الْجَسْرِ بِيَدِنِكَ ، وَخَلْفَتَهُ وَرَاءَ ظَهْرِكَ ، وَجَهْنَمُ تَضَطَّرَبُ مِنْ تَحْتِ مَنْ يَمْرُ عَلَيْهِ ، وَتَثَبَ عَلَى مَنْ زَلَّ عَنْهُ مَغْتَاطَةً تَزْفِرُ عَلَيْهِ وَتَشْهَقُ إِلَيْهِ .

ثُمَّ التفت إلى الجسر فنظرت إليه باضطرابه ، ونظرت إلى الخلائق من فوقه ، وإلى جهنم من تحته تثب وتزفر على الَّذِينَ زَلُّوا عَنِ الصِّرَاطِ ، لَهَا فِي رُؤُوسِهِمْ وَأَنْحَائِهِمْ قَصِيفٌ ، فَطَارَ قَلْبُكَ فَرَحًا إِذْ نَجَّوْتَ بَضْعَفِكَ مِنَ النَّارِ وَخَافْتَ النَّارَ وَجَسَرَهَا مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِكَ ، متوجها إلى جوار ربك .

ثُمَّ خَطَوْتَ أَمْنًا إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ امْتِلَاءً قَلْبِكَ سُرُورًا وَفَرَحًا ، فَلَا تَزَالُ فِي مَمْرِكَ بِالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ حَتَّى تَوَافِيَ أَبْوَابَهَا ، فَإِذَا وَافَيْتَ بِهَا اسْتَقْبَلَكَ بِحُسْنِهِ ،

فنظرت إلى حسنه ونوره وحسن صورة الجنة وجدرائها ، وقلبك مستطير فرح مسرور متعلق بدخول الجنة حين وافيت بابها أنت وأولياء الرحمن .

فتوهم أي تخيل وتصور نفسك في ذلك الموكب ، وهم أهل كرامة الله ورضوانه ، مبيضة وجوههم ، مشرقة برضا الله ، مسرورون فرحون مستبشرون ، وقد وافيت باب الجنة بغبار قبرك ، وحر المقام ووهج ما مر بك .

فنظرت إلى العين التي أعدها الله لأوليائه وإلى حسن مائها ، فانغمست فيها مسرورًا ، لما وجدت من برد مائها وطيبة ، فوجدت له بردًا وطيبًا فذهب عنك بجزن المقام ، وطهرت من كل دنس وغبار ، وأنت مسرور لما وجدت من طيب مائها لما باشرته ، وقد أفلتت من وهج الصراط وحره ، لأنه قد يوافي بابها من أحرقت النار بعض جسده بلفحها وقد بلغت منه .

فما ظنك وقد انفلتت من حر المقام ووهج أنفاس الخلائق ، ومن شدة توهج حر الصراط فوافيت باب الجنة بذلك ، فلما نظرت إلى العين قذفت بنفسك فيها ، فتوهم ( أي تصور وتخيل ) فرحة فؤادك لما باشر برد مائها بدنك بعد حر الصراط ، ووهج القيامة ، وأنت فرح لمعرفتك إنك إنما تغتسل لتطهر لدخول الجنة والخلود فيها .

فأنت تغتسل منها دائماً ، ولونك متغير حسناً ، وجسدك يزداد نضرة وبهجة ونعيمًا ، ثم تخرج منها في أحسن الصور وأتم النور .

اللهم ثبت محبتك في قلوبنا وقوها ، اللهم ألهمنا ذكرك وشكرك وارزقنا محبة أوليائك وبغض أعدائك وهجرانهم والابتعاد عنهم واغفر لنا ، اللهم إنك تعلم سرنا وعلاانيتنا وتسمع كلامنا وترى مكاننا لا يخفى عليك شيء من أمرنا نحن البؤساء إليك المستغيثون المستجيرون بك نسألك أن تقيض لدينك من ينصره ويزيل ما حدث من البدع والمنكرات وتقيم علم الجهاد وتقمع أهل

الزبغ والكفر والعناد ونسألك أن تغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم  
الراحمين . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

( فصل ) : فتوهم ( أي تصور وتخيل ) فرح قلبك حين خرجت منها فنظرت إلى كمال  
جمالك ، ونضارة وجهك وحسنه ، وأنت عالم موقن بأنك تنتظف للدخول إلى جوار  
ربك ، ثم تقصد إلى العين الأخرى ، فتتناول من بعض آنيتها ، فتوهم نظرك إلى حسن  
الإناء وإلى حسن الشراب ، وأنت مسرور بمعرفتك إنك إنما تشرب هذا الشراب لتطهر  
جوفك من كل غل وجسدك ناعم أبداً .

حتى إذا وضعت الإناء على فيك ثم شربته ، وجدت طعم شراب لم تذوق مثله ولم تعود  
شربه ، فيسلس من فيك إلى جوفك ، فطار قلبك سرورا لما وجدت من لذته ، ثم نقى  
جوفك من كل آفة ، فوجدت لذة طهارة صدرك من كل طبع كان فيه ينازعه إلى الغموم  
والهموم والحرص والشدة والغضب والغل فيا برد طهارة صدرك ، ويا روح ذلك على فؤادك

حتى إذا استكملت طهارة القلب والبدن ، واستكملت أحباء الله ذلك معك ، والله مطلع  
يراك ويراهم ، أمر مولاك الجواد المتحنن خزان الجنة من الملائكة الذين لم يزالوا مطيعين  
خائفين منه مشفقين وجلين من عقابه إعظاما له وإجلالا ، وهيبة له ، وحرزا من نقمة ،  
وأمرهم أن يفتحوا باب جنته لأولياؤه ، فأنحدروا من دارها ، وبادروا من ساحتها ، وأتوا  
باب الجنة فمدوا أيديهم ليفتحوا أبوابها .

وأيقنت بذلك ، فطار قلبك سرورا ، وامتألت فرحا ، وسمعت حسن صرير أبوابها ، فعلاك  
السرور ، وغلب على فؤادك ، فيا سرور قلوب المفتوح لهم باب جنة رب العالمين .



فَلَمَّا فَتَحَ لَهُمْ بَابَهَا ، هَاجَ نَسِيمَ طَيْبِ الْجَنَانِ ، وَطَيْبَ جَرَى مَائِهَا ، فَفَنَحَ وَجْهَكَ ، وَجَمِيعَ  
 بِدْنِكَ ، وَثَارَتِ أَرَايِيحُ الْجَنَّةِ الْعَبْقَةَ الطَّيْبَةَ ، وَهَاجَ رِيحَ مَسْكِنِهَا الْإِذْفَرَ ، وَزَعْفَرَانَهَا الْمَوْنَعَ ،  
 وَكَافُورَهَا الْأَصْفَرَ ، وَعَنْبَرَهَا الْأَشْهَبَ ، وَارِيَا حَ طَيْبِ ثَمَارِهَا وَأَشْجَارِهَا ، وَمَا فِيهَا مِنْ نَسِيمِهَا .  
 فَتَدَخَلْتَ تِلْكَ الْإَرِيحَ فِي مَشَامِكِ حَتَّى وَصَلْتَ إِلَى دِمَاغِكَ ، وَصَارَ طَيْبِهَا فِي قَلْبِكَ ،  
 وَفَاضَ مِنْ جَمِيعِ جَوَارِحِكَ ، وَنَظَرْتَ بَعَيْنِكَ إِلَى حَسَنِ قَصُورِهَا ، وَتَأْسِيسِ بِنْيَانِهَا مِنْ  
 طَرَائِقِ الْجَنْدَلِ الْأَخْضَرِ مِنَ الزَّمْرَدِ وَالْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ ، وَالِدَرِّ الْأَبْيَضِ ، قَدْ سَطَعَ مِنْهُ نُورُهُ  
 وَبَهَاؤُهُ وَصَفَاؤُهُ .

فَقَدْ أَكْمَلَهُ اللَّهُ فِي الصَّفَاءِ وَالنُّورِ ، وَمَا زَجَّةَ نُورَ مَا فِي الْجَنَانِ ، وَنَظَرْتَ إِلَى حِجْبِ اللَّهِ ،  
 وَفَرِحَ فُؤَادُكَ لِمَعْرِفَتِكَ إِيَّاكَ إِذَا دَخَلْتَهَا فَإِنَّ لَكَ فِيهَا الزِّيَادَاتِ ، وَالنَّظَرَ إِلَى وَجْهِ رَبِّكَ ،  
 فَاجْتَمَعَ طَيْبُ أَرَايِيحِ الْجَنَّةِ وَحَسَنَ مَنَظَرِهَا وَطَيْبَ نَسِيمِهَا ، وَبَرَدَ جُوهَا .  
 فَتَصَوَّرَ نَفْسَكَ أَنْ تَفْضَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِهَذِهِ الْهَيْئَةِ ، فَلَوْ مَتَّ فَرِحًا لَكَ أَنْ يَحِقَّ لَكَ ،  
 حَتَّى إِذَا فَتَحُوا بَابَهَا ، أَقْبَلُوا عَيْكَ ضَاحِكِينَ فِي وَجْهِكَ وَوَجَّهُوا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مَعَكَ ، وَنَادَوْكُمْ  
 ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ فَتَوَهَّمُوا حَسَنَ نَعْمَاتِهِمْ ، وَطَيْبَ كَلَامِهِمْ ، وَحَسَنَ تَسْلِيمِهِمْ ، فِي  
 كَمَالِ صُورِهِمْ ، وَشِدَّةِ نُورِهِمْ .

ثُمَّ اتَّبَعُوا السَّلَامَ بِقَوْلِهِمْ : ﴿ طِبْتُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ ، فَاتَّوَأَوْا عَلَيْهِمْ بِالطَّيْبِ وَالتَّهْدِيدِ  
 مِنْ كُلِّ دَنْسٍ ، وَدَرْنٍ وَغُلٍّ وَغَشٍّ ، وَكُلِّ آفَةٍ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا ، ثُمَّ أَدْنَوْا لَهُمْ عَلَى اللَّهِ  
 بِالِدُخُولِ فِي جِوَارِهِ ، ثُمَّ أَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ بَاقُونَ فِيهَا أَبَدًا ، فَقَالُوا : ﴿ طِبْتُمْ فَأَدْخُلُوهَا  
 خَالِدِينَ ﴾ ، فَلَمَّا سَمِعَتِ الْأُذُنُ وَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ مَعَكَ نَبَادَ تَمَّ الْبَابِ بِالِدُخُولِ ، فَكَضَّتِ  
 الْأَبْوَابُ مِنَ الزَّحَامِ .

فَتَصَوَّرَ نَفْسَكَ أَنَّ اللَّهَ عَفَا عَنْكَ فِي تِلْكَ الرَّحْمَةِ مَبَادِرًا مَعَ مَبَادِرِينَ ،

مسرورا مع مسرورين ، بأبدان قد طهرت ، ووجوه قد أشرقت وأنارت فهي كالبدر ، قد سطع من أعراضهم كشعاع الشمس .

فلمّا جاوزت بابها ، وضعت قدميك على تربتها ، وهي مسك اذفره ، ونبت الزعفران المونع ، والمسك مصبوب على أرض من فضة ، والزعفران نابت حولها ، فذلك أول خطوة خطوتها في أرض البقاء بالأمن من العذاب والموت ، فأنت تتخطى في تراب المسك ، ورياض الزعفران ، وعيناك ترمقان حسن بهجة الدر ، من حسن أشجارها ، وزينة تصويرها .

فبينما أنت تتخطى في عرصات الجنان ، في رياض الزعفران ، وكثبان المسك ، إذ نودي في أزواجك وولدانك وخدامك وغلمانك وقهارمتك ، أن فلانا قد أقبل ، فأجابوا ، واستبشروا لقدمك ، كما يبشر أهل الغائب في الدنيا بقدومه .

### ثناء على الله وتضرع إليه جل جلاله

إِلَهِي وَخَلَاقِي وَحِرْزِي وَمَوْلِي	إِلَيْكَ لِدَى الْإِعْسَارِ وَالْيُسْرِ أَفْرَعُ
إِلَهِي لَنْ اِبْعَدْتَنِي أَوْ طَرَدْتَنِي	فَمَنْ ذَا الَّذِي أَرْجُوا وَمَنْ أَتَشَفَعُ
إِلَهِي لَنْ جَلْتِ وَجَمَعْتَ خَطِيئَتِي	فَعَفْوُكَ عَن ذَنْبِي أَجَلٌ وَأَوْسَعُ
إِلَهِي لَنْ أَعْطَيْتَ نَفْسِي سُؤَالَهَا	فَهَا أَنَا فِي رَوْضِ النَّدَامَةِ ارْتَعُ
إِلَهِي فَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي وَلَا تَنْزِعْ	فُؤَادِي فَإِنِّي خَائِفٌ مُتَضَرِّعُ
إِلَهِي فَأَنْسِنِي بِتَلْقِينِ حُجَّتِي	إِذَا كَانَ لِي فِي الْقَبْرِ مَشْوَى وَمَضْجَعُ
إِلَهِي أَذِقْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ يَوْمَ لَا	بُنُونََ وَلَا مَالَ هُنَالِكَ خَضَعُ
وَلَا تَحْرِمْنِي مِنْ شَفَاعَةِ أَحْمَدٍ	وَصَحْبَةِ أَخْيَارِ هُنَالِكَ خَضَعُ
وَصَلِّ عَلَيْهِ مَا دَعَاكَ مُوَحِّدٍ	وَنَاجَاكَ أَقْوَامٌ بِبَاكِ خُشَعُ

## " فَصْلٌ "

فبينما أنتَ تنظر إلى قصورك ، إذ سمعت جلبتهم وتبشيشهم فاستطرت لِدَلِكِ فرحًا ،  
 فيما أنتَ فرح ومسرور بغبطتهم لقدمك لما سمعت إجلاهم فرحًا بك ، إذ ابتدرت  
 القهارة إليك ، وقامت الولدان صفوفًا لقدمك ، فيما أتت القهارة مقبلة إليك ، ذا  
 استخف أزواجك للعجلة ، فبعثت كُلَّ واحدةٍ منهن بعض خدامها لينظر إليك مقبلًا ،  
 ويسرع بالرجوع إليها يخبرها بقدمك ، لتطمئن إليه فرحًا ، وتسكن إلى ذَلِكَ سرورًا ،  
 فنظر إليك الخدم قبل أن تلقاك قهارمتك .

ثمَّ بادر رسول كُلِّ واحدةٍ منهن إليها فَلَمَّا أخبرها بقدمك ، قَالَتْ : كُلُّ واحدةٍ  
 لرسولها : أنتَ رأيته . من شدة فرحها بِذَلِكَ ، ثمَّ أرسلت كُلَّ واحدةٍ منهن رسولًا آخر ،  
 فَلَمَّا جاءت البشارات بقدمك إليهن ، لم يتمالكن فرحًا ، فأردن الخُروجَ إليك مبادرات  
 إلى لِقَائِكِ لولا أن الله كتب القصر لهن في الخيام ، إلى قدمك ، كما قالَ مليكك : ﴿

فوضعن أيديهن على عضائد أبوابهن ، وأذرعهن برؤوسهن ، ينظرون متى تبدو لهن  
 صفحة وجهك ، فيسكن طول حنينهن ، وشدة شوقهن إليك ، وينظرون إلى قرير أعينهن  
 ، ومعدن راحتهن ، وأنسهن إلى ولي رهن وحبیب مولاهن .

فتوهم ما عاينت ، حين فتحت أبواب قصورك ، ورفعت ستوره ، من حسن بهجة  
 مقاصيره ، وزينة أشجاره ، وحسن رياضه ، وتألؤ صحنه ، ونور ساحاته .

فبينما أنتَ تنظر إلى ذَلِكَ ، إذ بادرت البشرية من خدامك ينادون أزواجك هَذَا فلان  
 بن فلان قد دخل من باب قصره ، فَلَمَّا سمعن نداء البُشراء بقدمك ودخولك ، توثبن  
 من الفرش على الأسرة في الحجال .

وعينك ناظرة إليهن في جوف الخيام والقباب ، فنظرت إلى وثوبهن مستعجلات ، وقد استخفهن الفرح ، والشوق إلى رؤيتك .

فتخيل تلك الأبدان الرخيمة الرعبوبة الخريذة الناعمة ، يتوثبن بالتهادي والتبختر .  
فتصور كل واحدة منهن حين وثبت في حسن حللها وحليتها بصحابة وجهها ، وتثنى بدنها بنعمته .

فتوهم انحدارها مسرعة بكمال بدنها ، نازلة عن سريرها إلى صحن قبتها وقرار خيمتها ، فوثبن حتى أتى أبواب خيامهن وقبابهن .

ثم أخذن بأيديهن عضائد أبواب خيامهن للقصر ، الذي ضرب عليهن إلى قدومك ، فقممن آخذات بعضائد أبوابهن .

ثم خرجن برؤوسهن ووجوههن ، ينحدرن من أبواب قبابهن ، متطلعات ، ينظرن إليك ، مقبلات قد ملئن منك فرحاً وسروراً .

وتخيل نفسك بسرور قلبك وفرحه ، وقد رمقتهن على حسن وجوههن ، وغنج أعينهن .

فلمّا قابلت وجوههن حار طرفك ، وهاج قلبك بالسرور ، فبقيت كالمبهوت الذاهل من عظيم ما هاج في قلبك من سرور ما رأيت عيناك وسكنت إليه نفسك .

فإنما أنت ترفل إليهن إذ دنوت من أبواب الخيام ، فأسرعن مبادرات قد استخفهن العشق ، مسرعات يتثنين من نعيم الأبدان ، ويتهادين من كمال الأجسام .

ثم نادتك كل واحدة منهن : يا حبيبي ما أبطأك علينا ؟ فأجبتهما بأن قلت :

يا حبيبة ما زال الله عَزَّ وَجَلَّ يوقفني على ذنب كَذَا وَكَذَا حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لَا أَصِلَ إِلَيْكَ  
 ، فمشين نحوك فِي السندس والحرير ، يثرن المسك ، وشوقاً وعشقاً لَكَ .  
 فأول من تقدمت منهن مدت إليك بناهما ومعصمها وخاتمها وضممتك إلى نحرها  
 فانثنت عَلَيْهَا بكفك وساعدك حَتَّى وضعته على قلائدها من حلقتها ثُمَّ ضممتها إليك  
 وضممتك إليها .

فتوهم نعيم بدنها لما ضممتك إليها كاد أن يداخل بدنك بدنها من لينه ونعيمه .  
 فتوهم ما باشر صدرك من حسن نهودها ، ولذة معانقتها ، ثُمَّ شممت طيب عوارضها  
 ، فذهب قلبك من كُلِّ شَيْءٍ سواها حَتَّى غرق فِي السرور ، وامتلأ فرحاً ، لما وصل إلى  
 روحك من طيب مسيسها ، ولذة روائح عوارضها .

فَلَمَّا استمكنك خفة السرور من قلبك ، وعمت لذة الفرح جميع بدنك ، وموعد الله  
 عَزَّ وَجَلَّ فِي سرورك ، فناديت بالحمد لله الَّذِي صدقك الوعد ، وأنجز لك الموعد ، ثُمَّ  
 ذكرت طلبك إلى ربك إياهن بالدؤوب والتشمير .

فأين أَنْتَ فِي عاقبة ذَلِكَ الْعَمَلِ الَّذِي استقبلته وَأَنْتَ تلتتمهن وتشم عوارضهن ❁  
 لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ❁ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَنَفْسًا تَقِيَّةً ، وَعَيْشَةً نَقِيَّةً ، وَمِيَّةً سَوِيَّةً وَمَرَادًا غَيْرَ  
 مَخْزِيٍّ وَلَا فَاضِحٍ . اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ ، وَمِنَ الْمُؤَيَّدِينَ بِنَصْرِكَ  
 وَتَأْيِيدِكَ وَرِضَاكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ . اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ تَوْتَى الْمَلِكِ مِنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمَلِكِ  
 مِمَّنْ تَشَاءُ وَتَعَزُّ مِنْ تَشَاءُ وَتَذَلُّ مِنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . يَا وَدُودَ  
 يَا ذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ يَا مَبْدِئُ يَا مَعِيدُ يَا فِعَالُ مَا تَرِيدُ نَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ  
 عَرْشِكَ وَبِقُدْرَتِكَ الَّتِي

قدرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلا أنت أن تغفر ذنوبنا وسيئاتنا ، وأن تبدلها لنا بحسنات إنك جواد كريم رؤوف رحيم . اللهم افتح لدعائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

" فصل " : فتوهم صعودها على السرير بعظيم بدنها ونعيمه ، حتى استوت عليه جالسة ، ثم ارتقيت على السرير ، فاستويت عليه معها ، فقابلتك وأنت مقابلها ، فيا حسن منظرك إليها جالسة في حالها وحليها بصباحة وجهها ونعيم جسمها ! الأساور في معاصمها ، والخواتم في أكفها ، والخلائيل في أسواقها ، والقلائد في عنقها ، والأكاليل من الدر والياقوت على قصتها وجبينها ، والتاج من فوق ذلك على رأسها ، والذوائب من تحت التاج قد حل من مناكبها ، وبلغ أردافها ، ترى وجهك في نحرها ، وهي تنظر إلى وجهها في نحر .

وقد تدلت الأشجار بثمارها من جوانب حجتك ، واطردت الأنهار حول قصرك ، واستعلى الجداول على خيمتك بالخمير والعسل واللبن والسلسبيل .  
وقد كمل حسنك وحسنها ، وأنت لابس الحرير والسندس ، وأساور الذهب واللؤلؤ على كل مفصل من مفاصلك ، وتاج الدر والياقوت منتصف فوق رأسك ، وأكاليل الدر مفصصة بالنور على جبينك .

وقد أضاءت الجنة وجميع قصورك من إشراق بدنك ونور وجهك ، وأنت تعين من صفاء قصورك جميع أزواجك وجميع أبنية مقاصيرك .

وقد تدلت عليك ثمار أشجارك واطردت أنهارك من الخمر واللبن من تحتك ، والماء والعسل من فوقك ، وأنت جالس مع زوجتك على أريكته ، وقد فتحت مصاريع أبوابك ، وأرخيت عليك حجال خيمتك ، وحفف الخدام والودان بقبتك ، وسمعت زجلهم بالتقديس لربك عز وجل .

وأنتَ وزوجك بأكمل الهيئة وأتم النعيم ، وقد حار فيها طرفك تنظر إليها متعجبًا من جمالها وكمالها ، طرب قلبك بملاحتها ، وأنس قلبك بها من حسننها ، فهي منادمة لك على أريكتك ، تنازعك وتعاطيك الخمر والسلسبيل والتسنيم في كأسات الدر وأكاويب قوارير الفضة .

فتوهم الكأس من الياقوت والدر في بناها ، وقد قربت إليك ضاحكة بحسن ثغرها ، فسطع نور بناها في الشراب ، مع نور وجهها ونورها ، ونور الجنان ، ونور وجهك وأنتَ مقابلها ، واجتمع في الكأس الذي في بناها نور الكأس ، ونور الشراب ونور وجهها ونور نحرها ، ونور ثغرها . انتهى بتصرف .

وقال ابن القيم :

فَأَسْمَعُ صَفَاتِ عَرَائِسِ الْجَنَّاتِ ثُمَّ	اخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ يَا أَخَا الْعِرْفَانِ
حُورٌ حَسَانٌ قَدْ كَمَلْنَ خَلَائِقًا	وَمَحَاسِنًا مِنْ أَجْمَلِ النِّسْوَانِ
حَتَّى يُحَارَ الطَّرْفُ فِي الْحُسْنِ الَّذِي	قَدْ أَلْبَسَتْ فَالطَّرْفُ كَالْحَيْرَانِ
وَيَقُولُ لَمَّا أَنْ يُشَاهِدَ حُسْنَهَا	سُبْحَانَ مُعْطِي الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ
وَالطَّرْفُ يَشْرَبُ مِنْ كُؤُوسِ جَمَالِهَا	فَتَرَاهُ مِثْلَ الشَّارِبِ النَّشْوَانِ
كَمَلَتْ خَلَائِقُهَا وَأَكْمَلَ حُسْنَهَا	كَالْبَدْرِ لَيْلِ السَّتِّ بَعْدَ ثَمَانِ
وَالشَّمْسُ تَجْرِي فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهَا	وَاللَّيْلُ تَحْتَ ذَوَائِبِ الْأَغْصَانِ
فَتَرَاهُ يَعْجَبُ وَهُوَ مَوْضِعُ ذَلِكَ مِنْ	لَيْلِ وَشَمْسٍ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ
فَيَقُولُ سُبْحَانَ الَّذِي ذَا صُنْعِهِ	سُبْحَانَ مُتَقِنِ صَنْعَةِ الْإِنْسَانِ
وَكَلَاهُمَا مِرْآةَ صَاحِبِهِ إِذَا	مَا شَاءَ يُبْصِرُ وَجْهَهُ يَرِيَانِ
فَتَرَى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ فِي وَجْهِهَا	وَيَرَى مَحَاسِنَهَا بِهِ بَعَيْنَانِ
حُمُرَ الْخُدُودِ تُغْوِرُهُنَّ لِأَلْيِ	سُودِ الْعُيُونِ فَوَاتِرُ الْأَجْفَانِ
وَالْبَدْرُ يَبْدُو حِينَ يَبْسُمُ ثَغْرَهَا	فَيُضِي سَقْفُ الْقَصْرِ بِالْجُدْرَانِ
وَلَقَدْ رَوَيْنَا أَنَّ بَرْقًا سَاطِعًا	يَبْدُو فَيَسْأَلُ عَنْهُ مَنْ بَجْنَانِ

فِي الْجَنَّةِ الْعُلْيَا كَمَا تَرِيَانِ  
فِي لَثْمَةِ إِدْرَاكِ كُلِّ أَمَانِ  
بِ فَعِصْنِهَا بِالْمَاءِ ذُو جَرِيَانِ  
حَمَلِ الثَّمَارِ كَثِيرَةَ الْأَلْوَانِ  
غِصْنِ تَعَالَى غَارِسِ الْبُسْتَانِ  
حُسْنِ الْقَوَامِ كَأَوْسَطِ الْقُضْبَانِ

وَتَمَائِلَتْ كَتَمَائِلِ النَّشْوَانِ  
وَرْدٌ وَتُفَاحٌ عَلَى رُمَانِ  
لِكَ لِمِثْلِهَا فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ  
وَعَلَى شَمَائِلِهَا وَعَنْ إِيْمَانِ  
غَسَقِ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ الْمِيْرَانِ  
دَهَشٌ وَإِعْجَابٌ وَفِي سُبْحَانِ  
وَالْعُرْسُ إِثْرَ الْعُرْسِ مُتَّصِلَانِ  
أَرَأَيْتَ إِذْ يَتَقَابَلِ الْقَمْرَانِ  
فِي أَيِّ وَادٍ أَمْ بَأَيِّ مَكَانِ  
مُلِئَتْ لَهُ الْأُذُنَانِ وَالْعَيْنَانِ  
هَ كَمْ بِهِ لِلشَّمْسِ مِنْ جَرِيَانِ  
وَهُمَا عَلَى فُرْشَيْهِمَا خَلْوَانِ  
مِنْ بَيْنِ مَنْظُومٍ كَنْظَمِ جُمَانِ  
مَحْبُوبٍ فِي رُوحٍ وَفِي رِيْحَانِ  
بِأَكْفِ أَقْمَارٍ مِنَ الْوُلْدَانِ  
وَالْخُودُ أُخْرَى ثُمَّ يَتَكَيَّانِ

فَيَقَالَ هَذَا ضَوْءُ ثَغْرِ ضَاكِ  
لِللَّهِ لِأَثْمِ ذَلِكَ الثَّغْرِ الَّذِي  
رِيَّانَةَ الْأَعْطَافِ مِنْ مَاءِ الشَّبَا  
لَمَّا جَرَى مَاءُ الشَّبَابِ بِغِصْنِهَا  
فَالْوَرْدُ وَالتُّفَاحُ وَالرُّمَّانُ فِي  
وَالْقَدِّ مِنْهَا كَالْقَضِيبِ اللَّدِنِ فِي

إِلَى أَنْ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَإِذَا بَدَتْ فِي حُلَّةٍ مِنْ لُبْسِهَا  
تَهْتَزُّ كَالْغِصْنِ الرَّطِيبِ وَحِمْلِهِ  
وَتَبَخْتَرَتْ فِي مَشِيهَا وَيَحِقُّ ذَا  
وَوَصَائِفُ مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا  
كَالْبَدْرِ لَيْلَةَ تَمِّهِ قَدْ حُفَّ فِي  
فَلِسَانُهُ وَفُؤَادُهُ وَالطَّرْفِ فِي  
فَالْقَلْبُ قَبْلَ زَفَافِهَا فِي عُرْسِهِ  
حَتَّى إِذَا مَا وَاجَهْتُهُ تَقَابَلَا  
فَسَلِ الْمُتَمِّمِ أَيْنَ خَلْفَ صَبْرِهِ  
وَسَلِ الْمُتَمِّمِ كَيْفَ حَالَتُهُ وَقَدْ  
مِنْ مَنْطِقِ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَوَجْهِ  
وَسَلِ الْمُتَمِّمِ كَيْفَ عَيْشَتُهُ إِذَا  
يَتَسَاقَطَانِ لِئَالِئَا مَنْشُورَةٌ  
وَسَلِ الْمُتَمِّمِ كَيْفَ مَجْلِسُهُ مَعَ الْ  
وَتَدُورُ كَاسَاتِ الرَّحِيقِ عَلَيْهِمَا  
يَتَنَازَعَانِ الْكَأْسَ هَذَا مَرَّةً



شُوقَيْنِ بَعْدَ الْبُعْدِ يَلْتَقِيَانِ  
 وَهُمَا بِثُوبِ الْوَصْلِ مُشْتَمِلَانِ  
 وَحَيَاةِ رَبِّكَ مَا هُمَا صَجْرَانِ  
 حِيَهْ جَدِيدًا سَائِرِ الْأَزْمَانِ  
 مُتَسَلِّسًا لَا يَنْتَهِي بِزَمَانِ  
 وَبِلَا حَقِّ وَكَلَاهُمَا صِنُونَانِ  
 يَدْرِيهِ ذُو شُغْلٍ بِهِذَا الشَّانِ  
 سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ  
 جَدِّ الرَّحِيلِ وَلَسْتَ بِالْيَقْظَانِ  
 فَتَعْبَعُوا بِذَا الْحِطِّ الْخَسِيسِ الْفَانِ  
 فَتَبْعَهُمْ فَرَضِيَّتَ بِالْحِرْمَانِ  
 لِي بَعْدَ ذَا وَصَحِبْتَ كُلَّ أَمَانِ  
 عَنِ الْمَسِيرِ وَرَاحَةِ الْأَبْدَانِ  
 مَاذَا صَنَعْتَ وَكُنْتَ ذَا إِمْكَانِ

صَرِيحَ الْأَمَانِي عَنِ قَرِيبٍ سَتَنْدَمُ  
 سِوَى جَنَّةٍ أَوْ حَرِّ نَارٍ تَضْرَمُ  
 هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَيْسَ تُفْصَمُ  
 وَعَصَّ عَلَيْهَا بِالنَّوْاجِدِ تَسْلَمُ  
 فَمُرَّتْ هَاتِيكَ الْحَوَادِثُ أَوْحَمُ  
 مِنَ اللَّهِ يَوْمَ الْعَرْضِ مَاذَا أَجَبْتُمْ  
 أَجَابَ سِوَاهُمْ سَوْفَ يُجْزَى وَيَنْدَمُ  
 لِيَوْمٍ بِهِ تَبْدُو عَيْنَانَا جَهَنَّمَ

فَيَضُمُّهَا وَتَضُمُّهُ أَرَأَيْتَ مَعَا  
 غَابَ الرَّقِيبُ وَعَابَ كُلُّ مَنْكَدِ  
 أَتَرَاهُمَا صَجْرَيْنِ مِنْ ذَا الْعَيْشِ لَا  
 وَيَزِيدُ كُلِّ مِنْهُمُ حُبًّا لِيَصَا  
 وَوَصَالُهُ يَكْسُوهُ حُبًّا بَعْدَهُ  
 فَالْوَصْلُ مَحْفُوفٌ بِحُبِّ سَابِقِ  
 فَرُقٌ لَطِيفٌ بَيْنَ ذَاكَ وَبَيْنَ ذَا  
 وَمَزِيدُهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حَاصِلٌ  
 يَا غَافِلًا عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انْتِبَهْ  
 سَارَ الرَّفَاقُ وَخَلَّفُوكَ مَعَ الْأُولَى  
 وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى مُتَخَلِّفًا  
 لَكِنْ أَتَيْتَ بِخُطْبَتِي عَجْزٍ وَجَهْ  
 مَتَّكَ نَفْسُكَ بِالْحُقُوقِ مَعَ الْقُعُودِ  
 وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ حِينَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا

وقال ابن القيم رحمه الله :

فِيَا سَاهِيًا فِي عَمْرَةِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى  
 أَفِقْ قَدْ دَنَى الْوَقْتُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ  
 وَبِالسَّنَةِ الْغَرَاءِ كُنْ مَتَمَسِّكًا  
 تَمَسِّكْ بِهَا مَسْكَ الْبَحِيلِ بِمَالِهِ  
 وَدَعْ عَنْكَ مَا قَدْ أَحْدَثَ النَّاسُ بَعْدَهَا  
 وَهِيَءَ جَوَابًا عِنْدَمَا تَسْمَعُ النَّدَا  
 بِهِ رُسُلِي لَمَّا أَتَوْكُمْ فَمَنْ يَكُنْ  
 وَخُذْ مِنْ تَقَى الرَّحْمَنِ أَعْظَمَ جُنَّةً

وَيَنْصِبُ ذَاكَ الْجِسْرَ مِنْ فَوْقِ مَتْنِهَا  
 وَيَأْتِي اللَّهُ الْعَالَمِينَ لَوْعَدِهِ  
 وَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ رَبُّكَ حَقَّهُ  
 وَيَنْشُرُ دِيْوَانَ الْحِسَابِ وَتُوضَعُ الـ  
 فَلَا مُجْرِمٌ يَخْشَى ظَلَامَةَ ذَرَّةٍ  
 وَيَشْهَدُ أَعْضَاءُ الْمُسِيئِ بِمَا جَنَى  
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالِكَ عِنْدَمَا  
 أَتَاخُذُ بِالْيَمْنَى كِتَابِكَ أَمْ تَكُنْ  
 وَتَقْرَأُ فِيهَا كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْتَهُ  
 تَقُولُ كِتَابِي فَأَقْرَأُهُ فَإِنَّهُ  
 وَإِنْ تَكُنِ الْآخِرَى فَإِنَّكَ قَائِلٌ  
 فَبَادِرْ إِذَا مَا دَامَ فِي الْعُمْرِ فُسْحَةٌ  
 وَجُدَّ وَسَارِعْ وَاعْتَنِمْ زَمَانَ الصَّبَا  
 وَسِرِّ مُسْرِعًا فَالْمَوْتُ خَلْفَكَ مُسْرِعًا  
 فَهَآوِ وَمَخْدُوشٍ وَنَاجٍ مُسْلِمٍ  
 فَيَفْصِلُ مَا بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَحْكُمُ  
 فَيَا بُؤْسَ عَبْدٍ لِلْخَلَائِقِ يَظْلِمُ  
 مَوَازِينُ بِالْقِسْطِ الَّذِي لَيْسَ يَظْلِمُ )  
 وَلَا مُحْسِنٌ مِنْ أَجْرِهِ ذَاكَ يُهْضَمُ  
 كَذَاكَ عَلَى فِيهِ الْمُهَيِّمِ يَخْتِمُ  
 تَطَايُرُ كُتُبِ الْعَالَمِينَ وَتُقْسِمُ  
 بِالْآخِرَى وَرَاءَ الظَّهْرِ مِنْكَ تَسَلَّمُ  
 فَيُشْرِقُ مِنْكَ الْوَجْهَ أَوْ هُوَ يُظْلِمُ  
 يُبَشِّرُ بِالْفَوْزِ الْعَظِيمِ وَيُعْلِمُ  
 أَلَا لَيْتِي لَمْ أُوتَهُ فَهُوَ مُغْرَمٌ  
 وَعَدْلِكَ مَقْبُولٌ وَصَرْفَكَ قِيَمٌ  
 فَبِي زَمَنِ الْإِمْكَانِ تَسْعَى وَتَغْنَمُ  
 وَهَيْهَاتَ مَا مِنْهُ مَفَرٌّ وَمَهْزَمٌ

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا الْقِيَامَ بِحَقِّكَ ، وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ ، وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ ، يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاكَ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ ، يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رِجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَيْنَاهُ وَأَمَلْنَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ ، أَدْفِنَا بَرْدَ عَفْوِكَ ، وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( خاتمة ، وصية ، نصيحة )

اعْلَمْ وَقَفْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لَمَا يَجِبُهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ مِمَّا يَجِبُ الْإِعْتِنَاءَ بِهِ حِفْظًا وَعَمَلًا كَلَامَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا ، وَكَلَامَ رَسُولِهِ ﷺ .

وأنه ينبغي لمن وفقه الله تَعَالَى أن يحث أولاده على حفظ القرآن وما تيسر من أحاديث النَّبِيِّ ﷺ المتفق على صحتها عنه كالبُخَارِيِّ ومسلم .

ومن الفقه مختصر المقنع ليتيسر له استخراج المسائل ويجعل لأولاده ما يحثهم على ذلك

فمثلاً يجعل لمن حفظ القرآن على صدره حفظاً صحيحاً عشرة آلاف أو أزيد أو أقل حسب حاله في الغنى .

ومن الأحاديث عقود اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الإمامان البُخَارِيُّ ومسلم ، يجعل لمن يحفظ ذلك ستة آلاف .

فإن عجزوا على حفظها ، فالعمدة في الحديث يجعل لمن حفظها ثلاثة آلاف أو الأربعين النووية ويجعل لمن يحفظها ألفاً .

ويجعل لمن يحفظ مختصر المقنع في الفقه ألفين من الريالات ، فالغيب سبب لحفظ المسائل وسبب لسُرْعَةِ استخراج ما أُريدَ من ذلك ، وما أشكل معناه أو يدخلهم في مدارس تحفيظ القرآن فمدارس تعليم القرآن والسُنَّة هي مدارس التعليم العالي الممتاز الباقي في الدُّنْيَا والآخِرَةِ ، أو يدخلهم في حلقات تحفيظ القرآن الكريم الموحودة في المساجد .

وَلَمْ أَرَى لِلْخَلَائِقِ مِنْ مُرَبِّ كَعِلْمِ الشَّرْعِ يُؤَخِّدُ عَنْ ثِقَاتٍ  
بَيْتِ اللَّهِ مَدْرَسَةَ الْآلِ وَالِي لِمَنْ يَهْوَى الْعُلُومَ الرَّاقِيَاتِ

فمن وفقه الله لِذَلِكَ وَعَمِلَ أولاده بِذَلِكَ كَانَ سَبَبًا لِحُصُولِ الْأَجْرِ مِنَ اللَّهِ وَسَبَبًا لِبِرِّهِمْ بِهِ وَدُعَائِهِمْ لَهُ إِذْ ذَكَرُوا ذَلِكَ مِنْهُ وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا مَبَارَكًا يَعْمَلُ بِهِ أولاده مَعَ أولادهم ، فيزيد الأجر لَهُ ولهم نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوَفِّقَ الْجَمِيعَ لِحَسَنِ النَّيَّةِ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ .  
وصلى الله على مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم .

تَمَّ هَذَا الْجُزْءَ الثَّانِي بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ وَنَسَأَلُ اللَّهَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ الْعَلِيِّ

العَظِيمُ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْوَاحِدَ الْوَاحِدَ الْفَرْدَ الصَّمَدَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ أَنْ يَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَخْذَلَ الْكُفْرَةَ وَالْمَشْرِكِينَ وَأَعْوَانَهُمْ وَأَنْ يَصْلِحَ مِنْ فِي صَلَاحِهِ صَلَاحٌ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَيَهْلِكَ مِنْ فِي هَلَاكِهِ عِزٌّ وَصَلَاحٌ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْ يَلْمَ شَعَثَ الْمُسْلِمِينَ وَيَجْمَعَ شَمْلَهُمْ وَيُوْحِدَ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْ يَحْفَظَ بِلَادَهُمْ وَيَصْلِحَ أَوْلَادَهُمْ وَيَشْفِ مَرْضَاهُمْ وَيَعَافِيَ مَبْتَلَاهُمْ وَيَرْحَمَ مَوْتَاهُمْ وَيَأْخُذَ بِأَيْدِينَا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَيَعْصِمَنَا وَإِيَاهُمْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ ، وَيَحْفَظُنَا وَإِيَاهُمْ مِنْ كُلِّ ضَرٍّ ، وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِهِ إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " موعظة "

فَيَا أَيُّهَا الْمُهْمِلُونَ الْغَافِلُونَ تَيْقِظُوا فَإِلَيْكُمْ يُوْجِهُ الْخُطَابُ ، وَيَا أَيُّهَا النَّائِمُونَ انْتَبِهُوا قَبْلَ أَنْ تَنَاحَ لِلرَّحِيلِ الرِّكَابَ قَبْلَ هَجُومِ اللَّذَاتِ وَمَفْرَقِ الْجَمَاعَاتِ وَمِذَلِ الرِّقَابِ ، وَمَشِيَّتِ الْأَحْبَابِ ، فَيَا لَهُ مِنْ زَائِرٍ لَا يَعُوقُهُ عَائِقٌ ، وَلَا يَضْرِبُ دُونَهُ حِجَابٌ ، وَيَا لَهُ مِنْ نَازِلٍ لَا يَسْتَأْذِنُ عَلَى الْمَلُوكِ وَلَا يَلْجُ مِنَ الْأَبْوَابِ ، وَلَا يَرْحَمُ صَغِيرًا وَلَا يُوقِرُ كَبِيرًا ، وَلَا يَخَافُ عَظِيمًا وَلَا يَهَابُ ، أَلَا وَإِنْ بَعْدَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ مِنَ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ ، وَرَاءَهُ هَوْلُ الْبَعْثِ وَالْحَشْرِ وَأَحْوَالِهِ الصَّعَابِ مِنْ طُولِ الْمَقَامِ وَالْإِزْدِحَامِ فِي الْأَجْسَامِ وَالْمِيزَانِ وَالصَّرَاطِ وَالْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ ، أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْعَفْلَةِ وَنَبَهْنَا لِإِغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمَهَلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا تَوَاخِذْنَا بِمَا انطوت عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْنَتَهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنَّا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ

والميتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " موعظة "

عباد الله تزودوا للرحيل فَقَدْ دنت الآجال واجتهدوا واستعدوا للرحيل فَقَدْ قرب الارتحال ومهدوا لأنفسكم صالح الأعمال فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذنت بالفراق ، وإن الآخرة قَدْ أشرفت للتلاق فتزودوا من دار الانتقالِ إِلَى دار القَرَارِ .

واستشعروا التَّفَوُّي فِي الأقوال والأفعال واحذروا التفاخر والتَّكَاثُر فِي الدُّنْيَا بِجَمْعِ الحطام واكتساب الآثام وَإِيَّاكُمْ والاعتزاز بالآمال فوراءكم المقابر ذات الوحشة والهموم والغموم والكربات وتضايق الأنفاس والأهوال المفطعات .

فسوف ترون ما لم يكن لكم فِي حساب إِذَا نوديتم من الأحداث حفاة عراة غُرْلًا مهطعين إِلَى الداعي وَتَعَلَّقَ الْمَظْلُومُونَ بِالظَّالِمِينَ وَوَقَفْتُمْ بين يدي رب العالمين وحل بكم كرب المقام ، واشتد بالخلق فِي ذَلِكَ الموقف الزحام وَأُخِذَ المجرمون بالنواصي والأقدام وبرزت جهنم تقاد بسبعين ألف زمام مَعَ كُلِّ زمام سبعون ألف ملك يجرونها والخزنة حولها غلاظ شداد .

وَيُنَادِي عِنْدَ ذَلِكَ العزيز الحميد الجبار فَيَقُولُ : هل امتلأت ؟ وَتَقُولُ هل من مزيد . هنالك ينخلع قلبك وتتذكر ما فرطت فيه من الأوقات وتتندم ولات ساعة مندم ، وتتمنى أن لو زيد فِي الحسنات وخفف من السيئات ولكن أُنِيَ لَكَ هَذَا وهيهات ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتُرُونَ ﴾

شِعْرًا : لِمَنْ وَرَقَاءُ بِالْوَادِي الْمَرِيحِ      تَشَبُّ بِه تَبَارِيحِ الضُّلُوعِ  
عَلَى فَيَنَانَةٍ خَضْرَاءَ يَضْفُو      عَلَى أَعْطَافِهَا وَشَيْ الرِّيْعِ

تُرَدُّ صَوْتُ بَاكِئَةٍ عَلَيْهَا      رَمَاهَا الْمَوْتُ بِالْأَهْلِ الْجَمِيعِ  
 فَشَتَّتْ شَمْلَهَا وَأَدَالَ مِنْهُ      غَرَامًا عَاثَ فِي قَلْبِ صَرِيعِ  
 عَجِبْتُ لَهَا تُكَلِّمُ وَهِيَ خَرَسَا      وَتَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ الدُّمُوعِ  
 فَهَمْتُ حَدِيثَهَا وَفَهَمْتُ أَنِّي      مِنَ الْخُسْرَانِ فِي أَمْرِ شَنِيعِ  
 أَتَبْكِي تِلْكَ أَنْ فَقَدْتُ أَنْيسَا      وَتَشْرَبُ مِنْهُ بِالْكَأْسِ الْفَطِيعِ  
 وَهَا أَنَا لَسْتُ أَبْكِي فَقَدْ نَفْسِي      وَتَضْئِعِ الْحَيَاةَ مَعَ الْمَضِيعِ  
 وَلَوْ أَنِّي عَقَلْتُ الْيَوْمَ أَمْرِي      لِأَرْسَلْتُ الْمَدَامِعَ بِالنَّجِيعِ  
 أَلَا يَا صَاحِ وَالشَّكْوَى ضُرُوبُ      وَذَكَرُ الْمَوْتِ يَذْهَبُ بِالْهُجُوعِ  
 لَعَلَّكَ أَنْ تُعِيرَ أَخَاكَ دَمْعًا      فَمَا فِي مُقَلَّتَيْهِ مِنَ الدُّمُوعِ

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَلَكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ أَعَدَدْتَ لَهُمْ  
 فَسِيحَ جَنَّاتِكَ ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ ، وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ  
 جَمِيعِ الْبَلَايَا ، وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ وَتَعَنَّا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ  
 الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا  
 وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ  
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " فَصْلٌ "

اعْلَمْ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَيُّقِظْ قُلُوبَنَا وَقُلُوبَكُمْ مِنَ الْعَقْلَةِ وَارْزُقْنَا وَإِيَّاكُمْ  
 الْإِسْتِعْدَادَ لِلنَّقْلَةِ مِنَ الدَّارِ الْفَانِيَةِ إِلَى الدَّارِ الْبَاقِيَةِ ، أَنْ مِنْ أَضْرِّ مَا عَلَى الْإِنْسَانِ طَوْلُ  
 الْأَمْلِ .

وَمَعْنَى ذَلِكَ اسْتِشْعَارُ طَوْلِ الْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَغْلِبَ عَلَى الْقَلْبِ وَيُنْسَى أَنَّهُ مُهَدَّدٌ  
 بِالْمَوْتِ فِي كُلِّ لِحْظَةٍ ، وَلَا بَدَّ مِنْهُ وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ فَتَأْهَبُ لِسَاعَةِ وَدَاعَكَ مِنَ الدُّنْيَا  
 وَخُرُوجِكَ مِنْهَا .

وكن يا أخي على حذر من مفاجأة الأجل فإنك عرض للآفات ، وهدف منصوب لسهام المنايا ، وإنما رأس مالك الذي يمكنك إن وفقك الله أن تشتري به سعادة الأبد هَذَا العمر .

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ أَوْلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ﴾ الآية ، فإياك أن تنفق أوقات عمرك وأيامه وساعاته وأنفاسه فيما لا خير فيه ولا منفعة فيطول حزنك وندامتك وتحسرك بعد موتك .

واجعل ما يلي من الآيات نصب عينيك دائماً لتحثك على الإستعداد ليوم المعاد .

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ وقوله تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾

وقوله تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ .

وقوله تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ .

وقوله تَعَالَى : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ

لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَحَلِّ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ الآية .

وقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾

وقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا

تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ .

وقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ ﴾ .

ونحو هذه الآيات التي مرت عليك فإن كنت مؤمناً حقيقتاً فاشعر قلبك

تلك المخاوف والأخطار ، وأكثر فيها التفكير والاعتبار لتسلب عن قلبك الراحة والقرار في هذه الدار فتشتغل بالجد والاجتهاد والتشمير للعرض على الجبار .  
وتفكر أولاً فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور ، فإنها صيحة واحدة تنفج بها القبور عن رؤوس الموتى ، فيثورون دفعة واحدة .  
قال الله جل جلاله : ﴿ فَأَيَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ \* فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ ، وقال جل وعلا : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يَنْظُرُونَ ﴾ .

فتصور نفسك إنته يا أخي لهذا اليوم العظيم الذي ليس عظمة مما يوصف ، ولا هوله مما يكيف ، ولا يجري على مقدار مما يعلم في الدنيا ويعرف ، بل لا يعلم مقدار عظمه ولا هوله إلا الله تبارك وتعالى ، وما ظنك بيوم عبّر الله تبارك وتعالى عنه بعرض ما يكون فيه بشيء عظيم . قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ ، وماذا عسى أن يقول القائل فيه وماذا عسى أن يصف الواصف به الأمر أعظم والخطب أكبر والهول أشنع كما قال القائل :

وما عسى أن أقول أو أقوم به      الأمر أعظم مما قيل أو وصفا

وقال آخر :

يضحك المرء والبكاء أمامه      ويروم البقاء والموت رامة  
ويمشي الحديث في كل لغو      ويخلي حديث يوم القيامة  
ولأمر بكاه كل لبيب      ونفى في الظلام عنه منامة  
صاح حدث حديثه واختصره      فمخال بأن تطيق تمامه  
عجز الواصفون عنه فقالوا      لم نجى من بحاره بكصامة



فَلْتُحَدِّثْهُ جُمْلَةً وَشَتَاتًا وَدَعِ الْآنَ شَرْحَهُ وَنِظَامَهُ

فتصور نفسك وقد خرجت من قبرك متغيراً وجهك مغبراً بدنك من تراب قبرك مبهوتاً من شدة الصعقة ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ حُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ \* مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ﴾ .

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ﴾ الآية . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ \* يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ .

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ .  
 وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي النُّفُورِ \* فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ \* عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ فتفكر في الخلائق ورعبهم وذلمهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفاً من هذه الصعقة وانتظاراً لما يقضى عَلَيْهِمْ من سعادة أو شقاوة .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى \* يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ .

شِعْرًا : مَنْ كَانَ يُوحِشُهُ تَبْدِيلَ مَنْزِلِهِ	وَأَنْ يُبَدِّلَ مِنْهَا مَنْزِلًا حَسَنًا
مَاذَا يَقُولُ إِذَا ضَمَّتْ جَوَانِبَهَا	عَلَيْهِ وَاجْتَمَعَتْ مِنْهَا هُنَا وَهُنَا
مَاذَا يَقُولُ إِذَا أَمْسَى بِحُفْرَتِهِ	فَرْدًا وَقَدْ فَارَقَ الْأَهْلِينَ وَالسَّكَنَا
يَا غَفْلَةً وَرِمَاحَ الْمَوْتِ شَارِعَةً	وَالشَّيْبُ أَلْقَى بِرَأْسِي نَحْوَهُ الرِّسْنَا
وَلَمْ أَعُدْ مَكَانًا لِلنَّزَالِ وَلَا	أَعَدَدْتُ زَادًا وَلَكِنْ غِرَّةً وَمَنَا
إِنْ لَمْ يَجِدْ مَنْ تَوَالَى جُودُهُ أَبَدًا	وَيَعْفُ مَنْ عَفُوهُ مِنْ طَالِيهِ دَنَا

فِيَا إِلَهِي وَمُزْنُ الْجُودِ وَكَفَّةٌ      سَحًّا فَتُمَطِّرُنَا الْإِفْضَالَ وَالْمِنَنَا  
 آسِنُ هُنَالِكَ يَا رَحْمَنُ وَحَشْتُنَا      وَأَلْطَفُ بِنَا وَتَرَفَّقَ عِنْدَ ذَاكَ بِنَا  
 نَحْنُ الْعَصَاةُ وَأَنْتَ اللَّهُ مَلْجُونَا      وَأَنْتَ مَقْصَدُنَا الْأَسْنَى وَمَطْلُبُنَا  
 فَكُنْ لَنَا عِنْدَ بَأْسَاهَا وَشِدَّتِهَا      أَوْلَى فَمَنْ ذَا الَّذِي فِيهَا يَكُونُ لَنَا

اللَّهُمَّ انج بنا مناهج المفلحين وألبسنا خلع الإيمان واليقين ، وخصنا منك بالتوفيق المبين ، ووفّقنا لقول الحق وإتباعه وخلصنا من الباطل وابتداعه ، وكن لنا مؤيداً ولا تجعل لفاجر علينا يداً واجعل لنا عيشاً رغداً ولا تشمت بنا عدواً ولا حاسداً ، وارزقنا علماً نافعا وعملاً متقبلاً ، وفهماً ذكياً وطبعاً صفيّاً وشفاءً من كلِّ داء ، اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

### " فَصْلٌ "

وَقَالَ رَحْمَهُ اللَّهُ : اعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لما يحبه ويرضاه أن كثرة ذكر الموت تردع عن المعاصي وتلين القلب القاسي ، وتذهب الفرح بالدنيا وزينتها وزخارفها ولذاتها .

وتحثك على الجد والاجتهاد في الطاعات وإصلاح أحوالك وشؤونك والتنسج من حقوق الله وحقوق خلقه ، وتنفيذ الوصايا وأداء الأمانات والديون .

قَالَ بَعْضُهُمْ : فضح الدنيا والله هذا الموت فلم يترك فيها لذي عقلٍ فرحاً .

وَقَالَ آخَرُ : ما رأيت عاقلاً قط إلا وجدته حذراً من الموت حزيناً من أجله .

وَقَالَ آخَرُ : من ذكر الموت هانت عليه مصائب الدنيا .

وَقَالَ آخَرُ : من لم يخفه في هذه الدار ربما تمناه في الآخرة فلا يؤتاه .

وَقَالَ آخِرُ يَوْصَىٰ أَخَا لَهُ : يَا أَخِي احْذَرِ الْمَوْتَ فِي هَذِهِ الدَّارِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَصِيرَ إِلَىٰ دَارٍ تَتَمَنَّىٰ بِهَا الْمَوْتَ فَلَا يُوَجِّدُ .

وَقَالَ آخِرُ : وَأَمَّا ذِكْرُ الْمَوْتِ وَالتَّفَكُّرِ فِيهِ ، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ أَمْرًا مَقْدَارًا مَفْرُوعًا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يَكْسِبُكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ التَّجَافِي عَنِ دَارِ الْغُرُورِ ، وَالاسْتِعْدَادَ وَالإِنَابَةَ إِلَىٰ دَارِ الْخُلُودِ ، وَالتَّفَكُّرِ وَالنَّظَرَ فِيمَا تَقْدُمُ عَلَيْهِ وَفِيمَا يَصِيرُ أَمْرًا إِلَيْهِ .

وَيَهْوَنُ عَلَيْكَ مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَيَصْغُرُ عِنْدَكَ نَوَائِبُهَا ، فَإِنْ كَانَ سَبَبَ مَوْتِكَ سَهْلًا وَأَمْرَهُ قَرِيبًا فَهُوَ ذَاكَ ، وَإِنْ كَانَتْ الأُخْرَىٰ كُنْتَ مَاجُورًا مَعَ النِّيَّةِ الصَّالِحَةِ فِيمَا تَقَاسِيهِ ، مَثَابًا عَلَىٰ مَا تَتَحَمَلُهُ مِنَ الْمَشَاقِقِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَغَيْرِهِ مِنَ الأَذْكَارِ إِنَّمَا يَكُونُ بِالقَلْبِ وَإِقْبَالِكَ عَلَىٰ مَا تَذَكَّرُهُ . قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ فَأَيُّ فَائِدَةٍ لَكَ رَحِمَكَ اللَّهُ فِي تَحْرِيكِ لِسَانِكَ إِذَا لَمْ يَخْطُرْ بِقَلْبِكَ . وَإِنَّمَا مِثْلُ الذِّكْرِ الَّذِي يَعْقِبُ التَّنْبِيهَ ، وَيَكُونُ مَعَهُ النِّفْعُ وَالإِيقَازُ مِنَ العَقْلَةِ وَالنَّوْمِ أَنْ تَحْضُرَ الْمَذْكُورَ قَلْبَكَ وَتَجَمَعَ لَهُ ذَهْنَكَ وَتَجَعْلَهُ نَصَبَ عَيْنَيْكَ وَمِثَالًا حَاضِرًا بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَأَنْ تَنْظُرَ إِلَىٰ كُلِّ مَا تَحِبُّهُ مِنَ الدُّنْيَا مِنْ وَلَدٍ أَوْ أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ غَيْرِ ذَٰلِكَ ، فَتَعْلَمَ عِلْمًا لَا يَشُوبُهُ شَكٌّ إِنَّكَ مَفَارِقُهُ فِي الْحَيَاةِ أَوْ فِي المَمَاتِ ، وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ الْجَارِيَةِ فِي خَلْقِهِ وَحُكْمِهِ الْمَطْرُودِ .

وَتَشْعُرُ هَذَا قَلْبَكَ وَتَفْرَغُ لَهُ نَفْسَكَ فَتَمْنَعُهَا بِذَٰلِكَ عَنِ الْمِيلِ إِلَىٰ ذَٰلِكَ الْمَحْبُوبِ وَالتَّعَلُّقِ بِهِ وَالهَلَكَةِ بِسَبَبِهِ .

شِعْرًا : فَعَقَّبِي كُلَّ شَيْءٍ نَحْنُ فِيهِ  
وَمَا حُزْنَاهُ مِنْ حِلٍّ وَحُرْمٍ  
مِنَ الْجَمْعِ الكَثِيفِ إِلَى شَتَاتِ  
يُورَغُ فِي البَنِينِ وَفِي البَنَاتِ  
وَفِيمَنْ لَمْ نُؤْهِلْهُمُ بِفَلْسِ  
وَقِيَمَةِ حَبَّةٍ قَبْلَ المَمَاتِ

وَتَنَسَّانَا الْأَجْبَةَ بَعْدَ عَشْرِ      وَقَدْ صِرْنَا عِظَامًا بِالْيَاتِ  
كَأَنَّا لَمْ نَعِشْهُمْ بِوُدٍّ      وَلَمْ يَكُ فِيهِمْ خِلٌّ مُوَاتٍ

واعلم رحمك الله أن مما يعينك على الفكرة في الموت ويفرغك له ويكثر اشتغال فكرك به تذكر من مضى من إخوانك وخلانك وأصحابك وأقرانك وزملائك وأساتذتك ومشايخك الذين مضوا قبلك وتقدموا أمامك .

كأنوا يحرصون حرصك ويسعون سعيك ، ويأملون أملك ، ويعملون في هذه الدنيا عملك وقصت المنون أعناقهم وقصمت ظهورهم وأصلاهم ، وفجعت فيهم أهليهم وأحباءهم وأقرباءهم وجيرانهم فأصبحوا آية للمتوسمين وعبرة للمعتبرين .

ويتذكر أيضا ما كانوا عليه من الاعتناء بالملابس ونظافتها ونضرة بشرتهم وما كانوا يسحبونه من أردية الشباب وأنهم كانوا في نعيم يتقلبون ، وعلى الأسرة يتكئون ، وبما شاءوا من محابهم يتنعمون .

وفي أمانهم يقومون ويقعدون ، لا يفكرون بالزوال ، ولا يهتمون بانتقال ، ولا يخطر الموت لهم على بال ، قد خدعتهم الدنيا بزخارفها ، وخلبتهم وخدعتهم برونقها ، وحدثتهم بأحاديثها الكاذبة ، ووعدهم بمواعيدها المخلفة الغرارة .

فلم تزل تقرب لهم بعيدها ، وترفع لهم مشيدها ، وتلبسهم غضبها وجديدها ، حتى إذا تمكنت منهم علائقها ، وتحكمت فيهم رواشقتها ، وتكشف لهم حقائقها ، ورمقتهم من المنية رواقها .

فوثبت عليهم وثبة الحنق وأغصتهم غصة الشرق ، وقتلتهم قلة المختنق ، فكم عليهم من عيون باكية ، ودموع جارية ، وخطوب دامية ، وقلوب من الفرح والسرور لفقدهم خالية ، وأنشدوا في هذا المعنى :

وَرَيَّانَ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ إِذَا مَشَى  
تَعَلَّقَ مِنْ دُنْيَاهُ إِذْ عَرَضَتْ لَهُ  
فَأَصْبَحَ مِنْهَا فِي حَصِيدٍ وَقَائِمٍ  
خَلَا بِالْأَمَانِيِّ وَاسْتَطَابَ حَدِيثَهَا  
وَأَذْنَتْ لَهُ الْأَشْيَاءَ وَهِيَ بَعِيدَةٌ  
أَتَيْحَتْ لَهُ مِنْ جَانِبِ الْمَوْتِ رَمِيَةٌ  
وَصَارَ هَشِيمًا بَعْدَمَا كَانَ يَانِعًا  
كَأَنَّ لَمْ يَنْلِ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَذَّةً  
تَبَارَكَ مَنْ يُجْرِي عَلَى الْخَلْقِ حُكْمَهُ  
يَمِيدُ عَلَى حُكْمِ الصَّبَا وَيَمِيدُ  
خَلُوبًا لِأَلْبَابِ الرَّجَالِ تَصِيدُ  
وَلِلْمَرَّةِ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدُ  
فَيَنْقُصُ مِنَ أَطْمَاعِهِ وَيَزِيدُ  
وَتَفْعَلُ تُدْنِي الشَّيْءَ وَهُوَ بَعِيدُ  
فَرَّاحَ بِهَا الْمَغْرُورُ وَهُوَ حَصِيدُ  
وَعَادَ حَدِيثًا يَنْقُضِي وَيَبِيدُ  
وَلَا طَلَعَتْ فِيهِ عَلَيْهِ سُعُودُ  
فَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ عَنْهُ مَحِيدُ

" فَصْلٌ " : ويروى أن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ لما مَاتَ قَالَ اللهُ جل جلاله : كيف وجدت الموت ؟ قَالَ : كسفودٍ جعل في النار ثُمَّ أَدخَلَ فِي صُوفٍ رَطْبٌ ثُمَّ جَذَبَ . فَقَالَ اللهُ تَعَالَى : أَمَا أَنَا لَقَدْ هَوَّنَاهُ عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمَ .

ويروى عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ لما صَارَتْ رُوحُهُ إِلَى اللهُ تَعَالَى قَالَ لَهُ : يَا مُوسَى كَيْفَ وَجَدْتَ الْمَوْتَ ؟ فَقَالَ : وَجَدْتُ نَفْسِي كَالْعَصْفُورِ حِينَ يَلْقَى فِي الْمَقْلَى لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ وَلَا يَنْجُو فَيَطِيرُ . وَيُروى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : وَجَدْتُ نَفْسِي كَشَاةِ حِيَّةٍ بِيَدِ الْقِصَابِ تَسْلُخُ . وَيُروى أَنَّ عَمْرًا قَالَ لِكَعْبِ الْأَحْبَارِ : حَدَّثْنَا عَنْ الْمَوْتِ . فَقَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَعَصْنِ كَثِيرِ الشُّوكِ أَدخَلَ فِي جُوفِ رَجُلٍ فَأَخَذَتْ كُلَّ شَوْكَةٍ بِعِرْقٍ ثُمَّ جَذَبَهُ رَجُلٌ شَدِيدُ الْجَذْبِ فَأَخَذَ مَا أَخَذَ وَأَبْقَى مَا أَبْقَى .

وقَالَ الْقُرْطُبِيُّ : لِتَشْدِيدِ الْمَوْتِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ فَائِدَتَانِ أَحَدُهُمَا تَكْمِيلُ فَضَائِلِهِمْ وَرَفْعُ دَرَجَاتِهِمْ وَلَيْسَ ذَلِكَ نَقْصًا وَلَا عَذَابًا بَلْ هُوَ كَمَا جَاءَ أَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ . وَالثَّانِيَّةُ تَعْرِفُ الْخَلْقَ مَقْدَارَ أَلْمِ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ بَاطِنٌ وَقَدْ يَطَّلِعُ الْإِنْسَانُ عَلَى بَعْضِ الْمَوْتِ فَلَا يَرَى عَلَيْهِ حَرَكَةً وَلَا قَلْقًا وَيَرَى سَهُولَةً

خروج روحه فيظن سهولة أمر الموت ولا يعرف ما الميت فيه .

فَلَمَّا ذَكَرَ الْأَنْبِيَاءُ الصَّادِقُونَ فِي خَبْرِهِمْ شِدَّةَ أَلَمِهِ مَعَ كِرَامَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى قَطَعَ الْخَلْقَ بِشِدَّةِ الْمَوْتِ الَّذِي تَقَاسِيهِ مَطْلَقًا لِأَخْبَارِ الصَّادِقِينَ عَنْهُ مَا خَلَا الشَّهِيدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . انتهى .

أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « الشَّهِيدُ لَا يَجِدُ أَلَمَ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ أَلَمَ مَسِّ الْقِرْصَةِ » .

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي الْمَرَضِ وَالْكَفَارَاتِ وَابْنُ مَنِيعٍ فِي مَسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلَا أَخْبِرُكَ بِأَمْرٍ حَقٌّ تَكَلِّمُ بِهِ فِي أَوَّلِ مَضْجَعِهِ مَنْ مَرَضَهُ نَجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ » . قُلْتُ : بلى . قَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَجِي وَيَمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مَبَارَكًا فِيهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَاللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَكَبِيرًاؤُهُ وَجَلَالُهُ وَقُدْرَتُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ . اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ أَمْرَضْتَنِي لِتَقْبُضِ رُوحِي فِي مَرَضِي هَذَا فَاجْعَلْ رُوحِي فِي أَرْوَاحِ مَنْ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ الْحَسَنَى وَأَعْزِدْنِي مِنَ النَّارِ كَمَا أَعْزَدْتَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ الْحَسَنَى .

فَإِنْ مِتُّ فِي مَرَضِكَ ذَلِكَ فإلى رضوان الله والجنة ، وإن كنت قد اقترفت ذنوبًا تاب الله عليك » . وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ مَرْفُوعًا : « مَنْ قَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ لَا تَطْعَمَهُ النَّارُ » .

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « هَلْ أَدْلِكُمْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ دُعَا يُونُسَ ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ فَإِنَّمَا مُسَلِّمٌ دُعَا يَحْيَى فِي مَرَضِ مَوْتِهِ أَرْبَعِينَ مَرَّةً فَمَاتَ فِي مَرَضِهِ ذَلِكَ أُعْطِيَ أَجْرَ شَهِيدٍ وَإِنْ بَرِيءٌ بَرِيءٌ مَغْفُورًا لَهُ » .

شِعْرًا : بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِي الْوَرَى سَتُعَذَّبُ      فَنَاجِ بِخَدَشٍ وَالْكَثِيرُ يُكَبِّبُ  
أَمَّا يَسْتَحِي مَنْ كَانَ يَلْهُو وَيَلْعَبُ      (ذُنُوبُكَ يَا مَغْرُورُ تُحْصَى وَتُحْسَبُ )  
( وَتُجْمَعُ فِي لَوْحٍ حَفِيظٍ وَتُكْتَبُ )  
وَأَنْتَ بِمَا لَا يُرْتَضَى كُلُّ لَيْلَةٍ      أَمَّا تَتَّقِي مَوْلَاكَ فِي كُلِّ فِعْلَةٍ  
تَبِيْتُ بِلَذَاتٍ وَتَلْعَابِ طِفْلَةٍ      ( وَقَلْبُكَ فِي سَهْوٍ وَلَهُوَ وَغَفْلَةٍ )  
( وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا حَرِيصٌ مُعَذَّبٌ )  
فَلَوْ تَسْتَطِيعُ أَخَذَ التَّقِي وَرَحْلَهُ      أَخَذْتَ وَلَوْ فِي بَيْتِهِ وَمَحَلِّهِ  
وَأَنْتَ عَلَى كَنْزِ الْقَلِيلِ وَجَلِّهِ      ( تُبَاهِي بِجَمْعِ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ )  
( وَتَسْعَى حَثِيثًا فِي الْمَعَاصِي وَتُذَبُّ )  
وَتُعْرِضُ عَنِ فِعْلِ الْمَرَاضِي وَتَرْتَضِي      فِعَالًا تُنَافِي فِعْلَةَ الدِّينِ الرَّضِي  
أَمَّا تَرَعُوي يَا مَنْ عَلَى لَهْوِهِ رَضِي      ( أَمَّا الْعُمُرُ يَفْنَى وَالشَّيْبَةُ تَنْقُضِي )  
( أَمَّا الْعُمُرُ آتٍ وَالْمَنِيَّةُ تُطَلَبُ )  
فَلَا تَعْتَرِرُ وَاحْذَرِ فِدُنْيَاكَ يَا الْعَدِي      إِذَا أَضْحَكْتَكَ الْيَوْمَ أَبْكَتْكَ فِي  
أَتْلُهُو بِدَارٍ لَا تَدُومُ لِمَرْغَدِي      ( أَمَّا تَذْكُرُ الْقَبْرَ الْوَحِيشَ وَلِحْدَهُ )  
( بِهِ الْجِسْمُ مِنْ بَعْدِ الْعِمَارَةِ يَخْرُبُ )  
وَتَقْتَسِلُ الدَّيْدَانَ لَا شَكَّ حَوْلَهُ      وَمَا أَحَدٌ يَنْعِي وَلَا يَعْ عَوْلَهُ  
أَمَّا أَنْ تَخْشَى الْعَزِيْزَ وَطَوْلَهُ      ( أَمَّا تَذْكُرُ الْيَوْمَ الطَّوِيلَ وَهَوْلَهُ )  
( وَمِيْزَانَ قِسْطٍ لِلْوَفَاءِ سِيُنْصَبُ )  
فَتُوزَنُ أَعْمَالُ فَتُخْزَى رِجَالُهُ      وَكُلُّ يُجَازِي مَا جَنَّتُهُ فِعَالُهُ  
وَوُوبِلُ لِمَنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ مَجَالُهُ      ( أَمَّا جَاءَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ )

( إِذَا هَتَكَ الْعَبْدُ الْمَحَارِمَ يَغْضَبُ )  
 فَيَهْتِكُ سِتْرَ الظَّالِمِينَ بِعِبْرَةٍ      وَكُلُّهُمْ أَوْ عَضَّ الْأَكْفَ بِحَسْرَةٍ  
 وَلَاتَ مَنَاصِحٍ حِينَ جَادُوا بِعِبْرَةٍ      ( أَمَّا الْوَاحِدُ الدِّيَانُ جَلَّ بِقُدْرَةٍ )  
 ( يُنَاقِشُ عَنْ كُلِّ الذُّنُوبِ وَيَحْسِبُ )  
 فَيُنْصِفُ لِلْمَظْلُومِ مِمَّنْ لَهُ افْتَرَى      وَيَقْصِمُهُ فَيَقِي مُقْحَطًا رَا  
 أَمَّا زَاجِرٌ يَزْجُرُكَ يَا مَنْ تَبَحَّرَى      ( أَمَّا تَذَكُّرُ الْمِيزَانَ وَيُحَكُّ مَا تَرَى )  
 ( إِذَا كُنْتَ فِي قَعْرِ الْجَحِيمِ مُكَبِّبُ )  
 أَمَّا تَمْشِينَ بَيْنَ الْوَرَى مُتَوَاضِعًا      أَمَّا تَتَّقِي رَبًّا آتَاكَ خَاضِعًا  
 أَحَاطَكَ ظَهْرًا ثُمَّ بَطْنًا وَرَاضِعًا      ( كَأَنَّكَ مَا تَلْقَى عَلَى الْأَرْضِ مَوْضِعًا )  
 ( وَمِنْ بَعْدِ تَلَهُوٍ بِالشَّبَابِ وَتَلَعْبُ )  
 رَأَيْتُ وَلَمْ تَشْعُرْ نَذِيرًا وَنَاهِيًا      وَكُنْتَ بِدُنْيَاكَ الدَّيَّةَ سَاهِيًا  
 سَهَرْتَ وَآثَرْتَ الْغِنَى وَمَلَاهِيًا      ( تَرُوحُ وَتَغْدُو فِي مُرَاحِكَ لَاهِيًا )  
 ( وَسَوْفَ بِأَشْرَاكِ الْمَنِيَّةِ تَنْشُبُ )  
 أَنْحَسِبُ أَنَّ اللَّهَ أَنْشَى الْوَرَى سُدَى      سَيَأْتِيكَ مَا مِنْهُ تَكُونُ مُكْسَدًا  
 وَتُنزَعُ رَوْحُ تَبْقَى مُجَسَّدًا      ( وَتَبْقَى صَرِيحًا فِي التُّرَابِ مُؤَسَّدًا )  
 ( وَجِسْمُكَ مِنْ حَرٍّ بِهِ يَتَلَهَّبُ )  
 وَمَالِكَ عَنْ دَفْعِ الْأَذِيَّةِ صَوْلَةٌ      وَمَالِكَ مُدْجَاءَ الْمُقْدَرِ حِيلَةٌ  
 تَنُوحُ وَتَبْكِي بِالْذُّمُوعِ أَهْيَلَةٌ      ( وَحَوْلَكَ أَطْفَالٌ صِفَارٌ وَعَوْلَةٌ )  
 ( بِهِمْ بَعْدَ مَعْدَاكَ الْبُنُونُ تَشَعَّبُ )  
 أَيَادِي سَبَا خَلْفًا وَيَمْنَى وَيَسْرَةٌ      وَكُنْتَ رَهِينًا لِلْمَنَايَا وَقَسْرَةٌ  
 وَجَاءَكَ مَا أَوْدَى الْبَهَا وَمَسْرَةٌ      ( وَقَدْ ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ بِالذَّمْعِ حَسْرَةٌ )  
 ( وَخَلَّفْتَ لِلْوَارِثِ مَا كُنْتَ تَكْسِبُ )  
 وَتَسْعَى لَهُ مِنْ تَالِدٍ وَمُحَصِّلٍ      وَتَسْهَرُ لَوْ فِي سَدِّ يَأْجُوحِ تُوصِلُ



وَبِتَّ وَلَمْ تَسْمَعْ وَصَاةً لِمُوصِلٍ ( تُعَالِجُ نَزْعَ الرُّوحِ مِنْ كُلِّ مَفْصِلٍ ) (

( فَلَا رَاحِمٌ يُنَجِّي وَلَا نَمَّ مَهْرَبٌ )

وَصَاقَتْ عَلَيْكَ الرُّوحُ بَعْدَ مُرُوجِهَا وَأَنْزَلْتَ عِنْدَ الْبَابِ بَعْدَ بُرُوجِهَا

وَقَرَّبْتَ الْأَكْفَانَ بَعْدَ عُرُوجِهَا ( وَعَمَّضْتَ الْعَيْنَانَ بَعْدَ خُرُوجِهَا )

( وَبُسِّطْتَ الرَّجْلَانَ وَالرَّأْسَ يُعْصَبُ )

وَقَامَ سِرَاعُ النَّاسِ لِلنَّعْشِ يَحْضِرُوا وَحَقَّارُ قَبْرِ فِي الْمَقَابِرِ يَخْفِرُ

وَجَدَّ الَّذِي فِي حَوْلِ نَادِيكَ حُضِرُ ( وَقَامُوا سِرَاعًا فِي جِهَارِكَ أَحْضِرُوا )

( حُنُوطًا وَأَكْفَانًا وَلِلْمَاءِ قَرَّبُوا )

وَصَبُّوا عَلَيْكَ الْمَاءَ وَأَنَّ سُمُوعَهُ وَحَنَّ قَرِيبٌ بِالْبُكَاءِ وَرُبُوعُهُ

وَكُلُّ شَقِيقِي جَاءَ جَدَّ زُمُوعَهُ ( وَغَاسِكَ الْمَحْرُونَ تَبْكِي دُمُوعَهُ )

( بِدَمْعِ غَزِيرٍ وَآكِفٍ يَتَصَبَّبُ )

كَصَيِّبٍ مُزْنٍ وَدُقْفُهُ مُتَفَرِّقٌ حَزِينٌ وَمَنْ مَآ دَمْعِهِ مُتَفَرِّقٌ

وَكُلُّ رَحِيمٍ قَلْبُهُ مُتَحَرِّقٌ ( وَكُلُّ حَيِّبٍ لُبُّهُ مُتَحَرِّقٌ )

( يُحَرِّكُ كَفِّهِ عَلَيْكَ وَيَنْدُبُ )

وَجَاؤُوا بِأَثْوَابٍ وَطِيبٍ بِطَيْهَا ( وَقَدْ نَشَرُوا الْأَكْفَانَ مِنْ بَعْدِ طَيْهَا )

( وَقَدْ بَخَّرُوا مَنْشُورَهُنَّ وَطَيَّبُوا )

وَخَاطُوا الَّذِي يَحْتَاجُ وَأَخْرَجُوا طَرَائِدَ اللَّتَحْزِيمِ مِنْهَا وَأَذْجُوا

جَمِيعًا بِتَجْهَازِ وَجِسْمِكَ أَدْرَجُوا ( وَاللُّقُوكَ فِيهَا يَبْنَهُنَّ وَأَدْرَجُوا )

( عَلَيْكَ مَنَانِي طَيِّهِنَّ وَعَصَّبُوا )

وَشَالُوكَ مِنْ بَيْنِ الْأَخْلَاءِ مُجَرَّدًا وَمَالَكَ خَلْفًا قَدْ تَرَكْتَ وَخَرَّدًا

وَصَلَّوْا وَقُوفًا ثُمَّ زَقُّوكَ وَرَدًّا ( وَفِي حُفْرَةِ الْقُوكِ حَيْرَانَ مُفْرَدًا )

( تَضْمُكُ بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ سَبَسَبُ )

بَعِيدٌ عَلَى قُرْبِ الْمَدَى يَعْلَمُونَهُ وَسَائِلُكَ الْمُجْهَادُ لَا يَسْمَعُونَهُ

وَقَبْرُكَ قَامُوا بَعْدَ ذَا يَسْمُونَهُ ( وَرَاحُوا لِمَا خَلَّفَتْ يَفْتَسِمُونَهُ )  
( كَأَنَّكَ لَمْ تَشْقَى عَلَيْهِ وَتَتَعَبُ )

وَتَسَهَّرُ حَتَّى كَادَ ظَهْرُكَ يَنْهَصِرُ ( وَجِسْمُكَ مَهْزُولٌ بِسَعْيِكَ مُنْعَصِرٌ )  
وَخَلَّفْتَهُ طُرًّا وَمَالَكَ مُنْتَصِرٌ ( فَيَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ حَسْبُكَ فَافْتَصِرْ )  
( وَخَفُ مِنْ جَحِيمِ حَرْهَا يَتَلَهَّبُ )

وَلَا تَمْشِ مِنْ بَيْنِ الْبَرِيَّةِ مُسْبِلًا ( وَكُنْ صَالِحًا بَرًّا تَقِيًّا مُحْسَبًا )  
وَتُبِّ عَنِ ذُنُوبٍ لَا تَكُنْ مُتَكْرِبًا ( وَجَانِبٌ لِمَا يُرِيدُكَ فِي حُفْرَةِ الْبَلَاءِ )  
( فَكُلُّ يُجَازِي بِالَّذِي كَانَ يَكْسِبُ )

مَا كِلْ مَا نَحْتَا جِ مِنْهَا لِقُوتَنَا ( شَبِيهُ حَرَامٍ وَالسَّمِيعُ لِصَوْتِنَا )  
يُجَازِي بَعْدِلٍ لَا مَفَرَّ لِقُوتَنَا ( إِذَا كَانَ هَذَا حَالَنَا بَعْدَ مَوْتِنَا )  
( فَكَيْفَ يَطِيبُ الْيَوْمَ أَكُلٌ وَمَشْرَبٌ )

وَقَدَّامَنَا قَبْرٌ بِهِ الْمَرْءُ أَلْكُنُ ( وَلَوْ أَنَّه سَحْبَانٌ مَائِمٌ أَلْسَنُ )  
وَكَيْفَ رَبَّتْ مِنَّا لُحُومٌ وَأَعْكُنُ ( وَكَيْفَ يَطِيبُ الْعَيْشُ وَالْقَبْرُ مَسْكُنُ )  
( بِهِ ظُلْمَاتٌ غِيَهَبٌ ثُمَّ غِيَهَبٌ )

وَخَوْفٌ بِهِ حُزْنٌ طَوِيلٌ وَرَعِشَةٌ ( وَلَيْتَكَ تَسْلَمَ لَا يُصِيكَ نَهْشَةٌ )  
وَمُنْكَرٌ إِذْ يَسْأَلُ يَهْلِكُ وَدَهْشَةٌ ( وَهَوْلٌ وَدِيدَانٌ وَرَوْعٌ وَوَحْشَةٌ )  
( وَكُلُّ جَدِيدٍ سَوْفَ يَبْلَى وَيَذْهَبُ )

وَمَنْ بَعْدَ ذَا يَوْمٍ وَإِنَّ حِسَابَهُ ( أَلِيمٌ مَهْوُولٌ مُفْرِعٌ وَعِقَابُهُ )  
عَظِيمٌ لِعَاصٍ مَا أَشَدَّ عَذَابَهُ ( فَيَا نَفْسُ خَافِي اللَّهِ وَارْجِي ثَوَابَهُ )  
( فَهَادِمٌ لِدَاتِ الْفَتَى سَوْفَ يَقْرُبُ )

فَيَأْخُذُ أَطْفَالَاً وَيَأْخُذُ رَمَةً ( وَيَأْخُذُ شُبَّابًا وَيَهْدِمُ نِعْمَةً )  
فَخَلِي بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ وَعَسْمَةً ( وَفُولِي إِلَهِي أَوْلِيي مِنْكَ رَحْمَةً )  
( وَعَفْوًا فَإِنَّ اللَّهَ لِلذَّنْبِ يُذْهِبُ )

وَأَخَذَ بِيَدِي نَحْوَ الطَّرِيقِ الْمُحَمَّدِي  
وَكُنْ بِي رَحِيمًا وَاسْتَقِمْ بِي عَلَى الْهُدَى  
وَلَا تُخْزِنِي فِي الْحَشْرِ وَأَطْلِقْ مُقَيِّدِي  
( وَلَا تُحْرِقَنْ جِسْمِي بِنَارِكَ سَيِّدِي )

( فَجِسْمِي ضَعِيفٌ وَالرَّجَا مِنْكَ أَقْرَبُ )

وَجُودُكَ مَنَانِي وَلَوْ كُنْتَ أَحْقَرًا  
وَعَفْوُكَ رَجَا مَنْ هَفَا وَتَفَحَّطَرًا  
وَإِنِّي وَأَنْ كُنْتَ الْبَعِيدِ وَمَنْ وَرَى  
( فَمَا لِي إِلَّا أَنْتَ يَا خَالِقَ الْوَرَى )

( عَلَيْكَ اتِّكَالِي أَنْتَ لِلْخَلْقِ مَهْرَبُ )

وَأَنْتَ مَا لَدُ الْوَرَى فِي رُجُوعِهَا  
مُجِيبٌ لِمَنْ يَدْعُو بِهَامِي دُمُوعِهَا  
فَتَرْجُوكَ تَسْمَعُ مِنْ صَمِيمِ سَمِيعِهَا )  
( وَنَدْعُو بِغُفْرَانِ الدُّنُوبِ جَمِيعِهَا )

( وَخَاتِمَةَ الْعُمُرِ الَّتِي هِيَ أَطْلُبُ )

وَأَسْأَلُ طُولَ الدَّهْرِ مَا نَاءَ طَارِقُ  
( وَصَلَّ إِلَهِي كُلَّ مَا نَاضَ بَارِقُ )  
( وَمَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَمَا لَاحَ كَوْكَبُ )

وَمَا حَنَّ رَعْدٌ فِي دِيَاغِي لِيَالِهِ  
وَمَا أَنْهَلَ سَارٍ مُغْدِقٍ مِنْ خِلَالِهِ  
وَمَا أَمَّ بَيْتَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ وَالِهِ  
( عَلَى أَحْمَدِ الطُّهْرِ النَّذِيرِ وَالِهِ )

( فَهَوُ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ طَرًّا وَأَطِيبُ )

وَأَكْمَلُ مَنْ حَلَّ الصَّفَا وَالْمُحَصَّبَا  
وَأَصْحَابِهِ مَا اخْضَرَ عُودٌ وَأَخْصَبَا  
( كَذَاكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا )

( وَهَبَّتْ شَمَالَ مَعَ جَنُوبٍ وَهَيْدَبُ )

آخر : إِلَى كَمْ تَمَايَ فِي غُرُورٍ وَغَفْلَةٍ  
وَكَمْ هَكَذَا نَوْمٌ إِلَى غَيْرِ يَقْظَةٍ  
لَقَدْ شَاعَ عُمُرٌ سَاعَةٌ مِنْهُ تُشْتَرَى  
بِمَلَأِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَيْةً ضَائِعَةٍ  
أَيُنْفَقُ هَذَا فِي هَوَى هَذِهِ الَّتِي  
أَبَى اللَّهُ أَنْ تُسَوَى جَنَاحَ بَعُوضَةٍ  
أَتَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ وَعَيْشَةِ  
مَعَ الْمَلَا الْأَعْلَى بَعِيشِ الْبَهِيمَةِ  
فِيَا دُرَّةً بَيْنَ الْمَزَابِلِ أُلْقِيَتْ  
وَجَوْهَرَةً يَبِيعَتْ بِأَبْحَسِ قِيمَةٍ  
أَفْقِي بِبَاقٍ تَشْتَرِيهِ سَفَاهَةً  
وَسُخْطًا بِرِضْوَانٍ وَنَارًا بِجَنَّةِ

أَنْتَ صَدِيقٌ أَمْ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ      فَإِنَّكَ تَرْمِيهَا بِكُلِّ مُصِيَّةٍ  
 وَلَوْ فَعَلَ الْأَعْدَا بِنَفْسِكَ بَعْضَ مَا      فَعَلْتَ لِمَسَّتْهُمْ لَهَا بَعْضُ رَحْمَةٍ  
 لَقَدْ بَعَثَهَا هَوْنًا عَلَيْكَ رَحِيصَةً      وَكَانَتْ بِهَذَا مِنْكَ غَيْرَ حَقِيقَةٍ  
 أَلَا فَاسْتَفِقْ لَا تَفْضَحْنَهَا بِمَشْهَدٍ      مِنْ الْخَلْقِ إِنْ كُنْتَ ابْنَ أُمَّ كَرِيمَةٍ  
 فَبَيْنَ يَدَيْهَا مَشْهَدٌ وَفَضِيحَةٌ      يُعَدُّ عَلَيْهَا كُلُّ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ  
 فَبِتَتْ بِهَا دُنْيَا كَثِيرٍ غُرُورُهَا      تُعَامِلُ فِي لَدَّتْهَا بِالْخَدِيعَةِ  
 إِذَا أَقْبَلْتَ بَدَّتْ وَإِنْ هِيَ أَحْسَنْتَ      أَسَاءَتْ وَإِنْ ضَاقَتْ فَتَقْ بِالْكَدُورَةِ  
 وَإِنْ نِلْتَ مِنْهَا مَالَ قَارُونَ لَمْ تَنَلْ      سِوَى لُفْمَةٍ فِي فِيكَ مِنْهَا وَخَرْقَةٍ  
 وَهِيَ هَاتِ تَحْظَى بِالْأَمَانِي وَلَمْ تَكُنْ      وَكَانَتْ بِهَذَا مِنْكَ غَيْرَ حَقِيقَةٍ  
 فَدَعَهَا وَأَهْلِيهَا لِتَغْبِطَهُمْ وَخُذْ      لِنَفْسِكَ عَنْهَا فَهُوَ كُلُّ غَيْمَةٍ  
 وَلَا تَغْتَبِطْ مِنْهَا بِفَرَحَةٍ سَاعَةٍ      تَعُودُ بِأَحْزَانٍ عَلَيْكَ طَوِيلَةٍ  
 فَعَيْشُكَ فِيهَا أَلْفُ عَامٍ وَتَنْقِضِي      كَعَيْشِكَ فِيهَا بَعْضُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ

قَالَ بَعْضُهُمْ يُوْبَخُ نَفْسُهُ تَوْعِظُهَا : يَا نَفْسُ بَادِرِي بِالْأَوْقَاتِ قَبْلَ انْصِرَامِهَا ،  
 وَاجْتَهِدِي فِي حِرَاسَةِ لَيَالِي الْحَيَاةِ وَأَيَامِهَا ، فَكَأَنَّكَ بِالْقُبُورِ قَدْ تَشَقَّقْتَ ، وَبِالْأُمُورِ وَقَدْ  
 تَحَقَّقْتَ ، وَبِوَجْهِهِ الْمُتَّقِينَ وَقَدْ أَشْرَقَتْ ، وَبِرُؤُوسِ الْعِصَاةِ وَقَدْ أَطْرَقَتْ ، قَالَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ  
 : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ  
 صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ ، يَا نَفْسُ أَمَا الْوَرَعُونَ فَقَدْ جَدُوا ، وَأَمَا الْخَائِفُونَ فَقَدْ اسْتَعَدُوا ، وَأَمَا  
 الصَّالِحُونَ فَقَدْ فَرَحُوا وَرَاحُوا وَأَمَا الْوَاعِظُونَ فَقَدْ نَصَحُوا .

اللَّهُمَّ قَوِي إِيمَانَنَا بِكَ وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هِدَاةَ مَهْتَدِينَ ، اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ  
 الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَأَلْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَمْنَا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ وَاعْفِرْ لَنَا  
 وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ  
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

## " فَصْلٌ "

عن أَنَسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : دعا رجل فقال : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ .  
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا بِاسْمِهِ اللَّهُ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دَعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ » .  
أَخْرَجَهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ .

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعِيَ وَهُوَ فَدَى بَطْنِ الْحَوْتِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ : صَحِيحُ الْإِسْنَادِ .

وَعَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ دَعَا بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْخَمْسِ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ ( لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ .

وَعَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ : سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا رَجُلًا وَهُوَ يَقُولُ : ( يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ) فَقَالَ : « قَدْ اسْتَجِيبَ لَكَ فَسَلْ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .  
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مَكْتَرِينَ لَذِكْرِكَ مُؤَدِّينَ لِحَقِّكَ حَافِظِينَ لِأَمْرِكَ رَاجِينَ لِعَوْدِكَ رَاضِينَ فِي جَمِيعِ حَالَاتِنَا عَنكَ ، رَاجِبِينَ فِي كُلِّ أَمُورِنَا إِلَيْكَ مُؤْمِلِينَ لِفَضْلِكَ شَاكِرِينَ لِنِعْمِكَ .  
يَا مَنْ يَجِبُ الْعَفْوُ وَالْإِحْسَانُ ، وَيَأْمُرُ بِهَمَا أَعْفُ عَنَّا ، وَأَحْسِنْ إِلَيْنَا ، فَإِنَّكَ بِالَّذِي أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ مِنْ عَفْوِكَ أَحَقُّ مِنَّا بِالَّذِي نَحْنُ لَهُ أَهْلٌ مِنْ عَقُوبَتِكَ .

اللَّهُمَّ تَبَّتْ رِجَاءُكَ فِي قُلُوبِنَا ، واقطعه عمن سواك ، حَتَّى لَا نَرْجُو غَيْرَكَ وَلَا نَسْتَعِينُ  
إِلَّا بِإِيَّاكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ .

اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا الْيَقِينَ وَالْعَافِيَةَ ، وَإِخْلَاصَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ ، وَالِاسْتِغْنَاءَ عَنِ خَلْقِكَ ،  
وَاجْعَلْ خَيْرَ أَعْمَالِنَا مَا قَارِبَ آجَالِنَا .

اللَّهُمَّ أَغْنِنَا بِمَا وَفَّقْتَنَا لَهُ مِنَ الْعِلْمِ ، وَزَيِّنَا بِالْحِلْمِ وَأَكْرِمْنَا بِالتَّقْوَى وَجَمِّلْنَا بِالْعَافِيَةِ .  
اللَّهُمَّ افْتَحْ مَسَامِعَ قُلُوبِنَا لِذِكْرِكَ وَارزُقْنَا طَاعَتَكَ وَطَاعَةَ رَسُولِكَ وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِكِتَابِكَ  
وَسُنَّةِ رَسُولِكَ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى ، وَالتَّقَى وَالْعَافِيَةَ وَالْغِنَى ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ ، وَمِنْ  
جَهْدِ الْبَلَاءِ وَمِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَمِنْ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ .

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ ، وَلَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ ، وَإِلَيْكَ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ  
عِلَانِيَتِهِ وَسِرِّهِ ، أَهْلُ الْحَمْدِ وَالثَنَاءِ أَنْتَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرٌ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا جَمِيعَ مَا سَلَفَ مِنَّا مِنَ الدُّنُوبِ ، وَاعصمنا فيما بقى من أعمارنا ،  
وَوَفَّقْنَا لِعَمَلٍ صَالِحٍ تَرْضَى بِهِ عَنَّا .

اللَّهُمَّ يَا سَامِعَ كُلِّ صَوْتٍ ، وَيَا بَارِيَّ النُّفُوسِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، يَا مَنْ لَا تَشْتَبِهَ عَلَيْهِ  
الْأَصْوَاتُ ، يَا عَظِيمَ الشَّانِ ، يَا وَاضِحَ الْبُرْهَانِ ، يَا مَنْ هُوَ كُلُّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ ، اغْفِرْ لَنَا  
ذُنُوبَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

اللَّهُمَّ يَا عَظِيمَ الْعَفْوِ ، يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ ، يَا قَرِيبَ الرَّحْمَةِ ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، هَبْ  
لَنَا الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ وَيَا قَيُّومُ فَرِّغْنَا لِمَا خَلَقْتَنَا لَهُ ، وَلَا تَشْغَلْنَا بِمَا تَكَلَّفْتَ لَنَا بِهِ ،

وَاجْعَلْنَا مَنْ يُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ ، وَيَرْضَى بِقَضَائِكَ ، وَيَقْنَعُ بِعَطَائِكَ ، وَيَخْشَاكَ حَقَّ خَشْيَتِكَ

اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَنَا رِغْدًا ، وَلَا تَشْتُمْ بِنَا أَحَدًا .

اللَّهُمَّ رَغْبِنَا فِيْمَا بِيَقَى ، وَزَهْدِنَا فِيْمَا يَفْنَى ، وَهَبْ لَنَا الْيَقِينَ الَّذِي لَا تَسْكُنُ النَّفُوسُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يَعُولُ فِي الدِّينِ إِلَّا عَلَيْهِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ الَّذِي لَا يَرَامُ وَمَلِكِكَ الَّذِي لَا يَضَامُ وَبِنُورِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ أَنْ تَكْفِينَا شَرَّ مَا أَهْمَنَا وَمَا لَا نَهْتَمُّ بِهِ وَأَنْ تَعِيدَنَا مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا .

اللَّهُمَّ يَا عَلِيمُ يَا حَلِيمُ يَا قَوِيُّ يَا عَزِيزُ يَا ذَا الْمَنِّ وَالْعَطَاءِ وَالْعِزِّ وَالْكَبْرِيَاءِ يَا مَنْ تَعَنَّا لَهُ الْوَجُوهَ وَتَخَشَعُ لَهُ الْأَصْوَاتُ ، وَقَفْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَأَكْفَنَّا بِجَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَبِقُضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قُلُوبَنَا ، وَتَجْمَعُ بِهَا شَمْلَنَا ، وَتَلْمُ بِهَا شَعْنَنَا وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدَنَا ، وَتَحْفَظُ بِهَا غَائِبَنَا ، وَتَرْكِي بِهَا أَعْمَالَنَا ، وَتَلْهَمُنَا بِهِ رِشْدَنَا ، وَتَعْصِمُنَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا مِنْ فَضْلِكَ ، وَأَكْفِنَا شَرَّ خَلْقِكَ ، وَأَحْفَظْ عَلَيْنَا دِينَنَا وَصِحَّةَ أَسْدَانِنَا .  
اللَّهُمَّ يَا هَادِيَ الْمَضِلِّينَ وَيَا رَاحِمَ الْمَذْنُبِينَ ، وَمَقِيلَ عَثْرَاتِ الْعَاثِرِينَ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَلْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ يَا عَالِمَ الْخَفِيَّاتِ ، وَيَا رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ، وَيَا غَافِرَ الذَّنْبِ وَقَابِلَ التَّوْبِ شَدِيدَ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَذِيقَنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ رَحْمَتِكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَأَرْأَفَ الرَّائِفِينَ وَأَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ .

اللَّهُمَّ اعتقنا من رق الذُّنوب ، وخلصنا من أشر التُّفوس ، واذهب عنا وحشة الإساءة ، وظهرنا من دنس الذُّنوب ، وباعد بيننا وبين الخطايا وأجرنا من الشيطان الرجيم .  
اللَّهُمَّ طيبنا للقائك ، وأهلنا لولائك وأدخلنا معَ المرحومين من أوليائك ، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ .

اللَّهُمَّ أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، وتلاوة كتابك ، واجعلنا من حزبك المفلحين ، وأيدنا بجندك المنصورين ، وارزقنا مرافقة الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

اللَّهُمَّ يَا فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى ، يَا مَنْشِئَ الْأَجْسَادِ بَعْدَ الْبَلَى يَا مُؤَيِّ الْمُنْقَطِعِينَ إِلَيْهِ ، يَا كَافِيَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ ، انقطع الرجاء إلا منك ، وخابت الظنون إلا فيك ، وضعف الاعتماد إلا عَلَيْكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تَمَطِّرَ مَحَلَّ قُلُوبِنَا مِنْ سَحَابِ بَرَكَ وَإِحْسَانِكَ وَأَنْ تَوْفِّقَنَا لِمَوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعِزَائِمِ مَغْفِرَتِكَ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ رَوْفٌ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا ، وَلِسَانًا صَادِقًا ، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا ، وَنَسْأَلُكَ بَرَكَاتِ الْحَيَاةِ وَخَيْرِ الْحَيَاةِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْحَيَاةِ وَشَرِّ الْوَفَاةِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ الَّذِي إِذَا دَعَيْتَ بِهِ أَجَبْتَ وَإِذَا سَأَلْتَ بِهِ أَعْطَيْتَ ، وَنَسْأَلُكَ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَكْرَمِ الْوُجُوهِ ، يَا مَنْ عَنَتَ لَهُ الْوُجُوهِ ، وَخَضَعْتَ لَهُ الرِّقَابَ ، وَخَشَعْتَ لَهُ الْأَصْوَاتَ ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ، يَا مَالِكَ الْمَلِكِ ، يَا مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، بِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِيثُ ، وَمِنْ عَذَابِكَ نَسْتَجِيرُ .

اللَّهُمَّ اجعلنا نخشاك حَتَّى كَأَنَّنا نراك ، وأسعدنا بتقواك ، ولا تشقنا بمعصيتك .



اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامَنَا ، وَتَرَى مَكَانَنَا ، وَتَعْلَمُ سِرَّنَا ، وَعَلَانِيَتَنَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ ، الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ الْوَجِلُونَ الْمَشْفُقُونَ الْمَعْتَرِفُونَ بِذُنُوبِنَا ، نَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمَسْكِينِ ، وَنَبْتَهِا إِلَيْكَ ابْتِهَالِ الْمَذْنِبِ الذَّلِيلِ ، وَنَدْعُوكَ دَعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَضَعْتَ لَهُ رِقَابَنَا ، وَفَاضْتَ لَهُ عِبَارَاتِنَا ، وَذَلْتَ لَهُ أَجْسَامَنَا ، وَرَغِمَتْ لَهُ أَنْوْفُنَا لَا تَجْعَلْنَا بِدَعَائِكَ أَشْقِيَاءَ ، وَكُنْ بِنَا رَوْفًا يَا خَيْرَ الْمَسْئُولِينَ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ نَفْسًا مَطْمَئِنَّةً ، تَوْمَنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ ، وَتَقْنَعُ بِعَطَائِكَ ، يَا أَرْأَفَ الرَّائِفِينَ وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ لِمَا تَجِبُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَنَسْأَلُكَ صَدَقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُحِبِّينَ ، الْغَرِّ الْمُحْجَلِينَ الْوَفْدِ الْمُتَقَبِّلِينَ .  
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَنَفْسًا تَقِيَةً ، وَعَيْشَةً نَقِيَةً ، وَمِيتَةً سَوِيَّةً ، وَمَرَدًّا غَيْرَ مَخْزِيٍّ وَلَا فَاضِحٍ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ ، وَمِنَ الْمُؤَيَّدِينَ بِنَصْرِكَ وَتَأْيِيدِكَ وَرِضَاكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

﴿ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ يَا وَدُودَ يَا ذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ يَا مَبْدِئَ يَا مَعِيدَ يَا فِعَالَ مَا تَرِيدُ نَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ وَبِقُدْرَتِكَ الَّتِي قَدَرْتَ بِهَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ وَبِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَسَيِّئَاتِنَا وَأَنْ تَبْدِلَهَا لَنَا بِحَسَنَاتٍ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ رَوْوْفٌ رَحِيمٌ .

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدَعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ

المسلمين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

### " فَوَائِدُ عَظِيمَةِ النَّفْعِ "

واعجبًا منك يضيع منك الشيء القليل وتتكدر ، وتأسف ، وقد ضاع أشرف الأشياء عندك وهو عمرك الذي لا عوض له ، وأنت عند فتالات الأوقات ، الكورة والتلفاز والمذيع ونحوها من قطاع الطريق عن الأعمال الصالحة ، ولكن ستندم ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ \* يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾

وقال آخر : من تفكر في قصر العمر المعمول فيه ، وفكر في امتداد زمان الجزء الذي بعد البعث اختطف اللحظة من عمره وانتهبها ، وعبأها في الباقيات الصالحات وزاحم كل فضيلة فإنها إذا فاتت فلا تدرك أبدًا ، والله أقوام ما رضوا من الفضائل إلا بتحصيلها كاملة ، فهم يبالغون في كل علم ، ويثابرون على كل فضيلة ، فإذا ضعفت أبدانهم عن بعض ذلك قامت النيات نائبة عنها .

شعرًا : الْجَدُّ بِالْجَدِّ وَالْحَرَمَانُ فِي الْكَسَلِ فَانصِبِ تُصِيبَ عَنْ قَرِيبٍ غَايَةَ الْأَمَلِ

ويقول الآخر :

فَكَابِدُ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ النَّفْسَ عَذْوَهَا  
وَلَا يَذْهَبَنَّ الْعُمُرُ مِنْكَ سَبْهَلًا  
فَمَنْ هَجَرَ اللَّذَاتِ نَالَ الْمُنَى وَمَنْ  
آخِر : فَشَمَّرْ وَلِذِّ بِاللَّهِ وَأَحْفَظْ كِتَابَهُ  
هُوَ الذُّخْرُ لِلْمَلْهُوفِ وَالْكَنْزُ وَالرَّجَا  
وَبِهِ يَهْتَدِي مَنْ تَاهَ مُهْمَهُ الْهَوَى  
آخِر : يَا عَاشِقَ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا  
عَلَيْكَ بِاللَّيْلِ فِي الْأَذْكَارِ تُعَمَّرُهُ  
لَعْمَسَةٌ فِي جَنَانِ الْخُلْدِ خَاطِفَةٌ  
وَكُنْ فِي اقْتِبَاسِ الْعِلْمِ طَلَاعَ أَنْجِدِ  
وَلَا تَغْبِنَ بِالنَّعْمَتَيْنِ بَلْ أَجْهَدِ  
أَكْبَّ عَلَى اللَّذَاتِ عَضَّ عَلَى الْيَدِ  
فَفِيهِ الْهُدَى حَقًّا وَلِلْخَيْرِ جَامِعُ  
وَمِنْهُ بِلا شَكِّ تُنَالُ الْمَنَافِعُ  
بِهِ يَتَسَلَّى مَنْ دَهَتْهُ الْفَجَائِعُ  
هَلْ أَخْلَدَ النَّاسَ مَا حَازُوا وَمَا عَمَرُوا  
وَدَعُ مَلَذَّتِهِ الْأُخْرَى لِمَنْ كَفَرُوا  
تُنْسِيكَ مَا مَرَّ مِنْ بُؤْسٍ لَهُ خَطْرُ

## " فَايِدَةُ عَظِيمَةِ النَّفْعِ "

قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : عَلَيْكَ يَا أَخِي بِمُحَارَبَةِ الشَّيْطَانِ ، وَقَهْرِهِ ، وَذَلِكَ لِخَصْلَتَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مَبِينٌ ، لَا مَطْمَعٌ فِيهِ بِمُصَالِحَةٍ وَاتِقَاءٍ شَرِّهِ أَبَدًا ، لِأَنَّهُ لَا يَرْضِيهِ وَيَقْنَعُهُ إِلَّا هَلَاكَكَ أَصْلًا فَلَا وَجْهَ إِذَا لِلْأَمْنِ مِنْ هَذَا الْعَدُوِّ وَالْعَفْلَةَ عَنْهُ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ ، وَالْخَصْلَةُ الثَّانِيَّةُ أَنَّهُ مَجْبُولٌ عَلَى عِدَاوَتِكَ ، وَمُنْتَصِبٌ لِمُحَارَبَتِكَ ، فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَرْمِيكَ بِسَهَامِهِ ، وَأَنْتَ غَافِلٌ عَنْهُ ، ثُمَّ هُوَ لَهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ عِدَاوَةٌ عَامَةٌ ، وَمَعَ الْمُجْتَهِدِ فِي الْعِبَادَةِ وَالْعِلْمِ عِدَاوَةٌ خَاصَّةٌ ، وَمَعَهُ عَلَيْكَ أَعْوَانُ نَفْسِكَ الْأَمَارَةِ ، بِالسُّوءِ ، وَالْهَوَى ، وَالذُّنْيَا ، وَهُوَ فَارِعٌ وَأَنْتَ مُشْغُولٌ ، وَهُوَ يِرَاكُ وَأَنْتَ لَا تَرَاهُ ، وَأَنْتَ تَنْسَاهُ وَهُوَ لَا يَنْسَاكَ ، فِإِذَا لَا بَدَّ مِنْ مُحَارَبَتِهِ ، وَقَهْرِهِ ، وَإِلَّا فَلَا تَأْمَنُ الْفَسَادَ وَالْهَلَاكَ وَالْدَّمَارَ ، وَمُحَارَبَتِهِ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ وَالْإِكْتِسَارِ مِنْ ذِكْرِهِ .

شِعْرًا :

أَهْجُرُ فِرَاشَكَ جَوْفَ اللَّيْلِ وَارِمَ بِهِ	فَفِي الْقُبُورِ إِذَا وَافَيْتَهَا فُرُشُ
مَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَهَا فُرُشًا مُرَقَّشَةً	أَوْ رَمَضَةً فَوْقَهَا الْمَسْمُومَةَ الرُّقُشُ
هَذَا عَلَيْهِ قَرِيرَ الْعَيْنِ نَائِمَهَا	وَذَا عَلَيْهِ سَخِينِ الْعَيْنِ يُنْتَهَشُ
شَتَّانَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ خَالِهِمَا	هَلْ يَسْتَوِي الرَّيُّ فِي الْأَخْشَاءِ
فَبَادِرِ الصُّبْحِ أَنْ تَغْشَى طَلَابِعَهُ	وَيَلْتَقِي الْأَحْيَانَ الرُّومُ وَالْحَبِشُ
كَمْ فَازَ دُونَكَ بِاللَّذَاتِ مِنْ رَجُلٍ	وَافَى بِهِ دُلْجَ الْأَسْحَارِ وَالْعَبَشُ
قَامُوا وَنَمْنَا وَكُلٌّ فِي تَقَلُّبِهِ	لِنَفْسِهِ جَاهِدًا يَسْعَى وَيَجْتَوِشُ
زَكُوا نَفُوسَهُمْ بِكُلِّ صَالِحَةٍ	وَطَيَّبُوهَا فَلَا عَيْبٌ وَلَا وَقْشُ

وصلى الله على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

( فَصْلٌ فِي فَوَائِدِ مَنْوَعَةٍ )

قَالَ ابن القيم : واعلم أن الصبر على الشهوة أسهل من الصبر على ما تُوجِبُهُ الشهوة

فإن الشهوة إما إن تُكُون توجب ألماً وعقوبةً .

وإما أن تقطع لذةً أكمل مِنْهَا .

وإما أن تضيع وقتاً أضاعته حسرةً وندامة .

وإما أن تثلم عرضاً توفيره وانفع للعبد من ثلمه .

وإما أن تذهب مالاً بقاءه خَيْرٌ من ذهابه .

وإما أن تسلب نعمةً بقاءها ألد وأطيب من قضاء الشهوة .

وإما أن تطرق لوضيع إليك طريقاً لم يكن يجدها قبل ذَلِكَ .

وإما أن تجلب همًا وغمًا وحزنًا لا يقارب لذة الشهوة .

وإما أن تنسي عِلْمًا ذكره ألد من نيل الشهوة .

وإما أن تشمت عدوًا وتحزن وليًا .

وإما أن تحدث عيبًا يبقى صفةً لا تزول ، فَإِنَّ الأَعْمَالَ تورث الصفات والأخلاق .. أ

هـ .

وقَالَ إبراهيم بن بشار : ما رَأَيْتُ فِي جميع من لقيته من العباد والعُلَمَاءِ والصالحين

والزهاد أَحَدًا يبغيض الدُّنْيَا ولا ينظر إليها مثل إبراهيم بن أدهم ، وَرُبَّمَا مررنا على قوم قَدْ

أقاموا حائطًا أَوْ دارًا أَوْ حانوتًا فيحول وجهه ولا يملأ عينيه من النظر إليه فعاتبته على

ذَلِكَ ، فَقَالَ : يَا بشار اقرأ ما قَالَ الله تَعَالَى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ولم يقل

أيكم أحسن عمارة للدنيا وأكثر حبًا وذخرًا وجمالاً ، ثُمَّ بكى وَقَالَ صدق الله عز اسمه

فيما يَقُولُ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ولم يقل إلا ليعمروا الدُّنْيَا

ويجمعوا الأموال وبينوا الدور ويشيدوا القصور ويتلذذوا ويتفكهاوا ، وجعل يومه كله يردد

ذَلِكَ وَيَقُولُ ﴿ فَبِهَدَاهُمْ افْتَدِهِ ﴾ .

شِعْرًا : صَرَفْتُ إِلَى رَبِّ الْأَنْامِ مَطَالِبِي  
إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ  
إِلَى الصَّمَدِ الْبَرِّ الَّذِي فَاضَ جُودُهُ  
مُقِيلِي إِذَا زَلَّتْ بِي النَّعْلُ عَائِرًا  
فَمَا زَالَ يُؤَلِّبُنِي الْجَمِيلَ تَلَطُّفًا  
وَيُرْزُقُنِي طِفْلًا وَكَهْلًا وَقَبْلَهَا  
إِذَا أَغْلَقَ الْأَمْلَاكُ دُونِي قُصُورَهُمْ  
فَرَعْتُ إِلَى بَابِ الْمُهَيْمِنِ طَارِقًا  
فَلَمْ أَلْفِ حُجَابًا وَلَمْ أَحْشَ مِنْعَةً  
كَرِيمٌ يَلْبِي عَبْدَهُ كُلَّمَا دَعَا  
سَأَلْتُهُ مَا شِئْتُ إِنَّ يَمِينَهُ  
فَحَسْبِي رَبِّي فِي الْهَزَاهِرِ مَلْجَأً  
وَوَجَّهْتُ وَجْهِي نَحْوَهُ وَمَارَبِّي  
مَلِيكَ يُرْجَى سَيِّئُهُ فِي الْمَتَاعِبِ  
وَعَمَّ الْوَرَى طُرًّا بِجَزَلِ الْمَوَاهِبِ  
وَأَسْمَحُ غَفَارٍ وَأَكْرَمَ وَاهِبِ  
وَيَذْفَعُ عَنِّي فِي صُدُورِ النَّوَابِ  
جَنِينًا وَيَحْمِينِي وَبِي الْمَكَاسِبِ  
وَنَهَنَهُ عَنِ غَشِيَانِهِمْ رَجْرُ حَاجِبِ  
مُدِلًّا أُنَادِي بِاسْمِهِ غَيْرَ هَائِبِ  
وَلَوْ كَانَ سُؤْلِي فَوْقَ هَامِ الْكَوَاكِبِ  
نَهَارًا وَلَيْلًا فِي الدُّجَى وَالْغِيَاهِبِ  
تَسِحُّ دِفَاقًا بِاللَّهِى وَالرَّغَائِبِ  
وَحِرْزًا إِذَا خِيفَتْ سِهَامِ النَّوَابِ

وَنَسَأَلَ اللَّهُ الْحَيَّ الْقَيُّومَ الْعَظِيمَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْوَاحِدَ الْفَرْدَ الصَّمَدَ الَّذِي لَمْ  
يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ يَعِزَّزَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَخْذُلَ الْكُفْرَةَ  
وَالْمُشْرِكِينَ وَأَعْوَانَهُمْ وَأَنْ يُصْلِحَ مَنْ فِي صَلَاحِهِ صَلَاحٌ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَيُهْلِكَ مَنْ  
فِي هَلَاكِهِ عِزٌّ وَصَلَاحٌ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَلِمَّ شَعَثَ الْمُسْلِمِينَ وَيَجْمَعَ شَمْلَهُمْ  
وَيُوحِّدَ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْ يَحْفَظَ بِلَادَهُمْ وَيُصْلِحَ أَوْلَادَهُمْ وَيَشْفِ مَرْضَاهُمْ وَيُعَافِي مُبْتَلَاهُمْ  
وَيَرْحَمَ مَوْتَاهُمْ وَيَأْخُذَ بِأَيْدِينَا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَيَعْصِمَنَا وَإِيَّاهُمْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَيَحْفَظَنَا وَإِيَّاهُمْ  
مِنْ كُلِّ ضَرٍّ وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا  
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فهرس الجزء الثاني من موارد الظمان

الصفحة	الموضوع
٦	..... في الوعظ والإرشاد
٢٢	..... موعظة
٢٤	..... نماذج من صبره ρ
٣٣	..... موعظة تتضمن الثناء على الصحابة
٣٥	..... نموذج من صبر خليفة رسول الله ρ أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعمر وعثمان
٣٦	..... وعلي وبعض الصحابة رضوان الله عليهم
٣٧	
٣٧	..... إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه
٤١	..... إسلام عثمان وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما
٤٢	..... الزبير بن العوام رضي الله عنه
٤٣	..... بلال بن أبي رباح رضي الله عنه
٤٤	..... آل ياسر عمار وأبوه وأمه رضي الله عنهم
٤٦	..... من كلام عيسى عليه السلام
٤٧	..... أبو ذر رضي الله عنه
٥٠	..... موعظة في الحث على التأهب للرحيل
٥١	..... سعيد بن زيد وزوجته رضي الله عنهما وقصة إسلام
	..... عمر
٥٣	..... عثمان بن مظعون رضي الله عنه
٥٤	..... مصعب بن عمير رضي الله عنه
٥٦	..... عبد الله بن حذافة رضي الله عنه مع ملك الفرس

- ٦٠ ..... عبد الله بن حذافة مع ملك الروم
- ٦١ ..... قصيدة وعظية زهدية تضرع إلى رب العزة
- ٦٢ ..... سعيد بن عامر الجمحي وخبيب
- ٦٧ ..... البراء بن مالك الأنصاري
- ٧١ ..... أم سلمة رضي الله عنها
- ٧٥ ..... قصيدة وعظية
- ٧٧ ..... نماذج من سيرة بعض العلماء المخلصين
- ٩١ ..... نصيحة أبي حازم لسليمان بن عبد الملك
- ٩٨ ..... نصيحة سفیان الثوري لهارون الرشيد
- ١٠١ ..... صدع الحسن البصري بالحق
- ١٠٢ ..... صدع ابن أبي ذئب بالحق أمام أبي جعفر
- ١٠٣ ..... صدع رجل بالحق أمام الحجاج
- ١١٢ ..... نماذج من إخلاص بعض العلماء
- ١٢٤ ..... الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ١٥٥ ..... الرد على منكري الجن
- ١٦٩ ..... موعظة في التحذير من الإتهاك في الدنيا
- ١٧٠ ..... الناس حول الدنيا قسمان وما حول ذلك
- ١٧٢ ..... قصيدة للشافعي في التحذير من الدنيا
- ١٧٦ ..... حب الدنيا رأس الشرور والمعاصي كلها
- ١٧٩ ..... حب الدنيا فنون متنوعة كل فن يشتغل قسماً من الناس
- ١٨٠ ..... قصيدة لبعضهم يكبت نفسه ويؤنبها
- ١٨١ ..... أمثلة للدنيا متعددة
- ١٨٥ ..... قصيدة في ذم الدنيا والتحذير من الاغترار بها
- ١٨٩ ..... فصل في الحث على الألفة وحسن الخلق

- ١٩٣ ..... المجلس الصالح والجليس السوء والتحذير من مصاحبة الأشرار
- ١٩٤ ..... توصية حول الجلساء الصالحين وأمثلة والحث على اختبارهم
- ١٩٦ ..... المؤاخاة في الناس على وجهين
- ٢٠٢ ..... المؤمن يلتجئ إلى الله ثم المؤمن المنافق يلتجئ للمنافق
- ٢٠٢ ..... ميل الإنسان إلى الأختيار أو الأشرار دليل على حاله
- ٢٠٥ ..... التحذير من صحبة الأحمق
- ٢٠٨ ..... الأصدقاء ثلاثة وبلي ذلك موعظة وقصيدة
- ٢١٠ ..... كلام حول الفكر النافع والفكر الضار
- ٢١٨ ..... الحب في الله والبغض في الله والتحذير من موالاته أعداء الله والأدلة على ذلك
- ٢١٩ ..... التحذير من مشاهدة أعداء الله وتوليهم وقربهم ومسكنتهم
- ٢٣٦ ..... موعظة في أن الناس قسمان
- ٢٤٠ ..... قصة أبي عبيدة الجراح مع أبيه
- ٢٤٢ ..... ما أصاب اليوم المسلمون من موالاته
- ٢٤٤ ..... أعداء الله بلاء شديد
- ٢٤٦ ..... الحث على صحبة أهل طاعة الله
- ٢٤٧ ..... كلام الشيخ حمد بن عتيق
- ..... حول هذا الموضوع السابق
- ٢٤٩ ..... كلام ابن رجب رحمه الله حول الموضوع السابق من تمام محبة الله
- ٢٥٩ ..... موعظة في فضائل كلمة التوحيد
- ٢٦٩ ..... قصيدة تحريضاً على طلب العلم
- ٢٧٤ ..... نبذة من زهد النبي ﷺ
- ٢٨٧ ..... السلام سنة مؤكدة وله فوائد عديدة والأدلة على ذلك
- ٢٨٨ ..... المواضع التي يكره فيها السلام وحكم رد السلام



- ٢٨٩ ..... قصيدة زهدية في الحث التأهب للموت
- ٢٩٤ ..... الأحق بالبداة بالسلام والحث على إفشائه
- ٢٩٨ ..... في السلام فوائد عديدة نذكر طرفاً منها
- ٣٠٠ ..... حكم ابتداء اليهود والنصارى بالسلام
- ٣٠١ ..... هجران الكفار والفساق بالبدع ومظهر المعاصي
- ٣٠٢ ..... موعظة في مكانة الصلاة والحث عليها والتركذ فيها
- ٣٠٤ ..... فصل في الأخوة لله والألفة لله والصدقة في الله والحب في الله والله
- ٣٠٨ ..... موعظة بليغة في الحث على ذكر الله وأنه كنز من كنوز الجنة
- ٣١٠ ..... الحث على الحب في الله وما ورد فيه من الأحاديث
- ٣١٣ ..... حكم المصافحة وفوائدها وبدعها موعظة وقصيدة في مدح رب العزة والجلال
- ٣١٥ ..... لذة كل أحد على حسب قدره وهمته وشرف نفسه
- ٣١٩ ..... قصيدة في الحث على التوبة والتزود للآخرة
- ٣٢٠ ..... الصبر ما يسمى بأسماء مختلفة أبيات في مدح الصبر
- ٣٢١ ..... الحث على الصبر عند المصائب والكلام على الشكوى
- ٣٢٨ ..... الصبر فيه فوائد عديدة منها وهي أعلاها معية الله
- ٣٣٠ ..... من أنواع الصبر الصبر عن المعاصي
- ٣٣١ ..... كلام الشيخ على صبر يوسف عليه السلام ويليه أبيات في الصبر
- ٣٤٧ ..... فصل أحاديث واردة في الصبر وذكر الثواب العظيم عليه
- ٣٤٨ ..... يندفع شر الحاسد عن الحسود بعشر أسباب
- ٣٤٩ ..... الصبر طريقة الرسل وإليك ما جرى لبعضهم ويليه موعظة
- ٣٥١ ..... قصيدة تحتوي على الحث على الأخلاق الفاضلة
- ٣٥٥ ..... من صبر الرسل شعيب وهود وصالح ويونس ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم  
أجمعين
- ٣٥٦ ..... فصل في تسهيل المصائب وما ورد فيها من الآيات والأحاديث وأقوال العلماء

- والحكماء فيها يهون وينسى المصائب بإذن الله .....
- ٣٥٧ مما يسلى ما وعد الله به عباده في الجنة وأن المصائب لها آجال تنتهي بها وأن مع العسر يسرا وأن الفرج عند الكرب .....
- ٣٥٩ أبيات مسلية ومما يسلي التسلي بذوي الغير ممن أعظم منه في المصائب وأن النعم والنقم كلها زائرة زائلة .....
- ٣٦٢ موعظة لابن الجوزي تسلي بإذن الله عن المصائب .. الخ .....
- ٣٦٤ ومما يسلي عن المصائب أن في المصائب مصالح للمؤمن .....
- ٣٦٥ ومما يسلي أن يعلم أن كل المصائب بقضاء الله وقدرته الخ .....
- ومما يسلي تقدير ما هو أعظم منها وأشياء أخر مبسوطة .....
- ٣٦٧ ومما يسلي أن يعلم أن تشديد البلا يخص الأخيار .. الخ .....
- ٣٦٨ قصيدة زهدية وعظمية مسلية لأهل المصائب .....
- ٣٧٢ علاج حر المصيبة .....
- ٣٧٩ فصل في الخوف تعريفه وأنواعه ونفعه .....
- ٣٨٠ من ثمار الخوف مقدمات الخوف .....
- ٣٨١ القدر الواجب من الخوف والقدر النافع والمذموم .....
- ٣٨٣ آيات وأحاديث في الخوف .....
- ٣٨٧ موعظة بليغة مشهد من مشاهد القيامة .....
- ٣٨٨ هياة الناس في المحشر وما يبلغ عرقهم ومسافة قعر جهنم .....
- ٣٨٩ ما ورد في فصل الخوف وذكر مقامات الخوف وأقسام الخائفين .....
- ٣٩٢ فصل في الحث على التيقض وترك الغفلة والرجاء للمحسن لا الجزم له بالجنة إلا من شهد له الرسول ﷺ .....
- ٣٩٤ طلب معاوية من ضرار بن حمزة أن يصف له علي بن أبي طالب .....
- ذكر بعض أحوال الخائفين .....
- ٣٩٨ فائدة جلييلة من كلام شيخ الإسلام وابن القيم .....

- ٤٠١ ..... ما ينبغي عند المصائب والإبتلى
- ٤٠٨ ..... حكم وموعظة وآداب
- ٤١٠ ..... آفة الكبر
- ٤١٣ ..... موعظة وفوائد
- ٤١٨ ..... فصل في الإخلاص
- ٤٢٣ ..... التحذير من كيد الشيطان
- ٤٢٥ ..... فوائد ونصائح ومواعظ وآداب ووصايا
- ٤٣١ ..... لشهادة أن لا إله إلا الله تأثير عظيم عند الموت
- ٤٣٢ ..... قصيدة زهدية تحث على الاستعداد للموت
- ٤٣٣ ..... موعظة بليغة تحث على الاستعداد للآخرة
- ٤٣٦ ..... قصيدة وعظية زهدية
- ٤٣٦ ..... فصل في الرجاء وتعريفه ومقدماته
- ٤٣٨ ..... الدنيا مزرعة الآخرة فمن زرع خيراً وجدته وتوضيح أن الرجاء الصحيح ما كان مقروناً بالأسباب
- ٤٣٩ ..... موعظة بليغة في الحث على الصلاة
- ٤٤٠ ..... أحاديث وردت في الرجاء وآيات ألق لها سمعك
- ٤٤٢ ..... قصيدة بليغة وعظية زهدية تنعى على من ضيع وقته
- ٤٤٣ ..... وتحفزهم إلى الجد والاجتهاد فيما يوصل إلى مرضاة الله
- ٤٤٨ ..... موعظة ويلها وصية الإمام علي لابنه الحسن
- ٤٥٣ ..... مما ورد في الحث على الرجاء
- ٤٥٦ ..... قصيدة وعظية زهدية
- ٤٥٧ ..... للإنسان نظران نظر من جانب الرجاء ونظر من جانب الخوف
- ٤٥٩ ..... القلب في سيره إلى الله بمنزلة الطائفة أبيات زهدية تضرع إلى رب العزة والجلال

- ٤٦١ ..... يجب على العبد عند الاحتضار أن يحسن الظن بالله عز وجل
- ٤٦٢ ..... قصيدة في توبيخ النفس
- ٤٦٤ ..... كلام ابن القيم في حسن الظن بالله كلام نفيس نماذج من أخلاق السلف رحمهم الله
- ٤٦٥ ..... من أخلاق السلف التواضع والانخلاع قلوبهم من خوف الله وتوصية بعضهم بعضاً
- ٤٦٦ ..... ومن ذلك توصية الإمام على لابنه الحسن وبعدها وصية
- ٤٧٢ ..... أبي حازم للأعرج
- ٤٧٩ ..... من وصايا السلف لمن سألهم ذلك
- ٥٢٢ ..... أبيات حول حالة السلف وقصيدة وعظية
- ٥٢٥ ..... أحوال بعض السلف عند الموت مصحوبة بأبيات رائقة
- ٥٤١ ..... الحث على الإكثار من سؤال الله والأدلة على ذلك